

في

معاني الأسماء وبيان الأعلام

بتفسير القرآن

للدكتور
محمد محمود سعيد



الناشر دار الغد العربي

النفيس

فى معانى الأسماء ـ وبيان الأعلام

وتفسـير القرآن

قام عليه وأعـدَّه

خادم الكتاب إن شاء الله

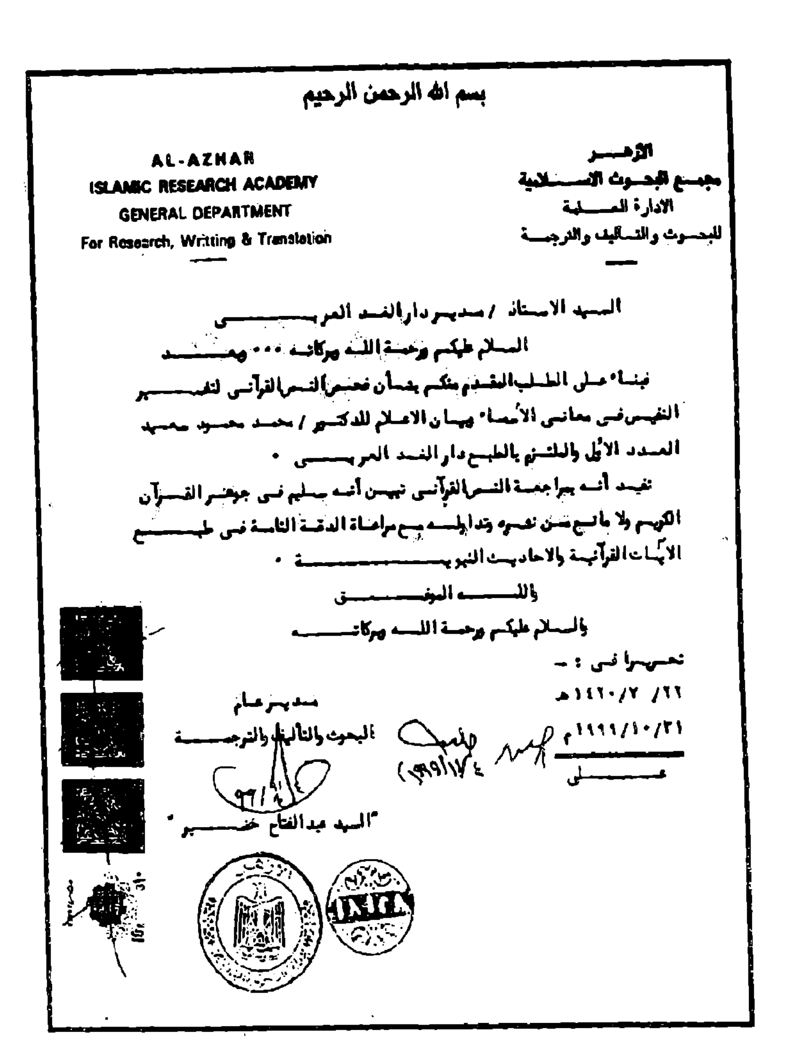
الدكتور/ محمد محمود سعيد

الناشر

دار الغـد العربى

٣ ش دانش ـ العباسية ـ القاهرة

ت: ٢٨٥٦١٢٢ ـ ٢٨٤٣١١٥ ـ ٤٨٢٤٣٢٩



بسم الله الرحمن الرحيم

الأزهـــر
مجمع البحوث الإسلامية
الإدارة العامة
للبحوث والتأليف والترجمة

AL-AZHAR
ISLAMIC RESEARCH ACADEMY
GENERAL DEPARTMENT
For Research, Writting & Translation

السيد الاستاذ / مدير دار الغد العربي

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ... وبعد

فبناء على الطلب المقدم منكم بشأن فحص النص القرآني لتفسير النفيس في معاني الأسماء وبيان الاعلام للدكتور / محمد محمود محمد العدد الأول والملتزم بالطبع دار الغد العربي .

نفيد أنه بمراجعة النص القرآني تبين أنه سليم في جوهر القرآن الكريم ولا مانع من نشره وتداوله مع مراعاة الدقة التامة في طبع الآيات القرآنية والاحاديث النبوية .

والله الموفق

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تحريرا في :-
٢٢/ ٧/ ١٤٢٠هـ
٣١/١٠/١٩٩٩م

مدير عام
البحوث والتأليف والترجمة
"السيد عبد الفتاح خضير"

شعبان ١٤٢٠ / نوفمبر ١٩٩٩ م

رقم الإيداع بدار الكتب والوثائق القومية

٩٩ /١٦٧٠١

بسم الله الرحمن الرحيم

تابع تفسير سورة الكهف

قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا ﴿٧٣﴾

لتفسـير:

يذكر تعالى - في الآية - قول موسى بعد تذكير الخضر إياه بسبق رأيه فيه وفي قدرته على الصبر ومداها. ومفاد قول موسى عليه السلام هو ارتداد الحلم إليه، وأنه لهذا اعتذر عما صدر منه وجاء اعتذاره بالنسيان، والمراد به نسيان ما سبق أن تعهد به من عدم السؤال عن شيء حتى يحدث له منه ذكرا، وجاءت عبارة الاعتذار بسؤال عدم المؤاخذة عن النسيان في صيغة تفيد علم الخضر بأن السؤال كان نتيجة النسيان «لا تؤاخذني بما نسيت».

ثم إن النص يذكر أن موسى عليه السلام أضاف قائلا «ولا ترهقني من أمرى عسرا»، سأل الخضر ألا يحمله ويثقل عليه لدى اتباعه بأعباء يعسر عليه تحملها، والمراد بهذا هو التعييب عليه ما يصدر منه ومناقشته فيه لتخطيئه .

فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ﴿٧٤﴾

أولا: الأسـماء والأعلام :

١ - الغـلام : في قوله تعالى «حتى إذا لقيا غلاما فقتله» هو الصبي دون البلوغ. ومع ذلك إنه كان ابن عشرين سنة. وقد ينفي هذا وصف الغلام بأنه نفس زكية بمعنى أنها لم ترتكب إثما، وهذا يكون في الصغير الذي هو دون البلوغ ولا يتصور في غالب الأحوال في ابن العشرين. وقيل إن اسم الغلام كان جيسور، وقيل جنبتـور.

٢ ـ الزكيـة : فى قوله تعالى «أقتلت نفسا زكية» هى الطاهرة من الذنوب .

٣ ـ النكر : فى قوله تعالى «لقد جئت شيئا نكرا» هو ما تنكره العقول وتنفر منه الطبيعة المستقيمة، والطبع السليم.

ثانيا: التفسـير:

مفاد قوله تعالى ـ في الآية ـ «فانطلقا» هو أن الخضر قبل عذر موسى عليه السلام، وأنهما خرجا من السفينة إلى اليابسة، وقوله تعالى «حتى إذا لقيا غلاما فقتله» يفيد أنهما سارا إلى أن لقيا غلاما ، فكان من الخضر أنه قتله.

وفى هـذا قيل إنهما مرا بقرية من القرى كان بعض الغلمان يلعبون فيها وبينهم الغلام المذكور كان أحسنهم هيئة وأنظفهم لباسا، وإن الخضر أخذه وقتله بأن اقتلع رأسه، وقيل إنه ذبحه، وقيل إنه رض رأسه بجدار حتى قتله .

ثم إنه تعالى يذكر أن موسى عليه السلام قال للخضر «أقتلت نفسا زكية بغير نفس» والمعنى أنه أنكر عليه قتل نفس، ووصفها بأنها زكية لم تقترف إثما.

وقد يكون هذا لأنها دون البلوغ غير مكلفة ولا مسئولة، وقد يكون لأنه عليه السلام لم يشاهد منها ذنبا اقترفته، ثم ذكر ما يفيد انعدام الحق فى قتلها، وهو ما يكون بالقصاص جزاء على قتل، وانعدام سلطان الخضر على إيقاع القصاص فيما لو كان هناك قتل، لعدم كونه من أولياء الدم.

ثم إنه عليه السلام أبدى رأيه فى فعل الخضر فوصفه بأنه قد ارتكب فعلا ينكره العقل وترفضه الطبيعة السوية .

۝ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾

التفسـير:

يذكر تعالى ـ في الآية ـ ما كان من الخضر مع موسى عليه السلام عندما عاد إلى مخالفة

ما تعهد به من عدم سؤال الخضر عن شيء يكون منه أو عمل يعمله حتى يحدث له منه ذكرا فيقول تعالى إن الخضر قال له «ألم أقل لك إنك لن تستطيع معى صبرا» وفيه زاد على قوله السابق لفظ «لك» لبيان أنه لم يُجد تذكيره معه شيئا .

قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾

التفسير:

مفاد قوله تعالى ـ فى الآية ـ هو أن موسى عليه السلام قال للخضر ما معناه أنه إذا سأله عن شيء يفعله مما لا يرى صوابه بعد هذه المرة، فإنه يكون منه فراقه وعدم مصاحبته. والظاهر من عبارة النهى «فلا تصاحبنى» هو تأكيد النهى عن مصاحبته وليس مجرد الترخيص له فى ذلك .

وباقى قول موسى هو بمثابة تعليل مسبق لإقدام الخضر على مفارقته إذا عاد للسؤال عن شيء «قد بلغت من لدنى عذرا»، والمعنى هو أنه يكون قد بلغ من الضيق من فعله أو سؤاله مبلغا يعذر معه فى ترك مصاحبته .

فَانطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا
فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ
قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾

أولا: الأسماء:

القرية : فى قوله تعالى «حتى إذا أتيا أهل قرية» قيل إنها أنطاكية، وقيل هى برقة، وقيل هى قرية بأرض الروم، وقيل قرية بأرمينيا ، وقيل هى الناصرة .

ثانيا: التفســـير:

يقول تعالى ـ فى الآية ـ إن موسى عليه السلام والخضر انطلقا فى سيرهما إلى أن أتيا أهل قرية فطلبا منهم حقهم فى الضيافة طعاما، وقد يكون طلب الطعام مرادا لذاته لرد الجوع، وقد يكون سببا لإظهار لؤم أهـل القرية وعدم إحسانهم للضيف، فيكون الخضـر هو طالب الطعام ويكون هدفه من طلبه هو إطلاع موسى عليه السـلام على حقيقة أمر أهل القرية ليكون منه ما يكون حيـن يرى فعلـه معهم أو مع بعضهـم من بعـد. والذى كـان من أهل القـرية هـو رفض استضافة موسى عليه السلام والخضر، بمعنى أنهم رفضوا تقديم الطعام المطلوب إليهما .

ثم يذكر تعـالى أن موسى عليه السلام والخضـر وجدا فى القرية جدارا يـوشك أن يـسقط، فأقامه الخضر، وقيل فى هذا إنه مسحه بيده فأقـامه، وقيل إنه هدمه وأعاد بناءه. ثم إن موسى عليه السـلام قال للخضـر لما رأى منـه فعله «لـو شئت لاتخـذت عليه أجـرا» والقول حـث للخضر على طلب أجـر عمله أو تعريض به بأنـه فعل ما لم يطلب منه فعلـه، فيكون اعتراضا منه على ما فعل .

قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾

التفســـــير:

يذكـر تعالى ـ فـى الآية ـ أن الخضر قـال لموسى عليـه السلام «هذا فراق بينـى وبينك»، والمعنى هو أن اعتـراضك هذا هو سبب فراقنـا، وفى القول قال «فراق بينى وبينـك» ولم يقل «فراق بيننا» لتأكيد وقوع الفراق بين الاثنين تحقيقا لقول موسى «لاتصاحبنى» .

ثم إن الخضر قال لموسـى «سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليـه صبرا» والمعنى أنه سيقوم برد الأفعال التـى رآها منه ولم يستطـع أن يصبر على عدم السـؤال عنها إلى مآلاتهـا وعواقبها ليعلم الحكمـة التى كانت وراء ذلـك مما عمى عليـه أمره لكونـه مما علمه الله تعالـى عبده

الخضر، وإن كانت عبارة القول لم تقل هذا ـ اكتفاء بذكر عدم الصبر ـ ليكون وحده محل العتاب والتعريض دون عدم العلم .

﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾﴾

أولا: الأسماء :

المساكين : فى قوله تعالى «أما السفينة فكانت لمساكين» جمع، مفرده المسكين، وقد سبق بيان معناه والفرق بينه وبين الفقير. والمراد به ـ فى معنى الآية ـ هو الضعيف العاجز لعلة فى النفس أو الأعصاب أو فى البدن. وقيل إن أصحاب السفينة كانوا عشرة إخوة كان منهم خمسة أصحاب علل جسمانية وخمسة يعملون فى البحر.

ثانيا: التفسير :

القول ـ فى الآية ـ للخضر، وهو فى بيان مآل فعله فى السفينة أو مع أصحابها. بين فى مبدأ القول أنها كانت مملوكة لضعفاء يعجزون عن حماية ملكهم من الاعتداء عليه من ذوى السلطة والقوة، وذلك لأن الصحيحى الجسد منهم يعملون فى البحر فيستغرق عملهم وقتهم وجهدهم، ولأن الباقين منهم ذووا علل وأمراض.

ثم بين أنه لهذا السبب ولسبب غيره أراد أن يعيب السفينة، والمعنى أنه لم يرد إغراق أهلها كما اعتقد موسى عليه السلام، أما السبب الآخر الذى دفعه إلى إرادة تعييب السفينة فهو أنه كان وراء أصحاب السفينة ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا من أصحابها .

وفى هذا قيل إنه كان يغتصب حيازتها وملكيتها فلا يردها إليهم، وقيل كان ينتفع بها لفترة سخرة بدون مقابل ثم يردها إلى أصحابها .

وقيل إن معنى «وراء» فـي قوله تعالى «وكـان وراءهـم ملك» هو «قدام»، والـذى نراه ـ والله أعلم ـ أن لفـظ «وراء» إنما يفيد معنى الملاحقة والمتـابعة، وهو الوصف التـام لفعل الملك الذى يتتبع أصحاب السفن ويلاحقهم ليستولى على سفنهم.

فيكون المعنى أنه لضعـف أصحاب السفينة عن حماية أنفسهم، ولـوجود ملك يغتصب السفن السليمـة من أصحـابها يلاحقهـم ليأخذ سفينتهم أتلف الخضـر السفينة تلفـا يمكن إصلاحه، ليبقى السفينة على ملك أصحابها وفى حوزتهم .

وقيل ـ دون سنـد ـ إن الخضر قد أعلم أصحـاب السفينة بعد أن نجوا مـن استيلاء الملك عليها بما فعل، وأنه أصلحهالهم، وأن هذا كان على مرأى من موسى عليه السلام ومسمع .

وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾

التفســـير:

القول للخضـر وهو فـى شأن الغلام الـذى قتله، أظهـر أن أبو يـه كانا مـؤمنين، وقـد يكون المستفاد من هذا ـ بمفهوم المخالفة ـ أنه كان كافرا، فإن قيل إنه لم يكن قد بلغ الحلم، فإنه يرد على هـذا بأن هناك من قال إنـه كان بالغا، ثم إنه قـد يكون مطبوعا يوم طبـع على الكفر، بمعنى أنه يصير كافرا متى بلغ.

ثـم إن الخضـر بين أنـه خـاف علـى أبـويه المـؤمنيـن مـن أن تكـون حياة الغـلام سببـا لمجاوزتهما حدود الله وكفرهما حبا له وتأثرا بـه، أو أن يدعوهما إلى الكفر فيجيبانه ـ وقيل إن الغلام كان يسـرق ويفسد ويقسم لأبويـه أنه ما فعل فيقسمـان على قسمه، ويحميانـه ممن يطلبه. والأقرب إلى المعنى هو أن الخضر علم من الله تعالـى أنه لو بلغ الغلام لدعا أبويه إلى الكفر، فيكون منهما إجابتـه والدخول فى الكفر لفرط حبهما له، وفـى هذا مجاوزة لحدود الله، وكفر به .

﴿فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾﴾

التفســـير:

القول تتمة قول الخضر فى تأويله قتله الغـلام، يذكر أنه أراد بقتل الغلام أن يرزق الله أبويه بدلا منه غلاما آخر يكون خيرا منه زكاة بمعنى أنه يكون خيرا منه دينا وطهارة نفس من الذنوب ومن الأخلاق السيئة، كما يكون أقرب رحمة عليهما وبرا بهما. ومعنى أنه أراد هذا هو أنه علم من الله تعالى أن هذا يكون بإذنه إذا ما قتل الغلام .

وقد قيل إنه تعالـى رزق أبوى الغلام ابنة أدركت يونس بن متي وتـزوجته، وأنها ولدت نبيا من الأنبيـاء، وقيل ولدت نبيين. وهـذا جميعه مما لا دليـل عليه. كما قيل إن معنـى أن يكون الغلام الـذى يرزقانه بـدلا من الغلام المقتول أقـرب رحما، هو أنهمـا يحبانه أكثر مـن حبهما الغلام المقتول فيعوضهما حبه عن فقد المقتول. وهو معنى معتسف فى رأينا ـ والله أعلم .

﴿وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾﴾

أولا: الأســـماء والأعلام :

١ ـ الكنــز : فى قوله تعالـى: «وكان تحته كنز لهما» هو المال المدفـون من ذهب وفضة. وقيل من الذهب فقط دون الفضة .

٢ ـ الأب : فى قوله تعالى «وكان أبوهما صالحا» المراد به ـ فى معنى الآية ـ الأب الأقرب

الذى ولدهمـا. فيه إن اسمه كان «كـاشح»، وقيل إنه كـان الأب العاشر للغلامـين، وقيل كان السابع.

٣ـ الغلامــان : فى قوله تعالى «فكان لغلامين» قيل إن اسم أحدهما كان «أصرم» والآخر «صريم».

ثانيا: التفســـير:

القول ـ فى الآية ـ قول الخضر، وهو فى تأويـل إقامته الجدار، ذكر أنه كان مملوكا لغلامين صغيرين فى المدينـة كانا يتيمين، بمعنى أن أباهما مات عنهما صغيـرين، وفى القول ذكرت القرية بأنها مدينة تشريفا لها بوجود اليتيميـن ابنى الرجل الصالح فيها. ثم قال إنه كان تحت الجدار الذى أوشـك على السقوط كنز لهما، بمعنى أنـه كان لهما إرثا من أبيهمـا حفظه لهما بكنزه تحت الجـدار، ثم إنه بين علة محافظـة الله تعالى على الكنز ليكون للغـلامين اليتيمين بقوله «كان أبوهما صالحا»، فأظهر أن الأبناء يفيدون من صلاح الآباء .

ثم إن الخضر قـال لموسى عليه السلام «فأراد ربـك أن يبلغا أشدهما ويستخرجـا كنزهما رحمة مـن ربك» وفـى القول ذكر الله تعـالى بـأنه رب مـوسى عليه السـلام، ليبين لـه وجوب استسلامه لإرادته تعالى وعدم المناقشة فيما وقـع من أحداث بإرادته تعالى. ومعنى القول أنه شاءت إرادة الله تعـالى أن يحتفظ بـالكنز سليما مخفيـا عن العيـون تحت الجدار حتـى يبلغ الغلامـان أشدهمـا بمعنى استكمـالهما قوتهمـا فيكون منهمـا استخراج كنـزهما مـن تحت الجدار.

والقول ـ بهذا المعنى ـــ يفيد أنه لولا إقامة الخضر الجدار لما كان ذلـك قد تحقق ، ثم إنه لما كانت إرادة الله نافذة فقد تحتم حصول إقامته الجدار.

وقد بين الخضر فى حـديثه أن إرادة الله استخراج الغلامين كنزهما عند بلـوغهما أشدهما كانت رحمة منه، فتكون «رحمة منه» مفعولا لأجله .

وقول الخضر بعـد هذا «وما فعلته عن أمرى» هـو إعلام منه لموسى عليه السـلام أن إقامته

الجدار لم تكن فعلا صدر منه عن اجتهاد منه ورأى، وإنما كان ـ على المفهوم ـ تنفيذا لإرادة الله تعالى. وقد أتبع قولـه هذا بقوله «ذلك ما لم تسطع عليه صبرا» أشـار فيه إلى جميع أفعاله التى سأل موسى عليـه السلام عنها، أو التى أنكرها عليه، وبيان تأويله لها أو عاقبتها ومآلها، وصرح بأن هذا التأويـل هو الذى لم يستطع موسى الصبر على الجهـل به، وفى لفظ «تسطع» حذفت التاء من الفعل «تستطع» لتخفيف النطـق الذى يصعب لورود الطاء بعد التاء. والقول الأخير ينطوى على عتاب لموسى عليه السلام لتعجله وعدم صبره.

﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ۝٨٣﴾

أولا: الأسـماء والأعلام :

ذو القرنين : فـى قوله تعالى: «ويسـألونك عن ذى القـرنين» ، قيل إنه كان عبـدا صالحا، ملكه الله الأرض وأعطـاه العلم والحكمة، ولا نعرف مـن هو. وقيل هـو أفريدون بن اثفيـان بن جمشيد خامس ملوك الفرس الفيشدادية، ملك الأرض وقسمها بين بنيه الثلاثة: ايرج، وسلم، وتور. وقيل هو الإسكندر بن فيلبس أو فيليب المقدونى الذى هزم دارا ملك الفرس، وقد سمى بـ «ذى القرنين» لأن كهنـة مصر ألبسوه تاج الملك المحلى بصورة كبش ذى قـرنين. وهو من مقدونيا التى كـانت آنذاك من الدويلات اليونـانية، ولم يثبت فى التاريـخ أن رجلا بلغ ملكه أقصى المغرب وأقصى المشرق وجهة الشمال مثله، ولا يقدح من هذا أنه كان تلميذا لأرسطو الفيلسوف لأنه إنما تعلم منه الفلسفة وتلقى العلوم الـدنيوية، ولا يبعد أن يكون قد خالفه فى شأن العقيدة إن كـان أرسطو وثنيا، وقيل هو الإسكنـدر الرومى الذى سبق الإسكنـدر المقدونى بزمـان طويل قيل إنـه ألفا سنة، وقيل إنـه ذو القرنين الحميرى، وقيـل إنه ملك كان فـى زمان إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وأنه أسلم على يدى إبراهيم وطاف معه حول الكعبة.

والواقع أن المعروف من التاريخ يفيد أنه ليـس واحدا من ملوك اليمن وليس هو الإسكندر الـرومى الأسبـق زمـانـا على الإسكنـدر المقـدونى، كمـا أنـه ليس أفـريـدون، وأنـه من بيـن

المذكورين بأسمائهم يكون الإسكندر المقـدونى هو الأقرب أن يكون ذا القرنين، وإن جاز أن يكون مجهولا شخصه مع ملاحظة أن التاريخ المعلوم لا يخبـر عن آخر غيره ملك من الدنيا ما ملك الإسكندر المقدونى .

ثانيا: التفســـير:

الخطاب ـ فى الآية ـ إلى رسول الله ﷺ. يقول لـه رب العزة «ويسألونك عن ذى القرنين» بمعنى أن كفـار مكة قد سـألوك ـ بـإيعاز من اليهود ــ عن ذى القرنيـن، ويلاحظ فـى هذا أن التوراة التى بين أيدينا اليوم لا تتضمن شيئا عن ذكر ذى القرنين، وأنه قد ورد فى سفر الرؤيا من كتاب العهد الجـديد فى الإصحاح العشرين ذكـر «جوج وماجوج». وفى القول يـأمره ربه أن يقول للسائلين «سأتلوا عليكم منه ذكرا» والمعنى أنه ﷺ سيتلو عليهم من الله تعالى فى شأن ذى القرنين أو فى بعض أخباره قرآنا .

إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾

التفســـير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ هو مبدأ تلاوة الذكـر الموعود به ـ ومفاد القول أنه تعالى جعل لذى القرنين المكنة والقـوة والقدرة على التصرف فى الأرض، فأعطاه حسن تـدبير الأمور، وصحة الرأى والهيبة والوقار، وكثرة الجند.

وقيل إنه تعـالى سخر له السحاب وأيده بـالمعجزات، والواقع أنه لم يثبـت أن ذا القرنين كان نبيا حتى يكون له هذا .

ثم يقول تعالى فيـه «وآتيناه من كل شىء سببا» والمعنى أنه تعـالى أعطاه لكل شىء أراده أو هدفا قصده مما يتعلق بحكمه طريقا يـوصل إليه، يدخل فى هذا العلم، والقدرة والآلات، والمعدات وغيرها من الوسائل التى تتنوع بتنوع الأهداف والأغراض .

فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾

التفســـير:

القول ـ فى الآيـة ـ إتمام للقول فى الآية السـابقة، ومعناه العام أنه كان فـى كل أمر يبتغيه يتبع السبيل المـوصل إليه. وعلى المعنـى الخاص ـ استرشادا بـا لآية اللاحقة ـ فإن المعنى يكون أنه أراد بلوغ المغرب أو جهة المغرب فاتبع السبيل التى توصله إليها .

حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا ۗ قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾

أولا: الأســـماء :

١ ـ مغرب الشمس : هو آخر جـزء ينتهى إليه من الأرض مـن جهة الغرب منظورا إليـه من النقطة على خطوط الطول الوهمية المتخذة أساسا لتحديد الشرق والغرب .

٢ ـ العين الحمئة : هى العين ذات الحمئة، وهو الطين الأسود .

ثانيا: التفســـير:

مفاد قوله تعـالى ـ فى الآية ـ أنـه لما أراد ذو القرنين الذهاب إلـى منتهى الأرض من جهة المغرب فإنه فعل ووصل أقصى نقطة فى الأرض تعتبـر غربا، وأنه هناك شاهد الشمس تغرب فى عين ماء ذات طيـن أسود. وليس المعنى أنها تغرب فيها على الحقيقـة، وإنما المعنى أنه وجدها فى عين الرائى على هذا النحو، كما يشاهد الجالس على البحر لحظة غروب الشمس كأنها تغيب فى آخر ما يرى من صفحة ماء البحر.

ثم إنه تعالى يذكر أن ذا القرنين وجد فـى هذه البقعة من الأرض قوما، قيل فيهم الكثير مما

لا سنـد له مـن حيث كثـرتهم التـى لا تعد ومـن حيث لبـاسهم أنـه كان مـن جلود السبـاع، وطعامهم أنه كان مما يلفظ البحر، وأصلهم أنهم كانوا من نسل ثمود .

ويقول تعالـى أنه قال لذى القرنين فـى شأنهم «إما أن تعذب وإما أن تتخـذ فيهم حسنا» والمعنى أنه تعالى خيره بين تعذيبهم بالقتل، وبين اتباع الأمر الحسن فيهم.

والمستفاد من القـول أنه تعالى قـال له هذا بطريق الإلهـام، لعدم ثبوت كونـه نبيا، وأنهم كانوا كافرين قـد بعث فيهم نبى فلم يؤمنوا؛ ولهذا رخص لذى القـرنين فى أن يقتلهم بكفرهم على وجـه التخيير بين هـذا وبين دعوتهـم للإيمان بما دعـاهم رسولهـم للإيمان بـه، فتكون دعوتهم إلى الإيمان هى الحسن المتخذ فيهم .

قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨٧﴾

أولا: الأسـمـاء :

النكـر : فى قوله تعالى: «فيعـذبه عذابا نكرا» المراد به ـ فى معنى الآيـة ـ هو الشديد غير المحتمل، وهو العذاب فى نار جهنم .

ثانيا: التفسـير:

يذكر تعـالى ـ فى الآيـة ـ ما كان عليـه اختيار ذى القرنين، جـاء التعبير عنه بأنـه قال، وقد يكون مفاد هذا أنه قاله فى نفسه فعلمه الله تعالى.

ومفاد القول أو الاختيار أنه اختار أن يكون أمره معهم هـو دعوتهم للإيمان، ثم يكون منه مع من لم يستجـب لدعوته وظلـم نفسه بالإصرار علـى الكفر والشرك أنه يعـذبه بالقتل، ثـم إنه أضاف قائلا إنه يكون لمـن ظلم نفسه فى الآخرة عندما يرد إلى ربه عـذاب شديد، والمراد به عذاب جهنم .

والمستفاد من هذا أن قتل المشرك بشركه لا يعفيه من عذاب الآخرة به .

وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾

التفسير:

بعد أن أظهر ذو القرنين أنه اختار اتخاذ الحسنى مع القوم بدعوتهم إلى الإيمان بما كفروا به من قبل، وبين ما يكون منه مع الذين يصرون على الكفر وهو قتلهم، فإنه يكمل حكمه فيما اختار بقوله المذكور فى الآية وهو «وأما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى، وسنقول له من أمرنا يسرا» والمعنى هو أن الذين يؤمنون منهم استجابة لدعوته ويقرنون إيمانهم بالأعمال الصالحة، فإنه يكون لهم جزاء الحسنى أى أن تكون الحسنى هى جزاءهم ـ والمراد بها هو الجنة ـ فيكون القول مظهرا جزاءهم فى الآخرة.

ويكون منه معهم أن يقول لهم من أمره يسرا، وهذا هو ثواب الدنيا لهم وهو أنه لا يكلفهم آمرا إلا بما سهل عليهم، أو أنه يحسن القول إليهم.

وقيل إن المعنى هو أن يأسرهم بدلا من قتلهم، وهو ما نراه بعيدا عن المعنى ـ والله أعلم ـ لأنهم تابوا وأحسنوا فلم يعد لهم ذنب يؤخذون به .

ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾

التفسير:

القول قوله تعالى فى سرد رواية ذى القرنين، ومفاده أنه كان منه بعد هذا أن اتخذ سبيلا يوصله إلى الجهة التى يقصدها، وهى على ما تفصح عنه الآية التالية جهة المشرق .

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطۡلِعَ ٱلشَّمۡسِ وَجَدَهَا تَطۡلُعُ عَلَىٰ قَوۡمٖ لَّمۡ نَجۡعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتۡرٗا ٩٠﴾

أولا: الأســـماء :

١ ـ مطلع الشمس: قيل إنه الموضع الذى تطلع عليه الشمس أولا من المعمورة، ونرى هذا غير صحيح لأنه ما من لحظة إلا وتكون الشمس فيها طالعة على جزء من المعمورة، وأنه لهذا السبب تتعدد المشارق على ما يثبته قوله تعالى «فلا أقسم برب المشارق والمغارب» ولهذا فقد يكون المراد بمطلع الشمس ـ فى معنى الآية ـ هو البقعة من الأرض التى قصدها من جهة المشرق، أو البقعة من الأرض التى يطول فيها النهار كثيرا، ومعلوم أن طول النهار يصل عند خط عرض ٤٠ درجة إلى نحو ١٥ ساعة صيفا، وأنه يصل عند خط عرض ٦٣ درجةنحو عشرين ساعة، ويصل عند الدائرة القطبية إلى ستة أشهر.

٢ ـ القــوم : فى قوله تعالى «وجدها تطلع على قوم» قيل إنهم قوم من الزنج، وقيل من الهنود، وقيل قوم يعيشون فيما تلى الصين من مكان ذى القرنين أو من جهة الجزيرة العربيـــة .

٣ ـ الســـتر : فى قوله تعالى «لم نجعل لهم من دونها سترا» المراد به ـ فى معنى الآية ـ هو الساتر من الشمس من بناء ولباس، وقيل إن القوم كانوا يحتمون من الشمس فى أنفاق وهى ليست من السواتر المتعارف عليها .

ثانيا: التفســـير:

مفاد قوله تعالى ـ فى الآية ـ أن ذا القرنين سار فى الأرض جهة المشرق إلى حيث ابتغى أو إلى أقصى مكان حيث وجد الشمس تطلع على قوم لم يجعل الله لهم ما يستترون به من الشمس من جبال وأبنية ولباس، وفى هذا قيل إن الأرض لم يكن يثبت بها بناء.

وقد قيل فـى شأن هؤلاء القوم الكثير من الخـرافات مثل إن واحدهم يفتـرش إحدى أذنيه ويلتحف الأخـرى. وقد يكون المراد بنفـى وجود الستر مـن الشمس هو إظهار قـرب الشمس منهم وتأثيرها فيهم .

﴿كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ۝٩١﴾

التفســـير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ فى تعظيم أمر ذى القرنين، وأمره فى أهل المغرب وأهل المشرق. والمعنى هو «أمر ذى القرنين ذلك» فتكون «كذلك» خبرا لمبتدأ محذوف .

وقوله تعالى «وقد أحطنا بما لديه خبـرا» هو زيادة تعظيم لأمر ذى القرنين، إذ يفيد أنه كان لديه الكثير مـن أسباب القوة من العلم والآلات والعدد ، ومن الجنـود مما لا يحيط بعلمه إلا الله تعالى.

وقيل إن المعنى هو أنه تعالى أحاط علما بما لاقى من مشقة فى سيره إلى المغرب ثم إلى المشرق .

﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ۝٩٢﴾

التفســـير:

يذكـر تعالى ــ فى الآية ــ أن ذا القرنين اتخـذ بعد ذلـك طريقا آخـر اتجه إليه مـن جهة المشرق، قيل فيه إنه كان إلى الشمال من جهة الشرق .

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ۝٩٣﴾

أولا: الأســـــماء :

السدان : مثنى، مفرده «السد» وهو الجبل، والحاجز. وقيل إن المراد بهما - فى معنى الآية - هما جبلا أرمينيا وأذربيجان. وقد كان هناك فى سالف الزمان سد خرب تماما، قيل إن بانيه هو كسرى أنوشروان، وقيل اسفنديار؛ ولهذا يبعد أن يكونا هما السدين المقصودين فى معنى الآية.

ومقتضى القول بأن هذين الجبلين هما السدان فى معنى الآية هو أن يكون يأجوج ومأجوج هما الترك، والخزر.

ثانيا: التفســـــير:

مفاد قوله تعالى - فى الآية - هو أن ذا القرنين سار فى طريقه الذى قصد متجها إلى غايته حتى وصل إلى موضع من الأرض بين جبلين قد يكون مجهولا لنا.

وقد يكون مما غمرته مياه المحيط فلم يعد مرئيا هو والجبال شأن كثير من الجبال الموجودة تحت مياه المحيطات، ثم يكون ظهورها وما بينها فى الوقت المقدر منه تعالى بانحسار الماء عنها .

ويذكر النص أن ذا القرنين وجد فى هذا الموضع من الأرض بين الجبلين قوما لا يكادون يفقهون قولا، والمعنى هو أنهم يتكلمون لغة مجهولة لا يعرفها ذو القرنين، كما أنهم يجهلون لغته فلا يفهمون قوله، وربما قوله تعالى «لا يكادون يفقهون قولا» .مفيدا معنى أنهم لا يكادون يفهمون قوله إلا بجهد ومشقة، فيكون قد استعمل معهم لغة الإشارة .

قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾

أولا: الأســــماء :

١ ـ **يأجوج ومأجوج** : قيل هما قبيلتان من ولد يافث بـن نوح، وقيل هما قبيلتان من الترك، أو إن الترك منهمـا، وقد يكون المراد بهـذا أنهما شعبان مـن الجنس الأصفر ومنه التـرك وأهل الصين واليابان وكوريا ومنغوليا، يدعم هذا ما نسب إلى رسول الله ﷺ من وصفه كثرة عددهم وشكل وجوههم وفيها عيونهم الضيقة. وجاء فى سفـر حزقيال فى العهد القديم فى الإصحاح التاسـع والثلاثين أن يـأجوج قوم أو أمـة من الناس تأتـى على إسرائيـل فى آخر الـزمان، وأن مأجوج بقعة مـن الأرض أو بلدا من البلاد، وجاء فى سفـر الرؤيا فى كتاب العهد الجـديد فى الإصحاح العشرين أنه يكون فى آخر الزمان أن الشيطان يضل الأمم ويجتمع «جوج ومجوج» للحرب، وأن عددهم مثل رمل البحر فيصعدون على عرض الأرض. والمعنى أنهما شعبان من الشعوب .

٢ ـ **الخرج** : فى قوله تعالـى «فهل نجعل لك خرجا» هو الجعل مـن المال يخرج من مال المرء ليعطى غيره .

٣ ـ **السد** : فى قوله تعالـى «على أن تجعل بيننا وبينهم سدا» المراد بهـ فى معنى الآية ـ الحاجز المصنوع وليس الموجود بالطبيعة من الله تعالى .

ثانيا: التفســـير:

يقول تعالى ـ فى الآية ـ إن القوم الذين وجدهم ذو القرنين بين الجبلين قالوا له ـ والمعنى أنهم قالوا له عن طريق مترجم أو عن طريق الإشارة ـ إن يأجوج ومأجوج مفسدون فى الأرض، وقد يكـون معنى القول أنهم يفسـدون فى الأرض زمان القـول بمعنى أنهم يهاجمـون البلدان ويعيثون فيها فسادا بـالقتل والتخريب والاستيلاء على الأمـوال والأرزاق، وحرق المزروعات. وقد يشمل أيضا معنى أنهم يفسدون فى الأرض فى مستقبل الأيام .

ثم إن النص القرآنى يثبت أن هؤلاء القوم عرضوا على ذى القرنين أن يخرجوا له جعلا من أموالهم يكون مقابلا ماديا لصنعه حاجزا يمنع يأجوج ومأجوج من الوصول إليهم .

﴿قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴾ ﴿٩٥﴾

أولا: الأسـمـاء:

الـردم : فى قوله تعالى «أجعل بينكم وبينهم ردما» هو الحاجز العظيم المكون من طبقات بعضها فوق بعض، يكون أقوى من السد .

ثانيا: التفسـير:

القول ـ فى الآيـة ـ هو قول ذى القرنين للقـوم، قال لهم «ما مكنى فيه ربـى خير» والمعنى هو عـدم قبوله أخذ المقـابل منهم وبيان علـة ذلك وهى أنه تعـالى أعطاه الملك ومكنـه من حيازة أسباب القوة وذلك أفضل من قبول الأجر.

وقد يكون المعنى مشيرا إلى أنه تعالى أنعم عليه بما أنعم ليكون منه فعل الخير للغير .

ثم إن ذا القرنين قال لهم «فأعينونى بقوة أجعل بينكم وبينهم ردما» طلب منهم أن يعاونوه فيما يقيم لهم، وأن يكون العون هو جهد جسمانى وليس بذل المال .

وقد يكون القـول مشيرا إلى ضرورة مساهمة من يستعين بغيـره لأمر لصالحه فيمـا يفعل المستعان به لأجله .

ثم أظهر ذو القـرنين ما يكون منـه حال تعاون القوم معـه ببذل الجهد، وهو أن يقيـم بينهم وبين يأجوج ومأجوج حاجزا حصينا مكونا من طبقات بعضها فوق بعض يحميهم من اعتداء يأجوج ومأجوج عليهم .

﴿ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴾ ﴿٩٦﴾

أولا: الأســــماء :

١ ـ **الزبـر** : فى قوله تعالى «آتونى زبر الحـديد» جمع، مفرده «الزبرة» وهى القطعة الكبيرة من مادة الشيء .

٢ ـ **الصدفان** : فى قـوله تعالى «حتـى إذا ساوى بين الصدفيـن» المراد بهما فى ـــ معنى الآية ـ هو جانبا الجبل سميا «صدفين» لتصادفهما وتلاقيهما عند قمته .

٣ ـ **القطـــر** : فى قـوله تعـالى «آتونـى أفرغ عليـه قطرا» هو النحـاس المذاب، وقيـل هو الرصاص المذاب .

ثانيا: التفســـير:

القول «آتونى زبـر الحديد» لذى القرنين طلـب فيه من القوم أن يحملوا إليه قطـع الحديد التى أعدها ليستخدمها فـى إقامة الردم، ولم يطلب منهم الإتيان بمادته مـن عندهم، على ما يفهم من عدم طلبه منهم غير المعاونة ببذل الجهد .

ومفاد قولـه تعالى «حتى إذا ساوى بين الصـدفين قال انفخوا» هو أنهم حملـوا إليه قطع الحديد وأنه استخدمها علـى جانبى الجبلين فى إقامة بناء مساو لهما فـى العلو لتكون بمثابة الدعائم أو الهيكل لما أراد إقامته.

ثم يبين تعالى أن ذا القرنين طلب من القـوم بعد هذا أن ينفخوا فى الكيران للإحماء على زبر الحديد المنفوخ فيها بالتبعية، ثم إنه لما وصلت درجة حرارة قطع الحديد درجة الاحمرار فـأصبحت مثـل النار فـى الهيئة والحـرارة قال للـذيـن تولـوا منهم عمليـة إذابة النحـاس أو الرصاص، أو للنـافخين فى الكيران أن يـأتوا إليه بمن يستعيـن بهم فى عملية إفـراغ النحاس المذاب أو الرصاص المذاب على قطع الحديد المقامة، وبذلك يكمل الردم .

﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا ﴿٩٧﴾﴾

التفســـير:

مفاد قوله تعالى ــ في الآية ـ هو أن يأجوج ومأجوج لم يستطيعوا أن يعلوا الردم الذى صنعه ذو القرنين، وسبب ذلك هو كون الردم أملس مع علوه ببلوغه ارتفاع الجبل، كما أنهم لم يستطيعوا أن ينقبوا فيه نقبا ينفذون منه، وذلك لصلابته وثخانته.

والمستفاد من القول هو أن القوم أجابوا ذا القرنين إلى ما طلبه منهم وأنه أقام الردم على النحو الذى أراده أن يكون عليه .

وقيل إن يأجوج ومأجوج يخرقون كل يوم من السد جزءا حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال لهم رئيسهم «ارجعوا فستخرقونه غدا» فيعيده الله أقوى مما كان، حتى إذا جاء الموعد الذى حدده تعالى ليبعثهم على الناس قال لهم رئيسهم «ارجعوا فستخرقونه غدا إن شاء الله» فيعودون إليه وهو على هيئته التى تركوه عليها فيخرقونه ويخرجون على الناس .

﴿قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي ۖ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾﴾

أولا: الأســـماء:

الدكـــاء: في قوله تعالى «فإذا جاء وعد ربى جعله دكاء» المراد بها ـ في معنى الآية ـ هو الأرض المستوية، بمعنى أن يصير الردم مستويا بالأرض من دك الشيء أي دقه فجعله ذرات صغيرة، مثل ذرات الدقيق، أو من «الدكاء» وهي الناقة التى لا سنم لها، فيكون المراد أنه يصير أرضا مستوية لا أكمة فيها .

ثانيا: التفســـير:

يذكر تعالى ـ في الآية ـ أن ذا القرنين أشار إلى الردم أو السد الذى أقامه وأخبر عنه بأنه رحمة من ربه، فهو من آثار رحمة ربه، كما أنه رحمة من ربه بالقوم وبالعباد لمنعه يأجوج ومأجوج من الوصول إليهم وفعل الفساد فيهم .

ثم إن ذا القـرنين يبين أن بقـاء السد على حـاله هـو إلى حين، وأنـه بحلول الوقـت الذى حدده تعـالى لنقـض بنيانه وبعـث يأجـوج ومأجـوج على الناس يصيـر السد أو الـردم أرضا مستوية، فيكون الوقت الموعود به هو يوم خـروج يأجوج ومأجوج على الناس، أو هو يوم ظهور بدايات يوم القيامة من خروج يأجوج ومأجوج وخروج الدجال ونزول عيسى عليه السلام.

ثم إنه يثبـت حتمية وقوع هذا الـذى أخبر به بقولـه «وكان وعد ربى حقـا» والمعنى هو أن جميع ما وعـد به ربه تعالـى شأنه لابد متحقق، ومنـه دك السد، لتكون إرادته تعـالى. ويقبل القول أن يكون الوعد هو يوم القيامة.

﴿وَتَرَكۡنَا بَعۡضَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ يَمُوجُ فِي بَعۡضٖۖ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعۡنَٰهُمۡ جَمۡعٗا ٩٩﴾

التفسـير:

القول فـى «وتركنا بعضهم يـومئذ يموج فى بعـض» هو قولـه تعالى، وفى معنـاه يتصور أن يكون الضمير فى «بعضهم» عائدا إلى الخلق من إنس وجن، فيكون المراد باليوم فى «يومئذ» هو يوم القيامة يترك فيه تعالى الإنس والجن يموج بعضهم فى بعض من فرط الحيرة ومن شدة الهول، ويتصـور فيه أن يكـون الضمير فـى «بعضهم» عـائدا إلى يـأجوج ومأجوج يمـوجون بعضهم فـى بعض يـوم انفتاح السد، أو يمـوجون فـى الناس يقتحمونهـم بعد انفتـاح السد. ويتصور أن يكـون الضمير عائدا إلـى الناس فهم الذيـن يضطربون بخـروج يأجوج ومـأجوج فيموجون بعضهم فى بعض.

ثم إنـه تعالى يـذكر أنه يكـون بعد هذا النفخ فـى الصور، والمراد ــ على ما تبينـه الآيات اللاحقة ـ أنه النفخة الثانية، فيكون بهذه النفخة جمع الخلائق من بعد أن تفرقوا بعضهم عن البعض، ومـن بعد تفرق أعضـائهم وتمزق أوصـالهم، يكون جمعهـم فى مكان واحـد جمعا واحدا للحساب وللجزاء.

■■■■■

وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَافِرِينَ عَرْضًا ﴿١٠٠﴾

التفسير:

يذكر تعالى فى الآية أنه فى هذا اليوم الذى يجمع فيه الخلائق جمعا يعرض جهنم على الكافرين فى دنياهم فيسمعون لها تغيظا وزفيرا، ويرونها فيحسبون أنهم مواقعوها .

ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِى غِطَآءٍ عَن ذِكْرِى وَكَانُوا۟ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴿١٠١﴾

التفسير:

يصف تعالى – فى الآية – الكافرين المعروضة عليهم جهنم، فهم الذين عموا فى الدنيا عن أن يبصروا آياته تعالى فى الخلق، وآياته ومعجزاته التى أيد بها رسله فعمت بصائرهم عن ذكره تعالى بالإيمان به وتسبيحه وهم الذين صمت آذانهم عند سماع كلام الله ودعوات الرسل، فأعرضوا عما دعاهم إليه الرسل وعن الشرائع التى أنزلت من الله تعالى، وأعرض المتأخرون منهم فى الزمان عن القرآن العظيم والذكر الحكيم .

أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن يَتَّخِذُوا۟ عِبَادِى مِن دُونِىٓ أَوْلِيَآءَ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ نُزُلًا ﴿١٠٢﴾

التفسير:

قوله تعالى – فى الآية – فى المشركين ، جاء قوله تعالى «أفحسب الذين كفروا» استفهاما للإنكار والتوبيخ، والمنكر عليهم، والذى هم موبخون به هو اعتقادهم أن اتخاذهم عبادا من عباده تعالى معبودين من دونه ينفعهم، أو اعتقادهم أنهم لا يعاقبون به.

وفى شأن عباده تعالى المتخذين أولياء من دونه فهم – على الراجح – الملائكة والأنبياء والأولياء الصالحون، وقيل إنهم جميع المعبودات من دون الله تعالى يدخل فيها مع هؤلاء الكواكب والأصنام .

ثم إنه تعالى أثبت فساد اعتقاد الكافرين عدم معاقبتهم بشركهم بقولـه تعالى «إنا أعتدنا جهنم للكـافرين نـزلا» فبين تعـالى أنه أعـد جهنم سلفا لتكـون للكافـرين بكفرهـم وبظنهم الباطل منزلا ينزلونه فى الآخرة، أو خيرما يقـدم لهم فى الآخرة من تقدمة تشبها «بالنزل» الذى يقدم للضيف أول حلوله عند مضيفه ، أو للنزيل أول نزوله الحان أو مكان المبيت والإعاشة.

قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾

التفســـير:

الخطاب ـ فى الآيـة ـ إلـى رسول الله ﷺ، يـأمره ربـه أن يقول للكـافريـن «هل ننبئكـم بالأخسرين أعمالا» والاستفهام فيه جاء فى هيئـة طلب الإذن منهم من قبيل التهكم بهم، وفيه جاءت «أعمالا» فـى صيغة الجمع لبيان أن جميع أعمال الكـافرين ـ وإن تنوعت ـ هى إلى خسران. أمـا التهكم فهو لحسبـانهم أن أعمالهـم الصالحة فـى ذاتها تنفعهم وأنهـم يعدون بالأعمال الحسنة محسنين، على حين أنه تحبط جميـع أعمالهم بالكفر، فيخسرون ما أنفقوا فيها ولا يجنون منها ثوابا فيكونون الأخسرين أعمالا

ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾

أولا: الأســـماء :

الذين ضـل سعيهم : هم الـذين عبدوا غيرالله تعـالى، وقيل هم أهـل الكتابين الذيـن لم يؤمنوا برسول الله ﷺ، وعملوا بالتالى بالأحكـام الشرعية التى نسخها القرآن العظيم، وقيل هم الرهبان الذيـن يحبسون أنفسهم فى الصوامع ويحملـونها على مشاق ليست من الـدين فى شىء، وقيل هم الصابئة .

ثانيا: التفســـير:

يخبرتعالى ـ فى الآيـة ـ عن الأخسرين أعمالا. فيذكر أنهم الذيـن بطل سعيهم فى عمل

الأعمال الصالحة فـي ذاتها أو التى اعتقدوا خطأ صلاحهـا لعدم كونها من الديـن فى شىء، وأول هؤلاء هـم المشركون لأنهم لا يثـابون بأعمالهـم الصالحة فـى ذاتها التى يعملونهـا فى دنياهم شيئا فى أخراهم، ومنهم الرهبان الـذين يحبسون أنفسهم فى الصوامع ويؤدون الشاق مما جعلوه بظنهـم من العبادات وما هـو منها فى شىء هـؤلاء وهؤلاء يعملون ما يعملـون فى الدنيـا اعتقادا أنهم يـؤدون حقوق الله تعالى وحقـوق العباد على أكمـل وجه معتقديـن أنهم يحسنون صنعا .

فيكون القـول مبينا أن خسرانهـم هو نتيجـة إعجابهم بـأعمالهم ظنـا أنها تبلغهـم حسن المرتبة عند الله تعالى حين أنها تكون إلى هباء وضياع .

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾﴾

التفسـير:

بعد أن بين تعالى ماهية الأخسرين أعمالا، فأخبر أنهم الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا، فإنه تعالى ـ فـى الآية ـ يزيد فى بيانهم فيشير إليهم بلفظ «أولئك» ويخبر عنهم بأنهم الـذين كفروا بآيات ربهم ولقائه، وفى قوله تعـالى «بآيات ربهم» ما يفيد شدة جهل المشار إليهم لأنه تعالى أنزل الآيات بصفته ربهم أى راعيهم والقائم على شئونهـم، فتكون الآيات منـه تعالى رحمـة بهم، يدخل فـى الآيات آياتـه تعالى فـى الخلق، والآيات التى أنزلت على رسله فى الكتب والصحف، ويدخل فيها القرآن العظيم .

وقولـه تعالـى فى المـذكوريـن إنهم كفروا بلقـائه يفيد أن منهـم من كـذب بيوم القيـامة، وبالبعث والحسـاب ، والجزاء . ومنهم من لـم يعمل لهذا اليوم، نسيـه أو تناساه فأصبـح فى حكم الكافر به .

ثم إنه تعالى يبين أن كفرهم بآيات ربهم ولقائه كان سببا لإحباط أعمالهم، بمعنى أنه كان السبب لعدم إثـابتهم على الصالـح منها فى الآخرة علـى ما يبين من «الفـاء» فى «فحبطت» وهى للسببية .

ثم إنه تعـالى يذكر النتيجة المتـرتبة على حبوط أعمالهم بقـوله تعالى «فلا نقيـم لهم يوم القيامة وزنا» والمعنـى هو أنه لاتكون لهم قيمة يـوم القيامة، لأن قيمة المرء يوم القيـامة تكون بأعمالـه الصالحة، ولما كانـت أعمال هؤلاء الصالحة فـى دنياهم معدومة الأثـر، ممحاة يوم القيامة، لاتزن شيئا فى ميزان الحسنات، فإنه قيمتهم تكون معدومة .

ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا۟ وَٱتَّخَذُوٓا۟ ءَايَٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا ﴿١٠٦﴾

التفسـيـر:

يشير تعالى إلى انعـدام وزن الكافرين أو انعدام وزن أعمالهم الصالحـة بـ «ذلك» وهو فى محل رفـع مبتدأ، وخبره هو «جـزاؤهم»، وجهنم ــ فى القول ــ بدل من المبتدأ. والمعنـى أنه يكون جزاء هـؤلاء المترتب على عـدم وزن أعمالهم الصالحـة هو جهنم، وسبب كـون جهنم لهم هو كفرهـم واتخاذهم آياته تعالى مـن معجزات أيد بها رسله، ومن كتـب وصحف منزلة عليهم محلا للهزء والسخرية.

والمعنى أنـه اجتمع فيهم الكفـر والهزء بآيـات الله تعالى فكـان لهم بهذا الجـزاء ، جهنم يصلونها وبئس القرار.

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾

أولا: الأسـمـاء :

الفـردوس: قيل إنه لفظ أعجمى، هو البستان بالرومية. وقيل هو جنة الأعناب بالسريانية، وقيل هو الكرم بالنبطية، وقيل هو الجنة بالحبشية، وقيل هو وسط الجنة، وقيل أعلاها .

ثانيا: التفسـيـر :

بعد أن أخبر تعالى عن مصير الكافرين فى الآخرة، وضياع أعمالهم الصالحة ـ في الدنيا ـ

عليهم في الآخرة، فإنه ــ في المقابل ـ ذكر مصير المؤمنين، فالقول وعد للمؤمنين الذين جمعوا بين الإيمان وبين عمل الصالحات .

بين تعالى أنهم يثابون بإيمانهم وبأعمالهم الصالحة فى الآخرة فيكون جزاؤهم جنات الفردوس تكون لهم النزل والمحل الذى ينزلونه، أو تكون ثمارها أول ما يقدم لهم تكريما لهم.

خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلٗا ﴿١٠٨﴾

التفسير:

يبين تعالى ـ فى الآية ــ حال المؤمنين فى جنات الفردوس فى الآخرة وهو الخلود فيها وعدم ابتغاء التحول عنها إلى مكان آخر، والقول يشير إلى نزولهم أطيب المنازل وأعلاها قدرا مما لا يبتغى معه غيره.

ويلاحظ أنه جاء فى عبارة الآية ما يفيد أنهم لا يريدون التحول عن الجنة، وليس ما يفيد عدم تحولهم عنها، لأنهم لو أرادوا شيئا لتحقق على ما يكون منه تعالى مع أهل الجنة، ولذلك أظهر النص عدم إرادتهم هذا التحول .

قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا ﴿١٠٩﴾

أولا: الأسماء :

١ ـ المداد: فى قوله تعالى «قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى» هو كل ما يمد به أحد أو شيء، وجرى تخصيص معناه فى عرف القول فيما تمد به الدواة من الحبر.

٢ ـ كلمات ربى : المراد بها ـ فى معنى الآية ـ معلوماته تعالى وحكمته التى نزل بها القرآن العظيم .

ثانيا: التفســـير:

من المهم فى بيان تفسير الآية الرجوع إلى سبـب نزولها، وهو أنه حين قال ﷺ لليهود «وما أوتيتم من العلم إلا قليلا» قالوا كيف؟ وقد أوتينـا التوراة، ومن أوتى التوراة فقد أوتى خيرا كثيرا فجاء قوله تعالى لإعلامهم أن التوراة جميعها هى بالنسبة إلى كلمات الله قليلة.

والمعنى المباشر للقول هو أن يقول ﷺ أنه لو كان البحر هو المداد الذى يكتب به علم الله تعالى أو معلومـاته، لنفد البحر ولم يكف الكتـابة مع كثرة مياهه، وذلـك دون أن تفرغ كلماته تعالى المدونة أو معلومـاته المدونة، وعلة ذلك هو عدم نفادها أو عدم تنـاهيها، ثم إنه تعالى يؤكـد على هذا المعنى وهـو أن المتناهى لايفى بغيـر المتناهى بقـوله «ولو جئنا بمثلـه مددا» بمعنى أنه سينفد المداد ولو كان مداد البحر قد زيد عليه أبحر أخرى .

فيكون القول ـ بهـذا المعنى ـ مثبتا قلة علم اليهـود الذى حصلوه من التوراة على مـا قاله لهم ﷺ، ومثبتا عدم قابلية معلوماته تعالى للتناهى، ثم إنه لما كان القرآن العظيم هو كلمات الله، وكان تعالـى لم يفرط فى الكتاب من شـىء، فقد لزم أن يكون علمه تعالـى المسطور فى القرآن العظيم غير متناه، وأن يكون ما يحيط به علم المؤمنين منه أكثر من علم اليهود الذين لم يؤتوا من العلم إلا قليلا .

قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾

التفســـير:

الخطاب ـ فى الآية ــ إلى رسول الله ﷺ، وهو أمر بقول يقوله، والظـاهر من النص أنه ﷺ يقولـه لجميع الناس وليس لليهـود وحدهم. وفيه قـوله «إنما أنا بشـر مثلكم يوحى إلـى أنما إلٰهكم إلٰه واحـد» يفيد تساويه ﷺ ــ فى صفة البشرية ــ مع جميع الناس، وأنـه بحكم هذه

الطبيعة البشرية لا يحيط من علم الله تعالى إلا بما يوحى إليه منه، وأن خير ما تفضل به عليهم من الإيحاء إليه بتوحيد الله تعالى أو بقصر صفة الوحدة فى الألوهية على الله تعالى.

وقوله ﷺ «فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا» هو نصح للناس بعمل الصالحات مع الإيمان وعدم الشرك بالله تعالى.

جاء التعبير عن المعنى فى شكل جملة شرطية أداة الشرط فيها «من» وفعله هو رجاء لقاء الله تعالى، وصفه القول بأنه «الرب» لبيان تعلق اللقاء بخير العبد وهو ما فيه سعادة الآخرة.

وجواب الشرط هو عمل العمل الصالح فى الدنيا، ثم إنه لما كان الذى يرجو لقاء ربه هو المؤمن بالبعث فقد قلنا إن القول يكون لجميع الناس بمن فيهم المؤمنون باليوم الآخر.

وهو عدم الشرك بالله تعالى، وقد يكون المراد به - فى معنى الآية - هو معنى عدم ابتغاء شيء غير وجه الله تعالى من العمل الصالح، وذلك لأن العمل الصالح لا يثيب المشرك فى الآخرة فلزم أن يكون المقصود بالنصح غير المشرك فى عبادة الله.

فيكون المراد بالشرك هو المراءاة. أو جلب رضاء أحد من الخلق.

ويدعم هذا ما قيل من أن الآية نزلت فى جندب بن زهير العامرى قال: «يا رسول الله إنى أعمل العمل لله تعالى إلا أنه إذا اطُّلع عليه سرنى» فقال النبى ﷺ: «إن الله طيب ولا يقبل إلا الطيب، ولا يقبل ما شورك فيه».

وقيل قال رجل: يارسول الله إنى أحب الجهاد فى سبيل الله تعالى وأحب أن يُرى مكانى فنزلت الآية.

■■■■

بسم الله الرحمن الرحيم

ســــورة مريم

فى أوجه الصلة بين السورة وبين سابقتها فى ترتيب المصحف «سورة الكهف» :

١ ـ تضمنت سورة الكهف ذكر أعجوبة من الأعاجيب المعتبرة من آياته تعالى وهى المتعلقة بأمر أصحاب الكهف، وتضمنت السورة أعاجيب من آياته تعالى منها قصة ولادة يحيى وقصة ولادة عيسى ابن مريم عليهما السلام .

٢ ـ قيل إن أصحاب الكهف كانوا على دين المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام. والسورة تناولت قصته عليه السلام .



التفســـير:

القول بأسماء أحرف ـ قيل فيه ما سبق بيانه ـ والراجح أنه من المتشابه .

ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴿٢﴾

أولا: الأســـماء :

زكريـــا: سبق بيانه، وقيل هو زكريا بن برخيا بن عدو، قيل كان نبيا، وقيل كان كاهنا من فرقة «أبيا» وهو زوج اليصابات من نسل هارون أخى موسى عليهما السلام .

ثانيا : التفســـير:

مفاد قوله تعـالى ـ فى الآية ـ هو «هذا الـذى يتلى عليك هو ذكر ربك عبده زكـريا برحمة منه» والخطـاب فيه إلى رسول الله ﷺ والمـؤمنين، والقول تهيئة لمـا سيأتى بعده مـن أخبار رحمته تعالى بزكريا .

إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾

أولا: الأســـماء :

النـــداء: فى قوله تعالى «نداء خفيا» المراد به ـ فى معنى الآية ـ هو الدعاء .

ثانيا: التفســـير:

مفاد قوله تعالى ـ فى الآية ـ هو أن رحمتـه أدركت زكريا حال دعائه ربه دعاء مستورا عن الناس لـم يسمعوه، قد يكـون من قبيل الـدعاء الذى حـض عليه تعالـى بقوله «ادعـوا ربكم تضرعا وخفية» وقد يكون سببه أنه دعاء بمطلـوب دنيوى حرص زكريا على ألا يسمعه الناس، وقد يكون لتعلقه بطلب الولد مع كبر سنه. وهو ما قد يجلب عليه سخرية قومه منه .

قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾

التفســـير:

يذكر تعالى ـ فى الآية ـ تفصيل دعاء زكريـا ربه، ناداه بقوله «رب» بيانا لأنه راعيه ومتولى أمره، ثم ذكر ضعفه استدرارا لرحمته تعالى فقال «إنى وهن العظم منى واشتعل الرأس شيبا».

والمعنى أن كيـانه كلـه قد ضعـف لأنه بضعف العظـام يضعف الجسـد جميعه، وجـاء ذكر العظام بلفظ «المفرد» لبيان أن كل جزء منه قدضعـف أو أن كل عظمة من عظامه قد ضعفت وضعف ما عليها من اللحم والعضلات، كما ذكـر أن رأسه قد شاب وابيض شعره، وفى القول شبه الشيب فى بياضه بشواظ النار، وشبه انتشار البيـاض فى شعره بانتشار شواظ النار وفشوها فيما جاورها .

وقوله ـ فى خاتمة الدعاء ـ «ولم أكن بدعائك رب شقيا» ومعناه أنه لم يحدث من قبل أن خاب رجاؤه فى أمر دعا بـه ربه، أى أنه تعالى قد استجاب لدعائه فى كـل ما دعا به من قبل، وقوله هذا هو توسـل منه لله تعالى أن يستجيب لدعائه، وفى القول وصفه داعيـا بأنه ربه لبيان أنه محق فى طلبه منه مطلبه لأنه إنما يطلب ممن يرعاه ويرحمه برحمته .

وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَاءِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾

أولا: الأســــماء :

١ ـ الموالى : المراد بهم ـ فى معنـى الآية ـ هو من يلون أمر القوم بعـده فى شئون العقيدة والدين وقيل هم عصبة الرجل، وقيل هم بنو الأعمام الذين يلون المرء فى النسب .

٢ ـ العاقــر : فى قوله تعالى «وكانت امرأتى عاقرا» هى الأنثى التى لاتلد .

٣ ـ الولى : فى قوله تعـالى «فهب لى من لدنـك وليا» قيل إن المراد به ـ فـى معنى الآية ـ «هو الولد من الصلب» وقيل هو من يقوم مقام المرء ويرثه .

ثانيا: التفســـير:

القول فى الآية مـن قول زكريا الذى ناجى بـه ربه داعيا، يذكر فيه أنـه خشى أن يكون من بعد وفاته افتقاد من يتولى أمر الدين فى قومه بعده، ومفاد القول هو عدم اطمئنانه إلى من كان مفترضا فيهم الحلول محله فى تعريف النـاس أمور دينهم والقيام على شعائره فكان دعاؤه أن

يكون له من ذريته من يخلفه فى هذا، ثم إنه ذكر أنه لم يقدر له الإنجاب لأن امرأته كانت عاقرا وقت أن كانت فى السن الذى تحمل فيه النساء عادة .

ثم إن زكريا أتبع هذا بإبلاغ رجائه صراحة فى الدعاء بقوله «فهب لى من لدنك وليا» طلب الابن هبة من الله تعالى لانعدام الأسباب التى يتصور معها أن يكون للمرء ابن فى العادة وهى عدم بلوغ الشيخوخة والهرم مع الصحة، وعدم عقم المرأة . وفى الدعاء طلب الولد الموهوب من لدنه تعالى فتضمن الطلب طلبا بصلاح الولد وكونه راضيا مرضيا، ولذلك يكون جديرا أن يلى من بعده أمر القوم فى شئون الدين .

يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾

أولا: الأسماء والأعلام :

١ ـ **يعقوب** : قيل إن المراد به ـ فى الآية ـ هو نبى الله يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام، وقيل هو يعقوب بن ماتان أخو عمران بن ماتان أبو مريم، وقيل هو أخو زكريا .

٢ ـ **الرضى** : فى قوله تعالى «واجعله رب رضيا» هو الراضى بقضاء الله، وهو المرضى عنه من الله وقيل هو النبى .

ثانيا: التفسير:

القول ـ فى الآية ـ هو تتمة قول زكريا، وهو وصف للولد الولى المطلوب فى الدعاء، يرث من زكريا العلم والحبورة، ويرث من آل يعقوب بن إسحاق عليهما السلام النبوة التى كانت فى بنيه، أو من آل يعقوب بن ماتان الحكم فى القوم والسيادة، وقد كانت لهم فى بنى إسرائيل، وقيل إنه وأخاه عمران من نسل يهوذا الذى جاء فى التوراة أنه يكون منه الرأس بمعنى أن الرئاسة تكون فى نسله .

ثم إن زكريـا دعا ربه أن يكون الـولد الذى يوهـب له من الله متصفا بهـذه الصفات رضيا، بمعنى أن يكون مـرضيا عن الله فى القـول والفعل أى أن يكون نبيا، أو أن يكـون راضيا بقضاء ربه لما وفقه الله إليه من العلم، يكون به الرضاء .

﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ۝٧﴾

أولا: الأســــماء والأعلام :

١ ـ السمى: فى قوله تعالـى «لم نجعل له من قبل سميا» هو الشـريك فى الاسم، وقيل إن المراد به ـ فى معنى الآية ـ هو الشبيـه، إذ أن يحيى عليه السلام كما قال فيه رسول الله ﷺ لم يهم بخطيئة ولـم يفعلها، وليس كذلك أحـد من البشر، ثم إنه تعـالى وصفه بأنه كـان مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين، ثم إنـه تعالى قال فيه «هل تعلم له سميا» مما مفاده عدم مشاركة أحد إياه فى هذه الصفات .

٢ ـ يحيى : اسم علم، قيل إنـه أعجمى ، وهويحيى بن زكريا الذى بشـر بالمسيح عيسى ابن مريـم، وهو الذى قتلـه هيـرودس بطلب سـالومى ابنـة هيروديا امـرأة أخيـه على مـا سبق بيانـــه .

ثانيا: التفســـير:

مفاد قولـه تعالى ـ فـى الآية ـ أنه إستجاب لـدعوة زكريا، وأنـه خاطبه بواسطـة ملك من الملائكة مبشرا بثلاثة أمور:

أولها إكرامه بالاستجابة إلى دعائه .

وثانيها إعطاؤه الولد ذكرا .

وثالثها هو أن يكون مفـردا فى التسمية، فلم يوجد قبله من سمى بهـذا الاسم، وقيل إنه لم تتوافر صفاته فى أحد قبله، فلا يكون مفـاد القول أنه ﷺ لم يشبهه فى الخصال الحسنة التى

انفرد بها، لأنه ﷺ لم يكن قبله .

قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا وَقَدۡ بَلَغۡتُ مِنَ ٱلۡكِبَرِ عِتِيّٗا ۝٨

أولا: الأســـماء :

العتى : فى قولـه تعالى «وقد بلغت من الكبـر عتيا» هو اليبس والجفاف، والمراد بـه ـ فى معنى الآية ـ يبس المفاصل وجفاف ما بيـن فقرات العمود الفقرى مما يصيب كبار السن من أمراض العظام وأسقامها .

ثانيا: التفســير:

مفاد قولـه تعالى ـ فى الآيـة ـ أن زكريا بعد أن بشـره ربه أنه يكون له غـلام اسمه يحيى ، نادى ربـه ذاته ولم يناد الملـك الذى نقل إليه البشـرى، وأنه ناداه بأنـه ربه لبيان حدبـه عليه وعطفه، ثم سأل متعجبا «أنى يكون لى غلام» والمعنـى هو كيف يكون لى غلام، أو «من أين يكون لى غلام؟».

ثم أبدى أسباب سؤاله بقوله «وكانت امـرأتى عاقرا وقد بلغت من الكبر عتيا» والمعنى أن امرأته كانت عاقرا فى شبابها فى وقـت الإنجاب وزمنه، مما كيون أمر إنجابها من بعد عقمها، ومن بعد كبر سنهـا فوق سن الإنجاب عجيبا، هذا مـع بلوغه من العمر المرحلـة التى تيبست فيها مفاصلـه وجفت السوائل التى تتخللها فتسبب مـرونتها، وهى مرحلة لا يقدر الـرجل فيها عادة على الإنجاب .

قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞ وَقَدۡ خَلَقۡتُكَ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ تَكُ شَيۡـٔٗا ۝٩

التفسير:

القائل، أو فاعل الفعل «قال» في مبتدأ الآية هو الملك الذي ينقل كلام الله تعالى إلى زكريا، قال لزكريا «كذلك قال ربك» أي «على هذا النحو قال ربك عز وعلا» وقوله تعالى المنقول بواسطة الملك هو: «هو على هين» بمعنى أن إنجابك غلاما مع بلوغك من الكبر عتيا من امرأتك المسنة التى كانت عاقرا فى شبابها هو أمر سهل يسير على.

ثم إنه تعالى يذكره بآية تدلل على سهولة الفعل عليه بقوله له «وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا» أى أنه تعالى قد خلقه وأوجده من العدم قبل خلق يحيى، ولم يكن قبل خلقه موجودا بين الخلق بل كان عدما، ويقبل المعنى أن يكون المراد به أنه خلق آدم من قبل وأوجده من العدم، فيكون الحديث عن زكريا قد قصد به الحديث عن أبيه الأول أصل البشر.

وعلى الحالين يكون التذكير بفعل له تعالى لا يتعجب معه من إنعامه على زكريا بالإنجاب فى شيخوخته من امرأته المسنة التى كانت عاقرا فى صباها .

قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةًۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾

أولا: الأسماء :

السوى : فى قوله تعالى «ألا تكلم الناس ثلاث ليال سويا» هو السليم من الأمراض والآفات .

ثانيا: التفسير:

يذكر تعالى ـ فى الآية ـ أن زكريا عندما بلغه أن الله تعالى واهبه الولد نادى ربه وسأله أن يجعل له علامة يستدل بها على تحقق مبدأ ما سأل الله داعيا تحقيقه، وهو حصول «العلوق» أو مبدأ الحمل. وقد يكون طلبه الدليل لأداء حق النعمة من الشكر، وقد يكون جلبا لطمأنينة النفس كما كان من إبراهيم عليه الصلاة والسلام حين طلب رؤية كيف يحيى الله الموتى .

ثم إنـه تعالى يخبـر عن أنه قـال له إن العلامـة على حدوث العلـوق هى عدم استطـاعته تكليم الناس، بمعنى أنه يفقـد القدرة على النطق لمدة ثلاث ليال مع أيامهـن ـ على ما يبين من ذكره تعالى الأيام فى سورة آل عمران ـ ومـن النص يبين أن عدم قدرته على الكلام تكون مع سلامته، بمعنى أن ذلك العجز عن الكـلام لا يكون بسبب آفة أو مرض، والمعنى أنه يكون من قبيل المعجزات الخارقة للعادة .

﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾﴾

أولا: الأســـماء :

المحـــراب: سبق بيـانه، والمراد بـه ـ فى معنـى الآية ـ هـو المصلَّى، أو الغرفـة، إذ كان لزكريا غرفة خاصة به فى المعبد .

ثانيا: التفســير:

مفاد قوله تعـالى ـ فى الآية ـ هو أن زكـريا كان فى المحراب داخل المعبـد، ثم خرج منه فوجـد القوم فى المعبد. فطلـب منهم أن يصلوا لله تعالـى أو أن ينزهوه، وأن يكون هـذا منهم طرفى النهار فى الصبح والعشى، وأنه طلب منهـم هذا بطريق الإيماء إليهم والإشارة «فأوحى إليهم» وقيل إنه كان بالكتابة، كتبها على الأرض أو على رقعة من مادة أو ورق .

والمستفاد من القول هو أن زكريا قد فعل هذا لفقده القدرة على الكلام، والمعنى هو وقوع الآية التى طلبها وتحقق حصول الحمل .

﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ﴿١٢﴾﴾

أولا: الأســـماء :

١ ـ الكتـــاب : المراد به ـ فى معنى الآية ـ هـو التوراة، ويقبل المعنى أن يكون جميع ما

أُنزل على الأنبياء والرسل من قبل، فيدخل فيه صحف إبراهيم، وزبور داود .

٢ ـ **الحكم** : المراد به ـ فى معنى الآية ـ هو الحكمة، وهو الفهم والعبادة .

ثانيا: التفسير:

القول ـ فى الآية ـ هو خطاب الله تعالى إلى يحيى بن زكريا عليه السلام، فيكون إيراده مفيدا معنى تمام الحمل بيحيى وولادته وبلوغه من العمر سنا يؤمر فيه من ربه بمثل ما أُمر به .

والذى أمر به يحيى من ربه هو التمسك بالتوراة والكتب المنزلة بجد والعمل بها، وقد بين تعالى أن أمره إليه كان فى مرحلة صباه، وأنه كان أهلا فى هذه المرحلة لأن يؤمر وأن يكلف وذلك بقوله تعالى «وآتيناه الحكم صبيا»، والمعنى أنه تعالى أعطاه الحكمة والفهم حين كان لايزال صبيا ولهذا جرى تكليفه بما كلف به .

وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً ۖ وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾

أولا : الأسماء :

١ ـ **الحنان** : فى قوله تعالى «وحنانا من لدنا» مصدر من الفعل «حن ـ يحن» بمعنى اشتاق، واستعمل الحنان بمعنى الرحمة وهو المراد به فى معنى الآية .

٢ ـ **الزكاة** : هي البركة، وهي الصدقة .

٣ ـ **التقي** : فى قوله تعالى «وكان تقيا» هو من اتقى غضب الله فعمل بالطاعات وتجنب المعاصي .

ثانيا: التفسير:

جاء قوله تعالى «وحنانا من لدنا» معطوفا على قوله تعالى «وآتيناه الحكم» فبين أن يحيى عليه السلام كان رحيما بالناس بما آتاه الله من الرحمة، كما أنه كان مباركا بما أنعم الله عليه

به من البركة، وبما كان يتصدق به حتى اعتبر هو صدقة. ثم وصفه تعالى بأنه كان تقيا، يعمل بالطاعات ويتجنب المعاصي، وفي هذا جاء قوله ﷺ أنه ما عمل معصية ولا هَمَّ بها .

﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾﴾

التفســـير:

قوله تعالـى ـ في الآية ـ لايزال في ذكـر أوصاف يحيى عليه السلام، يذكر تعـالى أنه كان كثير البر بوالديه والإحسان إليهما، وأنه لم يكن متكبرا على الناس، ولا متعاليا على الحق، ولا معتديـا على أحد مستعينـا بجبروت أو قوة. كمـا أنه لم يكـن عاصيا ربـه في أمر أمـره أو نهيا نهـــاه .

﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا ﴿١٥﴾﴾

التفســـير:

قوله تعالى ـ في الآية ـ في بيان كرامة ليحيى بن زكريا ومكرمة تكرم عليه بها ربه، وهو أنه تعالى أمنه يـوم ولد أو لحظة ولادته من أن ينالـه الشيطان فيجعل له في نفسه مـوضعا، وسلمه من مكره، وأنه تعـالى أمنه يوم موته أو لحظـة قبض روحه الخوف من مصيره فـي الآخرة وأمنه عذاب القبر وسلمـه منه، وأنه تعالى أمنه يـوم يبعث في الآخرة أهوال القيامـة وعذاب الآخرة. ويقبل القول أن يكون المراد بـالسلام على يحيى في معنى الآية هو تحيـة الله تعالى له، وفيها تأمينه مما سبق ذكره يوم ولادته، ويوم موته، ويوم يبعث حيا .

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾﴾

أولا : الأسـماء والأعـلام :

١ ـ الكتـاب : قيل إن المراد به ـ في معنى الآية ـ هو السورة على وجه الخصوص، وقيل هو القرآن العظيم .

٢ ـ مريـم : سبق ذكرها وبيان كل ما تعلق بحياتها ومماتها .

ثانيا: التفسـير:

الخطاب ـ في الآية ـ إلى رسول الله ﷺ، وهو بـأمر له أن يخاطب الناس ويروى لهم قصة مريم ابنة عمران كما وردت في السورة من بعد ذكـر قصة زكريا لما بينهما من أوجه ارتباط في التاريخ وفي الأحداث .

وقوله تعـالى «إذ انتبذت من أهلها مكـانا شرقيا» هـو بيان لمبدأ قصة المذكـور أو المأمور بذكره، وهو اعتزالها أهلها والتنحى عنهم إلـى مكان يقع شرق بيت المقدس أو شرق دارها أو موقعها فـي المعبد. وقيل إن انفرادهـا بنفسها في هذا المكـان كان من أجل التفـرغ للعبادة، وقيل إنه كان للتطهر من الحيض محتجبة عن الأعين وعن العمران .

﴿فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾﴾

أولا : الأسـماء :

الـروح: في قولـه تعالى «فأرسلنا إليهـا روحنا» المراد به ـ في معنى الآية ـ هـو جبريل عليه السلام وقيـل هو عيسى عليه السلام لقولـه تعالى فيه «وروح منه» وهو بعيـد لا تدل عليه الرواية .

ثانيا: التفسـير:

يقول تعـالى ـ في الآيـة ـ إن مريم حين تنحت عن أهلها واتخـذت لها مكانا تنفـرد فيه بنفسها من دون أهلها قـد اتخذت من هذا المكان أو في شيء فيه طبيعـى أو من صنعها سترا

يسترها عن أعين أهلها، قد يكون أكمة أو مرتفعا من الأرض وقد يكون ثوبا نشرته بحيث يحجبها عن الناس. وأنه تعالى قد أرسل إليها أثناء وجودها في هذا المكان روحه ــ وهو جبريل عليه السلام، على الراجح ـ ظهر إليها في صورة بشر مكتمل الهيئة.

وقد يكون هذا لعدم قدرتها والبشر عموما على رؤيته عليه السلام في هيئته التي خلقه الله تعالى عليها .

وقد قيل إنه ظهر لها في هيئة يوسف النجار ليستثير شهوتها فينزل ماؤها وتنشط البويضة فيكون تخصيبها بالنفخ ، وهو قول لا تقبله النفس في شأن مريم المصطفاة المطهرة، فضلا عن أنه يظهر خطله قولها له المذكور في الآية التالية .

قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾

التفسير:

يذكر تعالى ـ في الآية ـ أن مريم عندما ظهر لها جبريل عليه السلام في هيئة رجل كامل البنية قالت له «إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا» والمعنى هو أنها تستعيذ بالرحمن منه أن يمسها بسوء أو يشرع في الاعتداء عليها جنسيا إن كان ممن يتقون الله تعالى ويتجنبون غضبه، ولا يعني هذا أن شرط استعاذتها بالله منه هو كونه تقيا، وإنما معناه أنه يكون أوجب عليها أن تستعيذ بالله منه إن لم يكن ممن يتقون الله ويتجنبون إغضابه، ويكون القول صرفا له عما هَمَّ به من سوء إن كان قد هم بهذا وكان من المتقين .

والقول يفيد عدم صحة ما قيل من أن جبريل عليه السلام ظهر لمريم في صورة يوسف النجار لاستثارة شهوتها، لأنه لو كان الأمر كذلك ما كانت منها الاستعاذة بالله منه ومما يتصور أن يكون قد أراد بها .

قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾

أولا : الأسـمـاء :

الزكى : فى قولـه تعالى «لأهب لـك غلاما زكيا» المـراد بـه ـ فى معنـى الآية ـ هو الطـاهر المبرأ من الذنوب، وقيل هو النبى .

ثانيا التفسـير:

مفاد قوله تعـالى ـ فى الآية ـ أن جبريـل عليه السلام نفى عن نفسه أن يكـون ممن يتوقع منهم الشـر والذين يستعـاذ منهم لهـذا بالله، وأثبت أنـه رسول مبعوث مـن ربها القـائم على شئونها والمدبـر مصالحها برسالة معينة هـى أن يكون سببا ظاهرا لما قدر تعـالى من أن يهبها غلاما طاهرا مبرأ من الذنوب، أو يكون نبيا.

وفى القـول تلميح إلى فعلـه عليه السـلام وهو النفخ فـى درعها باعتبـاره السبب الظـاهر للحمل .

﴿قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ۝٢٠﴾

أولا : الأسـمـاء :

البغى : فى قوله تعالى «ولم أك بغيا» هى الزانية، وهى المرأة التى تعاشر الرجال دون تمييز مقابل مبلغ من المال يدفع لها أو ما يقوم مقامه .

ثانيا : التفسـير:

مفاد قولـه تعالى ـ فى الآيـة ـ أن مريم حين سمعـت من جبريل عليه السـلام ما سمعت استهولت الخبـر وقالت «أنى يكون لى غـلام ولم يمسسنى بشر ولم أك بغيا» سـألت متعجبة كيف تنجب غلاما، ومن أين يكون بها حمل وولادة وهى التى لم يمسها بشر ـ بمعنى الجماع ـ بحق عقد النكاح أو بدونه، وهى التى لم تكن فى يوم من الأيام زانية.

وفى القول جاء ذكر الخاص ـ وهو عدم الزنا ـ بعد ذكر العام وهو المساس عموما بنكاح أو بدونه، تنزيها لنفسها عن أن يكون قد قام بها سبب من أسباب الحمل والولادة .

قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ ۖ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا ۚ وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾

التفسير:

يذكر تعالى ـ في الآية ـ أن جبريل عليه السلام قال لمريم «كذلك قال ربك هو على هين» ، فالفاعل في «قال» الأولى هو الملك الرسول، ذكر في قوله أن رب مريم وراعيها قال إن إنجابها الغلام دون أب هو أمر هين عليه لا يصعب، قدر تعالى أن يكون لعلة معينة ، وهي أن يكون للناس جميعا أو للمؤمنين منهم آية على قدرته تعالى في الخلق على غير المعروف والمألوف. وليكون لهم رحمة بإيمانهم به والاهتداء بهديه والاسترشاد بفعله وقوله، إذ يدخلون بهذا في رحمته تعالى، فيكون لهم رحمة.

وقوله تعالى «وكان أمرا مقضيا» يتصور فيه أن يكون تتمة قول الملك الرسول، ويتصور فيه أن يكون قوله تعالى، ومعناه أن أمر حمل مريم بعيسى عليه السلام وولادته غلاما زكيا كان أمرا محققا لكونه مما جرى به قضاؤه تعالى منذ الأزل ومما سطر في اللوح المحفوظ .

۞ فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾

التفسير:

قوله تعالى ـ في الآية ـ فيما حدث من بعد إعلام الملك الرسول مريم أن أمره تعالى نافذ قضاؤه أن يهب لها الله غلاما زكيا بغير أب.

ومن قوله تعالى «فحملته» ـ وفيه جاء الحمل منسوبا إليها ـ ما يدل على اطمئنانها لما سمعت من الملك الرسول وأنها سمحت له أن ينفخ في جيبها لتدخل النفخة في رحمها فيكون الحمل، أو أن ينفخ في اتجاهها عن بعد لتصل إليها النفخة فيكون بها الحمل .

وقد اختلف فى شأن مدة الحمل، فقيل كانت المدة كسائر النساء تسعة أشهر أو سبعة وقيل كانت ساعة واحدة.

وقد يكون المقبول هو أن مدة حملها كانت مدة حمل النساء لأنه لو كان الأمر على غير هذا لكان مستوجبا بيانه صراحة بالنص القرآنى .

ثم إنه تعالى يذكر أنها حين حملت بعيسى عليه السلام أو شعرت بحملها اعتزلت أهلها واستخفت عنهم فى مكان بعيد عنهم.

وقيل إنها انتبذت أقصى مكان فى دارها، وهذا غير متصور فيه أن يكون المكان الموصوف إلا إذا قيل إن مدة الحمل كانت ساعة، وهو ما لا دليل عليه.

﴿فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ۝٢٣﴾

أولا : الأسماء :

١ ـ المخاض: المراد به فى معنى الآية ـ هو «الطلق» الذى يأخذ المرأة الحامل لدى تحرك الولد فى بطنها للخروج .

٢ ـ النسى : فى قوله تعالى «وكنت نسيا منسيا» هو الشىء الحقير التافه الذى من شأنه ألا يعتد به فيجرى نسيانه .

ثانيا : التفسير:

مفاد قوله تعالى ـ فى الآية ـ أن «الطلق» السابق للولادة أخذ مريم فالجأها إلى جذع نخلة لستتند إليها عند وضعها مولودها ، وفى ذكر النخلة معرفة بالألف واللام ما قد يفيد كونها نخلة معروفة وإن لم يعرفها المخاطب بالقرآن، كأن تكون معروفة لرسول الله ﷺ، أو

كونها إشارة لجنس النخل فتكون واحدة منه. وقيل إنها كانت جذع نخلة نخرة أرشدها الله إليه ليريها آياته بإثمارها دون أن يكون لها رأس، وأن يكون إثمارها فى وقت الشتاء حين لا يثمر النخل.

ويذكر تعالى أن مريم قالت آنذاك «ياليتنى مت قبل هذا وإكنت نسيا منسيا» أبدت تمنيها لو كان الموت قد أدركها قبل لحظة المخاض، فكان ما تعلق بقصة حياتها وموتها قد نسيه الناس لتفاهة شأنه ولا يكون منهم تذكره.

وقد يكون سبب تمنيها ما تمنت هو خوفها من تعرضها للوم وحياءها أن تسمع منهم ما يشينها، أو خوفها على الناس أن يقولوا فيها غير الحق فيأثموا بهذا. وقيل إنها سمعت مناديا يقول: «اخرج يامن يعبد من دون الله تعالى» فحزنت لهذا وقالت قولها. وهذا ما لم يقم عليه دليل.

فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِى قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾

أولا : الأسـماء :

السـري : في قوله تعالى «قد جعل ربك تحتك سريا» هو الجدول من الماء، قيل فيه إنه كان من نهر الأردن، وقيل جرى من عين ماء. وقيل إن المراد به - في معنى الآية - هو عيسى عليه السلام، فيكون «السرى» - فى معنى الآية - هو الرفعة وعلو الشأن .

ثانيا : التفسـير:

يتصور فى المنادى بالقول أن يكون هو جبريل عليه السلام، وأن يكون الضمير في «تحتها» عائدا إلى النخلة أو إلى الأكمة التى عليها النخلة، فيكون المستفاد هو أن جبريل عليه السلام كان متوقفا أسفل الأكمة أو الربوة التى بها النخلة، وأنه خاطب مريم فطلب منها ألا تحزن لما كان من أمرها، ثم أعلمها أنه تعالى جعل تحتها سريا .

ويتصور في المنادى أن يكون هو عيسى عليه السلام، وأن يكون الضمير في «تحتها» عائدا إلى مريم، ويوافق هذا ما عليه قراءة البعض «مَن» بفتح الميم .

كذلك فإنه يتصور في السرى الذى جعله تعالى تحت مريم أو تحت الموقع الذى كانت به أن يكون جدولا لم يكن منظورا لها من قبل فأطلعها جبريل أو عيسى عليه، ويتصور أن يكون هو عيسى عليه السلام أظهر لها جبريل عليه السلام علو قدره ومنزلته مما يستوجب إذهاب الحزن عن نفسها معرفتها به .

وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ﴿٢٥﴾

أولا : الأسـماء :

١ ـ **الرطـب**: جمع، مفرده «الرطبة» وهى الثمرة الناضجة، وخص بها ثمرة نخلة البلح.

٢ ـ **الجنى** : فى قوله تعالى «تساقط عليك رطبا جنيا» هو ما اجتنى من الثمار ولم يسقط على الأرض من أثر الهز أو بذاته، يكون أفضل من الساقط لأنه لا يصيبه شدخ من أثر السقوط والارتطام بالأرض .

ثانيا : التفسـير:

القول ـ فى الآية ـ هو قول القائل الذى نادى مريم سواء أكان هو جبريل أم عيسى، طلب منها أن تهز جذع النخلة ناحيتها، مخبرا أنه يكون من النخلة بهذا الهز أنها تسقط عليها رطبا، أو تتساقط عليها رطبا يماثل الرطب المجموع من النخل والمجتنى وليس الساقط على الأرض.

والحدث فى ذاته آية من آياته تعالى إذ يكون فى إثمار الجذع النخر المنعدم الرأس بلحا، يكمل نضجه في وقت قصير معجزة من معجزات الله تعالى.

وقد يكون المراد بإظهارها هو طمأنتها إلى أنه تعالى معها يحميها مما قد يراد بها من سوء.

فَكُلِي وَٱشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا ۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا ﴿٢٦﴾

التفسير:

القول هو لذات القائل والخطاب لايزال لمريم يطلب منها أن تأكل من الرطب الذى تسقطه النخلة وأن تشرب من الجدول، وأن تقر عينا برؤية وليدها وتطيب نفسها وأن يبعد عنها ما أحزنها ثم إنه يأمرها إذا ما قابلت أحدا من البشر أن تبادره بإخباره أنها قد نذرت لله الصوم عن الكلام، وقيل إن الصوم كان عن الطعام وكان من النفل والتطوع أن يكون أيضا عن الكلام، وقيل إن مريم كانت أول من نذر الصوم عن الكلام.

ومفاد القول أنها تخبر أولا عن نذرها الصوم لله تعالى عن الكلام ثم تبدأ الصوم، ويكون مما تخبر به أنها تحقيقا لنذرها لن تكلم فى يومها أحدا من الناس .

فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ ۖ قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾

أولا : الأسماء :

الفرى : فى قوله تعالى «لقد جئت شيئا فريا» هو العظيم، أصله من فرى الجلد بمعنى قطعه للإصلاح أو للإتلاف .

ثانيا : التفسير:

مفاد قوله تعالى ـ فى الآية ـ أن مريم هى التى جاءت بوليدها قومها حاملة إياه. وفى هذا

قيل إنهـا جاءتهم بعد أن طهـرت من نفاسهـا، قيل إنها حنـت إليهم فجاءتهم. ومـع وضوح النص فى هذا فقد قيل إنهم الذين ذهبوا إليها بعد أن دلهم الشيطان على مكانها، وقيل إنهم ذهبوا يبحثـون عنها فسمعوا صوتـا عند النخلة فتـوجهوا ناحيتهـا فلما رأتهم حملت وليـدها وتوجهت إليهم.

ويثبت القول أن أهل مـريم حين التقوها بوليدها قـالوا لها «يا مريم لقد جئـت شيئا فريا» والمعنى أنها قد أتت أمرا منكرا عظيم الخطر.

﴿يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا ٢٨﴾

أولا: الأســـماء والأعلام:

هـــارون: قيل إن المـراد به ـ فـى معنى الآية ـ هـو أخ لمريم مـن أبيها، وقيل هـو رجل صالح من بنى إسرائيل تبع جنازته يوم موته أربعون ألفا من بنى إسرائيل.

والذى نـراه ـ والله أعلم ـ أنـه هارون أخو موسـى عليه السلام وقـد كانت له أخـت اسمها مريـم، سميت مـريم أم المسيـح عليه السـلام باسمهـا من قبيـل التيمن ولتكـون مثلها فـى الصلاح، فكان نعت القوم مريم بأنها أخت هارون هو من قبيل السخرية بها والتهكم عليها.

ثانيا: التفســـير:

القـول ـ فـى الآية ـ من قول أهـل مريم لها حين أتتهم حـاملة وليدها، نادوهـا بـ «أخت هارون» للتهكم عليها والاستهزاء بها لما هو مفتـرض فى من تنتسب إلى هارون أو من سميت باسم أخـت هارون من أن تكون على صلاح وتقـوى فلا تقترف الزنا ولا تنجب مـن حرام. ثم أنهم قالوا لها «ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا».

ومفاد القول أنهـا تربت أو أنها خـرجت من نسل رجل لـم يرتكب السوء وامـرأة لم تقرف الزنـا، ولذلـك فإنها لا يفتـرض فيها أنها ورثـت الخصال السيئـة كما أنها لـم تعش فـى بيئة

فاسدة، مما يكون معه ارتكابها الزنى خطيئة شديدة الجسامة .

فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾

أولا : الأســــماء :

المهـــد: قيل إن المراد به ـ فى معنى الآية ـ هو حجر الأم، وقيل هو أرجوحة الصغير، وقيل هو السرير.

ثانيـا : التفســير:

يذكر تعالى ـ فى الآية ـ أنه عندما قال أهـل مريم لها ما قالوا منكرين عليها ما حسبوه قد فعلته، كان منها أن أشارت إليه.

والمستفاد من هذا هو أنها قد أعلمتهم أنهـا نذرت الصوم لله وأنها قد بدأت الصوم، وأنها كانت متيقنـة من أن وليدها سيتـولى أمر إظهار بـراءتها، وأنهم قد فهمـوا مدلول إشارتهـا إلى وليدهـا؛ وأنه لهذا كـان قولهم «كيـف نكلم من كـان فى المهد صبيـا» لأنهم لما فهمـوا من الإشارة أن عليهـم أن يتوجهوا بـالحديث إلـى وليدهـا تعجبوا من هـذا وأنكروه باستفهـامهم الإنكارى عـن كيفية محـادثة طفـل صغير لايزال مـوقعه هـو النوم فـى حجر أمـه أو الاستلقاء فيـــه.

قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾

أولا : الأســــماء :

الكتـــاب : قيل إن المـراد بهـ فـى معنى الآية ـــ هو النـوراة، وقيل هو الإنجيـل، وقيل مجموع الكتابيـــن .

ثانيا : التفسير:

مفاد قوله تعالى ـ في الآية ـ أن عيسى عليه السلام حين سمع من القوم إنكارهم توجيه الحديث إلى طفل في المهد كان منه أن خاطبهم بقوله «إني عبد الله آتاني الكتاب وجعلني نبيا»، أخبر أول ما أخبر عن صفته وطبيعته فوصف نفسه بالعبودية لله تعالى، وفي هذا ما يفيد بطلان قول الذين حسبوا أن في تأليهه تقربا منه وإليه، وبيان منافاة زعمهم ما أقربه عليه السلام على نفسه، ثم إنه ذكر أنه تعالى آتاه الكتاب، والمعنى أنه آتاه علم التوراة وأنزل عليه الإنجيل، وفي القول جاء التعبير بالفعل في صيغة الماضي لبيان حتمية حدوثه.

أما شمول الكتاب كلا من التوراة والإنجيل فهو لكون الإنجيل متعلقا بشئون العقيدة وتصحيح ما نالها من تحريف، ولاتخاذه التوراة أصلا في شأن الشريعة.

وقوله إنه تعالى جعله نبيا تضمن إعلاما بواقع، وتبرئة لأمه، لأنه تعالى لا يصطفي للنبوة ابن سفاح .

وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾

أولا : الأسماء :

١ ـ **المبارك** : في قوله تعالى «وجعلني مباركا» قيل إن المراد به ـ في معنى الآية ـ هو النفاع الذي ينتفع به الناس، وقد نفع عليه السلام الناس باشفائه الأكمه والأبرص، وقيل هو معلم الخير.

٢ ـ **الزكاة** : قيل إن المراد بها ـ في معنى الآية ـ هو زكاة الفطر، وهو بعيد في نظرنا والله أعلم، وقيل هي الصدقات يأمر بها قومه .

ثانيا : التفسير:

القول لعيسى عليه السلام وهو في المهد أثبت أن الله تعالى جعله مباركا ينتفع به وأظهر ما

يكون الانتفاع به هو فى تصحيحه ما وقع فى شئـون العقيدة من تحريف وتغيير، وأنه قد جعل صفته هذه متصلة به حيثما كان .

وقد يكون القول مشيرا إلى رحيله إلى مصر مـع أمه و إلى تنقله فى القرى مبشرا وداعيا بعد عودته من مصر إلى فلسطين .

ثم إنه أكد واقع طبيعته عبدا مأمورا من ربه بالعبادة والدعوة إليها بقوله «وأوصانى بالصلاة والزكاة مـا دمت حيا» والمعنى هو تكليفه بـأداء العبادات البدنية والمالية وتكليـف الناس بها مادام حيـا فى الـدنيا على مـا هو متعارف عليـه.وقيل إنـه عليه السلام مكلـف بهذا وهـو فى السماء، وهو بعيد عن المعنى فى رأينا ـ والله أعلم ـ لأنه ليس له مال فى السماء يتصدق منه، كما أنه ليس فى السماء من يتصدق عليهم بالمال.

ولأن المراد بالتكليف هو إبلاغ الناس بما كلفوا به، وهذا موضعه الأرض وليس السماء .

وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾

التفســـير:

يذكر عيسى عليه السلام فى القول أن الله جعله برا بوالدته محسنا إليها، وفى خصه والدته وحدها بكونهـا محل البر ما يفيد أنه لا أب لـه، فيكون القول ـ بهذا المعنى ــ متضمنا تبرئتها مما ظنوه بها، ثم إنـه أخبر أنه تعالى لم يجعله جبارا شقيا، بمعنى أنـه لم يجعله متكبرا على الناس معتديا عليهم إذا نال منه الغضب، ولا خائبا مبتعدا عن الخير فيبتعد الخير عنه .

وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾

التفســـير:

القول تتمة قول عيسى عليه السلام وهو فى المهـد، والمشهور أنه لم يتكلم بعد هذا إلا فى

الوقت الذى يتكلم فيه الصغار. وفى قوله سلم عليه السلام على نفسه أو إنه نطق بما أقامه الله تعالى فى قوله مقام نفسه، فذكر أن لـه السلام والأمن من الشيطان يوم ولادتـه، وأن له السلام والأمن من رؤية سوء المصير عند قبض روحه ومـن عذاب القبر وقت لحده، وهو ما يكون بعد نزوله من السماء فى آخر الزمان وقتله الدجـال ودعوته للإسلام، وأن له السلام والأمن من سوء الحساب والعذاب يوم يبعث حيا فى الآخرة .

ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِى فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٣٤﴾

التفســـير:

يشير تعالى إلى من ســبق ذكر صفاته المحمودة فيما أخبر به عن نفســه وهو فى المهد بـ «ذلك» لبيان بعد منزلته فى علو القدر.

ثم يخبر عنه بأنه عيسـى ابن مريم، والخبـر يفيد طبيعته البشريـة فهو ابن امرأة مـن إناث الناس، كما أنـه يثبت أنه ليس له أب وأنـه لهذا نسب إلى أمه. ثـم مدحه تعالى بقـوله «قول الحق» والحـق هو الله تعـالى، فيكـون عيسى عليـه السلام هـو قول الله أو هـو كلمته. ويقبـل المعنى أن يكون هو «إن القول المذكور بشأنه فى السورة هو القول الحق» .

وقوله تعـالى «الذى فيه يمترون» وفيه يعـود الضمير فى «فيه» إليه عليه السـلام مفاده أنهم يتنازعون فى أمره ويتشككون، فاليهود يقولون إنـه استعان بالشياطين فى المعجزات التى أتى بها، وينكرون أنه المسيح الذى تنبأ بمجيئه اشعياء النبى، ولا يزالوان ينتظرون مجيء المسيح، والنصارى منهـم من جعلـه الله، ومنهم من جعلـه ابن الله المساوى لله فـى الألوهيـة. وهؤلاء وهؤلاء بعيدون عن الحق المخبر به فى السورة وفى القرآن العظيم جميعه .

مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَٰنَهُۥٓ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾

التفســـير:

القول ـ فـى الآية ـ قولـه تعالى، جاء بعـد ذكره تعالى أنـه يكون من البعيديـن عن الحق الامتراء فى شـأن المسيح عليه السلام والتنازع فيه، وهـو بإبطال زعم طائفـة من النصارى أن المسيح هو ابـن الله تعالى ـ وقـد سبق بيان قرارات مـؤتمر بنيقية التى تضمنـت فيما تضمنت هذا القول وقالت به أول ما قيل ـ ومعنى قولـه تعالى «ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه» هو نفى الصحة والمعقولية واستقامة الحصول عن قـول المبطلين أنه تعالى اتخذ المسيح ولدا، ثم جاء قوله تعالى «سبحانه» تنزيها له تعالى عن هذا القول ودعما يزيد عليه من قول البعض إن المسيح إلٰه أو إنه جزء من الله تجسد فى صورة بشر.

ثم إنه تعالـى يبين علة عدم تصور صحة قـول المبطلين بقوله تعالى «إذا قضـى أمرا فإنما يقول له كن فيكون» والمعنـى أنه تعالى إذا قدر لأمر ما أن يكون، فـإنه يكون بمجرد المشيئة، جاء التعبير عنها بقول «كن» يكون سببا لحصول ما هو محل المشيئة، والمقصود هو بيان مدى سرعة تحقق المراد.

فيكون المقبول عقلا أن من يكون هذا هو شأنـه يكون فى غنى عن خلقه جميعا، فلا يكون محتاجا أن يكون له ولد.

﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ٣٦﴾

التفســـير:

المتصور هـو أن القول الـوارد فى الآيـة هو تتمة قـول عيسى عليـه السلام، فتكـون الآيتان السابقتان اعتراضيتين، ومفـاد قوله عليه السلام هو أنه ليس غير إلٰه واحـد هو ربه الذى خلقه من غير أب واصطفـاه نبيا وأنطقه صبيا صغيرا فى المهـد، وهو ربهم الذين أنكـروا ولادته من غير أب. وقـد أتبع عليه السلام هـذه الحقيقة التى قـرربها بأمـره القوم بعبادة الله الواحـد ربه وربهم.

ثم أظهر أن توحيده تعالى وعبادته هما الطريق المستقيم الموصل إلى رضاء الله، والذى لايضل من اختاره وسار فيه .

﴿فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾﴾

أولا : الأسـماء :

١ - **الأحزاب** : قيل إن المراد بها - فى معنى الآية - هم اليهود والنصارى، وقيل إن المراد بها هو فرق النصارى، وقيل إنهم المسلمون واليهود والنصارى، وقيل إنهم الذين تحزبوا على الأنبياء، وقيل إنهم عموم الكافرين.

٢ - **اليوم العظيم** : فى قوله تعالى «فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم» هو اليوم المشهود والذى هو عظيم الهول والمراد به - فى معنى الآية - هو يوم القيامة .

ثانيا : التفسير:

بعد أن ذكر تعالى حقيقة طبيعة المسيح عليه السلام بما ورد على لسانه وهو فى المهد صبيا، فإنه تعالى ذكر ما كان من شأن اليهود والنصارى من اختلاف فى أمره فاليهود غالوا فى التفريط فيه أو فى قدره ومرتبته، فاتهموه بالسحر وبالاستعانة بالشياطين وأنكروا نبوته، والنصارى فيهم من أفرط فى تعظيمه فقال إنه الله، أو إنه إلٰه ابن من إلٰه أب، ومن قال إنه ابن الله، ثم إن النصارى أنفسهم اختلفوا بشأنه فى أمرين: أولهما هو كيفية نزوله واتصاله بأمه وتجسد الكلمة، والثانى هو كيفية صعوده واتصاله بالملائكة، وتوحد الكلمة. وفى شأن الأمر الأول فإنهم قالوا بتجسد الكلمة، وفى شأن كيفية التجسد والاتحاد منهم من قال: أشرق على الجسد إشراق النور على الجسم المشف، ومنهم من قال انطبع فيه انطباع النقش فى الشمع، ومنهم من قال ظهر به ظهور الروحانى بالجسمانى، ومنهم من قال تدرع اللاهوت بالناسوت، ومنهم من قال مازجت الكلمة جسد المسيح ممازجة اللبن الماء والماء اللبن.

ثم إنهـم أثبتوا لله تعالـى أقانيـم ثلاثة، فقـالوا إن البارى تعـالى جـوهر واحد، فهـو واحد بالجوهرية، ثلاثة بالأقنومية. ويعنون بالأقانيم الصفات مثل الوجود والحياة والعلم، وسموها الأب والابن والروح القدس.

وقالوا فى الصعود إنه قتل صلبا، وأن اليهود قتلـوه إلا أن القتل لم يرد على الجزء اللاهوتى وإنما ورد على الجـزء الناسوتى. وقالوا إن الأنبيـاء وصفوا بثلاث صفات هى النبـوة والإمامة والملك، بعضها أو كلها، وأن درجة المسيح فوق هذا لأنه الابن الوحيد لانظير له ولا يقاس به غيره من الأنبياء، وهو الذى غفرت به خطيئة آدم عليه السلام، وهو الذى يحاسب الخلق.

وفى شأن نـزوله: منهم من يقـول إنه ينزل قبل يوم القيـامة، ومنهم من يقـول لا ينزل إلا يوم الحساب. ومن فرقهـم الملكانية، قالوا إن الجوهـر غير الأقانيم كالموصـوف والصفة، وأثبتوا التثليث، ومن قولهـم إن المسيح ناسوت كلى لا جزئى، وهـو قديم أزلى من قديـم أزلى، وقد ولدت مريـم إلٰها أزليا، وأن الصلب والقتـل وقعا على الناسـوت واللاهوت معا وأطلقـوا لفظ الأبوة علـى الله تعالى، والبنـوة على المسيح ـ ثـم إنه لما قـال أريوس إن القديـم هو الله و إن المسيح مخلوق اجتمع المجمع فى نيقية بدعوة قسطنطين وأصدر قراراته السابق ذكرها ومنها «نؤمن بالله الـواحد الأب مالك كل شىء وبـالابن الوحيد يسوع المسيح ابـن الله الواحد، بكر الخلائق، الذى ولد من أبيه وليس بمصنوع، إلٰه حق مـن إلٰه حق. ومن فرقهم النسطورية قالوا إن الابن لـم يزل متولدا من الأب وتجسد واتحد بجسد المسيح حين ولد، وأن الحدوث راجع إلى الجسد والنـاسوت،فهو إلٰه و إنسان اتحـدا، وهما جوهران أقنـومان، جوهر قديـم وجوهر محدث، إلٰـه تام و إنسـان تام صار مسيحـا واحدا وطبيعـة واحدة، وقالـوا إن القتل وقـع على المسيح من جهة ناسوته لا من جهة لاهوته. ومنهم بوطينوس وبولس الشمشاطى قالا إن الإلٰه واحد، و إن المسيح ابتدأ من مريم، وأنه عبد صالـح مخلوق شرفه الله لطاعته وسماه ابنا على التبنى وليـس على الولادة ومن فـرقهم اليعقوبية قـالوا بالأقانيـم الثلاثة وبأن الكلمـة انقلبت لحمًا ودما فصار الإلٰه هو المسيح، وهو الظاهر بجسده .

كذلك فإن الملكـانية واليعقوبية قالوا إن الذى ولـد من مريم هو الإلٰه. وهـذا هو قليل مما

وقع فيه الاختلاف بين النصارى مما شمله قوله تعالى «فاختلف الأحزاب من بينهم» .

وقوله تعالى «فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم» هو توعد منه تعالى للأحزاب المذكورة وأصحابها المختلفين الذين اجتمعوا على الكفر، وتوعدهم هو بسوء المصير في يوم القيامة ومكان الشهود فيه حيث تشهد عليهم الملائكة والأنبياء وألسنتهم وجوارحهم بالكفر والفسوق، أو وقت الشهود حين يشهد عليهم الشهود بما قالوا في المسيح عليه السلام من قول الزور.

أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا لَٰكِنِ الظَّالِمُونَ الْيَوْمَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾

التفسير:

قوله تعالى ـ في الآية ـ في التعجيب من مدى اختلاف ما يكون عليه سمع الكافرين القائلين في المسيح غير الحق وبصرهم من القوة يوم القيامة وبين ما عليه الحال في الدنيا.

والمراد من القول هو التهديد، فمفاد القول أنهم يوم يأتون الله للحساب يُسمعهم ويبصرهم مواعيد ما يحيق بهم في ذلك اليوم، يسمعون ما تنخلع به قلوبهم ويبصرون ما تسود به وجوههم . ثم إنه تعالى يثبت فيهم ـ وقد سماهم الظالمين ـ أنهم اليوم ـ والمعنى في الحياة الدنيا ـ في ضلال مبين مرجعه أن آذانهم لم تسمع الحق، وأن أبصارهم لم تنظر الآيات، فحال سمعهم وبصرهم في الدنيا هو الضعف، على حين يكون في الآخرة أشد ما يكون قوة .

وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾

أولا : الأســـــماء :

يوم الحسرة: هو اليوم الذى يتحسر فيه الظالمون على ما فرطوا فى أنفسهم، وقيل إن المراد به ــ فى معنى الآية ـ هـو يوم القيامـة، وقيل هـو لحظة أن يقال للكـافرين ــ وهم فـى النار ـ «إخسؤوا فيها ولا تكلمون» وقيل هو وقت ذبح المـوت فى الآخرة وخلود أهل الجنة فى الجنة، وخلود أهل النار فى النار.

ثانيا : التفســـــير :

الخطاب ـ فى الآية ـ إلى رسول الله ﷺ، وهو أمر منـه تعالى أن ينذر الظالمين الذين قالوا فى المسيح عليه السلام غيـر الحق بما يكون عليه حالهم يوم يتحسر الظالمـون على ما فرطوا فى جنب الله حين يتأكـد لهم أنهم يخلدون فى النار حين يؤتى بالمـوت فى هيئة كبش أملح يعرفه أهل الجنة وأهـل النار فيذبح على أعينهم ليعلموا أنهم لا يموتـون بعد ذلك فيكون أهل الجنة خالدين فى نعيمها ، وأهل النار خالدين فى عذابها .

وقوله تعالى «إذ قضى الأمـر» مفاده أنه فى ذلك الوقت المذكور بأنـه يوم الحسرة يكون قد فرغ من الحساب ويكون كـل قد ذهب إلى قراره، فيكون أهل الجنة قـد دخلوها، ويكون أهل النار قد وردوها وألقوا فيها .

وقوله تعالـى ـ فى ختام الآية ـ «وهم فـى غفلة وهم لا يؤمنون» يتعلق بحـال الظالمين فى الدنيا فهـو مرتبط بقولـه تعالى ـ فى الآيـة السابقة ـ «لكـن الظالمون اليوم فـى ضلال مبين»، فيكون المعني هو أنه ﷺ ينذرهم حال كونهم غافلين عما فيه مصلحتهم، وغافلين عن الحق لا يذكرونـه ولا يقولون به مع سبق ما صرح به من كونهـم في ضلال مبين، وكونهـم لا يؤمنون بالحق. ولا يمنع تقريره تعالى أن هؤلاء الظالميــن لا يؤمنون بالحق من أمره ﷺ أن ينذرهم لأن مهمة الأنبياء هى الإنذار، وما على الرسول إلا البلاغ .

إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾

التفســـير:

يكاد قـوله تعالـى ـ فى الآيـة ـ أن يكون تعقيبـا على مـا سبق ذكره فـى شأن قصة مـريم والمسيح عليه السلام واختلاف الأحزاب فى شأنه وقولهـم فيه غير الحق. إذ يوجز قوله تعالى فى الآية خـاتمة الأمر وهو انتقال ملك الأرض إليـه تعالى بفناء جميع من كـانوا عليها وزوال ملكهم الظاهـر. ليكون رجوعهم إليه تعالـى وحده، يردون إليه ليلقوا جزاءهـم، فيكون القول مشيرا إلـى فناء ما اختلف فيـه الأحزاب بفنائهم، مـع بقاء حسابهـم على ما اختلفوا فيـه وما اجتمعوا من أباطيل يكون لهم يوم إلى ربهم يرجعون .

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ۝٤١﴾

أولا : الأســـماء والأعلام :

١ ـ إبراهيــــم : اسم علم، وهو إبراهيم نبى الله ﷺ، وقد سبق بيانه .

٢ ـ الصديق : فى قولـه تعالى «إنه كـان صديقا نبيا» هـو الذى من خصالـه الصدق حتى يكاد لا ينفصل عنه فيكون ملازما إياه، وهو المصدق بقول الله وكتبه والغيب .

ثانيا : التفســـير:

قوله تعالى ــ فى الآية ـ شروع فى الانتقال إلى قصة أخـرى من قصص أنبياء الله ورسله، وهى قصـة إبراهيم عليـه الصلاة والسلام، جـاء الإخبار بهـا لأن الكافريـن الذين بعـث فيهم إبراهيـم كانوا يشركـون بالله تعالى بعبـادتهم الجمادات مـن كواكب وسيارات، ومـن أصنام، فيكون الإخبـار عنهم متصـلا بالمشـركين الـذين سبق ذكـرهم فـى السورة مـن الذيـن عبدوا الأشخاص أو ألهوهم أو ادعوا أنهم أبناء الله .

وقوله تعالى «واذكر فى الكتاب إبراهيم» جاء بمعنى «واتل على الناس ما فى السورة أو فى القرآن من نبأ إبـراهيم ﷺ . وسبب ذلك على ما سبق بيـانه هو أنه قد بعث فـى قوم مشركين

مثـل ما أن الـذين قـالوا بـألوهيـة المسيح عليـه السلام أو نبـوته لله تعـالى مشـركون، وكـون المشركين من ذرية إبراهيم .

ثم إنه تعالى بعد أن أمر رسوله ﷺ بتـلاوة قصة إبراهيم كما وردت فى القرآن على الناس، قرر بقـوله الحق أن إبـراهيم كان صـديقا نبيا، بمعنى أنـه كان ملازمـا الصدق، وكان مصـدقا بكلام الله تعالى وبـالغيب، وأنه كان نبيا، اصطفاه تعـالى من الخلق وشرفه بـأن استنبأه فكان نبيا، والمعنى أنه جمـع بين الصفتين، مع ما هو معلـوم من أن كل نبى هو صديـق. وقد يكون المعنى المـراد إظهاره هو أنـه عليه الصلاة والسلام كـان صديقا بطبيعتـه قبل أن يوحـى إليه فيكون نبيا .

﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾﴾

التفســـير:

مفاد قولـه تعالى ـ فى الآيـة ـ أنه فى الظرف الذى كـان فيه إبراهيم ﷺ صديقـا نبيا، قال لأبيه آزر ـ وهو تارح فى التـوراة التى بين أيدينا اليوم، وقد سبق بيان هذا تفصيـلا ـ «يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئا» نادى أباه ــ على كفره ـ بـ «يا أبت» أى يا أبى ، (جاءت التاء فى «أبت» عـوضا عن ياء الإضافة فى «أبى») ثم وجه إليـه سؤالا ينكر فيه بأدب عليه عبادته ولجوءه إلى الأصنام بالدعاء، لـم يصرح بأنها أصنام اكتفاء بوصفها أنها لا تسمع دعاءه ، ولا تبصر خشوعه بين يديها، ولا تفيد شيئا ولا تقدر على هذا .

﴿يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾﴾

أولا : الأســـــماء :

العلم : قيل إن المراد به ـ فـى معنى الآية ـ هو العلم بأمور الآخرة ومـا يكون فيها من ثواب

وعقاب.

وقيل هو العلم بما يؤدى إليه الشرك وعبادة غير الله تعالى من ضرر للإنسان في دنياه وآخرته .

ثانيا : التفسير:

القول لإبراهيم عليه الصلاة والسلام، خاطب أباه مناديا «يا أبت» مرة ثانية لاستمالته ثم أحسن إليه القول فلم يذكره بالجهل ولم يغل فى إعلاء قدره ذاته بالعلم، واكتفى بقوله إنه جاءه من العلم شيء لم يأت أباه، فكأنه قد أظهر أن لأبيه عذرا فى عبادته الأصنام حتى هذه اللحظة وهذا من قبيل التلطف فى القول .

ثم إنه عليه الصلاة والسلام دعا أباه للإيمان بقوله «فاتبعنى أهدك صراطا سويا» والمعنى أنه يكون له باتباعه الطريق المستقيم الذى يجنبه غضب الله وعذابه ويوصله إلى رضائه تعالى وثوابه .

والمستفاد من القول أنه عليه الصلاة والسلام قد كلف آنذاك بالدعوة إلى الله، فبدأ بأبيه أو بأهل بيته، أى أنه كان قد اصطفى رسولا نبيا .

يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ ۖ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾

التفسير:

القول ـ فى الآية ـ لإبراهيم ﷺ، وهو نهى لأبيه عن عبادة الشيطان، وذكره الشيطان معبودا بدلا من الأصنام هو لكون الشيطان المغرى بعبادتها والمزين لها، ثم إن القول تضمن بيان علة النهى وهو كون الشيطان عصيا لله تعالى، وفى القول بلاغة إذ أنه عليه الصلاة والسلام وصف الله ـ فى القول ـ بأنه الرحمن، ليكون فى القول إشارة إلى أن من يطيع الشيطان الذى عصى الرحمن لا يكون جديرا أن يرحمه الرحمن، فيكون مقدرا له عدم النجاة من العذاب .

﴿يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيۡطَٰنِ وَلِيّٗا ٤٥﴾

التفســـير:

القول ـ فى الآية ـ تتمة قول إبراهيم لأبيه، يبدى فيه شفقته عليه وخـوفه أن يموت على ما هو عليـه من إشراك بالله تعـالى وإطاعة الشيطـان فى عصيان ربه، فيكـون شأنه أن ينالـه فى الآخرة عـذاب من ربـه، وفى القـول ذكر تعـالى بأنـه الرحمـن لبيان أن وصـف الرحمـانية لا يستوجب عدم التعذيـب، كما أوضح إبراهيم أن مؤدى موت أبيه علـى الكفر هو أن يكون فى الآخرة وليا للشيطـان يلى كل منهما الآخر فيكون لهمـا المصير الواحد جهنم يصلـونها وبئس القرار، والقول ـ بهذا المعنى ـ هو تخويف لأبيه من البقاء على الشرك بالله .

﴿قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنۡ ءَالِهَتِي يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهِ لَأَرۡجُمَنَّكَۖ وَٱهۡجُرۡنِي مَلِيّٗا ٤٦﴾

أولا : الأســــماء :

الملى : هو الـدهر الطـويل ، مـن الإملاء بمعنى الإمـداد، أو الملاوة مـن الزمـان، بمعنى الطويل منه .

ثانيا : التفســـير:

يذكر تعالي ـ في الآية ـ أن أبا إبراهيـم قال له «أراغب أنت عن آلهتى يا إبراهيم» والقول استفهام إنكارى، ينكـر فيه أبو إبراهيم عليه نـأيه عن آلهته وميله عنها، ويتعجـب من مسلكه هذا.

وقد يستفاد مـن القول أنه كان يعبد من دون الله تعـالى أكثر من معبود، وقـد يستفاد منه أن المتعدد كان تماثيل أو أصناما لمعبود واحد .

ثم إن أبـا إبراهيم تهدده إن لـم يكف عن نهيـه عن عبادة الأصنـام وتحذيره من هـذا سوء العاقبةأن يكون منه لـه الرجم بالحجارة أو باللسان بمعنى أن يسبه ويشتمه ــ ثم إنه أتبع هذا بتحذيره من أن يكون له الرجم بطلبه منه أن يتركه مبتعدا عنه دهرا طويلا .

قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾

أولا : الأســــماء :

الحفّى : فى قولـه تعالى «إنه كان بى حفيـا» هو البليغ فى البر والإكرام، مـن الفعل حفى، ومصدره حفاوة .

ثانيا : التفســـير:

مفاد قوله تعـالى ـ فى الآية ـ هو أن إبراهيـم ﷺ قد ودع أباه تاركا إياه ، وأنه قـابل إساءته إليه بـالحسنة فحياه بقـوله «سلام عليـك» تحية مفـارق، أو مما يكون فيـه قوله تعـالى «وإذا خاطبهم الجـاهلون قالوا سـلاما». ثم إن إبراهيـم قال لأبيه «سأستغفـر لك ربى إنه كـان بى حفيا» ذكر ما سيكون منه مـع ربه لأجل أبيه، ثم بين علة إقدامه على فعلـه مع ربه، أما الفعل فهو استغفار ربه لأبيه، بمعنى طلب المغفرة له، تكـون المغفرة بتوفيقه إلى التوبة والإيمان، إذ يكون الاستغفار للكـافر قبل الموت وقبـل تبين حتمية وقوعـه جائزا مادام الكافـر مكلفا، لأنه يكون طلبـا له بالتوفيـق إلى التوبـة والإيمان، فأمـا بعد هذا فلا يكـون جائزا لأنه يكـون طلبا بمستحيل. ثـم إن إبراهيم عليه الصـلاة والسلام بين علة إقـدامه على طلب المغفـرة من الله لأبيه وهى احتفاء ربه بـه وإكرامه، مما يكون هذا معه دافعا للإقدام علـى الدعاء آملا تحقيقه يكون بهداية أبيه إلى الحق وتوبته عن عبادة الأصنام واختيار الطريق السوى .

وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُوا۟ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا ﴿٤٨﴾

التفســير:

القول ـ فى الآية ـ تتمة قول إبراهيم ﷺ لأبيه، أخبره أنه سيعتزله وقومه بمعنى أنه سيهاجر عنهم مبتعدا، وهـو ما كان منه عندما انتقـل إلى حاران حيث تزوج سارة، ومـن القول يبين أن القوم كانـوا جميعهم مشركين، كما أوضـح أنه سيعتزل ما يعبدون مـن دون الله، فيكون القول مفصحا عن اعتزاله جميع معبوداتهم من كواكب وأفلاك ومن أصنام .

ثم إن إبـراهيم بين ـ بعـد هذا أنه سيعبد ربـه الحق بقوله «وأدعـو ربى» والمعنى ـ مقتـرنا باعتزاله آلهتهم ـ هو أنه لن يعبد غير الله تعالى.

وقد يكون المعنى متضمنا عموم الدعاء فيدخـل فيه قوله عليه السلام «رب هب لى حكما وألحقنى بالصالحين» ، وقوله فى طلب الولد «رب هب لى من الصالحين» .

ثم بين تعالـى أن المؤمن مهما بلغ إيمانـه ومهما بذل من الطاعات لا يـأمن الموت على الإيمان بقـوله «عسى ألا أكون بـدعاء ربى شقيا» فهـو يخشى أن يكون ــ مع عبادته الله ــ من الذين يخيب سعيهـم بعدم قبول أعمالهم الصالحة، ومـع ما فى القول من تواضـع جم، فإنه يتضمن تعريضا بالمشركين، فهم أهل الشقاء بإشراكهم بالله تعالى .

فَلَمَّا ٱعۡتَزَلَهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبۡنَا لَهُۥٓ إِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَۖ وَكُلًّا جَعَلۡنَا نَبِيّٗا ﴿٤٩﴾

أولا : الأســـماء والأعـــلام :

١ ـ **إســـحاق** : اسم علم، وهـو نبى الله إسحاق بن إبراهيـم، تزوج من رفقة بنـت بتوئيل وأنجب منها عيسو ويعقوب، وقد سبق بيانه .

٢ ـ **يعقوب** : هو نبى الله يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، وهو إسرائيل، وقد سبق بيانه .

ثانيا: التفسير:

المستفاد من قوله تعالى ـ فى الآية ـ هو أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام اعتزل أباه وقومه واعتزل ما كانوا يعبدون من دون الله تعالى وهاجر عنهم مبتعدا، وأنه كان منه تعالى معه بعد اعتزاله أباه وقومه وما كانوا يعبدون من دون الله تعالى وهب له تعالى ابنا هو إسحاق، ولد له من زوجه سارة وقد كان ولد له من قبل إسماعيل من هاجر المصرية، ثم إنه تعالى وهب له من إسحاق يعقوب، وكان منه تعالى أنه جعل كلا من إسحاق ويعقوب نبيا كما أن إبراهيم كان نبيا .

وقيل إنه ولد لإبراهيم بعد إسحاق ولد آخر هو يعقوب، وقد لا يكون هذا صحيحا ـ والله أعلم ـ لأنه تعالى أخبر عن يعقوب بأنه نبى فيكون ممن ورد ذكرهم فى القرآن، ويعقوب النبى المذكور فى القرآن هو يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، وليس غيره مذكورا فى القرآن موصوفا بأنه نبى .

﴿وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ۝٥٠﴾

التفسير:

بعد ذكره تعالى إبراهيم وإسحاق ويعقوب فإنه أخبر فى شأنهم أنه تعالى وهب لهم من رحمته، والمعنى أنه تعالى وهب لهم من رحمته النبوة غاية ما يشرف به تعالى أحدا من خلقه. ثم أثبت أنه جعل ألسنة الناس تقول لأجلهم الصدق بثنائهم عليهم وبإعلاء أقدارهم، ومن هذا أن أهل الكتاب والمسلمين جميعهم يثنون عليهم بالصدق. ومنه ما يقوله المسلمون فى التشهد «كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم» .

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَىٰ ۚ إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ۝٥١﴾

التفسير:

الخطاب ـ في الآية ـ إلى رسول الله ﷺ، يأمره ربه أن يتلو على الناس خبر موسى عليه السلام كما ورد في القرآن أو في السورة. وقد جاء ذكر موسى سابقا على ذكر إسماعيل لسبق الإخبار عن إسحاق ويعقوب عليهما السلام ونبوتهما، فناسب ذلك أن يكون الحديث في شأن موسى النبي لكونه من ذريتهما .

وقد أخبر تعالى عن موسى عليه السلام ـ في الآية ـ بأنه كان مخلَصا وكان رسولا نبيا بمعنى أنه كان موحدا بالله تعالى أخلص له العبادة وأسلم له وجهه، وأنه بعث برسالة من الله تعالى إلى الناس، إذ أرسل إلى فرعون وقومه، وأرسل إلى بني إسرائيل، كما أنه كان نبيا بمعنى أنه كان رفيع القدر ـ من النبوة وهي البروز والرفعة ـ أو كان نبيا يوحى إليه من ربه .

﴿وَنَادَيْنَاهُ مِن جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ﴿٥٢﴾﴾

أولا : الأسماء :

النجي : في قوله تعالى «وقربناه نجيا» هو المناجي ـ من المناجاة ـ المتحدث عن قرب .

ثانيا : التفسير:

قوله تعالى ـ في الآية ـ إيجاز لقصة موسى عليه السلام بدءا من مرحلة بعينها كانت بعد خروجه من مدين مع أهله ، فيخبر تعالى عن ندائه إياه من الجهة التي تلي يمينه لدى وقوفه أمام جبل طور سيناء، وفي أمر هذا النداء وكيفيته قيل اجتهادا إنه كان بغير أحرف ولا صوت وأن جميع أعضائه عليه السلام سمعته فعلم أن المنادي هو الله تعالى .

ومفاد قوله تعالى «وقربناه نجيا» أنه تعالى قرب منزلته منه وأدناها فكان كلامه معه بغير وحي، فكان موقعه منه تعالى مثل موقع الجليس من جليسه يكون قريبا حتى يكون حديثه معه مناجاة .

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِن رَّحْمَتِنَا أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ۝٥٣﴾

التفسير:

يذكر تعالى - فى نص الآية - أنه وهب لموسى عليه السلام - رحمة به وله - أخاه هارون حال كون نبيا، وكون ذلك من رحمته تعالى أنه كان لمؤازرة موسى وللإفصاح عما يريد قوله استجابة منه تعالى لدعاء موسى «واجعل لى وزيرا من أهلى * هارون أخى» وكانت هبة الله هى بجعل هارون نبيا مؤازرا موسى، وذلك لأن هارون كان موجودا من قبل لكونه أخا موسى الأكبر.

﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ ۚ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ۝٥٤﴾

أولا: الأسماء والأعلام:

إسماعيل: اسم علم، وهو إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، وقيل هو صمويل النبى من أنبياء بنى إسرائيل، وقيل هو صمويل أو إسماعيل بن حزقيال الذى سلخ قومه جلد رأسه فخيره الله بين أن ينتقم له منهم بعذاب وبين الرضاء بثوابه تعالى، فاختار ثواب الله.

ثانيا: التفسير:

يأمر تعالى - فى الآية - رسوله ﷺ أن يتلو على الناس خبر إسماعيل عليه السلام كما ورد فى السورة أو فى القرآن العظيم، ثم إنه تعالى يخبر عن شأنه بذكر صفة التصقت به فكانت كما لو أنها من مكوناته الطبيعية وهى صدق الوعد، ثم إنه تعالى أثبت له أنه كان رسولا نبيا، ذلك أنه أرسل إلى جرهم فى مكة وما حولها، أرسل إليهم بالحنيفية ملة أبيه إبراهيم، وكان نبيا، بمعنى أنه كان رفيع القدر والمرتبة، وأنه كان يوحى إليه من ربه.

﴿وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ٥٥﴾

التفســـير:

قوله تعالى ـ في الآية ـ لايزال في إسماعيل عليه السلام، يذكر تعالى من فعله أنه كان يأمر أهله بالصلاة والزكاة، والمعنى أنه كان يبدأ بنفسه بإلزامها الطاعات، ثم يكون منه إقامة عشيرته الأقربين على الحق.

وقد يكون المراد بالأهل ـ في معنى الآية ـ أسرة المرء وعشيرته، وقد يراد بهم عموم قومه أو أهل أمته. ذلك أن إسماعيل عليه السلام قد دعا جرهم جميعها إلى الحنيفية، وقد كانت منه بمنزلة الأهل لزواجه منها وعيشه بينها، والمقصود بالصلاة هو عموم العبادة البدنية، والمقصود بالزكاة هو عموم الصدقة أو العبادة المالية .

وقوله تعالى فيه «وكان عند ربه مرضيا» يفيد أنه كان راضيا بقضاء الله وأنه كان مرضيا عنه من الله تعالى لاستقامته في القول والفعل .

﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ٥٦﴾

أولا : الأســـماء والأعلام :

إدريس : اسم علم، وهو نبي الله إدريس المسمى «الساكن صعيد مصر» والمشهور أنه ولد في مصر قبل نوح عليه السلام وقيل إنه كان جدا أعلى لنوح، وأنه بعث في المصريين، وقد أنزل إليه ـ على المشهور ـ ثلاثون صحيفة لاتزال آثارها موجودة في آثار مصرية قديمة منها ما يعرف بنصائح الحكيم آني، ومنها الأثر المعروف باسم متون الأهرام. والمشهور أيضا أنه هو نبي الله أخنوخ بن مهلائيل بن أنوش بن قينان بن شيث بن آدم عليه السلام، وأنه أول من نظر في النجوم والسماء والحساب وعلم المصريين ذلك، ويعتقد كثيرون أنه من تحور اسمه إلى

أزوريس لدى قدماء المصريين .

ثانيا : التفســـير :

يأمر تعالى ـــ فى الآية ـ رسوله ﷺ أن يتلو على الناس نبأ إدريـس عليه السلام كما ورد فى السورة أو فـى القرآن، ثم يخبر عنـه تعالى بأنـه كان صديقـا نبيا، صدق بكلام الله وبـالغيب، وكان صادقا، كما كان نبيا يوحى إليه من ربه.

﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ۝٥٧﴾

التفســـير:

القول تتمة قولـه تعالى فى إدريس عليه السلام، يـذكر تعالى أنه رفعه مكـانا عليا، ويقبل المعنى أن يكون المراد بهذا هو تشريفه بالنبوة، ويقبل أن يكون رفعه إلى السماء على المروى من أمره، أو إلى الجنـة إذ روى أن ملك الموت أحبه فى الله وأنه عليه السـلام طلب من ملك الموت أن يريه النار ففعل بعد استئذان ربه.

ثم طلـب منه أن يريه الجنـة ففعل بعد استئذان ربـه، فلما دخلها إدريس رفـض الخروج منها واحتج على ملك الموت بقوله تعالى «وما هم منها بمخرجين» فبقى فيها بإذن الله .

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۝٥٨﴾

التفســـير:

يشير تعالى إلى الأنبياء والرسل المذكوريـن فى السورة ويخبر عنهم بأنهم الذين أنعم الله

عليهم من النبيين، بمعنى أنه تعالى أنعم عليهم بكامل النعم الدينية والدنيوية، وقوله تعالى «من النبيين» يفيد أنهم بعض النبيين، جميعهم من ذرية آدم، وقيل إن آدم يكون داخلا فيهم، وبعضهم كان من ذرية من حملوا مع نوح عليه السلام في السفينة، فيخرج منهم إدريس عند القائلين إنه كان أسبق وجودا من نوح عليه السلام، ومنهم من هم من ذرية إبراهيم وهم الباقون وأخصهم إسماعيل عليه السلام لأنه ليس من نسل إسحاق ويعقوب حين أن باقى الآخرين من نسل إبراهيم وإسحاق ويعقوب ومنهم موسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام.

والنص يفيد دخول أولاد البنات فى الذرية بذكر عيسى عليه السلام فى ذرية إبراهيم ويعقوب .

وقوله تعالى «وممن هدينا واجتبينا» جاء معطوفا على قوله تعالى «من ذرية آدم»، والمعنى هو أنهم بعض ممن هداهم الله إلى الحق واختارهم للنبوة والكرامة ثم إنه تعالى يخبر عنهم أنهم «إذا تتلى عليهم آيات الرحمن خروا سجدا وبكيا».

ومفاد القول أن هؤلاء الأنبياء والرسل الذين نالوا أسمى مراتب الشرف يخشون الله تعالى ويخبتون له حتى إنهم إذا ما سمعوا آيات الله تتلى عليهم خروا ساجدين باكين تأثرا بالحق عند سماعه.

وقيل إن النص دليل على وجوب سجود التلاوة .

• فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾

أولا : الأســـماء :

١ ـ **الخلف** : فى قوله تعالى «فخلف من بعدهم خلف» هو العقب ، والأولاد جمعا كانوا

أم فردا .

٢ ـ الغي : في قوله تعالى «فسوف يلقون غيا» قيل هو نهر أسفل جهنم يسيل فيه صديد أهل النار، وقيل هو صخرة قذف بها من شفير جهنم إلى قعرها تنتهي إلى غي وآثام، وقيل إنه الضلال .

ثانيا : التفسير:

مفاد قوله تعالى ـ في الآية ـ أنه خلف هؤلاء الأنبياء ذوى المكانة العالية أقوام أضاعوا الصلاة بمعنى أنهم لم يؤدوها على أوقاتها أو أنهم أخلوا بشروطها، واتبعوا الشهوات فأقبلوا على المعاصي وانشغلوا بها عن الصلاة .

وقد أخبر تعالى عن هؤلاء أنهم سوف يلقون غيا، وهو تهديد لهم وتوعد ولمن حذى حذوهم بأنه سوف يلقى فى الآخرة أشد أنواع العذاب، والضلال عن الجنة سبيل السلام .

﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا ٦٠﴾

التفسير:

بعد أن ذكر تعالى أن الذين أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات سيلقون فى الآخرة أشد أنواع العذاب، فإنه تعالى استثنى منهم ـ في الآية ـ الذين تابوا وآمنوا، بمعنى الذين تابوا عن إضاعة الصلاة وعن اتباع الشهوات فأقلعوا عن مقارفتها، وآمنوا، يدخل فى هذا الإيمان بعد الكفر، ويدخل فيه الإيمان بفرضية الصلاة ووجوب أدائها على أوقاتها، وقرنوا إيمانهم بعمل الصالحات ومنه أداء الصلاة على أوقاتها مع العمل بجميع الطاعات .

وقد أخبر تعالى عن مصير هؤلاء المستثنين فأفاد أنهم يدخلون الجنة، وهذا هو الاستثناء

من المصير الذى يكون لغير التائبين المؤمنين العاملين الصالحات.

وأخبر تعالى أنهم لا يظلمون شيئا، والمعنى أنه لا ينقص لهم من أجرهم الذى وعد به تعالى يكون لهم شىء وإن يكن قليلا .

جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا ﴿٦١﴾

أولا : الأســـماء :

المأتى : فى قوله تعالى «إنه كان وعده مأتيا» هو الآتى حتما، أو المقرر إتيانه على وجه الحتم واليقين .

ثانيا : التفســـير:

بعد أن ذكر تعالى أن التائبين المؤمنين العاملين الصالحات يدخلون الجنة، قال تعالى «جنات عدن» فكانت بدلا من الجنة بدل البعض لدخولها فيها وكونها بعضا منها.

ثم إنه تعالى أظهر أن هذه الجنات هى التى جرى بها وعده أنها تكون لعباده المؤمنين بوجودها وبأنها تكون لهم وهى غيب بالنسبة لهم، فهم غائبون عنها وهى غائبة عنهم، والقول يشير إلى أن عملهم وافق إيمانهم بهذا الغيب لكونه مضمون وعده تعالى، وصف بأنه وعد الرحمن لأنه جاء رحمة بمن آمن به .

وقوله تعالى «إنه كان وعده مأتيا» هو إثبات لرجاحة فكر هؤلاء الذين آمنوا بالغيب لكونه وعد الله تعالى، وإثباتا لضلال الذين يدعون العقلانية وعدم الإيمان بغير المحسوسات، ذلك أن ما وعد به تعالى لابد متحقق .

لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوًا إِلَّا سَلَٰمٗاۖ وَلَهُمۡ رِزۡقُهُمۡ فِيهَا بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ﴿٦٢﴾

أولا : الأســـماء :

اللغــو: هو ـ فـى الأصل ـ صوت العصـافير وما شابهها مـن الطير، والمراد به ــ في معنى الآية ـ هو الكلام الزائد الذى لا فائدة منه .

ثانيا : التفســير :

يصف تعالـى حال أهل الجنة فيهـا فيذكر أنهم فيهـا لا يسمعون كلاما زائدا لا فـائدة فيه، والمعنى أنهم لا يتكلمـون هذا الكلام الزائد المعـدوم النفع، لأن السماع يستوجـب أن يكون كلاما.

ثم استثنى تعالى من عدم السماع سماع السلام وهو تحية الملائكة لهم ـ وهى ليست من قبيل اللغو ـ أو سماع تحية بعضهم لبعض.

ثم ذكر تعالى أنهم فى الجنة يأتيهـم رزقهم بكرة وعشيا، والمراد بهذا هـو دوام رزقهم من الصباح إلى المسـاء بتقديرهم تقـدير أهل الدنيا، لأنـه ليس فى الجنة بكـرة ولا عشى. أو أنه يأتيهم رزقهم مرتين فـى المدة التى تقابل نهار الدنيا وعشيها كحال المتنعميـن فى الدنيا عند العرب .

﴿ تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِى نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴾ ﴿٦٣﴾

التفســير:

جاء اسـم الإشارة «تلك» فى جملـة الآية مبتدأ، وخبره هـو الجنة، وجاء الاسم المـوصول «التى» صفة لها، فكأن القول هو «تلك التى تورث من عبادنا من كان تقيا هى الجنة» أو «تلك هى الجنة» وصفتها أنها التى تورث من عبادنا من كان تقيا والمعنى هو أن المتقين الذين آمنوا وعملوا الصالحات تكون لهـم الجنة بمثابة إرث أورثهم إياه إيمانهم وعملهم الصالح.

وربما جـاء التعبير عن ملكهـم الجنة وتنعمهم بهـا بأنـه إرث لبيان عدم احتمـال دخول التغيير عليه، لأن الملكية بطـريق الإرث ثابتة لا تتعرض لمبطلات على نحـو ما تكون عليه إذا

كانت بعقد من عقود البيع أو الهبة، إذ تتعـرض لدعاوى البطلان والفسخ. فيكون النص معبرا عن اطمئنان المتقين إلى دوامهم فى الجنة وبقائهم بمرتبة المالكين لها .

وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾

أولا : الأســــماء :

النســـى : صيغة مبالغة لـ «ناس» وهو الكثير النسيان، الغافل عما يجب تذكره .

ثانيا : التفســـير :

القول ـ فى الآية ـ قول جبريل عليه السلام نائبا فيه عن الملائكة الرسل الذين ينزلون إلى الأرض برسالات من ربهم أو تكاليف. جاء ذكره بعد الفراغ من ذكر قصص الأنبياء والمرسلين لأمريـن يعتبران من أسباب النـزول، حاصل أولهما أنـه حين سئل ﷺ عن أصحـاب الكهف وذى القرنيـن والروح وأبطأ عليـه جبريل عليـه السلام، حزن لـذلك رسول الله ﷺ، وحـاصل ثانيهما أنه حين أبطأ عليه جبريل قال البعض إن رب محمد قد نسيه .

ومفاد قول جبريل نائبا عن الملائكة الرسل الذين ينزلون إلى الأرض هو أنهم مأمورون من الله تعالـى، لا يفعلون شيئـا من أنفسهم، ومـن هذا أنهـم لا ينزلون إلـى الأرض إلا بأمـر ربهم مكلفين برسالات معينـة، ويدخل فيهم جبريل عليـه السلام، فيكون مفهوما أنه لـم ينزل إلى رسول الله ﷺ وقت غاب عنه لأنه لم يؤمر من الله تعالى بهذا .

ثم إن جبـريل يخبر عن المـلائكة أن هذا الحكـم ـ وهو تقيدهم بـأمر الله فى النزول ـ هو حكم ثابت فى الزمان جميعه، ما مضى منه وما هو مستقبل. فمعنى «ما بين أيدينا» هو «ما هو قدامنا من الزمـان المستقبل» ومعنى «ما خلفنا» هو ما مضى من الزمـان. ومعنى ما بينهما هو

الزمان الحالى . وملكيته تعالى هذه الأزمنة مفـاده أن ملكا لم ينزل فى ماضى الزمان، أو ينزل فى الآن، أو يكون له نزول فى المستقبل إلا إذا أمر بهذا مالك الزمان وكل شىء .

وقول جبريل فـى آخر حديثه، أو قوله تعالـى «وما كان ربك نسيا» هو رد علـى القائلين إنه تعالى نسى محمدا ﷺ. وإثباتا لأنه تعالـى لا يترك أنبياءه ويتخلى عن مؤازرتهم قصدا، وأنه تعالى لا يتصور أن يجرى عليه النسيان فينسى رسله ولا يتابع مؤازرتهم .

رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ ۚ هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾

التفســـير:

جاء قوله تعالى - فى الآية - مرتبطا بقولـه تعالى - فى الآية السابقة - «وما كان ربك نسيا»، ذلك أن إثبات ربـوبيته تعالى السماوات والأرض ومـا بينهما هو مما لا يتصـور معه أن يجرى عليه النسيان. لأن تدبير أمور السماوات والأرض وما بينهمـا يستوجب عدم الغفلة عنها لحظة مهما قصرت .

فيكون القول بمثابة تدليل على عدم تصور جريان النسيان عليه تعالى.

وقوله تعالـى «فاعبده واصطبر لعبادته» هو أمـر منه تعالى إلى رسولـه ﷺ والمؤمنين بعبادة الله تعالـى والصبر علـى مشاق العبـادة بعد أن علمـوا عنه مـا علموا مـن ربوبيتـه السماوات والأرض وما بينهما .

وعلاقة المؤمنين بهذا هو أن علمه تعالى بأمـورهم وما يكون منهم وحسابهم عليها يوجب عليهم عبادته والصبر على ما فى عبادته من المشاق .

وقولـه تعالى «هـل تعلم له سميا» هـو استفهام إنكارى مـوجه إلى رسـول الله ﷺ والناس

جميعا، مفاده إنكار العلم ـ والمراد إنكار المعلوم ـ أن له سبحانه شبيها فى ربوبية السماوات والأرض يقبل معه أن يشاركـه فى اسم «الله» ، أو اسم «الرحمن»، والمعنى هـو إنكار وجود من يسمى ـ بحق ـ باسم الجلالة أو باسم «الـرحمن» بما يوجب عبادته وحده والصبر على مشاق هذه العبادة .

﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا ۝٦٦﴾

أولا : الأســـماء :

الإنســـان : قيل إن المراد به ـ فى معنى الآية ـ شخص معين قيل إنه العاصى بن وائل، وقيل هو الوليد بن المغيرة، وقيل هو أبو جهل، وقيل أبى بن خلف.

وقيل إن المراد بـه أحد هؤلاء وقومـه الذين رضوا بقـوله وقبلوه. وقد يكـون الصحيح ـ والله أعلم ـ هو عموم القائلين بإنكار البعث .

ثانيا : التفســـير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ فى منكرى البعث الـذين لم يستدلوا من ربوبيته تعالى السماوات والأرض وما بينهما علـى قدرته على بعث أجسـادهم بعد الفناء و إحلال أرواحهـم فيها فقال قائلهم «أئذا ما مت لسـوف أخرج حيا» والقول قول مستهزىء بما سمع مـن أمر البعث، يدل على عدم تصديقه أنه يخرج من الأرض بعد موته، أو يخرج من حال الفناء إلى وجود بالبعث للحساب والجزاء .

﴿أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ۝٦٧﴾

التفســـير:

يرد تعـالى ـ فـى الآية ـ علـى الاستفهام الإنكـارى الذى قال بـه منكرو البعث بـاستفهام

إنكارى آخـر يحمل معنى التوبيـخ يظهره قولـه تعالى «أولا يـذكر» لبيان أن من شـأن الإنسان الذى أنعـم عليه الله بنعمـة العقل أن يفكـر وأن يعمل عقله، وأن القـائلين بـإنكار البعـث لم يفكروا ولم يعملوا عقولهم فلو يكونوا جديرين أن يتصفوا بصفة الإنسانية .

ثم إنه تعالى يبين أن الإنسان إذا فكر وأعمل عقله كان محتما أن يعرف أن الله تعالى الذى أوجده من عدم كيانا وروحا، قادر على أن يعيد الجسد بعد فناء وأن يعيد إليه الروح، لأن فعل الإعادة يكون أهون من فعل الخلق أول مرة من معدوم .

فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾

أولا : الأســـماء :

الجثـــى : فى قوله تعالى «لنحشرنهم حول جهنم جثيا» هو البارك على ركبتيــه .

ثانيا : التفســير :

قوله تعـالى ـ فى الآية ــ فى منكرى البعث، يقسم تعـالى بذاته العليا واصفـا فى القسم نفسه بـأنه رب رسول الله صلـى الله عليه وسلم المخاطـب بالقول تشـريفا له صلـى الله عليه وسلم والمقسم عليـه هو حشره تعالى فى الآخـرة منكرى البعث والشياطين معـا وإحضارهم للحساب حول جهنم باركين على ركبهم يخاصم بعضهم بعضا ويتبرأ بعضهم من بعض .

ويلاحظ فى القول أنـه ذكر الحشر ولم يذكر البعث لبيان أنه أمر مفـروغ منه محتم حصوله بما لم يستأهل ذكره اكتفاء بذكر ما يكون بعده.

كما يلاحـظ أن الشياطين الذيـن يحشرون مع منكرى البعـث هم الشياطين الـذين أوحوا إليهم بقـول الكفر هـذا واعتقاده، أو هـم وقرنـاؤهم الـذين لازمـوهم فـى حياتهـم واعتقدوا معتقداتهم .

وقد قيل فى حشرهم معا أن كلا من الكافرين يحشر مع قرينه مقيدين فى سلسلة واحدة .

﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾﴾

أولا : الأســـماء :

العتـــى : فى قـوله تعـالى «أيهـم أشد علـى الرحمـن عتيا» هـو النبو عـن الطاعـة، وهو الافتراء.

ثانيا : التفســـير:

يتصور أن يكون القول فى الآية فى الكافريـن، فيكون المراد بالشيعة هم أصحاب العقيدة الواحدة من الشيع الباطلة للكافرين ومنهم منكرو البعث.

ويتصور أن يكون المراد بها هو الأمة، أو أصحاب كل ملة وكل دين.

ومعنى القول أنـه تعالى يستخرج بعـد الحشر من كل طائفـة من طوائف الكافـرين أو من أصحاب العقائد والملـل أن يستخرج مفرزا أكثرهـم عصيانا له تعالـى، ثم الذين يلـونهم فى العصيان، أو إنه تعالى يبدأ باستخراج رؤسائهم والمتبوعين فى الكفر والعصيان والافتراء عليه تعالى، فالذين يلونهم فى هذا، وهكذا الأشد فالأشد .

﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾﴾

التفســـير:

مفاد قـوله تعالى ــ فى الآية ــ أنه بعد أن ينزع مستخـرجا من كـل شيعة أكثرهم عصيـانا وافتراء فمن يلونهم فـى هذا يكون ذلك منه تعالى تمهيدا لإصلائهم بنـار جهنم على الترتيب الموافق علمـه تعالى بتسلسلهم منـدرجين متدرجين فـى سلك العصيان، ليكون إصـلاؤهم جهنم أو إنزالهم دركاتها وفقا لهذا المعلوم له تعالى .

﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾﴾

أولا : الأســـماء :

الـــــوارد: فى قوله تعالى «وما منكم إلا واردها» هو الداخل، على ما جاء بقوله تعالى فى فرعون «يقدم قومه يوم القيامة فأوردهم النار وبئس الورد المورود» .

ثانيا : التفســـير:

يتصور ـ فـى الآية ـ أن يكون الخطـاب موجها إلى الكافـرين، فيكون المعنى أنـه ما من كافر إلا وهو داخل جهنم يصلى نارها. ويتصـو رأن يكون موجها إلى عموم الناس فيكون معنى ورود المؤمنين إياها أنهـم يدخلونها إلا أنها تكون عليهم بردا وسلامـا قبل أن ينجى الله الذين اتقوا، أو يكون هو المرور على الصراط الموضـوع على متنها، فيكون المعنى أن ورود المؤمنين النار يكون بالمرور على الجسر بين ظهريها، وأن ورود الكافرين إياها يكون بدخولها.

وقولـه تعالى «كـان على ربـك حتما مقضيا» متعلـق بورود النار يـذكر تعـالى أن له منـزلة الواجب المحتم وقوعه، المقضى به من لدنه تعالى باعتباره محل القسم .

﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾

التفســـير:

قد يكون قوله تعالى ـ فى الآية ـ مفيدا أن المراد بورود النار هو دخولها، بمعنى أنه يدخلها جميع الخلق فتكون بردا وسلاما على الذين قدر تعالى أن ينجيهم منها، يـدل على هذا قوله «ونذر الظـالمين فيهـا جثيا» والمعنى أنـه تعالى يتـركهم فيهـا على حالهـم من البـروك على الركب.

ويقبل المعنى ـ مـع هذا ـ أن يكون حال الجميع مـن مؤمنين وكافرين فـى مبتدأ الأمر هو الجثو حـول النار ثم يكون منـه تعالى إنجاء المتقيـن بإبعادهم عنهـا، ويكون منه تعالـى ترك الكافرين على حالهم من الجثو حولها إلى أن يلقوا فيها .

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ۝٧٣﴾

أولا : الأســـماء :

النـــدى : فى قوله تعالى «وأحسن نديـا» هو المجلس والمجتمع الذى يجتمع فيه الناس يتنادمون ويتسامرون .

ثانيا : التفســـير :

يذكر تعـالى ـ فى الآية ــ ما يكون عليه الكافـرون حين تتلى عليهم آيات الله تعـالى التى تصفهم بالشرك وتذكـر إنكار بعضهم البعث، وتتوعدهم بالعذاب، وتظهر مـا يكون من أمرهم يوم الحشر وجمعهم حـول جهنم جثيا، وهى الآيات البينات الواضحـة المعانى والدلالات ، المعجزة نظما و إنشاء مما لا ينكر معه عاقل أنها ليست قول بشر.

فيقول تعالى إن الكافـرين يقولون للذين آمنوا بما أنزل الله على رسـوله «أى الفريقين خير مقاما وأحســن نديا» والمعنى أنهـم يكذبون ما سمعوا مـن الآيات المنزلة فيهـم، ويستدلون على ذلـك ببيان الفـرق بين حـالهم فـى دنياهـم وحال المـؤمنين بـآيات الله، فيكـون المراد باستفهـامهم هـو إظهار أن مقـامهم ـ يـدخل فيـه أماكن معيشتهـم ومكانتهـم ومنزلتهـم فى المجتمع ـ أفضل من مقـام المؤمنين ـ بذات المعنى ـ وأن مجتمعاتهم التـى يردونها بما فيها من متع وبمن يدخلها من الرفاق هى أفضل من المجتمعات التى يؤمها المؤمنون .

فيكون المراد إظهاره هو ارتفاع قدرهم عند الله على قدر المؤمنين، بدعوى أنه لو كان تعالى يفضل المؤمنين عليهم لكان قد أصلح حالهم بما يجعلهم أفضل منهم. فيكون قول الكافرين تعبيرا عن كفرهم بالآيات البينات وتكذيبا لما جاء بها عن أخبارهم .

وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا ﴿٧٤﴾

أولا : الأسـماء :

١ ـ **الأثـاث** : جمع ، مفرده «أثاثة» وهو متاع البيوت من الفرش والثياب وغيرها .

٢ ـ **الرئيـا** : هو المنظر، أو ما يرى من الشيء .

ثانيا : التفسـير:

قوله تعالى ـ في الآية ـ بيان لفساد الدليل الذى استدل به الكافرون على تفضيل الله إياهم على المؤمنين، وبيان فساد دليلهم جاء بذكر دليل مستمد من الواقع وهو أنه كان فى الأمم السابقة من كان مقامهم خيرا من مكان الكافرين، وكانت بيوتهم أفضل أثاثا من بيوتهم، كما كانت منتدياتهم أفضل من منتدياتهم وكان روادها أفضل منهم منظرا ومظهرا لما تمتعوا به من الثياب ومظاهر الزينة، ثم كان منه تعالى إهلاكهم بظلمهم وكفرهم، مما مفاده أن إنعامه عليهم بما أنعم لم يكن تعبيرا عن تفضيله إياهم على مؤمنى زمانهم، بدلالة إهلاكهم بالعقاب وإنجاء المؤمنين. فيكون القول ـ بهذا المعنى ـ دحضا لما اعتقد الكافرون أنه حجة لهم على المؤمنين .

قُلْ مَن كَانَ فِي ٱلضَّلَٰلَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ
ٱلرَّحْمَٰنُ مَدًّا حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْا۟ مَا يُوعَدُونَ إِمَّا ٱلْعَذَابَ وَإِمَّا ٱلسَّاعَةَ
فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا ﴿٧٥﴾

التفسير :

قوله تعالى - في الآية - أمر إلى رسوله ﷺ أن يقول للمكذبين بآيات الله تعالى في القرآن العظيم التي نزلت فيهم مدللين على كذبها بباطلهم بما تنعموا به في حياتهم الدنيا وتباهوا به على المؤمنين ، أن «من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا» والقول يشير إلى أنهم سادرون في الضلال وأنهم غافلون عن الحق. وأنهم قد أمهلهم الرحمن ومنحهم طول العمر أمد لهم فيه، كما أعطاهم المال وأرباه لهم، مما قد يكون من قبيل الاستدراج ليزدادوا إثما فيحق عليهم العذاب على ما يبينه قوله تعالى «حتى إذا رأوا ما يوعدون إما العذاب و إما الساعة» .

والقول يبين أن غاية المد هي رؤيتهم العذاب الذي توعدهم الله به، قد يكون هو عذاب الدنيا بانتصار المؤمنين عليهم وقتل رؤسائهم وغنمهم أموالهم، وقد يكون عذاب يوم القيامة أو معاينتهم العذاب حين قبض أرواحهم.

يكون منهم وقتئذ العلم الصحيح بأنهم كانوا شر الفريقين مكانا بمعنى أنهم كانوا أصحاب المقام الحقير والمنزلة الدنية وأنهم كانوا الأضعف أنصارا. والمعنى هو أن أصحابهم في منتدياتهم كانوا محض وهم وخيال، وأن المؤمنين كانوا هم أصحاب المقام الأعلى وأن جمعهم كان الأكرم على الله تعالى .

﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى ۗ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَّرَدًّا ۝٧٦﴾

أولا : الأسماء :

المرد : في قوله تعالى «وخير مردا» هو المرجع والعاقبة .

ثانيا : التفسير :

بعد أن بين تعالى أنه يمد للكافرين المكذبين فى أعمارهم ويربى أموالهم ليزدادوا إثما يعاقبون به، فإنه تعالى - فى المقابل - أثبت أنه يزيد للمؤمنين الذين اهتدوا فى إيمانهم وهداهم ليزيدهم ثوابا وفضلا، فيكون القول متعلقا ببيان أى الفريقين أكرم عند الله .

وقوله تعالى «والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير مردا» هو بيان لأن إيمان المؤمنين وعملهم به هو الباقى غير الزائل، بخلاف ما تنعم به الكافرون فى دنياهم فهو إلى زوال، إذ يكون لإيمان المؤمنين وهداهم وعملهم الصالح ثواب لهم عند ربهم، ويكون لهم به عند رجوعهم إليه تعالى خير العاقبة والمآل.

والمعنى المتضمن أن نعيم الدنيا للكافرين يكون سببا لسوء عاقبتهم فى الآخرة لأنهم كفروا النعمة وازدادوا بها إثما .

أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾

أولا : الأسماء والأعلام :

الذى كفر بآياتنا : قيل هو العاصى بن وائل، وقيل هو الوليد بن المغيرة، كان عليه دين لأحد المؤمنين فلما طلبه قال له مستهزئا أعطيك إياه يوم أبعث إذ يكون لى المال والولد كما أنهما لى فى الدنيا .

ثانيا : التفسير :

الخطاب - فى الآية - إلى رسول الله ﷺ، وهو فى شأن أحد الكافرين منكرى البعث. والقول - فى الآية - استفهام أريد به التعجيب من حال ذلك الكافر التى عبر عنها قوله الشنيع مستهزئا بالبعث، إنه يوم يبعث سيؤتى من الله المال والولد اللذين كانا له فى حياته الدنيا .

أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾

التفسير:

قوله تعالى - فى الآية - فى هذا الكافر الذى سخر من البعث فتجرأ بقوله إنه إذا ما بعث فى الآخرة فإنه يكون له فيها المال والولد. يرد عليه تعالى قوله ويثبت بطلانه بعبارة الآية وهى فى صيغة استفهام أريد به إنكار وجود سبب لما يدعيه، فهو بالقطع لم يطلع على الغيب الذى استأثر تعالى ذاته بالعلم به، ثم إنه لم يتخذ موثقا من الله تعالى أنه يبعثه يوم القيامة بالمال والولد، كما أنه لم ينطق بشهادة ألا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله تكون عهدا يرجو بها الجنة وفيها المال والولد منة منه تعالى .

كَلَّا سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾

التفسير:

قوله تعالى لايزال فى هذا الكافر الذى ادعى أنه إذا بعث يوم القيامة فإنه يبعث بالمال والولد. يقول تعالى «كلا» بمعنى لا، ليس الأمر كما يقول.

ثم يبين تعالى أن قوله هذا تدونه الملائكة الكتبة ليجازى به يوم القيامة، وفيه يمد له من العذاب مدا بمعنى أنه يزاد له فى العذاب ويضاعف .

وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا ﴿٨٠﴾

أولا : الأسماء :

ما يقول : المراد به - فى معنى الآية - هو المال والولد .

ثانيا : التفســـير :

مفاد قوله تعـالى هو أن هذا الكفار سيسلب بمـوته ماله وولده يعودان لله تعـالى كما يؤول الإرث للوارث، ثم يكون رجوعه إلى الله تعالى يوم القيامة متجردا من المال ومن الولد، ثم إنه لا يعطى من خير الجنـة ما يعطاه المؤمن فيها مـن رؤية من يحب من الولـد والتمتع بخيرات الجنة، فيكون حاله هو الانفراد بنفسه عاريا من المال متجردا من الولد، بخلاف ما زعم .

وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾

أولا : الأســـماء :

العـــــز: فى قوله تعالى «ليكونوا لهم عزا» وهو ما يتعزر به ويتقوى. والمراد به ـ فى معنى الآية ـ ما يكون صلة بين المشرك وبين الله أو شفيعا له عند الله تعالى .

ثانيا : التفســـير :

قوله تعـالى ـ فى الآية ـ فـى المشركين الذين عبدوا الأصنـام، يذكر تعالى جنايتهـم بأنها اتخاذ معبـوداتهم مـن دونه تعـالى لتكـون لهم وسيلـة يتعززون بهـا عند الله تعـالى فيجيـب دعاءهم، أو لتكون شفعاء لهم عنده تعالى ينالون عن طريقهم ثواب الآخرة .

كَلَّاۚ سَيَكۡفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمۡ وَيَكُونُونَ عَلَيۡهِمۡ ضِدًّا ﴿٨٢﴾

التفســـير :

مفاد قوله تعالى «كلا» هو إنكار اعتقاد المشـركين فى معبوداتهم أنها تكون لهم عزا، أتبعه تعـالى ببيـان أن هذه المعبـودات ستكفر بعبـادة المشركيـن إياهـا يوم القيـامة، إذ ينطـق الله الأصنام، فيقول مـع من عبد من المـلائكة ومن البشر أن المشركيـن ما كانوا إيـاهم يعبدون،

فيكون الأمر منهم عكس ما قاله المشركون وضده من أنهم يكونون لهم عزا، إذ تكون شهادتهم ضد المشركين وليست لهم .

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا ﴿٨٣﴾﴾

أولا : الأسماء :

الأز: فى قوله تعالى «تؤزهم أزا» هو شدة الإزعاج، والمراد به هو التهييج الحاصل نتيجة وسوسة الشياطين .

ثانيا : التفسير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ بمثابة تذييل لما سبق ذكره من فعال الكافرين والمشركين ومن أقوالهم مما يثير التعجب، والخطاب فيه لرسول الله ﷺ وهو من قبيل تسليته ببيان أن مرجع صدور هذه الأفعال والأقوال المنافية العقل من الكافرين والمشركين مرجعه ما كان منه تعالى إذ قيض الشياطين وجعلهم قرناء للكافرين مسلطين عليهم لإغوائهم وإضلالهم، فيكون من الشياطين معهم تهييج نفوسهم على العصيان وعلى قول الباطل بالوسوسة والتزيين. فيكون المراد إظهاره هو أن هذا هو حال الكافرين المذكورة فعالهم فى الآيات .

﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا ﴿٨٤﴾﴾

التفسير:

الخطاب ـ فى الآية ـ إلى رسول الله ﷺ، يأمره ربه ألا يتعجل إنزال عذاب الله الدنيوى بهم، ويخبره أنه تعالى يعد عليهم أنفاسهم، فيكون القول كناية عن أنهم ميتون بعد وقت قصير فيلقون عذابهم، أو إنه تعالى يعد عليهم أفعالهم وأقوالهم التى بها يكون عذابهم .

﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ۝٨٥﴾

أولا : الأســـماء :

الــوفد : في قوله تعالـى «إلى الرحمن وفدا» جمع، مفرده «وافد» وهـو من يفد على غيره، وخص به من يفـد على ملك أو كبير. وقيل إن المراد بـه في معنى الآية هو «الركـب» قولا بأن أهل الجنة يستقبلون بنوق بيض من نوق الجنة يركبونها إلى باب الجنة.

ثانيا : التفســير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ فى المؤمنين المتقين وما يكون لهم وقت الحشر، يذكر تعالى أنهم يحشرون إلـى الرحمن وفى نعتـه تعالى ذاتـه بأنه الرحمـن إشارة إلى أنـه يؤتى بهم إلـى من يرحمهم، ثم أخبـر تعالى أنهم يحشرون إليه راكبين ــ على قول ـ أو وافدين مكـرمين إلى من سيرحمهم فى أخراهم كما رحمهم فى دنياهم.

﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ۝٨٦﴾

أولا : الأســـماء :

الــــورد : هو ــ في الأصـل ـ الماء الـذى ترده البهـائم للشرب. وجاء التعبيـر به مـن قبيل التعبير بالمصدر عن الفاعل أو الفعل، فيكون المـراد باللفظ فى معنى الآية هو العطش بمعنى العطاش.

ثانيا : التفســير:

الآية فى الكـافرين المذكورة أوصـافهم وأفعالهم فى الآيات الـسابقة ذكرهم تعالـى ـ فى النص ـ بأنهم المجرمون لبيان مدى جسامة أفعـالهم وأقوالهم واعتبارها من الجرائم فى حق الله وحق أنفسهم والمؤمنين، ثم جاء الفعل «نسوق» لبيان ما يكون لهم عند الحشر من إذلال

يسوقهم إلى جهنم كما تساق الأنعام والبهائم، ليكـون ظاهرا الفرق بين أسلوب توجيههم إلى العذاب وتوجيه المتقين إلى الجنة، كما جاء بيان الجهة التى يساقون إليها وهى جهنم مقابلا لما سبق بيـانه من أن المتقين يحشـرون إلى رحمة ربهم ونعيمـه، أضيف إلى هذا بيـان أنهم يساقون إلى جهنم عطاشا ليشربوا فيها الصديد الذى يشوى الوجوه .

لَّا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾

أولا : الأســــماء :

العهــــد : قيل إن المراد به ــ فى معنى الآية ـ هو حفظ كتـاب الله، وقيل هو الأمر والإذن، وقيل هو الإيمان .

ثانيا : التفســـير:

يقبل القـول أن يكون الذين لا يملكـون الشفاعة ــ فى الأصل ــ هم عموم الناس مـؤمنين وكافريـن، بمعنى أنهم لا يملكون فـى يوم الحشر أن يشفعوا لأحـد من الخلق، ثم يكـون قوله «إلا من اتخذ عند الرحمن عهدا» إيرادا لاستثناء مضمـونه أنه يكون للمسلمين فى ذلك اليوم هذا العهـد أو الشفاعة أو أنه يكـون لمن أذن الله له منهم فـى الشفاعة ، فيكون هـذا الإذن هو العهـد ـ فـى معنـى الآية ــ ويتصـور أن يكون المقصـودون بـأنهم لا يملكـون الشفـاعة هـم الكافرين، ويكون المقصـود بأهل الشفاعة هم المؤمنين فيكـون الاستثناء استثناء للشىء من غيـر جنسه . ويكـون علـى الحاليـن أهـل الشفاعـة هـم المسلمين أو المـأذونيـن منهم فـى الشفاعة.

وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ﴿٨٨﴾

التفســـير:

القول ـ فـى الآية ـ متعلق بفئة من المجـرمين المتحدث عنهم فى الآيات السـابقة، وهم

الذين قالوا إنه تعـالى اتخذ ولدا. يدخل فيهم من قال من اليهود إنه تعـالى اتخذ عزيرا ولدا، والقائلون من النصـارى أنه تعالى اتخذ المسيح ولـدا، والقائلون من العرب إنه تعـالى اتخذ الملائكة بناتا. والمراد من القول هو بيان مدى شناعة القول وبعده عن الحق .

لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ﴿٨٩﴾

التفســـير:

قوله تعـالى رد على القائلين إنـه تعالى اتخذ ولـدا، وفيه وجه الخطاب إلى القـائلين، ثم أوضح تعالى أنهم قد ارتكبوا بقولهم ذنبا عظيما ينكره العقل وينكره الدين .

تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾

التفســـير:

قوله تعالى ـ فـى الآية ـ فى بيان مدى جسامة ما ينطوى عليه الزعـم أنه تعالى اتخذ ولدا من جرم عظيم حتى إنه يكاد أن تقوم به القيامـة، وهذا على ما يستنتج من ذكر مقاربة حدوث مظاهـرها لدى سماع هـذا القول، ومعنى القـول هو أن شناعـة هذا الادعاء توشـك أن تجعل السماء تنفطر مـن هوله، والمعنى أنها تتشقـق طولا وأن يجعل الأرض تنشق، وفـى القول جاء الفعل «يتفطرن» دالا على قـوة السماوات وكونها متعددة، مما مفاده أنهـا أشد من الأرض قوة ومتانة، كما أن من شأنه أن توشك الجبال أن تسقـط وتنهد هدا. والقول ـ بهذا المعنى ـ يدل على أن الشـرك تفزع له السمـاوات والأرض والجبال وجميع الخلق فيمـا عدا المشركيـن من الإنس والجـن، فيكون دالا على أنهم قـد جبلوا على سوء نفـس أشد من صلابـة السماوات والأرض والجبال .

■■■■■

أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾

التفسير:

القول هو بيان للعلة التى جعلت السماوات يتفطرن والأرض تنشق والجبال تنهد هدا وهى قول المشركين إنه تعالى اتخذ ولدا. فيكون القول ـ فى الآية ـ بتقدير لام التعليل المحذوفة.

وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ﴿٩٢﴾

التفسير:

مفاد قوله تعالى ـ فى الآية ـ هو نفى تصور أن يكون له تعالى الولد. وقد يكون بيان ذلك أن اتخاذ الولد يستوجب اتحاد الجنس وليس له تعالى شبيه، وأنه يقتضى المماثلة بمعنى أن يكون للوالد والد وهذا ليس من شأنه تعالى. فيكون القول مظهرا مدى جهل القائلين باتخاذه تعالى الولد وضلالهم.

إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾

التفسير:

مفاد قوله تعالى ـ فى الآية ـ أنه ما من مخلوق فى السماوات والأرض من الملائكة والإنس والجن إلا وشأنه أنه يأتى الرحمن يوم القيامة عند الحشر طامعا فى رحمته ـ على ما يبين من وصفه تعالى ذاته بالرحمن ـ وأنه يأتيه عبدا طائعا مقرا بعبوديته لا يدعى ألوهية ولا نبوة.

لَّقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾

التفســـير:

القول فى بيان مدى سيطـرته تعالى على العباد جميعهم مما لايتصـور معه أن يكون منهم إله أو ابـن له، فهو تعالـى قد أحاط بهـم أفرادا معدوديـن علما، فجميعهم فى قبضتـه وتحت سلطانـه، كما أنه عد أشخـاصهم وأفعالهم وأنفـاسهم، فلا تخفى عليـه من شئونهم خـافية. والمعنى أنه سيدهم وربهم ومولاهم، وأنهم جميعا مملوكين له .

﴿وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا ٩٥﴾

التفســـير:

مفاد قوله تعالى ـ فى الآية ـ هو بيان احتياج جميع الخلق إليه تعالى يوم القيامة طمعا فى رحمته، مما لايتصور معـه أن يكون أحدهم إله أو ابن إلـه . ففى هذا اليوم يأتى كـل واحد من أهل السماوات وأهل الأرض، من المعبـودين والعابدين منفردا ليس له أتبـاع ولا أنصار، يأتى طامعا فى رحمة الله، وهذا لايكون إلا من العبيد والعباد .

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ٩٦﴾

أولا : الأســـماء :

الـــودُّ: هو المودة تكون فى القلب .

ثانيا : التفســـير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ وعد للمؤمنيـن الذين عملوا الصالحات أن يجعل لهم فى القلوب مودة وحبا، ويتصور أن تكون هذه المودة فى القلوب فى الدنيا، فيكون منها الود الذي كان فى قلوب أهل الحبشة للـذدين هاجروا من المسلمين الأوائل إليها. ويكون منهـا الود الذى حل

فى قلوب أهل المـدينة للمهاجرين الذين عـانوا كراهية المشركين إيـاهم، ويتصور أن تكون هذه المودة فـى الآخرة حين يكثر النزاع بين الكـافرين وحين يتبرأون بعضهم مـن بعض وتتبرأ المعبودات من عـابديها، ويكون الود والوئام بيـن أهل الجنة. كما يتصور أن تكون فـى الدنيا والآخرة .

﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا ﴿٩٧﴾﴾

أولا : الأســـماء :

اللـــد : فى قولـه تعالى «وتنذربه قومـا لدا» جمع، مفرده «الألد» ، وهو الخصـم الشديد الإباء والرفض وهو المجادل بالباطل .

ثانيا : التفســير:

الخطاب ــ فى الآية ــ إلـى رسول الله ﷺ، وهو فـى بيان ما كلـف به ووسيلته فى إنفـاذ ما كلف به. فيـذكر تعالى أنه آتـاه الوسيلة التى تؤدى إلـى إيمان من يتبع أحسن القـول، فيذكر تعالى أنه يسر على قوه ﷺ فهم القرآن العظيم وتـدبره باعتبارهم أول من دعوا إلى الإيمان به، وذلك بنزوله بلسانه ﷺ العربى الذى يفهمونه ويعرفونه . ثم إنه تعالى بين مهمته ﷺ مع قومه وهى التبشير بالقرآن العظيـم والإنذار به، ثم إنه تعالى بين أن البشارة بـالخير تكون للصائرين إلى التقـوى بإيمانهـم بالقرآن العظيـم، وأن الإنذار يكـون للمعانديـن ذوى اللجاجة الـذين يدافعون عن الباطل بالباطل فلا يؤمنون .

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴿٩٨﴾﴾

أولا : الأســـماء :

الركـــز: فى قوله تعالى «أو تسمع لهم ركزا» هو الصوت الخفى .

ثانيا : التفســـير :

الخطاب ـ فـى الآية ـ إلى رسول الله ﷺ، تضمن وعيـدا للكافرين عنادا مـن أنفسهم بما يفهم منه أنه حث لرسول الله ﷺ على الاستمرار على إنذار الـذين لم يؤمنوا وقوله تعالى «وكم أهلكنا قبلهم من قـرن» هو وعيد للكافرين عنـادا من أنفسهم بإهلاكهم، وذلـك بالإشارة إلى سبق إهلاكه تعالى من سبقوهم ممن ماثلوهم فى الكفر.

وقوله تعالى «هـل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا» هو استفهـام أريد به نفى وجود أثر يحس به أو يستشعر لأحـد من أهل الأمم المهلكة أو بقاء صوت خفى فـى أماكنهم يستدل به على بقاء حياة أحدهم، والمعنى هو تحقق هلاكهم بعذاب الدنيا الذى أنزله بهم ربهم .

وعلى هذا يمكن القـول أنه تعالى ـ فى ختـام السورة ـ قد أنذر المكذبيـن بالقرآن العظيم الذى تلى عليهم قصص الأنبياء والرسل المكرمين، كما أنذر المستمرين على قول غير الحق فى الأنبياء والمرسلين .

■■■■

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير ســـــورة طه

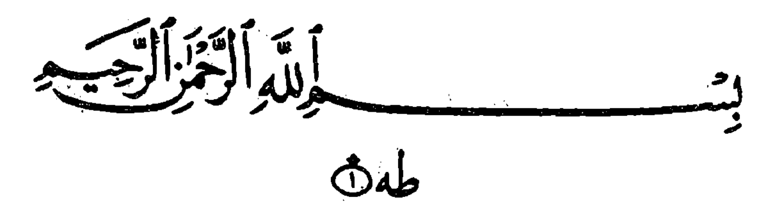
فى بيان أوجه الصلة بين السورة وبين سابقتها فى ترتيب المصحف «سورة مريم» :

١ ـ افتتحت السورة بالأحرف كما افتتحت سورة مريم بالأحرف أو بأسماء الأحرف .

٢ ـ روى أن السورة نزلت بعد سورة مريم .

٣ ـ ذكـر تعالـى ـ فى سـورة مريم ـــ قصص عـدد من الأنبياء، جـاء البعض منهـا مفصلا مبسوطا مثل قصة زكريا، ويحيى، وعيسـى عليهم السلام. وجاء البعض بين البسط والإيجاز،

وجاء بعض آخـر موجزا غايـة الإيجاز ومنه قصة مـوسى عليه السلام. ثـم إنه تعالى أشـار في سورة مريـم إلى بقية الأنبياء فـي إجمال. وفي السورة شرح تعـالى قصة موسـى عليه السلام التي أوجزها في سورة مريم، كما أنه أشار إلى تفصيل قصة آدم عليه السلام الذي اكتفى بذكر اسمه في سورة مريم .



طه ①

التفسـير:

قيل إن معنـى اللفظ هو «يا رجـل» بلغة «عك» وقيل «عكـل» ، وقيل هو بهذا المعنـى في السريانية. وقيل في النبطية، وقيل في الحبشيـة، وقيل إنه وإن كان بهذا المعنى في لغة أخرى فإنه كذلك أيضا في لغة العرب، وقيل هو اسم علم سمى الله به محمدا ﷺ، وقيل هو اسم من أسماء الله تعـالى، وقيـل هو قسـم أقسم بـه، وقيل هـو اسم للسـورة، وقيل إنـه من الحـروف المقطعة، وقيل هو من الأسرار لا يعرف معناه إلا الله تعالى .

مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ②

التفسـير:

مفاد قـوله تعالى ـ في الآية ـ أنه تعالى لـم ينزل القرآن علـى رسوله ﷺ ـ المخـاطب ـ بالقـول ليكون سببا لتعبـه وشقائه. ويحتمل المعنـى أن يكون المراد بـالشقاء الذي يبيـن من عبـارة النص أن رسـول الله ﷺ كان مـا يكابـده هو تعبـه فـي مجادلـة المشركيـن والرد علـى دعاويهم الباطلة. والتأسف لعدم إيمانهم، ويحتمل أن يكون تعبه ﷺ من الزيادة في العبادة على النحو الذي قال له ﷺ أبـو جهل إنه ترك دين آبائه لكي يرهق نفسه بـالعبادة على ما في

الإسلام، فجاء القول ليكون ـ على المعنى الأول ـ نهيا عن إجهاد النفس في مجادلة المشركين وعن الإفراط في الحزن على عدم إيمانهم، وليكون ـ على المعنى الثاني ـ نهيا عن إنهاك النفس في العبادة إلى درجة فوق المشقة الشديدة .

إِلَّا تَذْكِرَةً لِّمَن يَخْشَىٰ ﴿٣﴾

التفسير:

معنى القول هو «ما أنزلنا عليك القرآن إلا تذكرة لمن يخشى، ولئلا تشقى» فيكون القول منصوبا على المفعول لأجله بمعنى «ما أنزلناه ، تنزيلا إلا تذكرة»، فيكون القرآن تذكيرا لمن من شأنه أن يخشى الله تعالى تأثرا بالإنذار، أو لمن علم تعالى أنه يخشاه بمجرد إنذاره .

تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى ﴿٤﴾

التفسير:

جملة الآية مقررة لما قبلها وموضحة ـ والمعنى هو إن القرآن نزل تنزيلا ممن خلق الأرض والسماوات العلى، ويلاحظ أن ذكر الأرض قبل ذكر السماوات لا يفيد معنى سبق خلق السماوات خلق الأرض، ذلك أن من آيات القرآن العظيم ما يشير إلى خلق السماوات والأرض مثل قوله تعالى في الآية ٥٤ من سورة الأعراف، ومنها ما يذكر الأرض قبل السماوات مثل الآيات من ٩ إلى ١٢ من سورة «فصلت». وقد يكون في هذا ـ والله أعلم ـ إشارة إلى تداخل فترات خلق السماوات والأرض في بعضها ومصاحبة كل منهما الأخرى، وذلك مع ملاحظة أنه حتى اليوم يتم خلق نجوم جديدة في الكون.

ومفاد القول هو خلقه تعالى الأرض والسماوات وجميع من فيهن وما فيهن. ثم إنه تعالى وصف السماوات بأنها العلى لبيان أنها كل ما يعلو الموجودين على الأرض، أو ما يشاهدونه

عاليـا من قبة زرقـاء ونجوم وكواكـب وشمس وقمر وما هـو أعلى من هـذا مما لا يشاهـدونه، والمراد بهذا إظهـار عظم منزل القرآن على رسـوله ﷺ بما يستتبع عظم القـرآن وعظم المنزل عليه، فيكـون القول ــ فى المقابـل ـ مظهرا دونيـة المكذبيـن بالقرآن، ومستميـلا إياهـم إلى التذكر والإيمان .

ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥

التفســـير:

يتصور فى لفظ «الرحمن» أن يكون منصوبا علـى المدح ـ بمعنى أمدح الرحمن، ويتصور أن يكون مرفوعـا لكونه خبرا لمبتدأ محذوف ــ بمعنى هو الرحمن ـ ويتصـور أن يكون مجرورا لكونه صفة لـ «من» فى «ممن».

وفى القول أخبـر تعالى عن «الرحمن» أنـه على العرش استوى، وقد سبق بيـان معنى هذا. ومنه ما قيل من أن العـرش هو سرير ذو قوائم، له حملة من الملائكـة، هو فوق السماوات مثل القبة. وقيـل إن العرش كناية عـن الملك والسلطان، ورد على هـذا بأنه يـدحضه قوله تعـالى «ويحمل عرش ربك فوقهـم يومئذ ثمانية». والمراد بالاستواء هـو الاستيلاء، وإن يكن بمعنى بعيد عن التشبيه والتجسيم .

لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ ٱلثَّرَىٰ ۝٦

أولا : الأســـماء :

الثـــرى : هو التـراب الندى، وقيل إن المـراد به هو ما تحـت الأرض السابعة. وقـد يكون المراد به ـ والله أعلم ـ هو كل ما تحت سطح الأرض إلى مركزها .

ثانيا: التفســـير:

جملة الآية خبرية المبتدأ فيها هو «ما في السماوات...»، و«لله» خبر مقدم، والمعنى أن جميع ما في السماوات وما في الأرض من عقلاء هم عبيد مملوكون له تعالى، وأن جميع ما فيهن خاضع لتصرفه تعالى مسير، وأن الأمر كذلك لكل الموجودات من أحياء وجمادات فيما هو موجود بين السماء والأرض سواء أكان داخل الغلاف الجوى للأرض أم خارجه، كما أن جميع الموجودات تحت سطح الأرض هي من مملوكاته تعالى هو وحده صاحب الأمر في إيجادها وعدمها وتغيير أوصافها، ليس لغيره شيء فيها إلا بإذنه .

وَإِن تَجۡهَرۡ بِٱلۡقَوۡلِ فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى ٧

التفســـير:

بعد أن ذكر تعالى ما يفيد ملكيته كل ما هو في السماوات وفي الأرض وما بينهما، بما يفيد ـ ضرورة ـ إحاطته بجميع أحوالها، فإنه تعالى يخبر في الآية عن إحاطته بجميع أمور الإنسان، فالخطاب في الآية ظاهره أنه لرسول الله ﷺ، والمراد به أمته، أو جميع الناس، والمعنى أنه تعالى يعلم ـ حين يرفع الإنسان صوته بالقول ـ ما يكون قد أسر به لحميم، كما يعلم ما أخفاه في نفسه فلم يخبر به علنا ولا سرا. والقول ـ بهذا المعنى دافع لأن يراعى الإنسان ربه في قوله المعلن، وفيما يسر به، وأن يجاهد نفسه فلا يضمر في نفسه السوء، وأن يتجنب المراءاة فيكون فعله موافقا نيته .

ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ ٨

التفســـير:

يتصور في لفظ الجلالة أن يكون مبتدأ. ويتصور أن يكون خبرا لمبتدأ محذوف بمعنى هو «الله» ثم جاء ما بعده خبرا ثانيا.

وفى القول وحد سبحانه وتعالى نفسه وبين أن الموصوف بالصفات الجليلة المذكورة آنفا هو الله، ونفى الألوهية عن غيره .

وقوله تعالى «له الأسماء الحسنى» يظهر أنه مع وحدته تعالى وانفراده بالألوهية فإنه تتعدد أسماؤه وتتعدد صفاته، وأن جميعها صفات حسنى .

وقيل ـ فى مناسبة نزول الآية ـ أن أبا جهل قال للوليد بن المغيرة ـ لما سمع رسول الله ﷺ يدعو الرحمن ـ «إن محمدا ينهانا عن الشرك وهو يدعو لله ويدعو للرحمن» فنزل قوله تعالى «قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن»، ثم قوله تعالى «الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى» .

وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَىٰ ﴿٩﴾

التفســـير:

الخطاب فى الآية إلى رسول الله ﷺ، والاستفهام فى عبارة الآية أريد به الإثبات وإيجاب المعنى أى: «قد أتاك» يستوى فى هذا أن يكون حديث موسى قد تم إخباره به ﷺ من قبل أم أنه مخبر به فيما هو آت من القول .

وقد يكون المراد بإيراد قصة موسى عليه السلام هو إظهار ـ معاناة جميع الرسل من عناد أقوامهم وصبرهم على المعاناة فى سبيل إبلاغ الرسالة، وقد يكون المراد هو بيان أن التوحيد الذى انتهى إليه القول فى الآية السابقة كان جوهر رسالة موسى عليه السلام والرسل جميعا .

إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾

أولا : الأســـماء :

١ ـ **الأهـــل** : فى قوله تعالـى «فقال لأهله» قيل إن المراد به ـ فى معنـى الآية ـ هو زوج موسى عليه السلام، وقيل هو زوجه وولده وخادمه .

٢ ـ **القبس** : فى قوله تعالى «لعلى آتيكم منها بقبـس» هو الشعلة من النار تقتبس من النار على رأس عود أو ما شاكله .

ثانيا : التفســير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ شروع فى ذكر قصـة موسى عليه السلام من بعد خروجه من مدين بزوجه متجهـا إلى مصر. وقيل فى هـذا إنه ولد له ولد من امـرأته فى ليلة مظلمة وإنـه كان قد ضل الطريق وتفـرقت ماشيته، ثم إنه رأى نـارا من بعيد على يسار الطريـق، فطلب من زوجه الإقامة مكانها وعدم اتباعه أو الانتقال من مكانها «فقال لأهله امكثوا»، ثم إنه بين لزوجه علة طلبه منها البقاء مكانها فـأظهر أنه قد رأى بإنسان عينه نارا «إنى آنست نـارا» وفى إشارته إلى رؤية النـار بإنسان عينه مـا يفيد أنه أراد تأكيـد الحدث لزوجه حتـى لا تتردد فى تصديقـه، ثم أظهر أنه منتقل إلى مكان أن رأى النار وبين علة انتقـاله إليه بقوله «لعلى آتيكم منها بقبس أو أجد علـى النار هدى» والمعنـى أنه منتقل إلـى مكان النـار التى رآها لكـى يأتى منهـا بشعلة مقتبسة تكون معهـم أثناء تحركهم يستضيئـون بها، أو ليسترشد بهـا على طريقه إذ تضـىء له السبل عند مكانها فيهتدى إلى الطريق الصحيـح. وقيل إنه قصد أن يهتدى إلى عين ماء لأنه كان قد ضل عن الماء .

﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴾ ١١

التفســير:

مفاد قوله تعالى «فلما أتاها» أنه عليـه السلام ترك أهله بموضعهم واتجه صوب النار حتى

أتاها. وقيل إنها كانت نارا عظيمة تفور من ورق شجرة خضراء شديدة الخضرة، وأنه حاول أن يأخذ منها قبسا من لهبها بواسطة ضغث في يده فلم تعطه، وإنها كانت تميل نحوه فيبتعد خائفا حتى إنه قال «إنها نار ممتنعة لا يقتبس منها». وقيل إن ما كان بها لم يكن نارا بل نورا من نور الله جل وعلا ثم إنه يبين من النص أنه عليه السلام إنه ـ وهو عند الشجرة ـ نودي بقول «يا موسى».

﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ١٢﴾

أولا : الأسماء والأعلام :

١ ـ النعلان : في قوله تعالى «فاخلع نعليك» مثنى، مفرده «نعل» وهي واحدة ما ينتعل بمعنى يوضع في القدم ليكون به السير.

٢ ـ المقدس : هو المطهر، من القدس بمعنى الطهارة.

٣ ـ طوى : اسم علم للوادي، قيل في الوادي المسمى «طوى» إنه واد عميق مستدير مثل الطوي، وقيل هو بمعني «طوى» أي الشيء المثنى.

ثانيا : التفسير :

بعد أن ذكر تعالى أنه نودي على موسى عليه السلام باسمه، جاء قوله تعالى «إني أنا ربك» جاء فيه ذكر ضمير المتكلم لتأكيد الدلالة على أنه الله تعالى وإبعاد الشبهة عن أنه الشيطان مع استبعاد حضور الشيطان في ذلك الوادي المقدس وفي الحضرة الجليلة. ثم جاء أمره تعالى إلى موسى بخلع نعليه، وفيه قيل إن علة هذا أنهما كانا من جلد حمار ميت، وقد يكون سبب الأمر أنه تعالى أراد أن يلمس موسى بقدميه الأرض المباركة لتناله البركة، وقد يكون إبداء التواضع واتخاذ مظهر حسن الأدب، وقد يكون انعدام ما يخشى عليه من تدنيس القدمين مما يحتمي به بلبس النعال نظرا لطهارة الوادي.

ثم جاء قوله تعالى «إنك بالواد المقدس طوى» بمثابة تعليل للأمر بخلع النعلين، وهو

كونه عليه السلام فى وادى طوى المطهر من الدنس أو من الكافرين بما يستوجب أن يكون وقوفه عليه السلام فيه حافيا لسبب من الأسباب السابق ذكرها، أو لغيرها مما لا يعلمه إلا الله .

﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ ﴿١٣﴾﴾

التفسير:

القول لله تعالى، موجه إلى موسى عليه السلام، يخبره ربه أنه قد اصطفاه من قومه أو من الناس للنبوة والرسالة، ثم رتب على هذا نتيجة أمر بها، وهى الاستماع لما يوحى إليه من ربه، وذلك لكون الاستماع هو وسيلة العلم بما يكلف به ويؤمر، ثم إنه إظهار لأنه سيكون إعلامه عليه السلام بحدود التكليف عن طريق الوحى .

﴿إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿١٤﴾﴾

التفسير:

بعد أن أعلم رب العزة نبيه موسى عليه السلام أنه اختاره نبيا رسولا، وبعد أن أمره أن يستمع لما سيوحى به من ربه، فإنه تعالى خاطبه ـ فى ذات المقام ـ بأصل العقيدة أو بالتوحيد، فقوله تعالى «إننى أنا الله لا إله إلا أنا» هو إثبات الألوهية له تعالى ونفيها عن غيره، فالقول يتضمن عقيدة التوحيد .

وقوله تعالى «فاعبدنى وأقم الصلاة لذكرى» هو أمر بتسليم الوجه لله تعالى والانقياد له، وبه يكمل الإسلام بالمعنى العام، وبه تكون الحنيفية ملة أبيه إبراهيم. والقول أمر بإقامة الصلاة وهى ذكر لله تعالى ، يقيمها العبد لينشغل فيها بذكره تعالى عمن سواه.

﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾﴾

التفســـير:

بعد أن ذكـر تعالى أصل الـدين وهو تـوحيد الله وعدم الشـرك به، وبعد أن أتبع هـذا ببيان وجوب قرن التوحيد بالعبادة والذكر، جاء قوله تعـالى ـ في الآية ـ مبينا وجوب اقتران التوحيد والعبادة بالعمل الصالح :

فقوله تعالى «إن الساعة آتية» هو إخبار عن واقعة تأكد حدوثها على ما يبين من «إن» وهي واقعة مستقبلة هي القيامـة والحساب. وقوله تعالى عن الساعة أو القيـامة «أكاد أخفيها» قيل فيه إن معناه هـو «أكاد أظهرها» أي يقـرب منه تعالى أن يظهـرها . وقد يكون الصحيـح ـ والله أعلم ـ أن أمـره تعالى هو مقـاربة إخفاء أمرهـا تماما وعدم إظهـار شيء عنها، إلا أنه لمـا كان المراد من الدعوة عموما هو الإنذار فإنه تعالى أخبر أنه تكون هناك الساعة أو القيامة. ثم أخفى أمرها، كمـا أخفى عن الإنسان وقت مـوته ـ وهو قيامـة له ـ وذلك كي يعلـم الإنسان أن هناك قيامـة فيعمل على أن يكون مـن أهل الجنة، ثم ليكـون أمر وقتها ووقت مـوته خافيا عليـه فلا يؤخر التوبة .

وقوله تعالى «لتجزى كل نفس بما تسعى» مفاده أن ستر موعد موت المرء أو ستر موعد يوم القيامة عن الناس مـؤداه هو الاحتراز عن المعصية والعمل بالطاعـات عند أصحاب العقول، ولهذا فإنه في يوم القيـامة يجزى كل امرئ بما كان من عمله، فيثاب المـؤمن بعمله الصالح، ويعاقب الكافر بعمله بالمعاصي ولا يثاب بعمله الصالح في الآخرة. فالقول يفيد وجوب قرن إيمان المؤمن بعمله الصالح .

فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَنْ لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾

التفســـير:

القول ـ في الآيـة ـ من الله تعالى من جملة مـا خاطب به موسى عليـه السلام. وفي القول ينهاه ربه عن أن يصـد عن الساعة، والمراد هو أن يصـد عن ذكر الساعة ومراقبـة نفسه تحسبا

لها، ويقبل القـول أن يكون المراد هو الصلاة فيكون النهـى هو عن الانصداد عن إقـامتها، ثم إنه تعالى ذكر سببا فعالا يؤدى إلى الصد عن ذكـر الساعة والعمل لها أو عن الصلاة، هو التأثر بمن لا يـؤمن بها واتبع هـواه، وذلك لأنه لما كـان الكافر بالبعـث واليوم الآخر غير آخـذ نفسه بتجنب المعاصى وكان شأنه اتباع الهوى ونيل اللذات الحسية فإنه بفعله يغرى البعض على عدم التمسك بأوامـر الشرع ونواهيه لما فيها مـن قيود ترد على الشهوات بأنـواعها؛ ولهذا جاء قوله تعالى ـ مـن بعد ـ مبينا نتيجة التأثر بفعل غير المؤمن والانصـداد عن العمل ليوم القيامة بقولـه تعالى «فتـردى» بمعنى «فتهلـك» وذلك لأن عاقبـة العمل للدنيـا وإطراح الآخـرة هى الخسران المبين .

ولهذا فـإنه بملاحظـة أن المنهى عنه غير متصـور من موسـى عليه السلام وهـو المصطفى للنبوة والرسالة ، فإنـه يكون ـ مع توجيه الخطاب إليه عليه السلام ـ قد أريـد به الذين يؤمنون من قومـه ـ ثم إن القول بما تضمـن من نهى هو من النواهـى التى تدخل فى أحكـام الشريعة الإسلامية.

﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ١٧﴾

التفســـير:

بعد أن خاطب تعالـى موسى عليه السلام في شأن العقيدة والعمل بهـا بما يوافق الإيمان وحثه ـ مثالا يحتذى ـــ على العمل ليوم القيامة، فإنه شرع تعالـى فى التمهيد للتكليف، ولهذا يمكن القـول إن حديثه تعالـى معه كان بطريـق الوحى لتعلقه بـالتكليف ونفاذا لأمره تعـالى «فاستمع لما يوحى»، والذي أوحى إليه عليه السـلام هو قول ربه «وما تلك بيمينك يا موسى» وهو استفهام عن شىء مؤنث ـ لفظا ـ كان فـى يد موسى اليمنى هو «العصا» والمراد بالسؤال هو تقرير موسى عليه السلام بماهية ما فـي يمينه، والمستهدف منه هو إبداء آية له ليستوثق من اصطفائه نبيا ، لأنه تعالى يعلم حقيقة ما في يمينه .

قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّؤُا عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾

أولا: الأســـماء:

١ ـ العصـــا: فى قوله تعالى «قال هى عصاى» المراد بها ـ فى معنى الآية ـ هو عصا موسى عليه السلام، قيل كان يسميها عليه السلام «نبعة»، وقيل أخذها من بيت عصى الأنبياء، كانت عند شعيب آلت إليه من آدم وأعطاها موسى. وقيل كانت من شجر الآس، وقيل من العوسج.

٢ ـ المـــآرب: فى قوله تعالى «ولى فيها مآرب أخرى» جمع، مفرده «مأربة» وهى الحاجة.

ثانيا: التفســير:

يذكر تعالى ما أجاب به موسى عليه السلام على سؤال ربه عما بيمينه، فأخبر أنها عصاه، وفى القول أضاف العصا إلى نفسه، وقيل إنه تعالى عاتبه على هذا، وإن كان المعلوم أن نسبة المعجزات التى تمت بطريق العصا قد نسبت إليه عليه السلام مع كونها من الله مما لا يكون معه إضافة العصا إلى نفسه خطأ، مع كونها فى يمينه.

ثم أوضح عليه السلام مظاهر انتفاعه بالعصا، فذكر أنه يتوكأ عليها بمعنى أنه يتحامل عليها أثناء مشيه وأثناء وقوفه على رعاية غنمه، كما ذكر أنه يهش بها على غنمه، بمعنى أنه يميل بها على غنمه لتتجه فى سيرها إلى حيث يريد، أو أنه يزجرها بها.

ويقبل المعنى أن يكون هو ضرب أغصان الأشجار بها ليسقط ورقها فتأكل غنمه. ثم ذكر عليه السلام أنه يستعملها فى حاجات أخرى، كأن يعلقها على عاتقه ويعلق بها قوسه وكنانة الأسهم وثوبه ومخلاته، واتخاذها دعامة يلقى فوقها ثوبه ليظله من الشمس.

وقد يكون سؤاله تعالى عن العصا قد أريد به أن يفيض موسى عليه السلام فى ذكر منافعها استعظاما لها، ليريه تعالى مدى حقارة أوجه الانتفاع هذه مقارنة بما سيشهده من بعد

من أوجه انتفاع بالعصا على النحو الذى يكون معه كل وجه انتفاع معجزة وآيـــة .

قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾

التفســـير:

مفاد قـوله تعالى ــ فى الآية ـ أنـه أمر موسـى عليه السلام أن يطرح العصـا على الأرض، وذلك ليرى من شأنها ما لم يخطر له ببال. وقيل إن قائل القول كان ملكا بأمر الله، وهو بعيد لا تدل عليه عبارة الآية.

فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾

أولا : الأســـماء :

الحيـــة : فى قوله تعالى «فإذا هى حية تسعى» اسم جنس للثعابين من الزواحف، يطلق على الكبير منها والصغير، وعلى الذكر والأنثى.

ثانيا : التفســـير:

مفاد قـوله تعـالى أنه بمجـرد أن أمر تعالـى موسـى عليه السلام أن يلقـى عصاه كـان منه إلقاؤها على الأرض، فصارت حالذاك حية تمشى متنقلة من مكان إلى مكان .

قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾

التفســـير:

يذكر تعـالى ـ فى الآية ــ أنه قال لموسـى عليه السلام «خذها ولا تخـف» والمستفاد من

القول هو أن موسى عليه السلام قد ملأه الخوف حين شاهد العصا تتحول إلى حية، وهو ما قد يكون جريا على الطبيعة البشرية مع عظم حجم الحية، خاصة أن الذى جعل العصا حية هو الله تعالى وليس أحد الكفار فيعلم أنه تعالى منجيه من فعله كما كان من أمر النار التى ألقى فيها إبراهيم عليه الصلاة والسلام. ومضمون الأمر هو أخذ الحية بيده. ويبين من النص أنه تعالى طمأن موسى بذكره السبب الذى يدعو إلى تنفيذ الأمر دون خوف وذلك بقوله تعالى «سنعيدها سيرتها الأولى» بمعنى أنه تعالى سيعيد الحية بعد أن يأخذها موسى عليه السلام بيده إلى ما كانت عليه من قبل بمعنى أنها تعود عصا كحالتها قبل إلقائها. والظاهر أنه أريد بهذا إبراز كون العصا مسخرة ليكون موسى على ثقة مما سيكون منها فى قادم الأيام خاصة لدى محاجة فرعون .

وَٱضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ءَايَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾

أولا : الأســـماء :

الجنـــاح : فى قوله تعالى «واضمم يدك إلى جناحك» هو الجانب، وهو اليد، والعضد، والإبط وقيل إن المراد به فى معنى الآية هو الإبط .

ثانيا : التفســير:

مفاد عبارة الآية أنه تعالى أمر موسى عليه السلام أن يجمع يده وأن يدخلها تحت إبطه، وأن اليد كانت اليمنى يدخلها عليه السلام من طوق مدرعته فيجعلها تحت إبطه اليسرى، أو تحت عضدها. وقوله تعالى «تخرج بيضاء من غير سوء» ـ مقروءا مع ما سبقه ـ هو: «اضمم يدك تنضم، وأخرجها تخرج»، ثم وصف تعالى حالها عند خروجها بقوله: «تخرج بيضاء من غير سوء» بمعنى أن حالها عند خروجها أنها تكون بيضاء اللون من غير قبح ولا رداءة ، بمعنى أنها لا تكون بيضاء من البرص أو من غيره من الأمراض . ثم أوضح تعالى أن ما يكون من شأن اليد هو معجزة أخرى منه تعالى مضافة إلى معجزة العصـــا .

﴿لِنُرِيَكَ مِنْ ءَايَٰتِنَا ٱلْكُبْرَى ﴿٢٣﴾﴾

التفســـير:

المستفاد من القول ـ بطريق اللزوم العقلى ـ هو أن موسى عليه السلام قد نفذ أمر ربه، وأنه لهذا قال له تعالى «لنريك من آياتنا الكبرى» وقد يكون المقصود هو آية اليد، وقد يكون هو آية العصا، وقد يكون مجموع الآيتين اعتبرتا بمثابة آية واحدة.

ومفاد القول أن موسى عليه السلام يكون قد رأى الكبرى من آيات ربه، أو أنه رأى البعض من الآيات الكبرى له تعالى، وهذا الأخير هو الراجح، وذلك لأنه عليه السلام شاهد من بعد آيات قد تكون مماثلة فى العظم لهاتين الآيتين إن لم تكن أعظم، خاصة ما كان من العصا وهى ذات العصا .

﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٢٤﴾﴾

التفســـير:

بعد أن أظهر تعالى لموسى عليه السلام بعضا من آياته، فإنه أطلع موسى على ما يستفاد منه أن مؤازرته بالآيات أريد بها أن تكون دعما له فيما هو مكلف به، وأوضح تعالى أن أول مهمة كلف بها هى الذهاب إلى فرعون، ثم بين تعالى علة الأمر بالتوجه إلى فرعون وهى مجاوزته الحد فى التكبر والعتو، فيكون الهدف من التوجه إليه هو هدايته أو إيقاع العقاب به.

﴿قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾﴾

التفســـير:

مفاد قوله تعالى ـ فى الآية ـ أنه بعد أن أمر تعالى موسى بالتوجه إلى فرعون، أنه كان من

موسى عليه السلام أن دعا ربه سائلا أن يشرح له صدره، بمعنى أن يجعله واسعا لا يضيق بما يكون مـن فرعـون من قول وفعـل على ما عـرف عنه مـن الطغيان، وألا ينالـه من هـذا اليأس والقنوط فيكون صابرا مثابرا .

وَيَسِّرْ لِيٓ أَمْرِي ﴿٢٦﴾

التفسـير:

القول في الآية من دعاء موسى عليه السلام، يسأل ربه أن ييسر له جميع أموره فيما كلف به، والقول يفيـد توقعه صعوبة التعامـل مع فرعون على ما عـرفه منه وما أخبره به ربـه عنه من الطغيان .

والمستفاد من القـول هو توكل موسـى عليه السلام على ربـه وسؤاله المعونة مـع أنه قائم على تنفيذ ما كلف به من ربه بما يفيد معاونته، ليكون في هذا مثالا يحتذى للمؤمنين .

وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾

التفسـير:

القول من دعـاء موسى عليه السـلام. وهو بسؤال آخر هـو أن يحل تعالى بعضـا من عقدة لسانه، إذ قيـل إنه إصابته رتة في لسـانه من تناوله جمرة فـي صغره أصابت لسانه فـأثرت في قدرته على النطق المبيـن، قيل إن سببها أنه أمسك بلحية فرعون فاهتـاج فرعون وأراد به شرا، فقالت له امـرأته إنه طفل لا يعي، ودللت علـى هذا بإحضار ياقوتـة وجمرة مشتعلة وضعتهما أمامه. فتنـاول موسى الجمرة بأمـر ربه ووضعها في فمه فأصـابت لسانه، واقتنع فـرعون بعدم إدراكه فلم يؤذه بسبب جذبه لحيته .

يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾

التفســـير:

القول تتمة دعاء موسى الأول وهـو ذكر لعلة مـا سأل ربه فـى دعائه، وهو أن يفهم فـرعون وقومه دعوته، فكأن موسى عليه السلام قد خشـى ـ وهو يشعر بنقص مرتبته فى الفصاحة ـ ألا يفهم فرعون وقومه دعوته على نحو كاف، فسأل الله أن يحل بعضا من عقدة لسانه لكى يسهل على فرعون وقومه فهم دعوته .

وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾

أولا : الأســـماء :

الـــوزير: فى قـوله تعالى «واجعـل لى وزيرا» قيل إنـه من «الوزر» بمعنى الثقـل، فيكون الوزير هو من يحمل ثقل شىء أو عبأه من غيـره. وقيل من «الوزر» وهو الجبل يتخذ حصنا، ثم استعمل بمعنـى الملجأ، فيكون الوزيـر هو من يعتصم بـرأيه، وقيل من «الأزر» بمعنـى القوة، فيكون الوزير هو من يتقوى به .

ثانيا : التفســـير:

القول دعاء آخر لموسـى عليه السلام، وفيه يسأل موسى ربه أن يجعـل له وزيرا يستعين به على أداء ما كلف به، جاء نكرة ، ثم أوضح مطلبه فيه أن يكون من أهله عليه السلام .

هَارُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾

التفســـير:

بعد أن جاء طلب مـوسى من ربه أن يجعل له وزيرا مـن أهله، فإنه عرف الوزيـر بأنه أخوه

هارون. فيكـون معنى القول هـو «اجعل هارون وزيـرا من أهلـى»، أو «اجعل لى هـارون أخى وزيرا».

﴿أَشْدُدْ بِهِۦٓ أَزْرِى ﴿٣١﴾﴾

أولا : الأســماء :

الأزر : فى قوله تعالى «اشدد به أزرى» هو القوة .

ثانيا : التفســير:

يطلب موسى من ربه أن يحكم تعالى بهارون قوته ليكون أقدر على أداء الرسالة .

﴿وَأَشْرِكْهُ فِىٓ أَمْرِى ﴿٣٢﴾﴾

التفســير:

يطلب مـوسى من ربه أن يجعـل هارون شريكا لـه فى أداء الرسـالة، وهو ما يكـون بجعله وزيرا، يسمع له ويستعين به. فيكون المراد بأمره الذى يشاركه فيه هو ما كلف به وأرسل .

﴿كَىْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا ﴿٣٣﴾﴾

التفســير:

بعد أن ذكر مـوسى عليه السلام أدعيته الثلاثـة فإنه ـ فى القـول ـ بدأ بإظهار غايـة الدعاء بقوله «كى نسبحك كثيرا» بمعنى لكى يكون تنزيهنا إياك كثيرا، والمراد بهذا تنزيهه تعالى أمام فرعون عندما يقول غير الحق، فيكون من كل من موسى وهارون تنزيه ربه أمامه، فيكون التنزيه كثيرا .

﴿وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا ۝٣٤﴾

التفسـير:

جاء «الذكر» بعد «التسبيح» لكونه ثناء بالقلب وباللسان يأتى بعد التنزيه، ويكون كثيرا لأنه يكون من موسى وهارون، ومنه ما يكون بحضرة فرعون وقومه .

﴿إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا ۝٣٥﴾

التفسـير:

القول لموسى عليه السلام، وقد يكون المراد به هو طلب تصديق الله تعالى ما اعتقد من أن جعله هارون أخاه وزيرا له من شأنه أن يكون أداء الرسالة التى كلف بها أيسر عليه وأهون، فهو يستدل على هذا بإحاطته تعالى العلم بحاله وحال أخيه، فكأنه عليه السلام يطلب شهادة الله تعالى أن فى جعل هارون وزيرا له مصلحة الدعوة بحكم ما علم تعالى من أحوالهما وحال من أرسل إليهم .

﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ۝٣٦﴾

أولا : الأسـماء :

السـؤل : هو المسئول ـ بمعنى محل السؤال ـ والمطلوب، أو المدعو به .

ثانيا : التفسـير:

مفاد القول أنه تعالى قد قبل أدعية موسى التى سأل ، وأنه تعالى أعلمه بقبولها. ويتصور أن يكون مؤدى هذا هو اعتبار هارون منذ هذه اللحظة وزيرا لموسى، أو نبيا رغم عدم وجوده لحظة الإعلام بجعله وزيرا أو نبيا مع أخيه موسى .

وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴿٣٧﴾

التفســـير:

بعد أن أعلم الله تعالى موسى عليه السلام أنه استجاب لدعائه فإنه أكد له - فى الآية - تحقق الدعاء بوصفه من النعم التى أنعم بها تعالى عليه، وفى قوله تعالى «مرة أخرى» إشارة إلى سبق إنعامه تعالى عليه بنعم من قبل. ولما كانت النعم السابقة معلومة لموسى عليه السلام، فإن من شأن القول أن يبعث فى نفسه اليقين من تحقق الإنعام عليه فى المستقبل بما وعده به تعالى.

إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾

التفســـير:

قوله تعالى - فى الآية - شروع فى بيان النعم التى أنعم بها من قبل على موسى عليه السلام. جاءت عبارة الآية ظرفا لـ «مننا».

والمعنى أنه تعالى أوحى إلى أم موسى - وقد سبق التعريف بها - بما كان منه تعالى الإيحاء به.

والمراد به هو قذفه فى التابوت وقذفه فى البحر.

ويتصور فى الوحى أن يكون بطريق الإلهام أو بطريق الرؤيا.

أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾

أولا : الأســــماء :

١ ـ التابـــوت : هو الصندوق الذى يوضع فيه الميت لينقل فيه إلى مدفنه، أو ليدفن فيه.

٢ ـ اليـم: هو البحر، وقيل هم اسم للبحر العذب. والمراد به هو نهر النيل .

ثانيا : التفســير:

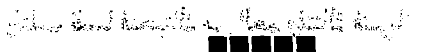
قوله تعالى هو بمضمون ما أوحى به تعالى إلى أم موسى، وهو أن تضعه فى تابوت ثم تطرحه فى البحر أو فى نهر النيل، ومن القول يبين أنه تعالى أعلمها أن البحر سيقذف به إلى الشاطئ فيأخذه عدو لله وعدو له.

والمراد به هو فرعون، وعداؤه لله تعالى هو كفره وادعاؤه الألوهية، وعداؤه لموسى عليه السلام هو ما كان منه ذلك العام من قتله مواليد بنى إسرائيل الذكور ـ على ما قيل فى معنى عداوته لموسى ـ وقد يكون من المعنى أيضا ـ والله أعلم ـ ما هو مقدر أن يكون فى المستقبل من إعلانه عداوته له وتتبعه وقومه لإهلاكه و إهلاكهم. والمستفاد من الآيات التالية أن ذلك الذى أمر به تعالى أم موسى، وما أعلمها أنه يكون قد تحقق .

وقوله تعالى «وألقيت عليك محبة منى ولتصنع على عينى» هو خطاب من الله تعالى إلى موسى عليه السلام، والعبارة تقريرية مفادها أنه تعالى جعل من شأن موسى أن يحبه كل من رآه، وفى هذا تفسير لما كان لدى العثور عليه بواسطة زوج فرعون أو ابنته أو إحدى جواريه، وقبول فرعون به يربيه فى بيته، فلولا ما ألقى الله فى القلوب من حب له ما كان هذا، إذ قيل إن أهل بيت فرعون أحبوه وطلبوا من فرعون تربيته فى بيته كابن له.

ثم إنه تعالى أخبره أنه عليه السلام كان فى كل أموره مصونا بعنايته، فهو ملحوظ له تعالى، تحت بصره يرعاه.

ويقبل المعنى أن يكون إنه كان فى شأن خلقه مجبولا على الخصال الحسنة التى تكون فيمن يختار تعالى للنبوة .



إِذْ تَمْشِىٓ أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُۥ ۖ فَرَجَعْنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ۚ وَقَتَلْتَ نَفْسًا فَنَجَّيْنَٰكَ مِنَ ٱلْغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا ۚ فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٠﴾

التفسير:

الخطاب ـ فى الآية ـ إلى موسى عليه السلام، وهو تفسير لقوله تعالى «ولتصنع على عينى» وقوله تعالى «إذ تمشى أختك» هو ظرف لـ «تصنع على عينى» والقول يتضمن ـ مضمرا ـ رواية ما كان من بعد أخذ موسى رضيعا فى بيت فرعون إذ امتنع عن قبول الرضاعة من أثداء المرضعات مما أحزن زوج فرعون، وكانت أم موسى قد أرسلت فى أثره أخته تتبع أخباره فعلمت ما كان من أمر امتناعه عن الرضاعة من المرضعات وحزن أهل بيت فرعون لهذا، ثم يصرح النص بأن أخت موسى عرضت على أهل بيت فرعون أن تدلهم على من تقوم بكفالته لهم بمعنى أن تقوم على شئونه بدءا من إرضاعه وانتهاء بكل ما يحتاج الرضيع .

ويبين من قوله تعالى «فرجعناك إلى أمك كى تقر عينها ولا تحزن» أن أهل بيت فرعون قبلوا اقتراح أخت موسى، وأنه رضع من ثديها فى حضرتهم فاطمأنوا لهذا، وأنها قد اصطحبته معها بموافقة أهل بيت فرعون لتقوم برعايته لهم فى بيتها خلال الفترة التى يحتاج خلالها رعاية النساء، ويصرح النص بأنه بإعادة موسى إلى أمه على هذا النحو كان استقرار عينها بمعنى انتهاء حيرتها، وذلك لما يكون من الحائر من تقليب بصره فى جميع الاتجاهات، وكان زوال حزنها لفراقه .

وقوله تعالى «وقتلت نفسا فنجيناك من الغم وفتناك فتونا» هو ذكر لما كان من موسى حين

استغاث به أحد أبناء قومه على مصرى أو رجل من قوم فرعون فوكزه موسى فقضى عليه، فكان أن أصاب موسى الغـم لخوفه من عقاب الله تعالـى إذ لم يكن القتل بأمره ولخـوفه من عقاب فرعون أو من ولاه القضاء، ثم كان منه تعالى أن نجى موسى من عقاب الله حين دعا «رب إنى ظلمت نفسـى فاغفر لى فغفـر له»، ونجاه من عقـاب فرعون بفـراره من مصــر والتجـائه إلى مدين.

وقد أوضح تعالى أن هذا كان ابتلاء منه تعالـى ، إذ كان تعالى يوقعه فى المحن ويخلصه منها.

ثم يقول تعالى «فلبثت سنين فى أهل مدين ثـم جئت على قدريا موسى» وفيه بيان لمكثه عليه السلام بين أهل مدين فى بلدتهم سنين ـ قيل إنها عشر سنين، وقيل أكثر من هذا ـ وفيها كان عليه السلام يرعـى غنم حميه. وفيه أيضا إعلام بأن مجيئه عليـه السلام إلى هذا المكان الذى ناداه تعالى فيه، وفى هذا الوقت كان أمرا مقدرا منه تعالى فكان لابد مقضيا.

وجاء قـوله تعالـى ـ فـى خاتمة القـول «يا موسـى» تشريفا لـه بذكـر اسمه وبيانـا لانتهاء الحكاية المروية، وهى موضوع المن عليه فى المرة الأخرى السابقة الوقوع .

وَٱصۡطَنَعۡتُكَ لِنَفۡسِي ﴿٤١﴾

التفســـير:

القول ـ فى الآيـة ـ من الله تعالى إلى مـوسى عليه السـلام، ومفاده أنه أحســن إليه بما من عليه به ليدعو له وليبلغ عنه، والمعنى هو اختيـاره نبيا رسولا. ويقبل المعنى أن يكون أنه تعالى قد هيـأه عليه السـلام بمـا من عليه بـه وما امتحنه بـه ليكون أهـلا للرســـــالة والإبـلاغ عنه تعـــالى .

ٱذۡهَبۡ أَنتَ وَأَخُوكَ بِـَٔايَٰتِي وَلَا تَنِيَا فِي ذِكۡرِي ﴿٤٢﴾

التفســـير:

بعد أن ذكر تعالى لموسـى عليه السلام أنه قد أعده وهيأه لإبلاغ الرسالـة والدعوة لتوحيده تعالى فـإنه تعالى جـاء بالنتيجة المترتبة علـى هذا جاء بها قـوله تعالى «اذهـب أنت وأخوك بآياتي ولا تنيا فى ذكـرى» أمره تعالى بالمضى فى أداء الرسالة، يكون معـه أخوه على ما سأله الله واستجاب له، وأعلمه تعالـى أنهما سيكونان مؤيدين بآياته تعـالى، والراجح أن المقصود بها هو آية العصا وآية اليد، وقيل هى الآيات التسع.

ثم إنـه تعالى نهى مـوسى وأخاه هارون عـن التواني والفتور فـى ذكره تعالى، بمعنـى عدم التقصير فى ذكـر صفاته الجليلة عند تبليـغ الرسالة والـدعوة إلى عبادته، أو عـدم التقصير فى التبليغ.

﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾﴾

التفســـير:

بعد أن أمر تعالـى موسى بالذهاب للدعوة ومعـه هارون، فإنه تعالى أمر الاثنيـن بالذهاب إلى فرعون ـــ والمراد هو الذهاب إليه للتبليـغ بالدعوة ـ وعلل تعـالى أمره بالتوجه إلـى فرعون بكونه طغى، بمعنى أنه استكبر وجاوز حدود الله.

والمستفاد من القول هو أنه تعالى أمر بالـذهاب فى سبيل الله والدعوة له على وجه العموم فى الآية السابقة، وفيها كـان الأمر موجها إلى موسى عليه السلام، ثم إنـه تعالى خص بالأمر بالذهـاب ـ فى الآية ـــ الذهاب إلى فـرعون، وفيها صدر الأمـر إلى موسى وأخيـه هارون معا؛ ولهذا قال البعض إن هـارون كان قد لقى موسى عنـد الطور، وقال آخرون إن قوله تعـالى إنما كان بعـد أن دخل موسـى مصر، ولقى هارون. ويتصـور ـ والله أعلم ـــ أن يكون القول قـد قيل لموسى عليه السلام وهو فى الطور وقيل لهارون بطـريق الوحى فى ذات الوقت وهو بمصر لأنه كان قد اصطفى نبيا منذ أعلن تعالى موسى بإجابته دعوته.

﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ٤٤﴾

التفســـير:

يوجه تعالى ـ في الآية ـ موسى وهارون إلى الأسلوب الأمثل لدعوة الطغاة إلى الحق، بعد أن وصف فرعون بأنه طغى، إذ يبين من «الفاء» في «فقولا» أن القول اللين المأمور به جاء ترتيبا على صفة الطغيان، وهذا الأسلوب المأمور به هو اللين في القول وعدم التعنيف، وذلك لكسر حدة عناد الطاغي وصلفه، ومن هذا القول اللين «هل لك إلى أن تزكى» و «وأهديك إلى ربك فتخشى» .

ثم إنه تعالى بين علة توجيهه إياهما إلى الترفق مع فرعون في القول بقوله «لعله يتذكر أو يخشى» بمعنى أنه قد يتأمل ويفكر فيذعن للحق، أو يكون منه الخوف من الهلاك والعذاب فيكون هذا دافعا له إلى الإيمان .

﴿قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفۡرُطَ عَلَيۡنَآ أَوۡ أَن يَطۡغَىٰ ٤٥﴾

التفســـير:

مفاد القول ـ في الآية ـ هو أن موسى وهارون عندما أمرهما ربهما بالتوجه إلى فرعون ودعوته للإيمان قالا له «ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا أو أن يطغى»، وأول ما يلاحظ في نص الآية هو أنه تعالى نسب القول إلى موسى وهارون، وقد يكون هذا دالا على وقوع هذا بعد لقاء موسى هارون، وإن كان ليس ثمة ما يمنع أن يكون القول هو قول موسى عليه السلام وفيه تحدث عن نفسه وناب عن أخيه، ولا أن يكون كل من موسى وهارون قد قال ذات القول بعد أن سمع موسى أمر ربه وبعد أن أوحى به إلى هارون .

ومضمون ما قاله موسى وهارون هو أنهما يخافان أن يسبقهما فرعون بإيقاع العقوبة بهما، وليس المعنى هو خوفهما من العقوبة وإنما هو خوفهما من أن يحول سبق فرعون إياهما

بالعقاب دون قيامهما بـالرسالة التى بعثا بها، فالخوف هو مـن عدم إتمام التبليغ. أو أن يكون منه الطغيان بالقول فى الذات الإلهية بما لا يليق .

﴿قَالَ لَا تَخَافَآ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ۝٤٦﴾

التفســـير:

يذكر تعالى ـ فى الآية ـ أنه نهى موسى وهارون عليهما السلام عن الخوف مما ذكرا أنهما يخشيانه، ثم إنه تعالى بين انعدام سبب الخوف بقوله «إننى معكما أسمع وأرى» بمعنى أنه تعالى يحفظهمـا بعنايته وينصرهما، وأنه لا يتخلـى عنهما لحظة فيكون عالما بكـل ما يدور بينهما وبيـن فرعـون وما يدور بينهمـا من حديـث، ومن كـان تعالى معـه لا يخشى أحـدا من خلقـه.

﴿فَأۡتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرۡسِلۡ مَعَنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَلَا تُعَذِّبۡهُمۡۖ قَدۡ جِئۡنَٰكَ بِـَٔايَةٖ مِّن رَّبِّكَۖ وَٱلسَّلَٰمُ عَلَىٰ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلۡهُدَىٰٓ ۝٤٧﴾

التفســـير:

بعد أن أمر تعالى موسى وهارون عليهما السلام بالـذهاب إلى فرعون، فإنه تعالى أمرهمــا ـ فى الآيــة ـ بإتيانـه ، بمعنى الوصول إليـه وفى حضرته، ومخـاطبته بقولهما «إنـا رسولا ربك فأرسل معنا بنى إسرائيل ولا تعذبهم، قد جئنـاك بآية من ربك، والسلام على من اتبع الهدى» وفى قولهما أظهـرا له صفتهما من أول الأمر وأنهما رسـولا ربه، وفى القول أضافا الـربوبية إلى ضميره من قبيـل التلطف فى القول، ثـم ثنيا بأن طلبا منـه أن يرسل معهما بنـى إسرائيل وألا

يعذبهم، ويقبل المعنى أن يكون المراد بإرسالهم معهما هو إطلاقهم من الأسر، والكف عن الاستمرار فى استعبادهم وتسخيرهم فى الأعمال الشاقة، ويقبل أن يكون المراد به هو إرسالهم معهما يخرجان بهم من مصر إلى حيث أمرهما الله. ثم إن موسى وهارون أعلماه أنهما قد جاءاه بآية من ربه تدل على صدق قولهما أنهما رسولا ربه، والمفهوم أنها آية اليد ـ إن كانا قد أظهراها وقتذاك ـ أو تكون آية العصا، وآية اليد .

وقولهما عليهما السلام «والسلام على من اتبع الهدى» ليس من قبيل التحية، بدلالة عدم قوله فى مبتدأ القول، وإنما هو تقرير لواقع أريد به الحث على الإيمان لهما، وهو بمعنى أن السلامة من العذاب فى الدنيا والآخرة تكون لمن اهتدى إلى الحق فآمن بآيات ربه، وليست لمن اختار الضلال فلم يهتد .

﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾﴾

التفسير:

القول ـ فى الآية ـ قول موسى وهارون عليهما السلام، والمستفاد منه أنه تعالى قد أمرهما بقوله، وأنهما قالاه.

ومفاده أن الله تعالى قد أعلمهما بطريق الوحى المنزل عليهما أن العذاب الدنيوى والأخروى يكون على من كذب بآياته تعالى وبرسله، وأعرض عنها فلم يقبلها ويؤمن .

﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَىٰ ﴿٤٩﴾﴾

التفسير:

قيل فى الظروف التى أحاطت بصدور القول المنسوب إلى فرعون فى الآية الكثير منه أن

فرعون كان يجلس فى غيضة محاطة بالأسود وأنه عندما حضر موسى صاحت الأسد صياح الثعالب، وأن موسى ضرب باب فرعون بعصاه فلما أخبره الحارس أنه ضرب باب سيده قال له موسى بل أنت وسيدك عبيد ربى، وأنه عندما استشار فرعون هامان فى الأمر فأشار عليه بعدم القبول بعرض موسى وأخذ فرعون بمشورته، ألقى موسى عصاه فإذا هى ثعبان مبين هاجم الناس فقتل بعضهم بعضا فمات منهم خمسة وعشرون ألفا. والذى نراه ـ والله أعلم ـ أن القرآن العظيم لم يذكر شيئا من هذا وأنه من غير المتصور أن يكون فى حضرة فرعون خمسة وعشرون ألفا والمفترض أنهم أكثر لأن هذا هو عدد القتلى منهم .

والذى يفيده النص هو أن فرعون وجه الحديث إلى موسى عليه السلام، وقد يكون هذا لأنه الداعى ولأن هارون وزيره، وقد يكون لعلمه أن فى لسان موسى حبسة فاعتقد أنه لن يحسن الإبانة فى القول.

وفى قوله وهو استفهام عن الرب الذى ذكره موسى مضافا إليه ـ أى إلى فرعون ـ تعمد فرعون أن يضيفه إلى موسى وأخيه من قبيل العناد والعتو والطغيان .

قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾

التفسير:

الظاهر من عبارة الآية أن الذى تولى الإجابة على سؤال فرعون هو موسى عليه السلام وحده، كما أنه كان الذى وجه إليه السؤال. وفى إجابته قال «ربنا» وفيه قد يكون قاصدا أنه تعالى ربه ورب أخيه، وقد يكون قاصدا أنه ربهما ورب فرعون فيكون مشيرا إلى قول فرعون «فمن ربكما» بما يفيد خطأه. ثم إنه عليه السلام لم يجب بتعريف الرب وإنما بذكر صفته خالق كل شىء يدخل فى المخلوقات أصحاب العقول المكلفون ومنهم فرعون، ويدخل فيها جميع جنس الحيوان والجماد، ثم إنه زاد على هذا ببيان أنه تعالى أعطى كل شىء خَلَقه خَلْقه، بمعنى أنه جعله صالحا لما خلق له، وذلك من حيث المظهر والهيئة ومن حيث

المخبر والباطن، فلو تأملت الجبال والأنهار والبحار لـرأيت كلا منها قد خلق على الهيئة التى تتحقق به وظيفته ويكون بها الانتفاع به، ولو تـأملت خلق الإنسان والحيوان والطير لرأيت كلا منها قد خلق علـى الهيئة التى يكون بها سعيه علـى أفضل وجه ولرأيت ما زوده تعـالى به من عقل أو غريزة هـو أفضل ما يكون به أداؤه سعيه، ولـو تأملت أعضاء كل مخلوق فـى حد ذاته لوجدتهـا قد خلقت على أفضـل وجه يكون به أداؤهـا وظائفها، ثم كـان منه تعالى بعـد هذا الهدى، بتسخير غيـر العقلاء وإرشاد العقلاء إلى ما فيـه صالحهم فى الدنيا والآخـرة بواسطة الآيات فى الخلق وبواسطة الرسل والأنبياء. ومن قبيل هديه تعالى غير العقلاء ما تشاهده من سعى النملة بحثـا عن رزقها واتجاهها إلى حيـث تجده على بعد عن مكانهـا واختفائه، ومن قبيل هديه تعالى العقلاء أن تجد الضعفاء الذين ليس في نفوسهم كبر أول المؤمنين.

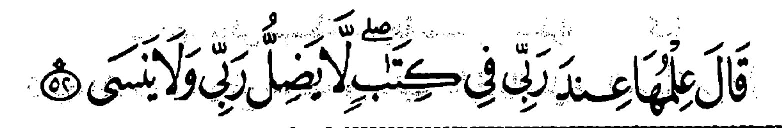
قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾

أولا : الأســـماء :

البـــال : فى قوله تعالـى «فما بال القرون الأولى» هو الفكر، والمراد بـه ـ فى معنى الآية ـ هو الحال.

ثانيا : التفســـير :

يذكر تعالى ـ فـى نص الآية ـ أن فرعون سأل موسى عن حال الأمـم السابقة. والظاهر من مخالفة السؤال موضوع الحديث الذى كان دائـرا بينهما على مرأى ومسمع من حضور فرعون من خاصتـه، أن فرعون خشى أن يبيـن ـ من إجابة موسى عليه السلام علـى أسئلته المتعلقة بالرب تعالى ـ بطلان ما يدعيه لنفسه من الـربوبية فأراد أن يتجه بالحديث وجهة أخرى فكان سؤاله عن الأمم السابقة وما جرى عليها من الأحداث.



التفســير:

يذكـر تعالى ـ فـي الآية ـ رد مـوسى عليه السـلام على سؤال فرعـون، وقوله عليـه السلام «علمها عنـد ربى فى كتاب» يفيـد أنه عليه السـلام بحكم بشريتـه لا يعلم عنها ما يخبـر به، وبحكم نبوته فإنه إنما كلف برسالة محددة لم يتعلق بها العلم بأحوال الأمم السابقة والإخبار بها حتى ذلـك الوقت ـ إذ لم تكـن التوراة قد أنزلت على مـوسى بعد ـ . ثم إنـه عليه السلام أخبر أن ما تعلق بأحوال الأمم السابقة عند ربه تعالى مسطور فى كتاب، فهو مسطور فى اللوح المحفوظ منـذ الأزل قبل أن يكـون، ومسطور بعد وقـوعه فى الكتـاب أو الكتب التـى يكتبها الملائكة الكاتبون.

وبعد ذلـك جاء قـوله عليه السـلام «لا يضل ربـى ولا ينسى» مبينا عـدم جريـان الضلال والنسيان عليه تعـالى وعدم حاجتـه تعالى إلى الكتاب ومـا يكتب فيه لأنه أحـاط بكل شىء علما، فيكون للكتابة فى اللوح المحفوظ وكتب الخلـق أغراض أخرى غير حفظ ما بها ليعلم به الله أو لتذكيره به.

﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ۝٥٣﴾

التفســير:

يتصور فى القول أن يكون كلام الله عز وعلا، ويتصور أن يكون كلام موسى عليه السلام هو إلى لفظ «ماء» وما بعده هو كلام الله تعالى.

ومعنى القول هو أن رب مـوسى الذى لا يضل ولا ينسى، وهو الـذى خلق الأرض وسخرها للناس لتكون مثل المهد فيها أماكن منبسطة مبسوطة تصلح للاستقرار عليها، كما أنها ممهدة معدة ليكون منها الانتفاع فيما ينتفع به، كما أوجد فيها الطرق والسبل فى المنبسط من الأرض

وبين الجبال وفي الأودية ليسلكها الناس متنقلين من مكان إلى مكان ومن قطر إلى قطر، وهو الذى أنـزل المطر من جهة العلـو فكان به وبمـا أودعه الله فيه مـا أخرج به تعالـى من الأرض الأصناف المختلفـة المقترنة بعضهـا من بعض مـن النباتات المتعـددة والمتفرقة، فعـل هذا على قدرته أن يخرج النبات بغير الماء.

والقول بهـذا المعنى يفيد التنبيه علـى كمال قدرة الله تعالـى وأنه وحده القادر علـى ما لا يقدر عليه غيره مما مفاده أنه وحده المستحق أن يكون له الانقياد والإذعان والعبادة .

﴿ كُلُواْ وَٱرۡعَوۡاْ أَنۡعَٰمَكُمۡۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلنُّهَىٰ ﴾ ٥٤

أولا : الأســـماء :

النهـــى : جمع، مفـرده «النهية» وهى تسمية للعقل لنهيه عـن المنكر بطبيعته التـى فطر عليها .

ثانيا : التفســير :

بعد أن ذكـر تعالى أنـه أخرج من المـاء الذى ينـزل مطرا من جهـة العلو أزواجا مـن نبات شتى، فإنه تعالى ـ فى الآية ـ بين كيفية الانتفاع بما يخرج من الأرض بذكر أهم أوجه الانتفاع وهو أن يطعمه الناس وأن يرعوا فيه أنعامهم تأكل منه.

وجاء التعبير عـن المعنى بصيغة الأمر ليبان أن أكل النـاس ورعيهم أنعامهم إنما هـو بأمره تعالى ولو شـاء لما استطاع الإنسان أن يأكل شيئا وما قدرت الأنعام على الرعى .

وقوله تعالى «إن في ذلك لآيات لأولي النهى» أشار فيـه تعالى إلى ما سبق ذكره من شئونه ونعمه وأخبر أنها آيات عظيمـة تدل على وحدانيته وقدرته، ثم بين تعالـى أن الذين يستدلون بهذه الآيـات على ألـوهيته ووحـدانيته واستحقاقـه وحده العبـادة هم العقـلاء؛ ولذلـك فإن الانتفاع الحقيقى بها يكون لهم وحدهم لأنهم يؤمنون .

﴿ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾ ﴾

التفسير:

الخطاب ـ في الآية ـ إلى جميع جنس الإنسان، والقول في بيان انعدام حجة المتكبرين ومنهم فرعون الذى ادعى الربوبية، يوضح تعالى أن جميع الناس قد خلقوا من الأرض، لكون أبيهم آدم مخلوقا منها، وأنهم جميعا معادون بالموت فيها إذ تتحلل أجسادهم لتعود ترابا، وذلك على الغالب باعتبار أن من الناس من لا تبلى أجسادهم كالأنبياء. كذلك يوضح القول أن جميع الناس مخرجون من الأرض مرة أخرى تكون عند البعث إذ يجمع تعالى ذرات الأجساد ويؤلفها لتعود كما كانت، ثم يبعث فيها أرواحها ليكون النشور والحساب.

﴿ وَلَقَدْ أَرَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَىٰ ﴿٥٦﴾ ﴾

التفسير:

قوله تعالى ـ في الآية ـ في فرعون، ومفاد القول أنه تعالى أراه آياته التى أمد بها موسى عليه السلام والتى من شأنها أن تجعل ذوى النهى يؤمنون أن من تأيد بها هو رسول مبعوث من الله تعالى، والرؤية رؤية بصرية لأن الآيات كانت مادية وهى على الراجح آية العصا وآية اليد، وقيل إنها تشمل رؤيا القلب بمعنى المعرفة بحقيقة الآيات.

وقد تحققت رؤية الآيات خلال لقاء موسى فرعون، ثم إنه لما كان الحوار والجدال بين موسى عليه السلام وفرعون قد استغرق زمنا طويلا، فقد قيل إن الآيات هى جميع الآيات التى أمد بها الله تعالى موسى عليه السلام وهى التسع الآيات.

وقوله تعالى «كلها» أريد به إظهار أنه تعالى أطلع فرعون على الآيات وتفاصيلها وما يترتب عليها بحكم التسلسل المنطقى من نتائج، لا يكون له بعد اطلاعه عليها عذر، فيكون

إهلاكه بعدها مما ظلم به نفسه .

وفى القول صرح تعالى بأن فرعون كان منه بعد أن أراه الله الآيات الدالة على صدق موسى وهارون ــ أنه كـذبهما ولم يصـدق بهما وأنه رفـض قبول الآيـات وما تدل عليـه فامتنـع عن الإيمان جحودا للآيات واستكبارا فى نفسه وعنادا .

قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٥٧﴾

التفســـير:

يذكر تعالـى ـ فى الآية ـ قول فرعـون لموسى عليه السلام وهو «أجئتنا لتخـرجنا من أرضنا بسحرك يـا موسى» وهـو استفهام إنكارى يبين استقبـاحه واستهجانـه ما رأى أن موسـى عليه السلام استهدفـه، وهو إخراجه وقومـه من مصر، وصفها بـأنها أرضه وقومه، ثـم بين أن وسائل موسى عليه السلام لتحقيق غايته كانت هـى السحر، فدل على تكذيبه با لآيات معجزات من ربه ووصفها بأنها سحر ساحر.

وقيل إن فرعـون قال هذا ادعاء علـى موسى ليستثير عليه أهـل البلد بزعمه أن مـوسى جاء ليخرجهم من أرضهم.

وقد يكـون الصحيح غيـر هذا ـ والله أعلـم ـ فـالذى يبيـن من التاريـخ ومن آيـات القرآن العظيم ومنها قوله تعـالى «وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبيـن لهم» وبملاحظة أن لغة موسـى وهارون كانـت الأرامية، هو أن فـرعون المـذكور هو سـادس ملوك الأسرة الهكسـوسية الأولى، وقد كـان الهكسوس يتكلمون الأرامية مثل بنـى إسرائيل وقتذاك، بخـلاف المصريين الـذين كـانوا يتكلمـون لغة أخـرى من اللغـات الحـامية. ثـم إنه لمـا كان فـرعون يعلـم أن المصريين فيهم أثر مما بلغهم من إدريس عليه السـلام من إيمان بخالق الكون ليس له مثيل ولا شبيه، فقد خشى فرعون أن يؤمن المصريون لموسـى وهـارون وأن يتقووا بهذا الإيمان فيكون منهم طرد الهكسـوس المحتلين من أرض مصر التى اعتبرها الهكسوس أرضهم .

﴿فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِۦ فَٱجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُۥ نَحْنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾﴾

أولا : الأســـماء :

الســـوى : فى قوله تعالـى «مكانا سوى» هو العدل والوسط بين فريقيـن، والمراد به ـ فى معنى الآية ـ هو المكان الوسط بين مكان فرعون ومكان موسى، بحيث يكون مكان كل منهما منه مساويا مكان الآخر منه.

ثانيا : التفســير :

بعد أن نسب فـرعون الآيات التى جاء بها مـوسى عليه السلام إلى السحر، فـإنه تحداه أن يدحضها بسحر مثل سحره أو أقوى منه يأتى به ليبطل حجته.

ثم إنـه طلب مـن موسى أن يعطيـه وعدا بإجـراء المنافسـة التى اقترحهـا فرعـون، فيكون «موعدا» ـ فى القول ـ مصدرا ميميا للفعل «وعد ـ يعد» وليس بمعنى اسم زمان ولا مكان، لأن المرء إنمـا يخلف الوعـد وليس زمانـه ولا مكانه. ويلاحـظ أن طلب فرعـون من موسـى عليه السلام أن يعطى الوعد قد أريد به الظهور بمظهر القـوة والثقة فى النفس؛ ولذلك طلب الوعد من خصمه خشية أن يتهرب من إجراء المنافسة. وطلـب فرعون من موسى ألا يكون منه خلف للوعد وأعلـن أنه وأتباعه لن يخلفـوه، ثم طلب أن يكون إنفـاذ الوعد فى مكان وسـط يتوسط المسافة بين محل إقامته ومحل إقامة موسى عليه السلام.

﴿قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ ٱلزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ ٱلنَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾﴾

أولا : الأســماء :

يوم الزينـــة : هو يوم كـان لفرعون وقومـه في العام، يتزينـون فيه ويخرجون إلـى الطرقات

والحدائق، قيل إنه يوم النيروز وقد لا يكون هذا صحيحا لأنه لم يعرف فى مصر قبل أن يغزوها الفرس، كما أنه لم يكن معروفا لدى قبائل الأعراب الرحل الذين اتجه بعضهم إلى بلاد الشام ومصر، وبعضهم إلى ما بين النهرين، وكان الهكسوس من الأولين، وكان بنو إسرائيل من الأخيرين، وقيل إنه يوم العيد المعروف باسم «شم النسيم» كان عيدا لدى المصريين ـ وهذا هو الراجح ـ وقيل هو يوم عاشوراء، وربما كان المقصود أنه صادف يوم عاشوراء الذى كان مبدؤه بعد ذلك الزمان .

ثانيا : التفســـير:

يذكر تعالى ـ فى الآية ـ أن موسى عليه السلام أعطى فرعون وقومه الوعد المطلوب بقوله «موعدكم يوم الزينة» وهو عيد كان فرعون وقومه يتزينون فيه، وجاء الوعد بذكر اسم الزمان «موعدكم يوم الزينة» فتضمن الوعد، ومفهومه أن يكون فيه الاجتماع، واكتفى عليه السلام بهذا فلم يحدد المكان لبيان استغنائه عن تحديد المكان وأن كل الأماكن عنده فى مرتبة واحدة، وذلك لبيان ثقته فى نفسه، ثم أضاف إلى هذا قوله «وأن يحشر الناس ضحى» وفى القول إظهار لأن مهمة فرعون تكون فى ذلك اليوم هى حشر الناس لمشاهدة المنافسة التى طلبها فرعون وقبلها موسى عليه السلام، وذلك ساعة ارتفاع النهار .

فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾

التفســـير:

مفاد قوله تعالى ـ فى الآية ـ أنه بعد أن سمع فرعون قول موسى عليه السلام انصرف من المجلس أو إنه تولى أمر الجمع لليوم الموعود بنفسه، وقام بجمع السحرة، وفيهم وفى أعدادهم والمبالغة فى هذا قيل الكثير مما لا دليل عليه من النص.

فيكون المراد بكيد فرعون ـ فى معنى الآية ـ هم السحرة الذين استعان بهم، ثم أتى بهم فى اليوم المحدد وهو يوم الزينة، وفى ساعته وهى وقت الضحى. ويبين من إيراد «ثم» فى

النص أنه كان متراخيا فى الحضور- غير مبادر إليه، وقد يكون هذا لأنه فى نفسه كان مستشعرا أن آيات موسى التى رأى ليست مما يأتى به السحرة.

قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ ﴿٦١﴾

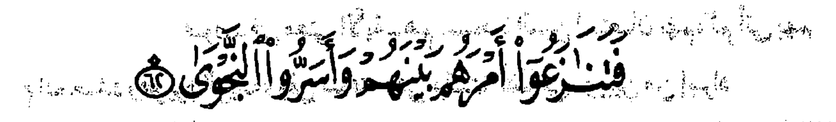
التفسير:

يخبر تعالى - فى الآية - عما كان من موسى مع السحرة الذين جمعهم فرعون حين لقيهم، فيذكر تعالى أنه نصحهم قائلا ويلكم لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب، وقد خاب من افترى.

والمعنى أنه توعدهم بالشر والويل إن أطاعوا فرعون وفعلوا ما ينهاهم عنه، ثم إنه نهاهم عن الافتراء كذبا على الله، بمعنى أن يصفوا الآيات المعجزات بأنها سحر ساحر وليست معجزات الخالق.

ثم إنه عليه السلام بين لهم - ناصحا - مصير الذين يفترون على الله الكذب - ومنه وصف آياته تعالى بأنها سحر - ذاكرا أنه مصيرهم لبث الخشية فى نفوسهم، فقال لهم «فيسحتكم بعذاب» - بمعنى أنه تعالى يستأصلهم بعذاب يفنيهم.

ثم جاء قوله عليه السلام «وقد خاب من افترى» مبينا أن مصير كل مفترى الكذب على الله تعالى هو الخيبة فى المسعى فى الدنيا والمآل فى الآخرة، فهو تحذير لهم من اتباع الخائب الأكبر فرعون الذى كذب ما رأى من آيات ربه: ولهذا قلنا إن القول على ما يبدو فيه من تعنيف هو من قبيل النصحية.



التفســير:

يذكر تعالى - فى الآية - أن السحرة حين سمعوا قول موسى عليه السلام تنازعوا أمرهم بينهم بمعنى أن آراءهم فى موسى وهارون عليهما السلام اختلفت، كما اختلفت فى شأن غلبتهم إياهما، ومدى قدرتهم على هذا إذ يتصور أن يكون من بعضهم القول إنهما إن كانا مبعوثين من الله فإنهما غالبان وهم المغلوبون، كما يتصور أن يكون تنازعهم فى وسيلة السحر التي يتبعونها لتكون لهم الغلبة. ثم إنه تعالى يبين أنهم جعلوا تداولهم فى الأمر سرا بينهم خفيا عن موسى وهارون خوفا من أن يطلعا على ما يعدون لهما فيكون منهما الاستعداد لدفعه.

قَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخۡرِجَاكُم مِّنۡ أَرۡضِكُم بِسِحۡرِهِمَا وَيَذۡهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلۡمُثۡلَىٰ ﴿٦٣﴾

أولا : الأســماء :

الطريقة المثلى : فى قوله تعالى «ويذهبا بطريقتكم المثلى» المراد بها في معنى الآية المذهب الأمثل والأفضل، والدين الصحيح، والمقصود هو دين فرعون وقومه وملتهم التى هم عليها.

ثانيا : التفسـير :

يبين تعالى - فى الآية - ما انتهى إليه رأى السحرة من بعد الاختلاف، عبر عنه قولهم «إن هذان لساحران» وفيه جاءت «إنْ» مخففة من «إنَّ» فبطل عملها فلم تنصب المبتدأ، ومعنى القول هو «ما هذان إلا ساحران»، والمعنى أنهم انتهوا إلى أنهم ليسا رسولين من رب العالمين، وأنه يكون فى قدرتهم الانتصار عليهما. ثم كان تحفيزهم بعضهم بعضا على العمل على الانتصار عليهما بقول إنهما يريدان إخراجهم من أرض مصر باستيلائهما عليها

وإن وسيلتهما إلى تحقيـق هذه الغاية هو السحر الـذى قدروا عليه، وقد يكون المـراد بقولهم هو أنهم إذا ما آمن بهما المصريون يكون فى مقـدورهم طرد فرعون ومن والاه ـ وهم من هؤلاء ـ من أرض مصر، فتكون لهما فيها الغلبة، كما أنهما يتغييان الذهاب بدين فرعون وقومه الذى هو ـ بزعمهم ـ أفضل الأديان والأجدر بالاتباع .

فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا ۚ وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَىٰ ﴿٦٤﴾

التفسـير:

القول من قـول السحرة بعضهم لبعض جاء ترتيبـا على ما انتهوا إليه مـن رأى ومن تحفيز بعضهم بعضا علـى العمل على إبطال سحر موسـى وهارون بقولهم، وذلك على مـا يبين من «الفاء» فى «فأجمعوا».

والمعنى أنهـم طلبوا جمـع أمرهـم ليكونوا وحـدة على مـوسى وهـارون، ثم يكـون منهم الاصطفاف فى صـف واحد ليبعثوا الرهبة فى أعيـن الرائين أو ليرهبوا موسـى وهارون عليهما السلام.

ويقبل القـول أن يكون المراد بـه هو التعبير عـن وحدة الفعل مـع تعدد الفاعليـن ووحدة الهدف .

وقولهم من بعد «وقد أفلح اليوم من استعلى» مـن قبيل إزكاء نار الغيرة فى قلوبهم ببيان ما يصيبون مـن الخيرات حـال انتصارهـم على مـوسى وهـارون، إذ يكون لهـم الفلاح بنيـل ما وعدهم فرعون أنه يكون لهم إن كانوا هم الغـالبين من أجر وتقرب منه، ولهذا قالوا إن الفلاح يكون نصيب المنتصر فى المنافسة .

قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾

التفســـير:

مفاد قـوله تعالى «قـالوا ياموسى» هو أنهم أجمعـوا أمرهم بـالفعل وتكلموا معبريـن عن أنفسهم بصفتهم كيانا واحدا. وفى قولهم فإنهـم خيروا موسى عليه السلام بين أن يبدأ بإظهار معجزاتـه أو ما يرونـه سحرا، يكون بـإلقائه علـى الأرض ما يرى إلقـاءه، وبين أن يكونـوا هم البادئين بإلقاء ما معهم من عصى وحبال.

وقد يكون تخييـرهم موسى بيـن الأمرين من قبيل إظهـار الثقة فى أنفسهم، وقـد يكون من قبيل التأدب معه عليه السلام فى السلوك .

قَالَ بَلْ أَلْقُوا ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾

التفســـير:

يروى تعـالى ـ فى نـص الآية ـ ما كـان من بعد تخيير السحـرة موسى بين أن يبـدأ بعرض معجزاتـه وبين أن يكونوا هـم البادئين بعرض فنـون سحرهم، فيـذكر أن موسى عليـه السلام طلب منهم أن يكونوا البادئين بإلقاء ما معهـم من أدوات السحر «قال بل ألقوا»، وقوله تعالى من بعد «فـإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه مـن سحرهم أنها تسعى» يفيد أنهـم بادروا بمجرد سماعهم قول موسـى إلى إلقاء ما معهم من حبال وعصى علـى الأرض، فكان أن رآها موسى عليه السلام كأنها تسير على الأرض زاحفة، وفى النص مـا يبين أن ما شاهده موسى إنما كان محض خيال أو وهم وتصـور، والمعنى أنها لم تكن تسعى فى الحقيقة، وفيـه أيضا ما يبين أن هذه الخيالات والتصاوير والأوهـام إنما كانت من أثر السحر؛ ولهذا فقـد لا يكون صحيحا ما قيل من أنهـم وضعوا فى العصى والحبـال زئبقا تأثر بـالحرارة فجعلها تتحرك أو تظهـر كأنها تتحرك، إذ يصرح النـص بأن ما تخيله مـوسى عليه السلام كـان من فعل سحرهـم، والمعنى

أنهم استطاعوا بـه التأثير على حالته النفسية علـى النحو الذى انطبع على حاسـة البصر لديه فرأت الوهم حقيقة .

فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾

التفسـير:

يذكر تعالى مـا كان من موسى عليه السلام حين خيل إليـه أن حبال السحرة وعصيهم قد انقلبت ثعابين تسعى، وهو أنه أخفى فى نفسه خوفا اعتراه مما شاهد، وقد جاءت «خيفة» فى عبارة الآية نكرة مما قـد يفيد التحقير ـ بمعنى قلة الخوف ـ وقد يفيد التعظيـم ـ بمعنى زيادته وعظمه ـ ونرى والله أعلـم أنه أخفى خوفا عظيما لأنـه تعالى قال فيما أتوا بـه «وجاءوا بسحر عظيم»، ثـم لأنه عليه السـلام إنما كان يخشـى عاقبـة الأمر فيما لـو لم يتمكن مـن الانتصار عليهم، إذ تقوى نفوسهم بهذا ولا يتبعونه .

قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾

التفسـير:

يذكر تعـالى ـ فى الآية ـ أنه نهى موسـى عليه السلام عن الخوف ممـا رأى ومن ظن أن السحرة يغلبونه بسحـرهم، وأنه تعالى قال لـه إنه يكون الأعلى، بمعنى أنه كـذلك فى الحال والاستقبال. والمعنى أنه يزيد عليهم وليس أنهم يشاركونه العلو ثم إنه يزيد عليهم فى مرتبته، فهم لا يشاركونه فيه شيئا .

وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾

التفســـير:

مفاد القول أنه تعالى أمر موسى عليه السلام أن يلقى ما فى يمينــه، والمراد هو العصا، لم تذكر بماهيتها وإنمـا وردت مبهمة لتهويل أمرها بالنسبة إلى سحر السحرة أو تحقيرا له لبيان أنها على حقارتها ستفعـل فيما رآه من سحرهم الأعاجيب وهو أنهـا تلقف ما صنعوا، بمعنى أنها تتناول بفمها طاعمة ما ألقوا فظهر أنه حيات وثعابين .

ثم جاء قولـه تعالى «إنما صنعوا كيد ساحـر ولا يفلح الساحر حيث أتى» وهـو بيان لماهية فعلهم وأنه لا يعـدو أن يكون من أحابيل السحرة ــ وهى حقيرة فى ذاتها وإن بـدت فى أعين الناس عظيمة ـ فيكون القـول مفيدا عدم جدارتها لأن يخشى منها شىء. ثـم أتبع تعالى هذا بذكره هوان أمر الساحر ذاته الذى يأتى بالسحر فبين أنه ليس له فلاح أمر حيثما كان وإلى أين ذهب .

ويلاحظ أنـه تعالى ـ فـى الآية ـ لم يشـر بشىء إلى ما يكـون من أمر العصا، اكتفـاء ببيان هوان أمر السحر الذى صنعه السحرة، وهو ما يفسر بعلو شأنها حتى أنه يكاد يكون أمرا مفروغا منه، ليس ما يستدعى التنبيه عليه.

فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾

التفســـير:

مفاد قوله تعـالى «فألقى السحرة سجدا» هـو أن موسى عليه السلام حين سمـع كلام ربه ذهب عنه الخـوف الذى اعتراه، وأنه ألقـى عصاه التى كانـت فى يمينه، وأن العصا تحـولت ثعبانا عظيما التقم عصى السحرة وحبالهم التى ظهـرت بسحرهم أفاعى تسعى على بطونها. ثم إن القول يصرح بأن السحرة ألقوا سجدا، والمعنى أنهـم من فرط ما اعتراهم حين شاهدوا أمر العصا من الهول سقطـوا على وجوههم ساجدين، وأنهم فى سجودهـم كانوا قد تيقنوا أن ما شـاهدوه هو معجزة مـن معجزات رب العالميـن وليس من قبيـل السحر الذى يمارسـونه،

ولهذا فإنهم نطقوا بألسنتهم معبرين عما فى صـدورهم فقالوا إنهم آمنوا برب هارون وموسى، وفى قولهم ذكروا هارون قبل ذكرهم موسـى، وربما كان هذا لكون هارون هو الأكبر، وربما كان لأن هارون وموسى كـانا معا بمثابة وحدة واحـدة، فلما كان ربهما واحدا بدؤوا بـذكر أكبرهما سنا.

قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾

التفسـير:

يذكـر تعالى ــ فى الآية ــ من أحداث القصـة أن فرعون قـال للسحرة حين نطقـوا بعبارة الإيمان «آمنتم له قبـل أن آذن لكم» ويتصور فى القول أن يكون استفهاما إنكـاريا ينكر عليهم فيه أنهم آمنوا لمـوسى قبل أن يأذن لهم بهذا، ويتصـور أن يكون تقريرا لواقع فيكـون المراد به إظهار انعدام أثر إيمانهـم، كأنه جعل من إذنه للناس بالإيمان شرط صحـة للإيمان، بدونه لا يعتد به .

ثم إنـه أتبع هـذا بقولـه «إنه لكبيـركم الذى علمكـم السحر»، ورغـم أن قولـه موجـه إلى السحرة إلا أن المراد به هو إدخال الغش على أفهام الرائيـن والمشاهدين بتصوير الأمر لديهم على غير الواقع، وهو أن موسى هو كبير السحرة الذى علمهم السحر؛ ولذلك فإن الأمر لا يخلو أن يكون أحد وضعيـن، إما أن يكونوا قد تـواطؤوا معه على أن يغلبهم، أو أن يكـون أكثر منهم علما بفنون السحر وأحاييله، وأنه بعلمه هزمهم .

ثم جاء قول فرعون «فلأقطعن أيديكـم وأرجلكم من خلاف ولأصلبنكم فى جذوع النخل ولتعلمن أينا أشد عذابا وأبقـى» جاء قوله هذا توعدا لهم بالعذاب على مـا قرفوا فى رأيه من

إثم بإعلانهم إيمانهم برب هارون وموسى قبل أن يأذن لهم بهذا، وهذا العذاب أو العقاب هو قطع يد كـل منهم اليمنى مع رجله اليسرى، ثـم صلبهم على جذوع النخل أو بتفـريغ جذوع النخل ووضعهم داخلها حتى يموتوا من الجوع والظمأ.

وقول اللعين «ولتعلمن أينا أشد عذابا وأبقى» قد يكـون المراد به ـ في مجال المقارنة به ـ هو موسى عليه السـلام وقد يكون هو الله تعالى، بمعنى أنهم سيعلمون من معـاينتهم عذابه ما إذا كان هذا العذاب هو الأشد والأبقى زمنا وأثرا أم العذاب الذى خشوا أن يصيبهم به موسى، أو الذى يصيبهم به ربه. فيكون القول تهويلا فى بيان شدة ما توعدهم به من العذاب .

قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾

التفســـير:

يذكر تعالى ـ فى الآية ـ رد السحرة على تهديد فرعون، بدؤوا بإظهار عدم اكتراثهم بوعيده وأخبروه أنهم لن يفضلوا رضاءه عليهم على المعجزات الإلٰهية التى جاءتهم، وجاء قولهم «ما جاءنا» مع أن البينات جـاءت للناس الرائين جميعا، لكونهم الذين استفـادوا منها بإيمانهم. ثم أقسموا على أنهم لن يعملوا على إرضائه بإنكـار المعجزات بالله تعالى، وصفوه بأنه الذى فطرهم بمعنى أنه خلقهم وأبدع خلقهم .

ثـم إنهم استخفـوا بتهديده بقولهـم «فاقض ما أنـت قاض» بمعنى فليكن منـك الأمر فى شأننا بما تملـك الأمر به، والقول ـ بهذا المعنـى استخفاف بالعذاب الشديد الـذى توعدهم بـــه.

وقول السحرة لفرعون «إنما تقضى هذه الحياة الـدنيا» هو بيان لأنه لا يملك إلا فترة لا يعتد بها هى باقى عمره فى الحياة الدنيا الفانية جميعها والتى هى إلى زوال، وبيان لعدم اهتمامهم

بالحياة الدنيا التى باعوها واشتروا الآخرة فالقـول ـ بهذا المعنى ـ يشير إلى إيمانهم بالله واليوم الآخر مما شاهدوا من الآيات.

﴿إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَـٰيَـٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ٧٣﴾

التفســـير:

القول مـن حديث السحـرة الموجه إلـى فرعـون، أخبروه أنهم آمنـوا برب هارون ومـوسى وباليوم الآخر ليكون إيمانهم سببا لمغفرة ما ارتكبوا من خطايا قبل إيمانهم باعتبار أن الإيمان يَجُبُّ ما قبله من الكفر، ثم خصوا بالذكر من بين هذه الخطايا مقارفتهم السحر مكرهين، وهو ما كان منهم مـن السحر الذى باشروه مطيعين فـرعون ليغلبوا موسى عليه السـلام. ويبين من طلبهم غفرانه لهم بـاعتباره ذنبا عظيما معرفتهم درجة جسامة إثم السحـر حتى إنه ليستوجب الاستغفار على وجه خاص.

ثم إن قولهم يفيد التوبة مع الإيمان؛ ولذلك قـالوا «والله خير وأبقى» فهو تعالى خير بذاته؛ ولهذا فـإنهم آثروه علـى فرعون فـأرضوه وأغضبوا فـرعون، وآثروه علـى أنفسهم فتقبلوا تهـديد فرعون وعذابه، واثقين أن ثوابه هو الأبقى وأن عذاب فرعون زائل غير باق.

﴿إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ٧٤﴾

التفســـير:

القول لايزال للسحرة مـوجها إلى فرعون، وهو بمثـابة بيان وتفصيل لما قالـوه من أن ثواب الله وعقابه هو الأبقـى، والقول متعلق بعذابه تعالـى ـ على وجه خاص ـ ذكـروا لفرعون أن من يأت ربه يـوم القيامة مجرما فـى حق نفسه بالبقاء علـى الكفر إلى الموت فمات كـافرا يكون

قراره فى الآخرة هو جهنم، يخلد فيها فلا يموت فينتهى بموته عذابه، ولا تكون حياته فيها هى الحياة لأنه لا ينتفع فيها بشىء، وإنما يخلص للعذاب .

وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾

التفسير:

بعد أن ذكرا السحرة لفرعون ما يفيد أن عذاب المجرمين المقدر لهم من الله هو العذاب الأبقى، فإنهم ـ فى الآية ـ بينوا أن ثوابه تعالى هو الأبقى، فذكروا أن من آمن بالله وقرن إيمانه بعمل الصالحات يأت الله يوم القيامة وقد أعد له المنزلة الرفيعة والمنزل الخير .

جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾

التفسير:

القول هو فى بيان ماهية الدرجات العلى التى تكون للمؤمنين العاملين الصالحات. يبين القول أنها جنات عدن التى تجرى من تحتها الأنهار، وأنهم يخلدون فيها لا يموتون ولا منها يخرجون.

وقول السحرة «وذلك جزاء من تزكى» وفيه أشاروا إلى الخلود فى جنات عدن، وأخبروا عنه بأنه ثواب من تطهر من دنس الكفر والمعاصى .

وَلَقَدْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾

أولا : الأســـماء :

الــدرك : فى قوله تعالى «لا تخاف دركا» هو الإدراك بمعنى اللحوق .

ثانيا : التفســـير:

القول لله تعالى يذكر أنه أوحى إلى موسى أن يخرج ببنى إسرائيل ليلا من مصر. والمعروف أن هذا قـد تم فى نهـاية فترة دعـوته عليه السلام فـرعون وقومـه للإيمان، وبعـد أن ضرب الله فرعون وأهل بيته وقومه بالعذاب، وكان فى كـل مرة يطلب من موسى أن يدعو ربه يكشف عنه وقومه العذاب فيرسل معه بنى إسرائيل ثم ينكث بوعده.

وفى القول يذكر تعالى أنه قال لموسى عليه السلام بطريق الوحى أن يضرب لقومه بواسطة عصاه طريقا يابسا يكون لهم فى البحر فيسيـرون عليه، وأنه طلب منه ألا يخشى من فرعون أن يدركه فيلحق به، لأن هذا لن يكون وألا يخشى أن يغرقه وقومه البحر .

فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾

التفســـير:

المستفاد من القـول هو أن موسى عليـه السلام حين أمره ربـه أن يخرج ببنى إسرائيـل من مصر ـ وقد دعاهم تعالى عباده لأنهم آمنوا به ولموسى وهارون ـ قد بادر إلى تنفيذ أمر ربه وأنه اتجه بهم ناحية بحر القلزم ـ وهو البحر الأحمر ـ والمشهور والمذكور فى التوراة أن بنى إسرائيل قد استعاروا مـن المصريين حليهم وأوعيتهـم ليلة خروجهم ولـم يردوها إليهم، وأنهـم أخذوا معهم جثمان يوسف عليه السلام . ثم إنه عليـه السلام ضرب البحر بعصاه فانفلق اثنى عشر فرقا، كل فـرق كالطود العظيم، فدخل كل سبـط من بنى إسرائيل واحدا منهـا، وتبعهم فرعون فى جنوده قصد اللحاق بهم، ثم أسرع خلفهم فـى الطرق اليابسة التى جعل الله لهم فى وسط البحر، فـوصل بنـو إسرائيـل الجهة الأخـرى من البحـر وغشى البحـر فرعـون وجنوده عـلاهم

وغمرهم مما لا مقدرة لأحد عليه فكان هلاكهم .

﴿ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ ۝٧٩ ﴾

التفسـير:

مفاد قوله تعالى أن فرعون الذى قاد قومه فى دينهم ودنياهم فاتبعوا كفره وأطاعوه فى اتباع موسى وقومه قصد إعادتهم أو إهلاكهم، كان منه إضلالهم فى الدين وفى الدنيا، وأنه لم تكن منه لهم هداية.

والقول بهـذا المعنى يـدل على أن طاعـة الكافـر المتجبر وإعـانته على طغيـانه هـى إثم يعاقب عليه فى الدنيا والآخرة .

﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ قَدۡ أَنجَيۡنَٰكُم مِّنۡ عَدُوِّكُمۡ وَوَٰعَدۡنَٰكُمۡ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنَ وَنَزَّلۡنَا عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَنَّ وَٱلسَّلۡوَىٰ ۝٨٠ ﴾

التفسـير:

بعد أن أوردت النصوص القـرآنية أحداث قصة موسـى وهارون عليهما السلام مـع فرعون إلى أن أغرق الله تعـالى فرعون وجنوده ، جـاء قوله تعالى ـ فـي الآية ـ ليفيد معنى أنـه تعالى خاطب بنـى إسرائيل بعد هـذه الأحداث بما ورد ذكره فـي عبارة الآية ، وفيها ورد بيـان بعض النعم التى أنعـم بها تعالى عليهـم لسبب من الأسباب ، ثـم إنه يبين من جملـة الآية أن هذا القول كان منه تعـالى إليهم بعد فترة ليست بـالقصيرة من زمان إغراق فرعـون وجنوده ، وذلك لذكر إنزاله تعالى عليهم المن والسلوى ، وهو ما كان أثناء وجودهم فى سيناء وقت التيه .

والذى يذكرهم تعالى به هو إنجاؤهم من عدوهم ، والمراد به فرعون الذى كان يستعبدهم وكان يقتل أبناءهم ويستحيى نساءهم ، والـذى خرج وجنوده فى إثرهـم ، وهو مواعـدتهم جانب الطور الأيمن . أى جهة يمناهم لدى مواجهتهم الجبل المعروف حيث أنزلت التوراة على موسى ، وفى القول جاء الوعد لهم مع كون الموعود هو موسى عليه السلام ، لأن الوعد كان لإنزال التوراة التى أنزلت لصالحهم لتكون كتابهم وشريعتهم . وهو أيضا إنزاله تعالى عليهم المن والسلوى من السماء طعاما وحلوى خلال فترة وجودهم فى سيناء .

كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى ۖ وَمَن يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِى فَقَدْ هَوَىٰ ﴿٨١﴾

التفســـــير:

بعد أن ذكر تعالى بنى إسرائيل بإنزاله المن والسلوى عليهم جاء قوله تعالى « كلوا من طيبات ما رزقناكم » مفيدا معنى خاصا هو أنه تعالى أمرهم أن يأكلوا المن والسلوى اللذين هما من الطيبات المرزوقة منه تعالى ، ومفيدا معنى عاما هو إحلال الطيبات من الرزق بمعنى ما يستطاب طعمه مما هو حلال أكله غير محرم . ثم إنه تعالى قيد إطلاق حكم أكل الطيبات بقيد عدم الطغيان ، يكون بعدم أداء حق النعمة من الشكر ، وبالإسراف والبطر فى أكل الطيبات وعدم أداء حقوق الله والعباد فيها. ثم إنه تعالى بين جزاء مخالفة نهيه عن الطغيان فى أكل الطيبات بقوله « فيحل عليكم غضبى » بمعنى أنه تعالى يغضب على من يطغى فى أكل الطيبات بالمعنى المذكور. وبعد هذا جاء تحذيره تعالى من مخالفة نهيه عن الطغيان فى أكل الطيبات بقوله «ومن يحلل عليه غضبى فقد هوى» والمعنى أن المخالف يجازى بحلول عذابه تعالى به، وهو عذاب يهلكه، قد يكون فى الدنيا والآخرة، وقد يكون فى الآخرة وحدها بأن يهوى فى جهنم.



وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾

التفســـــير:

بعد أن أخبر تعالى أنه يهلك من طغى فإنه ـ فى نص الآية ـ يفتح باب التوبة أمام العصاة المخالفين أوامره ونـواهيه ، فيبين تعالى أنه واسـع المغفرة كثيرها ، تشمل التائبيـن ، فيدخل فى التائبين التائبون عن الكفر والشرك ، والتائبون عن المعاصى إذا ما آمنوا بما يجب الإيمان به وقرنوا إيمانهم بـالعمل الصالح الموافق للشريعة والتزموا الفـرائض ، ولزموا الهدى بمعنى الإقامة عليه إلى وقت يتوفاهم الله .

۞ وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾

التفســـــير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ ذكر لما كان منـه تعالى مع موسى عليه السلام حين وافاه الميقات بناء على المواعدة السابق ذكرها ، ومفاد القول هو أن موسى عليه السلام قد سبق قومه وتقدم عليهم حال كونه مأمورا بمصاحبتهم ، فيكون الاستفهام فى الآية إنكارا لما فعل موسى . وقد يكون المراد بقوله تعالى هم عموم بنى إسرائيـل ، وقد يكون نقباء القوم الذين اختارهم . وهذا هو الراجح .

قَالَ هُمْ أُو۟لَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِى وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾

التفســـــير:

يذكر تعالى ـ فى الآية ـ إجابة موسى عليه السلام على سؤال ربه عن سبب تعجله وسبقه قومه ، ومن الإجابة يبين أن موسى عليه السلام لم ينكر الفعل الذى أنكره تعالى عليه ، وإنما

اعتذر عنه ببيان أنه اجتهـد وأخطأ في اجتهاده ، فأثبت في مبتدأ قوله واقـع أنه لم يتقدم على قومه كثيـرا بدلالة أنهم قادمـون على أثره وأنهم قريبـون منه ، ثم أظهر أن سبب تقـدمه عليهم بهذا القدر اليسير هو اعتقـاده أنه إذا تعجل الحضور إلى الميقات كان في هـذا جلب لرضائه تعالى، وأنه حرصا على هذا الرضاء أسرع وسبق قومه .

قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنۢ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ ٱلسَّامِرِيُّ ﴿٨٥﴾

أولا : الأســــماء :

١ ـ القـــوم : في قوله تعالـى «قد فتنا قومك» المراد بهـم ـ في معنى الآيـة ـ هو عموم بني إسرائيل الذين كانوا مع موسى عليه السلام، وليس النقباء السبعون .

٢ ـ السامري : الراجح أنه كان مـن السـامرة أو «سامراء» أتى مصر، أو أتى أبـوه من السامرة إلى مصر وولد هو فيها وخرج مع موسى وبني إسرائيل.

وقيل ـ دون سند ـ إنه كان ابن خالة موسى عليه السلام، وقيل ابن عمه، وقيل كان من أهل قريـة «باجـرما» القريبـة من مصـر، وقيل كان مصـريا أظهـر الإيمان وخرج مـع موسـى وبني إسرائيل، وقيل إن اسمه كان موسى بن ظفر، وقيل منجا .

ثانيا : التفســـير:

مفاد قولـه تعالى ـ في الآية ــ أنه بعد أن اعتذر موسـى عليه السلام عن تقدمه قـومه إلى الميقات.

أخبره تعالى أنه قد اختبـر إيمان قومه بما أوقعه بهم السامري من بعـد فراقه إياهم وابتعاده عنهم، فكان أمـرهم أن وقعوا في الضلال إذ صنع لهـم السامري من حليهم عجـلا جسدا له خوار عبدوه من دونه تعالى .

■■■■

﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ غَضۡبَٰنَ أَسِفٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَمۡ يَعِدۡكُمۡ رَبُّكُمۡ وَعۡدًا حَسَنًاۚ أَفَطَالَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡعَهۡدُ أَمۡ أَرَدتُّمۡ أَن يَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُم مَّوۡعِدِي ٨٦﴾

التفســـير:

يذكـر تعالى ــ فى الآية ــ ما كان مـن موسى عليـه السلام مع قـومه بعد أن عـاد إليهم ، والمراد بعودتـه إليهم هو ما كـان من بعد استبقاء مدة الأربعيـن يوما ونزول التـوراة إليه، وليس قبل هذا عقيب إبلاغه بما وقع من قومه.

يبين تعالـى أنه عليه السلام حين رجـع إلى قومه كـان غاضبا عليهم حزينـا عليهم لعلمه أنهم مجازون بفعلهم عذابا من الله تعالى لا يستطيع دفعه عنهم .

ثم يذكر تعـالى أنه ـ أى موسى ـ قال لقـومه «يا قوم ألـم يعدكم ربكـم وعدا حسنا، أفطال عليكم العهـد أم أردتم أن يحل عليكم غضـب من ربكم فـأخلفتم موعدى»، تضمـن القول استفهاما إنكاريا وتقريرا فى شأن وعده تعالى وعدا حسنا .

فالقول يثبت مقررا أنه تعالى وعد بنى إسرائيل وعدا حسنا هو أن ينزل عليهم التوراة، أو أن يوصلهم جـانب الطور الأيمن، ثـم يعطيهم الأرض التى وعد أن يـدخلوها، ويغفر لمـن تاب منهم وآمن، ثـم إنه ينكر عليهم أن فعلهـم يشير إلى إنكار هذا الـوعد منه تعالـى على أحقيته وإقرارهم به .

ثم إنه عليه السلام أنكر عليهم فعلهم وأنكر أن يكون له سبب يبرر إقدامهم عليه، فهو ينكر أن يكون السـبب إهمـالهم وتقصيرهم ونسيانهـم وعد ربهم «أفطال عليكـم العهد» لأن طول الزمان من شأنـه أن ينسى المرء الأحداث والأقوال، وقوله عليه السـلام يفيد أن العهد لم يطل بوقـت إعطائهـم العهد حتـى يكون منهـم نسيانـه، ثم إنـه ينكر عليهـم أن يكون السـبب هو

تعمدهم فعل ما يجلب عليهم غضبه تعالى، فكان منهم مخالفة ما عاهدوه عليه السلام من الثبات على عقيدة التوحيد .

قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ ﴿٨٧﴾

أولا : الأســـماء :

١ - الأوزار: فى قوله تعالى «ولكنا حملنا أوزارا» هى الآثام ، والمراد بها - فى معنى الآية - الحلى التى استعاروها من المصريين قبيل خروجهم من مصر، وصفت بأنها أوزار لأن الحلى قد تلبس للتباهى بها على الفقراء فيكون فى هذا ارتكاب الأوزار، وقد يكون لأنها أخذت من المصريين على سبيل العارية ثم كانت الخيانة بعدم ردها مع توافر قصد هذا من وقت استعارتها، وهو ما يعتبر من قبيل الآثام .

٢ - القــوم : المراد بهم - فى معنى الآية - المصريون .

ثانيا : التفســير:

يذكر تعالى - فى الآية - ما أجاب به بنو إسرائيل على موسى عليه السلام حين أنكر عليهم فعلهم، نفوا منذ بداية القول مسئوليتهم عما ارتكبوا بقولهم «ما أخلفنا موعدك بملكنا» بمعنى أنهم لم يخالفوا العهد الذى قطعوه له بالبقاء على التوحيد بإرادتهم التى يملكون أمرها، بمعنى أن الأمر كان جبرا. وهذا كذب لأنهم أصحاب عقول مكلفون يفترض فيهم أن يعملوا عقولهم فيما يسمعون خاصة أنهم صاحبوا نبيا ورأوا ما أمده الله تعالى به من معجزات.

ثم جاء اعتذارهم بذكر الأحداث التى وقعت منهم - وهى لا تصلح عذرا يعتذر به - فقالوا إنهم كانوا يحملون معهم حلى المصريين التى استعاروها منهم للتزين بها فأخذوها معهم،

ثم كان منهم تنفيذ ما اقترحه عليهم السامرى من إلقائها فى النار. والمعلوم أنه قام بصهرها فكانت سبيكة صنع منها العجل الذى عبدوه.

فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴿٨٨﴾

التفسـير:

القول ـ فى الآية ـ قوله تعالى يذكر فيه من الأحداث أن السامرى أخرج من النار السبيكة التى أخرج منها بصناعته عجلا جسدا، بمعنى أنه صنع منها تمثالا على هيئة العجل، وقيل إنه صنع منها جسد عجل من لحم ودم، وهذا ما لا دليل عليه ويكذبه المعلوم أنه لا يصنع من سبائك المعادن غير التماثيل . ويذكر تعالى أن العجل كان يخور خوار البقر، وقد يكون هذا منه تعالى لما رأى بنى إسرائيل قد نزعوا إلى الشرك يسره لهم، فكان للقبضة التى ألقاها السامرى فيه من أثر جبريل عليه السلام أثرها فى صدور الخوار عنه، وقد يكون نتيجة دخول الهواء فى العجل المصنوع مجوفا من إحدى جهتيه وخروجه من الأخرى .

ثم يذكر تعالى أن السامرى والذين آزروه منذ البداية قالوا لباقى القوم مشيرين إلى العجل المصنوع إنه إلهكم و إله موسى، إلا أن موسى غفل عن هذا فذهب للقاء ربه فى الطور مع كونه هاهنا .

أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾

التفسـير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ إنكار لفعل الضالين من بنى إسرائيل والذين أضلوهم وهم السامرى وأتباعه، ثم إنه يبين جهلهم وغياب عقولهم، بما ينبىء عن عدم قبولهم عذرهم

الذى اعتذروا به بيان ذلك - على ما يبين من النص - أنهم لم يعتبروا بما عاينوه من أمر العجل المعبود من أنه لا يرد عليهم قولا قالوه، ولا يستطيع أن يدفع عنهم ضرا ولا أن يجلب لهم نفعا. مما مفاده أن ذوى العقول لا يكون منهم مثل هذا الفعل مع المعاينة والمعرفة .

وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَٰرُونُ مِن قَبْلُ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِۦ ۖ وَإِنَّ رَبَّكُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ فَٱتَّبِعُونِى وَأَطِيعُوٓا۟ أَمْرِى ﴿٩٠﴾

التفسير:

بعد أن ذكر تعالى - فى الآية السابقة - أن بنى إسرائيل الذين عبدوا العجل قد خالفوا الدليل العقلى بعبادتهم العجل، فإنه تعالى يثبت عليهم مخالفتهم الدليل السمعى أيضا لبيان جسامة خطئهم.

فيذكر تعالى أن هارون عليه السلام قال لهم من قبل عبادتهم العجل إنهم قد اختبروا به وامتحنوا، وذلك تنبيها لهم ليحذروا طاعة السامرى وأصحابه فيما زينوه لهم من عبادته، كما أنه عليه السلام قال لهم إن ربهم الذى أنجاهم مما كانوا فيه من قبل أن يكون للعجل وجود هو الرحمن تعالى شأنه، فأقام لهم الدليل على أن راعيهم ومتولى أمرهم هو الله بدلالة أنه أنجاهم زمن انعدام وجود العجل، مما لا يكون معه العجل ذا أثر فى شأن من شئونهم .

كذلك يبين تعالى أن بنى إسرائيل قد زادوا فى الإثم بعصيانهم هارون عليه السلام وقد خلف فيهم موسى، إذ أمرهم أن يتبعوه فى الثبات على الحق، وأن يطيعوا أوامره المتعلقة بعبادة الله وحده، فكان منهم عصيانه فيما أمر ونصح وعبادتهم العجل .

قَالُوا۟ لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَٰكِفِينَ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَىٰ ﴿٩١﴾

التفسـير:

القول لله تعـالى، يذكر فيـه رد بنى إسرائيل علـى هارون عليه السلام حيـن أمرهـم باتبـاعه وطاعته مـن بعد تعريفهم أن العجـل فتنة لهم، فيذكر تعـالى أنهم أصروا علـى عبادة العجل وأنهم أكدوا لهارون هـذا بقولهم إنهم لايزالون قائميـن على عبادته حتى يرجـع إليهم موسى من ميقات ربـه. وليس المعنى هو انتهاؤهم عـن عبادة العجل لدى رجوع موسـى، و إنما هو قول يشير إلى اقتناعهم بما قاله لهم السامرى من أن موسى قد ذهب يبحث عن ربه فى الطور على حين أنه موجود لدينا ـ يقصد العجل المصنوع ـ فيكون انتظارهم موسى مع بقائهم على عبادة العجل هو لمعرفة ما يقول فى شأن العجل، أيقول فيه إنه ربهم أم يقول خلاف هذا.

قَالَ يَٰهَٰرُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓا۟ ﴿٩٢﴾

التفسـير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ فى بيان ما كان مـن موسى عند رجوعه من ميقات ربه، يذكر تعالى فى عبارة الآيـة ما يفيد أن موسـى عليه السلام توجه إلـى هارون بسؤال جاء بعضـه فى الآية، وتمامه فى الآية اللاحقة ـ والذى منه فى الآية هو «يا هارون ما منعك إذ رأيتهم ضلوا».

أَلَّا تَتَّبِعَنِ ۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِى ﴿٩٣﴾

التفسـير:

مفاد مـا ورد ـ فى الآية ـ من قول مـوسى لهارون مـع ما جاء منه فـى الآية السابقـة هو أن موسى عليه السـلام سأل هارون معنفا عن السبب الـذى من أجله كان منه عدم اتبـاع سيرته عليه السـلام فى الغضب لله يصل إلـى درجة القتال حيـن شاهد بنـى إسرائيل قد ضلـوا عن طريق الرشاد بعبادتهم العجل.

ويحتمل القول أن يكـون السؤال إنكار لعدم سير هارون بـالذين لم يعبدوا العجـل فى أثر موسى عليه السلام ومفارقته عابديه زجرا لهم وعقابا .

ثم إن موسى أعقب سؤاله الإنكارى هذا بآخر هو «أفعصيت أمرى» فيه ينكر على هارون ما وقع منه من مخالفته أمره بخلافته فى بنى إسـرائيل «أخلفنى فى قومى» لأن معنى الخلافة هو السير فيهم بسيرته، وقد كـانت سيرته فيهم عليه السلام هى الشدة فى الحـق، وهى ما لم يقم عليه هارون .

قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَآءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴿٩٤﴾

التفســـير:

البين من قولـه تعالى ـ فى الآية ــ أن موسى عليه السلام قد أخـذ بشعر رأس أخيه هارون وبلحيته، وفيه قيل إنه أخذ شعر رأسه بيمينه وأخذ لحيته بيسراه يجذبهما نحوه من شدة غضبه المعروف عنه يكون في الله.

وأن هارون عليه السـلام طلب منه أن يكف عن الاستـرسال فى هذا معتذرا بخـوفه من أن يكون منه الغضب عليه إذا حدث منه قتال الذين أطاعوا السامرى بعبادتهم العجل، أو وقعت منه مفارقتهـم بمن معه من الـذين لم يعبدوه فيكـون من موسى عليـه السلام لومه علـى فعله بإيقاع الفرقة بيـن بنى إسرائيل مع كونهم أبناء أب واحد هو يعقـوب عليه السلام، ويكون منه قوله إنه لم يطع قوله له «أخلفنى فى قومى وأصلح» باعتبار أن فعله لا يكون من قبيل الإصلاح الذى أمره به .

قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَسَٰمِرِيُّ ﴿٩٥﴾

أولا : الأســــماء :

الخطب : فى قوله تعالى «فما خطبك» هو الطلب يكون فى الأمر العظيم .

ثانيا : التفســــير:

مفاد قـوله تعالى ــ فى الآية ــ هو أن موسـى عليه السلام بعد أن سمـع من بنى إسـرائيل اعتذارهم بإسناد الخطأ إلى السامرى، وبعد أن سمع اعتذار هارون، كـان منه عليه السلام أن تـوجه بـالقول إلـى السامـرى فسألـه عن حقيقـة أمره ومـا كان منـه ودافعه إليـه، وقد يكـون المستهدف من السؤال هو إظهار بطلان ما دعـى إليه السامرى على رءوس الأشهاد عبرة لمن آمن بالباطل من بنى إسرائيل ولمن يأتى بعدهم من الأمم .

قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ﴿٩٦﴾

أولا : الأســــماء والأعلام :

١ ـ **الرسول** : المراد به ـ فى معنى الآية ـ هو جبريل عليه السلام .

٢ ـ **القبضة** : فى قوله تعـالى «فقبضت قبضة» هى المقبوض عليه بقبضـة اليد من الشىء يؤخذ فى المرة الواحدة .

ثانيا : التفســــير:

قولـه تعالـى ـ فى الآيـة ـ فـى بيان رد السامـرى على سـؤال موسى عليـه السلام، وقـوله «بصرت بما لـم يبصروا به» يقبل أن يكون معناه أنه علـم من الأمر ما لم يعلمه بنو إسرائيل وهو أنه إذا أخذ قبضة من أثر الرسول بمعنى إذا أخذ حفنـة من تراب داسه حافر الفرس الذى كان جبريل عليه السـلام يركبه يوم فلق البحر أو يوم جـاء ليذهب بموسى إلى ميقات ربـه فألقاها

على شيء وقال له كن فإنه يكون.

ويقبل أن يكون معنـاه أنه أبصر بعينيه أنه كان فـرس جبريل عليه السلام إذا مـا داس ترابا يابسا خرج منه النبات فعلم أن أثره يبعث فى الجماد الحياة .

وباقى قـول السامرى يفيد أنه كـان منه من بعد ما علـم أو شاهد أنه أخذ حفنـة من تراب داسه فرس جبـريل عليه السلام بقبضة يده، ثـم ألقاها فى المعدن المنصهر مـن الحلى التى أخذها بنو إسرائيـل من المصريين، أو ألقاها فى العجل المصنـوع منها أو من سبيكتها لتكون فيه الحياة أو يكون بـه خوار البقر الحى، ثم إن السامـرى ذكر أن هذا الذى فعل هو مـا زينته له نفسه وحسنته .

قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾

التفسـير:

يذكر تعـالى ـ فى الآية ـ مـا كان من موسى عليه السـلام مع السامرى بعد سماعـه قوله، فيقول تعالـى إن موسى عليه السلام قال لـه «فاذهب فإن لك فى الحيـاة أن تقول لا مساس» والمعنى هو أنه يكون منه فى الحياة الدنيا إذا ما أراد أحد من الناس الاقتراب منه أو محادثته، أن يبعده عن نفسه ويطلب منـه عدم مسه، وقيل إن علة ذلك هو إصابـة من يلمسه أو يحادثه أو يؤاكله أو يشاربه بـالحمى. والذى نراه ـ والله أعلم ـ غير هذا إذ نـرى أن موسى عليه السلام قد عاقبه على فعله بعقاب دنيوى كان مشهورا فى ذلك الزمان فى الأمم وهو عقوبة الإبعاد أو النفى، وفيهـا ينفى المـواطن من بلـده ولا يسمح لأهـل وطنه أن يخالطـوه وهو بمنفـاه، وهذه

العقوبـة ورد ذكرها فى التـوراة التى بين أيدينـا اليوم باسـم «الإبعاد من المحلة» وهـى بذات المعنى السابق ذكره .

ويؤكد هذا المعنى أن موسى عليه السلام أخبر السامرى بأنه متوعد بعذاب الآخرة وهو آت لامحالة لن يخلف فيه موعده .

وبعد هذا جاء قول موسى المتعلق بإزالة دواعى الكفر ومنها محو المعبودات الباطلة، عبر القول عـن فعله وهو حرقـه العجل المعبود وتـذريته وإلقاء ذراه فـى البحر، ثم إنه طلـب من السامـرى أن يشهد فعله هـذا بمعبوده الذى لايقـدر لنفسه على دفـع ضر، ليعلم الخلـق أنه لامعبود إلا الله .

إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾

التفســـير:

الظاهر أن القول كان لموسى عليه السلام، وجـه فيه الخطاب إلى بنى إسرائيل جميعا، ثم إن المعنى هو تقرير لحقيقة متعلقة بإله النـاس جميعا، فيكون مفاد القول حكما فى كل زمان ومكان، والمعنى هو أن إله النـاس جميعا هو الله، وأنه تعالى واحد لا إله غيـره، وأنه تعالى قد أحاط بكل شىء علما، لا يغيب عن علمه شىء، فيدخل فيما يعلم أمر المشركين ومعبوداتهم يؤاخذ به المشركين ويعاقبهم .

كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾

التفســـير:

الخطاب فى الآيـة إلى رسول الله ﷺ، يقول له ربه ــ بعد أن قص عليه قصة مـوسى عليه

السلام مع فرعون وما كان من أمره مع بنى إسرائيل فى سيناء إلى مبلغ قصته مع السامرى الذى أضلهم بعبادة العجل ـ يقول له تعالى إنه على هذا النحو المذكور يكون منا قص أخبار الأمم السابقة عليك وما جرى عليهم من الأحداث .

ثم يقول تعالى إنه آتاه ﷺ من عنده كتابا تضمن من بين ما تضمن ذكر قصص هؤلاء. وفى القول جاء «ذكرا» نكرة لتفخيم الكتاب وتعظيمه .

مَّنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُۥ يَحْمِلُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وِزْرًا ﴿١٠٠﴾

التفسير:

بعد أن ذكر تعالى لرسوله ﷺ أنه أتاه كتابا عظيما تضمن من بين ما تضمن قصص الأمم السابقة ـ وهو القرآن العظيم ـ فإنه تعالى بين بصريح القول أن من يعرض عنه فلا يؤمن به يأتى يوم القيامة حاملا بإعراضه هذا وزرا كبيرا يستوجب أشد العقاب، فيكون القول مشيرا إلى شدة عقوبة الكفر فى حد ذاته مستقلا عن عمل السيئات والعصيان .

خَٰلِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾

التفسير:

بعد أن ذكر تعالى أن من يعرض عن القرآن العظيم يأتى يوم القيامة حاملا وزرا كبيرا كناية عن أشد العذاب، فإنه تعالى أثبت فى الآية أن الكافرين بالقرآن يخلدون فى الآخرة فى هذا العذاب الشديد، ثم إنه تعالى ذم وزرهم الذى يحملون يوم القيامة، فيكون المعنى هو «ساء حملهم حملا ووزرا» .

■■■■

﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾﴾

التفسـير:

بعد أن بين تعالى سوء حمل الكافرين يوم القيامة جاء «يوم ينفخ فى الصور» بدلا من «يوم القيامة» أو بيانا له.

ذكر تعالى أنه يحشرهم فيه زرق الأبدان .

وفى القول إشارة إلى مكابدة الشدائد على النحو الذى يؤدى إلى جفاف رطوبة الأبدان مما يؤدى إلى زرقتها .

﴿يَتَخَافَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾﴾

التفسـير:

قوله تعالى فى الكافرين بالقرآن العظيم المحشورين يوم القيامة زرقا. يذكر تعالى أنهم يحادثون بعضهم بعضا بصوت خافت من شدة هول ما يطلعون عليه، فيستقلون مدة مكثهم فى القبور يحسبونها عشر ليال أو عشرة أيام، وذلك لما يتوقعون من عذاب يكون لهم .

﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾﴾

التفسـير:

مفاد قوله تعالى ـ فى الآية ـ هو علمه تعالى بما يتخافت به الكافرون يوم القيامة ومنه ما يتخافتون به فى شأن مدة لبثهم فى قبورهم.

ثم يذكر تعالى أن أقرب القائلين فى الأمر قولا إلى الصواب «أمثلهم طريقة» إنهم لبثوا فى قبورهم يوما واحـدا، وذلك باعتبار أن الواحد هو أقل الأعداد وأصغرهـا، وليس المراد بهذا أنه الأقرب إلى صحة المدة بحساب الزمن ماديـا، و إنما المعنى هو استقلال المدة التى قضوها بعيدين عن عذاب يوم القيامة بالقياس إلى هول العذاب الذى يستشعرون حلوله بهم .

وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾

التفســير:

الخطاب ـ فى الآية ـ إلى رسول الله ﷺ ، فيه إبلاغ بما سئل عنه من أمر الجبال ، ويتصور أن يكون السائلـون من منكرى البعث رأوا أن الجبال مـن الثوابت التى لاتـزول وأن فيها دلالة على عدم زوال الدنيا، ويتصـور أن يكونوا من المؤمنين أرادوا العلم بما يكـون عليه حالها يوم القيامة.

كما أن فى القول الإجابة التى أمر تعالى رسوله ﷺ أن يجيب بها على السائلين وهى قوله لهم إنه تعالى ينسفهـا يوم القيامة نسفا، يكون بقلعها من أصولها ثـم تصييرها ذرات من رمال ثم شيئا يشبه الصوف المنفوش تطيرها الرياح فتصير هباء منثورا. فيكون هذا هو نسفها نسفا .

فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾

أولا : الأســـماء :

١ـ القـــاع : فى قوله تعالى «فيذرها قاعا صفصفا» هو قعر الشىء وأدناه. والمـــراد بـــه ـ فـى معني الآيـة ـ هـو الأرض الملساء التـى لا نبات فيهـا ولا بناء، وهـو السـهل والأرض المنبســطة .

٢ ـ الصفصف : فى قوله تعالى «قاعا صفصفا» هـو الأقرع والقرعاء، والمراد به ـ فى معنى الآية ـ هو العارى من النبات .

ثانيا : التفســـير :

قوله تعالى فى الجبال، فإليها يعود الضمير فى «فيذرها»، والمعنى أنه تعالى يترك الأماكن التى كانت عليها الجبال قائمة أرضا ملساء لا نبـات فيها ولا بناء، عارية من مظاهر الحياة وما كان عليها سلفا .

﴿لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ١٠٧﴾

أولا : الأســـماء :

الأمت : فى قـوله تعـالى «ولا أمتا» هـو النتوء، والمراد بـه ـ فـى معنى الآية ـ هو الـرابية، والمكان الغليظ .

ثانيا : التفســـير :

قوله تعالى ـ فى الآية ـ فى وصف حال مقار الجبال من بعد نسفها، يقول تعالى إنه لا يرى فى أماكنها شىء معوج ولا شىء ناتىء ظاهر مثل مرتفع من الأرض .

وقد يكون المـراد بالرؤية هـو الإدراك بالعقل، فيكون العـوج هو الاعوجاج الخفـى أو أثره. فيكون المراد إظهاره هو انعدام أى أثر يدل على سبق وجود الجبال آنفـا .

﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُۥ ۖ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ١٠٨﴾

أولا : الأســماء والأعلام :

الــداعى : قيل إنه إسرافيل عليه السلام، وقيل إنه عيسى ابن مريم عليه السلام .

ثانيا : التفســير :

قوله تعالـى ـ فى الآية ـ فى يوم نسـف الجبال وتصييرها أو الأرض التى كانـت عليها قاعا صفصفا، يـذكر تعالى أن داعـى الله إلى الحشر إسـرافيل عليه السـلام يدعو الخلق بـالنفخة الثانية فـى الصور إلى القيام للعرض على الـرحمن، فيقبل الناس مستجيبين لدعـوته لا يعوج عن دعوته أحد ولا يعدل عنه أحد، والمعنى أنه لا يعصى أمره بالدعوة للعرض أحد .

ثم إنـه تعالى يصف مـا يكون من المجموعيـن بدعوة إسـرافيل ببيان أن أصواتهـم تكون مخفاة ساكنة من فرط الخشوع وتأثرا بمهابة الله تعالى.

ويذكـر ما يفيد تحقق هـذا بقوله تعالـى «فلا تسمع إلا همسـا» والمعنى هو أن كل مـن له سمع لا يسمع من الناس المجموعين إلا الصوت الخفى الهـامس، تدليلا على هول الموقف وما يستتبعه من عدم القدرة على التلفظ بالكلام المسموع .

يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾

التفســير:

يذكر تعـالى ـ فى الآيـة ـ أنه فى اليـوم المذكور، والمروى فـى أخباره ما سبق ذكـره يكون حال الموقوفين للحساب أنهـم يؤخذون بأعمالهم ـ كأصل عام ـ ولهذا فإن أحدا من الناس لا يفيد مـن شفاعـة أحد له عنـد الله تعالـى أن يعفيه مـن دخول النار أو أن يخـرجه منهـا بعد دخولهـا أو يخفف له من العـذاب شيئا، يستثنى مـن هذا حال إذنـه تعالى للشافـع أن يشفع وللمشفوع فيه أن يشفع فيه.

وجاء ذكره تعالى باسم «الرحمٰن» لبيان أنه تعالى يأذن بالشفاعة بحكم صفته الرحمن. ثم

إنه تعالى بين أن مفـاد إذنه للشافع أن يشفع فيمن يشفع فيه مفاده أنـه رضى له قولا. والمعنى أنه تعالى إذا ما أذن للشافع فى الشفاعة فإنه يقبل شفاعته فيمن شفع فيه .

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ١١٠﴾

التفسـير:

قوله تعـالى فى علمه يوم الحشـر بأحوال الخلق المجمـوعين الذين اتبعوا الـداعى، فهو تعالى يعلم ما بين أيـديهم من أحوال الآخرة، وما خلفوه وراءهم فى حياتهـم الدنيا ـ وقيل إن ما بيـن أيديهـم هو حيـاتهم الـدنيا وإن مـا خلفهم هـو أخراهـم ـ ثـم ذكر تعـالى أن هـؤلاء المجموعين الذين اتبعوا الداعى لا يحيطون بعلمه تعالى من أحوالهم ما يعلم .

﴿۞ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَىِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ١١١﴾

أولا : الأسـماء :

القيـوم : هو القائم بتـدبير الخلق، وهو القائم علـى كل نفس بما كسبـت، وهو الدائم الذى لا يزول.

ثانيا : التفسـير :

يذكـر تعالى ــ فى الآية ــ أن وجوه الخلـق المحشورين الـذين يتبعون داعـى الله تذل لله وتخضع خضـوع الأسرى وجـاء ذكر الوجـوه باعتبـارها أشرف الأعضـاء لبيان مـدى إحساس الجسم كله بالذل والخضوع. ويتصور أن يكون القول متعلقا بالكافرين وبالعصاة.

وقيل إن المراد بالوجـوه هو وجهاء الكافرين وعظماؤهم فى الحيـاة الدنيا، إذ لا يتصور فى الكافرين أن يوصفوا بالوجاهة والشرف فى الآخرة .

وقولـه تعالى «وقـد خاب من حمـل ظلما» يتصـور فيه أن يكون المـراد بالظلم هـو الكفر والشرك، فيكون المعنـى هو أن من مات كـافرا فقد خسر خسـرانا مبينا، ويتصور فيـه أن يكون الظلم شامـلا المعصية مع الكفر، فيكون المعنى مشيـرا إلى خيبة العصاة من المـؤمنين التى تكون موقوتة بمدة العقاب الأخروى ما لم تحل رحمة الله تعالى دون إيقاعه بهم .

وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَا يَخَافُ ظُلۡمٗا وَلَا هَضۡمٗا ﴿١١٢﴾

أولا : الأســـماء :

الهضـــم : فى قوله تعالـى «فلا يخاف ظلما ولا هضما» المراد به ـ فـى معنى الآية ـ هو نقص بعض الحق .

ثانيا : التفســـير:

بعد أن ذكر تعالى أن الظالمين يأتون يوم القيامة خائبين بخسارتهم، فإنه تعالى أظهر ـ فى المقابل ـ ما يكون من حال المـؤمنين الذين عملوا الصـالحات فى دنياهم فـى ذلك اليوم، فبين أن الفـرد منهم يكون آمنـا على نفسه أنه لا يمنـع ثواب عمل صـالح عمله فـى دنياه ولا ينقص له من ثوابه شىء. ويلاحظ أن النص جاء به «ومن يعمل من الصالحات» والمعنى أن المؤمن الذى عمل بعضا من الأعمال الصالحة يأمن على نفسه الظلم والهضـم المذكورين .

وَكَذَٰلِكَ أَنزَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا وَصَرَّفۡنَا فِيهِ مِنَ ٱلۡوَعِيدِ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ أَوۡ يُحۡدِثُ لَهُمۡ ذِكۡرٗا ﴿١١٣﴾

التفســـير:

مفاد قولـه تعالى ـ فى الآيـة ـ أنه على هذا النحو الـذى سبق بيانه فى السـورة فى الآيات

المتعلقة بأحداث يوم القيامـة كان منه تعالى إنزال القرآن العظيم باللغة العـربية لغة قومه ﷺ الذين بعث إليهم بالرسالة أول ما بعث وذلـك ليفهموه ويفهموا الدعوة، ثم ذكر تعالى أنه كرر فى آياته بعضـا من الوعيد مما قد يكون له مـن الأثر فى نفوس الكافرين ما يكـون به إيمانهم يتقـون به غضبـه تعالـى، أو يكون لهـم به التـذكيـر والاعتبار، فيكـون فى هـذا سبب للتقـوى المطلوبة .

فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۗ وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ﴿١١٤﴾

التفسـير:

بعد أن ذكـر تعالى أنـه كرر فى القـرآن العظيم الوعيـد لتكون به التقـوى غاية يسعـى إليها العباد، فإنه تعالى أوضح بقوله فتعالى الله الملك الحق أنه العظيم بذاته المستغنى عن العباد وعن طاعتهـم وعن اتقائهم غضبه، ثـم إنه تعالى وصـف ذاته بأنه الملك الحـق، بمعنى أنه مالك أمور العباد والمتصرف فيهم وفى شئونهم الذى يرجى وعده ويخشى وعيده .

وأنه الملك الحـق، بمعنى أن كل من عداه مهما أوتـى من سلطان فى الدنيـا ليس بملك على الحقيقة وأنه مهما علا شأنه يكون عبدا من عباد الله . وبعد هذا جاء خطابه تعالى رسوله ﷺ بنهيه عن أن يعجل بـالقرآن، والنهى متعلق بما كان رسول الله صلـى الله عليه وسلم يفعله حين كان جبريل عليه السلام يقرئه القرآن، إذا كـان ﷺ يبادر بالقراءة قبل أن يفرغ جبريل من الوحى، حرصا منه ﷺ علـى الحفظ وخوفا من النسيان، فنهاه تعالى عن هـذا لئلا يفوته شىء مما يقـرأه عليه جبريـل عليه السلام وقيـل إن المعنى هو نهـى رسول الله ﷺ عن تعجـل نزول القرآن إليه وسؤاله ربه أن ينزله.

ثم أمره ربه أن يـدعوه فى نفسه أن يزيده علمـا، والمعنى هو أن يسأله زيادة العلـم عموما

وزيادة العلم بالقرآن العظيم وما تضمنه من علوم وأسرار لا نهاية لها.

﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ١١٥﴾

أولا : الأســـماء :

العـــزم : فى قـوله تعالـى «ولم نجد لـه عزما» هـو التصميم والثبـــات فى الرأى يـوافقه العمل.

ثانيا : التفســـير:

بعد أن بين تعالى لرسوله ﷺ ما يجب أن يكـون عليه حاله لدى قراءة جبريل عليه السلام القرآن العظيم عليه لحظة إنـزاله حتى لا يكون منه إغفال للفظ أو معنى أو نسيـان، فإنه تعالى ذكر لرسوله ﷺ ما كان منه تعالى مـع آدم حين وصاه بعدم الأكل من الشجرة، فكان قبول آدم عهدا منه لما وصاه به ربه .

وفي القـول ذكر تعـالى أن الحدث كـان من قبـل، وهذا مفهوم لتعلـق الحدث بـآدم عليه السلام، ثم إنه تعـالى أخبر عن آدم بأنه وقـع منه النسيان بمعنى أنه نسى الـوصية أو العهد أو مضمونهما، وأنه تعـالى لم يجد منه صبرا علـى عدم الأكل من الشجرة التى نهـى عن الأكل منها، أو إنه تعالى لم يجد منه العزم والتصميم والإرادة على هذا .

﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ١١٦﴾

التفســـير:

قوله تعالى ـ فـى الآية ـ تمهيد لذكر قصة آدم عليه السلام للوصـول إلى بيان و إظهار عدم وجود العـزم لديـه ونسيانـه العهد. بـدأ تعالـى ببيان أمـره الملائكـة بالسجـود لآدم، وطاعـة الملائكة وتنفيذهم أمر ربهم فيما عدا إبليـس، امتنع عن السجود، بمعنى أنه أبى أن ينفذ أمر ربه .

﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴿١١٧﴾﴾

التفســـير:

يذكر تعالى ـ في الآية ـ أنه عقب ما ظهر من إبليس من حسد لآدم حين أمره ربه بالسجود له، نبه تعالى آدم عليه السلام إلى عداوة إبليس له التى يفترض أنه عليه السلام استظهرها من رفض إبليس السجود له وعصيانه أمر ربه الصادر بشأنه، ويذكر تعالى أنه أخبر آدم بعداوة إبليس له وبعداوته لزوجه عداوة أصلية وليست تبعية بحكم كونها زوجة له. وأنه حذره من كيده لهما يكون به إخراجه وزوجه من الجنة، فيكون له الشقاء فى الدنيا .

﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى ﴿١١٨﴾﴾

التفســـير:

بعد أن حذر تعالى آدم من الشيطان يخرجه من الجنة فيشقى فى الدنيا، ذكر له تعالى فى الآية نوعين من الأربعة الأنواع الرئيسية التى يكون بها شقاء الناس فى الدنيا، والتى يمنعه عنهما وجوده فى الجنة أو يمنعهما عنه فلا يقاسى عذابهما وهما: الجوع والعرى.

﴿وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى ﴿١١٩﴾﴾

التفســـير:

الآية فى ذكر النوعين الأخيرين من أنواع الشقاء التى يقاسى منها الإنسان فى الدنيا، والتى كان يمنعها عن آدم وجوده فى الجنة، وهما الظمأ، والضحى بمعنى معاناة حر الشمس من أثر عدم وجود الملجأ والمسكن .

فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾

التفســـير:

يذكـر تعالى ـ فـى الآية ـ مـا كان من إبليس مـع آدم عليه السلام وهـو وسوسته إليه بـاثا خطرة رديئة هى أن يأكل من الشجرة التى نهاه ربه عن الأكل منها. ثم يذكر تعالى مضمون ما وسوس به الشيطان لآدم وهو ما كان منه بعد أن ناداه بـاسمه ثم سأله محرضا «هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى» بمعنى أنه أغراه على الأكل من شجرة يعرفها اللعين، ويعرف أن من خـواصها أن مـن أكل منهـا يخلد لا يمـوت، وأنه يكـون له ملـك دائم لا يفنى ولا يصيبـه البلى.

فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾

التفســـير:

مفاد قوله تعالى ـ فى الآية ـ أن آدم نسـى وصية الله تعالى له، وأنه وزوجه أكلا من الشجرة التى نهاهما ربهما عـن الأكل منها كما نسى تحذير الله إياه من إبليس يخرجه من الجنة، ثم يذكر تعالى ما ترتب على هذا وهو تعريهمـا من النور الذى كان تعالى قد ألبسهما فكان ظهور عوراتهما مما جعلهما يأخذان من ورق أشجار الجنة رداءا يستران به عوراتهما .

ثم إنه تعالى يثبت فى حق آدم أنه بأكله مـن الشجرة قد عصى أمر ربه فكان عاقبة هذا أنه ضل السبيـل إلى مـا كان يبغيه وهـو الخلـود والملـك الذى لا يبلى، وهمـا لا يكونـان إلا فى الجنة.

■■■■■

ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾

التفســـير:

يذكر تعالـى ـ فى الآية ـ ما كان منـه مع آدم بعد هذا، فيبين أنه تعالـي اجتباه، بمعنى أنه اصطفاه وقربـه إليه بحمله على التوبـة، ثم إنه تعالى قبـل توبته «فتاب عليه» ، ثـم هداه إلى الثبات علـى التوبة والطاعـة وعدم العصيان. والمستفاد مـن القول أن التوبة والهـدى شملا زوجه باعتبارها تبعًا له .

قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾

التفســـير:

مفاد قوله تعالى ـ فى الآية ـ أنه أمر آدم وزوجه ـ كيانا واحدا ـ وأمر الشيطان أن يهبطا من الجنة مجتمعين، ثـم أخبر الفريقين أنهمـا يكونان فى الأرض أعـداء، فيدخل فى المعنـى ما يكون مـن عداء بين أبنـاء آدم وحواء بعضهـم والبعض، وما يكـون بينهم ـ مـن جهة ــ وذرية إبليس من عداء ـ من جهة ثانية.

ثم إنه تعالى قال لهما «فإما يأتينكـم منى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى» وفيه إخبار أنـه تعالى يـرسل لذريـة آدم ولذرية إبليس نبيـا بكتاب من عنـده، وأن من يؤمـن منهم بالنبى والكتاب لايكون له ضلال فى الدنيا ولا شقاء فى الآخرة .

وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾

أولا : الأســـماء :

١ ـ **الذكر** : فى قوله تعالى «ومن أعرض عن ذكرى» قيل إن المراد به ـ فى معنى الآية ـ هو القرآن العظيم، وقيل هو الكتب المنزلة من الله تعالى جميعها، وقيل هو الهدى.

٢ ـ **الضنـــك** : فى قوله تعالى «فإن له معيشة ضنكا» هو الضيق والشدة .

ثانيا: التفســـير:

بعد أن ذكر تعالى أنـه قال لآدم وزوجه ولإبليس «فإما يأتينكم منـى هدى فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى» فإنه تعالى ذكر ـ فى المقابل ـ حال من لا يتبع هداه تعالى، وصفه تعالى بأنه من أعرض عن ذكره، فيدخل فى هؤلاء ـ بحكـم سريان حكم النص ـ الذين أعرضوا عن القرآن العظيم فلم يـؤمنوا به، والذين أعرضـوا عن الكتب المنزلة من الله قبـل القرآن العظيم. وأخبر أنه تكون له معيشـة ضنك بمعنى ضيقة شديدة، تكون كذلك لفرط حـرصه على الدنيا وخوفه من نقص متعها ، ولكونها وبالا عليه وسببا لزيادة عذابه يوم القيامة، كما أخبر تعالى أنه يحشره يـوم القيامة أعمـى، وفيه قيل إنـه يحشر فـاقد البصر، وقيـل إنه يكون مثـل الأعمى لا يهتدى لما يدفع به العذاب عن نفسه .

﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ١٢٥﴾

التفســـير:

القول ـ فى الآية ـ قول من أعرض عن ذكره تعـالى فى الدنيا، يقوله فى الآخرة حين يحشر أعمى، يسأل عن سبب حشـره أعمى مع كونه بصيرا فى دنياه كأنه جهـل أن له ذنوبا استحق بها هذا.

﴿قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ ١٢٦﴾

التفســـير:

يذكـر تعالى ـ فـى الآية ـ أنـه يجيب على استفهـام من أعرض عن آيـاته حين يحشـر فى الآخرة أعمـى عن سبب حشـره على هـذا النحو ـ والإجـابة قد تكـون بواسطـة ملك ـ بقـوله «كذلـك أتتك آياتنا فنسيتهـا» بمعنى: أنه على هـذا النحو أتتك آياتنـا فى الدنيا متمثلـة فى كتاب الله تعالى فعميت عنها بنسيانها وتركها، فعلى شاكلة ما كان منك فى الدنيا يكون الأمر معك أن تترك فى العمى جزاء وفاقا .

وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ ۚ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰ ﴿١٢٧﴾

التفســـير:

بعد أن ذكر تعالى ما يـلاقى من أعرض عن الذكر لدى حشره فى الآخـرة، فإنه أوضح ـ فى الآية ـــ أنه على مثـل هذا النحو الـذى يكون فيه الجـزاء معادلا الجنايـة، يكون الأمر مـع من أسرف فى اتباع الشهوات وأنكب على متع الحياة الدنيا ولـم يؤمن بآيات ربه فى خلقه وآياته المنزلة فى كتبه وأعرض عنهـا، ثم إنه تعالى بين بطريق الإشارة ماهيـة الجزاء الذى ينتظر هذا بقوله «ولعذاب الآخرة أشد وأبقى» فبين أنه يجازى بعذاب جهنم أو عذاب الآخرة، ثم وصف تعالى عذاب الآخرة بأنه أشد من عذاب الدنيا وعذاب القبر وعذاب الحشر مع العمى، وأكثر منها بقاء .

أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَىٰ ﴿١٢٨﴾

التفســـير:

قوله تعالى - في الآية - في أهل مكة، أو في الكافرين المعاصرين رسول الله ﷺ، والقول جاء بعد بيان عذاب الذين لم يؤمنوا بآيات الله في الآخرة - وهم منهم - وقوله تعالى «أفلم يهد لهم» هو استفهام ينكر عليهم عدم اعتبارهم بأحوال المكذبين من قبلهم، والمعنى هو «أفلم يتبين لهم خبر من أهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم» وفي قوله تعالى «كم أهلكنا» جاءت «كم» للتكثير وبيان أنه تعالى أهلك أمما كثيرة كذبوا بآياته، ثم إن القول يقرر معرفتهم بأخبار أهل هذه الأمم بدلالة أن الكافرين يمشون في مساكنهم، ومنهم أصحاب الحجر، وثمود وقوم لوط وقد عاين كفار مكة آثارهم في أسفارهم.

ثم يبين تعالى أنه كان مفترضا في هؤلاء الكافرين أن يتبينوا مصير المكذبين بالآيات من قبلهم لولا أنهم من غير أصحاب العقول الواعية التي تنهى عن القبائح، وذلك بقوله تعالى «إن في ذلك لآيات لأولي النهى».

بمعنى أنه في معاينة آثار الأمم المهلكة الأدلة العظيمة على سوء مصير المكذبين بآيات الله، وإنه لا يدرك هذه الحقيقة وتكون له فيها العبرة والموعظة إلا أصحاب العقول الناهية عن القبح والرذائل.

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ١٢٩﴾

أولا: الأســماء:

١ - الكلمة التي سبقت: في قوله تعالى «ولولا كلمة سبقت» هي وعده تعالى بتأخير عذاب الاستئصال عن أمة العرب الذين بعث فيهم رسول الله ﷺ. قد يكون سببه أنه يخرج من نسلهم من يدعو لدين الله، ومن يقوم على أمر الحجيج، وقد يكون إكراما لرسول الله ﷺ، وقد يكون لسبب آخر لا يعلمه إلا الله.

٢ - اللزام: في قوله تعالى «لكان لزاما» هو الأمر اللازم، مصدر من الفعل «لازم - يلزم» جاء

الوصف به للمبالغة .

ثانيا: التفســـير:

بعد أن ذكـر تعالـى أنه كـان مفترضـا فى كفارمكـة أن يتعظوا بمـا عاينـوه من آثـار الأمم المهلكة، مما قد يفيد معنـى وجوب إهلاك كفار مكة بعذاب دنيوى فإنه تعـالى بين فى نص الآية أنه لولا سبـق وعده تعالى ألا يهلك أمة العـرب، ولولا أنه سبق منه تعالـى القول إن أجل عذابهم هو يوم القيامة لكان لازما لكفار مكة أن يعذبوا بجناياتهم فى الدنيا دون تأخير كما وقع عليه الأمر لمن سبقهم من المكذبين فى الأمم السابقة .

فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾

أولا : الأســماء :

الآنـــاء : فى قولـه تعالى «ومن آناء الليل» جمـع، مفرده إنى، وإنو وهو الـوقت. والمراد باللفظ ـ فى معنى الآية ـ هو الساعات .

ثانيا: التفســـير:

بعد أن أعلم تعالى رسـوله ﷺ أن العذاب آت مشركى مكة المصرين علـى الكفر فى وقته الذى حدده يكـون فيه، سواء أكان فى الآخـرة أم كان فى بدر ـ على مـا قيل ـ فإنه تعـالى أمر رسوله ﷺ بـالصبر على ما ينطقـون به من كلام الكفـر. ثم إنه تعالـى أمره بعد هذا بـأن يسبح بحمده تعالى قبل طلـوع الشمس وقبل غروبها، وهو ما يكون بـأداء صلاة الفجر وصلاة الظهر والعصر، إذ تكـون صلاة الفجر قبل طلـوع الشمس، وتكون كـل من صلاة الظهر والعصـر قبل غروبها، و إن كان المشهور أن الصلاة التى هى قبل الغروب هى صلاة العصر .

ثم إنه تعالى أمره أن يسبح من آناء الليـل بمعنى أن يصلى عليه السلام ويسبح ربه بعض أوقات الليل وأطـراف النهار وهو ما يكون عند نهـاية النصف الأول من النهار وبـداية النصف الثانـى منه. وقوله تعـالى «لعلك تـرضى» جاء متعلقـا بتسبيحه ﷺ فى هذه الأوقـات، يكون برجاء أن ينال ما يرضاه فى الدنيا بنصرة دينه وانتشاره، أو بنيل ما يرضى به نفسه من الثواب .

وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾

أولا : الأســـماء :

١ ـ **الأزواج** : فى قـوله تعالـى «ما متعنـا به أزواجا منهـم» المراد بهم ــ فى معنـى الآية ـ الأصناف أو المتغايرون من الكفار.

٢ ـ **الزهـرة** : فى قـوله تعـالى «زهرة الحيـاة الدنيـا» المراد بهـا فى معنى الآيـة هو الـزينة والبهجة.

ثانيا: التفســـير:

الخطاب ـ فى الآية ــ إلى رسول الله ﷺ، بدأ بالنهى عن النظر برغبة إلـى ما متع الله تعالى به الكافرين من متع الدنيا من أموال وبنين وركائب، وفى ذكره تعالى الكافرين بالأزواج منهم تبصير بأن الكـافرين متعددون، وإن كـل فئة منهم تختلف عـن الأخرى من جهة نـوع المتاع الذى تتمتـع به، ووصف تعالـى متع الحياة الدنيـا التى ينعم بها الكـافرون بأنها زهـرة الحياة الدنيا، لأنهـا هى ما يتزين بـه بالنسبة لهم فى الـدنيا. ثم إنه تعـالى بين لرسولـه ﷺ أنه إنما متعهم بهذه النعم فتنة لهم، بمعنى أنها تكون سببا لزيادة تعذيبهم بها فى الآخرة .

ثم إنه تعالـى أوضح لرسوله ﷺ أن ما رزقه إيـاه فى الدنيا من اصطفاء للنبـوة، وما قدره له

من فتوحات وما أعده له فى الآخرة هو خير مما هو لدى الكافرين وأبقى.

ويبقى أن نقول إن النهـى و إن كان موجها إلـى رسول الله ﷺ لا يفيد معنى أنـه كان يتطلع إلى ما فى أيـدى الكافرين من المتع والنعـم، و إنما يفيد طلب البقاء والاستمرار علـى ما هو عليه من عدم التطلع إلى ما فى أيديهم، وأن النهى إنما أريد به أن يتمثل المسلمون مضمونه فلا يكون منهم التطلع إلى ما فى أيدى الغير من النعم، وتكون منهم القناعة والحمد .

وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ لَا نَسۡـَٔلُكَ رِزۡقٗاۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ ﴿١٣٢﴾

أولا : الأســماء :

الأهـــل : فى قولـه تعالى «وأمر أهلك» قيل إن المـراد بهم ـ فى معنى الآيـة ـ هم أزواج رسول الله ﷺ وبناته وصهره على بن أبى طالب، وقيل هم أهل بيته .

ثانيا: التفســير:

بعد نهيه تعالى عن التطلع إلى متع الحياة الدنيـا، جاء أمره تعالى رسوله ﷺ بأن يأمر أهله بالصلاة، والمستفاد من القول هو أنه تعالى أمر رسـوله ذاته بالصلاة قبل أن يأمره أن يأمر أهله بها .

والمراد بالصلاة المأمـور بأدائها أو إقامتها هى الصلاة المفروضة، يؤمـر بأدائها الصبى غير المكلف متى بلغ سن التمييز وهو سبع سنين ليعتاد أداءها. ثم إنه تعالى أمره بالاصطبار عليها بمعنى المـداومة عليها. والقـول يشير إلى أن الصـلاة تتضمن مشقـة على النفس تستـوجب الصبر. ثم إن فى ورود الأمر بها من بعد النهى عن التطلع إلـى ما فى يد الكافرين من النعم ما يفيد التوجيه إلى إيثار ثواب الآخرة على متع الحياة الدنيا .

وقوله تعـالى «لا نسألك رزقـا ، نحن نرزقك» هـو دفع لتوهم أن الصـلاة تحول دون جلب

الرزق بالسعى إليـه، كما يعتقد البعض. ذلك أن من الناس مـن يعتقد أن أداءه الصلاة يشغله عن التكسب، فجـاء القول ليثبت أن المرء غير مكلف بـرزق نفسه ـ و إن كان مطالبـا بالسعى إلى الـرزق ـ وأنه تعـالى هو الـرزاق، يرزق المحافـظ على الصلاة المفـروضة، ولا يأمـر عموم الناس بـاستغراق أوقات الليل والنهـار بها وعدم السعى للـرزق. والظاهر أن القول ــ و إن كان موجهـا إلى رسول الله ﷺ ــ إلا أنه يعتبر متعلقا بجميـع المؤمنين أو أن مضمـونه هو ممـا هم مأخوذون به .

وقوله تعالـى ـ فى خاتمة الآية ـ «والعـاقبة للتقوى» مفاده أن عاقبة الأمـور فى الآخرة التى هى خير عاقبة هى لأهل التقوى، ولا تقوى بغير صلاة .

﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَا يَأْتِينَا بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّهِۦٓ ۚ أَوَلَمْ تَأْتِهِم بَيِّنَةُ مَا فِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٣٣﴾﴾

أولا : الأســـماء :

الصحف الأولى : قيل إن المراد بهـا ـ فى معنى الآيـة ـ هو التوراة والإنجيـل. ونرى ـ والله أعلم أنهـا تشمل صحف إدريـس وصحف إبراهيم وصحف موسى التـى أنزلت عليـه قبل التوراة والتى كانت تتضمن الحنيفية التى دعا بها فرعونَ إلى الإيمان .

ثانيا: التفســـير:

قوله تعـالى ـ فى الآيـة ـ فى كفار مكـة الذين أنكروا القـرآن العظيم آية عظيمة تـدل على صدقه ﷺ فطلبـوا غيره آية مما اقتـرحوا، جاء قولـه تعالى «أو لم تـأتهم بينة ما فـى الصحف الأولى» استفهاما ينكـر عليهم إنكارهم أن القرآن العظيم أعظم آية، وفـى القول قيل إن معناه أنه ورد فى القرآن العظيم أخبار الأمم السابقـة ومنها الأمم المهلكة، وأنهم لا يأمنون إن أتتهم آية من الآيات الشبيهة بالآيات التى جاءت الأولين، أن يكون مصيرهم هو ذات مصيرهم وهو الهلاك بعذاب الدنيا .

والذى نراه - والله أعلم - هو أن النص ينكر عليهم إنكارهم القرآن العظيم رغم أن صحف الأولين والكتب بشرت بـه، وأنه صدق بعقيدة التوحيد التى تضمنتها هذه الصحف والكتب وهى الحنيفية أو الإسلام بالمعنى العام. ومن هذا مثلا أن قدماء المصريين فى الأشمونين - الذين كانت فيهم دعوة إدريس عليه السلام قالوا إنه فى الأزل لم يكن غير المياه الأزلية عليها عرش الإله الواحد الأزلى، الذى لا بداية له ولا انتهاء، وأن الخلق تحقق بالكلمة المقدسة، وقالوا - على ما جاء فى ترانيم المقدمة لكتاب الموتى فى شأن عقيدة البعث - «إن القلب قد وزن ، والروح وقفت شاهدة عليه، وأن الثواب لمن لم ينطق لسانه بالسوء عندما كان على الأرض» وفى سفر التثنية من العهد القديم أخبر موسى عليه السلام أنه تعالى سيبعث نبيا من أبناء إخوتهم - أى من أبناء إسماعيل - يكون مثل موسى، ويتكلم بما يوحى به إليه ربه.

فيكون ما جاء فى صحف الأنبياء السابقين وكتبهم بينة تدل على صدقه ﷺ وعلى أن القرآن العظيم هو كتاب الله أنزل عليه.

وَلَوْ أَنَّآ أَهْلَكْنَٰهُم بِعَذَابٍ مِّن قَبْلِهِۦ لَقَالُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ مِن قَبْلِ أَن نَّذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴿١٣٤﴾

التفسـير:

قوله تعالى - فى الآية - فى بيان أن الكافرين يجادلون فى القرآن العظيم بغير الحق، وأنهم يقرون به آية منه تعالى يوم القيامة. فمعنى القول هو أنه لو كان منه تعالى أن أهلك كافرى مكة بعذاب دنيوى من قبل أن ينزل عليهم القرآن العظيم، أو من قبل أن يبعث فيهم رسول الله ﷺ، لجاءوا يوم القيامة ربهم قائلين «هلا كنت أرسلت إلينا رسولا بآيات من عندك، فكان منا اتباع

آياتك التـى جاءنا بها قبـل أن يحل بنا عذاب الـدنيا وخزى الكافـرين بين المحشوريـن فى الآخرة من قبل دخولهم النار وبدخولها .

﴿قُلْ كُلٌّ مُّتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَىٰ ﴿١٣٥﴾﴾

التفســـــير:

الخطاب ـ فى الآية ـ إلى رسول الله ﷺ، يأمره ربه أن يقول لكفار مكة ما ورد فى الآية من بعد فعل الأمر «قل»، وقـوله ﷺ لهم هو تهديد لهم على استمرارهـم على إنكار معجزة القرآن العظيم، فقوله ﷺ «كل متـربص فتربصوا» معناه أن كل واحد منا ومنكم ينتظـر مترقبا ما يؤول إليه أمرنا وأمركم.

وقولـه «فستعلمون مـن أصحاب الصراط السـوى ومن اهتـدى» معناه هو «فتـرقبوا، فـإنه سيكون من أمركـم بما تلقون من هزيمة بأيـدى المسلمين فى الدنيا ومن عذاب تقـاسونه فى أخراكم أينا كان على الطريق المستقيم الموصـل إلى رضاء الله تعالى والذى كان على هدى من ربه فلم يضل .

■■■■

بســـم الله الرحمن الرحيم

سورة الأنبيــاء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾

أولا : الأســماء :

١ ـ **النــاس** : فى قوله تعالى «اقترب للناس حسابهـم» قيل إن المراد بهم ـ فى معنى الآية ـ هم مشركو مكة. على ما يبين من الآيات التالية. وقيل هم عموم الناس .

٢ ـ **الحســاب**: فى قولـه تعالى «اقترب للناس حســابهم» قيل إن المراد بـه هو العذاب، كان لمشـركى مكـة فى بدر، وقيـل هو عـذاب الكافـر لحظة خروج روحـه، وقيل عـذاب يوم القيامة.

ثانيا: التفســير:

مفاد قـوله تعالـى هو أن موعـد حساب الكافـرين قد قـرب، وفيه يتصور أن يكـون المراد بحسابهـم هو عذابهـم، يكون بانتصـار المسلمين عليهـم وقتلهم وسبيهم، ويتصـور أن يكون المراد به عذابهم عند الموت يكون قريبا لحتمية مجيئه. ويتصور أن يكون المراد به عذاب يوم القيامة، وهو قريب بالقياس إلى ما مر من عمر الزمان، وبحكم أنه آت .

ويلاحظ أن فى ذكر الحســاب مع كون البعض من الكافرين مـن منكرى البعث أصلا، قد أريد به إظهار حتمية حصول البعث مما لا يستدعى ذكره صراحة، اكتفاء بذكر ما يكون فيه من حساب وعذاب، وذلك من قبيل تسفيه عقيدة منكرى البعث.

وقولـه تعالى «وهم فـى غفلة معرضـون» هو فى بيان حـال الكافريـن الذين اقترب مـوعد عذابهـم بكفرهم وهم غـافلون عن حقيقـة اقتراب عذابهـم، معرضون عن آيـاته تعالـى التى تدعوهم إلى الإيمان ينجيهم من العذاب، وعن النذر التى يتعظ بها .

مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾

أولا : الأســماء :

المحــــدث : فى قوله تعـالى «ذكر من ربهم محدث» قيل إن المراد بـه هو «متحدث به» بمعنى أن جبريل عليه السلام حدث به رسول الله ﷺ. وقيل بمنعنى «حادث» أى منزل بعضه بعد بعض، أو سورة بعد سورة .

ثانيا: التفســـير:

قوله تعـالى ـ فى الآيـة ـ فى كفار مكة، يـذكر تعالى أنه مـا تأتيهم آيات مـن آيات القرآن العظيم ينزلها ربهم المتولـى أمورهم، يكون من شأنها أن تذكرهم بما يـدعوهم للإيمان يكون فيه خيرهـم، يكون نزوله متتـابعا بعضه إثر بعـض، إلا وكان استماعهم لـه استماع لاهٍ منشغل باللهو واللعب عما فيه صالحه.

لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ۗ وَأَسَرُّوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ۖ أَفَتَأْتُونَ السِّحْرَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٣﴾

التفســـير:

بعد أن ذكر تعالى حال الكافرين لدى إتيانهم ذكر من ربهم وهو كونهم لاعبين، فإنه تعالى

ذكر ـ فى الآية ـ حالا أخرى لهم وهى كونهم لاهية قلوبهم ساهية عن الذكر. ثم إنه تعالى ذكر ما يكون من هؤلاء مـن أعمال عمدية مع هذا اللهو والإغفال وهو تنـاجيهم فيما بينهم مخفين ما يتناجون فيه عن المؤمنين، وقد وصفهم تعالى بأنهم الذين ظلموا، فيكون الذين ظلموا هم الذين اقترب حسابهم.

ثم يظهر تعالـى ما يتناجون فيه وهو طعنهـم فى رسول الله ﷺ أنه ليس برسـول لكونه بشرا مثلهم مع اعتقادهـم أنه تعالى لا يرسل بشرا رسـولا و إنما يرسل ملكا، وهو قـولهم فى القرآن الذى ينـزل إليهم إنه سحر، و إنكـارهم بعضهـم مـن بعض أن يكون إيمـان بالقرآن مع كـونه سحرا وعلمهم بهذا .

قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٤﴾

التفســـير:

لما ذكر تعـالى أن الكافرين يتنـاجون فيما بينهم همسـا طاعنين فى القرآن العظيـــم وفى رسول الله ﷺ حتى لا يسمعهـم المؤمنون فيخبرون رسول الله ﷺ بمـا يتناجون فيه فإنـه تعالى يذكر ـ فى الآية ـ أن رسول الله ﷺ قال «ربى يعلم القول فى السماء والأرض» .

مما يفيـد أنه تعـالى أعلمـه ما يتناجـون فيه بحكـم علمه بكـل ما فـى السماء والأرض ـ ونجواهم بعـض منه ـ ثم إنـه ﷺ أكد المعنى بذكره أنـه تعالى السميع بكـل مسموع، العليم بكل المعلومات. والمراد مـن تأكيد المعنى هو إظهار أنه تعالى يجازى مـن يسمع من قولهم غير الحق، ويعلم من أمرهم أنهم مبطلون .

بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ ﴿٥﴾

التفســـير:

بعد أن ذكر تعالى أن الكـافرين أنكروا رسالة رسول الله ﷺ لكونه بشرا، بـزعمهم أنه تعالى لا يرسل بشرا رسولا، وأنهم قالوا فى القرآن العظيم إنه سحر، فإنه تعالى يذكر فى الآية أقوالهم فى القرآن العظيم وفى محمـد ﷺ، ويبين من تعدد أقوالهم واختلافها أنهـم إنما ينكرون من قبيل العناد وليس لفكر ينتظـم عقيدة. فهم قد قالوا فى القرآن إنـه أضغاث أحلام، بمعنى أنه رؤى مختلفة لا تعبير لها، ثم قالوا غير هذا فيه فـزعموا أنه نظم صاغه رسول الله ﷺ ونسبه إلى الله افتراء عليـه، وقالـوا فى رسـول الله ﷺ إنه شاعـر، والمعنى أن القـرآن خيالات شبيهـة بما ينطوى عليه الشعر من تخيـل وتخييل. ثم أبدوا عدم اقتناعهم بالقـرآن العظيم آية عظيمة من الله تعالى فطلبوا أن يأتيهـم رسول الله ﷺ بآية من قبيل الآيات المادية التـى أرسل بها الرسل السابقـون مثل عصا موسـى ومثل معجزة عيسـى عليه السلام بـإحياء الموتى وشفـاء الأكمه والأبرص، فكـأنهم بهذا أنكروا إعجـاز القرآن فاحتملوا فيـه أن يكون أضغاث أحلام أو كـلاما مفترى، غاية ما فيه هو أن يبلغ فصاحة الشعر؛ ولهذا طلبوا آية من قبيل ما أوتى الأولون .

﴿مَآ ءَامَنَتۡ قَبۡلَهُم مِّن قَرۡيَةٍ أَهۡلَكۡنَٰهَآۖ أَفَهُمۡ يُؤۡمِنُونَ ٦﴾

التفســـير:

لما كان مضمون قول كافرى مكة أنهم لو أوتوا آيـة من قبيل ما أوتى الأولون فإنهم يؤمنون، فإنه تعـالى أثبت فى الآيـة كذبهم فى هذا الـذى يدعون، بإثبـاته واقع أن أهالـى القرى التى أنزلـت إليهم الآيات الماديـة التى طلبوا مثلها لـم يؤمنوا بهـا، وأنه تعالى أهلكهـم بهذا، أى بكفرهم بالآيـات وبقائهم على الكفر. ثم إنه تعـالى لما كان قد سبق منـه القول أنه لا يهلك الأمة التـى بعث فيها رسـول الله ﷺ بعذاب دنيـوى يستأصلهم، فـإنه لم ينـزل إليهم آيـة من الآيات المذكورة والمطلـوبة. ثم إنه تعالى أثبت أنهـم لو أوتى آية من هذه الآيـات فإنهم لم يكونوا ليـؤمنوا ، فقوله تعالـى «أفهم يؤمنون» هو استفهـام إنكارى يقرر عدم إيمانهـم فيما لو أتتهم آية من قبيل ما طلبوا .

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ۝٧﴾

أولا : الأسـماء :

أهل الذكر : هم أهل الكتـاب، وهم اليهود والنصارى، وذلـك بحكم علمهم بما كـان من أخبار الأمم السابقة التى بعث فيها الرسل. وقيـل إن المراد بهم ـ فى معنى الآية ـ أهل القرآن، وقد يكون بعيدا .

ثانيا: التفسـير:

قوله تعالـى ـ فى الآية ـ رد على قول الكـافرين «هل هذا إلا بشر مثلكم» فـالقول ينفى أنه تعالى قد بعث للناس رسلا من الملائكة لهدايتهـم ويثبت أنه تعالى لم يرسل إلا رجالا بشرا، وأنه تعالى إنمـا أنزل عليهم ما أنزل من كتـب وصحف بطريق الوحى، كمـا ينزل القرآن على رسول الله ﷺ بطريق الوحى .

وقوله تعالى «فاسـألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون» وهو خطاب إلى الكـافرين ، أريد به تأكيد معنى أنه تعالى لم يرسل رسلا إلا رجالا يوحى إليهم، والمعنى أن الكافرين لو سألوا فى هذا الأمر أصحاب العلم من أهل الكتاب لسمعوا منهم هذا الذى يقرره النص.

﴿وَمَا جَعَلۡنَٰهُمۡ جَسَدٗا لَّا يَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَمَا كَانُواْ خَٰلِدِينَ ۝٨﴾

أولا : الأسـماء :

الجسـد : فى قولـه تعالى «وما جعلناهـم جسدا» ، هو جسم الإنسـان والجن والملك، وقيل إن المـراد بهـ ـ فى معنـى الآية ـ هو جسـد الإنسان علـى وجه الخصـوص. وقيل هـو

المتجسد الذى فيه روح فيأكل ويشرب.

ثانيا: التفســـير:

بعد أن أثبت تعالى أنه أرسل الرسل للناس رجالا من البشر، فإنه تعالى ـ فى الآية ـ نفى أن جعلهم متجسدين ذوى أرواح مستغنين عن الطعام، والمعنى هو أنهم أصحاب أجساد تحتاج الطعام لتحيا مثل سائر البشر. ثم إنه تعالى أثبت أنه تجرى فيهم سنته فى البشر، وهى عدم الخلود فى الدنيا، والمعنى أنهم يموتون . فالقول تأكيد لبشرية الرسل .

ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾

التفســـير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ فى الرسل المبعوثين فى الأمم السابقة أجسادا تأكل الطعام غير خالدين، يثبت تعالى أنه صدقهم ما وعدهم بما أوحى إليهم بعد أن أيدهم بالمعجزات المادية أنه يهلك أعداءهم المكذبين، كما يثبت تعالى أنه كان منه لدى حلول عذابه بالمكذبين بالرسل والآيات أنه ينجى رسله ومن شاء أن ينجى معهم، يدخل فيهم الذين آمنوا بهم، ويدخل فيهم من شاءت إرادته أن تكون لهم نجاة لحكمة لديه تعالى وعلم لا يعلمه الناس، كأن يكون مقدرا أن يخرج من ذريته مؤمن يخدم دين الله ثم يكون منه إهلاك الكافرين، وصفهم النص بأنهم المسرفون لقوله تعالى «وأن المسرفين هم أصحاب النار» ولأنهم أسرفوا على أنفسهم فلم يؤمنوا مع ظهور الآيات مبصرة .

لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾

أولا : الأســـماء:

الذكر : فى قوله تعالى «فيه ذكركم» قيل إن المراد به ـ فى معنى الآية ـ هو الشرف

والصيت، يكون للعرب لكون القرآن منزلا بلغتهم، ولأنهم أمة رسول الله ﷺ. ونرى ـ والله أعلم ـ أنه قد شرفهم لنزوله على واحد منهم وقد كان جميع الرسل من بنى إسرائيل من بعد يعقوب عليه السلام وقيل إن المراد به هو الثناء ، وقيل هو الموعظة .

ثانيا: التفســــير:

بعد أن أوضح تعالـى أن رسول الله ﷺ بشر مثل سائر الرسـل، فإنه تعالى عاد ــ فى الآية ـ إلى ذكر القرآن العظيم الـذى أعرض عنه كفار مكة، فأثبت أنه أنزلـه إليهم، والمعنى أنه يكون به صالحهم ونفعهم، وأنـه تضمن ذكرهم، بمعنى أنه شرفهم بنزوله علـى رجل منهم وقد كان الرسل ـ مـن بعد يعقوب ـ من بنى إسـرائيل، كما نزل على رسول الله ﷺ وهـو بمكة وقد كان الأنبياء من قبل من أورشليم أوبيت المقدس.

ثم جاء قـوله تعالى «أفـلا تعقلون» هو استفهام إنكارى مـوجه إلى كفار مكـة ينكر عليهم عدم تفكرهم فـى القرآن العظيم وتدبر آياته، ويـوبخهم على هذا، بإظهاره أنـه لايكون لعاقل ألا يتمسك به مع ما فيه من صلاح أمره وخيره فى الدنيا والآخرة .

وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿١١﴾

أولا : الأسماء والأعــلام :

القريــــة: فى قوله تعالى «وكم قصمنا من قريـة» قيل إن المراد بها ـ فى معنى الآية ـ هو قرية «حضور» كـانت باليمن، أرسل تعالـى لأهلها نبيا هو شعيب بن ذى مهـدم فقتلوه، وقيل هى قـرية أصحاب الرس، أرسـل تعالى فيهم نبيـا هو حنظلة بـن صفوان فقتلوه، وأنه تعـالى أوحى إلى أرميـا النبى أن يبلغ بختنصر أنـه تعالى سلطه على أهـل القرية فأهلكهـم فلم ينج منهم إلا معد بن عدنـان لأنه يخرج من صلبه رسول الله ﷺ. وليس فى الآيـة ما يدل على أن إحدى القريتين هى المقصودة .

ثانيا: التفســـير:

بعد أن ذكـر تعالـى أنه أهلـك المسرفيـن فإنـه تعالـى أظهر كثـرة المسرفيـن وبين كيفيـة إهلاكهم بقوله تعـالى «وكم قصمنا من قرية» فأظهر لفظ «كـم» كثرة المهلكين، وأظهر الفعل «قصم» أن الإهلاك كـان بالكسر وتفريق الأجزاء، ووصفـه تعالى القرى المهلكة بأنهـا كانت ظالمة هو إظهار لظلم أهلها بإصرارهم على الكفر.

وقوله تعالى «وأنشأنا بعدها قوما آخرين» هـو تقرير لما كان منه تعالى من بعد إهلاك أهل القرى من إيجاد أقوام آخـرين في أماكنهم أو يكونون محل عنايته فيبعـث فيهم الرسل، ليسوا من المهلكين في شيء.

فَلَمَّآ أَحَسُّواْ بَأۡسَنَآ إِذَا هُم مِّنۡهَا يَرۡكُضُونَ ﴿١٢﴾

التفســـير:

قولـه تعالـى - في الآيـة - في أهـل القرى المهلكـة. يصف تعالـى حالهم عنـدما كـانوا يستشعرون بحـواسهم نزول العذاب ويـرون مقدماته، كـانوا يهربـون من القرية راكضيـن مثل الدواب حين تعدو مسرعة.

لَا تَرۡكُضُواْ وَٱرۡجِعُوٓاْ إِلَىٰ مَآ أُتۡرِفۡتُمۡ فِيهِ وَمَسَٰكِنِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُسۡـَٔلُونَ ﴿١٣﴾

التفســـير:

قولـه تعالـى - في الآيـة - في المهلكيـن من الأمـم السابقة، والقـول في وصـف أحداث محاولتهم الهـرب من القرى المهلكة ركـوضا. ومفاد قوله تعـالى «لا تركضوا وارجعـوا إلى ما أترفتم فيه ومساكنكـم» يتصور فيه أن يكون قول الملائكة لهم خـلال محاولتهم الهرب، يقال

لهم من قبيل السخرية والاستهزاء بهم، ذلك لأنهم لما كانوا قد عاشوا فى قراهم مترفين تنعموا بالنعم وبطروها، فإنه قيل لهم «لا تركضوا» وارجعوا إلى ما أترفتم فيه» لأنهم إذا رجعوا فإن رجوعهم يكون إلى الهلاك، ولأنهم إذا رجعوا إلى مساكنهم التى افتخروا بها، كان سقوطها فوقهم. فيكون القول استهزاء بهم وسخرية منهم. وقال الذين قالوا إن المراد بالقرى هو قرى يمنية بعينها وأن الذى سلطه الله عليهم هو بختنصر إن القائلين القول هم جنود بختنصر.

وقول الملائكة للمهلكين «لعلكم تسألون» هو تتمة قولهم الساخر من المعذبين، ومعناه هو «لعلكم تسألون عطاء فتعطون» أو لعلكم تسألون فيما أصابكم فتجيبون .

قَالُواْ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿١٤﴾

التفسير:

يذكر تعالى ـ فى الآية ـ قول المهلكين الراكضين حين يطلب منهم من قبيل السخرية الرجوع إلى قراهم حيث نعموا من قبل وبطروا النعمة، فهم ـ لدى يأسهم من النجاة ـ يصيحون «يا ويلنا» ثم يقرون بأنهم كانوا ظالمين، بكفرهم بآيات الله. ومعترفين باستحقاقهم العذاب، وهو ندم على ما قرفوا حين لا ينفع الندم .

فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ﴿١٥﴾

التفسير:

مفادقوله تعالى ـ فى الآية ـ هو أن المهلكين كانوا يرددون قولهم «يا ويلنا إنا كنا ظالمين» مادامت فيهم الحياة والقدرة على النطق، وأن هذا استمر منهم إلى أن أصبحوا مثل الزرع المحصود والنار التى خمدت، والمعنى هو إلى أن تم تمزقهم بالعذاب وخمود الحياة فى

أجسادهم أى إلى حين موتهم .

﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴾ ١٦

التفســـير:

بعد أن ذكر تعالى إهلاكه المكذبين بالرسل والآيات من قبل، جاء قوله ـ فى الآية ـ بذكره آية خلقه تعـالى السماء والأرض، ونفيه أن يكـون خلقهما مما لا طائل مـن ورائه، فيكون من قبيل اللعـب، فيكون المستفاد من القـول هو أن خلقهما إنمـا كان لحكمة، يبين مـن أسباب إهلاك المكذبين ، أنه منها عبادته تعالى على الوجه الصحيح بالإيمان بالرسل والآيات .

﴿ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾ ١٧

التفســـير:

قوله تعالى ـ فـى الآية ـ فى تأكيد معنى خلقه تعالى السمـاء والأرض لحكمة لديه تعالى، وليس من قبيل اللهو واللعب، أو مما لايرجى منه نفع.

فمعنى القول هو أنه لو شاء تعالى أن يكون خلقه السماء والأرض لعبا لكان قد فعل ، لكنه لم يفعل هذا .

فيكون المستفاد هو أن خلقه تعالى السماء والأرض كان لحكمة وليس عبثا .

﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾ ١٨

أولا : الأســـماء :

١ ـ **الحـــــــق**: قيـل: إن المراد بـه ـ فـي معنى الآيـة ـ هـو القرآن العظيـم، وقيل: هـو الحجـــة .

٢ ـ **الباطل** : قيل إن المراد به ـ في معنى الآية هـو الشيطان، وقيل هو تشبيه الله تعالى بغير صفاته، مثل قولهم إن له ولدا .

ثانيا: التفســـير:

بعد أن بين تعالى أن خلقه السماء والأرض لم يكـن ضربا من اللعب ، و إنما كان لحكمة لديه تعالى، فإنه بين أن من هذه الحكمة تغليـب الحق على الباطل، يدخل في الحق كل ما تعلق بعقيدة التوحيد ويدخل في الباطل كل ما يتعلق بالكفر والشرك.

ويبين من لفظ «علـى» في قوله تعالى «بـل نقذف بالحق على الباطـل» علو شأن الحق، وسفالة مرتبة الباطل .

ثم إنه تعالـى يبين أنه يكون منه أن يجعل الحق مـاحقا الباطل، ومن مظاهـر هذا ما سبق ذكره عن إهلاك المكذبين، ومن آثاره الذهاب بالبـاطل كلية على نحو مفاجىء، وهذا ما يبين من «إذا» في قوله تعالى «فإذا هو زاهق» .

وبعد هذا فـإنه تعالى يتوعـد الكافرين ومنهم كفار مكـة بقوله «ولكم الويـل مما تصفون» وهو تـوعد لهم بعقـاب وعذاب يكون جـزاء لهم على وصفهـم إياه تعالـى بما لا يليق بـه من الصفات مثـل اتخاذه مـن الملائكة إنـاثا. وإنـه لا يكون منه بعـث ولا حساب فيكـون خلقه السماء والأرض من قبيل اللهو واللعب .

وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾

أولا : الأســـماء :

من عنــــده: المراد بهم ــ فى معنى الآية ـ هم المـلائكة، والمراد بأنهم عنده تعـالى هو بيان قرب منزلتهم من قبيل التشريف، وليس قرب مكانهم .

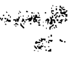
ثانيا: التفســـير:

يمكن القـول إن مفاد قولـه تعالى ـ فـى الآية ـ هـو إثبات أن رأس الحكمة التـى اقتضت خلقه تعالى السماء والأرض هى عبادته تعالى وتوحيـده. فقد بدأ قوله تعالى بإثبات أن جميع من خلق فـى السماء والأرض مملوك له خلقـا وملكا وتدبيرا وتصـرفا و إحياء و إماتـة وتعذيبا و إثابـة. ثم انتقل القـول إلى الإخبار عـن الملائكة المشـرفين بقرب المنـزلة فأثبـت أنهم لا يتعالون علـى عبادته ولا يتعظمون عنها، وأنهـم لا يملون عبادته ولا يتعبون منهـا، والمعنى هو قيامهم على عبادته تعالى على وجه الدوام والاستمرار. وبهذا المعنى فإن القول يكون توجيها للناس بوجوب عبادته تعالى والمثابرة على العبادة .

يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ﴿٢٠﴾

التفســـير:

بعد أن أثبت تعـالى أن الملائكة يداومـون على عبادته، فـإنه تعالى فسر كيفيـة مداومتهم على عبادته فذكر أنهم ينزهونه و يعظمونـه فى جميع أوقات الليل والنهار ـ لا يشغلهم عن هذا شاغل، وقد يكون المعنـى مفيدا أنهم يفعلون هذا حتى حال تكليفهم بـأداء رسالة معينة وهو ما يكون مع الرسل منهم إلى الناس. وقد أكد تعـالى مداومتهم على تسبيحه بقوله فيهم إنهم لا يفترون بمعنى أنهم لا يفرغون عن تسبيحه تعالى ولا عنه ينشغلون .



أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ هُمۡ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾

التفســـير:

قوله تعالـى ـ فى الآية ـ فى ذكر كبيرة أخـرى من جرائم الكافرين هي اشـراكهم بالله، وفى القول جـاءت «أم» بمعنى «بـل» وقوله تعـالى جـاء فى صيغة استفهـام إنكارى لا ينكـر وقوع الحدث وإنما ينكـر ما وراءه من عقيدة فـاسدة. ومعنى القول هـو «بل إنهم اتخذوا ممـا هو موجود فـى الأرض آلهة»، فيدخل فى هـذا الأصنام المتخذة من حجـارة ومن أخشاب أو أى مادة أخرى مما هو موجود على الأرض، ورأوا فيهـم أنهم ينشرون الخلق فى يوم البعث، وهذا باعتبار أن الإله الحق ينشر الناس للحساب يوم القيامة.

ثم إن النص يبيـن فساد عقيدة المشركين من جمعهـم بين متناقضين هما حقـارة مادة ما اتخذوا من آلهة ، وسمو مرتبة المعبود المتمثلة فى نشر العباد يوم القيامة .

﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾﴾

التفســـير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ فى بيان مـدى مخالفة عقيدة الشرك بالله للعقل السوى، فهو تعالى يذكر واقع أنه لو كان فى السماء والأرض آلهة متعددون معه تعالى أو دونه لفسد تدبيرهما.

والقول ـ بهـذا المعنى ـ يشير إلـى حقيقة اختلاف تدبير الأمـور حال تعدد المدبـرين. أما البعد عن منطق العقل السليم فى القول بتعدد الآلهة فيتمثل من محلاظة النظام الدقيق الذى يحكم الكون عاليه وسافله والذى يدل على أن مدبر الأمر واحد .

ثم إنـه تعالى بعد أن ذكـر دليل وحدانيتـه نزه نفسه عمـا يقولون فى وجـود شريك لـه فى الألوهية والقول يفيد أمر الناس بتنزيهه تعالى من مثل هذا الزعم الباطل .

﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾﴾

التفســـير:

بعد أن دل تعالى على وحدانيتـه بالدليل العقلى، فإنه تعالى ـ فـى الآية ـ أظهر أنه بحكم أنـه الخالـق المـالك لايصـح الاعتـراض على أمـريكون منـه، ومـن هذا خلقـه الكـافريـن والمشركين وعدم صرفهـم عما هم عليه من الشرك، وذلك لأن أحدا مـن خلقه لايتجاوز قدر أنه عبد لـه تعالى لايحق له الاعتـراض ، ولأنه ما من أحد مـن عبيده فى مقدوره ـ بـذاته ـ أن يدرك حكمته تعالى فيما يفعل .

وهذا بخلاف حال المعترضين والمشركين وجميع عبيده من المكلفين وما عبدوا من دونه تعالى فإنهم جميعا يعترض عليهم وعلى ما يصدر منهم كما أنهم يسألون به ويحاسبون .

أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةًۖ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡۖ هَٰذَا ذِكۡرُ مَن مَّعِيَ وَذِكۡرُ مَن قَبۡلِيۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡحَقَّۖ فَهُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٢٤﴾

التفســـير:

بعد أن بين تعالى جهـل الذين اتـخذوا معبودات من مادة الأرض، فإنه ـــ فى الآية ـ يثبت جهل كل من أشرك بالله تعالى فاتخذ آلهـة أخرى، يدخل فى هذه الآلهة الكواكب والأفلاك، والملائكة، والأنبياء . وفى بيان افتقار المشركين إلى حجة تدعم عقيدتهم الفاسدة فإنه تعالى أمر رسوله ﷺ أن يطلب منهـم أن يأتوا بدليل من العقل أو من النقـل يثبت وجود آلهة أخرى، «قل هاتوا برهانكم» والقول ـ بهذا المعنى ـ هو تحد للكافرين وتبكيت لهم .

ثم إنه عليه السلام يقول للمشركين بأمر ربه «هذا ذكر من معى وذكر من قبلى» والمعنى هو أن عقيدة التوحيد هى الواردة فى الكتاب الذى معى ـ أى فى القرآن العظيم ـ كما أنها الواردة فى الكتب التى أنزلت من قبلى على رسله، يدخل فيها التوراة والإنجيل.

والمعنى هو أن جميع الكتب والصحف التى أنزلت علـى الرسل والأنبياء قد نزلت بعقيدة التوحيد.

فيكون القـول بطلب أن يأتـى المشركـون بنص فى كتـاب أنزل من الله تعـالى يفيـد تعدد الآلهة أو وجود آلهة غيره تعالى.

وقـوله تعـالى «بـل أكثـرهم لا يعلمـون الحق فهـم معرضـون» هـو فى بيـان علة إعـراض المشركيـن عن الإيمان لـرسول الله ﷺ ، وما يـدعو إليـه من توحيـد الله تعالى، وهـى أنهم لا يعلمون الحق، بمعنى أنهم لا يقبلون الدليل والحجـة؛ ولهذا فإنه لا يجدى معهم إظهار دليل ولا إقامة حجة إذ يستمرون على الشرك معرضين عن البينات والحجج .

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾

التفســـير:

بعد أن ذكر تعالى ما يفيد أن جميع الكتب والصحـف المنزلة منه تعالى قد جاءت بعقيدة التوحيد، فإنه تعالى خاطب رسوله ﷺ فـى الآية ليعلم المشركون أنه لـم يبعث رسولا قبله ﷺ بغير عقيـدة التوحيد، وأنـه كان يخاطـب رسله وحيا ليـدعوا بعقيدة التـوحيد وليأمـروا الناس بعبادته تعالى وحده، لا يشركون به شيئا .

﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۚ بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾

التفســـير:

قوله تعالى ـ فـى الآية ـ هو فى فئة أخرى من المشركين هم الذيـن زعموا أنه تعالى اتخذ ولدا، وفى القول جاء ذكره تعالى بأنه الرحمن لبيـان مدى شناعة إجرام القائلين بالقول لكونه

فى حق مَن لا يشاركه أحد صفته «الرحمن» وبهـا يرحم جميع خلقه ليكون من مجرميهم قول القول. ويدخل فـى القائلين القول هؤلاء الذيـن قالوا إن الملائكة بنات الله، والـذين قالوا إن عزيرا ابن الله، والذين قالوا إن المسيح ابن الله .

وقوله تعالى «بل عبـاد مكرمون» أريد به ـ فى معنى خاص ـ المـلائكة ، وذلك لأن الذين قالوا القول هم بعض مـن مشركى العرب، على حين أن القائلين ببنوة عزيـر لله هم طائفة من اليهود، والذين قالـوا ببنوة المسيح لله هم فئة من النصارى. والقول يفيـد أن الملائكة عباد لله تعالـى كرمهم بتقريـب منزلتهم منه. ثـم إنه لاشك فى أن جميـع الأنبياء هم عباد لله تعـالى أكرمهم باصطفائهم للنبوة .

لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾

التفســـير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ هو فى الملائكة، والقول هو فى تأكيد أنهم عباد لله تعالى مكرمون. فمعنى أنهم لا يسبقونه تعالى بالقول، هو أنهم لا يصدر منهم قول إلا بعد أن يأمرهم تعالى به، فالقول يثبت كمـال طاعتهم لله وانقيادهم، ويبرز تـأدبهم كعباد مع ربهم. وقولـه تعالى «وهم بأمره يعملون» هو بيان لأن جميع أعمالهم لا تصدر منهم إلا بعد أن يأمرهم تعالى بها.

فيكون مفاد الآية هو أنهم يأتمرون بأمره تعالـى فى أقوالهم وفى أعمالهم. وهذا ما لا يكون إلا من تابع لسيده وربه. وهذا هو شأن رسله تعالى فيما يتعلق بأمور العقيدة والدين وليس فيما يصدر منهم بحكم طبيعتهم البشرية .

يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾

التفسـير:

بعد أن أثبت تعالى أنـه لا يصدر من الملائكة قول ولا فعل إلا بأمره تعـالى، مع ثبوت هذا الحال للرسـل فيما يتعلق بأمـور العقيدة والدين، جـاء قوله تعالـى «يعلم ما بين أيـديهم وما خلفهم» لبيان أنه تعالى يراقب جميع ما يصدر منهـم وأنه لا يخفى عنه شيء من قول يقولونه أو عمل يعملونه.

ثم أثبت تعالى أنهم لا يملكون أن يشفعوا لأحد من خلقه إلا لمن رضى تعالى أن تكون له شفاعتهم، وشفاعة الملائكة هى استغفار للمشفوع فيه.

ثم إنـه تعالى يثبـت أن عباده المكرميـن يخشونـه تعالى ويخـافون أن يقع منهـم تقصير يؤاخذون به، فهم لا يـأمنون مكر الله، يدخل فى عباده المكرمين الملائكـة الذين تعلق النص بهم ـ على وجه الخصوص ـ ويدخل فيهم الأنبياء والرسل .

﴿ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّى إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾

التفسـير:

قوله تعـالى ـ فى الآية ـ فـى بيان استحالة أن يصدر عـن الملائكة ـ الذين قيـل فيهم من بعض المشركين إنهم بنات الله ـ قول يدل على الشـرك، فقوله تعالى «ومن يقل منهم إنى إله من دونه فذلك نجزيه جهنم» مفاده أنه لو حـدث فرضا أن ادعى أحدهم أنه إله بالتجاوز عنه تعالى فإنه تعالى يجعل جزاءه هو ذات جزاء المجرمين وهو دخول جهنم. ثم أثبت تعالى أنه على هذا النحو يجـازى الظالمين ـ بمعنى الكافـرين ـ على كفرهم. والقـول بهذا المعنى هو بيان لمصير المشركين بشركهم وهو جهنم .

﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا ۖ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ ۖ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾

أولا : الأســـماء :

الرتــــــــق: فى قولـه تعالى «كانتا رتقـا ففتقناهما» هو الالتحام والضـم، يكون خلقة أو صنعة .

ثانيا: التفســـير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ فى بيان جهل الكافرين بالله تعالى والمشركين به الذين لم يستدلوا بآياته تعـالى فى الخلق على أنه الواحـد الخالق المستحق وحده أن يعبد. فقـوله تعالى «أن السموات والأرض كـانتا رتقـا ففتقناهما» ــ الذى قيل إن معنـاه أن السماوات والأرض كـانتا معدومتين فأوجدهما ـ قد يكون المراد بـه هو إثبات حقيقة علمية تتعلق بظاهرة تمدد الكون، إذ كان الكون فى البدايـة كتلة واحدة (شديم) انفجرت هذه الكتلة انفجـارا هائلا فى مكان، معين منه وفى لحظة معينـة هو المعروف باسم «بيج بانج» نتج عنه تنـاثر المجرات فى جميع الاتجاهات من مركز الانفجار.

والراجح علميـا أن هذا قد حدث مـن نحو عشرة بلاييـن سنة، والمعروف أن ما كـان قبل الانفجار هو ما يسمى «البيضـة الكونية» فتكون هذه هى الرتق، وإنهـا عندما انفجرت حدث الفتق الذى كان به تكون السماوات والأرض.

وقوله تعـالى «وجعلنا من المـاء كل شىء حى» أريـد به كل شىء حـى على الأرض، فلا يدخل فـى عموم الحى الملائكة، فما مـن شىء ينمو على الأرض إلا وهو محتـاج إلى الماء، فضلا عن أن جنس الحيوان عموما إنما كان مبدأ وجوده هو «الأميبا» التى كانت من الماء.

ثم إنه لما كان العلم بهذا دالا على أن فاعل هذا جميعا هو من لا حدود لقدرته، وأنه واحد ليس له شريك .

فقد جاء قوله تعالى ـ فى ختام الآية ـ «أفـلا يؤمنون» ينكر على الكافرين والمشركين أنهم لا يؤمنون بالله تعالى إلٰها واحدا لا شريك له بعد ما رأوا من هذه الآيات .

■■■■

وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَّعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾

أولا : الأســـماء :

الفجــاج: فى قوله تعالـى «وجعلنا فيها فجاجا» جمع، مفرده «فج» وهـو الشقة تكون بين جبلين يحيطان بها، أو تكون خلقة فى بنيان الجبل الواحد فتجعله فى هيئة جبلين .

ثانيا: التفســـير:

القول فى بيان آيات له تعالى فى الأرض تدل على عظيم قدرته، وتدل على رحمته بالناس مما كان مقتضاه وجوب الإيمان به وتوكيده .

فهو تعـالى يذكـر أنه جعل فـى الأرض جبالا راسيـات، هى التى حفظـت الأرض أن تميد بالنـاس وما عليها خلال دوران الأرض حـول نفسها. وقد سبـق بيان أن وصف الجبال بـأنها رواس يشير ـ فضلا عن معنى الثبوت ـ إلى أنها مثل السفن التى ترسو على شواطىء البحار أو فى وسطها، فيكون المقصود بـالجبال هو الرسوبية التى تتكون ممـا تلقى الأنهار من رواسب، والنارية الطافية فوق مياة البحار والمحيطات، كمـا سبق بيان أن هذه الجبال هى التى تحفظ تماثـل كتلة الأرض حول محورهـا أثناء دورانها حـوله، وأنه لـولا هذه الجبال وتوزيعهـا على الأرض على النحـو الذى يحقـق هذا التماثـل لمادت الأرض واضطربـت وما استقـرت على النحو الذى هى عليه .

ثم إنه تعـالى ذكر من بديـع صنيعه ومن آيات رحمته أنـه أوجد بين الجبال شقوقـا طويلة تكون سبلا يسلكها الناس ويتخذونها طرقا، ولولاها لحالت الجبال دون وصولهم إلى المكان الذى يقصدون فـالقول يفيد أنه خلقـه تعالى هذه الفجـاج بين الجبال كان لمصلحـة جنس الإنسان وإن سلكها معه كل حيوان؛ ولهذا جاء قوله تعالى «لعلهم يهتدون» .

والمراد بـالقول هو بيان أنـه كان مفترضا أن يستـدل بهذا على عظيـم قدرته تعالـى وعلى وحدانيته فيكون الإيمان ويكون التوحيد .

وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾

التفســـير:

قوله تعالى ـ في الآية ـ في ذكر بديع صنعه تعالى في السماء من بعد ذكره بديع صنعه في الأرض ، بذكر آية لـولاها ما كان من أمر السمـاء ما هو كائن من حفظها علـى النحو الذى هي عليه.

فيذكر تعـالى أنه جعل السمـاء بمثابة سقف للأرض، وأنـه تعالى حفظها مـن البلى ومن التغير لتظل علـى ما هي عليه إلى أن يأتـى أمره تعالى السماء والأرض أن تـزولا، والقول يشير إلى حقيقة علمية عظيمة هي قانون الجاذبية .

ومفاده أن أى كتلتين في الوجود يكون بينهما قوة جـذب تتناسب طرديا مع حاصل ضرب الكتلتين المتجاذبتيـن، وعكسيا مع مربـع المسافة الفاصلـة بينهما، بمعنى أن قوة الجـاذبية تزداد بـازدياد كـل من الكتلتين وتنقـص بنقصهما، وأنهـا تزداد بنقص المسـافة بينهمـا وتقل بازديادها طبقا لما يسمى بقانون التربيع العكسى.

وقوة الجـاذبية هـذه لها تأثيـرها العظيـم في السمـاء حيث الكتل عظيمـة تتماسـك رغم تباعدها بفضل قوة الجذب، تمسك أجرام السماء وتمنعها من الانفراط ما لم يأمر مدبر الكون جل وعلا بانفراطها .

ولهذا جاء قوله تعالى «وهم عن آياتها معـرضون» ليبين أنه كان مفترضا أن يكون من تدبر المشاهد من حفظ السماء آيـة تدفع إلى الإيمان بالله وتوحيده، وليدين الكـافرين والمشركين لإعراضهم عن الإيمان والتوحيد مع ظهور هذه الآية العظيمة لهم .

وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾

التفســـير:

قوله تعـالى - فى الآيـة - فى ذكر آيـة عظيمة من آيات خلقـه يفترض أن تكون باعثـا على الإيمان به خالقا مدبرا وعلى توحيده، وهى خلقه الليل والنهار وخلقه آيتيهما الشمس والقمر، وكون الأرض والشمس والقمر سابحين فى أفلاكهـم. وفى خلق النهار والليل مع كون الفضاء المحيط بـالأرض مظلما آية عظيمـة على قدرته تعـالى، وعلى رحمتـه بالناس بجعلـه الليل سكنا لهم والنهار معاشا.

وفى ذكره تعالى أن كل فلك يسبح وكل جرم يسبـح فى فلك ذكر لحقيقة علمية هائلة هى من بـديع صنعـه تعالى، ذلـك أن قانون الجـاذبية يـرغم الأجرام علـى الدوران حـول بعضها البعض، فالأرض تدور حول الشمس، والقمر يـدور حول الأرض، فكل جرم يدور أو يطوف فى فلك خـاص به ،ثم إن جميـع الأجرام تسبح فـى الغاز الكونى وهـو الأيدروجين المنتشـر فى أرجاء الكون.

وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَٰلِدُونَ ﴿٣٤﴾

التفســـير:

الخطاب فى الآية إلـى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو يتعلق بكفـار مكة والمشركين الذيـن أفحمهم الرد علـى مزاعمهم المتعلقـة بالشـرك بالله وأثبت بطـلان عقيدتهم بـإثبات وحدانيته تعالى فكـان منهم قولهم «نتربص به ريب المنون» بمعنى أنهـم انتظروا موته صلى الله عليه وسلم، فجـاء قوله تعالـى بإثبات أن الموت ليس مـا يشمت فيه أو به لأنـه مصير كل حى فى الحياة الدنيا. أثبتـه قوله تعالى أنه لم يقرر خلود أحد مـن البشر من قبله ﷺ، ولذلك

فإنه مقدر عليه المـوت. ثم إن المتربصين به صلى الله عليه وسلم مقـدر عليهم أيضا الموت وعدم الخلود فلا يكون لهم أن يشمتوا فى موته ﷺ لأنهم غير معصومين منه.

كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾

أولا : الأســـــماء:

النفس: فى قولـه تعالى «كل نفـس ذائقة الموت» قيل إن المـراد بها هو النفس الحيـوانية عموما، وقيل إن المراد بها هو النفس الإنسانية، وقيل إنها النفس الأرضية. وقد يكون الصحيح هو أن جميع النفوس تموت إلا مـن يشاء الله لهم عدم الموت من الملائكة. علـى ما يبين من قوله تعالى «ونفخ فى الصور فصعق من فى السماوات ومن فى الأرض إلا من شاء الله».

ثانيا التفســـير:

بعد أن أثبت تعالى أنه ليس للكافرين أن يشمتوا لموت رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا ما استوفـى أجله لكونهم مقـدرا عليهم الموت، فإنه تعـالى أثبت الحكم العـام الذى يسرى على جميـع الأحياء أو جميـع النفوس الحيـة. وهو أنهـم ذائقو المـوت. بمعنى أنـه مصيبهم ليكون أول خطوة إلى حساب الآخرة . وجاء قوله تعالـى ونبلوكم بالشر والخير فتنة. لبيان أنه تعالى بصيب الناس بالشدة وبالرخـاء، أو بالمكاره والمحبوبات من قبيل الامتحان والاختبار ليكون الصبر على المكاره والشكـر على النعم من المؤمبن، ويكون القنوط مـن رحمته تعالى وكفران النعمة من الكافرين والعصاة، وهم بما يكون منهم محاسبون: ولهذا جاء قولـــه تعالى ـ فى ختـام القول ـ «و إلينا ترجعـون» مثبتا ـ فى وجه ـ أن الـرجوع فى الآخرة يكون إليـه تعالى وحده للحساب، ومثبتا ـ فى وجه آخر ـ أن الحساب فى الآخرة يكون بالأعمال ومنها ما يكون

من المرء عند ابتلائه بالشر والخير فتنة.

﴿وَإِذَا رَءَاكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِي يَذۡكُرُ ءَالِهَتَكُمۡ وَهُم بِذِكۡرِ ٱلرَّحۡمَٰنِ هُمۡ كَٰفِرُونَ ٣٦﴾

التفســـير:

يذكر تعالى - فى الآية - موقف الكافرين المشركين من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم يبين حكمه تعالى فيهم، فيذكر تعالى أنهم حين يرون رسول الله صلى الله عليه وسلم يستهزئون به، أو يتخذونه مهزوءا به، ثم يفصل كيفية استهزائهم به بقوله تعالى «أهذا الذى يذكر آلهتكم. بمعنى أنهم يشيرون إليه ويتحدثون باستفهام إنكارى تعجبى عما إذا كان هو الذى يذكر آلهتهم بسوء ثم يبين تعالى حكمه فيهم بقوله «وهم بذكر الرحمن هم كافرون». والمعنى أنهم الجديرون أن يسخر منهم لأنهم يعيبون على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه يذكر آلهتهم التى لا تضر ولا تنفع بالسوء، على حين أنهم يكفرون بالرحمن الذى أنزل القرآن رحمة للناس، والذى يضر وينفع، ويجازى بالعذاب والثواب يوم القيامة مع شمول رحمته كل شىء إلا الكافرين .

﴿خُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ مِنۡ عَجَلٖۚ سَأُوْرِيكُمۡ ءَايَٰتِي فَلَا تَسۡتَعۡجِلُونِ ٣٧﴾

أولا : الأســـماء والأعلام :

١- الإنسان: قيل إن المراد به - فى معنى الآية - هو النضر من الحارث الذى أنزلت فيه الآية وهو الذى استعجل العذاب بقوله «إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر»، وقيل المراد

بـه هو آدم عليـه السلام استعجـل تمـام خلقه. وعمـومية اللفـظ تفيـد شمولـه عموم جنـس الإنسـان.

٢ ـ العجل: فى قوله تعالى «من عجل» هو طلب الشئ قبل أوانه.

ثانيا : التفســـير:

يذكر تعـالى ـ فى مبتدأ الآية واقـع تعجيل الإنسان وتحقق مطالبـه وطلبها قبل الأوان، ولا يخل بالمعنى أن النص نـزل فى شخص بعينه من الكافرين تعجل نـزول العذاب بالمشركين دليلا علـى صدق رسول الله صلى الله عليـه وسلم. وفى النـص جاء التعبير عن شـدة التعجل صفة الإنسان يذكر أنه قد خلق منه لبيان أنه من طبعه اللازم له.

وبعد ذكر هذه الحقيقة. وجه تعالى الخطاب للكافريـن فأخبرهـم أنه مصيبهم بآياته وهى النقم والعذاب ومنها ما يكون فى الدنيا، وأكـد أنه تعـــالى مصيبهم بها بنهيهم عن استعجال إيقاعها بهم لأنها آتيتهم، والتكليف هنا هو بمقدور لأنهم يستطيعون إلزام نفوسهمْ الصبر.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ٣٨﴾

التفســـير:

يذكر تعـالى ـ فى الآيـة ـ أحد أعمال المشـركين والكافريـن التى يبين فيها استعجـالهم العذاب.

وهو قـولهم لـرسول الله ﷺ وللمـؤمنين «متـى هذا الـوعد إن كنتـم صادقيـن» يسألـونهم مستهزئين ومنكـرين وقوع الساعة عـن موعد تحقق عذابهم. قـاصدين أن يدلوا علـى كذبهم عليهم فيما تـوعدوا به أنهم يعذبـون بكفرهم يوم القيامة. فـلا يكون المراد بالسؤال هـو معرفة الإجابة.

وإنما المراد به هو الاستهزاء بما أخبروا به وإنكاره .

﴿لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٣٩﴾﴾

التفسـير:

قوله تعالى ـ في الآية ـ في بيان مدى جهل الكافرين الذين يستعجلون وقوع العذاب بهم فمفاد القول أنهم لو علموا أنهم حين يأتيهم العذاب جزاء على كفرهم يحيط بهم من كل جانب على ما يبين من كونه أمامهم وخلفهم وكونهم عاجزين عن دفعه عن وجوههم ولا عن ظهورهم لو علموا هذا لما كان منهم استعجال العذاب وما كان منهم الكفر، ثم إنهم لو علموا أنهم لايجدون ناصرا يمنع عنهم العذاب لكان منهم الإيمان .

﴿بَلْ تَأْتِيهِم بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾﴾

التفسـير:

مفاد قوله تعالى ـ في الآية ـ أن الموعدة التي وعدها الله الكافرين تكون بعذابهم ، أو الساعة التي يحاسبون فيها ويلقون العذاب الذي لا يكفونه عن وجوههم ولا عن ظهورهم، أو النار التي يكون بها عذابهم، تأتيهم بغتة على غير توقع منهم ولا معرفة، فيكون من شأنها معهم أن تصيبهم بالحيرة، فيعجزون عن ردها عنهم، فتصيبهم بما وعدوا وتوعدوا به، لا يمهلون فترة قصيرة يستريحون فيها من العذاب .

﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٤١﴾﴾

التفســـير:

بعد أن ذكـر تعالى لـرسوله ﷺ أن الكـافرين يتخذونـه هزوا وأنهم يسخـرون من قولـه فى آلهتهم ما يقوله، فإنه تعالى يذكر له فى الآية ـ من قبيل التسرية ـ أن هذا كان دأب المشركين دائما مع الرسل من قبله ﷺ، إذ كان الكافرون يستهـزئون بهم، ثم إنه تعالى يخبر أن الكافرين المستهزئيـن بالرسل قـد حاق بهم وأحاط ونـزل عليهم من بعد استهـزائهم بالرسـل العقاب المقدر لهم جزاء على سخريتهم.

فيكون القول ـ بهذا المعنى ـ إعـلاما لرسول الله ﷺ بتعـذيب المشركين بسخـريتهم منه على نحو ما عوقب به المستهزئون بالرسل من قبل .

﴿قُلْ مَن يَكْلَؤُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَٰنِ ۗ بَلْ هُمْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٢﴾﴾

التفســـير:

أمر تعالى رسوله ﷺ ـ في الآية ـ أن يسـأل الكافرين على سبيل التقريع عمن يستطيع أن يشملهم بعنـايته «يكلؤكـم» فيحفظهم مـن بأس الرحمـن أن يأتيهم فـى الليل أو فـى النهار، والمراد هو إثبات أنهم ليس لهـم من حافظ يحفظهـم من بأسه تعالى، وأنـه تعالى هو الحافظ وحده بحكم كونه الرحمن.

وفى القول جاء ذكـر الليل قبل النهار لأن المصائب والأحداث الجسـام إذا أصابت الناس ليلا كانت أشد وطأة عليهم مما إذا أصابتهم نهارا.

ثم إنه تعالى أثبت بعد هذا أن الكافرين ليسوا ممن يستمعون القول فيتدبرونه ويكون منهم العمل بمـا يفهمونه منه، وأنهـم لم يقدروا نعمه تعـالى التى أنعـم بها عليهم، وأنهم لا يـؤمل فيهم أن يخشوا بأسه فهم معرضون عن الحق وعـن ذكر ربهم فى البأساء والضراء إصرارا على الكفر وعنادا من أنفسهم .

أَمْ لَهُمْ ءَالِهَةٌ تَمْنَعُهُم مِّن دُونِنَا ۚ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُم مِّنَّا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾

التفســـير:

قوله تعالى - فى الآية - توبيخ للكافرين والمشركين الذين أعرضوا عن الإيمان واستهزؤا برسول الله ﷺ فحق عليهم العذاب.

جاءت عبارة القول فى صيغة استفهام إنكارى ينكر عليهم أن تكون لهم آلهة تمنعهم من عذاب الله، فيكون القول مثبتا - من جهة ثانية - أنهم إذا كانوا قد اتخذوا آلهة يعبدونها من دونه تعالى فإنها لن تمنع عنهم عذابه تعالى يحيق بهم .

ثم إنه تعالى أثبت أن معبوداتهم هذه لا تملك لنفسها دفع ضرر أراده تعالى بهم، ولا يستطيعون أن يتخذوا صاحبا يصحبهم فيدفع عنهم أمرا أراده تعالى بهم. وقيل إن المقصودين فى القول هم الكافرون لا يستطيعون أن يدفعوا عن أنفسهم ما أراده تعالى بهم ولا يستطيعون الاستعانة بآلهتهم باستصحابهم على ذلك .

بَلْ مَتَّعْنَا هَٰؤُلَاءِ وَءَابَاءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ ۗ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ۚ أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٤٤﴾

التفســـير:

بعد أن ذكر تعالى أن آلهة المشركين لا تملك لهم شيئا من دونه تعالى، فإنه تعالى أثبت فى الآية أنه الذى أنعم عليهم بما هم فيه من النعم، وأنه الذى أمهلهم ومد لهم فى أعمارهم كما كان منه تعالى مع آبائهم من قبل، فكان منه تعالى أنه أطال بهم العمر مع استمرار النعم

ينعمون بها .

ثم إنه تعـالى أثبت أنه مقـدر على الكافريـن أن يغلبوا وأن ينتصر عليهم المـؤمنون فعاب عليهم أنهـم لا يعتبرون من مـلاحظة أن ملك الكافـرين فى الأرض يتنـاقص بغلبة المـؤمنين عليهم وانتشـار الإسلام فى بقـاع من الأرض كان أهلها كـافرين. «أفـلا يرون أنا نـأتى الأرض ننقصها من أطرافها»، ثم جاء الاستفهام الإنكارى «أفهم الغالبون» ، والمعنى هو إنكار عليهم اعتقادهم أنهم ينتصرون علـى رسول الله ﷺ والمؤمنين مع مشاهدتهم نقـص أرض الكافرين وضمها للمؤمنين .

ثم إن القول يشيـر إلى حقيقة علمية سبق ذكـرها، ونضيف إليها الآن ما هـو معروف من أن العالم يعيش فترة تعرف بعصر الجليد، وأن طبقـة الجليد فى القارة القطبية فى الجنوب تمتد لنحو ثلاثة عشر كيلو متـرا مربعا من هضاب الجليد، بسمك قدره كيلو متر تقـريبا، وقد كانت أضخم من هـذا كثيرا منذ نحو ٢٥٠٠٠ سنة، وأنهـا أثرت بثقلها على تـوازن قشرة الأرض فى هذه الأمـاكن فهبطت كثيرا، ثـم إنه لما انصهـر الجليد باعتـدال المناخ فى العصر الحـديث بدأت القشرة تستعيد وصفهـا الأول، والملاحظ الآن هو الارتفاع التدريجـى لشواطىء البلاد الواقعة حول القطب الشمالى مثل الدول الاسكندنـافية وفنلندا إذ ترتفع شواطئها بمعدل قدم واحدة كل ثمـانية وعشرين عـاما، وأنها ارتفعت منـد انقشاع الجليد ما يقـرب من تسعمائة قدم، والملاحـظ أيضا أن البحر فى العصر الحديـث يرتفع مستواه نتيجة انكمـاش مساحات الجليد عنـد القطبين، ومعلـوم أنه توجـد غابات غـارقة فـى سواحل كثيـر من البلـدان ومنها انجلترا، وفيها تنكشف سيقان هذه الأشجار من الغابات أثناء الجَزْر.

فهذه هـى الحقيقة العلميـــة التى يثبتهـا قوله تعـالى إنه يأتـى الأرض ينقصهــا من أطرافها .

قُلْ إِنَّمَآ أُنذِرُكُم بِٱلْوَحْيِ ۚ وَلَا يَسْمَعُ ٱلصُّمُّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾

التفســـير:

بعد أن توعد تعالى الكافرين بالعذاب لا يستطيعون أن يدفعوه عن وجوههم ولا عن ظهورهم، مبينا أنه لا يكون في مقدور أحد دفعه عنهم، فإنه تعالى أمر رسوله ﷺ أن يخبر الكافرين أن إنذاره إياهم العذاب يأتيهم بغتة فيبهتهم هو مما كلف به بطريق الوحي والمعنى أنه من الله تعالى وأنه ﷺ قد أمر بإنذارهم فأطاع وأنذر.

وقوله تعالى «ولا يسمع الصم الدعاء إذا ما ينذرون» يقبل أن يكون مما أمر رسول الله ﷺ أن يقوله للكافرين، ويقبل أن يكون قوله تعالى، وفيه بيان لانقطاع الأمل في هداية المصرين على الكفر رغم إنذارهم بسوء العاقبة، ذلك أن وصفهم بالصم لا يسمعون الدعاء الذي هو كلام صادر بصوت ونداء يفيد تصاممهم عن سماع الدعوة وعن سماع ما أنذروا به فيكون المستفاد من القول هو وجوب عقابهم بما أنذروا به لاستمرارهم على الكفر.

وَلَئِن مَّسَّتْهُمْ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٤٦﴾

أولا: الأســـماء:

النفحـة: في قوله تعالى «ولئن مستهم نفحة» هي - في الأصل - هبوب رائحة الشيء، ويعبر باللفظ عن النزر اليسير من الشيء أو القدر البسيط والقليل منه.

ثانيا التفســير:

قوله تعالى - في الآية - هو في هؤلاء الكافرين الذين لا يتعظون بالإنذار بالعذاب يذكر تعالى أنهم لا يبدون شيئا من التجلد إذا ما أصابهم مجرد مس من قدر قليل من العذاب الذي أنذروا به، فإنه يكون منهم الدعاء على أنفسهم بالويل والهلاك، والإقرار على أنفسهم بأنهم كانوا ظالمين بكفرهم أنفسهم فأوردوها الهلكة.

ويتصور أن يكون النذر اليسير من مجرد المس من العذاب هو الجوع الذي أصاب

الكافرين فى مكة، ويتصور فيه أن يكون من مقدمات عذاب يوم القيامة.

وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾

التفسـير:

بعد أن أفاد قوله تعالى فى الآية السابقة عن عدم تحمل الكافرين النزر اليسير من العذاب يمسهم، فإنه تعالى ـ فى الآية ـ بين كيف يكون حسابهم يوم القيامة وحساب المكلفين.

فذكر تعالى أنه يضع الموازين العادلة، يستحضرها لتوزن بها صحائف الأعمال أو لتوزن بها الحسنات والسيئات، وذلك سواء أكان المراد بالموازين القسط هو الموازين على الحقيقة ، أم كان ذكرها كناية عن العدل والإنصاف فى حساب الحسنات والسيئات. وأنه بالترتيب على وزن الصحائف أو الأعمال لا يكون ظلم نفس من الأنفس بنقص فى ثواب استحقته أو بزيادة عذاب بإثم اقترفته.

ثم بين تعالى أن النفس تحاسب كل فعل صدر منها ثوابا أو إثما مهما بلغت ضآلته ولو لم تبلغ إلا وزن حبة الخردل أو مقدارها على ضآلته ، فإنه يؤتى به ويوزن لصالح النفس أو عليها .

ثم إنه تعالى يثبت بقوله تعالى «وكفى بنا حاسبين» أنه تعالى خير العادِّين المحصين على العباد أعمالهم وأنه وحده الكافى عباده وعبيده الظلم.

والقول يشير ـ من جهة ثانية ـ إلى مجازاته المكلفين بما يسفر عنه حسابه تعالى أعمالهم ومحاسبتهم .

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ۝٤٨﴾

أولا : الأسـمـاء :

الفرقــان : هو ما يفـرق بين شيئين، والمراد بـه ـ فى معنى الآيـة ـ هو ما يفـرق بين الحق والباطل، قيل إنه التوراة ، وقيل الشريعة، وقيل معجزة اليد، وقيل هو فلق البحر. والذى نــراه ـ والله أعلم ـ هو ما أنـزل على موسى وشارك هارون فى الإبلاغ به من صحـف أُنذر بها فرعون وقومـه، ومن التوراة التـى أنزلت كتـابا لبنـى إسرائيل، لأن كـلا منهما تضمن أحكـام العقيدة الصحيحة التى تفرق بين الحق والباطل، مع تضمـن التوراة أحكام الشريعة أيضا وهى مفرقة بين الحق والباطل .

ثانيا التفسـير:

لما كان تعـالى قد قال لرسـوله ﷺ «وما أرسلنا قبلـك إلا رجالا نوحى إليهم» ثـم أخبر عن إهلاكـه المكذبين بقولـه تعالى «وأهلكنـا المسرفين» فـإنه تعالى شـرع فى الآية فـى تفصيل إجمال القول.

فبين أنـه آتى موسـى وهارون صحفا وكتـابا تفرق بيـن الحق والباطـل لينذرا بها مـن بعثا إليهم، وجاء ذكـر هارون مع موسى بـاعتبارهما قد كلفا معا بـالإبلاغ، وقد أبلغا فرعـون وقومه وأبلغا بني إسرائيل بالرسالة التى بعثا بها، ووصف تعالى الصحف والكتاب بأنهما كانا ضياء وذكرا للمتقين.

وقد كـانا ضيـاء لأنه بهما عـرف طريق الحـق فكانـا نورا يستضاء بـه ليكون الخـروج من ظلمات الكفـر إلى نـور الإيمان كما كان مـن السحرة الـذين آمنـوا ومن المـؤمنين مـن بنى إسرائيل، كما كـانا لهم ذكرا لله، وكان ذلك لهـم وحدهـم دون الكافرين لأنهـم الذين انتفعوا به بإيمانهم وبعملهم الصالحات وبالشريعة المنزلة .

﴿ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾﴾

التفســــير:

بعد أن ذكر تعالى أن صحف موسى والتوراة كانا ضياء وذكرا انتفع بها المتقون، فإنه تعالى ـ في الآية ـ وصف هؤلاء المتقين أو مدحهم بقـوله فيهم إنهم الذين يخشـون ربهم بالغيب، بمعنى أنهم آمنوا به وخافوا بأسه على كونه تعـالى غير مرئى لهم أو غائبا عنهم فكان إيمانهم به تعالى إيمانا بـالغيب، فيكون القول متضمنا تعريضا بالكافرين الـذين لم يعتبروا بما أنذروا به وطلبوا مشاهدة العذاب واستعجلوا وقوعه .

ثم إنــه تعالى وصـف المتقين بأنهـم من الساعـة مشفقون، والمعنى هـو خوفهم مـن يوم القيامـة ـ وهو من الغيـب الذى آمنوا به ـ والقول يشير إلى تجنبهـم إغضابه تعالـى، وعملهم بالطاعات .

﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَٰهُ ۚ أَفَأَنتُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٥٠﴾﴾

التفســــير:

بعد أن ذكر تعالى التوراة التى أنزلت على مـوسى عليه السلام ووصفها بأنها ذكر، وبين أن الذين أفـادوا منها هم المتقون الـذين يخشون ربهم بـالغيب، فإنه تعـالى أثبت صفة الـذكر للقرآن العظيم، بمعنـى أنه يماثل التوراة التى آمـن بها المتقون فى صفة الذكـر، إذ يكون بكل منهما الذكر والتذكر. ثم وصف تعالى القرآن العظيم بأنه مبارك، أو بأنه ذكر مبارك، بمعنى أنه يتزايد نفعه، وهو ما يكون بعض مظاهره متمثلا فى صلاحية أحكامه لكل زمان ومكان، وكونها غير منسوخة، ولمرونة أحكام المعاملات. ثم أعاد تعالى بيان أنه منزل من لديه بقوله «أنزلناه» ليبين أن أحدا لا يستطيع أن يأتى بخير يماثل ما فيه من الخير للعباد .

وقوله تعالى ـ فى ختام الآية ـ «أفأنتم له منكرون» هو استفهام ينكر على الكافرين إنكارهم أن القرآن العظيم منزل من لدنه تعالى بعد علمهـم أنه يماثل التوراة فى كون كل منهما ذكرا، وهذا لما هو معلوم من رجوع الكافرين إلـى أهل الكتاب لسؤالهم عما أخفى عليهم العلم به مما هو مثبـت فى التوراة، مما يفيـد اقتناعهم أنها كتاب منـزل من الله تعالى، فيكـون مناقضا اقتناعهم هذا أنهم ينكرون أن القرآن العظيم كتاب منزل من الله تعالى.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَآ إِبْرَٰهِيمَ رُشْدَهُۥ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ۝٥١﴾

التفســـير:

قوله تعـالى ـ فى الآيـة ـ انتقال لذكـر رسول آخر هو إبـراهيم عليه الصلاة والسـلام، يذكر تعالى أنه كان قبل موسى وهارون المذكورين آنفا، وأنه تعالى آتاه الرشد الكامل الذى اهتدى به بذاتـه إلى الله الحق ونبذ به عبـادة ما كان قومـه يعبدون، واهتدى به إلى أوجـه الصلاح فى الدين والـدنيا. ثم أثبت تعالـى أنه كان عالما بجميـع أحواله وكمالاته، وبهـذا المعنى يكون القول مشيرا إلى أنه تعالى قد شمله بعنايته فحفظه بحكم علمه بجميع أمره .

﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ۝٥٢﴾

أولا : الأســـــماء :

١ ـ الثمـاثيـل: جمـع، مفـرده «التمثـال» وهـو شكـل يصنـع علـى هيئـة مخلـوق مـن المخلوقات، على صورته وشبهه .

٢ ـ العـاكفون : فى قـوله تعالى «أنتـم لها عاكفون» جمـع مفرده «العاكف» وهـو الملازم شيئا، والمستمر على ملازمته .

ثانيا التفســـــير:

بعـد أن أوضح تعـالى أنـه آتى إبـراهيم ﷺ رشـده، فـإنه تعـالى ذكـر مظهرا مـن مظاهـر استعمالات هذا الرشد، فجاء قـوله تعالى «إذ قال لأبيه وقومه» ظرفا لـ «آتينا إبراهيم رشده». والقول يفيد أنـه توجه بالقول إلـى أبيه وقومه الذين كـانوا يعبدون الأصنام فقال لهـم «ما هذه التماثيل التى أنتم لها عاكفون» وصف الأصنام التى كانوا يعبدونها بأنها مجرد تماثيل، وذلك تحقيرا لها، ثم إنـه سأل عن ماهيتها وهو عـالم بهذا، وهذا للتدليل علـى إنكاره أن تكون لها قيمة أو يكـون لها وزن، ثم جـاء قولـه «التى أنتم لهـا عاكفون» دالا علـى إنكاره عليـه السلام عليهم ملازمتهـا والتقرب إليها، ومبينا عدم اقتناعـه بها تضر وتنفع، وعدم رضـائه عن التقرب إليها .

﴿قَالُواْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ٥٣﴾

التفســـــير:

يذكـر تعالـى ـ فى الآيـة ـ رد أبى إبـراهيم وقـومه على سـؤاله. ومن القـول يبين أنهـم لم يستطيعوا الإجابة على السؤال ببيان ماهية الأصنام التـى يعكفون على عبادتها؛ ولذلك فإنهم اكتفوا بذكر ما يفيد كونهم مجرد مقلدين اتبعوا ما وجدوا عليه آباءهم .

﴿قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ٥٤﴾

التفســـــير:

مفاد قوله تعالى ـ فى الآية ـ أن إبراهيم ﷺ هاجم أباه وقومه بشدة لما رآهم قد عجزوا عن الإجابة عـن ماهية الأصنام فقال لهـم إنهم كانوا باتباعهـم آباءهم فى عبادتهـم التى استمروا عليها فى ضلال وابتعاد عن الحق ظاهر بين، فهم وآباؤهم متماثلون فى الضلال الظاهر لكل

ذى عقل .

﴿ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا بِٱلۡحَقِّ أَمۡ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾

التفســـير:

يذكر تعـالى ـ فى الآيـة ـ قول أبى إبراهيـم وقومه له حين سمعـوا قوله و إغلاظـه لهم فيه، فكان منهم حين ذاك أن سألـوه عما إذا كان ما جاءهم به من كـون عبادة الأصنام ضلالا مبينا هو حق يملك الدليل عليه فيقدمه لهم، أم أنه قول لاعب هازل لا دليل لديه على ما يقول .

﴿ قَالَ بَل رَّبُّكُمۡ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ٱلَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا۠ عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٦﴾ ﴾

التفســـير:

يذكـر تعالـى ـ فى الآيـة ـ مـا رد به إبراهيـم ﷺ على أبيـه وقومه ، وفـى القول انتقـال من الحديث عن فساد عبادة الأصنام وما تنطوى عليه من ضلال إلى الحديث فى شأن الله تعالى المستحق العبادة. ذكره عليه الصـلاة والسلام بأنه ربهم لبيان أنه سيدهـم والمتولى أمورهـم ، ثم ذكر آية من آيـاته ليست لغيره مما يعبدون ، هى ربوبيتـه السماوات والأرض ومن فيهما وما فيهما، ومن بين مخلـوقاته فى الأرض الكافرون الذيـن يخاطبهم وآباؤهم الذيـن اتبعوهم فى عبادة الأصنام، والمعنى أنـه وحده الحافظ جميع من فى السمـاوات والأرض وما فيهما، فلا يكون غيره مستحقا أن يعبـد، ثم أثبت عليه السلام أنه تعالـى الذى أوجد السماوات والأرض من العدم «الذى فطرهن» .

وبعد هذا فإنـه عليه الصلاة والسلام قال ما يفيد أنـه معه الدليل على صحة قـوله ما قال

فى آلهتهم وما قاله فى شأن رب العالمين، فقال «وأنا على ذلكم من الشاهدين» بمعنى أنه على علم بهذا، لأن الشخص لا يشهد إلا بما علم. فيكون قد نفى عن نفسه أن يكون من اللاعبين، وأثبت أن لديه الدليل على صحة ما قال فى شأن المستحق العبادة.

وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾

التفسير:

القول ـ فى الآية ـ مما قاله إبراهيم عليه الصلاة والسلام لأبيه وقومه، أقسم فى بداية القول بالله تعالى ليثبت لهم عدم إيمانه بمعبوداتهم وإيمانه برب السماوات والأرض وحده، ثم إنه غالى فى تحديهم بأن ذكر لهم أنه سيجتهد ما استطاع مستعملا الحيلة فى كسر أصنامهم، وقوله هذا لهم أريد به تحديهم بأن يتخذوا ما لديهم من حيطة وبأن ينبهوا أصنامهم إلى ما أريد بهم ليدفعوه عن أنفسهم إن كانوا يقدرون على هذا. ثم كان منه عليه الصلاة والسلام أنه حدد وقت فعله الذى أنذرهم به، وهو أن يكون بعد انصرافهم عن عبادة آلهتهم، وقيل إنهم كانوا يتعبدونها فى عيد لهم حين قال لهم هذا القول.

فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلَّا كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾

أولا: الأسماء:

الجذاذ: فى قوله تعالى «فجعلهم جذاذا» هو القطع، من الفعل «جذ ـ يجذ» بمعنى قطع.

ثانيا التفسير:

المستفاد من القول فى الآية هو أن القوم انصرفوا من عند آلهتهم وأن إبراهيم عليه الصلاة والسلام تمكن من آلهتهم فقام بتكسيرها وجعلها قطعا صغيرة، إلا أحدها وصف بأنه كبيرهم،

لكونـه - أى الصنـم - أكبرهـم حجما، أو لكونـه كبير الأصنـــــام المعبودة فـى عقيـــدة المشركين . وقوله تعالى «لعلهم إليه يرجعون» يقبـل أن يكون المراد بمن يرجع إليه المشركون هو الصنم الكبير الباقى، يرجعون إليه يسألونه عن خير تكسير باقى الأصنام والفاعل، ويقبل أن يكون هو إبراهيم عليه السلام يرجعون إليـه بالسؤال فيتمكن منهم ويفحمهم بالحجة، ويقبل أن يكون هو الله تعالى، يرجعون إليه حين يروا عجز آلهتهم عن دفع الضر عن أنفسها .

قَالُوا۟ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾

التفســـير:

يذكر تعالى - فى الآية - ما يفيد أن قوم إبراهيم حين عادوا إلى أصنامهم من بعد انصرافهم اكتشفوا ما أصـاب أصنامهم من التكسيـر فتساءلوا فيما بينهـم عمن يكون الفاعـل، ثم إنهم قالوا فـى حقه «إنه لمن الظالميـن» نسبوا إليه الظلم لإهـانته الآلهة بقولهم بـدلا من تبجيلها واحترامها أو لإفراطه فى تكسيرها وتحطيمها .

قَالُوا۟ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ ﴿٦٠﴾

التفســـير:

مفاد قوله تعالى أن من بين الذين شاهدوا حال الأصنام وسمعوا السؤال عن الفاعل الذى حطمها، أن من بيـن هؤلاء من أجاب قائلا «سمعنا فتـى يذكرهم يقال له إبـراهيم»، والمعنى أنهم سمعوه حين قال فى المعبد للقوم «وتالله لأكيدن أصنـامكم بعد أن تولوا مدبرين» وهذا يفيد أنـه عليه السـلام قال هـذا القول جهـرا وليس فـى نفسه كمـا قال البعـض، ومفاد قـول القائلين هـو أنهم سمعوا فتى يذكرهـم بالعيب ويتوعدهـم بالشر، ثم عينوه بقولهـم «يقال له إبراهيم» بمعنى أنه يطلق عليه لفظ إبراهيم، بمعنى أنه يسمى إبراهيم .

﴿قَالُواْ فَأْتُواْ بِهِۦ عَلَىٰٓ أَعْيُنِ ٱلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ۝٦١﴾

التفســـير:

يذكر تعالـى ـ فى الآية ـ أن الذين سألـوا عمن حطم الأصنام طلبوا من الذين أجـابوا بأنه فتى يدعى إبراهيـم أن يحضروه إلى مجلس يحضره الناس ليشهدوا إقراره علـى نفسه بالذنب لدى محاكمته عليه، وليشهدوا إيقاع العقوبة به .

﴿قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۝٦٢﴾

التفســـير:

المستفاد من قوله تعالى ـ فى الآية ـ أنه تم استحضار إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وأنه جرت محاكمته على أعين الناس، فسئل عما إذا كـان قد قام بتكسير أصنامهم، والمفهوم من اسم الإشارة «هذا» أن سؤاله الإقرار بالفعل كـان فى المكان الموجودة به التماثيل المحطمة. كما يبين من قول السـائلين أنهم لم يخجلوا أن يصفوا الأصنام بأنها آلهتهـم رغم ما شاهدوه من أمرها وقد تحطمت ولم تستطع أن تحمى نفسها مما أريد بها .

﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ۝٦٣﴾

التفســـير:

يذكر تعالى ـــ فى الآية ـ أن إبراهيم ﷺ قال للسائلين مشيرا إلـى الصنم الكبير الذى أبقاه لم يكسره «بل فعلـه كبيرهم هذا» ويلاحظ أنـه عليه السلام لم يقل إن الصنم الكبيـر قد كسر آلهتهم، وإنما قال «بـل فعله» وقيل إنه تعمد هذا لكى لايكون منـه كذب، فيكون المعنى أن الباعث لديه على تكسير الأصنام هو ما شهده من تبجيل القوم كبير الأصنام، فكأن الصنم هو

الفاعل للفعل لكونه السبب فيـه. وقيل إنه عليه السـلام جعل الفأس فى عنـق كبير الأصنام وأشار إليه ناسبا الفعـل إليه بدعوى أنه ـ أى الصنم ـ اغتاظ حيـن رأى القوم يعبدون معه آلهة أخرى أحقر منه شأنـا فعمد إلى تحطيمها. وقد يكون الصحيح ـ والله أعلـم ـ أنه عليه السلام لم ينكر إتيانه بالفعل وإنما أراد الاستهزاء بهم والاحتجاج عليهم بضعف آلهتهم وعجزها عن حماية نفسها وضعف كبيـرهم وعجزه عن الإفادة عمن حطم باقى الآلهة وذلـك ما يثبته قوله عليه السلام لهم «فـاسألوهم إن كانوا ينطقـون» وقد استشكل فيما إذا كان قول إبـراهيم عليه السلام يعتبر من قبيل الكذب أم لا، فقيل إنه اعتبر كذبا أدى إلى دنو مرتبته عن مرتبة رسول الله ﷺ، وقيل إنه لا يعتبر كذبا لأنه أريد به تحقيق مصلحة فيكون جائزا .

﴿فَرَجَعُوٓاْ إِلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ فَقَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ أَنتُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٦٤﴾

التفســـير:

يذكـر تعالى ـ فـى الآية ـ أن قوم إبـراهيم رجعوا إلى أنفسهـم فتفكروا فيما حدث وتـدبروا معانيه فاكتشفوا أنهم عبدوا آلهة لا تستطيع أن تحمى أنفسها فيكون المستفاد أنها لا تضر ولا تنفع فكانوا بهذا ظالمين، أو أنهم قد قصروا فى حمايتها فكانوا بهذا ظالمين، أو أنهم أخطؤا بسؤالهم إبـراهيم عمن فعل الفعـل بآلهتهم فأتاحـوا له أن يسخر منهم ومـن آلهتهم وأن يقيم عليه الحجـة بفساد عقيدتهم، فكـانوا بهذا ظـالمين أنفســـهم لأنهم أتاحــوا لـه الانتصار عليهـم .

﴿ثُمَّ نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمۡ لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ ٦٥﴾

التفســـير:

مفاد قـوله تعالـى ـ فى الآيـة ـ أن القوم عـدلوا عـن استقامة الـوضع حين أقـروا بخطئهم

وظلمهم أنفسهم بعبادتهم آلهة لا تستطيع أن تدفع عن نفسها ضرا يراد بها، إلى وضع مقلوب يخالف الحق، يتمثل في الدفاع عن الباطل، أظهره قولهم لإبراهيم عليه الصلاة والسلام «لقد علمت ما هؤلاء ينطقون»، والمعنى هو إنك تعلم ما نعلمه من أن آلهتنا لا تنطق. ثم إننا مع معرفتنا هذه الحقيقة قائمون على عبادتها، فكيف يكون منك طلب توجيه السؤال إليهم عن فاعل الكسر.

قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ﴿٦٦﴾

التفسـير:

لما كان مفاد قول قوم إبراهيم هو علمهم بعدم قدرة آلهتهم على النطق والإخبار، وعن دفع الشر عن ذواتهم، فإن إبراهيم عليه الصلاة والسلام قد وجه إليهم القول «أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم» والقول استفهام إنكاري تضمن تبكيتا لهم على فعلهم المأفون من مجاوزة عبادة الخالق القادر إلى عبادة أصنام تعجز عن أن تجلب لهم نفعا وعن أن تمنع عنهم ضرا.

أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾

التفسـير:

القول تتمة قول إبراهيم عليه الصلاة والسلام لقومه، أظهر في بدايته تضجره من إصرارهم على باطلهم بإخراج صوت المتضجر «أف» من بين شفتيه، ثم بين أن تضجره هو من أفعالهم المرذولة الخبيثة وهي عبادة الأصنام ومن الأصنام ذاتها.

ثم أنكر عليهم غياب عقولهم بفعلهم هذا وهو عبادة ما لا يملك نفعا ولا ضرا.

﴿قَالُواْ حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ٦٨﴾

التفسـير:

مفاد قوله تعالى ـ فى الآية ـ أن بعض القوم قال للآخرين ـ من بعد ظهور عجزهم عن محاجة إبراهيم ـ «حرقوه وانصروا آلهتكم إن كنتم فاعلين»، والمعنى أن القائلين اقترحوا معاقبة إبراهيم عليه الصلاة والسلام بالقتل حرقا، وأنهم استحثوا الآخرين على قبول اقتراحهم والموافقة عليهم ببيان أن هذه العقوبة وإيقاعها به هى وسيلة الانتقام لآلهتهم، عليهم أن يقوموا بإيقاعها وتنفيذها إذا ما أرادوا الانتقام لآلهتهم.

وقيل إن الذى اقترح هذه العقوبة هو نمرود بن كنعان بن سنحاريب بن نمرود بن كوس بن حام بن نوح عليه السلام. وقيل إنه كان رجلا من الأكراد يدعى هيون، وقيل هدير.

﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ٦٩﴾

التفسـير:

مفاد قوله تعالى ـ فى الآية ـ أن القوم قد وافقوا على العقوبة المقترحة من البعض وهى قتل إبراهيم عليه الصلاة والسلام بإحراقه فى النار، وأنهم قاموا بتنفيذ العقوبة بأن ألقوه فى النار.

ثم يخبر تعالى ـ فى الآية ـ أنه أمر النار أن تكون بردا وسلاما على إبراهيم، ولو لم يأمرها أن تكون سلاما عليه لكان بردها قد قتله من شدته.

﴿وَأَرَادُواْ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ ٧٠﴾

التفســــير:

يذكر تعالـى ـ فى الآية ـ واقع أنه علـى حين كانت إرادة قوم إبراهيم هـى المكر به لإيقاع أكبر الضرر به، فإن هذا لم يتحقق، وإنما الذى تحقـق هو أنه تعالى جعلهم الأخسرين بمعنى أنهم أشد الناس خسارة، ذلك لأن نجاة إبراهيم عليه الصلاة والسلام من النار قد أظهرت أنه مؤيـد من الله الحق، وأثبتت بطـلان آلهتهم التى أرادوا الانتقام لهـا بإحراقه، ثـم إنهم ازدادوا بمحاولتهم إحراقه عليه الصلاة والسلام إثما يعذبون به، ولهذا كانوا هم الأخسرين .

﴿ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴾ ٧١

التفســــير:

مفاد قولـه تعالى ـ فـى الآية ـ أنه بعـد أن أنجى تعالى إبـراهيم عليه الصلاة والسـلام من النار، فإنه تعالى أنجـاه وابن أخيه لوطا بأن أخرجهما من بين القـوم الظالمين عابدى الأصنام إلى الأرض التى زاد فـى خيرها للعالمين وهى الغـالب أرض الشام، وقيل هى مكـة وقيل هى مصر.

فالمعلوم أنه عليه السلام توجه إلى حاران ومنها تزوج سارة، ثم توجه بها إلى مصر ثم عاد بها إلى الشام فى أرض كنعان وبقى لوط فى سدوم أو فى المؤتفكة .

﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴾ ٧٢

أولا : الأســــماء :

النافلـــة : فى قـوله تعالـى «ووهبنا له إسحـاق ويعقوب نافلـة» هى العطية، تعطـى بغير مقابل أو دون أن تكون واجبة على المعطى .

ثانيا التفسـير:

يذكر تعالى أنه من بعد أن أنجى إبـراهيم عليه الصلاة والسلام إلى الأرض التى بارك فيها كان منه تعالى أن رزقـه إسحاق ويعقوب عليهما السلام ـ وقد سبق بيانهما ـ ثم أثبت تعالى أنه جعل كل نبى من المذكورين فى القصـة وهم إبراهيم ولوط وإسحاق ويعقوب من الذين وفقهم الله إلى الصلاح فكمل صلاح دينهم وأمرهم فى الدنيا والآخرة .

وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴿٧٣﴾

التفسـير:

مفاد قولـه تعالى ـ فى الآيـة ـ أنه جعل إبـراهيم ولوطا وإسحاق ويعقـوب أئمة لأممهم، وذلك طبيعى لأنهم اختيروا للنبـوة فكانوا أئمة يقتدى بهم، ثم أثبت تعالى أنهـم قاموا بهداية الناس إلى ديـن الحق الحنيفية ملة إبـراهيم وأنهم فعلوا هذا بـأمره تعالى الـذى كان يصدره إليهم وحيا.

ثم إنه تعالى يـذكرأنه أوحى إليهم فعل الخيرات، والمراد بهذا إثبات أنهـم قرنوا إيمانهم بالعمل الصالح وكانوا للناس فى هذا قدوة يقتدى بها .

ثم أثبت تعالى أنه أمرهم بطريق الوحى بـإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، والمعنى أنه تعالى قد كلفهـم بهذا وبـالإبلاغ بـه، إلا أن المقصود مـن الصلاة ومـن الـزكاة هـو أمرآخـرغير صـلاة المسلمين وزكاتهم .

وبعد هذا ذكر تعـالى أنهم فى حياتهم كانـوا عابدين إياه، والمعنى أنهـم لم يعبدوا سواه وهذا مفهوم بحكم طبيعة الملة التى كانوا عليها وهى الحنيفية وعمادها الإيمان بالله وتوحيده

وعدم الشرك به .

﴿وَلُوطًا ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ ۗ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ ٧٤﴾

أولا : الأســــماء :

١ ـ الحكم : فى قوله تعالى «آتيناه حكما» المراد بـه ـ فى معني الآية ـ هو الحكمة، وقيل هو النبوة، وقيل هو الفصل بين المتنازعين في القضاء.

٢ ـ العلـم: فى قولـه تعالى«آتيناه حكما وعلما» قيـل إن المراد به ـ فى معنى الآيـة ـ هو العلم بملة إبراهيم، ونرى والله أعلم أنه العلم بما ورد فى صحف إبراهيم عليه السلام.

٣ ـ الخبائث : المراد بها ـ فى معنى الآية ـ هو اللواطة التى كان عليها قوم سدوم .

ثانيا التفســـير:

بعد أن ذكر تعالـى أنه نجى إبراهيم ولوطا بقولـه «ونجيناه ولوطا» فإنه بين مـا أنعم به على إبراهيم عليه السلام، ثم إنه تعالى يبين فى الآية ما أنعم به على لوط عليه السلام.

ومعنى القـول أنه تعالى آتـى لوطا حكمـا وعلما فيكون ورود لفـظ «لوطا منصوبـا» معناه «ولوطا آتيناه» والذى آتاه تعالى لوطا هو الحكمـة والعلم بالحنيفية وبما أنزل على إبراهيم فى الصحف.

ثم يذكر تعـالى نعمته عليه بإنجائه من قـرية سدوم التى كان أهلها يباشـرون اللواطة وهي إتيان الرجـال بعضهم بعضا، وقيل إنهم جمعوا إلـى هذا خبائث أخرى منها لعبهـم بالحمام وشـرب الخمـر وضرب الـدفـوف، ولبـاس الرجـال الحـريـر وإتيـان النساء بعضهـن بعضـا بالســحاق.

ثم إنه تعالى وصف قـوم لوط بأنهم كانوا قوم سوء فاسقين، بمعنـى أنهم جبلوا على فعل السيء من الفعال، وأنهـم كانوا خارجين عن طـاعة الله ولم ينقادوا لرسولـه لوط عليه السلام، فيكون القـول المتضمن وصفهم بمثابـة ذكر لسبب إهلاكهـم وإنجاء لوط من المصيـر الذى حاق بهم .

﴿وَأَدْخَلْنَٰهُ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝٧٥﴾

التفسـير:

بعد أن ذكر تعالى أنه أنجى لوطا من مصير قوم سدوم، فإنه تعالى أثبت فى الآية أنه أدخله فى عداد عباده المشمولين برحمته.

وقد يكون المراد بالرحمة ـ فى القول ـ هو النبوة. ثم بين تعالى أنه عليه السلام ـ من الذين سبقت لهم من الله الحسنى ولهذا فإنه من الصالحيـن، فيكون القول تعليلا لدخولـه فى زمرة الداخلين فى رحمة الله .

﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ۝٧٦﴾

التفسـير:

بعد أن ذكر تعالى قصة إبراهيم عليه الصلاة والسلام أبى العرب وبنى إسرائيل، فإنه تعالى يذكر ـ فى الآية ـ قصة أبى البشرية الثانى نوح عليه السلام.

ومعنى قـوله تعالى «ونـوحا إذ نادى من قبـل» هو «واذكر نـوحا إذ نادى من قبـل»، والمراد

بندائه عليه السلام هو قوله «إنى مغلوب فانتصر»، وقوله «رب لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا».

وقد أثبت تعالى أن نوحا عليه السلام كان فى تـاريخ الزمان قبل إبراهيم عليه السلام ومن ذكر معه من الأنبياء. ثم بين تعالى أنه استجاب لدعاء نوح.

والمستفاد من قولـه تعالى «فنجيناه وأهله من الكرب العظيم» هـو أن الكرب العظيم وهو الطوفان قد أصاب قومـه فأغرقهم، وأنه تعالى أنجى نوحا وأهله الذيـن هم جديرون أن يدعوا من أهله بإيمانهم ـ من هذا الطوفان فى جملة الناجين الذين آمنوا له .

وَنَصَرْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾ .

التفســـير:

مفاد قـوله تعالى ـــ فى الآية ـ أنـه تعالى منع نـوحا من القـوم الذين كذبـوا بآياته تعـالى وخلصه من أذاهم الذى كانوا يصيبونه به بإهـلاكهم فكان بهذا خلاصه منهم ومن أذاهم. ثم وصفهم تعالى ـــ فى النص ـ بأنهم كانوا قـوم سوء بمعنى أنهم كانوا على فعـل السوء قائمين دائمين.

ثم ذكـر تعالى أنه أغـرقهم أجمعين، فجاء القـول ببيان سبب إهلاكـه تعالى إياهـم وبيان كيفية الإهلاك وهى الإغراق .

وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾

أولا : الأســـــماء :

الحـرث : هو الـزرع عمومـا، وقيل إن المـراد به ـ فـى معنى الآيـة ـ هـو الكرم علـى وجه الخصوص، باعتبار أنه الذى كان موضوع القضية المعروضة للنظر والحكم فيها .

ثانيا التفســـير:

القول ـ فـى الآية ـ انتقال لـذكر قصة داود وسليمان عليهمـا السلام ـ وقد سبـق بيانهمـا ـ ومعنى القـول هو «واذكر داود وسليمـان إذ يحكمان فى الحـرث» ذلك أن داود كان نبيـا وكان ملكا، وكـان عليه السـلام يعد سليمان لخـلافته فكـان يجلسه معه مجـالس الحكـم، ومنها القضاء فى المنازعات.

والقصة المرويـة فى الآية تتعلق بجلوسهما للقضـاء فى أمر زرع أتلفه نفش غنـم لآخرين فيه، بمعنى أن الغنـم دخلت الزرع ليلا بغير راع لكـون «النفش» هو رعى الغنـم ليلا بغير راع. فكان لجوء صاحب الزرع إلى داود ليحكم له بتعويض على أصحاب الغنم.

وجاء قوله تعـالى «إذ يحكمان فى الحرث» مبينا أن سليمان كـان يجلس مجلس الحكم بصفته صاحـب رأى، كما جاء قولـه تعالى وكنا لحكمهم شـاهدين مثبتا صـدور الحكم من داود وسليمان معا، وأنه تعالى كان علمه بما يدور حاضرا غير غائب عنه .

فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ۚ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٧٩﴾

التفســـير:

المفهوم من قـوله تعالى ـ فـى الآية ـ هو أنـه كان من داود عليه السلام فصـل فى القضية المعروضة عليه على نحـو معين، وكان منه تعالى أن أعلم سليمان بـالقضاء الصحيح، وذلك

قد يكون بطريق الإلهام لكون سليمان وقتذاك صبيا عمره إحدى عشرة سنة، وقد يكون بطريق الوحى، فآل الأمر إلى القضاء بما رآه سليمان وأيداه بعد نقض قضاء داود.

وفى هذا قيل إن داود عليه السلام قضى لصاحب الـزرع بالغنم يأخذها من صاحبها ، وأن سليمـان قال إن كـان غيـر هـذا يكون أرفـق بـالمتخـاصمين، فسـألـه داود عـن هذا الأرفـق بالمتخـاصمين، فقال تدفـع الغنم إلى صاحـب الزرع ينتفع بهـا. ويوضع الحرث بيـن يدى صاحب الغنم لتعهده بالإصلاح.

فإذا ما تـم رجوع الزرع إلى حـاله التى كان عليها رده إلـى صاحبه ورد إليه صـاحب الزرع غنمه بعد انتفاعه بها .

وبعد هذا أوضح تعالى أنه آتى كلا مـن داود وسليمان حكما وعلما، وذلك لعدم توهم أن سليمان كان وحده الذى هو على حكم وعلم.

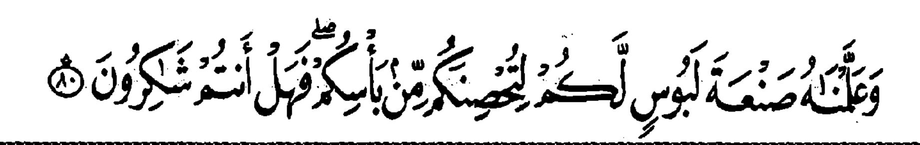
فيكون المستفاد أنه تعالى خص سليمان بالفهـم فى هذه القضية المعروضة لحكمة لديه تعالى.

وبعد هذا فإنه تعالـى شرع فى ذكر بعض ما أنعم به على داود عليه السـلام فذكر أنه سخر معه الجبال يسبحن باللسان قولا، قيل إن قولها كان مسموعا للناس جميعا.

وقيل كان مسموعا لداود وحده.

كما ذكر تعالى أن الطير كانت تفعل فعل الجبال معه عليه السلام بمعنى أنها كانت تسبح معه الله تعالى وتقدس له.

ثم إنه تعالى قال «وكنا فاعلين» لبيان أنه تعالى يكون منه فعل هذا، وما هو أكثر منه فليس الأمر هو مما ينكر لأن الفاعل هو من لا يصعب عليه فعل شىء .



أولا : الأســــماء :

صنعة اللبوس : هو فـى الأصل صناعـة كل ما يلبس، والمـراد بها ـ فـى معنى الآية ـ هو صناعة الدروع، وهى صناعتهـا على نحو تكون معه خفيفة فى حملها مع كونهـا موفرة الوقاية اللازمة وذلك بسردها وجعلها حلقات .

ثانيا التفســير:

قوله تعالى فى فضل تفضل به تعالى على داود وهو تعليمه صناعة الدروع على نحو معين بطريـق السرد والتحليـق مما يكـون معه الـدرع خفيفا ومـوفرا الحمـاية مـن السيف والـرمح والسهم.

ثم بين تعالى أن تعليمه عليه السلام هذه الصناعة كان لصالح الناس «لكم» ثم بين ماهية صالح الناس الذى كفلـه لهم درع داود عليه السلام، وهو توفير الحمايـة للمحاربين من بأس أعدائهم وقوتهم .

ثم إنه لما كان المخـاطبون بالقول هم من المستفيدين بالصناعـة التى علمها تعالى داود عليه السـلام فقد جاء سؤالـه تعالى إياهـم «فهل أنتم شـاكرون» لبيان وجوب أداء حـق هذه النعمة من الشكر، ولتقريع غير الشاكرين على جحودهم النعمة .

وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾

التفســير:

يذكر تعـالى ـ فى الآية ـ مـا أنعم به على سليمان وكـان من مظاهر تكريمه وإكـرامه، فهو تعالى سخر له الريح عاصفة تجرى بأمره إلى الأرض التى بارك فيها رب العزة جل وعلا.

ويبين من اللام فى «ولسليمان» أن الريح قد انقـادت له انقيادا تاما فكانت تطيعه، تجرى بمشيئته وفق إرادته بما خلقه الله فيها من فهم لأمره، وقـد كان هذا يحدث حال كونها عاصفة شديدة الهبوب، ولا يتعـارض هذا مع ذكره تعالى فـى موضع آخر أنها كانـت تجرى به رخاء، لأنها كانت تطيعه فى الحال التى هى عليها وقت أن يريد عليه السلام ركوبها.

وقوله تعالى أنها كـانت تجرى بأمره إلى الأرض التى بارك تعالى فيهـا، قد يكون المراد به أن الريح كانت تجرى به إلى أرض الشام حيث كـان يقيم، لدى عودته من الأرض التى توجه إليها.

فيكون القول متعلقا برحلة العودة، وقد يكون المراد به هو التوجه إلى الأرض التى يقصدها فيفنى الكافرين فيها ويقيم الدين فتكون الأرض مباركة بهذا.

وقد قيل إن الشياطين أعدت له عليه السلام بسـاطا ووضعت عليه عرشا كان عليه السلام يجلس عليه ومن شاء اصطحابهم معه على البساط فتحملـه الريح إلى حيث شاء ثم تعود به وبهم.

وقوله تعالى ـ فى ختـام الآية ـ «وكنا بكل شىء عالمين» هو بيان لكون إنعامه تعالى على سليمان بهذه النعمـة كان وليد حكمته تعالى وعلمـه بكل شىء، فيكون تخويله مـا خول هو لتحقيق مصلحة واجبة الاعتبار، وليس مثل نشر دين الحق ما هو أولى بالاعتبار.

وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعۡمَلُونَ عَمَلٗا دُونَ ذَٰلِكَۖ وَكُنَّا لَهُمۡ حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾

التفســـــير:

قوله تعالـى ـ فى الآية ـ فى ذكر نعمـة أخرى من النعم التى أنعم بها علـى سليمان، فقوله

تعالى «ومن الشياطين مـن يغوصون له» معناه هو «وسخرنا له من الشيـاطين من يغوصون له» ويبين من لفظ «له» أن الشيـاطين كانوا يغوصون تحت الماء لإخراج أشيـاء عاملين فى ذلك لمصلحة سليمان وليس لمصلحة خاصة بهم.

ثم إنه تعالى ذكر أن الشياطين قد سخروا ليؤدوا لسليمان أعمالا أخرى خلاف هذا العمل، ومن هـذا ما قيل عـن بناء المـدن والقصور وصناعـة المحاريب والتمـاثيل والحمَّـام والنورة والطاحون والقوارير والصابون .

ثم إنه تعالى ذكر ـ فى ختام الآية ـ أنه كان يحفظ الشياطين عن أن يزيغوا عن أمر سليمان عليه السلام، أو عن أن يفسدوا فى الليل ما عملوه لصالحه فى نهارهم .

۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾

التفســـير:

مفاد قولـه تعالى «وأيوب إذ نـادى ربه أنى مسنى الضـر وأنت أرحم الراحميـن» هو واذكر أيوب ـ وقد سبـق بيانه ـ والتعريف به وبمـاهية ما ابتلاه به الله من المرض ومـا كان من أمره ـ والمذكور عنه فى الآية هو ما كان منه وقد بلغ به الضرر من المرض مبلغه، إذ نادى ربه.

وفى ذكره تعالى بأنـه ربه ما يفيد أن نداءه الله تعالى كان بحكم كونـه القائم على أمره. ثم يبين مـن اكتفاء أيـوب بذكر مـا ناله دون طلـب المراد، مـا يفيد تأدب أيـوب مع ربـه، وعدم تصريحه بالمطلوب. ثم إنه توسل إلى الله تعالى بصفته أنه أرحم الراحمين، فأظهر أنه لا يأمل إلا فى رحمة ربه تناله، وهذا هو غاية المنى وأسنى المطالب .

فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾

التفســـير:

يذكـر تعالى ــ فى الآية ــ أنه استجاب إلى دعـاء أيوب عليه السـلام الذى لم يصـرح به بالقول، وأن استجابته تعالى لدعائه تمثلت فى شفائه من البلاء الذى كان يأكل جسده، وفى رد ماله إليه أو بالإنعام عليـه بالمال، فذهب ما كان قد ناله من الضـرر فى سلامة جسمه وفى ماله.

ثم إنه تعالى أثبـت أنه عوضه عمن فقد من أولاده بقوله «وآتينـاه أهله ومثلهم معهم» وفيه قيل إنه تعالى رد الشباب إلى زوجه وأنه عليـه السلام أنجب منها البنين ستة وعشرين، فكان منه تعالى أنه رد إليه أهله ومثلهم معهم.

وقيل إنه تعالى أحيا له أولاده الذين هلكوا وولدت له زوجه مثلهم .

ثم إنـه تعالى وصـف ما فعل مـع أيوب من كشف الضـر عنه ورد مالـه إليه وإتيانـه أهله ومثلهم معهم بأنه رحمة منـه تعالى وذكرى للعابدين، بمعنى أنه كان مـن آيات رحمته تعالى بأيوب، وتذكرة للعابدين ليصبروا كما صبر أيوب فيكون لهم الخير من بعد البلاء .

وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾

أولا : الأســـــماء والأعلام :

ذو الكفـل : قيل إنه ابن أيوب عليه السلام ، كان مقيمـا بالشام ومات عن خمس وسبعين سنة، وقيل هو إلياس بن ياسين بن فنحاص بن اليعازر بن هارون. وقيل هو يوشع بن نون، وقيل هو زكريا، وقيل هو حزقيال. وقيل إنه بوذا أو بوذا جوتاما الذى يعبد حاليا فى بعض دول آسيا.

ثانيا التفســـير:

قوله تعالى ــ فى الآية ــ فى إسماعيل و إدريس ــ وقد سبق بيانهما ــ وفى ذى الكفل، يذكر تعالى أنهم كانوا من الصابرين على تحمل مشاق تكاليف الرسالة وعناد المكذبين .

﴿ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ ۖ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ ٨٦

التفســـير:

يذكر تعالى ـ فى الآية ـ أنه شمل هؤلاء المذكورين الموصوفين بأنهم من الصابرين برحمته فكانوا من المدخلين برحمته فى رحمته.

ثم إنه تعالى أثبت فى حقهم أنهم من عباده الصالحين، الذين صلحوا فى أنفسهم وصلحت أعمالهم .

﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ ٨٧

أولا : الأســـماء والأعلام :

١ ـ **ذو النون** : هو لقب ليونس بن متى عليه السلام، وهو يونان فى التوراة التى بين أيدينا اليوم و «النون» هو الحوت ـ وقد سبق بيانه وذكر قصته .

٢ ـ **الظلمات** : جمع مؤنث، مفرده الظلمة. وقيل إن المراد بها ـ فى معنى الآية ـ ظلمات ثلاث ظلمة الليل، وظلمة البحر، وظلمة بطن الحوت. وقيل هو جوف الحوت الذى التقمه .

ثانيا التفســـير:

معنى قوله تعالى «وذا النون» هو «واذكر ذا النون» أى صاحب الحوت، وهو يونس بن متى عليه السلام. ذكر تعالى أنه ذهب مغاضبا، والمعنى أنه فارق قومه عن غضب لربه تعالى

على قومه حين لم يعـذبهم الله بكفرهم ورفع العذاب عنهم ولم يعلم يونـس بأمر توبتهم. وقد يكون غضبه على قومـه وتركه إياهم كان لعدم تحمله إصرارهم علـى الكفر، ويكون لهذا جاء قوله تعالـى لرسوله ﷺ «ولا تكن كصاحـب الحوت». والمعروف من قصته هو أنـه أتى البحر وركب السفينة فلـم تسر فى الماء أو أنهـا أوشكت على الغرق فاقتـرعوا على من يلقـونه منها فأصابته القرعة فألقوه فالتقمه الحوت .

وقوله تعالى فـى يونس عليه السلام «فظن أن لن نقدر عليه» معنـاه أنه اعتقد أن الله تعالى لن يؤاخذه بمـا كان منه من غضب على قومـه أو من هجرته قومه دون أمر مـن ربه ولن يضيق عليه، ثم كـان منه تعالى أن سجنه فى بطـن الحوت الذى التقمه حين ألقى فـى البحر، فكان منه أن سبح ربه وصلى له متخذا من بطن الحوت مسجدا وكان من قوله تسبيحه بأنه لا إلٰه إلا أنت سبحانـك إنى كنت من الظـالمين» وفيه نزه الله تعالـى عن أن يكون منه عجـز عن شىء ومنه ابتلاؤه بما ابتلى به وأقر بأنه دخل فى عداد الظالمين بما كان منه من سرعة الغضب على قومه أو من الهجرة بدون أمر منه تعالى .

فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾

التفســـــير:

يذكـر تعالى ــ فى الآية ــ أنه استجاب لـدعاء يونـس عليه السلام الـذى دعا به ربـه فى مضمون توبتـه و إقراره بخطئه فى الهجـرة بغير إذن ربه أو بالغضـب على قومه، وأنـه كان منه تعالى إنجـاؤه من الغم الذى نـال منه حين التقمه الحـوت، أو من غم الخطيئة. وقـد كانت نجاتـه بأن قـذفه الحوت إلـى الساحل بعـد أن مكث ببطنـه فترة قيل إنهـا من الضحى إلى العشاء، وقيل كانت ثلاثة أيام، وقيل سبعة .

وقولـه تعالى «وكـذلك ننجـى المؤمنين» معنـاه هو أنه علـى مثل هـذا النحو الكامـل من الإنجاء يكون منا إنجاء المؤمنين إذا ما دعوا ربهم بـإخلاص ـ والمشهور ـ أن الدعاء بمثل ما

دعا به يونس مما ورد فى الآية مستجاب إذا ما دعا به مسلم بإخلاص، وأثر ذلك مشهود.

﴿وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ٨٩﴾

التفســـــير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ فى زكريا عليه السلام ـ وقد سبق بيانه ـ ومعنى قوله تعالى «وزكريا إذ نادى ربه» هو «واذكر زكريا إذ نادى ربه» ـ ويبين من النص أن الذى نادى به زكريا ربه، أو الذى توجه به إليه هو قوله: «رب لا تذرنى فردا وأنت خير الوارثين» وفيه نادى ربه بصفته الرب الراعى وذلك لأنه يطلب منه تعالى مسألة، ثم سأله الولد بقوله «لا تذرنى فردا» بمعنى «لا تتركنى وحيدا بغير وارث يرثنى من الولد» وهذا هو المستفاد مما أثنى به على الله تعالى بذكره بأنه خير الوارثين بمعنى أنه خير حى يبقى بعد ميت.

﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ٩٠﴾

التفســـــير:

يذكر تعالى ـ فى الآية ـ استجابته لدعاء زكريا عليه السلام، وهو ما كان برزقه الولد وهو يحيى عليه السلام وإصلاح حال زوجه بجعلها صالحة للمعاشرة وللإنجاب بعد أن كانت عاقرا لا تلد، وقيل إنه تعالى أصلح خلقها بأن جعلها مطيعة زوجها، وقد كانت من قبل سيئة الخلق طويلة اللسان.

وقوله تعالى «إنهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا، وكانوا لنا خاشعين» يتصور فيه أن يكون متعلقا بزكريا وزوجه ويحيى، ويتصور فيه أن يكون فى جميع الأنبياء

المذكـورين، ومعنى القـول أنهم كانـوا يفعلون الأفعال الحسنـة برغبة صـادقة ونية خـالصة بمجرد توافر القدرة على الفعل، كما أنهم كانوا يلجـؤون إلى الله تعالى بالدعاء على رغبة فى نعمه تعالى ورهبة من نقمته، كما أنهم كانوا دائما مخبتين لله متضرعين. والظاهر من القول أن هذه الخصال فيهم كانت سببا لقبول دعائهم .

وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩١﴾

أولا : الأســـــماء والأعلام :

١ ـ **التى أحصنت فرجهـــا:** هى مـريم ابنـة عمران أم المسيـح عليه السلام، وقد سبـق بيانها.

٢ ـ **الفرج :** فى قولـه تعالى «والتى أحصنت فـرجها» هو فى الأصل «الشـق بين الشيئين» ويكنى به عن السوءة، ثم استعمل بهذا المعنى.

ثانيا التفســـير:

قوله تعالـى ـ فى الآية ـ فى مريم، ومعنـى قوله تعالى «والتى أحصنت فـرجها» هو «واذكر التى أحصنت فرجهـا» ومفاد القول هو أنها منعت فـرجها عن الرجال، وقد تحقـق هذا المنع بعدم مقارفتها البغاء والزنا، وبعدم زواجها فلم يستبح فرجها بسفاح ولا بنكاح شرعى.

ثم يذكر تعالى أنه بعث فى بطنها الحيـاة بحملها بالمسيح عيسى عليه السلام بالنفخ فى درعها من جهـة جبريل عليه السلام، دعاه تعـالى روحه، أو بغير نفخ على الحقيقـة ـ فى رأى القائلين أن النفخ أريد به الإحياء ـ فكان منه أن جعل قصتها وابنها آية عظيمة من آيات قدرته تعالى للعالمين .

إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾

التفســــير:

الخطاب ـ فى الآية ـ للناس جميعا، وقيل إنه للمؤمنين، وقيل إنه للمعـاندين. وفيه يشير تعالى إلى ملة التوحيد بالله والإسلام ويخبر عنها بأنها أمة المخاطبين ، ويبين حالها بأنها أمة واحدة بمعنى أنها ملة واحدة.

ويتصور أن يكون المشار إليه هو الأنبياء الذين يتبعهـم الناس، أثبت تعالى أنهم إنما دعوا إلى عقيدة واحدة هى عقيدة التوحيد لم يختلفوا فيها، فيكون القول مثبتا وحدة الدين فى شقه المتعلق بالعقيدة ، ومثبتا بطلان عقيدة الإشراك بالله .

وقوله تعالى «وأنا ربكم فاعبدون» هو إعلام بأن الرب الذى يتولى أمر جميع الخلق والذى دعا جميع الأنبياء إلـى الإيمان به وتوحيده هو رب العـزة جل وعلا، ثم إنه تعالـى رتب على هذه الحقيقة أثرها اللازم وهو استحقاقه وحده العبادة، فكان أمره للناس جميعا بعبادته .

وَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡۖ كُلٌّ إِلَيۡنَا رَٰجِعُونَ ﴿٩٣﴾

التفســـير:

بعد أن خـاطب تعالى النـاس وأثبت لهم وحـدة الدين فـى شقه المتعلق بالعقيـدة وأنها واحدة وهى تـوحيد الله التى دعا بها جميـع الرسل، فإنه تعـالى أخبرعن الناس فـأثبت أنهم اختلفوا فى شـأن الدين والعقيدة فجعلـوا الدين قطعا مجـزأة، والمعنى أن كل فئة قـالت فى شأن العقيدة برأى فيكون المستفاد من هذا هو ابتعاد الكثيرين عن عقيدة التوحيد.

ثم إنه تعـالى أخبربرجـوع جميع الناس الذيـن اختلفوا فى أمر العقيـدة فمزقوها مـن بعد وحدتها إليه تعالى ليحاسبهم بما كان منهم .

فَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَا كُفۡرَانَ لِسَعۡيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ﴿٩٤﴾

التفســـــير:

قوله تعـالى ـ فى الآية ـ فـى تفصيل ما يكون منه تعـالى مع الناس عند رجوعهـم إليه يوم القيامة للحساب، فيذكر تعالى أن من عمـل الصالحات أو من عمل بعض الصالحات وكان مؤمنا فإنه لا يُكفر ما عمل من عمل صالح، بل ثوابه كاملا.

والقول ـــ بهذا المعنى ـ يشيـر إلى شرط الإيمان ولـزومه للإثـابة فى الآخرة علـى الأعمال الحسنة. ثم إنه تعالى أظهر عدم تصور ضياع ثواب عمل من الأعمال الصالحة بذكره ما يفيد أنها تكتب للعبد المـؤمن فى صحيفته لدى إتيانـه بها «و إنا له كاتبون» فهـى تكتب لصالحه فى صحيفته حسنة .

وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾

أولا : الأســــــماء :

الحـــرام : فى قولـه تعالى «وحرام على قـرية أهلكناها» المـراد به ـ فى معنى الآيـة ـ هو الشىء الممتنع .

ثانيا التفســـــير:

يتصور فى معنى الآية أن يكون المراد به هو أنـه أمر ممتنع الحدوث أن يكون من شأن أهل القرى التـى أهلكها الله بـذنوب أهلها وأهلكهم أنهم لا يـرجعون إليـه فى الآخـرة للحساب. فيكون القـول ـ بهذا المعنـى ـ متضمنا الرد علـى منكرى البعث، وعلـى القائلين بـأن عذاب الدنيا الذى يوقعه تعالى بالكافرين المكذبين يمنع عنهم عذاب الآخرة .

ويتصور فيه أن يكون المراد بـه هو أنه قد وجب على أهل القرى المهلكـة أنهم لا يرجعون إلى الله تعـالى بالتوبـة. والمعنى أنهم عذبـوا بعذاب الدنيا لعدم توبتهم ولاستمرارهـم على الكفر وتكذيب الرسل .

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتۡ يَأۡجُوجُ وَمَأۡجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٖ يَنسِلُونَ ٩٦﴾

أولا : الأســـــماء :

الحــدب: فى قوله تعالـى ﴿وهم من كل حدب ينسلون﴾ هو المرتفـع من الأرض كالجبل والتبة .

ثانيا التفســـير:

مفاد قولـه تعالى ـ فى الآيـة ـ أن الناس الذين تقطعـوا أمر دينهم بينهم فاختلفـوا فى شأن عقيدة التوحيد يبقون علـى اختلافهم إلى أن يقترب مجىء الساعة فيعـرف الجميع أن الدين الحق هـو القائم على تـوحيد الله. ومن عـلامات الساعـة فتح السد وظهـور يأجوج ومـأجوج يسارعون إلى ما قصدوا هابطين من كل مرتفع من الأرض .

ويتصور فى القـول أن يكون مفاده هو أن المهلكين لا يـرجعون إلى الله بالتوبـة إلا عند قيام القيامة حين لا تنفعهم توبة ولا رجوع إلى الحق .

﴿وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَٰوَيۡلَنَا قَدۡ كُنَّا فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا بَلۡ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ٩٧﴾

أولا : الأســـــماء :

الوعـد الحق : المراد به ـ فـى معنى الآية ـ هو يوم القيـامة، وقيل هو ما بعد النفخـة الثانية من بعث وحساب وجزاء .

ثانيا التفســـير:

مفاد قوله تعالى ـ فى الآية ـ أنه بظهور يـأجوج ومأجوج يكون وقت يوم القيامة قد اقترب ،

وذلك لأن فتح السوريكون فـى زمن نزول عيسى عليه السلام من السماء وبعـد قتله الدجال، بعده يخبره تعـالى عيسى عليه السلام بـأمريأجوج ومأجـوج وأنه لايقدرعلى قتالهـم، ثم إنه تعالى يـرسل عليهم نغفا فى رقـابهم فيصبحون موتـى، ثم يطهرتعالى الأرض مـن أجسادهم ونتنها، ثـم يبعث تعالـى ريحا طيبة فتقبض روح كـل مسلم ويبقى شـرارالناس وهم الـذين ذكرهم القول بأنهم الذين كفروا يقول تعـالى إن أبصارهم تكون شاخصة بمعنى أنها لاتطرف من هول ما تنظرمن العذاب الذى ينتظرأصحابها.

ثم يذكرتعالى أن هـؤلاء الكافرين ينادون نداء الويل والتحسر «يا ويلنـا». ثم يقرون بأنهم كانوا فى دنياهم غافلين عن البعث والرجـوع إلى الله، وبأنهم ظلموا أنفسهم بتكذيبهم الرسل وبقائهم على الكفرإلى حين موتهم .

إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾

أولا : الأســـــماء :

الحصـــب: فى قوله تعالى «إنكم وما تعبدون مـن دون الله حصب جهنم»، هو ما يرمى به فى النارفتهيج من الحصباء يرمى بها. وقيل هو الحضب، وهو الحطب فى لغة أهل اليمن .

ثانيا التفســـير:

قوله تعالـى ـ فى الآية ـ خطاب إلى مشـركى مكة الذين عبدوا الأصنام، يقـول لهم تعالى إنهم ومـا يعبدون من الأصنام يكـونون يوم القيـامة حصب جهنـم الذى يلقى به فيهـا فتهيج وتزيد اشتعالا. ويبيـن من «ما» فى قوله تعـالى «وما تعبدون» أنه يخرج مـن عداد المعبودات الملائكة والأنبياء الذيـن عبدهم بعض المشركين، وأن المقصود بالمعبـودات التى تلقى فى النارمع عابديهـا هو الأصنام. ولايقال فى هذا إنه لافائدة ترجى مـن إلقاء الأصنام فى جهنم لأنها جمادات لاتشعربالعذاب ولاتحس.

وذلك لأنها تلتصق محميا عليها بأبدان عابديها فتزيد من آلامهم.

ثم إنـه تعالى أكـد لكفار مكة الـذين لا يؤمنـون أنهم واردو النار أو جهنـم بقوله «أنتـم لها واردون» فكان القول من قبيل الوعيد.

لَوْ كَانَ هَٰؤُلَاءِ آلِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٩٩﴾

التفســـير:

قوله تعـالى فى إثبات بطلان عقيـدة المشركين عابـدى الأصنام، يقول لهم تعالـى إنه لو كانت الأصنام التى عبـدوها آلهة على الحقيقة لامتنع أن يكون مصيرهـا هو ورود جهنم يلقون فيها. فيكـون ورودها النار دليـلا على ضعفها عـن حمايـة ذواتها مما مفـاده استحالة كـونها آلهـــة.

ثم إنـه تعالى يثبت خلـود المشركين والأصنام التـى عبدوها فـى جهنم بقوله «وكـل فيها خالـدون» . وذلك لأنه لمـا كان العـذاب لايخفف على الكـافرين فـى النار، فقـد وجب أن يستمر عذابهم بالتصاق أجسامهم بمعبوداتهـم من الأصنام المحمى عليها فى نار جهنم، بما يستوجب خلود العابد والمعبود فيها .

لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾

التفســـير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ فى المشركين عابدى الأصنام، يذكر تعالى أنه يكون لهم فى جهنم زفير أى صوت أنفـاسهم الخارجة من أصـول أجوافهم يكون شـديدا من شدة ما يعـانون من الألم. ويذكر تعالى أنهم فى جهنم لا يسمعـون، بمعنى أن أحدهم لا يسـمع صوت زفير الآخر

من شدة الهول وفظاعة العذاب .

وقيل إن الزفير يكون من المشركين والأصنام يجعل الله فيها حياة فيكون لها زفير .

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ١٠١﴾

التفســـير:

يخبر تعالى ـ فـي الآية ـ عن حال الذين سبقت لهم منه الحسنـى فى الآخرة كيف يكون. والمراد بالحسنـى ـ فى معنى الآيـة ـ هو التوفيـق للطاعة يكون لمـن سبق له هذا فـى تقديره تعالى منذ الأزل. أخبـر تعالى عن حالهم يوم القيـامة أنه يكون بعدهم عـن جهنم التى يلقى فيها المشركون ومعبوداتهم من الأصنام .

﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَـٰلِدُونَ ١٠٢﴾

أولا : الأســـــماء :

الحسيس : فى قوله تعالى «لا يسمعون حسيسها» هو الصوت الذى يحس من الحركة .

ثانيا التفســـير:

قوله تعـالى ـ فى الآية ـــ هو فى بيان مدى ابتعـاد الذين سبقت لهم مـن الله الحسنى عن جهنم، فهم من البعد إلـى الدرجة التى لايسمعون فيها الصوت النـاتـج عن اشتعالها أو الذى يحس من الاشتعال فيكون مثل المسموع.

وقد يكـون مفاد القول أنهـم يمرون بها أثنـاء عبور الصراط مـرورا سريعا لا يسمـح بسماع صوتها.

وقوله تعالى فيهم «وهم فى ما اشتهت أنفسهـم خالدون» يفيد ما يكون للذين سبقت لهم

منه الحسنى من بعد ابتعادهـم عن النار، وهو فـوزهم بمطالبهـم وتنعمهم بكافة النعـم التى اشتهتها أنفسهم، وخلودهم فى هذا النعيم .

لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ هَـٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾

أولا : الأسـماء :

الفزع الأكبـر : قيل إن المراد بـه ـ في معنى الآيـة ـ الخوف العظيم الـذى يصيب أهل الحشر حين انصـراف أهل النار إليها، وقيل ما يكـون عند غلق جهنم على من فيهـا، وقيل ما يكون يوم تطوى السماء، وقيل ما يكون حين ذبح الموت بين الجنة والنار .

ثانيا التفسـير:

يثبت تعالى ما يكـون عليه حال الذين سبقت لهم من الله الحسنـى يوم الحشر، وهو أنهم يأمنـون الفزع الأكبـر الذى يعتـرى المحشوريـن، فوجب أنهـم يأمنـوا مـا هو أدنـى منه لا يحزنهم.

ثم يذكـر تعالى أن الملائكة تستقبلهـم بالسلام والتبشير بـالأمن عند قيامهم مـن قبورهم، ويكون من تبشيرهم إياهـم إخبارهم بأنهم مقبلون على اليوم الذى وعدوا فـى الدنيا أنه يكون لهم جزاء على إيمانهم وطاعتهم فيلقون فيه ثوابهم .

يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَـٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾

أولا : الأســــماء :

الســجل : هو الصحيفة ، وهـو في الأصل حجريكتب فيـه، ثم أطلق على كـل ما يكتب فيه، وقيل هو ملك يطوى كتب بنى آدم إذا رفعت إليه من الحفظة .

ثانيا التفســير:

مفاد قولـه تعالى ـ فى الآيـة ـ أن عدم حزن الـذين سبقت لهم من الله الحسنـى من الفزع الأكبريكون زمانه هويوم يطوى تعالى السمـاء كطى السجل للكتب، والمعنى هويوم أن يزيل تعالى السماء على النحو الذى يتم عليه طى الصحيفة من صحف الكتاب.

ثم إنه تعالى يذكر كيف يكون منه حشـر الناس بقوله «كما بدأنا أول خلق نعيده» والمعنى هو ـ فى مقام أول ـ سهولة جمعه أجزاء الخلق وبعث الحياة فيها ونشرهم، لأنه يفعل هذا من بعد أن أوجد المبعوثين مـن العدم فى النشأة الأولى وهو أمر أصعب من البعـث، ثم إنه ـ فى مقام ثان ـ يبيـن كيفية حال المبعوثين لدى بعثهـم، وهو كونهم على الحال التـى كانوا عليها عند ولادتهم حفاة عراة غرلا .

ثم بيـن تعالى أنه قـد وعد بهذا أنـه يكون، فكان مـا وعد به بمثابـة الواجب، وليـس عليه تعالى واجب. ثم أثبت تعالى أنه فاعل ما وعد به.

وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾

أولا : الأســـماء :

الزبــــور : المراد به فى معنى الآية ـ هو ما أنزل على داود عليه السـلام من صحف، وهو اسم خاص لها سماهـا به الله. ويقول اليهود إنه السفر المسمى بالمزاميـر الموجود فى كتاب

العهد القديم الموجود بين أيدينا اليوم.

ثانيا التفســــير:

مفاد قوله تعالى ــ فى الآية ـ أنه أنزل فى الزبور الذى أنزلـه على داود من بعد التوراة التى أنزلها على مـوسى عليه السلام ـ فهى الذكـر فى النص ـ أو من بعد إيـراده أحكام العقيدة فى الزبور ما مفاده أنه يكون مقدرا أن يرث الأرض عباده تعالى الصالحون.

وقيل إن المراد بـالأرض التى يرثها الصالحون ــ وهم المؤمنون ـ هى أرض الـدنيا، فيكون مفاد القول هو انتشار دين الحق ليعم الآفاق.

وقيل إن المراد بهـا هو أرض الجنة لا يكون غيرها فـى الآخرة أرضا تورث، يدعم هـذا قوله تعالى «وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء» .

إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَٰغًا لِّقَوۡمٍ عَٰبِدِينَ ﴿١٠٦﴾

التفســـير:

الخطاب ـ فى الآيـة ـ هو لجميع الناس، وهو إخبـار عن واقع ما تم إيراده فـى السورة من أخبار الأنبياء ومـن المواعظ والوعيـد، والأدلة المثبتة وحدانيـة الله تعالى واستحقاقـه العبادة والإخبار هو عن كـون ما تضمنته السورة بلاغا كامـلا يوصل إلى كل ما يبتغى، ينتفـع به الذين حل همهم هو عبادة الله وكسب رضائه .

وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةً لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾

التفســـير:

الخطاب ـ فى الآية ــ إلى رسول الله ﷺ، يقول له ربه إنه لم يرسله بمـا كلف به من إبلاغ

الناس بأمور العقيدة وبأحكام الشرع إلا ليكون رحمة للناس وللعالمين. وذلك لأن من يؤمن له ﷺ يكون قد شملته رحمة ربه فآمن فأمن أن يبعد عن العذاب وأن يدخل الجنة بعمله الموافق إيمانه. ولأن من كفر يكون قد أمن أن يمسخ وأن يستأصل ببعثه ﷺ، كما أنه قد يستفيد من أحكام المعاملات التى ورد بها الشرع. فيكون ﷺ رحمة للعالمين من إنس ومن جن.

﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ١٠٨﴾

التفســـير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ هو أمر منه تعالى لرسوله ﷺ أن يقول للناس «إنما يوحى إلى أنما إلٰهكم إلٰه واحد، فهل أنتم مسلمون». والمعنى هو أنه ﷺ يخبرهم فى مبتدأ الأمر أن الأصل العام والأساس لما يوحى به إليه هو عقيدة التوحيد، بمعنى قصر الألوهية عليه تعالى وحده. ومن ثم فإن جميع ما يكون قد جاء به الوحى من أخبار وأحكام يكون صادرا عن الإله الحق واجبا الإيمان به وواجبة طاعته.

ثم يجىء بعد هذا سؤاله ﷺ الناس عما إذا كانوا منقادين إلى ما أوحى إليه به من عقيدة التوحيد وما يترتب عليها من التزام الشريعة.

﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۖ وَإِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ١٠٩﴾

التفســـير:

بعد أن أمر تعالى رسوله ﷺ أن يسأل الناس عما إذا كانوا قد أسلموا وجوههم لله واتبعوا ما يوحى إليه به أم أعرضوا عنه.

فإنـه تعالـى يخبره ــ فى الآيـة ـ عما يجـب أن يكون منـه ﷺ معهم إذا مـا أعرضـوا عن الإسلام. وفيه يـأمره ربه أن يقول لهم «آذنتكم علـى سواء» بمعنى أنه أعلمهم أنـه على عدل واستقامة رأى، أو أنه أبلغهم جميعا دعوته متساوين فى العلم بها.

ويكون القول ـ بهذا المعنـى ـ مشيرا إلى أنه أدى ما عليه نحوهم فيكـون الأمر كما لو كان قد أخـذ منهم الإذن بمحـاربته إيـاهم، أو إن القـول يكون مشيـرا إلى أنـه ﷺ محاربهـم فى الــدين.

وقوله ﷺ «وإن أدرى أقريـب أم يعبد ما توعدون» يفيد أنه ﷺ وقد قـرر محاربتهم لا يعلم متى يكون تحقق وعده تعالى بنصر المسلمين وإلحاق الهـزيمة بالكافرين. ونشر دينه تعالى، وذلك لكونه بشرا رسولا.

إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ مِنَ ٱلْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾

التفســـير:

القول هو مـن قول رسول الله ﷺ للكافـرين المعرضين عـن دعوته. يخبرهـم أن الله تعالى يعلم ما يجهرون بـه من القول وما يسرونه فى أنفسهـم من طعن فى الدين وتكـذيب بالآيات كما يعلم ما انطوت عليه صدورهم من حقد على المسلمين.

فيكون المستفاد من القول هو أنه تعالى مجازيهم بأقوالهم وبما انطوت عليه صدورهم.



أولا: الأســـماء:

الحين: فى قوله تعالـى «ومتاع إلى حين» قيل إن المراد به ـ فى معنى الآيـة ـ هو يوم بدر،

وقيل هو يوم القيامة.

ثانيا التفســـير:

قوله تعالى ـــ فى الآية ـ من قول رسول الله ﷺ الذى يقوله للمعـرضين عن الإسلام، ومفاد القول يتعلق بحال المعـرضين المتمثل فى عدم التعجيل بعقابهـم، فيقول لهم رسول الله ﷺ إنه لا يعلم على وجـه اليقين سببه، ثم يقول رأيه فيـه وهو أنه قد يكون استدراجـا لهم ليزدادوا كفرا فيعاقبون بكفرهم، وقد يكون فتنة لهم واختبارا ليـرى تعالى ما يكون من أمرهم أيؤمنون أم يصرون على إعراضهم عن الحق، وفى جميع الأحوال فإن إمهالهم وعدم تعجيل العذاب لهم هو إلى أجل محدود قد يكـون يوم بدر باعتباره عذاب الدنيا الذى قدر لهـم، وقد يكون هو يوم القيامة يوم عذابهم الأكبر.

﴿قَٰلَ رَبِّ ٱحۡكُم بِٱلۡحَقِّۗ وَرَبُّنَا ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ١١٢﴾

أولا : الأســـــماء :

الحــق : هو العـدل، والمراد بـه ـ فـى معنى الآيـة ـ هـو تعجيل عـذاب المعرضيـن عن الإسلام، لأن جميع حكمه تعالى هو بالعدل .

ثانيا التفســـير:

مفاد قولـه تعالى ـ فى الآية ـــ أن رسول الله ﷺ قال للمعرضين عـن الإسلام: «رب احكم بالحـق» وهو نداء ودعـاء إلى الله تعالـى قالـه رسول الله ﷺ فى مـواجهة المعرضيـن ليعلموا مضمونـه وهو طلـب تعجيل العـذاب لهم، والمراد بـه هو عـذاب الدنيـا الذى تحقـق بنصر المسلمين عليهم وهزيمتهم فى بدر. وقوله ﷺ «وربنا المستعان على ما تصفون» هو من قبيل طلب العون من الله تعـالى على الصبر على قول المعرضين عـن الإسلام أن رايته تنتكس وأن المسلمين يهـزمون، وقد خيـب تعالى ظنون المعـرضين عن الإسـلام فارتفعت رايـة الإسلام وانتصر المسلمون وانهزم المشركون .

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة الحج

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾

أولا : الأســــماء :

١ ـ **الناس** : المراد بهم ـ فـى معنى الآية ـ هم المكلفون وقت نزول النـص ، وكل من يبلغ سن التكليف عاقلا فيكون مكلفا من بعد هذا وإلى يوم الدين ، أو إلى يوم رفع التكليف .

٢ ـ **الزلزلة** : فى قوله تعالـى « إن زلزلة الساعة شىء عظيم » هى التحريـك الشديد بطريق التكرير، يزيل الأشياء من مقارها ويخرجها عن مراكزها .

ثانيا : التفســـير :

قوله تعالى ـ فى الآية ـ خطاب إلـى المكلفين ، وهو أمر باتقاء غضب الله ، يكون بالإيمان بالله تعالـى واليوم الآخر وتجنب الآثـام وكل ما يغضب الله تعـالى . وفى القول وصـف تعالى ذاته بأنه رب الناس لتأكيد وجوب امتثال الأمر بتقوى الله .

وقوله تعالى « إن زلـزلة الساعة شىء عظيم » هو تعليل للأمر بـاتقاء غضب الله ببيان مدى هول وفظاعـة ما يكون يوم القيامـة وفيه جاء ذكر الـزلزلة التى تصاحـب خسف الأرض وصفها

تعالى بأنها شيء عظيم لإظهار مدى شدتها وهول ما يكون فيها .

﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ۝٢﴾

أولا : الأســـــماء :

١ ـ **المرضعة** : هى التى باشرت الإرضاع بنفسها أى التى ألقمت الرضيع ثديها ، وهى بخلاف « المرضع » لا يشترط فيها أن تكون قد باشرت الإرضاع بنفسها . وخص البعض باللفظ الوالدة .

٢ ـ **السكارى** : فى قوله تعالى « وترى الناس سكارى » جمع ، مفرده « السكران » وهو شارب الخمر الذى أثرت الخمر فى إدراكه وتمييزه أو فى إرادته .

ثانيا : التفســـير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ هو فى الزلزلة ، وقيل فى الساعة ، يقول تعالى إنه يعاين الناس هذه الزلزلة أو حين يعاصرون الساعة يرون من أثر هولها أن كل من أرضعت صغيرا وضمته فى صدرها ـ وإن كانت والدة ـ قد ذهلت عنه وانشغلت من هول الموقف فنسيته ولم تعد تذكره، كما أن كل من تحمل فى رحمها جنينا تلقى به ، بمعنى أنه يسقط من بطنها من شدة اضطرابها وخوفها . فيكون القول ـ بهذا المعنى ـ قد أريد به إظهار مدى هول الموقف وتأثيره فى النفوس .

ثم يضيف تعالى ـ فى شأن بيان مدى هول الموقف ـ قوله : « وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد» . والمعنى أن كل راءٍ يشاهد الناس فى هيئة الذين

أذهبت الخمر عقـولهم فتخبطوا فى سيـرهم وفقدوا التميز، حيـن أن حقيقة أمرهم أنهـم لم يذوقوا الخمر ولـم يصبهم سكر. ثم إنه تعالـى بين سبب ظهورهم على هيئـة السكارى بقوله تعالى « ولكن عذاب الله شديد » ، والمعنى أن شدة عذابه تعالى الذى يرون أماراته ويخشون أن يكونوا مواقعينـه يرهبهم إلى الدرجة التـى يفقدون معها توازنهم واتزانهـم فيبدون فى هيئة السكارى مشابهين لهم .

وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيۡطَٰنٍ مَّرِيدٍ ۝٣

أولا : الأســـــماء والأعلام :

١ ـ **من يجادل فى الله بغير علم** : قيل إن المراد به ـ فى معنى الآية ـ هو النضر بن الحارث، كان يقول إن الملائكة بنات الله ، وإن القرآن أساطيـر الأولين ، وإنه تعالى لا يقدر على بعث من مات وبلى جسده وصار ترابا .وقيل هو أبو جهل ، وقيل هو أبى بن خلف ، وهو فى كل من يجادل فى الله بغير علم .

٢ ـ **المريد** : فى قوله تعالى « ويتبع كل شيطان مريد » هو المتجرد العارى ومنه الأمرد وهو العارى من الشعـر الذى يكون على الجسد . والمراد بـه ـ فى معنى الآية ـــ المتجرد للفساد والمعرى من الخير.

ثانيا : التفســـــير:

قوله تعالى ـ فى الآيـة ـ فى فئة من الكافرين ، يقرنون كفرهم بـالمجادلة فى الله تعالى وما أمر أن يكون به الإيمان ، يفعل هذا دون أن يكون لما يجـادل به أصل علمى له سند فى كتاب رجع إليه أو خبـر سمعه من ثقة عالـم . فلا تكون مجادلته إلا باطـلا أريد به دعم باطـل أمر به شيطان متجرد للفساد والإفساد متعـر من الخير قد يكون هو إبليس ذاته وقـد يكون واحدا من جنوده من الجن ، أو من رؤساء الكفرة الذين يوجهونهم إلى الكفر.

﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٤﴾﴾

التفسير:

بعد أن ذكر تعالى أن من الناس من يجادل فى الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد ، بمعنى أنه فى مجادلته بالجهل يكون متبعا شيطانا متجردا للفساد والإفساد ، فإنه تعالى - فى الآية - أثبت أنه قدر على الشيطان أمرا مفعولا هو أنه إذا تولاه أحد من البشر ، بمعنى أنه اتخذه وليا يطيع ما يوسوس به إليه ، فإنه يكون من الشيطان معه أنه يضله عن طريق الحق الذى يكون فيه خيره ، وأن يرشده ويوجهه إلى الطريق المؤدى إلى إغضاب الله عليه يبلغ به عذاب السعير فى الآخرة .

ونرى - والله أعلم - أن تعبير « كتب عليه » يفيد أن إضلال الشيطان من يتبعه يكون محسوبا على الشيطان أيضا ذنب يعذب به فوق العذاب . وإنه يتصور أن يكون الضمير فى « تولاه » عائدا إلى التابع ، فيكون الشيطان هو الذى تولى أمر المجادل بغير علم فاتبعه المجادل لكونه من الضالين الغاوين .

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا
خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ
وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى
ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن
يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ

هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٥

أولا : الأســـــماء :

١ ـ النطفة : فى قوله تعالى « ثم من نطفة » هى المنى سمى نطفة لأنه يتقاطر من الرجل ، ومعنى « النطف » هو التقاطر . ويستخدم اللفظ فى الإشارة إلى ما يمكن أن يبقى فى الوعاء من الماء بعد تفريغه تدليلا على ضآلة كميته .

٢ ـ العلقة : فى قوله تعالى « ثم من علقة » قيل هى قطعة دم جامدة تتكون من اتصال الحيوان المنوى فى المنى ببويضة الأنثى وتخصيبها . وهذا غير صحيح ، فالإنسان لا يمر بمرحلة جلطة الدم كذلك قيل إن العلقة تلتصق بجدار الرحم ، وهذا أيضا غير الصحيح . والصحيح هو ما عبر عنه لفظ العلقة وهو شىء يعلق ويتشبث بجدار الرحم .

٣ ـ المضغة : فى قوله تعالى « ثم من مضغة » المراد بها ـ فى معنى الآية ـ هو ما يشبه اللحم النضج الممضوغ . وهذه مرحلة أولى للجنين يبدو فيها للعين شبه كتلة صغيرة من لحم ممضوغ .

٤ ـ المخلق : فى قوله تعالى « مخلقة وغير مخلقة » هو المشكل بنسب ، فتكون المضغة مخلقة إذا كان هناك تناسب بين أجزائها ، وتكون غير مخلقة إذا لم يكن بين أجزائها تناسب. وعلى هيئتها يكون شكل المولود فى المستقبل .

ثانيا : التفســـــير:

الخطاب ـ فى الآية ـ موجه إلى الناس، والمراد بهم المجادلون فى البعث بغير علم ، وقوله تعالى ـ فى الآية ـ هو من قبيل إقامة الحجة عليهم والتدليل على بطلان ما هم عليه من شك فى أمر البعث أو جزم أنه لا يكون ؛ ولهذا قيل إن معنى قوله تعالى « إن كنتم فى ريب من

البعث » هو « إن كنتم فى شك من البعث أو مـن أمره» وقيل « إن كنتم جازمين أن البعث غير كـــائن » .

وتدليلـه تعالـى على حصـول البعث الموعـود به جـاء عن سبيليـن ، تعلق أولهمـا بخلق الإنسان ، وتعلق ثانيهمـا بإحياء الأرض الميتة . فقوله تعـالى « فإنا خلقناكم مـن تراب » إلى قوله تعـالى « لكيلا يعلم مـن بعد علم شيئا » يبين مـراحل خلق الإنسان منـذ خلق آدم عليه السلام ، ثـم خلق ذريتـه وإيجادهم مـع بيان مـراحل خلقهـم . وانتهاء بالـوفاة . وفيهـا بيان الدليل على قدرته تعالى على الخلق من العدم مما يكون معه بعث الأموات أمرا أهون وأيسر . وبيان الدليل على إبداعه خلقه .

وفى القول يـذكر تعالى أنـه خلق الإنسان من تـراب ، والمعنى أنه تعالـى خلق أصله آدم عليه الســلام من تراب ، وخلق الغـذاء الذى طعمه الـذكر والأنثى فكـان له الأثر فى تكـوين المنى والبويضة من التـراب ، كما يذكر أنه عند إيجاد المرء من ذريـة آدم كان مبتدأ الأمر هو المنى الذى يقطر من قضيب الرجل ، فإذا مـا أصاب حيوان منوى منه بويضة المرأة فخصبها نتج عن هذا شـىء يعلق بالرحم « علقة » ذلـك أن البويضة المخصبة تتعلق بالـرحم بواسطة امتـدادات تشبه جـذور البـذور تنهـل من جـدار العضـو ما يلـزم لنمـو الجنيـن ، وتكون هـذه الامتدادات هى وسيلة البويضة المخصبة للتعلق بجدار الرحم . فسبحان الله العظيم ذكر هذه الحقيقة العلمية قبل أن يعرفها العلم الحديث بعـد اختراع المجهر بنحو ألف سنة ، ثم يكون بعد هذا أن تأخذ العلقة شكلا آخر يشبه الكتلة الصغيرة من اللحم الممضوغ (مضغة) تكون أجزاؤها متناسبـة أو غير متناسبة لتكون هيئة الوليـد مماثلة لها من حيث التناسـب وعدمه بين الأعضاء .

ثم بين تعالى بقوله « لنبيين لكم» أن إبداعـه تعالى خلقه على هذا النحو وأن بيانه للناس مراحل تكوين الجنين إنما كان لكى يستظهر الناس قدرته على بعثهم من بعد موتهم . وليس المعنى أن هذا هو السبب الداعى إلى إبداع الخلـق ، ولكنه السبب اللائق ذكره بالمخاطبين بالقول وهم منكرو البعث .

ثم يتبع تعالى هذا بقوله « ونقر فى الأرحام مـا نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم » فبين تعالى أنه يهيىء لبعـض الأجنة بأمره أن تستقر فى الأرحام ، ويجعل من أمر أخـرى أنها لا تستقر فـى الأرحام فتلفظهـا قبل أن تستكمل نمـوها ، وأن ما هيـأ له تعـالى الاستقرار فى الأرحام يكون استقـراره فيها إلى وقت الوضع الذى حدده تعـالى ، أى إلى نهاية مدة الحمل ، يكـون لدى حلوله خروج مـا كان مستقرا فى الـرحم طفلا ، يكون من شـأنه أنه يكبر شيئا فشيئا إلى أن يبلغ أشده باكتمال قوته البدنية وقواه العقلية وقدرته على التمييز .

وبعد أن ذكر تعالى هذا فـإنه بين أن هذا ليس حال جميع المولودين ، وهـذا بذكره تعالى أنه يكون منهم من يتوفى ، والمعنى أنه يتوفى صغيـرا قبل أن يبلغ أشده ، ثم إنه تعالى ذكر فى المقابل حال آخريـن يمتد بهم العمر طويلا بعد بلوغ الأشد ، يصلـون إلى مرحلة أرذل العمر التـى لا يكتسب المـرء فيها علمـا جديـدا لضعف قـواه الذهنيـة ، قد يكـون بسبب أمـراض الشيخوخة مثـل تصلب الشرايين ومثـل مرض الزهايمر وهـى مرحلة انتكاس القـوى الذهنية والارتداد إلى فعـال وتصرفات مرحلة الطفولـة . وليس لهذه المرحلة سـن معينة ، بل إن أرذل العمر قـد يحدده ويعينه حـدوث مثل هذا الضعف فـى القوى الذهنيـة والارتداد إلى مـرحلة الطفولة .

أما السبيـل الثانى الـذى دلل بـه الله تعالى علـى قدرته علـى البعث وهـو إحياؤه الأرض الموات .

فجاء بقولـه تعالى « وترى الأرض هامدة فـإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربـت وأنبتت من كل زوج بهيج » والمعنى هـو إنكم لتبصرون الأرض وقد يبست وليس عليها أثـر حياة ، فإذا ما نزل عليهـا ماء المطر أو سـال عيها ماء عيـن أو نهر أخرجت نبـاتها فاهتـز متحركا ونمـا حيا ، فظهرت أكثر حجمـا مما كانت عليه بما ظهـر عليها من النبات ، ثم كان منهـا إنبات أصناف المزروعات التى تسر الناظرين .

ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٦﴾

التفســـير:

بعد أن ذكر تعالى خلقه الإنسان من عـدم و إيجاده فى الحياة بسلسلة من التطور المبهر لا يكون إلا ممن يقدر على كل شىء ، وأتبع هـذا ببيان كيفية إحيائه الأرض الموات مما هو خير دليـل على قـدرته علـى إحياء المـوتى وبعثهـم . فإنـه تعالـى جاء فـى الآية بـالنتيجة التـى يستخلصها العقل مما ذكر من فعله تعالى فقـال « ذلك بأن الله هو الحق » والمعنى أنه تعالى هو الإله الحـق الثابت وجوده لـذاته ـ ولهذا كـان منه الإيجاد والخلق ـ وأنه من شأنـه إحياء الموتى كما أوجدهم أول مرة ، وأنه قديـر على كل شىء فليس من شىء يتصور أو لا يتصور إلا وهو عليه قادر ، يدخل فى هذا إحياء الموتى وبعثهم .

وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي ٱلْقُبُورِ ⑦

التفســـير:

مفاد قوله تعالى ـ فى الآية ـ أنه لما كان تعالى قد أظهر للنـاس أنه خلقهم من العدم وأنه يحيى الأرض الموات فإن مـن شأن هذا أن يعلم الناس أن يوم القيامة الـذى يبعث فيه الناس للحسات آت لأن أمـر مجيئه يكـون قد وضـح لهم لضـرورة أن يكون حسـاب ، ومؤدى هـذا ضرورة هو بعثه تعـالى الأموات من قبورهم . وفى القـول ما يشير إلى أنه تعالى قـد ذكر قدرته على الخلق ليـؤمن الناس بقدرتـه على البعث ، فيؤمنـوا وتصلح أعمالهم فيكـون لهم حسن ثواب الآخرة .

وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ⑧

التفســـير:

قيل إن الآيـة نزلـت فى الأخنس بـن شريـق ، وقيل فـى أبى جهل ، وقيـل فى النضـر بن

الحارث وعبارة الآية تفيد أنها تتعلق بكل من يجادل فى الله والغيب الذى أمر بالإيمان به عن جهل ، والقول تكرار لما سبق قوله من قبيل التوبيخ على الفعل مع بيان شدة جسامته ، وهو المجادلة بغير علم ثم تحصيله بطريق النقل ، وبغير هدى يكون بطريق الاستدلال العقلى ، وبغير دليل مستمد من كتاب أنزله الله تعالى كان نورا مظهرا للحق .

﴿ثَانِيَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ لَهُۥ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ٩﴾

التفسير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ « ثانى عطفه ليضل عن سبيل الله » هو بيان لحال الذى يجادل فى الله بغير علم ، ومعنى أنه ثانى عطفه أى لوى عنقه والتف بجانبه ، والوصف تعبير عن الإعراض عن الإيمان وعدم المجادلة بالباطل ، ثم إن النص يثبت أنه استهدف بالمجادلة إضلال الناس عن سبيل الله الحق المستقيم ، وذلك ببقاء الكافرين على كفرهم ورد المؤمنين عن الإيمان .

ثم يذكر تعالى مصير هذا المجادل بغير علم فيبين أنه يستحق فى الدنيا الذل والهوان بفعله وهو ما أصاب النضر بن الحارث وأصاب أبا جهل يوم بدر ، وأنه يذوق يوم القيامة عذاب النار المحرقة .

﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ١٠﴾

التفسير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ فى بيان سبب إخزائه تعالى المجادل فى الله بغير علم فى الدنيا

وتعذيبه بـالإحراق فى النار يـوم القيامة ، وهو مـا قدمت يداه و المـراد به ما اكتسب مـن الإثم بكفره ومجادلته واستهدافه إضلال الناس ، وجاء التعبير بـ « بما قدمت يداك » لأن الاكتساب يكون فى العادة بعمل الأيادى .

وقولـه تعالى « وأن الله ليس بظـلام للعبيد » مفاده أن عـذاب المجادل بالجهل يكـون بما قرف من ذنوب وليس بغيـر ذنب ارتكب فهو تعالى و إن كان قادرا علـى التعـذيب بغير ذنب إلا أنه لا يفعل هذا مع الكافـر المجادل بالباطل و إنما يعذبه بعدله تعـالى فيكون عذابه جزاء وفاقا .

وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١١﴾

أولا : الأســـــماء :

١ ـ الحرف : فى قوله تعالى « يعبد الله على حرف » هـو الطرف من الشىء والمراد به ـ فى معنى الآية ـ معنى عدم الاستقرار والرسوخ .

٢ ـ الفتنـة : فى قـوله تعالى « و إن أصـابته فتنة » المـراد بها ـ فـى معنى الآية ـ هـو الأمر المكروه يختبر به المرء .

ثانيا : التفســـــير :

بعد أن أخبـر تعالى عن أعتـى عتاة الكافـرين المجادليـن فى الله بغير علم قصـد إضلال النـاس عـن سبيل الله ، فإنه تعـالى يخبر ـ فـى الآية ـ عن فتنـة أخرى من الناس هـم ضعاف

الإيمان وصفهم النـص بأنهم يعبدون الله على حـرف ، بمعنى أن إيمانهم بالله وعبـادتهم إياه ليسا قائميـن على أساس متين ؛ ولهذا فإن عبـادتهم الله غير مستقرة ولا راسخة مثـل من يقف علـى طرف المكـان لا تثبت قـدمـاه فيكون القـول مشيـرا إلى تـذبذب هـؤلاء فـى إيمانهـم وعبـادتهم .

ثم إنه تعالى يبين صورة تذبذب هؤلاء بقوله فى أحدهم « فإن أصابه خير اطمأن به ، وإن أصابته فتنة انقلب علـى وجهه خسر الدنيا والآخرة » والمعنى أنه إذا ما نالـه خير فى دنياه من كسب أو صحة أو ولد أظهر اطمئنانا بالدين شبيهـا بإيمان المؤمنين الثابتين فى الإيمان وثبت على عبادة الله ثبوت الباحث عن المصلحة على سببها ، فأما إن أصابه مكروه من خسارة مال أو مرض أو فقد أحد من أهله فإنه يكون منـه الارتداد عما كان عليه من إيمان مظهرى وعبادة ابتغى بها المصالح الـدنيوية ، فلما لم تتحقق أو أصيب فيها رجع عما كـان يقوم به من عبادة الله .

وقد أثبت تعالى أنه بفعله هذا وارتداده عن الحق يكون قد خسر الدنيا والآخرة ، وخسارته الدنيا هى حرمانه من تأييد الله عباده الصـالحين ، ودفاعه عن الذين آمنوا ، ورحمته بهم بكل ما يلحقهم من ضر فـى دنياهم، وخسارة الآخرة تكون بتضييعه ثواب عملـه الصالح وتعريض نفسه للعذاب ثم إنـه تعالى بين أن هذه الخسارة هى الخسران المبيـن ، بمعنى أنه الخسران الذى لا يماثله خسران .

﴿ يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَـٰلُ ٱلْبَعِيدُ ﴾ ١٢

التفسـيـر:

قوله تعالى ـ فـى الآية ـ فى بيان ما يكون مما يعبد الله على حـرف إذا ما أصابته فتنة ، فهو يرتد عن دين الحق ظنـا أنه لا يكفل له تحقيق مصالحه ، ويلجأ إلى الباطـل فيتوجه بالعبادة إلى مـا كان يعبـد من دون الله مـن أصنام لا تضـر ولا تنفع ، أو إلـى الخضوع لـذوى المكانـة

لإصلاح شأنه معتقدا أنهم يملكون رفع الضر عنه وتحقيق المنفعة له ، حال كونهم لا يملكون هذا .

ثم بين تعـالى أن ارتداده إلى عبـادة غير الله تعالى هـو الضلال البعيد « ذلك هـو الضلال البعيد » بمعنى أنه أبعد مكانة عن الحق يصلها ضال ، لكونه فى مرتبة الكفر بعد الإيمان .

يَدْعُوا۟ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقْرَبُ مِن نَّفْعِهِۦ ۚ لَبِئْسَ ٱلْمَوْلَىٰ وَلَبِئْسَ ٱلْعَشِيرُ ﴿١٣﴾

أولا : الأسمـــــاء :

العشير : هو من يعاشر ويخالط وهو الصاحب والخليل .

ثانيا : التفســـير:

يبين تعالى أن المرتد عن عبادة الله تعالى إلى عبادة غيره ، حين يتوجه إلى معبوده بالدعاء يكون قد تـوجه إلى من يكون منـه الضرر أقرب منالا إلـى النفع ، فأما الضرر فهـو متحقق لأنه يعتمد ويتوكـل على ما لا يملك ضرا ولا نفعا ، ولأنـه يحرم من نصر الله فى الدنيـا ويؤدى إلى عذاب الآخرة بيقين ، فيكون المحقق أن الالتجاء إليه لا يكون منه إلا الضرر المحض .

ولا يعنى قولـه تعالى « أقرب من نفعه » أنـه يكون من المعبود من دون الله نفـع إلا أنه بعيد المنال ، وإنما يعنى أنه ليس منه نفع على الحقيقة ، وإن أمل المشرك فى هذا فارتاحت إليه نفسه الضـالة وإنك لتشـاهد كثيرا مـن الذين يعتقـدون فى ألوهيـة بعض البشر ومنهـم أنبياء وقديسين ـــ بقولهم ـ مـن يتوجهون إلى تمـاثيل صنعت لهم أو صـور بالدعاء والصـلاة لدى إصابتهم بنازلة ، وترتاح نفوسهم إلى هـذا ـ حين لا ينفعهم هذا شيئا ـ فيتحقق لهم نفع زائف بالوهم .

وقوله تعالـى « لبئس المولى ولبئس العشير » قيل فيـه إنه قول يقوله من تـوجه إلى غير الله تعالى بالدعاء والعبادة يوم القيامة فيما عبد ذما لـه . وقيل إنه قوله تعالى ـ وقد يكون هذا هو

الصحيح ، والله أعلم ـ فيه يبين بذمه ما عبد من دونه بأنه بئس المولى الذى تولاه بشر، وبئس الصاحب الذى التجىء إليه ، وذلك لكونه سببا فى عذاب عابده وخلوده فى العذاب .

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡعَلُ مَا يُرِيدُ ١٤﴾

التفسير:

بعد أن بين تعالى حال الكافرين العتاة والكافرين من بعد إظهار الإيمان الذى كان ضعيفا فإنه ـ فى المقابل ـ أورد حال المؤمنين الذين قرنوا إيمانهم بعمل الأعمال الصالحة ، فصرح تعالى بأنه يدخلهم جنات تجرى من تحت أشجارها ، أو تجرى فى أرضها أنهار يتحقق بها نعيم الروح مع تحقق نعيم الأبدان . ثم عقب تعالى على هذا ـ مقارنا بما يكون منه مع الكافرين ـ بقوله تعالى « إن الله يفعل ما يريد » بمعنى أنه تعالى يفعل ما يريد بمقتضى حكمته بغير تدخل من أحد ولا معقب . فيكون القول تأكيدا لوقوع ما توعد به تعالى الكافرين، وما وعد به المؤمنين .

﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ فَلۡيَمۡدُدۡ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لۡيَقۡطَعۡ فَلۡيَنظُرۡ هَلۡ يُذۡهِبَنَّ كَيۡدُهُۥ مَا يَغِيظُ ١٥﴾

أولا : الأسماء :

السبب : فى قوله تعالى « فليمدد بسبب إلي السماء » قيل إن المراد به ـ فى معني الآية ـ

هو الحبل ويشمل المعنى كل وسيلة يمكن بها أو بواسطتها الارتفاع فوق سطح الأرض .

ثانيا : التفســـــير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ فى هـؤلاء الذين حسدوا رسول الله ﷺ وكرهوا أن ينصره الله والذين آمنوا معه وغاظهم أن يروا انتشار الدين الذين دعوا إليه وتمنوا ألا ينصره فى الدنيا والذين آمنوا له ، وألا ينصره تعـالى فى الآخرة بإعلاء شـأنه ودرجته و إدخال من آمن لـه الجنة ، أو اعتقدوا هذا . فالضمير فى « ينصره » يعود إلى رسول الله ﷺ .

وقوله تعالى « فليمدد بسبب إلى السماء ثم ليقطـع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ » قيل فيه هـو « فليكن ممن حسد رسـول الله ﷺ أن يمد حبلا إلى سقـف بيته ، ثم ليقطع نفســه به بمعنى خنقه نفسه بالحبل ـ فيكون هذا تعبيرا عن غيظه .

ثم لينظر هـل يكون من شأن فعلــــه هذا أنـه يذهب السبب الـذى أثــــار حقده على رسول الله ﷺ .

والذى نقبله فى المعنى ـ والله أعلم ـ أنه يبين من قوله تعالى « هل يذهبن كيده ما يغيظ » أن القول هو فيمن يغتاظ مما يظهر من نصر الله رسولـه ومنه نصره بالوحى ، وأنه يبين من القول أن الصعود إلى السماء أريد به أن يكون وسيلة لقطع المدد الذى يؤدى إلى نصر رسول الله ﷺ فيكون معنـى السماء هو المعروف وليس سقف البيت ، ثم إنـه لما كان من غيـر المتصور أن يكون لمن أذهب نفســه بالخنق نظر بعد موته فإنه يكون معنى القول هو « فليكـن ممن غاظه أنه تعـالى يؤيد رسـوله وينصره أن يتخذ وسيلـة يكيد بها لـرسول الله كأن يصعد إلـى السماء ليقطع عنه الوحى وليقطـع تأييد الله تعالى ، ثم ليكن منه بعد هذا تـرقب النتائج ليرى أن فعله هذا لم يؤد إلى الذهاب بالسبب الذى أثار غيظه وهو تأييد الله رسوله ونصره .

فالقول ــ بهذا المعنى ـ يشيـر إلى أنه تعالـى ناصر رسولـه ﷺ مهما بذل الحاسـدون من جهد فى سبيل عن تحقق نصره والذين آمنوا .



وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يُرِيدُ ﴿١٦﴾

التفســـــير:

قوله تعالى ــ فى الآية ـ فى القرآن العظيم الذى أراد الحاسدون قطع وحيه عن رسول الله ﷺ ، يقول تعالى إنه على هذا النحو البديع الذى يدركه ذوو الألباب أنزله تعالى آيات واضحة مبينة الأحكام . ثم يجىء قوله تعالى « وأن الله يهدى من يريد » مبينا أنه تعالى يهدى بالقرآن من يريد هدايته إلى طريقه المستقيم ابتداء أو بالتثبيت على الإيمان والمفهوم بمفهوم المخالفة هو أن من لا يرد الله هدايته لا يؤمن بالقرآن .

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلْمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾

أولا : الأســـماء والأعلام :

١ ـ **الصابئون** : فى قوله تعالى « والصابئين والنصارى » المراد بهم ـ فى معنى الآية ـ هم أصحاب الروحانيات الذين كانوا فى زمان إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، آمنوا بأن للعالم صانعا فاطرا حكيما يلزم التقرب إليه بالمتوسطات المقربين لديه ، ومنها مدبرات الكواكب السبعة السيارة فى أفلاكها ، وهى هياكلها ، وكانوا يسمون الهياكل أربابا .

٢ ـ **المجوس** : أصحاب عقيدة من العقائد المثنوية القائمة على وجود إله للخير يرمز له بالنور هو « هرمز » أو « يزدان » ، وإله للشر هو « إهرمن » ويرمز له بالظلام ، وعندهم أن أول البشر هو « كيومرث » قالوا إنه إله الشر خرج على طاعة إله الخير ثم صالحهم الملائكة على أن يحكم إله الشر العالم السفلى سبعة آلاف سنة ثم يخليه ويسلمه إلى إله الخير . وكانت

عقديتهم منتشرة فى فارس والهند .

ثانيا : التفســـير :

بعد أن ذكر تعالى أنه أنزل القرآن العظيم يهدى به من يشاء ، جاء قوله تعالى متعلقا بفئات بعض أصحاب العقائد الدينية فى مقابل الذين اهتدوا بالقرآن العظيم ، فدعا تعالى الذين اهتدوا بالقرآن بـ « الذين آمنوا » ثم ذكر فى مقابلهم فئات خمس هم « الذين هادوا » أى الذين بقوا على اليهودية بعد بعثه صلى الله عليه وسلم ، « و الصابئين » وهم الصابئة أو الصابئون الذين اعتقدوا فى الأفلاك وسائط بين البشر وبين الله ثم جعلوا لها هياكل سموها أربابا وعبدوها، والنصارى الذين لم يؤمنوا لرسول الله ﷺ ولم يهتدوا بالقرآن ، والمجوس الذين قالوا بوجود إلهين أحدهما للخير والآخر للشر ، والمشركين ، وهم المشركون بالله عموما يدخل فيهم عبدة الأصنام ، ويدخل فيهم القائلون بألوهية بعض البشر أو باتخاذ الله بنينا أو من الملائكة بناتا . ثم إنه تعالى ذكر بقوله تعالى « إن الله يفصل بينهم يوم القيامة » ما يكون منه تعالى يوم القيامة إذ بين بقضائه فيهم ـ ما إذا كان المؤمنون على الحق أم كان أصحاب الفئات الخمس الأخرى المذكورة ، يكون هذا بإثابته المؤمنين وتعذيبه الآخرين .

وقوله تعالى ـ فى ختام الآية ـ « إن الله على كل شىء شهيد » يفيد توافر العلم لديـــه بأحوال أصحاب الفرق الست جيمعهم وأنه محاسبه بما علم به وهو كل ما كان منهم أو تعلق بهم .

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿١٨﴾

التفســـير:

بعد أن ذكر تعالى أنه يفصل بقضائه يوم القيامة بين المؤمنين الذين اهتدوا بالقرآن العظيم وبين غيرهم من أصحاب الملل .

فإنه تعالى ألمح فى الآية إلى ما يكون عليه جزاء المؤمنين وما يكون عليه جزاء أصحاب الملل الخمس الأخرى .

إذ المستفاد من النص هو أن المؤمنين هم المعنيون بقوله تعالى « وكثير من الناس » والمعنى أنه يسجدون لله سجود اختيار ، وأنهم المستبعدون من عداد المهانين الذين يهينهم الله ويخزيهم.

فيكون المراد إظهاره أن قضاءه تعالى يكون مبينا صحة عقيدة المسلمين وبطلان عقيدة أصحاب الملل الخمس المذكورة .

والخطاب ـ فى الآية ـ موجه إلى رسول الله ﷺ ولكل صاحب عقل وبصيرة والاستفهام أريد به تقرير واقع وجوب تبصر المذكور وهو أن جميع من فى السماوات والأرض يسجدون لله تعالى سجود تسخير.

بمعنى أنهم يجرى فيهم قضاؤه ولا يكون لهم إلا ما شاء تعالى وقدره ثم إنه تعالى ذكر أشياء بعينها من خلقه وأثبت أنها تسجد له سجود تسخير أو سجودا حقيقيا لا يدرك الناس كيف يكون .

وقد يكون ذكرها لكونها من عظيم خلقه وقد يكون لأن أقواما عبودها ، فجاء القول ليثبت أنها تسجد لله تعالى فلا يتصور فيها أن تكون آلهة .

فذكر تعالى الشمس والقمر والنجوم وهى مما عبد الصابئة وبعض العرب الذين عبدوا « الشعرى » و« الدبران » و« الثريا » و« عطارد» و« المرزم » .

وذكر الجبال لعظم هيكلها ولاتخاذ الأصنام والنحوتات من أحجارها وعبدة الشمس يسمون الدينيكتية ، وعبدة القمر يسمون الجندريكنية .

وذكر الشجر لعموم فائدته ولأن « غطفان » عبدت « العزى » وهى الواحدة من شجر «السمر » وذكر تعالى الدواب لأن الانتفاع بها معلوم ولأن أقواما من الهندوس يقدسون البقر ويعبدونه .

وبعد أن ذكر تعالى من خلقه الذى يسجد له تعالى سجود تسخير ما ذكر فإنه أثبت أن كثيرا من الناس يسجدون له سجود الطاعة بالاختيار.

والمراد بهم المؤمنون فيكون معنى القول هو « ويسجد له كثير من الناس » .

ثم جاء قوله تعالى « وكثير حق عليه العذاب » جاء فيه « كثير » مبتدأ وجملة « حق عليه العذاب » خبره ، قامت مقام « لا يسجد » .

فدل القول على أن كثيرا من الناس لا يسجدون لله تعالى فقدر عليهم الله العذاب الذى يستحقونه ، فكان حقا وعدلا أن يعاقبوا .

وقوله تعالى ـ فى ختام الآية ـ ومن يهن الله فما له من مكرم إن الله يفعل ما يشاء » هو فى هؤلاء الذين لا يسجدون لله سجود عبادة اختيارا .

أثبت تعالى أنه قدر عليهم الشقاء لما عرف منذ الأزل أنهم لا يؤمنون فكان محالا أن يكون لهم من يكرمهم بإسعادهم. ثم أعلم تعالى الناس أنه يفعل ما يريد ومنه إكرام من أراد إكرامه بالإيمان وإشقاء من أراد له الشقاء بإبعاده عن الإيمان وعن عبادة الله وحده وعدم الشرك به .

• هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾

التفســـــير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ مزيد فى بيان الفرق فى المآل بين الذين آمنوا بالقرآن العظيم

وبرسول الله ﷺ من جهة ، وبين الفئات الخمس الأخرى المذكورة من جهة ثانية ، يبين هذا من قوله تعالى « هذان خصمان » فجعل المؤمنين فى جانب ، والفئات الأخرى مجتمعة خصما لهم فى جانب آخر، بين تعالى موضوع الخصومة بينهما بقوله تعالى « اختصموا فى ربهم » بمعنى إنهم اختصموا فى شأن دينه أو فى شأن صفاته ، ثم إنه تعالى وصف أفراد الفئات الخمس بأنهم الذين كفروا فبين أنهم الذين على الباطل ، ثم أتبع هذا بذكر بعض ما يكون لهم من العذاب بقوله تعالى « فالذين كفروا قطعت لهم ثياب من نار يصب من فوق رءوسهم الحميم » .

وفى قوله تعالى « قطعت لهم ثياب من نار » استعارة تمثيلية لبيان إحاطة النار بهم من كل جانب حتى لكأن النار قد قطعت أجزاء تم تفصيلها ثيابا لهم تغطى أجسادهم . ثم إنه تعالى ذكر أنهم وهم فى حالهم هذه يصب عليهم ماء حار قيل فيه إنه لو سقطت منه قطرة على جبال الدنيا لأذابتها ، وقيل إن الحميم الذى يصب من فوق رءوسهم هو نحاس مذاب من شدة الحرارة والمراد هو بيان شدة عذاب الكافرين .

يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾

التفســـــير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ فى بيان أثر الحميم الذى يصب فوق رؤوس الكافرين ، ويتصور أن يكون مفاد النص هو نفاذ الحميم من الرؤوس إلى داخل الجسم فتحمى به الأعضاء الداخلية فى أجسام الكافرين من أحشاء وأمعاء ثم تؤثر حرارته المنبعثة من الداخل إلى الخارج على الأعضاء الخارجية فتحمى به فيكون من تأثيره على الأعضاء الداخلية والخارجيـــة أنها تصهر به .

وقد يكون المراد بذكر انصهار ما فى البطون قبل انصهار الجلود هو بيان حال البعيد قبل القريب لكونه معلوما بالضرورة ، ثم ورد ذكره لبيان حصوله .

﴿وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ ۝٢١﴾

أولا : الأسماء :

المقامع : فى قوله تعالى « ولهم مقامع » جمع ، مفرده « مقمعة » وهى أداة من حديد مثل المحجن يضرب بها على رأس الفيل ، والمراد بها ـ فى معنى الآية ـ هو المطارق

ثانيا : التفسير:

جاءت اللام فى « لهم » ـ وهى للاستحقاق ـ لبيان استحقاق الكافرين ما أعد لعذابهم من المطارق التى هى من مادة الحديد يطرق بها على رؤوسهم أثناء تعذيبهم فى النار.

﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ۝٢٢﴾

التفسير:

مفاد قوله تعالى ـ فى الآية ـ أنه كلما أشرف الكافرون المعذبون بالنار على الخروج منها ـ وفيه قيل إن لهب النار يرفعهم إلى أعلى فيكاد يقذف بهم خارجها ـ يكون أن يطرق على رؤوسهم بالمقامع فيهوون إلى قاع النار.

وجاء التعبير بالخروج من الغم ـ وفيه ورد اللفظ نكرة « غم » ـ لإفادة ممعنى أن الكافرين لا يعتقدون أنهم يخلصون من جميع أنواع العذاب وإنما من بعضه فقط أو شيء منه ، مثل الخروج من المكان إلى مكان غيره يعتقد الكافر أن العذاب فيه أقل شدة .

وقوله تعالى « وذوقوا عذاب الحريق » مفاده أنه يقال للكافرين عندما يهيأ لهم أنهم يخرجون من غم من العذاب « ذوقوا عذاب الحريق » لإفادة معنى عدم خروجهم من النار.

■■■■

﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾

التفسير:

بعد أن ذكر تعالى مآل الكافرين فى الآخرة - الذى هو قضاؤه الفاصل فى بيان شأن عقيدتهم - فإنه بين مآل الذين آمنوا بالقرآن العظيم ولرسول الله ﷺ فبين أنه يدخلهم جنات تجرى من تحت قصورهم فيها أو من تحت أشجارها الأنهار وأنهم يحلون فيها بحلى تكون منشأة من الذهب ، وفى القول جاء الفعل « يحلون » مبنيا للمجهول مما قد يكون لبيان أن الملائكة هى التى تحليهم بهذه الحلى . وأنهم يؤتون فيها لؤلؤا يتحلون به أو يحلون . كما أثبت تعالى أن لباسهم يكون من حرير ، وفى القول « ولباسهم » ما يفيد ثبوت لبسهم الثياب على النحو الذى لم يستدع ذكر أنهم يلبسون اكتفاء ببيان ماهية الملبوس وهو أنه من الحرير الذى كان محرما لبسه على الرجال فى الدنيا .

﴿وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ ﴿٢٤﴾﴾

أولا : الأسماء :

١ - **الطيب من القول** : قيل هو قول « لا إله إلا الله » فى الدنيا وقيل هو قول المؤمنين فى الجنة « الحمد لله الذى صدقنا وعده وأورثنا الجنة » وقيل هو جميع قول أهل الجنة ومنه قول بعضهم لبعض .

٢ - **صراط الحميد** : قيل إن المراد به - فى معنى الآية - هو الإسلام يكون طريقا محمودا

فى ذاتـه أو بالنظر إلى مـا يوصل إليه وهـو رضاء الله أو جنته ، وقيـل هو الصراط الموصـل إلى الجنة يوم القيامة .

ثانيا : التفســــير:

يذكر تعالـى ـ فى الآية ـ أنه تعالى قـد هدى المؤمنين ـ الذين أدخلهـم الجنة وحلوا فيها بأساور من ذهب ولؤلؤا ولباسهم فيها حرير ـ إلى الطيب من القول ، كان فى الدنيا بقولهم لا إلـه إلا الله وهو فـى الآخرة القـول الطيب بيـن بعضهم والبعـض ، وقولهـم « الحمد لله الـذى صدقنا وعده وأورثنـا الجنة » كما يذكر تعالى أنـه هداهم فى دنياهم إلى الإسـلام كان طريقا أوصلهم الجنة ، وأنه تعـالى هداهم إلى الجنة طـريقا أوصلهم إلى الفوز بالنعيـم ، أو هداهم على الصراط فبلغوا الجنة .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِى جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾ ﴾

أولا : الأســــماء والأعلام :

١ ـ **الـذين كفروا ويصدون عـن سبيل الله** : قيل إن المـراد بهم ـ فى معنى الآية ـ هـم أبو سفيان بـن حرب وأعـوانه الذيـن صدوا رسـول الله ﷺ وصحبه عام الحـديبية عـن المسجد الحرام .

٢ ـ **المسجد الحرام** : المراد به ـ فى معنى الآية ـ مكة المكرمة .

٣ ـ **البادى** : فى قوله تعالى « سواء العاكف فيه والباد » هو المرء من أهل البادية والمراد به ـ فى معنى الآية ـ القادم إلى مكة من خارجها من غير أن يكون من أهلها .

ثانيا : التفسير :

قوله تعالى - فى الآية - فى طائفة أخرى من الكافرين ، والقول تناول فعالهم كما بين عقابهم الذى أعد لهم فهو من قبيل الوعيد . ومعنى القول هو أن الذين كفروا ولم يؤمنوا لرسول الله ﷺ وصدوا رسول الله ﷺ ومن معه عام الحديبية عن دخول مكة - وهى المسجد الحرام - بين تعالى أنه جعله أو جعل مكة للناس جميعا ، بمعنى أنه يكون لهم الإقامة فيها والسكنى دون تفرقة بين مقيم فيها إقامة دائمة وبين مقيم ... إقامة طارئة مؤقتة ، وقد أخبر تعالى عن أمره فى مكة أو المسجد الحرام بقوله « الذى جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد » قبل أن يخبر عن حال الذين كفروا ، ليكون وصفه المسجد الحرام بمثابة جملة اعتراضية فى عبارة الآية .

ثم إنه تعالى - قبل أن يخبر عن حال الذين كفروا - أضاف إليهم - بطريق العطف - من يريد فى المسجد الحرام إلحادا بظلم ، وأخبر عن مصير الفريقين بقوله تعالى « ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم » فبين أن من يقصد تحقيق شىء غير حق أو الحصول على شىء ليس له فيه حق أو يستهدف معصية تكون بمجانبة الاستقامة « بإلحاد » يكون مصيره هو ذات مصير الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله وهو الإسلام وصدوا رسول الله ﷺ ومن معه عن المسجد الحرام عام الحديبية ، وهو أنه تعالى يذيقه ما يشاء من عذاب لم يحدد نوعه ولا قدره لبيان مدى هوله وفظاعته ، اكتفاء بذكر صفته وهى أنه عذاب أليم .

وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا وَطَهِّرْ بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿٢٦﴾

التفسير:

يبدو أن المراد من قوله تعالى فى الآية هو لوم الكافرين الذين يصدون المؤمنين عن البيت

الحرام بإظهار مخالفة فعلهم لإرادة الله تعالى وما تغياه إبراهيم عليه الصلاة والسلام ـ البانى الثانى للبيت ـ من بنائه .

فقوله تعالى « وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيـت» يفيد عدة معان منها أنه تعالى جعل مكان البيت الحرام مباءة لإبراهيم أى منزلا ينـزله ويلزمه أثناء بنـائه البيت ، ومنها أنه تعـالى جعله مكانا يكـون مباءة لمن هم علـى ملته الحنيفية من بعده ، ومنـه أنه تعالى جعـل البيت مباءة لمن هم على ملة إبراهيم لأجله وكرامة له ، فيكون مفاد القول هو بيان حق المؤمنين أتباع ملة إبراهيم فى ارتياد البيت والحج إليه .

وقوله تعـالى « أن لا تشرك بى شيئـا » هو من قبيل بيـان الغرض من التبوئة وهـو عبادة الله وتوحيده وعـدم الشرك به . فيكون القول مبينا أن بنـاء إبراهيم صلى الله عليه وسلـم البيت قد كان لأجل توحيده تعالى فيه . فيكون القول مبينا حق الموحدين بالله فى ارتياد البيت وعمارته والحج إليه .

وقوله تعالى « وطهر بيتى للطائفين والقائمين والركع السجود » قد أظهر أن أصحاب الحق فى ارتياد البيـت وعمارته والحج إليـه هم المسلمون ، فهمم الذيـن يقومون بالطـواف حوله والذيـن يصلون فيه الصلاة المتضمنـة القيام والركـوع والسجود ، فهذه الأركان ليسـت إلا فى صلاة المسلمين .

وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾

أولا : الأسـمـاء :

١ ـ الضامر : فى قوله تعالى « وعلى كل ضامر » هو المهزول ، والمراد به ـ فى معنى الآية ـ هو البعير المهزول من بعد المسافة التى قطعها بالحاج وصولا إلى البيت.

٢ ـ الفج : فى قولـه تعالى « يأتيـن من كل فج عميـق » هو فى الأصل الشقـة بين جبلين والمراد به ـ فى معنى الآية ـ هو الطريق .

ثانيا : التفســــير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ يشير إلى حق المؤمنين فى الحج إلى بيت الله وعدم شرعية صدهم عنه ، وذلك ببيان مبتدأ تشريع الحجة على ملة إبراهيم صلى الله عليه وسلم .

فمفاد قوله تعالى ـ فى الآية ـ أنه بعـد أن أتم إبراهيم عليه الصلاة والسلام بناء البيت أمره تعالى أن ينادى فى الناس بدعوة الحج .

وقيل أنـه عليه السـلام قال « يا رب ومـا يبلغ صـوتى » فقال تعـالى « أذن وعلـى البلاغ» فنادى عليه السلام قائلا « يا أيها الناس إن الله كتب عليكم الحج فأجيبوا ربكم » .

فأجاب الناس فى أصـلاب الرجال وأرحام النساء ، فما من حاج إلا وقـد لبى من قبل وهو فى صلب أبيه البعيد الذى عاصر دعوة إبراهيم .

ومن القول يبين أنه تعالى أخبر إبراهيم عليـه الصلاة والسلام أنه يترتب على دعوته الناس إلى الحج أنهم يأتون ـ بأمره تعالى ـ إلـى حيث دعاهم لأداء الفريضة ماشين على أقدامهم ، وراكبين الإبل والدواب التى تهزل من السير ومشقته .

ثم بين تعالـى أن الركائب تأتى بالحجيـج من جميع بقاع الأرض ببيان أنها تـأتى من كل فج عميق والمراد به هو كل طريق موصل إلى البيت بعيد عنه .

لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ فِىٓ أَيَّامٍ مَّعْلُومَٰتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۖ فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْبَآئِسَ ٱلْفَقِيرَ ﴿٢٨﴾

أولا : الأســــماء :

١ ـ الأيام المعلومات : فى قوله تعالى « فى أيام معلومات » هى أيام النحر وهى ثلاثة أيام أولها يوم العيد ويومان بعده ، وقيل أربعة أيام ، يوم العيد وثلاثة أيام بعده .

٢ ـ البـــائس : هو مـن أصابـه البؤس ، وهـو الشدة وقيـل هو مـن يمد يـده إلى النـاس بالســؤال .

ثانيا : التفســـير:

بعد أن أوضح تعالى أن الحجيج يأتون مكة لأداء الفريضة ماشين وراكبين فإنه تعالى بين حضورهم بقصد الحج هو حضور لأجل تحقيق منافع عظيمة تنالهم ، وتنكير« منافع » أريد به إظهار كثرتها ، ولهذا فالـراجح هو أنها تشمل المنافع الدينية ـ باعتبارهـا الغاية من الفريضة ـ كما تشمل المنافع الدنيوية وأخصها المتحصلة من التجارة بالبيع والشراء والمقايضة .

وقوله تعالى « ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات » أريد به ذكر اسم الله عند نحر الأضاحى على مـا يفسره كون هذا الـذكر هو الكائن فـى الأيام المعلومـات بمعنى الأيام التى علـم أنه يكون فيها نحر الأضاحـى ويفسره قوله تعالى « على ما رزقهم مـن بهيمة الأنعام » فدل على أن هذا الذكـر يكون لأمر متعلق بـالأنعام التى رزق تعالـى الحجيج إياها ، وهـى الأنعام التى تنحر أضحيات وهى الإبل والبقر والضأن والمعز .

ويجىء قـوله تعالى ــ فيى ختام الآيـة ـ فكلوا منهـا وأطعموا البائس الفقير ، هـو خطاب للحجيج تضمن أمرا بالأكل من لحم الأضاحى ، والمراد به هو إباحة الأكل منها ، وذلك لأنه كان منهيا عن أكـل لحوم الأضاحى قبل نزول الآيـة ، كما كانت العرب فى الجـاهلية تتحرج من الأكل من لحـوم الأضاحى ، ثم إن المستفاد من قـوله تعالى « فكلوا منها » هـو عدم أكل المضحى الأضحية بكـاملها وإنما يأكـل البعض منها . وقد صـرح بهذا إيجابه تعـالى على المضحى أن يطعـم من الأضحية من أصـابه البؤس فمد يـده للناس وكان محتاجـا الإحسان إليه .

﴿ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾ ﴿٢٩﴾

أولا : الأســــماء :

١ ـ **التفث** : فى قوله تعالى « ثم ليقضوا تفثهم » هـو ـ فى الأصل ـ الوسخ والقذر، والمراد به ـ فى معنى الآية ـ ما طال من الشعـر والأظافر وشعر الإبط والعانة ، وأدران السفر والطريق . وقيل هو مناسك الحج يدخل فيها الحلق ورمى الجمار وإزالة الشعث وغيره .

٢ ـ **النذور** : فى قوله تعالـى « وليوفوا نذورهم » جمع ، مفرده « النذر » وهـو ما ينذره المرء من أعمال البر والإحسان .

٣ ـ **البيت العتيـق** : هو الكعبـة،قيل إن تسميتـه بالعتيق جـاءت لكونه تعـالى أعتقـه من الجبابرة فلم يقهره جبار ، وقيل لأنه تعالى أعتقه مـن الطوفان فلم يغرقه،وقيل لأنه معتق رقاب المذنبين بفضل الله،وقيل لأنه قديم فهو أول بيت وضع للناس.

ثانيا : التفســـير:

قولـه تعالى ـ فـى الآية ـ فيما يكـون من الحجيج بعـد نحر الأضاحى،يـأمر تعالى بـإزالة الأوساخ والزائد مـن الشعر الذى طال أو الحلق وتقليـم الأظفار ونتف الإبط وجـز العانة وأداء المناسك كلها،وكذا الإيفـاء بالنذور والمفترض أنها من أعمال البر.كمـا يكون منهم الطواف حول الكعبة «وليتطوفوا بـالبيت العتيق» والمقصود هو طواف الإفاضة أو طـواف الزيارة الذى هو ركن من أركان الحج،وبه يكون التحلل ويكون قرينة على قضاء التفث.

﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ الْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَٰنِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴾ ﴿٣٠﴾

أولا : الأســــماء :

الزور : هو الكذب من «الزور» وهو الانحراف،وذلك لكون الكذب انحرافا عن الواقع .

ثانيا : التفســـير:

جاء اسم الإشارة « ذلك » للفصل بين كلامين . والمخبـر عنه فى عبارة نص الآية هو بيان جزاء مـن يعظم حرمـات الله تعالـى بمعنى ما يتعيـن احترامه شـرعا،يـدخل فى هـذا جميع التكليفات ومنها مناسـك الحج السابق ذكرها،كمـا يدخل فيها جميع النواهـى وفيها ما نهى عنه فـى الحج من فسوق وجـدال وجماع وصيد . وجاء التعبيـر عن احترامها بلفـظ « يعظم » لبيان وجوب مـراعاة التكليفات ببذل الطـاقة ووجوب عدم الحـوم حول النواهى . وقـد أخبر تعالى عن جـزاء من يعظم حرمات الله ببيان أنـه يكون خيرا له عند ربه،بمعنـى أنه يتاب عليه يوم القيامة.

وبعد هذا أورد تعالى حكما شرعيا بقوله « وأحلت لكم الأنعام إلا ما يتلى عليكم » بمعنى أن الأصل هو حل ذبح وأكل الأزواج الثمانية مـن الأنعام ، وأن تحريم أكلها لا يكون إلا بنص مثل تحريم أكل الميتة وما أهل به لغير الله .

ثم أتبع هذا تعالى بقوله « فاجتنبوا الرجـس من الأوثان واجتنبوا قول الزور » وفيه أمر تعالى باجتناب الرجس وهو كل قذر ونجس أو إنه تعالى نهى عن الاقتراب منه وبين أن الرجس ذاته وكله هو بعـض من الوثن من الأوثـان التى يعبدها المشركـون،فدل أمره تعالى بـاجتنابها دون الإشارة إلى عبـادتها على أن عبادتهـا هى من القذارة بمكـان حتى إنه يستحسن عـدم ذكرها اكتفاء ببيان مدى قذارة ما هو أدنى منها .

ثم إنه تعالى أمر باجتناب قول الزور من بعد أمره باجتناب الأوثان لاتحاد العلة وهى البعد عن الحـق والحقيقة،ذلك لأن فـى عبادة الأوثان زعمـا كاذبا أنهـا آلهة ولأن فى قـول الزور أو الكذب انحرافا عن الحق والواقع . والجمع بينهما فى النص يوضح مدى الارتباط بينهما بما يفيد جسامة إثم قول الزور.

حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾

التفسير:

بعد أن أمر الله تعالى بتعظيم حرماته واجتناب الرجس من الأوثان وقول الزور، فإنه تعالى أمر في الآية أن يكون حال الطائعين هو الحنيفية وعدم الإشراك به ، فكونهم حنفاء مفاده هو أن يميلوا عن الباطل إلى الحق، ومنه عدم الإشراك بالله .

ثم إنه تعالى بين حال من يشرك به بجملة شرطية مثل فيها للمشرك بمن خر من السماء، فبين سمو الإيمان بالله ودنو الشرك بالله كما بين أن المشرك قد سقط من سمو الإيمان الفطرى ، أو الذى كان عليه ـ إن كان مرتدا عن الإيمان ـ إلى حضيض الإشراك بالله، ثم بين أن أمره يكون بين حالين.

ولهما هو حال التردد فى الأفكار والعقائد حيث تتناوشه الشكوك والظنون، وقد مثل له النص بحال من تخطفه جوارح الطير يهاجمه كل واحد منها فينهش من لحمه قطعة أو جزءا .

وثانيهما حال من يستقر به الأمر إلى الشرك، وقد مثل له النص بحال من تسقطه الريح أو تقذف به إلى مكان بعيد، والمراد بيانه هو الرمى به إلى أقصى مدى الضلال ، فيكون فى «الريح» تشبيها بالشيطان الذى ألقى به إلى أبعد مراحل الضلال.

ذَٰلِكَ ۖ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾

أولا : الأسماء :

الشعائر: فى قوله تعالى «ومن يعظم شعائر الله» جمع ، مفرده شعيرة ، وهى كل شىء

جعلت فيه علامـة تشعر به أو بماهيته وتعلم . ومنـه كل شيء لله تعالى أمر فيـه أشعر به وأعلم. وقيل إن المراد بها ـ في معنى الآية ـ هو «البُدْن» على وجه خاص.

ثانيا : التفســـــير:

قوله تعالى «ذلك» في مبتدأ القول هـو بمعنى «امتثلوا ذلك» والمطلوب امتثاله هو المعنى المستفاد من القول وهو تعظيـم شعائر الله خاصة ما تعلق منها بمناسـك الحج. ويقبل القول أن يكون المراد به هو «البـدن الهدايا» يكون تعظيمها باختيارها حسانا سمـانا غالية الأثمان . وقـد بين تعـالـى أن تعظيـم شعائره يكـون نتـاج تقـوى القلوب بمعنـى أنـه ينشـأ من تقـوى القلوب،أو أنه يكون لأجل تقوى القلوب،وعلى الأول تكـون «من» لابتداء الغاية،وعلى الثاني تكون للتعليل.

لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلۡبَيۡتِ ٱلۡعَتِيقِ ﴿٣٣﴾

التفســـــير:

قوله تعالـى ـ في الآية ـ هو في «البـدن الهدايا» والنص يبين الحكم فيهـا فيظهر أنه يكون للمهدى أن ينتفع بهـا بجميع صور الانتفاع إلـى الوقت الذى يسميهـا فيه ويوجبها هـديا،لا يملك من بعـد هذا أن ينتفع بها،وقيـل إنه يستثنى من هـذا ركوبها لضرورة وشـرب لبنها عند الحاجة . ثـم ذكر تعالى أنـه يكون محلها بعد هذا هـو البيت العتيق،بمعنى أن يكـون مكانها وقت نحرها أو المكان الذى تنحر فيه هو البيت العتيق،وليس المعنى أنها تنحر فيه،وإنما أنها تنحر في مكان قريب منه،وفي الحديث أن كل فجاج مكة منحر،وكل فجاج منى منحر.

وَلِكُلِّ أُمَّةٖ جَعَلۡنَا مَنسَكٗا لِّيَذۡكُرُواْ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلۡأَنۡعَٰمِۗ فَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَلَهُۥٓ أَسۡلِمُواْۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُخۡبِتِينَ ﴿٣٤﴾

أولا : الأســـماء :

المنسك :في قـوله تعالى «لكـل أمة جعلنا منسكا» هـو موضع النسك أى المكـان الذى يكون فيه،وهو النسك ذاته،وقيل إن المراد به هو الذبح و إراقة الدماء تقربا إلى الله تعالى،وقيل هو العيد.

ثانيا : التفســـير:

الآية من الآيات العظيمة الدلالة على وحدانية الله تعالى فهو تعالى يثبت واقعا يعرفه أهل جميع الملل الـذين لهم كتاب منزل مـن الله ورسوله دعا إليـه تعالى ، وهو أنه ألـزم المؤمنين بالكتاب والـرسول تقديم قرابيـن يتقربون بها إليه تعـالى وذلك قصد ذكر اسـم الله عليها عند ذبحها أو لدى تقـديمها،فيكون القول مبينا أن شرعيـة الذبح أو التقديم مستمدة مـن ذكر اسم الله على الأضحية أو القربان.

ثم إنه تعالى بين أن جميع الأضاحى والقرابين التى أمر تعالى أصحاب الملل والأديان بها كانت من الأنعام بقوله « على ما رزقهم من بهيمة الأنعام» ولهذا فإنه لم يعرف لدى أصحاب الكتب أضحيات من غير الأنعام مثل الخيل.

وبعد هذا فـإنه تعالى يبين النتيجة المستخلصـة من الواقع المذكور، وهـى أن إله الناس جميعا إله واحد هو الله عزوعلا؛ولهذا كان حكم القربان واحدا فى جميع الشرائع .

ثم إنه تعـالى بعد أن أقام الحجة على أنـه الله الواحد الذى أنزل الكتب جميعهـا والرسل أمر الناس أن يسلمـوا . ونرى .. والله أعلم .. أن الإسلام هنـا هو الإسلام الذى دعـا إليه رسول الله ﷺ،إذ لا يبقى بعد أن دلل تعالى لأصحاب الكتب السابقة أنه إلٰههم منزل شرائعهم إلا أن يطيعوه فيمـا أمر به مـن إيمان لرسـول ﷺ وبالقـرآن العظيم،والتزام أحكـامه ومنها مـا يتعلق بالقرابين والأضاحى .

وفى ختام الآيـة خاطب تعالى رسولـه ﷺ أن يبشر المخبتين،والمعنى هو أن يبشـرهم بما يسرهم،وأفضله حسن ثواب الآخرة،يبشر به المجتهدين فى العبادة الراضين بقضاء الله وقدره.

ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٥﴾

التفسير:

قوله تعالى - في الآية - في وصف المخبتين الذين أمر تعالى رسوله ﷺ أن يبشرهم بما يسرهم ، فيذكر تعالى أنه إذا ذكر الله تعالى شعرت قلوبهم بالخوف،يكون منهم خوف تقصيرهم في ذكره تعالى الذكر اللائق بالمقام،وأنهم الصابرون على مشاق التكاليف وعلى ما يصيبهم من المكاره من جانبه تعالى،وقد يخرج عن هذا المكروه الواقع من ظالم تجب مقاومته،كما وصفهم تعالى بأنهم المقيمو الصلاة بمعنى أنهم يؤدونها على أوقاتها،وبأنهم ينفقون في سبيل الله مما رزقهم،ومنه البدن الهدايا.

وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾

أولا : الأسماء :

١ - **البدن** : جمع،مفرده «بدنة» وهو الواحدة من الإبل ومن البقر التي تقدم قربانا لله .

٢ - **الصواف** : في قوله تعالى «فاذكروا اسم الله عليها صواف » جمع مفرده «صافة» والمراد باللفظ - في معنى الآية - هو القائمات وقد صففن أيديهن وأرجلهن .

٣ - **القانع** : هو من رضي بما عنده فلم يسأل الطعام،وقيل هو السائل.

٤ ـ المعتر: هو الذى يعترض صاحب الطعام أو غيره يسأله منه .

وقيل هو المعترض من غير سؤال .

ثانيا : التفســـير:

يقول تعالى ـ فى الآية ـ إنه جعل البدن المهداة إلى مكة أو البيت الحرام علامة من علامات الدين التى شرعها،وأنه أثاب عليها المهدى خيرا يناله فى الدنيا والآخرة .

ثم يفصله تعالى فى النص للإطعام فيه ثم إنه تعالى أمر بذكر اسمه عليها عند الذبح تكون الإبل فيه قائمات صففن أيديهن وأرجلهن ، وقيل إن البدنة من الإبل تنحر قائمة وقد عقلت يدها اليسرى.

أما البقر فالمعلوم أنها تذبح مضطجعة. وقيل إن ذكر الله عليها عند الذبح يكون بقول «بسم الله والله أكبر،اللهم منك و إليك».

ثم يقول تعالى «فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها وأطعموا القانع والمعتر» بمعنى أنه متى سقطت البدنة المذبوحة قائمة،والمرد هو متى ماتت البدنة فكلوا منها،أى فليأكل المهدى من لحمها.

فالقول يفيد إباحة أكل المهدى من البدنة المهداة.

ثم أمر تعالى بإطعام القانع والمعتر منها بمعنى إطعام من لا يسأل نصيبا منها أو من يرضى بما يعطى ومن يسأل منها نصيبا،أو يطلب المزيد.

وقوله تعالى ـ فى ختام الآية ـ «كذلك سخرناها لكم لعلكم تشكرون» .

يفيد أنه تعالى الذى ذلل البدن على قوتها للإنسان أو للمخاطبين بالقول فانقادت لهم فتمكنوا من عقلها وحبسها وذبحها،وهو مايستحق أن يكون عليه شكر الله تعالى بالتقرب إليه والإخلاص فى عبادته.

■■■■

﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾﴾

التفســــير:

قولـه تعالى ــ فى الآية ــ فى بيان أنـه تعالى لا يشـرع ما يشرع ومنـه تشريع الشعـائر التى تتضمن إهداء البدن لمصلحة يرجوها لذاته، إذ تكون المصلحة للطائع.

فقوله تعالى «لن ينال اللهَ لحومُها ولا دماؤهـا ولكن يناله التقوى منكم» يفيد أنه ليس لحم البدن المتصدق به ولا دماؤها المراقة هى التـى تصيب رضاء الله، أما الذى يصيب رضاءه فهو تقوى قلوب الطائعين الذين يتقربون إليه بالصدقات مخلصين . ثم إنه لما كان رضاؤه تعالى يعود على المتصـدق المخلص بالثواب، فإنه يكـون تعالى قد أوضح أن فـائدة الإخلاص فى الطاعة وفى التصدق بلحم الهدى إنما تعود على المتصدق المخلص.

ثم إنه تعالى كرر قوله السابق عن تسخيره «البدن» تذكيرا لنعمته على الناس بهذا التسخير وبين أن ذلك مؤداه معرفـة مدى قدرته تعالى بما يستوجب تعظيمـه، أو ليقولوا «الله أكبر» عند الذبـح. يقولونه تعظيمـا له تعالى وشكـرا على إرشاده إياهـم إلى كيفية السيطرة علـى البدن وعلى تسخيـرها لهم ممـا مكنهم مـن التقرب بها إلـى الله . وقوله تعـالى ــ فى ختام الآيـة ــ «وبشر المحسنين » هو خطـاب إلى رسول الله ﷺ أن يبشر الذين يحسنـون الأفعال مخلصين لله مبتغين وجهه.

﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾﴾

التفســـير:

قوله تعالـى ـ فى الآية ـ هو لطمأنة المسلميـن الذين صدهم الكافرون عـن الحج إلى أنه

تعالى ناصرهم على الكافرين،فأثبت تعالى أنه يدافع عن المؤمنين،وفى إيراد الفعل «يدافع » وليس «يـدفع » ما يفيد معنى تكرر دفع الأذى عـن المؤمنين كلمـا تكرر الاعتداء عليهـم من الكافرين.

وقوله تعالى «إن الله لا يحـب كل خوان كفور» تضمن عدة معان،فقد أوضـح أن الكافرين مجبولون على الخيانة فهى تتكرر منهم وأنهم مردوا على الكفر.

كما يفيد أنه تعالى يدفع أذاهم عن المؤمنين لأنه تعالى لا يحبهم ، ثم إنه يفهم من القول ـ بمفهوم المخالفة ـ أنه تعالى يحب المؤمنين .

أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾

التفســـير:

يبين من الفعل المبنى للمجهول «أذن» أن هناك من كان يطلب إذنا أو تصريحا بشىء من الله،وأنه تعالى أذن له.

والـذى طلـب الإذن هم الـذيـن يقـاتلون بـأنهـم ظلمـوا ، وهم أصحـاب رسـول الله ﷺ والمؤمنون الذين بقوا فى مكة بعد الهجرة، كـان المشركون يؤذونهم وكانوا يطلبون الإذن بقتال المشركين فيقول لهم رسول الله ﷺ : اصبروا،فإنى لم أؤمر بالقتال .

«فنزلت الآية بـالإذن بقتال المشركين، مبينة ســـبب الإذن لمن طلبوه، وهـو كونهم قد ظلمـــوا» .

ثم إنـه تعالـى وعد هـؤلاء المؤمنيـن الذين اعتـدى عليهم الكـافرون ظلمـا بالنصـر على الكافـرين،وليـس فقط بتخليصهم مـن أيدى المشـركين أو برد أذاهـم بقولـه « وإن الله على نصرهم لقدير» .

■■■■■■

﴿ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيۡرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ٤٠﴾

أولا : الأسماء :

١ ـ الصوامع : فى قوله تعالى «لهدمت صوامع» جمع،مفرده الصومعة،وهو كل بناء له رأس أو قمة متلاصقة به،والمراد به ــ فى معنى الآية ــ المبنى الذى يتخذه رهبان النصارى مكانا للتعبد .

٢ ــ البيع : فى قوله تعالى «لهدمت صوامع وبيع» جمع،مفرده«البيعة»وهى مصلى النصارى فى مجموعهم، لاتختص بالرهبان وحدهم.

٣ ـ الصلوات : فى قوله تعالى «لهدمت صوامع وبيع وصلوات» هى معابد اليهود .

ثانيا : التفسير:

قوله تعالى فى مبتدأ الآية «الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله» هو فى ذكر صفة للذين أذن الله لهم بقتال المشركين ووعدهم بالنصر، يصفهم تعالى بأنهم أخرجوا من ديارهم، أخرجهم الكافرون بغير سبب يستوجب إخراجهم ، ثم استثنى من هذا أن يكون سبب إخراجهم هو قولهم «ربنا الله» أى توحيدهم الله تعالى وإقرارهم بربوبيته .

وبعد هذا جاء قوله تعالى «ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا» متضمنا بيان سبب الإذن، والذى يمثل تحريضا

على قتال الكافرين وهـو كفالة إقامة شعائر الأذيان بحماية أماكـن العبادة ، فمعنى القول هو أنه لولا قيـام المؤمنين بدعوة المسيـح عليه السلام بمجاهـدة الوثنيين والدفاع عـن عقيدتهم لكان هؤلاء قد قضواعلـى عبادته بهدم الصوامع التى يتعبد فيهـا رهبان النصارى،والبيع التى يصلى فيها عمومهم لله تعالى،ولولا أن قاتل اليهود المشركين وعابدى الآلهة الباطلة ـ من قبل ـ لتمكن هؤلاء من منعهم من عبادة الله على شريعة موسى عليه السلام وذلك بهدم معابدهم التى يصلون فيها لله تعالى .

ثم إن الأمـر كذلك بالنسبـة للإسلام والمسلمين،فـإنه لولا أن يقاتـل المؤمنون الكافـرين والمشركين ،فـإنه يكون من هؤلاء منع المسلميـن من أداء صلاة الجماعة فى المسـاجد لما يكـون منهم مـن هدمهـا. ويلاحـظ أنه تعـالى وصـف المساجـد بأنهـا يذكـر فيها اسـم الله كثيرا،فدل بهذا على أن هذا هو حال المساجد فى الآن واللحظة وفى المستقبل،مما قد يكون مفاده أن الأمر لم يعد كذلك بالنسبة للصوامع والبيع والمعابد.

فيكون القول مشيرا إلى مادخل عقائد أصحاب الصوامع والبيع والمعابد من تحريف،أو إلى أنها لم تعد أماكن ذكر الله على الوجه الصحيح من بعد بعثة رسول الله ﷺ .

وقوله تعـالى ـ فى ختـام الآية ـ « ولينصرن الله من ينصـره،إن الله لقوى عزيز» هـو وعد منه تعالى مؤكد بالقسـم بأنه ناصر المؤمنين الذين ينصرون الإسلام دينـه الحق ، ومؤيد ببيان أنه تعالى القوى على ما يريد الذى لا يمنعه عما يريد مانع .

ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾

التفســـير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ هو فى المخرجين من ديارهم بغير حق إلا قولهم «ربنا الله »، الذين

وعدهم الله بالنصر. يقـول تعالى إنه إن مكنهم فى الأرض،بمعنى أنه جعـل لهم سلطانا فيها وعلى المقيمين بها،سـواء أكان المقصود بالأرض هو مكة أم الأرض عمـوما أو أى بقعة منها، فإنه يكون منهم إقامة الصلاة .

ـ والمراد بها صلاة المسلمين ـ و إيتاء الزكاة ــ زكاة المسلمين ـ والأمر بالتوحيد والطاعة ، والنهى عن الشرك والعصيان.

وقيل إن هـذا قد تحقق بالنسبـة للخلفاء الراشديـن،إذ كانوا من المهـاجرين،خرجـوا من ديارهم بغير حـق إلا قولهم «ربنا الله» ومكنهم الله فى الأرض بما جعل لهـم من سلطان ،فكان منهم إقامة الصلاة و إيتاء الزكاة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

وقوله تعالـى ـ فى ختام الآية ـ «ولله عاقبة الأمـور» هو بيان لكونه تعالى قد قـدر هذا،فإليه وحده وليس لغيره وفقا لحكمه تكون خاتمة الأمور،ومنها ما يكون بين المؤمنين والكافرين من قتال.

فالقـول يشير إلى أنه تعـالى قدر إعزاز دينـه ونصر المؤمنين ليكـون منهم ما ذكر أنـه يكون منهم إن مكنهم فى الأرض .

وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾

التفســـــير:

الخطاب ــ فى الآيـة ـ إلـى رسول الله ﷺ ، والمـراد بالقـول هو إذهـاب الحزن عنـه ﷺ لتكذيب المشركين إياه وعدم إيمانهم له،فتضمن القول ذكر حقيقة درج عليها الكافرون وهى تكذيب الرسل،فورد فـى الآية بيان تكذيب قوم نوح رسولهم،وتكذيـب عاد وثمود وفى القول لم يـذكر لفظ «قـوم» وذلك لاشتهار القـوم باسم «عـاد» وباسم «ثمـود» فأصبح الاسـم علما لهم،والمراد بهم قوم صالح،وقوم هود.

﴿وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ۝٤٣﴾

التفســـــير:

يذكر تعالى فى عـداد الذين كذبوا رسلهم قوم إبراهيم وقوم لـوط عليهما السلام. وقد كان قوم إبـراهيم هم قبيلته التـى ينتمى إليها، وكان قـوم لوط هم الـذين عاش بينهم وتـزوج منهم فأصبح بمثابة واحد منهم وأصبحوا فى مرتبة قومه.

﴿وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَ ۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ۝٤٤﴾

التفســـــير:

أضاف تعالى إلى عداد المكذبين رسلهم أصحاب مدين، وهم قوم شعيب عليه السلام، وذلك لكون جميع المذكورين آنفا من أقوام رسلهـم، ثم إنه تعالى قال« وكُذب موسى» وفيه جاء الفعل «كـذب» مبنيا للمجهول ولم تشـر عبارة القول إلى أن المكـذبين كانوا قـومه عليه السلام، وذلك لأن الذين كذبوا موسى كانوا فرعون وقومه وهم من غير قومه.

وقوله تعالى « فأمليت للكافرين ثم أخذتهم فكيف كان نكير» ، مفاده أنه تعالى أمهل كل أمة مـن الأمم التى كـذبت رسـولها إلى الأجـل الذى حدده لأخـذهم بـذنوبهم وبتكـذيبهم بعذاب دنيوى، ثم كان منه تعـالى أخذهم بذنوبهم، والاستفهام فى قولـه تعالى « فكيف كان نكير» أريد به بيان عظم وجسامة مظهر إنكاره تعالـى على كل أمة مكذبة فعلها وتنكيره تعالى على أهلها أحوالهم بما أصابهم من العذاب.

﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ۝٤٥﴾

التفســـــير:

بعد أن بين تعالى أنه أمهل الذين كذبوا الرسل ثم أخذهم بعذاب نكر عليهم به أحوالهم فغيرها من بعد ما كانت عليه من نعيم إلى هلاك،فإنه تعالى يبين أنه تعالى قد أخذ الكثير من القرى بتكـذيبها الـرسل فكان منـه إهلاكها ــ والمراد إهـلاك أهلها ـ أوضـح تعالـى أن هذا الإهلاك كان منه تعالى وحال أهل القرى لدى إهـلاكهم أنهم ظالمون،ظلموا أنفسهم بالكفر وبتكذيب الرسل. ثم إنه تعالى وصف حال القـرى فبين أنها خاوية على عروشها،فهي خالية من السكان ومما يعمرهـا ومن مظاهر الحياة، سقطت أسقف مبانيهـا وبقيت الجدران مشرفة عليها،أو سقطت من بعد سقـوط الأسقف فوقها. ولم تعد بئر من الآبـار التى كان يستقى منها ينتفع بهـا لذهاب مـن ينتفع بها بالهـلاك، فبقيت معطلة ،كمـا أن القصور التى شيـدت فيها بالجص أو ارتفع بناؤها بقيت على حالها خالية ممن يسكنها مع بقاء عروشها قائمة .

أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَـٰرُ وَلَـٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴿٤٦﴾

التفســـــير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ نعى على مكذبى رسول الله ﷺ عدم اعتبارهم بما شاهدوا من آثار الأمم التى أهلكها الله بتكذيب رسله، أو عدم توجههم إلى أماكن هذه القرى ومشاهدة ما بقى من آثارها الـدالة على فظاعة ما حاق بهـا من عذاب مهلك،مع كون ذلك فـى مقدور مكذبى رسول الله ﷺ . فقـوله تعـالى «أفلم يسيـروا فى الأرض فتكون لهـم قلوب يعقلـون بها أو آذان يسمعون بهـا» مفاده أنه إذا كـان المكذبون قـد ساروا فى الأرض إلـى أماكن القـرى المهلكة بتكذيب الرسل وشاهدوا آثارهم فإنه كان مفترضا فيهم ألا يكذبوا رسول الله ﷺ إن كانت لهم

قلوب تعقـل وتتبصر فتفهم أن العذاب كـان جزاء وفاقا علـى التكذيب،و إن كانـت لهم آذان تسمع الحق فى شأن سبـب إهلاك هذه الأمم،وذلك مما نزل به الوحـى،أو أخبر به أهل العلم والمعرفة .

وقولـه تعالى « فإنهـا لا تعمى الأبصار ولكـن تعمى القلوب التـى فى الصدور» هو بمثـابة تفسير أو تسبيب لأعراض الكافرين عن الاعتبار بهـلاك الأمم السابقة التى كذبت رسلها. فبين تعالى أن العمى قد أصاب قلوبهم والمعنى أنها لا تقتنـع بالحق مع ظهور آياته،فأثبت القول أن عمى البصـر ليس هو سبـب تكذيـب الآيات و إنما هـو عمى القلوب التـى ترفـض الحق وتصر على الباطل.

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾

التفســــــير:

الخطاب ـ فى الآية ـ إلى رسول الله ﷺ ، والقول متعلق بكفار مكة الذين كانوا يستعجلون رسول الله ﷺ أن ينزل بهم عذاب الله الدنيوى حين كان يحذرهم منه،وكانوا يستعجلونه إنزاله بهم من قبيل الاستهزاء والتعجيز.

وقولـه تعالى «ولن يخلـف الله وعده» يفيد ضرورة تحقـق وعيده تعالـى فى الكافريـن أنه معذبهم فوعده تعالى كان مفعولا .

ثم إنه تعالـى أوضح أن المدة القصيرة عنده تعالـى طويلة عند الناس بقولـه تعالى «و إن يوما عند ربك كألف سنـة مما تعدون» وهو ما يوافق قوله تعالى «إنهم يـرونه بعيدا ونراه قريبا» وقد قيل إن المراد باليـوم فى القول هو يوم العذاب فى الآخرة . وهـذا و إن كان صحيحا إلا أنه يبدو ـ والله أعلم ـ أنه معنى غير مقصود فى عبارة الآية .

وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ الْمَصِيرُ ﴿٤٨﴾

التفســـــير:

قوله تعالى فى الآية فى بيان فساد استدلال الكافرين بعدم تعجيل العذاب لهم على كونه لايصيبهم ، فمعنى القـول هو « وكم من قـرية أمليت لأهلها فتمتعوا بالنعم وأخرت عـذابهم حال كونهـم ظالمين ظلما يستحقـون به تعجيل العذاب لهـم،ثم كان أن أخذتهـم بالعذاب فأهلكتهم» وقد عقب تعالى على الواقع المروى بقوله «وإلى المصير» ليثبت أن مرجع جميع الخلق إليه تعالى للحساب ومنهم هؤلاء الذين كذبوا الرسل من قبل، والذين كذبوا رسول الله ﷺ واستعجلوا وقوع العذاب بهم . فيكون القول تهديدا لهم .

قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٩﴾ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٥٠﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٥١﴾

التفســـــير:

تعلق قـوله تعالـى فى الآيـات باستعجال الكـافرين العـذاب قصد إثبـات عجزه ﷺ أن يأتيهم بما توعدهم به من العذاب.

فجاء قوله تعالى آمـرا رسوله ﷺ أن يقول للكافرين إنه ليس سوى نـذير ينذر ويبين أحوال من شابههم من الأمـم السابقة الذين أهلكوا بالعذاب، وأنه لا يملك إيقـاعه بهم ولا يعلم من أمره إلا ما يوحى إليه خبره .

ثم جاء قوله تعالـى أو قول رسوله ﷺ يقوله بأمره مبينا حال الـذين يؤمنون لرسول الله ﷺ،

ويعملون الصالحات وهو أنهم تغفر لهم ذنوبهم ويكون لهم الرزق الكريم فى الآخرة. وهو رزق الجنة الذى لا ينفد.

والقول على هذا النحو يتضمن حثا للكافرين على الإيمان لرسول الله ﷺ بإطماعهم فى المغفرة والرزق الكريم، كما أن من شأنه إغاظة الذين يبقون على الكفر بإعلامهم ما يكون للمؤمنين دونهم والذى هم منه يحرمون .

وبعد إخباره تعالى عن حال المؤمنين فإنه يخبر عن مصير هؤلاء الذين لا يؤمنون ويحاولون النيل من القرآن العظيم وإثبات عجز رسول الله ﷺ أن يأتيهم بالعذاب الذى توعدهم به ربه فيكونون معاجزين فى آياته تعالى. وخبرهم الوارد فى النص هو أنهم أصحاب الجحيم بمعنى أنهم الذين يلازمونها .

وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾

أولا : الأســـماء :

الأمنية : فى قوله تعالى «ألقى الشيطان فى أمنيته» هى التلاوة والقراءة .

ثانيا : التفســـير:

قوله تعالى فى الآية فى الكفار الذين يسعون فى آيات الله معاجزين، يخبر تعالى رسوله أنه كان شأن الكافرين أعوان الشياطين مثل هذا مع جميع الأنبياء والرسل. فيقول تعالى إنه لم يرسل من قبل رسوله ﷺ رسولا ولا نبيا إلا وكان إذا ما قرأ ما أوحى إليه من ربه على قومه أن ألقى الشيطان التخيلات والظنون على ما يقرأ فى سمع أوليائه وأفهامهم فيكون منهم تأويلها

بالباطل ومجادلة المؤمنين، ومن ذلك قـول الكافرين أولياء الشيطان لدى سماعهم رسول الله ﷺ يتلو قوله تعالـى «إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم» قولهـم «إن عيسى عُبد من دون الله، والملائكة عبدوا من دون الله».

ثم إنه تعالـى أثبت أنه يبطل ما يلقيه الشيطـان فى النفوس ويذهب به بـواسطة رسوله أو بالنص الذى ينزله، ثم يأتى بآياته محكمات .

وفى ختام الآية جاء قوله تعالى «والله عليم حكيم» لبيان أنه تعالى يعلم فعل الشيطان وما يكون من أوليائه، وأنه تعالى بحكمته مفسد كيد الشيطان .

﴿لِّيَجۡعَلَ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ٥٣﴾

التفســــير:

قولـه تعالى فى الآيـة مفسر العلاقة بيـن الشيطان وبين أوليائه فـى شأن ما يلقى مـن شبه وباطل فيما يتلوه الرسل والأنبياء مما يوحى إليهم، فيبين تعالى أن ما يلقى الشيطان من الشبه يكون ضلالا للمنافقين وكذا للكافرين المجاهرين بالكفر بمعنى أن هؤلاء هم الذين يحاولون النيل مـن المقروء والمتلو من المـوحى به مستغليـن ما ألقـى الشيطان بشـأنه مـن تخيلات وظنون. ثم إنـه تعالى بين علـة فعل المنافقين وفعـل المجاهرين بـالكفر، ذكرهما معـا باسم الظالمين، فأوضح أنها كونهم على عصيان لله ومخالفة لأحكامه ، ومشاقة لذاته وللرسل .

﴿وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤۡمِنُواْ بِهِۦ فَتُخۡبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمۡۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٥٤﴾

التفســـــير:

الخطاب ـ فـى الآية ـ إلى رسـول الله ﷺ كما يبين من قولـه تعالى «أنه الحـق من ربك» فيكون القول مشيرا إلى مـا يلقى الشيطان من شبه على ما يتلو رسـول الله ﷺ من قرآن، وكون فعل الشيطان ضـلالا و إضلالا للمنافقين وللكـافرين المجاهـرين بالكفر. وفـى الآية أوضح تعالى أن مآل فعل الشيطان وتمكينه منه يكون لدى أهل العلم مختلفا عن مآله مع المنافقين والكافـرين، إذ يعلم أهـل العلم أن تمكين الشيطان مـن إلقاء الشبه إنمـا كان لحكمة لـديه تعالى قد تكون هى إقامة الحجة على المنافقيـن فيكون منهم الإيمان بالمتلو من الوحى ـ أى بالقرآن العظيم ـ فتظمئن قلوبهم بالقرآن وينقادون لله .

ثم إنه تعالـى لما ذكر أهل العلم الذين يعرفـون الحق بما أوتوا من علم وعقل فـإنه تعالى أثبت أن الذيـن أخلصوا فى إيمانهم يصلون إلـى ذات النتيجة ولو لم يكونوا مـن أهل العلم، وذلك لأنه تعالى الذى هداهم إلى الطريق الموصل إلى رضائه وجنته .

وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي مِرْيَةٖ مِّنۡهُ حَتَّىٰ تَأۡتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغۡتَةً أَوۡ يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابُ يَوۡمٍ عَقِيمٍ ٥٥

أولا : الأســــماء :

العقيـــم : فى قولـه تعالى «أو يأتيهـم عذاب يوم عقيم» هـو اليوم الذى لا يأتـى بعده يوم وهو يوم القيامة .

ثانيا : التفســــير:

قوله تعـالى فى الآية فى الكـافرين المصرين علـى الكفر عنادا من أنفسهم، يثبـت تعالى أنهم يبقون فى شك من القرآن العظيم إلى أن تقـوم القيامة فجأة فيعاقبون بكفرهم، أو إلى أن

يأتيهم يـوم العذاب الذى لا يأتى بعـده يوم آخر وهو يوم القيـامة. وقيل هو يوم حـرب تقتل فيه أولاد النساء فيكون النساء كأنهن لم يلدن، أو كأنهن عقم .

ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٥٦﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٧﴾

التفســــير:

بعد أن بين تعالى كيفية تلقى المنافقين والكافريـن ـ من جهة ـ وأهل العلـم والمؤمنيـن ـ من جهة ثانية ـ ما يلقى الشيطان ، وبعد إظهاره أن الذين كفروا يبقون على الشك فى القرآن إلى أن يأتى يـوم القيامة يفجأهم، فإنه تعالـى صرح بواقع ما يكون فى هـذا اليوم من خلوص السلطان القاهر إليه تعـالى وحده، فيفصل بمقتضى سلطانه بين المؤمنيـن والكافرين مظهرا أى الفريقين كان على الحق وأيهما كان على الباطل.

ثم إنه تعالـى صرح بأن فصله يكون بإدخاله المـؤمنين الذين لم يرتابـوا فى القرآن جنات النعيم، وأن شأن الـذين كفروا بآيـات القرآن العظيم وهم الذيـن كانوا على الشـك فيها أنهم يكون لهم العذاب المخزى المهين .

وَٱلَّذِينَ هَاجَرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوٓا۟ أَوْ مَاتُوا۟ لَيَرْزُقَنَّهُمُ ٱللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٥٨﴾ لَيُدْخِلَنَّهُم مُّدْخَلًا يَرْضَوْنَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾

التفسير:

قوله تعالى فى الآيتين ـ يتعلق بفئة من المؤمنين الذين علموا أن القرآن هو الحق من ربهم، وهم الذين هاجروا فى سبيل الله، يخبر تعالى بأنهم إذا قتلوا فى الجهاد فى سبيل الله أو ماتوا مرابطين بغير القتل يكون منه تعالى أنه يرزقهم رزقا حسنا، قيل إنه الرزق الحسن للأرواح فى البرزخ، وقيل هو رزق الجنة الذى لاينقطع ، ثم إنه تعالى أكد إصابتهم هذا الرزق الحسن ببيان كونه أحسن الرازقين الذى يرزق بغير حساب رزقا لا يقدر على مثله أحد .

ثم إنه تعالى أوضح بالنص الصريح أنه يدخلهم مدخلا يرضونه، والمعنى أنه تعالى يدخلهم الجنة، أوضح تعالى بذكر أنه عليم «وإن الله لعليم حليم» أنه علم ما يرضيهم فمنحهم إياه، ويذكر أنه «حليم» أنه لم يعجل العقاب لأعدائهم من باب حلمه وواسع حكمته.

﴿ذَٰلِكَ ۖ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِۦ ثُمَّ بُغِىَ عَلَيْهِ لَيَنصُرَنَّهُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾﴾

التفسير:

قيل فى مناسبة نزول الآية إن قوما من مشركى مكة لقوا جماعة من المؤمنين فحملوا عليهم، وكان ذلك فى شهر المحرم فناشدهم المؤمنون ألا يقاتلوهم فى الشهر الحرام فأبوا، فقاتلهم المؤمنون وانتصروا عليهم، وبقى فى نفوسهم شىء من القتال فى الشهر الحرام، فنزلت الآية تبين أنه لا إثم عليهم فى معاقبتهم المعتدين بمثل فعل اعتدائهم، ثم إنه لما كان المشركون قد زادوا على هذا بغيهم على المؤمنين من بعد بإزعاجهم بالقول وبإخراجهم من أوطانهم، وبقولهم فى رسول الله ﷺ غير الحق بما يؤذى المؤمنين، فإنه تعالى وعد بنصر رسوله أو بنصر الذين بُغى عليهم .

ثم إن نص الآية يقرر مبدأ القصاص بتقريره حق من اعتدى عليه فى إيقاع أذى مماثل لما أصابه بمـن اعتدى عليه، مع بيان أن رد الاعتـداء بمثله لا يعطى المعتدى حق معـاقبة من رد الاعتداء بمثله، وهذا على ما يستفاد من وعده تعالى المعتدى عليه بالنصر على المعتدى «ثم بغى عليه لينصرنه الله».

وقوله تعالـى ـ فى ختام الآية ـ «إن الله لعفـو غفور» قد يفيد معنى ندب العفـو عن الاعتداء الواقع لأول مرة وغفران ذنب المعتدى، مع وجود حق رد الاعتداء .

ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٦١﴾

التفســـــير:

قوله تعالى فى الآية متعلق بوعده المؤمنين الـذين بغى عليهم بالنصر على الباغين، فإلى هذا النصـر جاءت الإشارة بـ «ذلـك» وجاءت «الباء» فى «بـأن» للسببية لبيان أنه بسبـب أنه تعالى يغلب الليل على النهار فيدخله فيه ثم يكون ليلا، ويغلب النهار على الليل فيدخله فيه ثم يكون نهارا، فإنه ـ على ذات النحو ـ يغلب فـريقا من خلقه على فريق ، والمراد أنه يغلب المؤمنين المبغى عليهم على أعدائهم البغاة .

وقولـه تعالى «وأن الله سميع بصيـر» يفيد معنى أنـه تعالى يكـون منه نصر المؤمنيـن على الكافرين لإحـاطة سمعه بما يقول الكافـرون مما يؤذى المؤمنين وإحاطتـه علما ببغيهم على المؤمنين وظلمهـم إياهم؛ ولهذا يكون نصـره المؤمنين على الكـافرين بسبب بغى الكـافرين عليهم .

ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾

التفســـــير:

قولـه تعالى فى الآيـة فى بيان سبب آخـر لنصره المؤمنين المبغـى عليهم على الكافـرين البغاة، فالنص يشير إلى النصر الموعود به بـ «ذلك» ثم يأتى بيان السبب بأنه تعالى هو الحق، بمعنى أنه هو الإله الحق، وبأن الأصنام التى يدعوها الكافرون آلهةهى الباطل، فيكون مفهوما أن الإله الحق ينصر أولياءه والمؤمنين به وأن الأصنام الباطلة لاتستطيع نصرة عابديها.

ثم إنه تعـالى أكد قدرتـه على نصر المؤمنين بقـوله «وأن الله هو العلي الكبيـر» فبحكم أنه تعـالى علـىٌّ علَى جميـع الموجـودات وأنه ليـس ثمة مـن يماثلـه فى كبـر شأنـه وعلو قـدره وسلطانه، فإنه يكون نافذا قضاؤه متحققا وعده .

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ مُخْضَرَّةً ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾
لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾

التفســـــير:

قولـه تعالى فى الآيتيـن ـ فى ذكـر دليل على عظـم قدرته وشمولهـا كل شىء ومنـه نصر المؤمنين علـى الكافرين. والخطاب إلـى رسول الله ﷺ والمراد به جميـع الناس، والاستفهام أريد بـه بيان وجوب الاعتبار بـالمشاهد على عظـم قدرته. والمشاهـد هو أنه ينزل المطـر من جهة العلو فتكون عاقبة هذا هى اخضرار الأرض وإنباتها النبات. وقد بين تعالى بقوله «إن الله لطيف خبيـر» أن هذا يكـون منه لكونـه متفضلا علـى العباد بـالنعم تلطفا بهـم بحكم كـونه اللطيف، وأنـه يفعل ما فيـه صالحهـم بحكم كونـه الخبير العليم بحـاجات العبـاد وبكيفية قضائها .

ثم إنه تعالى بين أن فعله ما فيه صالح العباد ميسور له لكون كل ما فى السماوات والأرض

من خلقه يتصرف فيه كيف يشـاء، ولكونه تعالى غنيا عن الاستعانة بغيره، فهـو يفعل ما يريد، وهو يفعل ما يستحق به أن يحمد من خلقه .

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَن تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾﴾

التفســــير:

قوله تعالى فى الآية فى بيان مظاهر أخرى لقدرته تعالى، والخطاب ـ فى الآية ـ إلى رسول الله ﷺ، والمراد به جميع الناس، وفيه بيان للآية التى يفترض أن يكون منها استخلاص قدرته تعالى على كل شيء ومنه نصر المؤمنين.

والآية هـى تسخيره تعالـى كل ما فـى الأرض لمنفعة الإنسـان، وجعله الفلك تطفـو على سطح الماء فى البحر وتجرى فه بأمره تعالى المتمثل فى قانون «الطفو» وفى تأثير الرياح على سير السفـن وتسخيره أنواع الوقـود التى تستخدم فـى تسيير السفن. هـذا إلى جانــب آيته المتمثلة فى إمساك السماء عن الوقوع على الأرض إلا أن يأذن بهذا.

وقوله تعالى ــ فى ختام الآية ـ «إن الله بالناس لرءوف رحيم» يفيـد أن فعله ما ورد ذكره فى الآية هو من قبيل رأفته بالناس ورحمته إياهم، فكان تسخيره ما فى الأرض لهم وتسييره السفن فى البحر لتسهيل أمور حياتهم عليهم وكان إمسـاكه السماء عن الوقوع على الأرض لرحمتهم من أن ينالهم أثر هذا من الهلاك .

﴿وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ۗ إِنَّ الْإِنسَانَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾﴾

التفســـــير:

قوله تعالى فى الآية فى بيان مظهر آخر من مظاهـر قدرته تعالى على فعل ما يريد، وهو أنه تعالى بعث الحياة فى النطف إذا استقرت فى الأرحام فكان بها خلق الإنسان، وأنه تعالى هو الذى يميت الناس من بعد حياة، ثم يكون منه إحياؤهم للحساب فى الآخرة .

ثم إنه تعالى أوضـح أن الإنسان قد جبل على كفران النعمة؛ ولهذا كـان منه عدم الاعتبار بالآيات الدالـة على قدرته تعالى والإيمان بـالتالى، فكان عدم الإيمان من الكـافرين بسبب كفران النعم. وقيل إن المقصود بالإنسان ـ فى معنى الآية ـ هو الأسود بن عبد الأسد، وقيل هو أبو جهل.

لِّكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ ۖ فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ ۚ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٦٧﴾

أولا : الأســـماء :

المنســـك : فى قـوله تعالى «لكـل أمة جعلنا منسكـا» المراد به ــ فى معنى الآية ــ هو الشريعة.

ثانيا: التفســـــير:

قوله تعالى فى الآية يتعلق بجدال أهل الكتـاب من بعد بيان جدال المشركين والكافرين. بدأ تعالى القول ببيـان أنه تعالى جعل لأصحاب كل كتاب شريعة خـاصة بهم، والمعنى أنه على خلاف العقيدة التى هى واحدة فى جميع الكتب وهى عقيــدة التوحيد، فإن الشـــريعة ـ وهى الأحكام ــ تتغير بتغير الظروف والأحوال لتعلقها بـالمعاملات . ثم إنه تعالـى أتبع هذا بقولـه «فلا ينازعنك فـى الأمر» بمعنى أنـه ليس لأهل الكتـاب أن ينازعوك فى شـأن اختلاف

أحكام شريعة الإسلام عن أحكام شرائعهم .

وقوله تعـالى بعد هذا «وادع إلـى ربك، إنك لعلى هدى مستقيـم» هو أمر منه تعـالى إلى رسوله ﷺ بـأن يدعو إلى دين ربه النـاس جميعا بمن فيهم أصحاب الشرائع الأخـرى، وقوله تعالى «إنك لعلى هدى مستقيم» هو بيان لكـون شريعة الإسلام التى يدعو إليها رسول الله ﷺ هى الأولى بالاتباع لأن فيها الهدى السوى، فإذا كـانت قد نسخت أحكاما لشرائع أخرى فإن ما جاءت به من أحكام هو الملائم لكل الناس فى جميع الأزمان إلى أن تقوم الساعة .

وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿٦٨﴾ ٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾

التفســـــير:

بعد أن أمر تعالى رسوله ﷺ أن يدعو الناس جميعـا بمن فيهم أهل الكتاب إلى دينه تعالى وشريعته، فإنه تعالى أوضح لرسوله أنه قد تكـون منهم مجادلة فى أمر ما يدعوهم إليه، ثم إنه تعالى أمره أن يكون منـه لهم أن يقول «الله أعلم بما تعملون» وهو وعيد لهـم بمجازاتهم على جدالهم بالباطل وهو ما يعلمه تعالى.

ثم إن الله أعلم رسوله ﷺ والمؤمنين أنه يفصل بقضائه يوم القيامة بالإثابة وبالتعذيب بين المؤمنين من جهة وجميع المخالفين لهم من كافرين وكتابيين مجادلين بالباطل فيما كان فيه اختلافهم فى الدنيا.

فالقول بهذا المعنى يكـون متضمنا طمأنة المؤمنين إلى حسن المـآل وتعذيب مخالفيهم فى العقيدة، وفى الشريعة مع المجادلة فيها بالباطل .

■■■■

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾

التفســـــير:

الخطاب فى الآية إلى رسول الله ﷺ، والاستفهام تقريرى يفيد علمه تعالى بكل ما يقع فى السماء والأرض ومنه ما يكون من الكافرين ومن أهل الكتاب من فعل وقول، فيجازيهم به. ثم إنه تعالى بين أن هـذا جميعه مسطور فى كتاب والمعنى أنه مثبت فـى اللوح المحفوظ الذى أثبت به كل ما يكون إلى يوم البعث المعلوم. ثـم إنه تعالى عقب على هذا ببيان أن علمه بما يقع فى السمـاء والأرض هو أمر هين عليه تعـالى، وذلك لمزيـد من بيان أنه تعالـى محاسب الكافرين والمجادلين من أهل الكتاب بأفعالهم وأقوالهم .

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِۦ عِلْمٌ ۗ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٧١﴾﴾

التفســـــير:

قوله تعـالى فى الآية فى الكـافرين الذيـن انحرفوا عن العقيدة الصحيحـة فعبدوا غير الله تعالى معه أو دونه، أثبت تعالى أنه لم ينزل بعبـادة غيره قولا يستدل عليه فى كتاب أنزله يكون حجة على جـواز عبادة غيره، كما أن الـدليل العقلى وهو العلم لا يـؤيد وجود إلٰه غيـره تعالى مستحق أن يعبـد. فالقول ــ بهذا المعنى ـ يثبـت انعدام الدليـل النقلى أو السمعى والـدليل العقلى على وجود إلٰه أو آلهة غير الله تستحق العبادة .

ثم إنه تعالى وصف الذين يعبدون من دونه آلهة أخرى بزعمهم بأنهم الظالمون، وأثبت أنه

ليس لهم نصير ينصر عقيدتهم الباطلة فى الدنيا، ويدفع عنهم العذاب فى الآخرة .

وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمُنكَرَ ۖ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِٱلَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۗ قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ۗ ٱلنَّارُ وَعَدَهَا ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾

التفســـير:

قوله تعالى فى الآية فى الكافرين وفى أهل الكتاب الذين يسيئهم أن يسمعوا من القرآن ما يخالف أحكام شرائعهم، يقول تعالى إنه إذا ما تليت آياته تعالى ـ والمراد آيات القرآن العظيم ـ بينات واضحات الدلالة على عقيدة التوحيد التى يخالفها الكافرون وعلى أحكام المعاملات المخالفة أحكام شرائع أهل الكتاب.

فإن من يشهد حال هؤلاء ـ وصفهم تعالى بأنهم الكافرون ـ لكفرهم بالقرآن العظيم يشاهد علامات إنكار ما يسمعون واضحة على وجوههم.

ثم بين تعالى أن الغيظ مما يسمعون يبلغ بهم حد الاقتراب من الوثوب على من يتلو القرآن للفتك به. والظاهر أن حالهم هذا يستمر إلى أبد الدهر.

وبعد هذا جاء أمره تعالى رسوله ﷺ أن يقول لهم حين يشهد هذا منهم ـ والأمر يسرى على كل مؤمن ـ «أفأنبئكم بشر من ذلكم، النار وعدها الله الذين كفروا، وبئس المصير».

والمعنى أنه يتوعدهم بأنه مصيبهم ما هو شر من سماعهم من القرآن ما يغيظهم، وهو أن مصيرهم فى الآخرة يكون إلى النار التى توعدهم بها الله ورسوله، وبئس المصير هو النار.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٞ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ ٧٣﴾

التفســـير:

قولـه تعالى ـ فـى الآية ـ فـى بيان تفرده تعـالى بالألوهيـة واستحقاق العبادة، بـدأ القول بإعلام الناس جميعا أنه مورد مثلا يستدل به على بطلان عبادة غيره مع طلب الاستماع للمثل المضروب والاعتبار به من بعد تدبره، ثم إنه تعـالى خاطب المشركين فقال لهم إن معبوداتهم التى يعبدونها مـن دون الله تعالى لا يقدرون على خلق ذبـابة من جنس الذباب الـذى هو من أدنى الكـائنات الحية، ولـو اجتمعوا على هـذا وعاون بعضهم بعضـا. وهذا دليل علـى عدم ألوهية معبوداتهم، لكون الإله هو الخالق، والعجز عن الخلق ينفى الألوهية .

ثم إنـه تعالـى أثبت أنـه إذا سلب الـذباب معبـوداتهم شيئـا فإن معبـوداتهم لا تستطيـع استنقاذه منه. وفيه قيل إن المشـركين كانوا يطلون الأصنام بالعسل فيتغـذى عليه الذباب، ولا تملك الأصنام أن تـدفع الذباب عن هذا. والـذى نراه ـ والله أعلم ـ أن المعنـى يشمل فقدان المعبودات عبـادة بعض المشـركين الـذين يصيبهـم المرض بسبـب الذبـاب أو يلحق بهـم الموت من أثر المرض الناتج عن التلوث بمـا يحمل الذباب من ميكروبات وجراثيم، دون أن تستطيع هـذه المعبودات أن تشفـى المشركيـن عابـديها وتبـرئهم مـن المرض فستنقـذ بهذا عبادتهم إياهم من الضياع.

وقوله تعالى ــ فى ختام الآية ـ «ضعف الطالب والمطلوب» هو تـذييل للقول، قيل فيه إن الطالـب هو المشرك، و إن المطلـوب هو المعبود من دون الله يطلـب منه الشىء فيعجـز عنه،

وقيل إن الطالـب هو الذباب يطلب غذاءه مـن فوق الآلهة، وإن المطلوب هو الآلهـة الزائفة يطلب منهـا الطعام. وقـد يكون الصحيح ــ والله أعلم ــ أن الطالب هـو المشرك يطلـب من الآلهة استجابة للتحـدى أن تخلق شيئا يكون دليلا على ألوهيتها، وأن المطلـوب هو الذباب لكونـه المطلوب خلقه، مع كـونه ضعيفا فى ذاتـه وكون خلقه أهـون كثيرا من خلق غيـره من المخلوقات .

﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾﴾

التفســـــير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ فى المشركين، يثبت أنهم لم يعرفوا الله حق المعرفة، ولذلك فإنهم لم يعظموه على النحو الواجـب تعظيمه عليه، ولو كانوا قد عرفوه تعالـى حق المعرفة لعظموه وما عبدوا من دونه مخلوقات من خلقه.

وقوله تعالى «إن الله لقوى عزيز» يثبت أمرين أولهمـا أنه ـ وهو القوى بذاته، العزيز الغالب على ما عداه ـ لا يضار بعبادة مخلوقات عاجزة.

والثانى هو بيان أنـه وحده بحكم كونه القوى العزيز هو المستحـق أن يعبد، وأنه مجازٍ من يشرك به بما يستحق من العقاب .

﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾﴾

التفســــير:

مفاد قـوله تعالى ــ فى الآية ــ أنه يختار من المـلائكة من يكـونون رسلا منه وسطـاء إلى أنبيائه بالوحى، كما أنه تعالى يختار من الناس رسلا يكونون وسطاء بينه وبين الناس يبلغونهم

ما كلفهــم تعالى إبلاغــه. والقول بهذا المعنــى هو بيان لحقيـة التوحيد وبطلان الشـرك لكون التوحيد هو العقيدة التى نزلت بها الرسل الملائكة وحيا على الرسل من الناس فأبلغوا بها .

وقوله تعالى «إن الله سميع عليم» مفاده علمه تعالى بكل ما يحدث من خلقه ومنه سماعه وعلمه دعوة رسله الناس للإيمان والتوحيد، و إبصاره ـــ بمعنى علمه ـ ما يكون من الناس من استجابة للدعوة أو إعراض عنها .

﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ۝٧٦ ﴾

التفســــير:

القول فـى تفصيل مـا يعلمه تعـالى مـن شئون النـاس، فيذكـر تعالـى أنه يعلـم مستقبل أحـوالهم، كمـا يعلم مـاضيـه، وقيل إن الضميـر فى «أيـديهـم» و «خلفهم» يعـود إلى رسـل الملائكة و إلى الناس، فيكـون المعنى أنه تعالى يعلم ما كان قبل خلق الـرسل وما يكون بعد خلقهم .

وقوله تعالـى «و إلى الله ترجع الأمور» هو تأكيـد لوحدانيته إذ يكون إليه تعـالى وحده رجوع الأمور يوم القيامة فيكون منه الجزاء بما علم .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝٧٧ ﴾

التفســــير:

الخطاب ـ فى الآية ـ إلـى المؤمنين، يأمرهـم تعالى بإقامة الصـلاة، جاء التعبير عنها بذكر

ركنين من أركانهـا، ويتضمن الأمر بها الأمر بالخضوع لله تعـالى، كما يأمرهم بعبـادته، وهو ما يكون بأداء جميع الفرائض.

وقد أتبع تعالى أمره هذا بالأمر بفعل الخير وهو المأمور به والمتعارف عليه بالخلق القويم مثل صلة الرحم ومكـارم الأخلاق. طلب تعالى من المؤمنين أداءه وفعلـه راجين قبوله فيكون سببا لفلاحهم غير واثقين منه .

• وَجَٰهِدُوا۟ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ ۚ هُوَ ٱجْتَبَىٰكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ۚ فَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴿٧٨﴾

التفســـير:

الخطاب ـ في الآية ـ إلـى المؤمنين يـأمرهم تعـالى فى مبتدأ الأمـر بالجهاد فـى الله حق الجهاد، والمعنى هو الأمر بالجهاد بمعنى المدافعة تكون لشخص أو لشىء. ويكون لله تعالى وليس لغيره. والجهاد شعـب ثلاث: جهاد العدو، ومجاهدة الشيطـان، ومجاهدة النفس، وأن يكون الجهاد لله حق جهاده بمعنى أن يكون مختصا بالله تعالى مفعولا لوجهه.

ثم إنه تعالى بين علة أمره المؤمنين بالجهاد بقوله «هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج» والمعنى أنه تعـالى اختاركم لتحملوا راية دينه ولتكونوا قريبيـن منه، فيكون قد حق على المؤمنيـن أن يجاهدوا فى سبيلـه، وأنه تعالى لـم يفرض عليهم أمرا يضيقـون به أو يشتد

عليهم القيام به، بمعنى أن الجهاد فى سبيله أمر مقدور لهم .

وربما جاء قوله تعالى ـ من بعد ـ «ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل» سببا آخر لبيان فرضية الجهاد، إذ بين تعالى أن عقيدة المؤمنين التى هم عليها هى ذات عقيدة ملة إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وأنه الذى سماهم باسم «المسلمين» من قبل نزول القرآن العظيم، فلما كان إبراهيم ﷺ قد جاهد فى سبيل الله حق جهاده وكانوا هم أتباعه، فقد وجب عليهم أن يجاهدوا فى الله جهاده عليه الصلاة والسلام.

وفى القول نعت تعالى إبراهيم بأنه أبو المسلمين لأنه الجد الأعلى لرسولهم ﷺ ولأنه رأس الملة التى هم عليها وهى الحنيفية .

ثم جاء قوله تعالى «وفى هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس» مبينا أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام سماهم «المسلمين» فى هذا القرآن كما سماهم به على المذكور فى التوراة والإنجيل.

ومن قبيل هذا فى القرآن قوله «ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك»، وأنه لهذا يكون رسول الله ﷺ شاهدا مقبولة شهادته على أنه قد بلغ المسلمين رسالة ربه، ويكون المسلمون شاهدين على الأمم بأن رسلهم قد بلغوهم رسالات ربهم بحكم ما علموه من القرآن العظيم .

وترتيبا على ما علم المسلمون من حالهم عند الله وعلو مكانتهم لديه فإنه تعالى أمرهم بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة واللجوء إليه تعالى والوثوق به. ثم مدح تعالى نفسه ببيان أنه المستحق أن يلجأ إليه وأن يوثق به لكونه من لا يماثله أحد يتخذ وليا، ولا يماثله أحد يتخذ نصيرا .

■■■■

بسم الله الرحمن الرحيم
تفسير سورة «المؤمنـــون»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ
عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ
لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ
غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾

التفســــير:

أخبر تعالى في مفتتح السورة عن فلاح المؤمنين، بمعنى فوزهم بالخير وبقائهم فيه بإيمانهم الصحيح بما أمر تعالى أن يكون به الإيمان. ثم وصفهم تعالى بجملة أوصاف منها أنهم الذين فى صلاتهم خاشعون بمعنى أنهم يتذللون إليه تعالى خوفا منه وتسكن جوارحهم لإحساسهم أنهم فى حضرته تعالى وبين يديه. ومنها أنهم فى حياتهم العادية يعرضون عن لغو القول وهو الكلام القبيح والقول الباطل، وهو ما يستتبع الإعراض عن الأفعال القبيحة والمستهجنة من باب أولى، ومنها أنهم للزكاة فاعلون، بمعنى أنهم يؤدون الزكاة أو أنهم يزكون أعمالهم تزكية فيجعلونها أعمالا صالحة. ومنه عفتهم التى من شأنها أن يجعلهم يقاومون

شهوتهم الجنسية فيمسكـون فروجهم على النساء إلا على أزواجهم أو ما ملكـت أيمانهم من الإماء والجوارى فلا لوم عليهم فى وطئهن أو كشف أنفسهم عليهن.

فالقول يتعلق بالـرجال دون النساء فى شأن إمساك الفروج فلا يحـل لامرأة أن تبيح نفسها لعبد لها، ولكن إن أعتقته جاز له أن يتزوج منها.

فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾

التفسـيـر:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ متعلق بما أبيح للرجال من النساء على المذكور فى الآية السابقة، وهو الأزواج الحرائر وحدهن أربع، وما كان لهم مـن الإماء. أثبت تعالى أن من اتخذ فوق هذا أو زيادة عليه نساء يطأهن يكون قد بلغ فـى العدوان على حدود الله الحد الجسيم، ويبدو أنه يدخل فى مجاوزة الحد الزنا واللواط ومواقعة البهائم .

وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾

التفسـيـر:

قوله تعالى ـ فى الآيتين ـ هو عود إلى ذكـر أوصاف المؤمنين الذين أفلحوا، يذكر تعالى أن منها أنهـم يتصفون بالأمانـة ولهذا فإنهم يحـافظون على ما يـؤتمنون عليه من أمـوال ، يكون الحفظ بما يوافـق حال المال فإن كان حيوانـا كان بتغذيته و إن كان نقدا أو ذهبـا كان بوضعه فى الحرز الذى يمنع عنـه الاعتداء بالسلب. كما أنهم يحافظون على عهـودهم مع الله تعالى ومع النـاس.

ثم ذكر تعالى من أوصافهم أيضا أنهم على صلواتهم يحافظون، فهم يحافظون على الصلاة المكتوبة، يؤدونها فى أوقاتها بأركانها وشروطها .

أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡوَٰرِثُونَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلۡفِرۡدَوۡسَ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١١﴾

التفسـير:

مفاد قوله تعالى هو أن المؤمنين الموصوفين بالصفات المذكورة آنفا هم المستحقون أن يدعوا وارثين.

ثم بين تعالى ما يرثون بقوله «الذين يرثون الفردوس» فيكون الموروث هو الفردوس أعلى الجنان، وصف بأنه إرث يرثه المؤمنون لبيان استحقاقهم إياه كاستحقاق الوارث نصيبه فى الإرث.

ثم بين تعالى أن المؤمنين الموصوفين بما سبق يخلدون فى الفردوس لا يموتون ولا منه يخرجون .

وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلۡنَٰهُ نُطۡفَةٗ فِي قَرَارٖ مَّكِينٖ ﴿١٣﴾

أولا : الأسـماء :

السلالة : هى ناتج «السَّل» وهو الاستخراج ، فهى ما يستخرج من الشىء أو ما يستخلص.

ثانيا : التفسـير :

بعد أن بين تعالى حسن مآل المؤمنين فى الآخرة، فإنه تعالى - فى الآية - يبين أنهم لم

يختلفوا عـن باقـى الناس فيمـا يتعلق بخلقهم ليكـون القول دافعـا غيرهـم إلى التمثـل بهم معتبرين بآياته تعالى فى خلقهم على ما هو مذكورفى الآيات .

ومفاد قوله تعالى هو أنه خلق جنس الإنسان بخلقه أول أفراده آدم عليه السلام من الطين، ثم كـان منه تعالـى خلق ذريتـه بطريق التنـاسل، فكان خلـق كل واحـد من ذريته مـن نطفة جعلها تعالى فى مستقرـ هو الرحم ـ وصفه تعالى بأنه مكيـن لأنه أودع القدرة والمكنة على الاحتفاظ بالنطفـة وعدم لفظها ومجها خـلال تطورها فيه. فضـلا عن أن وصفه بالقـرار ـ وفيه تمثيل بـالأرض تكون قـرارا للنبات بمد جـذوره فيها يستقـر بها ـ يشير إلى مـا يكون مـن مد البويضة المخصبة أطرافا تمسك بجدار الرحـم تتغذى بها منه تشبه جذور النبات التى يستقر بها فى الأرض ويتغذى .

ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾

التفســـــير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ فى بيان مراحل تكـوين الإنسان فى الرحم، يذكر تعالى أنه يجعل النطفة داخـل الرحـم علقة، بمعنـى أنها تصيـر شيئا معلقـا فيه يتشبـث به بمـا يمد إليـه من امتدادات، ثم إنه تعالى يجعله مضغة بمعنى أنه يجعله شبه قطعة اللحم الممضوغة.

ثم إنه تعـالى يجعل هذه المضغـة عظاما بأن يكسبها صـلابة كما يقوم بتقسيمهـا وتنويع أجزائهـا على ما يكـون عليه هيكـل الإنسان العظمى، ثـم إنه تعالـى يزيـد من حجم مـا لم يتحـول عظاما من المضغة ويكسوبه العظام، ليكون اللحم مشكلا العضلات وما عليها من لحم.

ثم إنـه تعالى ينشئه خلقـا آخر، بمعنى أنه يحيلـه إلى حال تخـالف هذا الوجـود المادى البحت، وهو ما يكون بإيداع قوة العقل فيه مع قوى الحواس ليكون عاقلا ناطقا .

ثم إنه لما كـان إبداع خلق الإنسان على هذا النحو هـو دليل قدرته تعالى الـلانهائية على الإبداع، فقد جاء قوله تعالى «فتبارك الله أحسن الخالقين» بمعنى تعالى الله وتقدس شأنه فى العلم والقدرة حال كـونه أحسن الخالقين، فهو تعـالى وحده الخالق على الحقيقـة، أما غيره فهم صانعون لا يماثلونه فى صناعة شىء، فهو تعالى المنزه عن المثل والمثيل.

ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾

التفســـير:

الخطاب ـ فى الآية ـ إلى عموم الناس، بعد أن ذكر تعالى كيفية خلقه إيـاهم، ذكر تعالى أنه مقدر على جميع الناس أنهم من بعد حياتهم فى الدنيا يموتون، كما أخبر أنهم يوم القيامة يبعثون من قبورهم للحساب، وهو ما يكون عند النفخة الثانية .

وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ ﴿١٧﴾

أولا : الأســـماء :

الطرائق : فى قوله تعالى «ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق» المراد بها ـ فى معنى الآية ـ هو السماوات، سميت بهذا لأنهـا طرائق الملائكـــة فى هبـوطهم وفـى عروجهـم لمصالـح العبـاد .

ثانيا : التفســـير:

قوله تعـالى ـ فى الآية ـ فـى ذكر آية من آيات خلقـه هى نعمة إذا ما نظر إليها مـن جانب

الإنسان الذى يفيد منها. فمفـاد القول وهو خطاب من الله تعالى إلى النـاس، أنه خلق فوقهم سبع سماوات، أودع فى كل منها ما لم يودع فى الأخريات.

ثم إنه تعـالى أثبت أنه مع تعدد مخلـوقاته فإنه لـم يغفل عن ملاحظة أى منها وكفـالة ما يحتاج، ولهذا فإنه تعالى يحفظ السماوات السبع.

وقد يفيد القول معنى أنـه تعالى لدى خلقه السماوات السبع لم يكـن غافلا عن مصلحة الخلق ـ بمعنى الناس ـ فيكون المعنى أن خلق السماوات السبع أريد به صالح الناس.

﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ ﴿١٨﴾﴾

التفســـــير:

يذكر تعالى من آيـاته التى يفيد منها الناس إنزاله ماء المطر مـن جهة العلو من السحاب، وكونه لصـالح الخلق يبين مـن قوله تعالـى إنه بقدر، فلو زاد علـى ذلك أغرق ولو قـل عنه لم يكف الحاجة .

ثم أثبـت تعالى حقيقة علميـة بقوله «فأسكنـاه فى الأرض» بمعنى أن الماء المخـزون فى باطن الأرض الذى يخرج آبارا وعيونا كان نتـاج تسرب ماء المطر إلى جوف الأرض من خلال مسام التربة، وقد كان المعتقد قديما أن مـاء العيون والآبار هو من أعماق الأرض وليد الأبخرة التى يموج بها داخلها .

وقوله تعالى «وإنـا على ذهاب به لقادرون» هو بيان لنعمة منعم بهـا على الخلق هى عدم ذهابه بـالماء المنزل من السحـاب مع قدرته تعـالى على هذا، فهـو تعالى قادر علـى تبخيره وجعله سحابا لاتتوافـر فيه أسباب سقوط المطر وظروفه، كما أنه قادر علـى تغويره فى أعماق الأرض إلى الدرجة التى لايمكن معها إخراجه منها.

﴿فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ١٩﴾

التفســـــير:

مفاد قوله تعالى ـ فى الآية ـ أنه بواسطة الماء الذى أنزله تعالى من السحاب فجرت به الأنهار وخرجت العيون والآبار كان إنشاؤه تعالى المزارع والبساتين التى تخرج الثمار، ذكر منها تعالى النخيل والأعناب لكونهما أشهر المعلوم من الثمار للعرب، وللدلالة على غيرهما.

ثم بين تعالى أنه يكون للإنسان منها ما يتفكه به وينعم فوق ضرورات العيش بالأكل منها.

﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ ٢٠﴾

أولا : الأســـماء :

١ ـ الشجرة : فى قوله تعالى «وشجرة تخرج من طور سيناء» المراد بها ـ فى معنى الآية ـ شجرة الزيتون .

٢ ـ الدهن : فى قوله تعالى «تنبت بالدهن» هو الزيت، والمراد به ـ فى معنى الآية ـ زيت الزيتون .

٣ ـ الصبغ : هو الإدام، يغمس فيه الخبز فيتغير لونه ويؤكل .

ثانيا : التفســـير:

يذكر تعالى من بين أنواع النبات الذى ينمو بالماء المنزل من السحاب شجرة الزيتون، وصفها تعالى بأنها تخرج من طور سيناء، بمعنى أنها تنبت فى المنطقة التى بها جبل الطور

الذى ناجى موسى عليه السلام ربه عنده .

والمعنى هو نموها فى المنطقة المعروفة بمناخ البحر الأبيض المتوسط ــ على المعروف علميا ـ أوضح تعالى أنه يستخرج من ثمارها نوع من الزيت هو زيت الزيتون أو زيت الغار، يكون إداما يغمس فيه الخبز ليؤكل، كما يتخذ دهانا تدهن به الأجساد فيفيد فى شفاء بعض الأسقام

﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾﴾

التفسير:

يذكر تعالى نعمة أنعم بها على الإنسان هى تسخيره تعالى الأنعام له، ثم يطلب من الناس الاعتبار بخلقها وتسخيرها لهم آية على عظيم قدرته ليشكروه تعالى ولا يكفروه، ثم إنه تعالى يفصل ما يوجب الاعتبار به، فيذكر أنه يسقى الإنسان من لبن إناثها الذى يكون فى بطونها تكوينه ثم يخرج إلى الضروع، ويذكر أن الإنسان ينتفع بها فى أوجه نفع متعددة «ولكم فيها منافع كثيرة» منها الإفادة من أصوافها وأشعارها وأوبارها، وحوافرها.

ويذكر أن الإنسان يأكل من لحومها ما يؤكل من أجزاء هذه اللحوم.

ثم إنه تعالى يذكر وجه انتفاع آخر يكون منها وهو حمل الإنسان فى البر، سواء أكان ذلك بركوبها أم كان بجرها وسجها وسيلة يركبها الإنسان.

ثم إنه لما كان الانتفاع بالأنعام بالركوب يكون فى البر، فقد وافق هذا أن يذكر تعالى تسخيره البحر وتعليمه الإنسان صناعة الفلك التى تحمله فى البحر فقال «وعليها وعلى الفلك تحملون» .

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟
ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ ٱلْمَلَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
مِن قَوْمِهِۦ مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَن يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَآءَ
ٱللَّهُ لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِىٓ ءَابَآئِنَا ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا
رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ فَتَرَبَّصُوا۟ بِهِۦ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٦﴾

التفسـير:

بعد أن صرح تعالـى بأنه مفترض فى الناس أن يعتبـروا بآياته تعالى التـى خلق لهم فيكون منهم الإيمـان، فإنه تعالـى شرع فى بيان أحـوال الأقوام الذيـن لم يعتبروا بمثل هـذ الآيات فكفروا ولـم يؤمنوا، وبيـن ما كان منـه تعالى معهـم من قبيـل الترهيب ليعتبـر به كفار قـريش والمشركون .

وفى الآيات يذكر تعالـى واقعة إرساله نوحا إلى قومه وما كان بينـه وبينهم من أحاديث فى إيجاز يظهر المعنى المقصود إبرازه .

فيذكر تعالى أنه أرسـل نوحا إلى قومه، والمعنى أنه أرسله رسولا برسالـة منه تعالى أوجزها قوله تعالى «فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره أفلا تتقون»، والمعنى أنه أمرهم بتوحيد الله تعالى وعدم الشـرك به، وطلب منهم خصه تعالـى وحده بالعبادة، وأنه نهاهـم عن القبيح من القول والفعل الذى أنكره عليهم وطلب منهم اتقاء غضب الله عليهم يكون بإقلاعهم عما هم عليه من الشرك وفعل القبائح.

ثم إنه تعالى ذكر أن أشراف قومه عليـه السلام رءوس الكافرين أنكروا عليه أن يكون رسولا

من رب العالمين فكذبوه ووصفوه بأنه بشر مثلهم دفعه حب التفضل على الناس بادعاء النبوة، ثم دللوا على كذبه - فى رأيهم - بأنه لو شاء الله أن يبعث للناس رسولا لجعله من الملائكة، فهم ينكرون أن يكون الرسل من البشر، ثم إنهم أضافوا إلى هذا طعنهم فيما دعاهم إليه من توحيد الله وترك الشرك به بقولهم إنهم لم يسمعوا من آبائهم الأولين أن أحدا دعا إلى ما دعا إليه نوح من عبادة الله وحده. ويحتمل القول أن يكون المراد به أنهم لم يسمعوا من آبائهم الأولين بشارة تخبر أن رسولا بشرا يأتيهم يدعو إلى عبادة الله وتوحيده .

ثم يذكر تعالى أن الملأ الكافرين من قوم نوح عليه السلام رموه بالجنون أو بأن الجنة مسته فأذهبت عقله «إن هو إلا رجل به جنة» ، وأنهم طلب بعضهم من بعض الصبر عليه إلى أن يثوب إلى رشده «فتربصوا به حتى حين» .

ثم إنه تعالى يبين أنه كان من نوح عليه السلام أن لجأ إلى ربه طالبا - بعد طول صبر - أن ينصره على قومه وأن يهلكهم بسبب تكذيبهم إياه و إصرارهم على الكفر «قال رب انصرنى بما كذبون» .

فَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ أَنِ ٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ فَٱسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ﴿٢٧﴾

التفسـير:

مفاد قوله تعالى — فى الآية - أنه بعد أن لجأ نوح إلى ربه طالبا منه النصر على الكافرين من قومه، أمره تعالى بطريق الوحى بأن يصنع الفلك على النحو الذى يعلمه إياه، يكون أثناء صنعه محفوظا برعايته تعالى مؤيدا بالوحى.

كما أمره بـأنه إذا جاء أمره تعالـى بإيقاع العذاب بقـومه عليه السلام وظهرت عـلامة ذلك وهى انبثاق الماء من تحـت التنور، كان على نوح أن يدخل فى الفلك مـن كل نوع من أنواع الكائنات الحية فـردين مزدوجين اثنين، وأن يدخل فيـه الذين آمنوا له ومنهم الـذين آمنوا من أهل بيته عليه السلام .

والمفهوم من الأمر أن يدخل نوح ذاته فى الفلك مـع هؤلاء. ثم إنه تعالى استثنى من أهله عليه السلام الذين سبق عليهم القول أنهم لا يؤمنون .

ثم أتبع تعـالى أمره هذا بأمـر آخر وهو عدم سـؤال نوح ربه أن ينجى من الهـلاك أحدا من أهله لم يؤمن له فبقى كافرا، وصفهم تعالى بأنهم ظالمون لأنهم ظلموا أنفسهم بالإصرار على الكفر فعرضوها للعذاب .

ثم بين تعالى أن حكمه فى هؤلاء أنه مقدر عليهم الموت غرقا .

فَإِذَا ٱسْتَوَيْتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلْفُلْكِ فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾

التفسـيـر:

أمر تعـالى نوحا أن يكـون منه لدى استقـراره ومن معه فـى الفلك أن يحمده تعالـى على نعمته التى أنعـم بها عليه وعلى المـؤمنين، وعلمه أن يكون شكـر النعمة بحمده تعالـى على النجاة من القوم الكافرين، وليس بحمده على إهلاكهم. فيكون فى القول توجيها إلى وجوب عدم الاغتباط بمصيبة أحد ولو كان عدوا.

كذلك أمره تعـالى أن يسأله خلال وجوده فـى الفلك أن يجعل نزوله ومن معـه فى موضع

مبارك بمعنى أنه وإياهم يصيب فيه منفعة الدنيا والآخرة، يتوسل إليه بما هو أهل له تعالى وهو كونه خير المنزلين .

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ ۝٣٠﴾

التفسير:

جاء قوله تعالى هذا فى ختام سرد قصة نوح عليه السلام مع قومه لإظهار أن فعله تعالى مع نوح وقومه هو آية عظيمة تضمنت فى جملتها آيات كثيرة يفترض أن يعتبر بها أولو الأبصار، فضلا عن ذكره تعالى أنه أصاب قوم نوح ببلاء عظيم وعقاب شديد، وتذكيره أن من شأنه تعالى أن يختبر الناس ليكون منه عقابهم أو إثابتهم.

فيكون القول تحذيرا للكافرين من بقائهم على الكفر .

﴿ثُمَّ أَنشَأْنَا مِن بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ۝٣١ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝٣٢﴾

أولا : الأسماء :

١ ـ **القرن**: فى قوله تعالى «ثم أنشأنا من بعدهم قرنا آخرين» المراد بهم ـ فى معنى الآية ـ عاد، أو ثمود .

٢ ـ **الرسول** : فى قوله تعالى «فأرسلنا فيهم رسولا منهم» هو هود أو صالح عليهما السلام، والمشهور أنه هود.

ثانيا : التفسير:

يذكر تعالى أنه أوجد من بعد قوم نوح عليه السلام قوما آخرين، يتصور أن يكون المراد بهم

هم عاد أو ثمود.

يقول تعالى أنه أرسـل فيهم رسولا منهم هو هود أو صالح عليهمـا السلام أمرهم بعبادة الله وحده وتوحيده مؤكدا أنـه ما من إله غيره، ثم إنه طلب منهم اتقاء غضبـه يكون بالطاعة وترك المعاصى.

وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِلِقَآءِ ٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَتْرَفْنَٰهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مَا هَٰذَآ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿٣٣﴾

التفسـيـر:

مفاد قوله تعالى ـ فى الآية ـ أن أشراف قوم هـذا الرسول الذين كفروا بالله تعالى وبالآخرة أنكروها وأنكروا أنه يكون بعث وحساب.

والذين كان حالهم لدى كفرهم أنهم أترفوا فى الحياة الدنيا بما أنعم به تعالى عليهم وبما وسع عليهم فى الرزق.

أن هؤلاء أنكروا نبوة رسلهم، وكـانت حجتهم فى هذا أنه بشر مثل مـا أنهم بشر، ثم إنه لا يفضلهم بشىء يوجب أن يختاره الله من بينهم نبيا رسولا.

فهو يأكل ذات الطعام الذى يأكلون ويشرب ذات الشراب الذى يشربون.

مما مفاده تحقـق المماثلة التامة بينه وبينهـم وانعدام سبب تفضله عليهم بمـا يستوجب اصطفاءه من بينهم للنبوة والرسالة .

وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ ﴿٣٤﴾ أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ
إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ ﴿٣٥﴾ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا
تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ
﴿٣٧﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٣٨﴾

أولا : الأسماء :

هيهات: اسم فعل ماض بمعنى «بعد» ، والمراد به ـ في معنى الآية ـ هو بيان استبعاد تحقق الموعود به .

ثانيا : التفسير:

القول في الآيات هو باقي قول أشراف قوم الرسول المذكور فيه وفي دعوته. فمن بعد إنكارهم أن يكون قد اختير من بينهم رسولا مع كونه بشرا وليس ملكا، ومماثلته سائر قومه وعدم تفضله عليهم جاء تحذيرهم القوم من الإيمان لدعوته والزعم لهم بأنهم إن أطاعوه فيما يدعوهم إليه فإنهم يكونون قد فقدوا عقولهم وفسدت آراؤهم .

ثم إن أشراف القوم الكافرين يسخرون من قول رسولهم بالبعث وينكرون هذا باستخفافهم بما يقوله عليه السلام لهم من أنهم يبعثون من بعد الموت للحساب، فينكرون تصور أن يكون من بعد الموت وتحول الأجساد ترابا وعظاما أن يكون جمعها بعد هذا و إعادتها إلى حالها وبعث الروح فيها والخروج من القبور أحياء .

وتزداد سخرية أشراف القوم الكافرين من القوم بالبعث بقولهم «هيهات هيهات لما توعدون» فهم يقولون باستبعاد تحقق الموعود به من البعث ويكررون القول تدليلا على ثقتهم في عدم تحقق الموعود به.

وبعد هذا يفصح أشراف القوم الكافرون عن عقيدتهم المتمثلة فى إنكار البعث، فيذكرون أن الحياة هى حياة واحدة ولمرة واحدة تكون فى الدنيا فقط، تنتهى بالنسبة للحى بوفاته وتبدأ لآخرين بولادتهم. ففيها يموت أناس ويحيى بالولادة آخرون. مع تأكيد عدم البعث «وما نحن بمبعوثين».

ثم إن أشراف القوم الكافرين من بعد إنكارهم عقيدة البعث انقلبوا على رسولهم الذى قال بها فاتهموه بالافتراء على الله تعالى بقوله إنه نبى مرسل من ربه، وبأنه أمره أن ينذرهم بالحساب من بعد البعث، فكان كاذبا فيما ادعاه. ثم أتبعوا هذا بذكر النتيجة المترتبة على رأيهم فيه وهى أنهم لن يؤمنوا له.

قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ ﴿٤٠﴾
فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً ۚ فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾

التفسير:

يذكر تعالى ـ فى الآيات ـ ما كان بين النبى المذكور وربه من بعد تكذيب قومه له وإعلانهم إصرارهم على الكفر وما تلى ذلك من أحداث. فيقول تعالى إن النبى التجأ إلى ربه ناداه وسأله النصر على الكافرين بسبب تكذيبهم له.

وأنه تعالى أخبره بما يفيد استجابته لما دعا به فأخبره أنهم بعد فترة قصيرة من عمر الزمان يندمون على تكذيبهم إياه، يكون هذا منهم عند مبدأ وقوع العذاب بهم حيث لا ينفعهم ندم.

ثم إنه تعالى يخبر عن وقوع العذاب بهم كان بصيحة جبريل عليه السلام جاءت بالحق الذى يستأهلونه، وبالحق الذى توعدوا به، كان مؤداها أنهم أصبحوا أجسادا ممزقة تشبه غثاء السيل وهو ما يحمل من أوراق الشجر والعيدان البالية. ثم إنه لما كان ما حاق بهؤلاء إنما كان بسبب ظلمهم، فقد دعا عليهم تعالى بأن يكونوا بعيدين عن رحمته، أو أنه تعالى أخبر

عن بعدهم عن رحمته بقوله «فبعدا للقوم الظالمين» .

ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قُرُونًا ءَاخَرِينَ ﴿٤٢﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَـْٔخِرُونَ ﴿٤٣﴾

التفسـير:

يذكر تعالى ـ فى الآيتين ـ أنه أوجد من بعد المهلكين المذكورين أقواما آخرين منهم قوم صالح وقوم لوط وقوم شعيب. ثم يقرر تعالى واقع ما قدر تعالى من أن أمة من الأمم لا تتقدم الوقت الذى عينه تعالى لهلاكها ولا تستأخر عنه إن كان قد قدر لها الهلاك .

ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ۖ كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ ۚ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ ۚ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾

أولا : الأسـماء :

التتـر : فى قوله تعالى «أرسلنا رسلنا تترا» هو التتابع، من المواترة.

ثانيا : التفسـير:

مفاد قوله تعالى ـ فى الآية ـ أنه تعالى أرسل فى كل قرن من القرون التى أوجدها بعد المهلكين المذكورين رسولا يدعوهم إلى الله وأنه كان منه تعالى هذا على التوالى والتتابع، فكان بعضهم فى أثر البعض مع الفصل بفترة زمنية .

ثم يذكر تعالى أن كل قرن من هذه القرون أو كل أمة من الأمم كان منها أنه إذا ما بعث فيهم رسولهم ودعاهم إلى الله أنهم كانوا يكذبونه فلا يؤمنون له، ويخبر عما كان منه تعالى معهم بقوله «فأتبعنا بعضهم بعضا» بمعنى أنه أتبع بعض هذه الأمم بعضها فى الهلاك

بتكذيبهم رسلهم، وكان من شأن هذا أن جعلهم وما حاق بهم موضوعات لقصص تروى وأحاديث يتحدث بها على سبيل التعجب والتلهى.

ثم جاء قوله تعالى ـ فى ختام الآية ـ مخبرا عن بعدهم عن رحمته تعالى بسبب عدم إيمانهم بقوله «فبعدا لقوم لا يؤمنون» .

ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَٰرُونَ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾

التفسير:

بعد أن ذكر تعالى أنه أرسل رسله تترا إلى الأقوام التى أوجدها بعد المهلكين، وأنه تعالى أهلك المكذبين الرسل، فإنه تعالى ذكر فى الآيتين خبر موسى وأخيه هارون، أرسلهما تعالى إلى فرعون وأشراف قومه مؤيدين بالحجج الظاهرة الدالة على صدقهما وأنهما رسولا رب العالمين، وأخصها معجزة العصا ومعجزة اليد.

ويذكر تعالى أنه كان من فرعون وأشراف قومه الاستكبار على ما دعاهم إليه موسى وهارون عليهما السلام فلم ينقادوا له ولم يطيعوا فيؤمنوا، وبين سبب استكبارهم على الإيمان لهما بكونهم عالين، بمعنى متكبرين متعاظمين فى أنفسهم فرأوا أنه لا يليق بهم أن يؤمنوا لهما.

فَقَالُوٓا۟ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾

التفسير:

القول فى الآية هو فى بيان سبب تعاظم فرعون وملئه على الإيمان لموسى وهارون رغم

مشاهدتهم الآيات الدالة على أنهما رسولا رب العالمين، وهذا السبب هو كونهما من آحاد الناس مثلهم مثل من طلب منهم الإيمان لهما، مع كون قومهما خدما لهم منقادين، مما لا يجوز معه ـ برأيهم ـ أن يكون منهم الاهتداء بهما والانصياع لهما، إذ ينافى هذا علوهم عليهما وقومهما.

فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾

التفسير:

يذكر تعالى ما كان من فرعون وملئه بعد أن استكبروا على الإيمان لموسى وهارون وما كان منه تعالى معهم، فيثبت أن فرعون وملأه كذبوهما، فكان جزاؤهم أن أهلكهم الله تعالى بالإغراق .

ثم يقول تعالى إنه آتى موسى الكتاب لعل القوم يهتدون، فإذا كان المراد بالكتاب هو التوراة والمعلوم أنها أنزلت على موسى عليه السلام بعد هلاك فرعون وملئه، فإن القوم المقصودين بالقول يكونون بنى إسرائيل، أريد هدايتهم بالتوراة، فلما عبدوا العجل أهلك الله الذين عبدوه فى برية سيناء. وإن كان المراد به هو صحف موسى فإن القوم المقصودين يكونون فرعون وملئه، لأنه عليه السلام قد دعاهم إلى الإيمان بما أنزل إليه من ربه فى الصحف .

وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾

أولا : الأســــماء :

١ ـ **الربــوة** : هى المـرتفع من الأرض، قيل إن المـراد بها ـ فـى معنى الآية ـ هـو دمشق وقيل بيت المقدس، وقيل هى مصر، وهو ما نراه ـ والله أعلم ـ ونخص منها منطقة عين شمس التى تجتمع فيهـا صفات الربوة من كونهـا ذات قرارومعين. إذ كانت مستقرة علـى قطعة من الأرض منبسطة كما كانت ذات ماء جار لجريان النيل فيها، فضلا عن أنها المكان الذى آوى عيسى عليه السلام وأمه بعد خروجهما من فلسطين .

٢ ـ **المعين** : هو الجارى، صفة للماء استعيض بها عنه، فـالمراد باللفظ ـ فى معنى الآية ـ هو الماء الجارى .

ثانيا : التفســـــير:

مفاد قوله تعالى ـ فى الآية ـ أنه جعـل عيسى عليه السلام وأمه مريم آية عظيمة من آيات خلقه وذلـك لولادتـه منها بغيـر أب، ولما كان منـه من التكلـم فى المهـد ومن شفـاء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى. وكـذا بإيوائهما إلى بقعة عالية مـن الأرض كان لها استقرار بالأرض المنبسطة وكان الماء فيها جاريا فخلصا بهذا من مـلاحقة الحاكم الرومانى الذى كان يبحث عن الطفل الـذى حضر لأجل تكريمه المجوس. وهـى ـ فى رأينا ـ منطقـة «أون» فى مصر أو عين شمـس التى كانـت مرتفعا مـن الأرض تحيط بها الأرض المنبسطـة المتكونة مـن طمى النيل الذى كان يجرى فيها آنذاك .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ٥١﴾

التفســـــير:

جاء قوله تعالى ـ فى الآية ـ من بعد ذكره تعالى أن كثيرا من الأمم التى كذبت رسلها إنما كذبتهـم لأنهم اعتقـدوا أنه تعـالى لا يـرسل بشـرا رسولا، ولأنهـم قالـوا فى الـرسل إنهـم لا

يفضلونهم بل يماثلونهم فهم مثلهم يأكلون الطعام ويشربون الشراب.

كما جاء من بعده ذكره آية عيسى عليه السلام وأمه لبيان أن ما خوطبا به هـو ما خوطب به الرسل قبل عيسى عليه السلام، كما أن رسول الله ﷺ مخاطب به.

ومفاد قوله تعالى أن ما أمر به تعالى الرسل هو أن يأكلوا من الطيبات، وهى ما طاب طعمه وأحله الله وكـان مصدره رزقا حـلالا، والقول ـ بهـذا المعنى ـ هـو تأكيد لبشـرية الرسـل، وأنه تعالى أمرهم بعمل الأعمـال الصالحة ليكونوا قدوة للناس. وأنه تعالى حـذرهم ـ على ظاهر القول ـ من مخـالفة أمـره بإعلامهـم أنه عليـم بما يعملون، محـاسبهم بـأعمالهـم. والمراد بالتحذير هو أتباعهم.

﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ۝٥٢﴾

التفسـير:

القول قوله تعالـى ، وجهه إلى الرسل أخبرهم أن ملتهم جميعا ملـة واحدة، والمراد بالملة هو العقيدة، وهى عقيدة التوحيد التى هى دعوة جميع الرسل، وأنه تعالى وحده هو رب العباد المستحق أن يعبد وأن يخشى؛ ولهذا كان الأمر بتقواه، بمعنى اتقاء غضبه يكون بعصيانه .

﴿فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ۝٥٣﴾

التفسـير:

مفاد قوله تعالى ـ فى الآية ـ أن أتباع الرسل لم يبقوا على الملة الواحدة التى دعاهم إليها رسلهم و إنما كـان منهم الاختلاف فيها فكأنهم قطعـوا العقيدة قطعا صغيرة، أخذ كـل فريق بجزء منها وفسره كما شاء، ففسدت العقائد وتمزق الدين الواحد، وكان من كل فريق أو حزب

أنه أعجب بما اعتقد أنه الحق مما اختار من الدين، وإنا لنشهد من هذا أثرا يتمثل فى اتخاذ اليهود من التلمود ومن كتاب حكماء صهيون كتبا استعاضوا بها عن التوراة، واختلاف النصارى فى طبيعة المسيح على النحو السابق إيضاحه لما استظهره كل فريق من نصوص الإنجيل وفق التفسير الذى أعجب به، وقد كان مؤدى هذا هو تمزق العقيدة الواحدة عقائد متعددة .

فَذَرْهُمْ فِي غَمْرَتِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٥٤﴾

التفسير:

الخطاب ـ فى الآية ـ إلى رسول الله ﷺ، وهو فى شأن كفار قريش، وعلاقتهم بأتباع الرسل الذين قطعوا الملة زبرا أنهم بعث فيهم إسماعيل عليه السلام بملة أبيه إبراهيم الذى دعاجرهم إلى دين إبراهيم فاتبعوه، ثم حدث الانحراف بالعقيدة. أمره تعالى ألا يشغل نفسه بأمرهم بما يحزنه وأن يتركهم فيما هم عليه من معتقدهم الباطل مكتفيا بإنذارهم كما أمره الله، يكون هذا إلى حين هو تحقق عذابهم في الدنيا الذى كان فى موقعة بدر، أو إلى أن يموتوا على الكفر فيكون لهم العذاب فى الآخرة .

أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٥﴾ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٦﴾

التفسير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ فى كفار مكة، والخطاب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، والاستفهام إنكارى أريد به بيان إنكار اعتقاد الكافرين واستقباحه. ومعتقدهم الذى ينكره تعالى ويستقبحه هو اعتقادهم أن إنعامه تعالى عليهم بالمال والبنين هو من قبيل الرضاء عليهم واستحقاقهم الخير.

وقوله تعالى «بل لا يشعرون» مفاده أنهم لا يعرفون الحقيقة، وهى كون إمدادهم بالمال والبنين والخيرات هو من قبيل الاستدراج الذى يجرهم إلى التمادى فى الكفر والعصيان ليعذبوا بأفعالهم العذاب الشديد .

إِنَّ الَّذِينَ هُم
مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾
وَالَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ
وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ
وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿٦١﴾

التفسير:

بعد أن أخبر تعالى عن حال الذين قطعوا دينهم بينهم زبرا، وعن كفار مكة، فإنه تعالى أخبر فى الآيات عن المؤمنين ، فتحدث تعالى عنهم بأوصافهم ثم أخبر خبرهم . فقوله تعالى هو فى المؤمنين الذين هم من خشية ربهم مشفقون، فهم يخشون غضبه الذى حذرهم منه وعذابه الذى توعد به الكافرين والعصاة، وهم الذين لا يشركون به أحدا فلا يتملقون أحدا من عباده ولا يراؤون بالعبادة، وهم الذين يتصدقون عن خوف ألا يقبل تعالى صدقاتهم ، سواء لتصدقهم مع فعلهم الكبائر أو لتصدقهم ليقال عنهم إنهم متصدقون، أو لتصدقهم بمال جمع من حرام. فهم يتجنبون ذلك، فلا يقارفون كبيرة، ويتصدقون ابتغاء وجه الله، ويتصدقون من مال حلال. يكون حالهم عند تصدقهم هو العلم أنهم راجعون إليه تعالى العالم حالهم عند تصدقهم؛ ولهذا فهم يخشون ألا تقبل صدقاتهم، فيكون منهم تحرى أن تكون مقبولة. أما ما أخبر به تعالى عنهم فهو ما جاء بقوله تعالى «أولئك يسارعون فى الخيرات وهم لها سابقون» يشير فيه إليهم ويخبر بأنهم يسارعون فى نيل خيرات الدنيا والآخرة كما جاء بقوله تعالى «فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة» كما أخبر أنهم لفعل الخيرات ولكسب ثوابها سابقون الناس جميعا؛ ولهذا فإنهم كما يسبقون الناس فى الطاعات فإنهم يسبقونهم فى نيل خيرات الدنيا، ثم يكون لهم ثواب الآخرة .

﴿وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنطِقُ بِالْحَقِّ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾﴾

أولا : الأسـماء :

الكتاب : فى قوله تعالى «ولدينا كتاب» المراد به صحف الأعمال .

ثانيا : التفسـير:

بعد أن ذكر تعالى صفات المؤمنين الذين يكون لهم السبق فى نيل الخيرات، فإنه تعالى حث الناس على تمثلهم لنيل مثل ثوابهم فبين تعالى أن الاتصاف بأوصافهم بفعل أفعالهم هو فى مقدور الناس جميعا لكونه تعالى لا يكلف نفسا إلا بما هو مقدور لها فعله .

ثم إنه تعالى بين أنه يحاسب الناس على ما كلفوا به، فإذا كانوا لم يفعلوا ما كلفوه عن عمد أو تقصير فإنهم يؤاخذون على ما كان منهم بالعدل، إذ يكون حسابهم بما سطر فى صحائف أعمالهم.

فيكون حسابهم بما فعلوا لا يزاد لهم فى شر عملوه شىء ولا ينقص لهم من خير عملوه شىء إن كانوا من المؤمنين العصاة، فلا يتصور ظلم أحد منهم، وإن كان تعالى لا يظلم وإن عذب بغير سبب .

﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ ﴿٦٣﴾﴾

أولا : الأسـماء :

الغمرة : فى قوله تعالى «بل قلوبهم فى غمرة من هذا» : المراد بها ـ فى معنى الآية ـ هو الشك والكفر .

ثانيا : التفســــير:

القول عود إلى بيـان حال كفار مكة، يذكر تعـالى أن قلوبهم غافلة عـن حقيقة هذا القرآن الذى أثبـت أن أعمالهم تسطـر فى صحف أعمالهـم وأنهم بها يحـاسبون؛ ولهذا كـان منهم الإصرار على الكفر والعصيان.

ثم أثبـت تعالـى أن لهم ـ إضـافة إلى هـذا ـ أعمـالا سيئة كثيرة أخـرى تتمثل فـى الصور المتعددة من الكفر والعصيان، ومنها طعنهم فى القـرآن العظيم وقولهم فى رسول الله ﷺ غير الحق، ذكر تعالى استمرارهم عليها بقوله «هم لها عاملون» .

﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذۡنَا مُتۡرَفِيهِم بِٱلۡعَذَابِ إِذَا هُمۡ يَجۡـَٔرُونَ ٦٤﴾

التفســــير:

مفاد قولـه تعالى ـ فى الآية ــ هو أن مشركى مكة يظلـون على حالهم غافلة قلـوبهم عن حقيقة القرآن وصحته إلى أن يأخذ الله تعالى رؤساءهـم وقادتهم بالعذاب، قيل إنه عذاب يوم بدر، وقيـل إنه عـذاب الآخرة، يكـون منهم حينذاك الصـراخ من شـدة الجزع، لأن النيـل من الرؤسـاء نيلا وبيلا ينذر بنيـل المرؤوسين بما هـو أشد منه لأن الأولين كـانوا فى حمايـة ليس للأخيرين مثلها. فيكون صراخ الرؤساء مـن هول العذاب الذى لاقوا، وصراخ المرؤوسين من الخوف من المصير المتوعد به .

﴿لَا تَجۡـَٔرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ ٦٥﴾

التفســــير:

القول هو فى بيان انعـدام فائدة الجؤار يكون من الكافرين، إذ المقـدر أنهم لا يمنعون من

العذاب، فيكون مقدرا أنه يقال لهم حين يجأرون «لا تجأروا اليوم» بمعنى أنهم ينهون عنه، ثم يعلن إليهم سبب النهي ببيان أنهم لا يفيدون منه شيئا لأن أحدا لا يستطيع منع العذاب عنهم. ويتصور أن يكون هذا لدي وقوع عذاب الدنيا بهم ويتصور أن يكون لدى تعرضهم لعذاب الآخرة أو تيقنهم من إيقاعه بهم .

قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾

التفسير:

مفاد القول أنه يعلن الكافرون بسبب عدم نصرهم، وتحقق عذابهم وهو ما كان يحدث منهم حين كانت آيات الله تتلى عليهم، إذ كانوا يعرضون عنها وينصرفون عن تدبرها فضلا عن عدم الإيمان بها، والمعنى أنهم كانوا يغلقون آذانهم ويصمونها دون آيات القرآن العظيم.

مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾

التفسير:

القول لايزال في بيان سبب عدم نصرة الكفار من العذاب، ومنه استكبارهم بكونهم القائمين على خدمة الحرم واكتفاؤهم بهذا بما أدى إلى عدم إيمانهم، ويقبل المعنى في رأينا ــ والله أعلم ـ أن يكون المراد هو كون حالهم هو الاستكبار على القرآن العظيم وعلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي يتلوه عليهم مما مؤداه إعراضهم عنه . وأنهم كانوا يتسامرون بالقول في القرآن غير الحق، وهو هجر في الحقيقة للبيت الحرام الذي يعمر بالعبادة الصحيحة ومنها قراءة القرآن وتلاوته .

■■■■

أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾

التفسـير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ فى المكذبين، الذين كذبوا بالقرآن العظيم وكذبوا رسول الله ﷺ، يدخل فيهم ـ فى رأينا، والله أعلم ـ أهل الكتاب ويدخل فيهم كفار مكة. والاستفهام ـ فى الآية ـ للإنكار، فهو تعالى ينكر على المكذبين عدم تدبرهم القرآن العظيم، ولو فعلوا لكانوا قد تبينوا من أوجه الإعجاز فيه أنه منزل من رب العالمين فآمنوا به.

كذلك فإن قوله تعالى ينكر عليهم أنهم لم يؤمنوا بالقرآن العظيم وقد علموا أنهم أوتوه كما أوتى آباؤهم من قبل كتبهم وهى التوراة والإنجيل.

فيكون القول فى أهل الكتاب، وقد يكون المراد بما أوتى آباؤهم الأولون هو ما جاء فى التوراة والإنجيل من تبشير برسول الله ﷺ ينزل عليه القرآن فيبلغ به .

ويتصور أن يكون الآباء الأولون هم آباء كفار العرب الذين أوتوا الحنيفية ملة إبراهيم عليه الصلاة والسلام دعاهم إليها إسماعيل عليه السلام فآمن له كثيرون قبل الانحراف بالملة إلى عبادة الأصنام.

فيكون القول فى كفار مكة، كان عليهم لما عرفوا من وحدة العقيدة أن يؤمنوا .

ونرى ـ والله أعلم ـ أن القول هو فى الفريقين ينكر تعالى عليهم عدم إيمانهم بالقرآن العظيم وقد علموا مما أبلغ به آباؤهم أنه الحق من رب العالمين ويوبخهم على هذا .

أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ ۚ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴿٧٠﴾

التفسـير:

قوله تعالى - فى الآيتين - فى بيان انعدام سبب تكذيب رسول الله ﷺ، والاستفهام فى القول هو للإنكار ولتقرير واقع معرفة المكذبين برسول الله ﷺ المعرفة التامة ومنها أنه الصادق الأمين الذى لم يصدر عنه كذب ولم يخن يوما أمانة، مما كان مقتضاه هو وجوب الإيمان له ثقة بأن دعواه أنه رسول من ربه هى دعوى حق .

كذلك فإن الاستفهام أريد به إنكار قولهم فى رسول الله ﷺ إن به جنة، أى أنه مجنون، وذلك مع ما عرفوه عنه أنه أرجح الناس عقلا .

ثم إنه تعالى يقرر الحق فى شأن القرآن العظيم وشأن رسوله بقوله «بل جاءهم بالحق» والمعنى أنه ﷺ جاءهم بالقرآن العظيم وهو الحق من عنده، وجاءهم بعقيدة التوحيد تضمنها القرآن، وهى العقيدة الصحيحة .

وقوله تعالى «وأكثرهم للحق كارهون» يفيد أن أكثر المكذبين يصرون على الكفر لكراهتهم الحق، أى لكراهتهم القرآن والإسلام ورسول الله ﷺ، وأن منهم البعض الذى يصر على الكفر ليس عن كراهة الحق وإنما لأسباب أخرى منها الخوف من الأهل أن يؤذوه لإيمانه، أو أن يعيروه به.

وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلۡحَقُّ أَهۡوَآءَهُمۡ لَفَسَدَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ
بَلۡ أَتَيۡنَٰهُم بِذِكۡرِهِمۡ فَهُمۡ عَن ذِكۡرِهِم مُّعۡرِضُونَ ٧١

التفسـير:

قوله تعالى - فى الآية - فى بيان عقيدة المشركين الذين لم يؤمنوا بالقرآن وللرسول ﷺ، فهو تعالى يثبت - فى مقام - أن عقيدتهم بنت أهوائهم ورغباتهم وليست نتاج إعمال عقل،

ثم إنه تعالى يثبت أنه لو كان الأمر الحق موافقا عقيدتهم بنت الهوى، أو لو كان ما جاء في القرآن العظيم موافقا هواهم لفسدت السماوات والأرض ومن فيهن، بمعنى أنه لو كان الشرك حقا وكان هناك آلهة غير الله لفسد نظام سير السماوات والأرض على ما جاء بقوله تعالى «لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا» ولفسد حال الملائكة وحال الإنس والجن، بصيرورة الملائكة العابدين آلهة معبودة، وبتوجه العابدين من الإنس والجن لغير الله الحق بالعبادة.

ثم إنه تعالى يذكر أن القرآن العظيم الذى جاء بالحق ـ عقيدة التوحيد ـ هو ما فيه خير الناس بمن فيهم المشركون، وذلك لتضمنه العقيدة الصحيحة والأحكام التى يكفل تطبيقها صالح أمورهم الدنيوية، ويثبت أن المشركين عنه يعرضون. فيكون القول تشنيعا عليهم وتقريعا لهم.

﴿أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ ۖ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٧٢﴾﴾

أولا: الأسـماء:

الخـرج: فى قوله تعالى «أم تسألهم خرجا فخراج ربك خير» هو ما يخرج من المال للغير، بمعنى الجعل أو المقابل المادى.

ثانيا: التفسـير:

القول ـ فى الآية ـ فى التدليل على صدق رسول الله ﷺ فى البلاغ وفى الإنذار بالقرآن. فالخطاب موجه إلى رسول الله ﷺ. والاستفهام للإنكار ولتقرير واقع أنه ﷺ لم يطلب من المشركين أجرا على الإبلاغ والدعوة ولم يبتغ مصلحة منهم، مما كان مفاده وجوب تصديقه. ثم إنه تعالى يبين أن رسول الله ﷺ إنما استهدف إرضاء ربه وإبلاغ الرسالة، ورضاء ربه هو خير زاد الدنيا وخير ثواب الآخرة، ثم بين تعالى واقع أنه ليس مثله رازق لبيان أن رزقه تعالى لا يماثله رزق أحد من خلقه، يدخل فى هذا رزق الدنيا بمعناه المعروف، ويدخل فيه رزق الآخرة بما هو فى الجنة.

﴿وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٧٣ وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ ۝٧٤﴾

التفسـير:

الخطاب فـي الآيتين إلى رسـول الله ﷺ، وهو في بيـان حالـه ﷺ وحال المكذبيـن. فهو تعالـى يثبت أنـه ﷺ يدعـو الناس إلـى الطريق المـوصل إلـى رضائه وإلـي جنته وهـو دين الإسلام.

ويثبت أن كفار قريش الذين أنكروا يوم القيامة والبعث والحساب، أو الذين لم يعملوا ليوم الحساب وعملوا للدنيا قد تنكبوا الطريق الموصل إلى رضاء الله وإلى جنته وحادوا عنه. حتى إنه لا يوصف ما هم عليه من عقيدة بأنه صراط أو طريق .

﴿وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ۝٧٥﴾

التفسـير:

قوله تعالـى ـ فى الآية ـ هو فى بيـان انعدام الأمل فى صلاح حال المصـرين على الكفر، فمفاد قوله تعالى هـو أنه لو تحقق معهم المستحيل بأمره تعالى فرفع عنهـم ما نالهم من جزع وحزن بهلاك رؤسائهـم وأحبابهم فى بدر بإعـادتهم إلى الحياة، لكان منهم التمـادى فيما هم عليه من الضلال .

ويقبل المعنى أن يكون أنه لو كان منه تعالـى تخليصهم من عذاب الآخرة حين يلقون فيه وردهم إلى الحياة الدنيا لعادوا لما كانوا عليه من التردى فى الضلال .

■■■■

﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ۝٧٦﴾

التفســـــير:

قوله تعالى - في الآية - في إيراد دليل على انقطاع الأمل في إيمان الذين أصروا على الكفر، فيذكر تعالى أنه أخذهم بالعذاب.

يتصور فيه أن يكون ما نالهم من جزع وحزن بقتل رؤسائهم وأبنائهم يوم بدر ويتصور فيه أن يكون ما نالهم من جوع ومن قحط .

وعلى الأول فإنه لم يحدث من الذين لم يقتلوا أنهم خضعوا لربهم وانقادوا إليه من قلوبهم، وعلى الثاني فإنه لم يحدث من المصرين على الكفر أن خضعوا لربهم وانقادوا له بعد أن أزاله تعالى عنهم .

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ۝٧٧﴾

التفســـــير:

يقرر تعالى - في الآية - استمرار المصرين على الكفر والتكذيب على ما هم عليه إلى أن يموتوا كافرين فيحق عليهم العذاب فمفاد القول أنهم يبقون على كفرهم مستمرين على حالهم منه حتى يفتح تعالى عليهم في الآخرة بابا من أبواب جهنم فيكون منهم اليأس من النجاة والحزن الشديد وقيل إن المراد بالباب ذي العذاب الشديد هو القتل يوم بدر أصابهم بالحزن والغم واليأس من النصر على المؤمنين، ثم إنهم بقوا على كفرهم.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ۝٧٨﴾

التفسـير:

الخطاب ـ في الآية ـ إلى جميع الناس، وفي القول جاء بيان النعم المتعلقة بتكوين الإنسان التي يكون بها الإيمان الذي هو صالح الإنسان، تكون وسائله سماع آيات الله المتلوة، وتبصر آياته تعالى في الخلق والتدبر والاقتناع بالقلب. ثم إنه تعالى أثبت في حق المخاطبين بالقول أنهم قليلا ما يشكرون. والمراد هو الشكر على النعم المذكورة بصرفها إلى ما خلقت له من طاعة وعمل صالح وصرفها عن المعاصي.

وَهُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾

التفسـير:

قوله تعالى ـ في الآية ـ في التذكير بالبعث والحساب وبيان أنه من بعد خلق الناس وحياتهم في الأرض وانتشارهم فيها يكون الحشر إليه تعالى للحساب. فيكون القول داعيا إلى التقديم للآخرة بالإيمان والعمل الصالح وتجنب المعاصي .

وَهُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾

التفسـير:

قوله تعالى ـ في الآية ـ هو في بيان بعض مظاهر قدرته الدالة على ألوهيته ووحدانيته واستحقاقه وحده أن يعبد. فيذكر تعالى أنه وحده الذي يحيي بالإيجاد، ويميت كل حي، وأنه تعالى الذي قدر تعاقب الليل والنهار. وهذه الأمور المحسوسة تدفع ذوي العقول إلى الإيمان بالله وتوحيده. ولهذا جاء قوله تعالى «أفلا تعقلون» لبيان أن من يعقل ويفكر ويتدبر يفترض فيه أن يصل إلى هذه النتيجة .

بَلْ قَالُوا۟ مِثْلَ مَا قَالَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوٓا۟ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا
وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا هَٰذَا مِن قَبْلُ إِنْ
هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾

التفسير:

قوله تعالى فى الكافرين الذين لم يعقلوا آياته تعالى فأنكروا البعث والحساب، يقول تعالى إنهم قالوا مثل قول من سبقوهم ممن أنكروا البعث والحساب، وأنهم أبدوا عدم اقتناعهم أنهم بعد موتهم وصيرورة أجسادهم ترابا يكون جمع الأجساد وحلول الروح فيها فيعودون للحساب. كما يقول تعالى إنهم قالوا ما يفيد استحقاقهم بما يقال لهم عن البعث إذ يقولون إنهم وعدوا أنهم يبعثون كما وعد آباؤهم بهذا من قبل، كما يقولون إن القول بالبعث ليس سوى ترديد لما قاله الأولون وسطروه مما لا يعدو كونه أقوالا تروى.

﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾﴾

التفسير:

قوله تعالى هو فى إقامة الدليل على قدرته على البعث من أقوال المكذبين به من الذين يؤمنون بوجود الله و ينكرون البعث من المشركين، فيأمر تعالى رسوله ﷺ أن يسألهم، عمن تكون له الأرض ومن فيها، والمراد هو لمن تكون ملكية الأرض وما فيها، وجاء تغليب العقلاء على غيرهم فجاء الاستفهام بـ «من»، ثم إنه تعالى أجاب عنهم بما يقولون بقوله «سيقولون لله»، وذلك لإظهار بداهة أن يجيبوا بهذه الإجابة.

ثم أمر تعالى رسوله أن يبكتهم على تناقضهم فى الرأى إذ يقرون بأنه تعالى الذى يملك الأرض وما فيها بحكم أنه موجودها وموجدهم من العدم، ثم ينكرون أنه تعالى يبعث من فيها من بعد الموت. مع أن البعث بعد الموت أهون من الإيجاد من العدم. فقول رسول الله لهم بأمر ربه «أفلا تذكرون» هو تبكيت لهم على هذا التناقض، يظهر ما فيه من منافاة القول بعدم البعث للنتيجة المنطقية المترتبة على الإقرار له تعالى بالخلق من العدم.

﴿قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ۝ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝﴾

التفسـير:

القول ـ فى الآيتين ـ لإقامة دليل آخر على بطلان عقيدة منكرى البعث من أقوالهم. فهو تعالى يأمر رسوله ﷺ أن يسألهم عن رب السماوات السبع ورب العرش العظيم، وذلك من بعد السؤال عن الأرض وما فيها، لإثبات خلوص ملكية السماوات والأرض لله. ثم إنه تعالى يجيب عنهم أو يخبر رسوله ﷺ بما ستكون عليه إجابتهم فيخبر أنهم سيقولون إنها لله «سيقولون لله» والإجابة هنا هى إجابة على المعنى، بمعنى أنها إجابة على معنى السؤال وهو «لمن السماوات السبع، ولمن العرش العظيم» .

ثم إنه تعالى يأمر رسوله ﷺ أن يقول لهم «أفلا تتقون» والقول استفهام ينكر عليهم عدم اتقائهم غضب الله تعالى عليهم بإنكارهم البعث، ويوبخهم عليه لما ينطوى عليه من تناقض مع إقرارهم بخلوص ملكية السماوات والعرش العظيم له تعالى .

﴿قُلْ مَن بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۝ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ۝﴾

التفسـير:

القول فى إقامة دليل آخر على بطلان عقيدة مكذبى البعث من قولهم، فيأمر تعالى رسوله أن يسألهم عمن له الملكية الشاملة لكل موجود فى أى مكان وتدبير أمره، وعمن يملك أن يمنع عمن يشاء اعتداء غيره من المخلوقات، ولا يمنع من بأسه أحد على ما يبلغ علمهم.

ثم يجيب تعالى عنهم أو يخبر رسوله ﷺ بأنهم سيقولون إن الملكية الشاملة والربوبية هى لله تعالى، وأن القدرة على المنعة وعجز الخلق عن الامتناع عليه هى لله.

ثم إنه تعالى يأمر رسوله ﷺ أن يوبخهم على تناقض إنكارهم البعث مع إقرارهم بخلوص ملكية الأشياء جميعها لله تعالى وقدرته على حماية من يشاء ممن يشاء وعدم قدرة الخلق على رد بأسه عمن يشاء بقوله لهم «فأني تسحرون» وهو استفهام عن كيفية انصرافهم عن الرشد وهو الإقرار بالقدرة على البعث مع علمهم بمدى قدرته تعالى على كل شىء.

﴿بَلْ أَتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ۝٩٠﴾

التفسـير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ هو فى بيان الحق فى شأن القرآن العظيم الذى قال فيه الكافرون إنه أساطير الأولين، فالقول يثبت أنه الحق من عنده، وأن قولهم فيه هو الكذب الذى يدفعهم فيكون وصفهم به أنهم كاذبون .

﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝٩١﴾

التفسـير:

بعد أن أقام تعالى الحجة على أنه يبعث الناس للحساب على منكرى البعث، فإنه تعالى ـ فى الآية ـ يقيم الحجة بالدليل العقلى على المشركين باختلاف عقائدهم. فينفى تعالى اتخاذه الولد من الملائكة ومن البشر، وذلك مفهوم لعدم حاجته إلى الولد، ولاختلاف المماثلة بينه تعالى وبين أحد من خلقه ـ والمماثلة مفترضة بين الوالد والولد ـ ثم إنه تعالى

نفى أن يكون معه إلـه آخر أو أكثر، ودلل على هذا بـأنه لو كان معه آلهة أخـرى لكان الطبيعى هو أن يستأثر كل إلـه بمن خلقه وما خلقه فى تدبير الأمور وفـى التصرف ، فكان اختلاف نظام الكون محققا، ثم إنه لما كان هذا غير متحقق، وكان الثابت هو خضوع الكون كله لنظام واحد فإن مفاد هذا يكون هو وحدة الخالق والمتصرف والمـدبر، كذلك فإنه كان مؤدى تعدد الآلهة هو وقوع التغالب بينهم فيكون فيهم من يعلو الآخر مما مفاده نفى الألوهية عن الجميع أو نفيها عنهم عدا الغالب منهم؛ ثم إنه لما كان شىء من هذا لم يحدث فإنه يكون قد قام الدليل من الفعل على وحدانيته تعالى وأنه ما من إله غيره .

وقولـه تعالى ــ فى ختام الآيـة ـ «سبحان الله عمـا يصفون» هـو تنزيه لـه تعالى عـن قول المشركين إنه اتخذ ولدا أو إنه له شركاء فى الملك .

عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٩٢﴾

التفســــير:

القول يشير إلى دليل آخر على علوه تعالى فـوق كل ما عداه، فهو وحده الذى يعلم الغيب مما هو كـائن وغاب عن الخلق العلم به، ومـا يكون فى المستقبل مما لا علم لأحـد به، وهو تعالى العـالم بالمشهود بإحاطتـه بكل شىء علما. وترتيبا علـى هذا جاء قوله تعالـى «تعالى عما يشركون » جـاء بمثابة نتيجة للحقيقة الوارد التقـرير بها؛ ولهذا فإنه تعـالى أسمى من أن يقال بشأنه إنه اتخذ ولدا أو إن له شريكا فى الملك يستحق أن يعبد .

قُل رَّبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي
مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجۡعَلۡنِي فِي ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰٓ أَن نُّرِيَكَ
مَا نَعِدُهُمۡ لَقَٰدِرُونَ ﴿٩٥﴾

التفسـير:

يأمر تعالى رسوله ﷺ أن يتوجه إليه بقوله إذا أريتنى ما يوعد الكافرون من العذاب الدنيوى فلا تجعلنى معهم أثناء نزول العذاب بهم. وهذا القول بما تضمنه من طلب أو دعاء معلوم له ﷺ وإنما أمره تعالى بقوله ليعظم أجره وليكون فى جميع الأوقات ذاكرا ربه.

ثم إنه تعالى أخبر رسوله ﷺ وليعلم الكافرون على قدرته على إلحاق العذاب الدنيوى بالكافرين، وإن كان تعالى قد قدر ألا يكون باستئصالهم، لما علمه من أنه يكون منهم من يدعو لدينه تعالى، وأن يكون عذابه الدنيوى لهم بما أصابهم يوم بدر أو يوم فتح مكة أو ما أصابهم من جوع وقحط .

﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾﴾

التفسـير:

الخطاب ـ فى الآية ـ إلى رسول الله ﷺ، وفيه يأمره ربه بفعل هو من مكارم الأخلاق ليكون للمؤمنين فى رسول الله ﷺ بفعله القدوة الحسنة. والمأمور به هو أن يكون الرد منه على السيئة التى يساء بها إليه هو أحسن الأعمال الممكنة له، ولس مجرد الفعل الحسن. والمستفاد من فعل الأمر «ادفع» هو أن الرد بالحسنى على فاعل الإساءة من شأنه أن يؤدى لدى ذوى الطبيعة السوية إلى كف الأذى يصدر منهم، فيكون دفعا للاستمرار على الإيذاء .

وقوله تعالى «نحن أعلم بما يصفون» مفاده أنه تعالى يأمره بالإحسان إلى المسيئين رغم علمه تعالى بما يقول هؤلاء المسيئون فى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما لا يرضى من القول.

ثم إن القول يفيد معنى آخر هو أنه تعالى معاقب القائلين فيه صلى الله عليه وسلم بقولهم فيه، فيكون القول تسلية له .

﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾﴾

التفسير:

يأمر تعالى رسوله ﷺ فى الآيتين بالاستعاذة من الشياطين، والأمر هو لجميع المؤمنين بالتبعية، ومضمونه دعاء الله تعالى المتعوذ به أن يكفيه بتجنيبه أو بالرد عنه وسوسة الشياطين المغرية بفعل ما يغضب الله تعالى، وبذبِّهم عنه فلا يحضرون حوله فى حال من الأحوال، وأخص الأحوال التى يتعوذ فيها من حضور الشياطين هى حال الصلاة، وحال قراءة القرآن وحال حلول الأجل .

﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّا ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا ۖ وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾

أولا : الأسماء :

البرزخ : فى قوله تعالى «ومن ورائهم برزخ» هو الحاجز بين شيئين .

ثانيا : التفسير:

قوله تعالى - فى الآية - عود إلى الحديث فى شأن منكرى البعث والكافرين عموما الذين قالوا فى القرآن العظيم إنه أساطير الأولين. يذكر تعالى أنه متى جاء الموت أحدهم وعاين الملائكة التى تقبض روحه، فإنه يتيقن أنه كان على ضلالة من الأمر وأنه ملاق ربه فيتمنى الرجوع إلى الحياة الدنيا «قال رب ارجعون» يخاطب ربه ويعظمه بمخاطبته بضمير الجمع، ويذكر سبب تمنيه الرجوع إلى الدنيا بقوله «لعلى أعمل صالحا فيما تركت» وهو

ترجى أن يكون منه الفعل الإيجابى بدلا من الترك أو الامتناع أو السلوك السلبى، بمعنى أن يكون منه الإيمان بدلا من بقائه على الكفر، ويكون منه العمل الصالح بدلا من استمراره على ما كان عليه من عصيان، وقيل إن المراد به هو أن يعمل بما ترك من المال فى الدنيا أعمالا صالحة من قبيل التصدق بالمال. ونرى ـ والله أعلم ـ أنه قد لايكون المراد بالقول، ذلك أنه ليس جميع الكافرين يخلفون أموالا فى حياتهم الدنيا، ثم لأنه لا قيمة لعمل الصالحات من الكافر تفيد فى الآخرة .

وقد بين تعالى عدم إجابة مطلب الكافر الرجوع إلى الدنيا بكلمة واحدة «كلا» فيها الردع عن الطلب ثم بين تعالى أن طلب الكافر «رب ارجعون» لا يعدو كونه قولا هو قائله، لا يستجاب له «إنها كلمة هو قائلها» ثم بين استحالة تحقيق هذا الطلب للكافرين بقوله «ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون» بمعنى أنه يكون بين الكافرين من بعد موتهم وبين الرجوع إلى الحياة، أو إلى الدنيا حاجز يمنع من هذا ويحول دونه يظل قائما إلى يوم القيامة الذى يبعثون فيه من قبورهم فترد إليهم أرواحهم ولكن لا يعودون إلى الدنيا .

فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾

التفسير:

القول هو فى بيان هول يوم القيامة وما يكون من بعد النفخة الثانية فى الصور، أو من بعد نفخ الأرواح فى الصور ـ وهى الأجسام ـ يذكر تعالى أن الناس فى هذا اليوم يذهلون عن أنسابهم، أو أنهم لا يعتدون بها، إذ يشغل كل شخص بأمر نفسه فيغفل عن أبيه وأمه وبنيه، حتى إنه ليفرح إن كان له حق على أحدهم يناله منه ثوابا فى الآخرة.

وللقول معنى آخر هو عدم الانتفاع بالنسب والانتساب إلى رسول الله ﷺ بالانتماء إلى أمته أمة المسلمين ، كما يثبت تعالى أنهم ــ أى الناس ـ لا يكون بينهم حديث السؤال عن الأحوال على ما جرت عليه العادة عند اللقاء بعد غيبة. ولا يتعارض هذا مع قوله تعالى فى

المنشورين «قالوا من بعثنا من مرقدنا» وذلك لأن الوحد منهم يقول هذا القول لنفسه، فهو لا يعتبر من قبيل التساؤل .

فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾

التفسير:

قوله تعالى - في الآيتين - هو في بيان الفرق بين حال المؤمنين وحال الكافرين والعصاة يوم القيامة فيقول تعالى إن من ثقلت موازينه بمعنى من زادت حسناته أوزانها على سيئاته أو أوزانها فإنه ومن ماثلوه يكونون المفلحين الفائزين بالمطلوب والناجين من العذاب، كما يقول تعالى إن الذى خفت موازين أعماله الحسنة عن موازين أعماله الطيبة سواء بسبب عدم قبول أعماله الطيبة في الآخرة لكفره، أو لكونها أقل من السيئات بالنسبة لعصاة المؤمنين فإنه يكون وأمثاله من الذين خسروا أنفسهم بتضييعهم إياها بتعريضها للعذاب، يكون مصيرهم هو الإلقاء في جهنم يخلد فيها الكافرون .

تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾

أولا : الأسماء :

الكالحون : جمع، مفرده «الكالح» وهو من كشر وجهه في عبوس .

ثانيا : التفسير :

قوله تعالى - في الآية - في وصف الكافرين أو وصف هيئتهم في جهنم، يذكر تعالى أن

النار تلفح وجـوههم بمعنى أن لهيبها يمس وجوههـم فيكون من أثر ذلك تغير هيئـة وجوههم تتقلص شفاههـم من أثر لفح النار فترتفـع العليا وتنخفض السفلى فتكون كهيئـة المكشر عن عبوس مع زيادة في سوء الشكل .

أَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا
شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَآلِّينَ ﴿١٠٦﴾

التفسـيـر:

يذكر تعالى فى القول ما يقال للكافريـن فى جهنم تعنيفا لهم وتوبيخا وتذكيرا لهم بسبب معاناتهم من العذاب .

وهو أنهم كانت تتلى عليهم آيات القرآن العظيم فى الدنيا فكانوا يكذبون بها ولا يؤمنون .

كما يـذكر تعالـى أنهم يقولـون ردا على هذا منـادين ربهم أن أهـواءهم ورغباتهـم غلبت عليهم أمرهم فلم يستطيعوا كبح جماحها.

وأنهم لهذا قد ضلوا فكان منهم تكذيب الآيات التى تنهاهم عن هوى النفس.

وقيل إن قول الكافرين هو اعتذار منهم بأنهم إنمـا كانوا ضالين بما كتب تعالى عليهم من الكفر كان سببا لشقائهم.

وهو غيـر صحيح لأنه تعـالى علم ما يكـون منهم من اختيـار الضلال على الهـدى فكتبه عليهم ولم يفرضه .

رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾

التفســـــير:

يذكر تعالـى ـ فى الآيتين ـ ما يكون مـن الكافرين لدى معاينتهم عـذاب جهنم وما يكون منه تعـالى معهم، فهم يطلبـون منه تعالـى إخراجهم مـن جهنم وإعادتهم إلـى الدنيا ثـانية، وذلك كما طلبوا من قبـل عند معاينتهم ملك الموت الرجوع إلى الدنيـا، ثم إنهم يقرون على أنفسهم أنهم كانـوا ضالين فى دنياهم بقولهم إنهـم عادوا لما كانوا عليه من قبـل في دنياهم فإنهم يكونون متجاوزين الحد فى الظلم مستحقين أشد العذاب.

وإقرار الكافرين بضلالهم فى الدنيا هو تبرير لاجترائهم على طلب الرجوع إليها قصد بـــه ـ من جانبهم ـ تسكين غضبه تعالى عليهم.

ثم إنــه تعالى يخبر عمـا يكون عليه الرد علـى طلبهم ، وهو قـوله تعالى «اخسـؤوا فيها ولا تكلمون» يقنطهم تعالـى من التفكير فى مظنة الاستجابة لهـم بزجرهم على نحو مـا يزجر عليه الكلب عن الحديث فى هـذا المطلب، ثم يأمرهم ألا يحادثوه تعالى فـى شأن غيره أيضا من الشئون بأى حديث .

إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِى يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَٱتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِى وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١١٠﴾

التفســـــير:

قوله تعـالى ـ فى الآيتيـن ـ تعليل لزجره تعـالى الكافريـن ردا على دعائهم إيـاه وهم فى جهنم ونهيه إياهم عن مخاطبته. ذلك أن الكافرين نادوه تعالى بقولهم «ربنا» ، ثم إنهم طلبوا الرجوع للدنيا ليكون منهم الإيمان.

فبين لهم تعالى أن زجرهم إنما كان لفعلهم فى الدنيا مع المؤمنين، وصفهم تعالى بأنهم فريق من عباده، والذين كان فعلهم معهم بسبب دعائهم ربهم بقولهم «ربنا» وبسبب إعلانهم إيمانهم وطلبهم منه المغفرة والرحمة بصفته خير الراحمين أو متدرعين إليه متوسلين بصفته تعالى هذه. ولما كان مفاد قول الكافرين فى الآخرة هو إقرارهم بصحة عقيدة المؤمنين فى الدنيا، فقد جاء قوله تعالى بتذكير الكافرين على سبيل التوبيخ بما كان منهم مع المؤمنين وهو استهزاؤهم بهم لقولهم «ربنا آمنا»، ثم أوضح تعالى أن انشغالهم بالاستهزاء بالمؤمنين قد ألهاهم عن الحق فنسوا أن يذكروه تعالى ويتذكروا وعيده فيتحاشوا تحققه فيهم بتعذيبهم، وبالغوا فى الاستهزاء بالمؤمنين والضحك منهم لدعائهم ربهم وإعلانهم إيمانهم.

إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿١١١﴾

التفسـير:

بعد أن ذكر تعالى الكافرين بفعلهم بالمؤمنين فى الحياة الدنيا ما فعلوا بهم من استهزاء بهم وسخرية منهم، فإنه تعالى فى الآية بين لهم مصير هؤلاء الذين كانوا منهم يسخرون، فذكر أنه تعالى أثابهم على صبرهم على أذى الكافرين أنه أنالهم كل ما تمنوا وعملوا له من خير الآخرة، حتى إنه لا يوصف بالمقارنة بحالهم حال أحد يمكن أن يقال إنه فائز، أو كأن الفوز بجميع الخيرات هو لهم وحدهم.

قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ
عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ ﴿١١٣﴾
قَالَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾

التفســـــير:

الذى نراه ـ والله أعلم ـ فى معنى القول هو أنه تعالى يسأل الكافرين الـذين سألوه ـ وهم فى جهنم ـ أن يعيدهم إلى الدنيا ليؤمنوا بـه تعالى وليعملوا غير الذى كانوا يعملون، فيعملون عمل المؤمنين الـذين كانوا منهم يسخرون، وأنـه تعالى يسألهم ليبين لهـم أن الذى لبثوه فى الحياة الدنيا كـان من الطول بحيث تضمن فسحة مـن الوقت يتدبرون خلالهـا ما أنزل إليهم من ربهم ليـؤمنوا؛ ولهذا فإنـه تعالى سأل عـن مدة لبثهم فى الـدنيا محسوبة بعـدد السنين، فيكون المراد بيانه من السؤال هو أنه أتيحت لهم الفـرصة الكاملة للإيمان ولم ينتهزوها ، فلا يكون هناك معنى لطلبهم.

أما إجابة الكافرين فتكون لقولهم إنهم لبثوا فى الأرض مدة غاية فى القصر، فهى يوم على أقصى تقدير، وقد تكون بعض اليوم، ثم إنهم يبدون عدم تيقنهم من المدة فيطلبون منه تعالى أن يسأل الـذين لـديهم العلـم بطول هـذه المدة مـن البشر أو مـن الملائكـة المختصين أو المأمورين بحسـاب الزمن. ويكون إحساس الكافـرين بقصر مدة لبثهم فى الحيـاة الدنيا هو نتيجة خلوهـا من العذاب الذى يعانـون والذى يجعل إحساسهم بزمـانه أنه طويل غـاية فى الطول، وكذا نتيجة ذهولهم عن الزمان وحسابه نتيجة شدة آلام العذاب.

ثم إنه تعـالى يكون منه مـوافقة الكافريـن على قولهم إنهـم مكثوا مدة قصيرة هـى يوم أو بعض اليوم، لكنه تعالى يقرن موافقته هذه بقـوله «لو أنكم كنتم تعلمون» فكان كون مدة لبثهم فى الـدنيا قصيرة معلـق على شرط تـوافر العلم لـديهم. والمعنـى هو أنهم لـو كانوا يـدركون الحقيقة لعلموا أن الحيـاة الدنيا جميعها قصيرة إلـى أقصى حدود القصر بالقيـاس إلى حياة الآخرة، لكنهم لـم يعلموا هـذا فعملوا للدنيا وتركوا الآخرة. فلا يكون القـول مناقضا سبق بيان طول مدة لبثهم فى الدنيا الذى كان كافيا لكى يؤمنوا خلاله .

وقـد قيل غيـر هذا الـذى نـراه، فقيل إن السـؤال كان عـن مـدة مكثهم فـى قبورهـم، وأن الكافرين قـالوا إن مدة لبثهم فى قبورهم كـانت يوما أو بعض يوم لأن العـذاب رفع عنهم بين النفختين فنسوا مـا كانوا فيه مـن العذاب واستقصروا المدة. وأن مـوافقته تعالى علـى قولهم

كانت بالقياس إلى مدة مكثهم فى العذاب .

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ١١٥﴾

التفسـير:

القول هو من قوله تعالى الذى يقوله للكافرين وهم فى جهم، والاستفهام فيه للإنكار والتوبيخ، ولبيان واقع أنه تعالى لم يخلق البشر لغير حكمة أو لغير فائدة فيكون من قبيل العبث الذى لا يرجى من ورائه خير، ثم إنه تعالى يبين أن الحكمة من خلقه البشر هى أن يعبدوه وهو ما اقتضى رجوعهم إليه تعالى يوم القيامة للحساب والجزاء، ولهذا فإنه تعالى أنكر عليهم عدم عملهم فى دنياهم لصالح آخرتهم كأنهم حسبوا ـ عن خطأ ـ أنهم لا يرجعون إليه فى الآخرة للحساب والجزاء .

﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ١١٦﴾

التفسـير:

بعد أن بين تعالى أنه لم يخلق الناس عبثا بغير فائدة فإنه تعالى فى الآية نزه ذاته عن فعل مثل هذا مثبتا لذاته أنه الحقيق بالمالكية وأن كل ما سواه عبيد له، ثم وحد ذاته ووصفها بأنه رب العرش العظيم الذى هو أعظم جرم تقصر دونه جميع الأجرام والأجسام، فيكون القول تأكيدا لواقع أن خلقه الناس إنما كان لحكمة عظيمة منها حسابهم ومجازاتهم.

﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ١١٧﴾

التفســـــير:

بعد أن أثبت تعالى وحدانيته، فإنه بين ما يكـون مع من يعبد إلٰها غيره تعالى، يعبده وحده أو يشرك به عبادة الله تعالى، ثم بين تعالى بقولـه «لا برهان له» أن عبادة غيره تعالى تكون بغير دليل فـى جميع الأحـوال على استحقـاق المعبود مـن دون الله أن يعبد، ذلـك أنه قـد ينعدم الدليل على استحقاق غيره تعالى العبادة، وقد يكون هناك دليل زائف ثبت بالدليل الصحيح بطلانه، أما مصيـر من يعبد إلٰها آخر غير الله فجاء التعبيـر عنه بقوله تعالى «فإنمـا حسابه عند ربه» والمعنى أنه تعـالى مجازيه بفعله. ثم جاء قـوله تعالى «إنه لا يفلح الكـافرون» لبيان أنه يعد كافـرا. ثم يفسر ما يكون عليـه حسابه ببيان أنه تكـون عاقبته هى عدم الفـلاح بمعنى أنه يكون من الخاسرين ..

وَقُل رَّبِّ ٱغْفِرْ وَٱرْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١١٨﴾

التفســـــير:

يعلم تعـالى رسولـه ﷺ - فى الآيـة - دعاء يدعـو به، ويعلمه المسلميـن، قيل فى فـائدته الكثير، ويبقى أن مـا وراءه أعظم من كل مـا قيل، لأن الذى علمه هـو من يسأل به فنقـول مع المأمورين «رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين» .

■■■■

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة النـور

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا وَفَرَضْنَٰهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾

التفسـير:

يخبر تعالى عن السورة فى الآية معرفا بها فى إجياز، فجاء لفظ سورة «خبرا» لمبتدأ محذوف هو «هذه» والسورة وصفها تعالى بأنها منزلة منه تعالى لبيان أن ما فيها من أحكام هو تنزيل منه تعالى وإن كان هناك ما يماثلها فى شرائع سابقة أو يماثل بعضها. ووصفها بأنها مفروضة منه تعالى يبين تضمنها أحكاما واجبة التطبيق.

ثم أثبت تعالى أن الآيات التى تضمنت الأحكام جاءت واضحة لا لبس فيها ليكون تطبيقها ميسورا، وليكون فى وضوح الآيات ما يذكر المؤمنين بأحكامها أو يجعلهم دائما متذكرين إياها.

ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِى فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِى دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾

أولا : الأســـــماء :

١ ـ الزاني : هو فاعل الزنـى، ومؤنثه الزانية. والزنى ـ فى الشرع ـ هو وطء الرجل المكلف الطائع المرأة المشتهاة أو التـى كانت من قبل مشتهاة (أى العجوز) فى قبلهـا، يكون بإدخال قدر حشفة قضيبه بغير ملك ولا شبهة ملك. فلا يعتبر من قبيل الزنى الذى فيه حد إتيان الفعل من صبى أو مجنـون، ولا الإيلاج فى دبر المرأة، ولا فـى قبل صغيرة غير مشتهـاة. ولا مع وجود شبهة حل من عقد بـاطل أو فاسد. وقيل إنه يشترط أن يكون ذلـك فى دار الإسلام ، فلا يكون من قبيل الزنـى الذى فيه حد إتيان الفعل فـى دار الحرب. والزانية هى من مكنـت الرجل من وطئها بإرادتها على هذا النحو.

٢ ـ **الجلدة** : فى قوله تعـالى «فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلـدة» هى واحدة «الجلد» وهو ضـرب الجلد، الأصـل أنه لايشترط فيـه أن يكون بـأداة فيكون باليـد، ويكون بـأداة مثل الجريدة الرطبة ومثل العصا واستعمل فيه السوط فى زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

ثانيا : التفســـــير:

بعد أن بين تعالى أن السورة ستأتى بأحكام مفروضة منـه تعالى، فقد جاء قوله تعالى ـ فى الآية ـ بحكم من أحكام التجريم والمعاقبة متعلق بجريمة الزنى، لم يعرف نص الآية الزنى، لأنه كـان معروفا لـدى العرب فى اللغة . وهـو فى حكم الشـرع «وطء البالغ المكلـف المرأة المشتهاة أو التـى كانت مشتهـاة ـ بمعنى العجـوز ـ فى قبلهـا ـ بغير شبهـة من عقد ولـو كان فاسـدا، فى دار الإسلام». وفـى النص ورد ذكـر الزانية قبـل ذكر الزانـى لبيان دور إرادتهـا فى حدوث الفعـل، وبيان أن المكرهة لا تعتبـر زانية. والحكم الـذى ورد به النص بشأنهمـا ـ أى بالزانية والزانى ـ هو الجلد مائة جلدة، بمعنى ضرب الجلد مائة ضربة، وفى التطبيق اعتبر أن الضرب بسوط ذى شعبتين تعتبر الضربة به لمرة واحدة بمثابة ضربتين .

وقيل إن «الفاء» فى قوله تعالى «فاجلـدوا كل واحد منهما» تفيد معنى الجواز لا الوجوب ، بمعنى أن المعنى يكون «إن جلدتم الزانية والزانـى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة»، وقد يكون المعنى هو «فإن توافرت شروط المعاقبة بالجلد فاجلدوا».

ثم إنه تعـالى أمر بعدم أخذ الـزانيين بالرأفة تكـون بتخفيف العقوبة بإنقـاص عدد مرات الجلد أو بجعلـه غير مؤلـم، والنهى عـن الأخذ بالـرأفة يشمل ــ من بـاب أولى ـ الإعفـاء من العقوبة.

وقد بين تعالى أن الرأفة لا تكون فيما شرعـه الله من أحكام بقوله «فى دين الله»؛ ولذلك لم تجز الشفـاعة فى حـد من الحدود. وجـاء تهييج المشاعـر للتمسك بإيقـاع الحد عند تـوافر شروطه بقوله تعالى «إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر» .

ثم إنـه تعالى نص علـى عقوبة تكميلية هـى «الإشهار» تكون بـإيقاع العقوبة فـى حضور طائفة من المؤمنين، قيـل إن المراد بها الرجل فما فوقه، وقيل ثلاثـة فأكثر. وقيل إن علة الأمر بهذا هى أن يدعو شهود توقيع العقوبة للزانييـن بالتوبة والرحمة، وقد يكون الصحيح أن العلة هى تحقيق الـردع العام. والحكم ـ فى الآية ــ يتعلق بغير المحصنين بالزواج. وقيـل غير هذا على ما سيأتى تفصيله .

ٱلزَّانِى لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾

التفســــير:

قيل إن مفاد نـص الآية هو أن الزانى لا يطـأ فى زناه إلا زانية من المسلميـن أو مشركة وأن الزانية لا يـزنى بها خلال الـوطء إلا زان من المسلمين أو مشرك، فيكـون المراد بالنكاح ــ فى معنى النص ـ هو الوطء.

وقد يكون الصحيح ـ والله أعلم ـ هو بيان عدم لياقة تزوج الزانى الذى أقيم عليه حد الزنى بالزواج من مسلمة عفيفة، وأنه لا يستحق أن يتزوج إلا بمـن كانت زانية مثله أو كانت مشركة، وذلك دون أن يفيد النص معنى إبـاحة زواج الزانى من الوثنية المشركة، وكـذا بيان عدم لياقة تزوج الزانية التى أقيم عليها حد الزنـى بمسلم عفيف، وأنها لا تستحق أن تتزوج إلا بمن سبق

له مقارفـة الزنى أو بمشرك يكـون أسوأ منه حالا، وذلـك دون أن يفيد النص معنى إبـاحة زواج المسلمة التى زنـت بالكافر أو المشـرك، لأن النص لم يرد فـى شأن بيان حكم شـرعى وإنما لبيان استقباح الزنى .

وقولـه تعالى «وحـرم ذلك على المـؤمنين» هو نـص صريـح فى بيان تحـريم الزنـى على المؤمنين .

وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا۟ لَهُمْ شَهَٰدَةً أَبَدًا وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٤﴾

أولا : الأســــماء :

المحصنات . جمع، مفـرده «المحصنة» والمراد بها فـى معنى الآية المحصنة بـالإسلام، فلا يشترط فيها الإحصان بالزواج. وهى المشترط فيهـا لإيقاع حكم النص توافر شروط: العفة، والحرية، والبلوغ، والعقل، والإسلام .

ثانيا : التفســـير :

الآية من آيات الأحكام، وردت بعقوبة جريمة القذف، أى بحد القذف. والجريمة على ما يبين من قوله تعالى «والذين يرمون المحصنات» هى اتهام المحصنة بالإسلام بمقارفة الزنى، ويدخل فيها اتهام الرجل المحصن بالزنى .

ويبين من النص أن الإعفاء من العقوبة يكون بالإتيـان بأربعة شهود يشهدون بأنهم عاينوا وقوع الزنى، ويستفاد مـن هذا معنى آخر هو أن إثبات الزنى ـ بغيـر الإقرار ـ لا يكون إلا بشهادة أربعة شهود. فـإذا لم يثبت الزنى بإقـرار المقذوف فى حقه ولا بشهادة الشهـود الأربعة وجب

إقامة حد القـذف على القاذف وهو ثمانون جلـدة عقوبة أصلية، وتطبيق عقوبـة تكميلية هى اعتبار القـاذف غير عدل، فـلا تقبل منـه شهادة، بمعنى أنـه يعتبر مفتقدا شـروط الشاهـد فى الدعاوى المرفوعة .

وقد بين تعالـى علة تشريعه هذه العقوبـة التكميلية بقوله «وأولئك هم الفـاسقون» بمعنى أنهم خرجوا على الطاعة وتجاوزوا الحدود لكونهـم لم يأتوا بالشهداء الأربعة، فيكونون فسقة على الظاهر، ولهذا لاتسمع شهاداتهم، أما حقيقة أمرهم فيعلمها الله تعالى.

والذى نـراه ـ والله أعلـم ـ هو أن النـص على وجـوب إثبات الـزنى بأربعـة شهود ـــ على صعوبة هذا، لأنه يندر أن يرتكب الزنى على مـرأى من شهود أربعة ـ قد أريد به تقييد القذف فى حق المحصنين بالإسلام أو اتهامهم بالزنى حتى لا تشيع الفاحشة فى مجتمع المسلمين، وذلك لأن مـن يشاهد ارتكاب الفعـل إذا ما علم أنـه إذا أخبربه ولـم يكن لديه شهـود أربعة يشهدون بما رأى فإنـه سيحجم عن اتهام المحصن أو المحصنة بالزنـى، فيتحقق المراد من النص، وفيه مصلحة المجتمع.

إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾

التفســـــير:

قولـه تعالـى ـ فى الآيـة ـ ورد بـاستثناء من حكمـه تعالـى فى القاذفيـن الوارد فـى الآية السابقة. ولما كانت الآية السابقة قد تضمنت أحكاما ثلاثة هى: الجلد، وعدم سماع الشهاة، والفسق، وكان نـص الآية يفيد استثناء الذيـن تابوا من بعـد إقامة حد القذف عليهـم، وهو ما يكـون بـالإقـرار بـالكـذب فيمـا رمـوا بـه المحصـن أو المحصنـة والتـوبـة الصـادقـة عـن الفعل،والإصلاح بطلب العفـو ممن رموه بالزنا ـ إن كـان حيا ـ ومن أوليائه الذيـن أقاموا عليه الحد ـ إن كـان قد مات ـ فقـد وجب بيان مجال هذا الاستثنـاء. والأمر المؤكد فيـه هو أنه لا يتعلق بعقوبة الجلد ـ وهى الحد ـ التى وقعت ونفذت، كذلك فإنه لا خلاف على أن التائبين

الذين أصلحوا يزول عنهم بهذا وصف الفسق، فيكـون الاستثناء متعلقا بالفسق ـ ويبقى بحث ما إذا كان الاستثناء يتعلق بعدم قبول الشهـادة أم لا، وفيه قيل إن الاستثناء لا يتعلق بعدم قبول الشهادة لأنها عقوبة، ولا تعتبر كذلك إذا قبلت بعد التوبة، وأنه لما كانت العقوبة علنية فإنها تنزل مروءة المعـاقب أمام الناس ونقص المـروءة يمنع من الشهادة فضلا عـن أن لفظ «أبدا» يفيد تأييد العقوبة. وقيل إنه تقبل الشهادة بعد التوبة والإصلاح لأن التوبة تجب ماقبلها، ولأن الأبدية مقيدة بحال الاستمرار على الفسق، ولأن الاستثناء هـو من جميع ما سبق. والراجح هو القول الأول .

وقولـه تعالى «فإن الله غفـوررحيم» هو بيان لكـونه تعالى غـافرا ذنب القاذف الـذى تاب وأصلح فلا يعاقبه به فى الآخرة من بعد التوبة، وأنه يرحمه بإدخاله فى رحمته .

وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٧﴾ وَيَدْرَؤُا۟ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٨﴾ وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٩﴾

التفسـير:

الآيات الأربع هى فى اللعان وبيان أحكامه وهو حكم يقوم مقام الحد إذا كان قذف ولكن من الزوج لزوجته. فقوله تعالى «والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم» يبين منه أن الحالة موضع الحكم هى رمى الزوج زوجته بالزنى، وقوله تعالى «فشهادة أحدهم أربع شهادات بـالله إنه لمـن الصادقين، والخـامسة أن لعنـة الله عليه إن كان مـن الكاذبيـن» يفيد

أمرين أولهما: هو أن رمى الزوجة بالزنـا لا يوجب الحد، وثانيهما أن اللعان يحل محل الحد. ثم إنه يبين مـاهية اللعان وكيفيته، وهو بأن يحلـف الرجل أربع مرات أنه صـادق، والخامسة يقرن بحلفه أن لعنة الله تعالى عليه إن كان من الكاذبين .

وقوله تعالى «ويدرأ عنها العذاب أن تشهد أربعَ شهادات بالله إنه لمن الكاذبين والخامسة أن غضب الله عليهـا إن كان مـن الصادقيـن» رأى فيه البعـض أن حلف الـزوج على النحـو المذكور يفيد قيام الحجة إلى جانبه وأنه لو امتنعت الزوجة عن تكذيبه بأن تحلف أربع مرات إنه لمـن الكاذبين، والخـامسة تقرن بحلفهـا أن غضب الله عليها إن كـان من الصادقيـن، لو امتنعت عن هذا فإنهـا تكون قد صدقته فى دعوى الزنى فيقـام عليها الحد، وذلك لأنهم رأوا فى قوله تعالى «ويدرأ عنها العذاب» مـا يفيد وجوب العذاب الدنيوى وهو «الحد» وأن الذى يدرؤه ويمنعه هو اللعـان. وعمم البعض هذا الحكم فيمن يمتنع عـن الحلف، وقال البعض إنه لا حد فيمن أبى الحلـف، ولكن يحبس الزوج حتى يلاعن، وتحبس الـزوجة حتى تلاعن. والراجح هـو أن اللعان قام مقام حـد القذف بالنسبة للزوج الـذى رمى زوجته بالـزنى، وأنه لا يحد لذلك حد القـذف ولو امتنع عن اللعان، لأن النص بالنسبة للـرجل عام، وهو مخصص للنص الخاص برمى المحصنات الذى يحل فى غير الزوجات.. وبالنسبة للمرأة فإن امتناعها عن اللعان بمعنـى الحلف لا يوجب فـى حد ذاته حدها وذلـك لوجود شبهة، فـأما إن أقرت بالزنـى من جانبها فـإنه يقام عليها حد الـزنى وقد دلت الأحـاديث على وجوب التفـريق بين الزوجيـن إذا تم اللعـان، وحكمة هـذا أن الثقة بينهما قـد زالت وأن المـودة التى تقـوم عليها الحياة الزوجية تكون قد افتقدت، فلا تكون الحياة الزوجية صالحة للبقاء .

وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾

التفســـــير:

قوله تعـالى ـ فى الآية ـــ تذييل لحكم اللعـان، والخطاب فى النص للرامـيـن والمرميات بالزنى من الأزواج يبين تعالى أنه لولا أنـه تفضل عليهم بحكم اللعان من باب رحمته لكانت الزوجة قد أقيم عليهـا حد الزنى، أو لكان الزوج قد أقيم عليه حد القـذف، وذلك فيما لو كان

تعالـى قد جعـل شهادة الزوج مـوجبة حد الـزنى، أوكـان لـم يشرع حكـم اللعان لأنـه يكون مستحقا فيـه حد القـذف. ثم إنـه لما كـان ما يسقـط من العقـاب هو العقـاب الدنيـوى مع استحقاق العذاب الأخـروى، فإنه تعالى ذكر أنـه ثواب حكيم، لأنه يتيح للزوج إن كـان قاذفا بالكـذب، ويتيح للزوجـة إن كانت قـد حلفت كاذبة الفـرصة للتوبـة بالإقرار وطلـب العفو، فيكـون تشريـع اللعان جميعـه هـو فضل منـه تعالـى ورحمة لحكمـة بـالغة يحـاط بها مـن التشـريع.

إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡۚ لَا تَحۡسَبُوهُ شَرّٗا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۚ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُم مَّا ٱكۡتَسَبَ مِنَ ٱلۡإِثۡمِۚ وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ مِنۡهُمۡ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١١﴾

أولا : الأسـمـاء :

١ ـ الإفــك : هو الكذب والافتراء وهو البهتان .

٢ ـ الكبــر : فى قوله تعالى «والذى تولى كبره» هو البداءة بالشىء .

ثانيا : التفسـير:

قوله تعالـى ـ فى الآية ـ فى واقعـة الإفك المشهورة، وموجزها أنـه ﷺ كان قد اصطحب زوجه عائشـة رضى الله عنها فى غزوة بنـى المصطلق، وكان الجيش فى راحـة، وذهبت رضى الله عنها لقضـاء حاجـة لها، فلمـا رجعت اكتشفت انقطـاع عقد لهـا كان بـرقبتها، فـذهبت تلتمسه، وتحرك الجيش أثناء ذلك وحمل الرجال هودجهـا خاليا منها ظنا منهم أنها به، فلما رجعت تبينت رحيل القوم فبقيـت مكانها إلى الصباح لم يوقظها إلا قـول صفوان بن المعطل السلمى «إنا لله وإنـا إليه راجعون» انطلق بها علـى راحلته حتى أتيا جيـش المسلمين، فقال أهل الإفك فيها وفـى صفوان من قال بعد أن تولاه وبـدأ به عبد الله بن أبى ابن سلـول، وهو ما أحزن رسول الله ﷺ والمؤمنين إلى أن أنزل الله تعالى قرآنا ببراءة عائشة .

وفى الآية ذكر تعالـى أن الذين جاؤوا بالإفك هم عصبة مـن المؤمنين، وأول المستفاد من القول هـو أن الحديث فى أمـر عائشة وصفوان هـو حديث كـذب وافتراء، وأن القائلين بـه قد جاءوا بـه من عند أنفسهـم دون أن يكون له ظل مـن حقيقة، وأن القائليـن به هم عصبـة من المؤمنين، بمعنـى أنهم شرذمة قليلة العدد وأنهـم بعض من المؤمنين ، قيل إنهـم عبد الله بن أبى، وحسان، ومسطح .

ثم إنه تعالى بين أن رواية الإفك المشهورة ليست شـرا للمؤمنين ولذلك نهاهم تعالى عن حسبان هذا، وأثبـت أن فى حديث الإفك خيـرا للمؤمنين وذلك لنيلهم الثـواب العظيم على أذى القائلين بالإفك وتنزيله تعالى الآيات فى تعظيم شأنهم .

ثم أوضح تعالى أن لكـل من شارك فى حديث الإفك جزاءه يكـون بقدر مساهمته فيه، إذ تكلم فيه البعض، وضحك البعض معجبا بالقول، فأثبت تعالى أن جزاء كل منهم يكون بقدر فعله، وأن الذى بدأ الحديـث «الذى تولى كبره» وهو عبد الله بن أبى ابـن سلول معاقب بفعله عقابا شديدا فى الدنيا والآخرة. قيل إن رسول الله ﷺ جلده بحد القذف فيكون قد نال عذاب الدنيا، وقيل لم يجلده. والثابت بالقول أنه معذب فى الآخرة عذابا عظيما .

لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾

التفســـــير:

الخطاب ـ فى الآيـة ـ إلى المؤمنين الذين خـاضوا فى حديث الإفك والـذين قبلوه ممن سمعوه، يعرفهم الله تعالى ما كان واجبا عليهـم عمله حين سماعهم الحديث، فجاءت «لولا» التحضيضية للتوبيـخ على عدم العمل بالواجـب، والواجب الذى كان مفترضـا عمله هو أن يكون الظن الحسن بالمؤمنين عند سماع حـديث الإفك، بمعنى أن يستبعد المؤمنون أن يقع مثل هذا الفعل من البعض منهم، ويكون الاستبعاد بـالغا درجة الامتناع بالنسبة لأم المؤمنين عائشة ابنـة الصديق، وذلك لأنه لايتـوقع ممن حسن إيمـانه إلا الخير فى العمل؛ ولهـذا فإنه

يكون من المؤمنين لدى سماع مثل هذا الحديث التقرير بأنه كذب صراح يفضح نفسه أنه كذب ويفصح عن هذا بمخالفته المعقول والمقبول .

لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾

التفسـير:

القول ـ فى الآية ـ استرسال فى بيان ما كان واجبا عمله من الذين سمعوا قول الخائضين فى حديث الإفك ولتوبيخهم على التقاعس عنه، والذى كان واجبا عليهم عمله هو طلبهم أن يأتى الخائضون بأربعة شهداء يشهدون بما دار عليه حديث الإفك، ثم تقريرهم ـ لدى عدم الإتيان بالشهود الأربعة ـ أن الخائضين كاذبون عند الله تعالى لعدم إتيانهم بالدليل الشرعى.

ويقبل القول أن يكون مفاد قوله تعالى «فإذا لم يأتوا بالشهداء فأولئك عند الله هم الكاذبون» مفيدا تقريره تعالى كذب الخائضين فى الحديث بعلمه تعالى حقيقة الأمر، وبيان أنه لهذا السبب لم يستطع الخائضون أن يأتوا بالشهود الأربعة .

وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾

التفسـير:

لايزال الخطاب منه تعالى إلى الخائضين فى حديث الإفك لبيان شناعة فعلهم وأنه كان مستوجبا تعذيبهم عذابا عظيما فى الدنيا يستحقرونه التوبيخ والجلد، وفى الآخرة يكون

بخلودهـم فى النار، وفى القـول يبين تعالى أنـه لم يقدِّر عليهـم هذا من قبيل تفضلـه عليهم بالنعم ورحمتـه إياهم التى سبق بهـا القول تكون لهم فى الدنيـا والآخرة. ولذلك فإنـه تعالى أمهلهم لتكون منهم التوبـة سببا للعفو عنهم وغفران ذنوبهم، والقول لا يسـرى على من تولى كبر الفعل وهو عبد الله بن أبى .

إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾

التفســـــير:

الخطاب لايزال للخائضين، وفيـه جاءت «إذْ» ظرفا للمس فى قوله تعـالى «لمسكم فيما أفضتم فيه» فيكـون المعنى أنه لولا فضل الله ورحمتـه لكان قد مسكم العـذاب وقت تلقيكم القول بألسنتكم.

وفى القول جاء قولـه تعالى «إذ تلقونه بألسنتكم» فى قمة البلاغـة إذ جاء التعبير عن تلقى السامعين قول الإفك بأنه قد تم عن طريق ألسنتهم وليس أسماعهم، وذلك ليدل على أمرين أولهما هو غياب العقل تماما لدى قبول المسموع ولدى ترديده، والثانى هو المبادرة بالحديث فيه باللسان وترديده بمجرد تلقيه؛ ولهذا جاء قوله تعـالى «وتقولون بأفواهكم مـا ليس لكم به علم» ليدل على أنهم قالوا بحديث أفواه ليس له أصل يصدقه فى القلوب .

ثم إنه تعالى بين أن فعل هؤلاء الخائضين فى الحديث بألسنتهم ، والذين تلقوا الحديث فرددوه بألسنتهم دون أن يوافـق ما فى قلوبهم ودون أن يكون له أصل مـن واقع، هو إثم عظيم عنده تعالى كان مستوجبا أن يعاقبوا عليه حال تلقيهم القول وإن اعتقدوا خطأ أنه عمل يسير لا يستوجب عقابا .

وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾

التفســــير:

يبين تعالى - في الآيـة - ما كان واجبا عمله من السامعين حديـث الإفك والخائضين فيه عند سماعهم إياه، وهـو الإحجام عن ترديد القول أو الحديث فيـه و إنكارهم على أنفسهم أن يصدر منهـم، مع التعجـب من قـدرة البعض علـى التفوه بـه - علـى المستفاد مـن قولهـم: سبحانك - ثم إقرارهم في أنفسهم وبألسنتهم أن الحديث المسموع هو كذب مفضوح يبهت سامعه لعظم ما ينطوى عليه من الذنب الذى تقصر دونه الذنوب .

﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾﴾

التفســــير:

بعد أن بين تعالى للخائضين فى حديث الإفك جسامـة إثم أفعالهم فإنه تعالى - من باب رحمتـه بهم - ينصح لهـم بعدم العـودة إلى مقـارفـة مثل هـذا الذنـب بأعمـال من جنسـه، ويحضهم علـى التمسك بالنصيحـة ببيان أن ذلك هـو فعل المؤمنيـن، مما مفاده - بمفهوم المخالفة - أن تاركى العمل بها لا يعتبرون مؤمنيـن كاملى الإيمان. ثم أتبع نصيحته المؤمنين بذكـره أنه ينزل الآيـات المتعلقة بالأحكام والشـرائع وكيفية التعامـل بين المؤمنيـن بعضهم والبعض على نحـو واضح يبين الأحكام والشرائع وقـواعد الأخلاق ليكون الالتـزام بها، يكون ذلك منـه بحكم علمـه بطبائع النـاس وبمقتضى حكمتـه التى جعلـت ما ينـزل من أحكـام وقواعد أخلاقية مناسبا طبائع الناس.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْأَخِرَةِۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾﴾

التفســــير:

قولـه تعالـى ـ فى الآيـة ـ يتضمن معنييـن: أحدهمـا عام ومفاده أن مـن المصالـح التى يحميها الشرع عـدم شيوع الفاحشة فى مجتمع المسلميـن، وأنه لما كان شيوع الفـاحشة فى المجتمع ـ وهى الخصال المفرطة فى القبح ـ يكون بـانتشارها، ومن العوامل المؤثرة فى هذا كثرة الحديث بشـأن وقوعها، لأنه يهون أمرها علـى آخرين، فقد كان الحض علـى ستر ما لم يفضح ويعرف من أفعالها.

والمعنى الخاص يتعلـق بهؤلاء الذين روجوا حـديث الإفك عن قصد أن تنتشـر الفاحشة فعلا أو قولا فى مجتمع المسلمين، وقد ذكر تعالى ـ فى نص الآية ـ أن لهؤلاء بسبب قصدهم وفعلهم عذابا أليما فـى الدنيا، قد يكون بعقابهم وقد يكون بإذهـاب النعم عنهم وعذاب أليم فى الآخرة.

وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾

التفســــير:

الخطاب ــ فى الآية ـ للـذين رددوا قول الإفك فيمـا عدا عبد الله بـن أبى ومن ماثلـه من المنافقيـن. وقيل هو لحسـان ولمسطح. ومفاد القـول أنه تعالـى تفضل عليهم ورحمهـم من العذاب الذى استحقـوه بترديدهم قول الإفك، وأنـه لولا هذا لكان لهم منه أشـد العذاب فى الدنيا والآخرة، ثم إنه تعالى أمهلهم ليتوبوا رأفة ورحمة منه.

۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَإِنَّهُۥ يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾

التفســـــير:

تضمن قولـه تعالى ـ فـى مبتدأ الآية ـ نهيـا عن اتباع خطوات الشيطـان، بمعنى السلوك مسلكه المتمثل فـى عصيان ربه ما أمربه، وبمعنـى الانصياع إلى وساوسه بما يضـر، فيدخل فيها الوسوسة بإشاعة الفاحشة فى مجتمع المسلمين.

ثم إنه تعالى بين أن اتباع الشيطان من شأنه ارتكاب ما نهى عنه تعالى وذلك ببيان أن من يطيع الشيطان فإنه يطيعه فيما يستهدفه من مقارفة الفحشاء، ومن فعل كل ما ينهى عنه الشرع وهو ما يستوجب حلول غضبه تعالى على المنصاع لأوامر الشيطان .

ثم إنه تعـالى يبين خطورة الشيطـان للتحرز منه بقولـه «ولولا فضل الله عليكم ورحمتـه ما زكى منكم مـن أحد أبدا» والمعنى هـو أنه لولا أنه تعالـى تفضل عليكم بنعمه ليـرحمكم من التعرض للعذاب بسبـب طاعة الشيطان لما كان لأحـد القدرة على عدم طاعته، لكنـه تعالى تفضل علـى الناس فأنزل لهـم الآيات البينات فاعتبـربها البعض وامتنعوا علـى الشيطان أن يطيعوه، وشرع التوبة ليتوب الذين أزلهم الشيطان عما انساقوا إليه ولايعودون لمثله. ولولا هذا الفضل منه تعالى لما كان لأحد أن يطهرمن دنس الذنوب .

ثم إنه تعالى يبين أنـه الذى يزكى من يشاء من دنس الآثام تفضلا منـه تعالى عليه بواسع رحمته فلا يكون منه اتبـاع خطوات الشيطان، وذلك لكونه السامع ما يكـون من استعاذته بالله من الشيطان أو السامع توبته، والعليم بنيته أن يخلص من الإثم وألا يقارفه قصد عدم إغضابه تعالى.

وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينَ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾

التفســـــير:

بدأ قولـه تعالى ـ فى الآيـة ـ بنهى، إذ نهى تعالى أصحـاب الزيادة فى الديـن والسعة فى الرزق عن الحلف «ولا يأتـل» على عدم إيتاء أولى القربى والمساكين والمهـاجرين فى سبيل الله الصدقات التى اعتادوا التصدق بها عليهم. وهذا النهى يتعلق بسبب نزول الآية وهو حلف أبى بكر رضى الله عنه علـى عدم أداء ما جرى عليه فعله من التصدق علـى مسطح الذى كان من أقربائه لما كان منه من خوض فى حديث الإفك وذلك من بعد أن بين تعالى براءة عائشة من حديـث الإفك. فتكون الصفات الثلاث قد اجتمعـت فى مسطح، لكونه قريبـا لأبى بكر وكونه مسكينا، ومن المهـاجرين فى سبيل الله، ثم إن ورود النهى للجمع يفيـد عمومية النهى بمعنى وجوب أن يمتثله المؤمنون جميعا .

ثم جاء من بعد النهى الأمر بالعفو والصفح، أى بالعفو عما صدر من المتصدَّق عليهم من خطأ فى حق المتصدِّق وبالإغضاء عنهم وعدم مؤاخذتهم به.

ثم إنه تعالى حبب إلى ذوى الفضل منه والسعـة العفو عمن أذاهم والصفح عنه ببيان أنه تعالى يجازيهم بهذا غفران ذنوبهم بحكم كونه الغفور الرحيم .

إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾

التفســـــير:

قولـه تعالى ــ فى الآية ــ فى بيان مدى جسـامة إثم الـذين يقذفـون فى حق المـؤمنات باتهامهن بـالزنى فيذكر تعالى أن الذيـن يدعون الزنى على المحصنات بـالإيمان، الغافلات عن سبب يتيح لأحد أن يخوض فى شرفهن وعفتهن لكونهن عفيفات فى أنفسهن، المؤمنات بما يجب أن يكـون به الإيمان. أن الذيـن يدعون على المحصنـات هذا ملعونون مـن الناس

والملائكة فى الدنيا والآخـرة، وأنه مقدر لهم فوق هذا منه تعالى عذاب عظيـم بسبب ما قرفوا من ذنب عظيم.

﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾﴾

التفســـــير:

الآية مرتبطـة بما قبلها، والذى نـراه ـ والله أعلم ـ أنهـا بينت أن الحكم على القـاذفين فى حق المؤمنـات باللعنة فى الـدنيا والآخرة مقصور علـى القاذفين فى حـق نساء رسول الله ﷺ وأهل بيته قصد النيل منـه ﷺ أو الطعن فيه أو القاذفين فى حق نسائه وأهـل بيته من بعد نزول النص. دليلنا على هذا أن اللعنـة فى الدنيا والآخرة والطرد من رحمة الله تعـالى مفاده الخلود فى النار وهو ما لا يكـون إلا لكافر، والكفر صفة من رمى فى حـق نساء رسول الله ﷺ وأهل بيته قصد النيـل من مكـانته ﷺ، فيكـون ذلك كفرا بـرسول الله ﷺ يستـوجب الطـرد من الـرحمة والخلود فى النار.

أما الرمى فـى حق نساء المؤمنين عامة فـلا يعد كفرا يستوجب الطرد مـن الرحمة والخلود فى النار. ثم إنه لـمـا كان منه ﷺ أنه حد الخائضين والقاذفين فى حـق عائشة رضى الله عنها دون أن يعتبرهـم مرتديـن ـ أو لم يحـدهم فى قول آخـر ـ فقد بيـن ﷺ أن من قذف فـى حق إحدى نسائه قبل نزول نص الآية لا يعتبر كافرا مطرودا من رحمة الله مخلدا فى النار.

ثم إنه تعالى يصف فـى نص الآية ما يكون يوم القيامة من حال هـؤلاء المعتبرين كافرين بقذفهم فـى نساء رسول الله ﷺ وأهل بيته. وهو أن جـوارحهم تشهد عليهم فتخبر كـل جارحة بما صدر منها.

ثم إن مفـاد قولنا فى المسـألة لا يفيد معنى أن القـاذفين فى حـق نساء المؤمنين عـامة لا يسألون عن جنايتهـم فيعذبون بها ، أو أن جوارحهم لا تشهد عليهم يـوم القيامة، وإنما مفاده هو أن من لم يتب منهم ويستعفى المقذوف فى حقه يعذب بفعله دون أن يعنى هذا طرده من

رحمة الله وخلوده فى النار.

﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾﴾

التفســــير:

مفاد قوله تعالى ـ فـى الآية ـ هو أنه فى ذلك اليوم ـ وهو يوم القيامـة ـ يكون منه تعالى أنه يجازى القاذفين فى حق المؤمنات الجزاء الحق الذى يستحقونه بما قرفوا فيعلمون من نوعية الجزاء وحجمـه أنه تعـالى هـو الإله الحق الظـاهرة ألـوهيته لما يتبينـون من إحـاطته التـامة بأعمالهم وبما انطـوت عليه قلوبهم من مقاصد وأهداف حاسبهم بهـا، فيكون من المنافقين منهم العلم بما ارتابوا فيه فى الدنيا من أنه تعالى هو الحق المبين .

﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ ۖ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾﴾

التفســــير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ يتعلق بحكم عام جرت عليه سنته فى خلقه، وهو أن الخبيثات من النساء اللاتى فسد دينهن أو فسدت أخلاقهن وفعالهن يكن للخبيثين من الرجال الذين فسد دينهم أو خلقهم وفعالهم، بمعنى أن الخبيثات ـ علـى هذا النحو ـ يكن مختصات بالخبيثين من الرجال، وأن الرجال الخبيثين يكونون للنساء الخبيثات لايتجاوزونهن إلى غيرهن.

ومن الحكم الذى جرت بـه سنته تعالى أيضا أن الطيبات من النساء الـلاتى صلح دينهن وصلحت أخلاقهـن وأفعالهن يكن مختصـات بالرجال الطيبيـن، كما يكون الرجـال الطيبون مختصين بالنساء الطيبات .

وتبدو عـلاقة الحكـم بما سبق وروده فـى الآيات متعلقـا بقصة الإفك ببيـان أنه لمـا كان رسول الله ﷺ هو الأطيـب من ذرية آدم دينا وخلقـا وفعلا فإنه يكـون ـ على ما جـرت به سنته تعالى ــ مختصا بالطيبات مـن النساء ومنهن أم المؤمنيـن عائشة رضى الله عنهـا لا يقبل فيها قول الأفاكين .

وجاء قوله تعالـى «أولئك مبرءون مما يقولون» مشيرا إلى أطيـب الطيبات والطيبين ومنهم السيدة عائشة وصفوان ومخبرا عنهم بأنهم مبرءون مما يقال فيهم من إفك من أهل الإفك.

ثم جاء قوله تعـالى فيهم «لهم مغفرة ورزق كريم» ليثبت أن لهم منـه تعالى مغفرة عظيمة تكون لما قد يقع منهم ومنهن من هنات لا يخلو مـن فعلها بشر، وأن لهم ولهن منه رزقا كريما قيل إنه رزق الجنة.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾

التفســـير:

قولـه تعالى ــ فى الآيـة ــ فى حكـم من الأحكام المتعلقـة بمكارم الأخلاق، وفـى حسن التعامـل والتعايـش فى مجتمع المـؤمنين، ذلـك أنه لمـا كان المرء فـى بيته علـى طبيعته لا يتكلف شيئا يحب ألا يراه الناس على غيره، وكانت النسـاء حال خلوهن بأنفسهن فى بيوتهن لا يتقيدن بما يتقيدن به حال تعرضهن لأنظار الناس، فـإنه وجب حماية من هو فى بيته من أن يطلع عليه على حاله آخرون مراعاة لحرمة البيت وحرمة ساكنيه.

ولهذا جاء أمره تعالى المؤمنين ألا يدخلوا بيـوتا غير بيوتهم إلا من بعد الاستئذان من أهلها يكون به الاستئناس وإذهاب الاستيحاش، ومن بعد أداء تحية الإسلام بإلقاء السلام.

ويلاحظ أن البيت لا يكون معتبرا ـ فى حكم النص ــ بيت الداخل إليه فيما لو كان مؤجرا

لآخر يقيم فيه إذ يعتبر البيت فى حكم النص ـ بمراعاة العلة ـ بيت مستأجره.

وقد اختلف فيما إذا كان الاستئذان يسبق السلام أم العكس. وظاهر النص يفيد أن الاستئذان يكون قبل السلام، وقيل إن السلام يكون قبل الكلام. وقيل إنه إذا وقعت عين طالب الدخول على من فى البيت قدم السلام، وإلا فإنه يقدم الاستئذان.

ثم إنه تعالى أثبت أن ما أمر به من استئذان وسلام خير من الدخول بغتة، ومن عدم إلقاء التحية أو إلقاء تحية غير سلام المسلمين، وبين أن تعريفه المؤمنين هذا هو ليكون منهم تذكره والعمل به على ما يبين من قوله تعالى «ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون» .

فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَآ أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ ۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا ۖ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨﴾

التفسـير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ إتمام للمأمور به من سبل تحقيق مكارم الأخلاق وحسن التصرف فى مصارف المعايش. والنص يتعلق بالحالة التى يخلو فيها البيت من أهله، نهى تعالى طالب الدخول حال تبينه خلو البيت من أهله عن دخوله، وذلك ما لم يأذن لهم فى دخول البيت من يملك الإذن بهذا، وذلك لما فى دخول البيوت من اطلاع على أحوال ساكنيها بملاحظة متاعها، ولانطواء دخولها على اجتراء على ملك الغير.

ثم قال تعالى «وإن قيل لكم ارجعوا فارجعوا، هو أزكى لكم» وفى القول جاء الفعل «قيل» مبنيا للمجهول لبيان أنه لا يشترط صدور القول بالرجوع ممن يملك الإذن بالدخول، وأنه يكفى أن يكون القول صادرا من أى من أهل البيت، فإن قال أحد من أهل البيت لطالب الدخول «ارجع» وجب على هذا أن يرجع وألا يلح فى طلب الدخول .

ثم إنه تعالى بين أن الـرجوع حالئذ يكون أطهر وأتقى لطالب الدخـول وأصون لكرامته من الإلحاح على الدخول على ما فيه من دناءة ورذالة .

ثم إنه تعالى بين أن المـؤمنين مأمورون بما ورد فى نص الآية وأنه مؤاخـذهم بطاعته فيما أمر أو بعصيانـه وفقا لما يكون منهـم بحكم علمه بما يعملون وأنـه مجازيهم به، وذلـك بقوله تعالى «والله بما تعملون عليم».

﴿لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٩﴾﴾

أولا : الأســـــماء :

البيوت غير المسكونة : فى قوله تعالى «أن تدخلوا بيوتا غير مسكونة» المراد بها ـ فى معنى الآية ـ غير المتخـذة محالا دائمة لإقامة أشخاص بـذواتهم، أو ما يطلق عليه الأماكـن العامة التى يبـاح دخولهـا للجميع مثـل المقاهى ، والأنـدية، والحمـامات العمـومية، والخـانات، يدخلها الناس أو فئات منهم لقضاء مصالح لهم أو للراحة .

ثانيا : التفســـــير :

رفع تعالـى ـ فى الآية ـ القيد أو الشـرط المتعلق بالاستئذان والتسليم لـدى دخول البيوت بالنسبـة للمحال العـامة التى يبـاح دخولها لجميـع الناس مقـابل مال يـؤدى أو بغير مقـابل لـلانتفاع بهـا أو لقضاء مصلحـة مثل الخـانات تطلـب للاستـرواح فيها، ومثـل الحمامـات العمومية يلتجأ إليها للاغتسال، وقد أوضـح تعالـى أن دخول هذه الأماكن العامة يكون لقضاء مصالح خاصة بمرتاديها أو داخليها بقوله تعالى «فيها متاع لكم».

ثم إنـه تعالى بيـن أن الترخيـص بدخول هـذه الأماكن دون استـئذان لاينقض علـة الأمر

بالاستئـذان وهى المحافظة علـى اعتبار الناس ومحـارمهم ، فجاء قـوله تعالى «والله يعلـم ما تبدون وما تكتمون» لبيان أنـه تعالى يؤاخذ من استهدف بدخـول محل من هذه المحال دون استئذان الاطلاع علـى عورات الناس، أو غرضا غير مشـروع، فيعاقبه بما صدر منـه معلنا، وما أكنه فى نفسه من غرض خبيث .

﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٣٠﴾﴾

التفســـــير:

قولـه تعالـى ـ فـى الآية ـ هـو فى مـزيد من الأحكـام الشرعيـة المتعلقة بمكـارم الأخلاق المرتبطة بالمصالح التى يحميها الشرع بطريـق مباشر أو غير مباشر، ومنها المصلحة فى عدم تفشى الفاحشة فى مجتمع المسلمين، والمصلحة فى المحافظة على الأنساب.

وفى القول جاء الحكم الشرعى على لسان رسول الله ﷺ المأمور للإبلاغ به لكون موضوعه متعلقا بتفصيلات أحكام يكون ﷺ، وولى الأمر هو الأقرب إلى المأمورين بطاعتها .

والمأمور به هو أن يغض المؤمنون من أبصـارهم وأن يحفظوا فروجهم، وأصل الإغضاء هو إطباق الجفـن على الجفن والمـراد به هو كف البصـر وصرفه عمـا يحرم النظر إليـه والتطلع. وجاءت «من» فـى قوله تعالى «يغضوا مـن أبصارهم» لمراعاة واقع أن البصـر يحيط بمجموع مرئيـات خلاف ما وجه إليـه فيكون غضه عمـا هو محرم النظـر إليه منها، ولأن البصر قـد يقع فجأة على شـىء من هذه المحرمـات غير الموجه إليها فيكـون الالتزام بالغض والإثـم بتركه متحققا بـدوام النظر بعد نظـرة الفجأة أو من بعـد الإحاطـة العفوية بـالمنظور من الحـرمات. وحفظ الفروج المأمور به هو حفظها من الزنى واللواطة.

وقيل إن المراد به فى هذه الآية وحدها دون سائر آيات القرآن هو حفظها من الرؤية وهو ما يكون بسترها. ورد على هذا بأنه يخالف ما عليه تفسير معنى حفظ الفروج فى القرآن .

وقولـه تعالى «ذلـك أزكى لهم وأطهـر» مفاده أن ما أمـر به تعالـى من غض البصـر وحفظ الفروج هو أطهر للمؤمنيـن من دنس الريبة والسبيل الذى قد يؤدى إلـى الكبيرة، كما أنه أنفع لهم فى دينهم ودنياهم .

ثم جـاء قوله تعـالى ـ فـى ختام الآية ـ «إن الله خبيـر بما يصنعون» لبيـان أنه تعالـى يعلم حقيقة ما يقع مـن الناس، فلا يعتقد أحدهم أنـه إذا أطال النظر إلى ما حرم النظـر إليه أنه لم يأثـم لأنه إنما نظر نظـرة أولى، ولا يعتقد أنه إذا استعمـل حاسة مـن حواسه فى إشبـاع شهوة محرمة مع من لا تحل له أنه لم يأثم لأنه لم يكشف لها عن عورته.

فيكون معنى القول أنـه تعالى محاسب بما يصنـع الناس من أفعال على حقيقة نـواياهم دون أن تجوز عليه تعالى أفاعيلهم .

وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ
وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ
بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ ءَابَآئِهِنَّ أَوْ ءَابَآءِ
بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَآئِهِنَّ أَوْ أَبْنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَٰنِهِنَّ أَوْ بَنِىٓ إِخْوَٰنِهِنَّ
أَوْ بَنِىٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوْ نِسَآئِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيْرِ
أُوْلِى ٱلْإِرْبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ عَلَىٰ عَوْرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ ۖ
وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ
جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾

أولا : الأســـماء :

١ ـ الخُمر : فى قوله تعالى «وليضربن بخمرهـن» جمع ، مفرده «الخمار» وهو ما تغطى به

المرأة رأسها من غطاء .

٢ ـ **الجيوب** : فى قوله تعـالى «على جيوبهن» جمع، مفرده «الجيب» وهـو شق يكون فى أعلى القميص يظهر منه نحر المرأة وصدرها .

٣ ـ **الإربـــة**: هى الحاجـة ، والمراد بها ـ فـى معنى الآية ـ الحـاجة إلى النساء أو الـرغبة فيهن أو اشتهاؤهن .

ثانيا : التفســــير:

رغم أن توجيـه الأمر فى الآيتين السـابقتين إلى المؤمنيـن يشمل النساء المؤمنـات، إلا أنه تعالى خص النساء بـالمأمور به فى الآية لتأكيد المعنى ولصفات خـاصة فيهن تتعلق بطبيعة تكوينهن وما يكون منهن فى ظروف معيشتهن .

ففى القول يأمر تعـالى رسوله ﷺ أن يأمر نساء المؤمنين أو النسـاء المؤمنات بغض البصر من الرجل الغريب عنها فلا تنظر إليه ولو بغير شهوة.

والمعلوم أنه إن كان بين المـرأة وبين الرجل سبب تحريم من نسـب أو رضاع لم يحرم من النظر إليه إلا ما بين السـرة والركبة، إلا أن يكون بشهوة فيحرم وأن يأمرهـن ﷺ بحفظ فروجهن، والمراد به حفظها عن الزنى والسحاق وعن الإبداء .

وفى القـول نهى للنساء عن إبـداء زينتهن بمعنى ما يتـزين به من الحلى وما ماثلـه إلا ما جرت العـادة والطبيعة علـى إظهاره أو ظهوره مثـل الخاتم والكحـل والخضاب فـى الكف، والنهى عن إبداء ما يتـزين به خلاف هذا مثل ما يوضع فى الصـدر والعنق والأذن هو نهى عن إظهار أو إبداء مواقع هذه الزينة من جسم المرأة.

وفيه أمـر إرشادى لإعـلام النساء كيفيـة إخفاء بعـض مواضـع الزينـة من بعـد النهى عـن إبدائهـــا وهو بوضـع الخُمر التى يستتر بهـا فى فتحات الأقمصـة التى تلبس لإخفـاء النحور والصدور.

ثم إنه تعالى أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن ينهى المؤمنات ـ مكررا ـ عن إبداء زينتهن

مع بعض الاستثنـاءات التى دفعت إليها ضرورة فيكون فيهـا إبداء الزينة، وفيها يكـون إبداؤها للأزواج وذلـك بحكم كـونهم الـذين يتـزين لهـم وأن لهم النظـر إلى جسـم المرأة، ويكـون للمحـارم على التـأبيد وهـم آبـاء النساء و إن علـوا، وأبنـاؤهن و إن سفِلـوا، وأبناء أزواجهـم، و إخوانهن، وبنو إخوانهن، وبنو أخواتهن.

ويلاحظ أنه لم يـذكر فى هؤلاء المحرمين على التأبيد الأعمـام والأخوال لأنهم فى معنى الإخوان، وذلـك لاعتبار الجـد والدا فيكون ابنـة مثل الأخ، وقيل إن الأحـوط هو الاستتـار منهم لاحتمال أن يصفوهن لبنيهم فيؤدى هذا إلى نظر بنيهم إليهن.

وكذا يبيـح النص إبداء الزينـة لنساء المؤمنات المختصـات بمصاحبتهن وخدمتهـن من الحرائر المؤمنات وذلك ـ على ما قيل ـ لأن المؤمنات يتحرجن من وصفهن للرجال وهو ما لا يكون مـن الكوافـر ومن الـذميات ويبيـح أيضا ــ على ظـاهره ــ إبداء الـزينة للعبيـد والإماء المسلمات والكتابيات، وقيل إنه يباح للإماء فقط دون العبيد لكونهم كالأجانب. ويبيح أيضا إبداء الزينة للتابعيـن غير أولى الإربة من الرجال، وهم الذين يتبعـون الناس ليصيبوا نصيبا من الطعام ممن لا شهـوة لهم فى النساء مثـل الشيوخ الطاعنين فـى السن الذين فنـت شهواتهم والممسوحيـن الذين قطعت أعضـاء الذكورة فيهـم وخصاهم، ويبيـح إبداء الزينة لـلأطفال الذين لم يعرفوا بعد ماهية العورة ولا يميزون بينها وبين سائر أعضاء الجسم، أو الأطفال الذين لم يبلغوا حد الشهوة والقدرة على الجماع .

كما تضمن القول نهـى النساء عن أن يضربن بأرجلهن ليسمع صـوت قعقعة خلاخيلهن، لأن ذلك قد يلهب خيال الرجال فيثير فيهم الشهوة لهن .

وفى ختـام الآية جاء قـوله تعالـى «وتوبوا إلـى الله جميعا أيها المـؤمنون» وفيه تـم صرف الخطاب عن رسـول الله ﷺ القائل للنساء أوامر ربه ونواهيـــه، وتوجيهه إلى المـؤمنين وهو أمـــر بالتوبة إليه تعالى، والمعنى المستفـاد هو أنه ما من أحد إلا وقد قرف ما يجب أن تكون منه توبة، وقد يكون منه ارتكاب بعض ما نهـى عن ارتكابه فى الآية، وعدم أداء أو فعل ما أمر به.

والقول هو فى بيان وجوب التوبة على المؤمن على أن تكون صادقة.

﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾﴾

أولا : الأســـماء :

الأيامى : جمع مفرده «الأيـم» وهو كل ذكر ليس له أنثى، وكل أنثى ليـس لها ذكر، وأكثر ما تستعمل فى الرجل إذا ماتت امرأته، والمرأة إذا مات زوجها.

وقيل إن المـراد بها ــ فى معنـى الآية ـ هـو «الثيب» لقـوله ﷺ: «الأيـم أحق بنفسهـا من وليهـا» .

ثانيا : التفســـير :

قوله تعـالى ـ فى الآية ــ هو فى الحض على الـزواج. تناول الأحرار والعبيد. فقولـه تعالى «وأنكحوا الأيامى منكم» هو خطاب للأولياء وللـذين لهم تأثير على إرادة الأيم من والد أو أخ بتزويج من لا زوج لـه من ذكر أو أنثى من الأحرار، وخصـه البعض بكونه فيمن كانـت متزوجة ففقدت زوجها برزء طرأ عليها، ثم فى البكر التى لا زوج لها.

وقولـه تعالـى «والصالحين مـن عبادكم و إمـائكم» جـاء فيه الأمر إلـى السادات بتـزويج عبيدهم و إمائهم، والراجح أن الأمر بالتزويج لا يفيد الوجوب و إنما يفيد الندب.

وقيل إن معنـى «الصالحيـن» هو المعنـى الشرعـى للفظ، وقيـل إن المعنى المقصـود من اللفظ هو «الصالحون» للزواج .

وقوله تعالى «إن يكـونوا فقراء يغنهم الله من فضله، والله واسع عليم» هـو سد لباب التذرع بفقر الأيم سببا لعدم تزويجه أو عدم تزويجها.

فالقـول يتعلق بالأحـرار والحرائر، بين تعـالى عـدم قبول عذر الفقـر سببا لعدم تـزويجهم بدلالة وعده تعـالى بإغنائهم تفضلا منه عليهـم، إلا أنه لما كان تفضله تعالـى بالإغناء معلقا على مشيئته ، فـإنه لا يجوز لأحد أن يقـول إنه تزوج فقيرا ولـم يغنه الله تحقيقا لوعـده ، وذلك لتعلق الأمر على المشيئة .

وجاء قوله تعالـى ـ فى ختام الآية ـ والله واسع عليم، لبيان تحقيقه تعـالى وعده بحكم أنه ذو السعة الذى يوسع علـى من يشاء من عباده، وأنه العليم بأحوال العبـاد يكون منه أن يوسع على من يشاء بحكم ما علم من أمره .

وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ۚ وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾

أولا : الأســـماء :

الذين يبتغون الكتاب : هم العبيد الذى يطلبون التحرر من العبـودية والرق بمال يشترون به أنفسهم مـن سادتهـم يدفعـونه لهـم منجما (أى علـى أقساط تـؤدى) ويكون مـن أصحاب الحرف من العبيد يعملون بحرفتهم ويأخذون أجرا، وكانوا يحررون باتفاقهم مع سادتهم على

هذا كتابا أى محررا يثبت الاتفاق فسموا مكاتبين .

ثانيا : التفســـير:

الآيـة من آيـات الأحكام، وإن كـانت الأحكـام التى تضمنتهـا ليست مـن الأحكام التـى يعاقب على مخالفتها بعقوبات دنيوية محددة معـروفة، حتى إنه ليبدو أنها من قبيل ما يعرف بالقواعد التقريرية بمعنى أنها التى لايترتب على مخالفتها جزاء .

وأول ما جـاء بالآيـة من أحكام هـو أمر مـن تتوق نفسـه إلى الزواج، ولايقـدر على نفقـاته العادية المتطلبة مـن مهر ونفقة بالتعفف عن مقارفـة الزنى بما يقدر عليه ومنـه الصوم فإن لم يستطـع كبح شهـوته وحصـل منه الاستمناء فـإنه ـ لعدم النـص ـ لا يقضى عليـه بعقوبـة دنيويـــة.

ويلاحظ فى النص أن الأمر بالتعفف جاء مصحوبـا بالوعد بالإغناء ولهذا جاء النص مبينا أن حد التعفف أو غايته هو إغناء من لا يجد القدرة المالية على الزواج من فضله تعالى .

والحكم الثـانى الـذى تضمنه نص الآيـة هو «المكـاتبة» فـأمر تعالـى السادة أن يكـاتبوا عبيدهم الذيـن يرغبون فى التحرر من رق العبـودية بشراء أنفسهـم من سادتهـم وذلك بتحرير كتب بين السادة وعبيدهم بالاتفاق على شراء العبد نفسه مقابل ثمن يؤديه إلى سيده من ماله الذى يكتسب من حرفته، فالكتاب يماثل العقد المحرر.

وقد جعل تعالى أمـره موقوفا على تبين السادة فى المكاتبيـن خيرا، والراجح أن المقصود بالخيـر ـ فى معنى الآيـة هو الأمانة والقـدرة على الكسب، أوهما والـدين. والأمر بالمكـاتبة يشمل العبيد والإماء .

ثم إنـه جاء أمره تعالـى بالمكاتبـة مقرونا بأمـر آخر هو إيتـاء العبيد من مال الله الـذى آتاه السادة، وهو مـا يكون بإعانة العبيـد على أداء التزامهم المـالى كأن يحط عنه سيـده شيئا من الثمن المتفـق عليه، أو أن يتنـازل له عمـا بقى عليه مـن المقابـل المالـى المتفق عليـه ثمنا لحريته.

والحكم الثالـث الذى ورد به النص هو النهى عـن إجبار الإماء على ممارسـة البغاء قصد كسب المال ـ وهو عرض دنيوى ـ مما يؤدى إليهن من ثمن للاستمتاع بهن.

وقيل إن النص نزل بسبب إكـراه عبد الله بن أُبى جاريتين كانتا عنـده على البغاء، فشكت إحداهما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فعله، فنزلت الآية.

وفى القـول جاء قوله تعـالى «إن أردنا تحصنا» للتشنيـع على من يكـره جارية لديـه على البغاء، وليس لتقييد الأمر بشرط رغبة الجارية فى التحصن بالامتناع عن ممارسة البغاء، وذلك لأن الإكراه على الزنى غير جائز فى جميع الأحوال.

وبعد أن نهى تعالى السادة عن إكراه جواريهم علـى البغاء فإنه أوضح أنه تعالى لا يؤاخذ من أكرهت على ممارسـة البغاء بأمر سيدها على الذنب بقوله «ومـن يكرههن فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيـم» فأفاد تعالى اعتبار الفعل إثمـا، وأثبت عدم معاقبة الجاريـة مقارفته به وغفرانه لهـا، ورحمته بها، وقد يكـون مفاد القول هو معاقبتـه السيد الذى أكرههـا على البغاء لتحريضه على الزنى ولمخالفته نص الآية بعقوبة تعزيرية .

وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾

التفســـير:

جاء قوله تعالى ـ فى الآية ـ فى بيان مـاهية الأحكام والأحداث الواردة فى الســـورة من قبل الآيـة ومن بعـدها، فيـذكر تعـالى أنـه أنزل فـى السورة آيـات تفصل الأحكـام الشرعيـة وتوضحها على نحو كامل يسهل معه تطبيقها، كمـا أنزل فيها من قصص الذين خلوا من قبل ما يمـاثل قصصـا قريبـة العهد وردت بها نصـوص فى السـورة، ومن ذلـك وجود شـىء من المماثلة بين قصة مريم التى رموها بالزنى وقصة السيدة عائشة رضى الله عنها وحديث الإفك فيها.

كما بيـن تعالى أنه لا يكـون للذين يتقون غضـب ربهم وعذابـه فيما أنزل فى السـورة من أخبار السابقين موعظة ينزجرون بها عن المحـرمات والمكروهات وما يخالف الخلق القويم، وذلك على ما جاء بقوله تعالى «وموعظة للمتقين» .

﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ٣٥﴾

أولا : الأســـــماء :

١ ـ النـــور : فى قوله تعـالى «الله نور السماوات والأرض» وقوله تعالـى «مثل نوره» قيل إن المراد به معنى على المجـاز وهو أنه ما تتكشف به الأشياء، وتتكشف لـه ومنه. وقيل إن معناه هو «الموجد»، وقيـل هو «الهادى»، وقيـل إنه الـذى ينير السماوات بـالملائكة وينير الأرض بالرسل.

وقيل إن المراد بالنـور فى قوله تعالى «مثـل نوره» هو القرآن العظيم. والذى نـراه فى معنى اللفظ فى قـوله تعالى «الله نور السماوات والأرض» هـو أنه الهادى، ولكن بمعنى أنـه لما كان النور هو مـا يتبصر به أصحاب الأبصـار ما حولهم من المـوجودات، وأنه لولاه لمـا اهتدوا إلى طريق، فكذلك الأمر بالنسبة للسماوات والأرض ومن فيهن وما فيهن فلولاه تعالى ما كان هذا النظام البـديع الـذى تسير عليـه جميع أجـرام السماوات وتسيـر عليه الأرض بـوصفها أحـد

كواكب المجموعة الشمسية، وما كان خلق الأحياء فى السماء والأرض وحياتهم على النحو الذى يتحقق به التعادل فى النسب بين الموجودات على الأرض من حيوان ونبات وماء يكفل استمرار الحياة .

٢ ـ **الزجاجة** : فى قوله تعالى «المصباح فى زجاجة» المراد بها ـ فى معنى الآية ـ هو القنديل المصنوع من الزجاج الصافى .

٣ ـ **الدرى** : فى قوله تعالى «كأنها كوكب درى» نسبة إلى الدر، والمراد به ــ فى معنى الآية أنه متلألىء صاف .

ثانيا : التفســـير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ هو فى بيان الهدى وأنه يكون بالقرآن العظيم، بدأ التمهيد لذكر هذه الحقيقة ببيان أنه تعالى هو الهادى فذكر تعالى أنه نور السماوات والأرض، لأنه لما كان المبصرون لا يدركون ما حولهم من المحسوسات إلا بوجود النور وكانوا لا يسيرون على هدى من أمرهم إلا بواسطته، فكذلك حال جميع ما خلق تعالى فى السماوات من أجرام، فهى لا تدور حول نفسها ، ولا تدور الكواكب حول شموسها ولا تدور المجموعات الشمسية فى مجراتها ولا تسير المجرات لمستقرلها إلا به تعالى، كما أن جميع المكلفين ذوى العقول لا يهتدون إلى الحق الذى ينجيهم من العذاب ويدنيهم من الرحمة إلا به تعالى وبمن يبعثهم من رسل للهداية وما ينزل عليهم من آيات يهتدى بها.

ثم إنه تعالى أوضح قوة هذا النور بذكر المثال الذى يعرفه العرب وقت نزول النص فمثل لنوره ــ وله المثل الأعظم ــ بما ينبعث من نور ناتج عن سراج ضخم «مصباح» إذا ما كان موضوعا فى كوة غير نافذة فى جدار، فيكون انبعاث النور من الكوة ـ وهى المشكاة ـ وإذا كان المصباح فى قنديل من الزجاج الصافى ـ يكون من شأنه مضاعفة النور المنبعث من المصباح ــ ويكون القنديل ــ وهو الزجاجة ـ مثل الكوكب المضىء المتلألىء الذى يبدأ إيقاده من زيت شجرة كثيرة النفع نبتت فى الأرض التى باركها الله هى ـ بتصريح النص ـ شجرة الزيتون ، من زيتها تروى ذبالة المصباح، وكان زيت هذه الشجرة هو أفضل الزيوت

لكون الشجرة في مكان لا تصيبها فيه الشمس خاصة ولا يصيبها فيه الظل خاصة، بل يصيبها الاثنان وبهذا حسن زيتها حتى بلغ حد أنه يوشك من شدة صفائه أنه يضيء بذاته من غير أن تمسه نار.

والمراد بـالنور الذى بيـن تعالى عظمه بهـذه الأمثال المضروبـة هو القرآن العظيـم، أو هو رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى أبلغ القرآن وبشر وأنذر.

ثم بين تعالى تضاعيف هذا النور بقوله تعالى «نور على نور» وذلك لكون الهدى سبيلا إلى مزيد من الهدى ولمضاعفة الحسنات .

ثم جاء قوله تعالى «يهدى الله لنوره من يشاء» وأتبعه قوله «ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيء عليم» لبيان أن مـن يهتدى إلى الحق أو الإسلام دين الحق والديـن الحق، هو من شاء لـه الله أن يكون من المهتديـن، وليبين أن اختيار الهدى هـو فعل المكلف وأن الكافـر لم يجبر على الكفر، إذ أنه تعالـى قد بالغ فى إيضاح آياته بذكر الأمثـال التى تقرب المعانى إلى الأفهام ليكـون الإيمان بها، وأنـه تعالى بحكـم كونـه عليما بكل شـيء قد علم أن المـؤمنين يختارون الهدى فيسره لهم وجرت به مشيئته .

فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ
وَٱلْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ
ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ
وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾

أولا : الأســـــماء:

البيـــوت : فى قوله تعالى «فى بيوت أذن الله أن ترفع» هى المساجد، وقيل هى المساجد

الأربعة التى بناها الأنبياء وهى الكعبة بناها إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وبيت المقدس بناه داود وسليمان عليهما السلام، ومسجد المدينة ومسجد قباء بناهما رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ثانيا: التفســـير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ هو فى بيان حال الذين هداهم الله أو الذين اهتدوا بنوره إلى الحق وإلى جنته. فمن أحوالهم أنهم يلازمون المساجد، يحرصون على صلاة الجماعة، وفى القول وصف تعالى المساجد بأنها بيوت أذن الله أن ترفع وأن يذكر فيها اسمه، والمعنى أنها بيوت أمر تعالى برفعها بمعنى رفع قوائمها كما كان من إبراهيم عليه الصلاة والسلام من رفع قوائم الكعبة، وبمعنى رفع قدرها بتعظيمها بصيانتها عن دخول الجنب والحائض والنفساء، وبتحريم إدخال نجاسة فيها.

وأنه تعالى أمر برفع الأصوات فيها بذكر الله، ومنه قراءة القرآن وقول لا إلـه إلا الله وذكر أسمائه تعالى الحسنى، كما وصف تعالى هذه البيوت أو المساجد بأنه فيها يكون تسبيح الله، قيل فيه إنه قراءة القرآن فى الصلاة وقيل هو الصلاة عيَّن تعالى أوقاتها بقوله «بالغدو والآصال».

ثم بين تعالى أن الذين يسبحونه فى المسجد فى الغدو والآصال هم رجال يحرصون على ذكره تعالى وعلى إقامة الصلاة على أوقاتها، لا يمنعهم عنها شىء مما يغرى الناس بالانفضاض إليه مثل ممارسة التجارة، يخشى أن يؤدي الذكر وأن تؤدى إقامة الصلاة إلى تفويت فرضها على ما يحتمل فيها من كسب، كما لا يمنعهم عنها صفقة بيع يكون الربح مؤكدا فيها ـ ولهذا ذكر البيع رغم دخوله فى عموم التجارة ـ كما أنهم رجال لا يمنعهم مانع عن إيتاء الزكاة بإخراج المال المفروض إخراجه إلى مستحقيه، وإن كان هذا الفعل لا يؤدى فى المساجد.

ثم ذكر تعالى صفة من صفات هؤلاء الذين يعمرون مساجد الله ترتبط بعدم امتناعهم عن الذكر وعن الصلاة لسبب من الأسباب بقوله فيهم إنهم يخافون يوما تتقلب فيه القلوب

والأبصار، بمعنى أنهم يخشون يوم القيامة الذى تضطرب فيه القلوب وتزيغ الأبصار من الهول والفزع فيعملون على عدم عصيانه تعالى والتزام أوامره ، والحرص على الفرائض .

﴿لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٨﴾﴾

التفســـير:

مفاد قوله تعالى ـ فى الآية ـ هو أن ما يفعلـه المؤمنون من رفع المساجد وذكر اسمه تعالى فيها والتسبيح له فيها بالغدو والآصال، وعـدم الالتهاء بشىء عن ذكر الله و إقام الصلاة و إيتاء الزكاة يكون منهم لنيـل الجزاء المقدر منه تعالى للمؤمنين العامليـن الصالحات، أو إنه تكون عاقبته هـو أنه تعالى يجـازيهم أحسن ما عملـوا بمعنى أنه تعالـى يجزيهم أحسن جـزاء لما عملوا مـن أعمال يثاب عليهـا، فيدخل فيهـا الفروض والواجـب والمندوب، كما يكـون منه تعالى الزيادة لهم فى الخير فوق ما وعدوا ، وهو ما لا عين رأت ولا أذن سمعت .

ثم جاء قوله تعالـى «والله يرزق من يشاء بغير حساب» تذييلا متعلقا بزيـادته أجر المؤمنين ووعدا بأنه تعالى يزيد لهم فى الخيرات بغير حساب.

والقول بهذا المعنى يبين أن عظم الأجر مرتبط بالهداية وأنه مترتب عليها .

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٣٩﴾﴾

أولا : الأســــماء :

١ ـ الســـراب : فى قـوله تعـالى «أعمالهـم كسراب بقيعـة» هو الهواء السـاخن مـن أثر ملامسـة سطح الأرض المـرتفع الحـرارة يصعد إلـى أعلى نتيجـة زيادة حجمـه وخفة وزنـه بالتالى فيظهر للرائى من بعيد مثل الماء .

٢ ـ القيعة : فى قوله تعالى «كسراب بقيعة» هى الأرض المنبسطة المستوية .

ثانيا : التفســـير:

بعد أن ذكر تعالى حال الذين اهتدوا بنوره تعالى إلى الإيمان وما يؤدى إليه فعلهم الحسن فى دنياهـم من خيرلهم فى أخراهـم، فإنه تعالى بيـن حال الذين لم يهتدوا بنـوره وبقوا على كفرهـم، أو الذين كفروا بـدينه تعالى، ومـا يكون إليه مصير أعمـالهم الحسنة التى عملـوا فى ديناهم.

فيذكـر تعالى أن الأفعـال الحسنة التى يعملهـا الكافـرون في دنياهـم لا تفيدهم شيئـا فى الآخرة ومـن هذه أعمـال البر، وصلة الـرحم، والإنفـاق على بيوت الله، أو العمـل فى خـدمة مرتاديها.

يصف تعـالى عـدم جدوى هذه الأعمـال فى الآخـرة بتشبيهها بالسـراب الذى يشـاهده السائرفى الصحراء فيخيـل إليه أنه ماء، وجاءت نسبة الاعتقاد أو التهيـؤ والتخيل بأن السراب ماء إلـى الظمآن وحـده مع أن غيـر الظمآن يحسبـه كذلـك، لبيان أن الـذى يطمع أن يكـون السراب ماء هو الظمآن دون غيره؛ ولهذا فإنه يحزنه أو يهلكه أنه لا يكون كذلك، فيكون المراد بالظمـآن ـ فـى معنى الآية ــ هو الكافـر على التشبيـه، فهوي يلتمس سببـا يعفيه مـن بعض العذاب يوم القيامة .

ثم إنه تعالى يمثل لحال الكافريوم القيامـة حين يؤتى بعمله الصالح فيتبين له أنه لا ينتفع به فى الآخـرة، لأن شرط الإثابة عليـه فى الآخرة هو الإيمـان، يمثل لحاله هـذه بحال الظمآن حين يصـل إلى البقعـة من الأرض التـى حسب المـاء يكون فيهـا فلا يجـده، فيكون مقـدرا

هلاكـه، فيكون تبين الكافـر وجود الله فى مكان السـراب وتوفيته الكـافر حسابه مفيـدا تحقق هلاك الكافر بالعذاب يوم القيامة لافتقاده العمل الذى يثاب به.

وقوله تعـالى ـ فى ختـام الآية ـ «والله سريـع الحساب» مفاده ـ علـى ما سبق القول ـ أنه تعالـى ينتهى مـن حساب المكلفيـن جميعًا فـى أقصر وقـت، وأنه تعـالى لايشغلـه حساب البعض عن حساب آخرين، فيكون المعنى المراد إيصاله هو تعجيل العقاب الأخروى .

أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾

أولا : الأســـــماء :

اللجـــــى : فى قـوله تعـالى «فى بحـر لجى» نسبـة إلى اللجة أو اللـج وهو معظـم ماء البحر، فيكون المراد به ـ فى معنى الآية ـ هو العميق، الكثير الماء .

ثانيا : التفســـير:

بعد أن بين تعالى مصير أعمال الكافرين الخيرة فى دنياهم مشبها إياها بالسراب الذى لا يفيد فإنه تعالى أورد ـ فى الآية ـ ما يتعلق بكفرهم وبأعمالهم النابعة عنه أو المرتبطة به، وقيل ما يتعلق بأعمالهم الطيبة التى أذهب جدواها كفرهم.

فوصف تعالى هذه الأعمال ـ على التشبيه بأنها ظلمات فى بحر لجى، وجاء وصفها بأنها ظلمات لأنهـا ابتعدت عن نور الله الـذى يهتدى به، ثـم ذكر تعالـى ما مفاده تزايـد الظلمات وتراكمها بعضهـا فوق بعض بذكـره أن هذه الظلمات كانـت فى بحر عميق كثيـر ماؤه أو أنها

تحيط به فتزداد به ظلاما فوق ظلام، ثم إن البحر يغشاه موج من فوقه موج آخر ثم من فوقه سحاب مظلم يستر أضواء النجوم، وجميع هذا مما يزيد حلكة الظلام.

ثم جاء قوله تعالى «ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها» لبيان تكاثف وتراكم ظلمات الكفر، إذ يؤدى إلى عصيان الله وارتكاب ما يغضبه فيكون اعتياد هذا والمداومة عليه على ما فيه من ظلم وهو ظلمات مؤديا إلى توافر أسباب العقاب ومضاعفتها.

وفى القول جاء التشبيه بحال المبتلى بالظلمات بأنه إذا أخرج يده وقربها من عينيه لم يكد يراها من شدة الظلام، لبيان أن الكافر كان لشدة ما فيه من الكفر فى الدنيا مثل الأعمى، فعجز عن رؤية آيات الله الظاهرة على قربها منه.

ثم جاء قوله تعالى ـ فى ختام الآية ـ «ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور» لبيان أن الكافر الذى لم يجعل الله له فى القرآن العظيم ودعوة رسوله ﷺ نورا يهتدى به إلى الحق، فإنه لا يكون مقدرا له أن يهتدى ولا يكون فى مقدور أحد أن يهديه، فيكون مصيره إلى النار.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾

التفسير:

الخطاب ـ فى الآية ـ هو إلى رسول الله ﷺ، والمراد به جميع المكلفين، والاستفهام فى عبارة الآية أريد به تقرير واقع والعلم به، والأمر أنه تعالى قد أوجد من الآيات فى خلقه على ما يستدل به عليه، ومن ذلك أن جميع المخلوقات قد أبدع تعالى خلقها إن عظمت وإن حقرت حتى لكأنها تنطق بكونها آية على كمال خالقها ووحدانيته فكأنها تسبحه أو تنزهه عما لا يليق به. أو إنها تسبحه على الحقيقة ولكن على نحو لا يعرفه الإنسان أو لا يفهمه .

وفى الآية ذكر تعالى واقع أن من فـى السماوات والأرض من أصحاب العقول يسبحون له. وتسبيـح الملائكـة معلوم وتسبيـح الإنس والجـن المؤمنيـن هو تسبيـح إرادى وتسبيح غيـر المكلفين مـن خلقه تعالـى من جنس الحيـوان والجماد، والأجـرام والكواكب يكـون بظهور كمال خلقها و إبداعه دالا على ألوهية الخالق وقدرتـه حتى لكأن كمال خلقها هو تنزيه لذاته عما لا يليق بها .

ثم إنه تعالى خص الطير بالذكر فبين أنه تسبحه تعالى حال كونها صافات أجنحتها فكأنه تعالى أوضح أن تمكينها من الوقوف فى الجو ومن الحـركة فيه بواسطة الأجناح والذيل هو من آياته الدالـة على كمال خلقه وعلى ألوهيتـه بما يستوجب من المكلفين الإيمـان به وتوحيده وتسبيحه.

وقيل ـ على ما سبق بيانه ـ أنه تسبحه تعـالى حقيقة ولكن بغير الألفاظ المألوفة لنا أو على نحو لا ندركه.

ثم إنـه تعالى أثبت تحقـق علمه بصلاة كل أحـد من خلقه وبتسبيحـه بقوله كل قـد علم صلاته وتسبيحه.

فيكون القول مثبتـا أن كل فرد أو شيء مـن مخلوقاته تعالـى يصلي له ويسبح، وأنـه تعالى يعلم صلاته وتسبيحه.

ويقبـل القول أن يكـون معناه هـو أن كل مخلـوق من خلقـــه قـد علم صـلاة نفســـه وتسبيحه، بمعنـى أنه قد علم ماهيـــة صلاتـه وكيفية أدائها وكذا مـاهية تسبيحه وكيفيـــة أدائه.

فيكون القول معرضا بالكافرين وببعـض العصاة الذين يجهلون الصلاة والتسبيح بتقصير منهم، لا يعترض هـذا أن غير العقلاء ملهمون منه تعـالى بالعلم بالصـلاة والتسبيح وأن هؤلاء غير ملهمين، وذلك لأنهم أعطوا العقل وعرفوا الواجب .

وقولـه تعالى ـ فـى ختام الآية ـ «والله عليـم بما يفعلون» هو تـذييل مقرر مضمون مـاسبق

بيانـه، مفاده توافر علمه الكامـل بجميع ما يصـدر من خلقه مـن أعمال العقلاء منهـم وغير العقلاء، يـدخل فـى هذا الصلاة والتسبيـح، فيكون القـول متضمنا تخويفـا للمعرضيـن عن تسبيحه تعالى من المكلفين

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾ ﴿٤٢﴾

التفســـير:

جاء قولـه تعالى ببيان مالكيتـه السماوات والأرض ومن فيهما وما فيهمـا، ورجوع الجميع إليه لحساب المكلفيـن فى الآخرة، من بعد بيان حـال المؤمنين وحال الكافريـن فى الآخرة، ومن بعـد بيان تسبيح المخلوقـات له تعالى لتـربية المهابـة فى النفوس ليكون منهـا الإيمان والعمل الصالح وتسبيحه جل وعلا .

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾ ﴿٤٣﴾

أولا : الأســـــماء :

١ ـ **الودق** : هو المطر، شديدا كان أم ضعيفا .

٢ ـ **البـــرد** : في قـوله تعـالى «فيهـا من بـرد» هو بلـورات الثلج النـامية التـى يسقط بهـا المطــر.

٣ـ الســنا : فى قوله تعالى «يكاد سنا برقه» هو الضوء والمراد به ضوء برق السحاب .

ثانيا : التفســير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ هو تأكيد للمعنى السابق ذكره وهو إبداعه تعالى كل ما خلق حتى لكأن مخلوقاته تسبح له بتنزيهه عما لا يليق بذاته .

والذى نراه هو أن الآية فى بيانها هذا قد تضمنت ذكر حقائق علمية لم يصل إليها العلم إلا مؤخرا، وأنها فى هذا تكمل ما سبق فهمه من آية النور. فالبين من القول أنه تعالى يشير إلى سوقه السحاب برفق و إن ثقل، ثم يوصل بعضه ببعض ثم يجعله ركاما بمعنى أن يكون بعضه فوق بعض.

فالقول يتعلق بما يعرف اليوم علميا باسم «السحب الركامية» وهى على ما أثبت العلم تتكون بالنمو الرأسى (بعضها فوق بعض) وأنها تشبه الجبال إذ تمتد من قرب سطح الأرض إلى أكثر من خمسة عشر كيلومترا فى العلو رأسيا حيث تنخفض الحرارة إلى أقل من أربعين درجة تحت الصفر. فهذا هو معنى أنه تعالى يزجى سحابا ثم يؤلف بينه.

ثم إنه تبين من دراسة السحب الركامية بواسطة أشعة الرادار أنها تتألف من وحدات صغيرة يتم تجمع كل اثنتين منها أو أكثر لتتكون السحابة الركامية التى تتكون عند اكتمال نموها من ثلاثة مناطق هى: المنطقة السفلى منطقة نقط الماء النامية. والمنطقة الوسطى منطقة الماء فوق المبرد، والمنطقة العليا منظقة بلورات الثلج، أو البرد.

وقوله تعالى فى التأليف بين قطع السحاب لتصير ركاما يشير إلى الشحنات الكهربية التى تؤلف بين هذه السحب بجذب بعضها إلى بعض بقوة كهربية شديدة تؤدى إلى تراكم بعضها فوق بعض فتصبح كالجبال .

كذلك فإن قوله تعالى «فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء» يشير إلى حقائق علمية، ذلك أنه باستمرار تلقيح الرياح السحب الركامية ببخار الماء يتحول هذا البخار إلى برد فى أعالى السحابة،

فتنزل قطرات الماء الكبيرة ـ وهى الودق ـ من هذه السحابة الركامية، وقد ينزل منها أيضا البرد الذي يتكون من التصاق بلورات الثلج بنقط الماء فوق المبرد أثناء ـ سقوطها من أعلى الجبل الركـامى فى السماء فتنمـو البلورات بسرعة إلـى درجة أن قطعة البـرد الواحدة قد تصـل إلى حجم الرمانـة. كما حدث فى مصر فى عـام ١٩٤٥ للبلاد فى بعض مناطق الـوجه البحري. وفى هذه الحالة تكون الإصابة به مؤذية.

ولهذا جاء قوله تعالي «فيصيب به من يشـاء ويصرفه عن من يشاء»، ثم إن القول يشير إلى أن المناطق التى تصاب بالبرد تكون بقاعـا محدودة من الأرض، فأما إن كان حجم قطع البرد صغيرا فإنه لايكون مؤذيا .

وقوله تعالـى «يكاد سنا برقه يذهب بـالأبصار» يبين من رجوع الضمير المتصـل فى «برقه» إلى العلاقة بين البرد وبين البرق الذى يكاد ضـوؤه يذهب بالأبصار، أو هو بيان لدور البرد فى توليد الشحنات الكهربيـة على طبقات السحب أثناء نزوله أو تذبذبـه بين طبقتين مشحونتين بما يؤدى إلى ارتفاع قوة الكهربا على السحب المتـراكمة إلى درجة تؤدى إلى حدوث تفريغ كهربى هائل قد تصل شـرارته إلى ثلاثة أميال فى طولها محدثة بـرقا تصل فيه درجة الحرارة إلى الابيضاض التى تكاد تخطف الأبصار.

وعلى ما سبق بيانه فـإن ما تضمنته الآية من معلومات علمية لم يتم معـرفتها إلا مؤخرا هو أمـر يثبت أن منـزل النـص هو الإلـه الـواحد الخـالـق، وقلنا إن المعلـومـات العلمية تكمـل المعلومات الواردة فى آيـة النور، ومن هذا أنه تعالى فى تعبيره عـن مكان المصباح بالمشكاة وهى أصلا مكـان مظلم، قد أشار إلى السمـاء وهى مظلمة من بعد الغـلاف الجوى المحيط بالأرض رغم بزوغ الشمس، وهو ما لم يعرف إلا بعد ارتياد الفضاء مؤخرا.

ثم إن مفاد قوله تعـالى فى الآية أن هناك مصباحا وأن المصباح فى زجـاجة، وأن الزجاجة لاتتقد ولكنها تبدو متلألئة كأنها كوكب لايضـىء بذاته ولكنه يعكس ما يسقط عليه من ضوء منبعث من شجـرة مباركة. فكأن القول يشير إلـى القمر فهو كالمصباح المغلف بـالزجاج ، إذ تبين مـن تحليل الصخـور القمرية السطحيـة أن الغلاف السطحى للقمـر يحتوى علـى نسبة

عاليـة من الزجاج، ثـم إن الزجاجة التـى هى الغلاف الجـوى للقمر ليست كوكبـا و إن بدت كذلـك، وذلك لكون القمـر تابعا لكـوكب، فهى كـالكوكب الـدرى المتلألىء الـذى يستمد الضوء من مصدر آخر ثم يعكسـه إلينا، المعبر عنه فى النص القرآنى بأنه شجـرة مباركة زيتونة لاشرقية ولا غربية يكاد زيتها يضىء ولو لم تمسسه نار.

وقد يكـون المراد بـالشجرة أنها فـى السماء وأنهـا الشمس التى منهـا تتفرع جميـع أنواع المـادة والطاقـة ، فهى شجـرة الطاقـة مهما اختلفـت مصـادرها، وهـى مباركـة لأنها دائمـة الانفجار متجددة الطاقة كما أنها ليست شرقية ولا غربية .

﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٤﴾﴾

التفســـــير:

قوله تعـالى ـ فى الآية ـ فـى بيان مظهر آخر من مظاهـر قدرته تعالى على كـل شىء بما يستوجب تسبيحـه، فيذكر تعالى أنـه الذى يقلب الليل والنهـار فيأتى بأحدهمـا بعد الآخر أو ينقص من أحدهمـا ليبطل الآخر، ويذكر أن فى فعلـه هذا الدلالة الواضحة علـى أنه الخالق الموجود التى يفترض أن يتبينها أصحاب البصائر والعقول .

﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾﴾

التفســـــير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ فى بيان كمال خلقه تعالى والمجازاة، فهو تعالى يثبت فى مبتدأ

الآية أنه خلق كل دابة من ماء. وهذه حقيقة علميـة لها أكثر من معنى ومن مظهر، ، فأول معنى له هو الحقيقة العلميـة التي تثبت أن أول الكائنات الحية التى وجـدت أو خلقت على سطح الأرض قد خلقت من الماء وفيه، وكانت شيئا يشبه أدنى أنواع البكتريا.

وبعض الكائنات الوحيدة الخلية المعروفة اليوم، وهذا الشيء هو الأصل المشترك لجميع أنواع الطيـر والزواحف والحيوان والأسمـاك على الأرض، تفرع عنـه فرعان، يتمثل أولهمـا فى خلايا مجهرية عاشت فى مياه البحار الأولى.

والآخر ظهر فـى هيئة كتل بروتوبـلازمية عاشت بـالغذاء على أفراد الطائفـة الأولى. وتطور النوعان ليكون جنس النبات وجنس الحيوان.

كما أن القول يثبت حقيقة علمية أخرى وهى دخول الماء فى تكوين أجسام جميع الأحياء ومعلوم أن نسبـة الماء فى جسم الإنسـان هى ٦٧٪ بالنسبـة لباقى مكـوناته، كما أن الثـابت علميا هـو أن الماء هو المـركب الهام فـى تركيب الخليـة الحية، كما أن المـاء لازم لحدوث جميع التفـاعلات والتحـولات الحيوية فـى داخل الخـلايا التى تتكـون منها أجسـام جميع الكائنات الحية، كذلك فإن الإخصاب يتم بفضـل كمية ضيئلة من سائل، فضلا عن احتياج كل كائن حى إلـى الماء. وليس من كائن لم يخلـق من ماء على صورة من هـذه الصور بمن فيهم آدم وعيسى عليهما السلام .

ثـم إنه تعـالى بيـن أن من مخلـوقاتـه على الأرض مـا يمشى علـى بطنه مثـل الزواحـف والأسماك، وأن منها مـا يمشى على رجلين كـالإنس والطيور وبعض أنـواع القردة العليا، وأن منها ما يمشى على أربع مثل جنس الحيوان شاملا الأنعام والوحوش .

ثم بيـن تعالـى أن تنوع مخلـوقاته إنمـا كان وفـق إرادته وأن الاختـلاف بينها هـو اختلاف بالمشيئة، وأنه ما من شىء إلا وهو القادر عليه، ولذلك رأينا من معجزات خلقه اكتشاف أنواع من الكـائنات الحية الدقيقـة تعيش فى جليد القطـب الجنوبى ووجدنـا أنواعا من الـديدان تعيش داخل أعماق الصخور. فالله على كل شىء قدير .

﴿لَّقَدْ أَنزَلْنَا ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٦﴾﴾

التفســــير:

مفاد قوله تعـالى ـ في الآية ـ أنه تعـالى أنزل في القرآن العظيم الآيات علـى نحو تكوين معه مـوضحة ما أريد إيصـاله إلى النـاس للعمل به أو لـلاعتبار أو للعلم وذلك مـن الأحكام والقصص وذكر العبادات وغيرها مما تضمنه القـرآن العظيم، والقول يشير إلى أن نزول الآيات على هذا النحو كان متوجبا أن يهتدى بها.

ثم جاء قـوله تعالى «والله يهدى من يشـاء إلى صراط مستقيم» مبينا أنه لا يهـدى بالآيات إلا من شاء الله تعالى له الهدى، وجاء ذكر ما يهدى إليه بأنه صراط مستقيم ـ في صيغة النكرة ـ لبيان أنه ليس سوى صراط مستقيم واحد يعرف ولو جاء نكرة وهو دين الإسلام .

﴿وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾﴾

التفســــير:

قولـه تعالـى في فئـة ممن لـم يهدوا إلـى الطريـق المستقيم، والظـاهر مـن القول أنهـم المنافقون قالوا بأفواههم إنهم آمنوا بالله والرسول وأنهم التزموا طاعة الله ورسوله، ثم يكون من فريق منهم أن يعرضوا عما يأمرهم بـه رسول الله ﷺ، والظاهر من تعميم الحكم في أفراد الفئة جميعهم هو أن الباقين يشايعونهم ويؤيدونهم فصاروا منهم.

أشار تعالى إليهم بـاسم الإشارة للبعيد لبيان بعد مرتبتهم في الكفـر ونفى عنهم أن يكونوا بالمؤمنين حقيقة .

ومن القول يبين أن التزام طاعة رسول الله ﷺ من طـاعة الله تعالى. وقيل إن الآية نزلت فى بشر المنافق الذى رفض قضاء رسول الله ﷺ فى نزاعه مع اليهودى الذى رضى به، وتوجه إلى عمر رضى الله عنـه ليقضى فى نزاعه مع اليهـودى فلما علم عمر القصة ضرب عنقـه لإعراضه عن قضاء رسول الله ﷺ.

وقيل نزلت فـى المغيرة بن الوليد الذى تنـازع مع على كرم الله وجهه فى قطعـة أرض باعه إياهـا، فلما دعاه علـى للاحتكام إلـى رسول الله ﷺ رفض قـائلا إنه يخاف أن يحيـف عليه. فيكون الحكم متناولا من نزل فيه النص ومن شايعه من المنافقين .

﴿وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم مُّعۡرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلۡحَقُّ يَأۡتُوٓاْ إِلَيۡهِ مُذۡعِنِينَ ﴿٤٩﴾﴾

التفســــير:

قوله تعالى ـ فى الآيتين ـ مبين تصرفات المنافقين من الاحتكام إلى رسول الله، فهم إذا ما دعوا من جـانب خصومهم لـلاحتكام إلى رسول الله بين الفـريقين، فإنهم إذا مـا علموا أنهم ليسوا أصحاب حق يقضـى لهم به أو أنهم يعدمون دليـلا على دعواهم، فإنهم ــ لعلمهم أنه ﷺ يقضى بالحق وبالدليل الشرعى وليس بالهوى ـ يعرضون عن الاحتكام إليه. ويكون الأمر منهم على خلاف هذا عنـدما يكون الحق فى جانبهم أو لديهم الدليـل على صحة دعواهم، فإنهم يأتون إلى رسول الله ﷺ منقادين ليقضى بينهم وبين خصومهم .

ويلاحظ أنه تعـالى عطف رسوله صلى الله عليـه وسلم على لفظ الجلالة فـى قوله «وإذا دعوا إلـى الله ورسوله» فبين تعـالى أن رسول الله صلـى الله عليه وسلم إنما يقضـى بحكم الله تعالى فكان الحكم الصادر منه منسوبا إلى الله ورسوله .

■■■■■

﴿أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ ۚ بَلْ أُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٥٠﴾﴾

التفســــير:

قوله تعـالى ـ فى الآية ـ يثبت أنه ليس ثمـة سبب لإعراض المنافقين عـن الاحتكام إلى رسول الله ﷺ سوى ظلمهم الذى يجعلهم يخشون قضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حين يعدمون حقا فى جانبهم ويحتكمون إليه حيـن يكونون أصحاب الحق. فالاستفهام عن سبب إعراضهـم يكون واحدا من أسبـاب ثلاثة هى: مـرض القلوب أو النفاق، أم الارتياب فـى نبوة رسـول الله ﷺ، أو الخوف مـن أن يجور عليهـم أريد بـه أنـه ليس منهـا، لأنه لـو كان سبـب إعراضهم هو نفـاقهم أو ارتيابهم فى نبوة رسـول الله ﷺ لما كانوا قد احتكموا إليـه حين يكون الحق معهم، والسبب الثـالث وهو الخوف أن يجور عليهم ﷺ بقضائه معـدوم لديهم ومعلوم هذا. فلم يبق إلا أن ظلمهم هو الذى دفعهم إلى الإعراض، وهو ما صرح به القول .

﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾﴾

التفســــير:

مفاد قوله تعـالى ـ فى الآية ـ هو أنـه لو كان هؤلاء مؤمنين لقالـوا سمعنا وأطعنا ، بمعنى : سمعنا قولكم وأطعنـا أمركم بالذهاب إلـى رسول الله ﷺ. وهذا يخالف قول المنـافقين «آمنا بالله وبالرسول وأطعنا».

وقولـه تعالى «وأولئك هـم المفلحون» هو فـى المؤمنين، يشيـر إليهم تعالى ويخبـر عنهم

بأنهم المفلحون الذين يفوزون بالخيرات وينجون من المكاره .

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخْشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ٥٢﴾

التفســــير:

بعد أن ذكر تعالى مصير المؤمنين فإنه تعالى حث غيرهم على تمثلهم ليكون لهم ذات مصيرهم. فبين دعائم أسباب الوصول إلى مصير المؤمنين. فأثبت طاعة الله ورسوله، وخشية الله بخوف عذابه على ما سبق من الذنوب والتفريط في النفس، وباتقائه بتجنب مقارفة الذنوب في الحال والمستقبل.

ثم أشار إلى فاعلي هذا أو المتصفين به وأخبر عنهم أنهم الفائزون بمعنى أنهم الفائزون بنعيم الآخرة .

﴿۞ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ ۖ قُل لَّا تُقْسِمُواْ ۖ طَاعَةٌ مَّعْرُوفَةٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ٥٣﴾

التفســــير:

يذكر تعالى ـ في الآية ـ فعال المنافقين مع رسول الله ﷺ، فيذكر تعالى أنهم يقسمون لرسوله ويجهدون أنفسهم أقصى طاقتها في توكيد اليمين، حالفين يمينا فاجرة على أنه إذا أمرهم ﷺ أن يخرجوا معه للجهاد فإنهم يخرجون .

ثم إنه تعالى يأمر رسوله ﷺ أن ينهاهم عن الحلف زاجرا ومظهرا عدم قبول يمينهم «لا تقسموا»، وأن يقول لهم «طاعة معروفة»، ومعناها يتصور أن يكون إن طاعتكم معروفة لنا،

فهى طاعة باللسان دون القلب ويتصور أن يكون معنـاها هو أن المطلوب هو الطاعة المعروفة لـدى المؤمنيـن، أو الطاعـة على الحقيقـة. كما أمـره تعالـى أن يقول لهـم «إن الله خبير بمـا تعملون» وهو إعلام لهم أنه تعـالى يعلم سرهم وما يبطنون مما يخالف مـا تنطق به أفواههم، وأنه محاسبهم به. فيكون القول من الوعيد .

قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٥٤﴾

التفســـير:

الخطاب ــ فى مبتدأ الآية ــ إلى رسول الله ﷺ يـأمره ربه أن يكـرر دعوته المنافقيـن إلى طاعة الله وطـاعة رسوله، وهـذا لبيان أن طاعتهم التـى أبدوها من قبـل ليست من الطاعـة فى شىء. ثم إنه تعالـى وجه الخطاب إلى المنافقين فبين لهم أنهم إن أعرضـوا عما دعاهم إليه رسول ﷺ فـإنه لا يضيره إعراضهـم شيئا، إذ إن ما عليـه عبؤه أو ما كلـف به هو دعوتهـم إلى طاعة الله وطـاعة الرسول، وأنهم فـى المقابل عليهم ما بلغوا بـه فهو ما يثقلهم ويلتزمـونه وبه يسألون وهو التزامهم طاعة الله والرسول .

ثم إنه تعالى ينصحهـم بقوله «وإن تطيعوه تهتدوا» يبين لهم أن مصلحتهم هـى فى طاعة رسول الله ﷺ فيما يدعوهم إليه، إذ تكون لهم به الهداية وهى السبيل إلى رضاء الله .

ويجىء قولـه تعالى ـ فى ختـام الآية ـ «وما علـى الرسول إلا البلاغ المبين» تـذييلا مبينا الحكم العام فى الرسـل وهو أنهم غير مكلفين بغير دعوة الناس للإيمان والطـاعة، وهذا شأنه ﷺ بحكم كونه رسولا من الرسل غير مكلف بغير الإبلاغ والإيضاح .

وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟
ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ
وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ
خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ
فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾

التفســـــير:

الظاهر من القول أنه خطاب إلى رسول الله ﷺ ومن معه من المؤمنين، ويبدو أن مناسبة التوجه به إليه وإليهم ما كان منه ﷺ تنفيذا لأمر ربه المذكور فى الآية السابقة من مصارحة المنافقين بنفاقهم بما يجلب عداوتهم الصريحة فضلا عن عداء كفار مكة الظاهر، فلما كان هذا وذاك من أسباب الخوف من الفئتين فإنه تعالى أنزل القول يطمئن رسول الله ﷺ والمؤمنين إلى نصره إياهم.

ويتصور فى القول أيضا أن يكون الخطاب موجها إلى المنافقين، أو إلى عموم الكافرين والمنافقين حثا لهم على الإيمان وإحسانه والإخلاص فيه.

ومفاد القول هو أنه تعالى وعد المؤمنين الذين آمنوا من بعد كفر أو الذين بقوا على إيمانهم، وقرنوا إيمانهم بعمل الصالحات أن يستخلفهم فى الأرض، بمعنى أن يجعلهم خلفاء يملكون التصرف فى الأرض، ويتصور أن تكون الأرض هى أرض الجزيرة العربية، ويتصور أن تكون بلاد العرب والعجم. وقيل إن الوعد قد تحقق فى كل من أبى بكر وعمر رضى الله عنهما، وفى التمكين فى الأرض بالاستخلاف مثل تعالى ببنى إسرائيل للموعودين، عبر عنهم بأنهم الذين من قبل المخاطبين بالنص، وذلك لأنه تعالى استخلفهم فى أرض فلسطين.

.كذلك جاء فى الوعد أنه تعالى يمكن لهؤلاء المؤمنين دينهم بمعني أن يجعل له الثبات

والرسوخ فلا يخشى عليه الزوال.

وبين تعالى أنه ارتضـى لهم هذا الدين وهو الإسلام ليكون فى هـذا التصريح دافع للناس على اعتناق هذا الديـن، وربط بهذا وعده أن يبدلهم من بعد خوفهم مـن بأس أعدائهم أمنا، يكون فى الدنيا بالانتصار عليهم وفى الآخرة بتأمينهـم عذابه تعالى. وبين تعالى أن هذا الأمن يكون لهم وحالهم أنهم يعبدونه تعالى ولا يشركون فى عبادته أحدا .

ثم إنه تعالى حـذر من الارتداد من بعد الإيمان ومن بعد الاستخـلاف فى الأرض والتأمين بقولـه تعالى «ومـن كفر بعد ذلـك فأولئك هـم الفاسقـون» فوصف المـرتد بالفسـق، فيكون الوصف توعدا للمرتد بعذاب الفاسقين .

وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾

التفســــير:

المتصور أن القول جاء معطـوفا على قول رسول الله ﷺ «أطيعوا الله» الـوارد فى الآية ٥٤، فيكون من المأمور به بعد هذا إقامة الصلاة و إيتاء الزكاة و إطاعة رسول الله ﷺ، وبين أن على المؤمن بعد هذا أن يرجو رحمة ربه، فإن أحدا لا يأمن مكر الله.

لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾

التفســــير:

لما إنه تعـالى أمَّن المؤمنيـن كيد أعدائهم ووعـدهم النصر عليهم، وكـان ﷺ والمؤمنون

يعرفون لهم - من قبل - قوتهم ويخشونهم، فإنه تعالى خاطب رسوله ﷺ - وليعرف المؤمنون ما خوطب به - فنهاه عن مجرد الظن فى أن الذين كفروا يعجزونه تعالى أن يدركهم فى أى بقعة من الأرض يهربون إليها فيهلكهم فيها.

ثم إنه تعالى بين لرسوله ﷺ أن مصيرهم فى الآخرة هو النار، ذمها تعالى فبين أن بئس المصير هو النار.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
لِيَسْتَأْذِنكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنكُمْ
ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِّن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ الظَّهِيرَةِ
وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ
جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ
اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾

أولا: الأسماء:

١ - **الظهيرة**: هى وقت الظهر، وهى حد انتصاف النهار، وقيل هى شدة الحر عند انتصاف النهار.

٢ - **العورة**: فى قوله تعالى «ثلاث عورات لكم» هى الخلل، وهى سوءة الإنسان، والمراد بها - فى معنى الآية - اختلال التستر أو أوقاته.

ثانيا: التفسير:

الآية من آيات الأحكام، وهى فى قواعد أخلاقية مما يحسن بها مجتمع المسلمين. وفى القول يأمر تعالى المؤمنين ويشمل الأمر المؤمنات بوجوب استئذان عبيدهم منهم لدى دخولهم عليهم، وقيل العبيد والإماء، وكذا استئذان الصغار الذين لم يبلغوا الحلم لدى

طلبهم الدخـول عليهم فى أوقات ثلاثة مـن اليوم والليلة، وهى الأوقات التـى يغلب أن يكون المرء متحررا من ثيابـه فيها وهى قبل صلاة الفجر لكونه وقت القيام مـن النوم وطرح ثيابه، أو وقت التطهر من الجنابة لمن جامع ليلته . ووقت الظهيرة لتجرد الناس ـ فى العادة ـ من بعض ثيابهم للقيلولة. وبعد صلاة العشاء، وهو وقت التجرد من ثياب اليقظة وارتداء ثياب النوم.

ويلاحظ أن الأمر صادر إلى المؤمنين فهم الذين يـأمرون عبيدهم بالتزام الأمر، وهم الذين يأمـرون صغارهم الـذين لـم يبلغوا الحلم وغيـر المكلفين بتنفيذه. كمـا أن جميع المـؤمنين مطالبون به وبتنفيذه من باب أولى، فهو غير مختص بالعبيد والصغار.

ثم إنه تعالـى بين علة ارتباط الأمر بالأوقـات الثلاثة التى حددها وهـى كون هذه الأوقات بمثابة العورات إذ يختل فيهـا تستر الإنسان، ثم بين رفع قيد الاستئذان فـى غيرها من الأوقات بقوله تعالى «ليس عليكم ولا عليهم جناح بعدهن»، وبين أنه يكون من بعد كل وقت من هذه الأوقات مباحا طواف البعض على البعض دون استئذان .

ثم بين تعالى أنه شرع ما شرع من قواعد أخلاقية على النحو الذى كان منه تعالى فى جعل الآيات واضحة الـدلالة على نفع المؤمنين وصـلاحهم، مبينا أنه العليم بأحـوال عباده الذى يحكم لهم من الشرع ما ينفعهم وذلك ليكون الالتزام بشرعه .

وقد قيـل فى سبـب نزول الآية إن أسمـاء بنت أبـى مرثـد دخل عليها غـلام لها فـى وقت كرهـت دخوله، فـأتت رسول الله ﷺ تشكو ذلـك فنزلت الآيـة ـ وقيل إن رسـول الله ﷺ بعث غلامـا إلى عمر رضى الله عنـه وقت الظهيرة فدخـل عليه وكان نائمـا فاستيقظ فانكشـف منه شىء، فقـال «وددت أن الله تعالـى نهى آباءنـا وأبناءنـا وخدمنـا عن الدخـول علينا فـى هذه الساعة إلا بإذن » فنزلت الآية .

وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُوا۟ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾

التفســـــير:

بعد أن بين تعـالى أن على الأطفال الاستئذان فى الأوقـات الثلاثة المذكورة، فإنـه تعالى أظهر فى النـص أنه ببلوغ الأطفال الأجـانب الحلم يصبحون ملتـزمين بالاستئذان المـأمور به السابق ذكـره فى قوله تعـالى «يا أيها الذيـن آمنوا لا تدخلوا بيوتـا غير بيوتكم حتـى تستأنسوا وتسلموا على أهلها» كما أنهم يلزمون بالرجوع إن قيل لهم ارجعوا .

ثم بين تعالى أنه علـى هذا النحو يكون بيان أحكامه تعالى للمؤمنيـن الذين يشرع لهم ما فيه مصلحتهم بحكم علمه بأحوالهم وبحكمته تعالى .

وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍۭ بِزِينَةٍ ۖ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾

أولا : الأســـماء:

١ ـ **القواعد** : جمع مفرده «قاعـد» وهى المرأة العجوز، سميت «قاعـدا» لأنها تكثر القعود بسبب كبر سنها .

٢ ـ **المتبرجات** : فى قولـه تعالى «غير متبرجات بـزينة» جمع، مفرده المتبرجـة، وهى من تكلفت فى إظهار ما يخفى.

ثانيا : التفســـير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ فى أحكام عجـائز النساء اللاتى بلغ بهن العمر حد عدم الأمل أو طلب النكاح، يبيح لهـن تعالى أن يضعن عنهن الثياب الخارجية التـى لا يفضى وضعها إلى كشف العورة، وذلك حال كونهن غير متكلفات إظهار زينة أو موضع زينة مما أمرن بإخفائه .

ثم إنه تعـالى أوضح أنه مـع الترخيص لهن بهـذا إلا أن تعففهن عن طرح الثيـاب عنهن، والتستر بها مثل الشابات خير لهن من وضع الثياب عنهن .

وقوله تعالـى ـ فى ختام الآية ـ «والله سميـع عليم» تضمن ترهيبا للرجـال والنساء من قول السوء وتبادله، فهو تعالى يسمع قولهم وقولهن ويعلم مقاصدهم ومقاصدهن، ليكون محاسبا به ويتصور أن يكون المقصود بقـوله تعالى هو القواعد من النساء اللاتـى نزل فيهن جكم نص الآية .

لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَٰنِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَٰمِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَٰلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوْ صَدِيقِكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا۟ جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ۚ فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾

التفســــــير:

الآية هى فـى إباحة أمور تتعلق بـالمؤاكلة وبالأكـل باستعمال ما يفيد رفـع الحرج، وهى أمور كان العرف قد جـرى على عدم الأخذ بها. فمن هذا أن الأعمى والأعـرج والمريض كانوا يتحرجون أن يأكلوا مع الناس كما كان النـاس يتحرجون من مآكلتهم، وذلك لأن الأعمى كان لا يعرف موضع يده فى وعاء الطعام فكان يضعها مـرة أمامه وأخرى أمام من يؤاكله، كما كان

الأعرج يجلس جلسة منبسطة تؤذى الناظر، وكـان المريض لا يخلو من مظهر يؤذى أو رائحة.
ثم إن بعـض الناس كانوا يـأخذون الواحد مـن هؤلاء فيمرون به علـى بيوت آبائهم وأقـاربهم ليأكل فيحدث ما يحدث من الحرج.

فنزل قولـه تعالى معبرا عـن الحث على مؤاكلة هـؤلاء بلفظ يفيد رفع الحـرج. ومعبرا عن تشجيع هؤلاء على الأكل مع الأصحاء دون استشعار الحرج.

ثم إن المـرء كان يدخل بيـت أبيه أو أمه فيؤتـى له من أهل قـربته فيه بالطعـام فيتحرج أن يأكل منه لئلا يوافق هذا إرادة باقى من فيه مـن أهل قريبه، فجاء النص برفع هذا الحرج مبيحا الأكل من بيوت الأقارب .

كذلـك كان الرجل إذا خـرج للجهاد أو لتجارة يدفـع مفاتيح بيتـه أو الزيبة إلى واحـد من القاعدين ليقوم برعايته فى غيبته، فكان هذا يتحرج أن يأكل مما فيه، فنزل النص مبيحا له هذا رافعا عنه التحرج، فتشمل الإباحة ما يكفيه لا يختزن شيئا.

وكان المرء يتحرج أن يأكل من بيت صديقه فنزل النص برفع هذا الحرج ومبيحا الأكل من بيت الصديق .

ثم بين تعالى فى رفع الحرج أن يكون الآكلون جماعة يأكلون معا أو يأكلون متفرقين .

ثم إن النص ينتهى بحكـم يتعلق بقاعدة من قواعـد الأخلاق، فيأمر تعالى الـداخلين بيوتا من بيوت المذكورين فى الآية للأكل بأن يسلموا على أهل البيت.

جاء التعبير عن هذا بقوله تعالى «فسلمـوا على أنفسكم» وأن يكون السلام بتحية مشروعة من الله ثابتة، بورك فيها بالأجر وتطيب النفس.

وبعده يجـىء قولـه تعالى «كـذلك يبيـن الله لكم الآيـات لعلكم تعقلـــون» ، مبينـا أنه تعـــالى يوضـح للمؤمنين فى آياته المنزلة ما تكون به مصالحهـم ليتدبروا هذا وليكون منهم به العمل.

■■■■■

إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُواْ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾

التفســـــير:

بدأ قوله تعالى ـ فى الآية ـ بتعريف للمؤمنين يحددهم ويعينهم، فذكر تعالى أنهم الذين آمنوا بالله ورسوله، ثم بين أن من صفاتهم اللاصقة بهم التى تنتفى بانتفائها صفة الإيمان فيهم، أنهم إذا كانوا مع رسول الله ﷺ فى أمر من الأمور التى يجتمع فيها الناس مثل صلاة الجمعة أو العيد أو الجهاد، لا ينفصلون عنه إلا من بعد أن يستأذنوه ﷺ فى هذا فيأذن لهم .

ثم بين تعالى الارتباط بين الإيمان الصحيح وشرطه أن يكون بالله ورسوله وبين الاستئذان بالخروج من الجماعة المجتمعة مع رسول الله ﷺ عند وجود السبب. فبين تعالى أن الذين يستأذنون رسول الله ﷺ هم الذين يؤمنون بالله ورسوله. ثم وجه تعالى خطابه إلى رسول الله ﷺ مبينا له أنه مفوض فى اتخاذ القرار بالإذن لمن يستأذن فى مغادرة المجموع له أو بعدم الإذن. ثم أمره تعالى بالاستغفار لمن طلب الإذن لو توافر سببه، لإنطواء طلب الإذن على مصلحة دنيوية يبتغيها المستأذن، وأظهر أنه تعالى يغفر لمن يشاء من المستأذنين تفضيله أمر دنيوى على البقاء فى الجماعة فى حضرة رسول الله ﷺ وأنه يرحمه .

لَّا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾

أولا : الأســــماء :

اللواذ : فى قوله تعالى «يتسللون منكم لواذا» هو الاستتار بالغير يلوذ به المستتر .

ثانيا : التفســــير:

لما نهى الله تعالى المؤمنين عن الانصراف عن مجلس رسـول الله ﷺ دون استئذانه على نحو ما يحدث بين بعضهم والبعض، فإنه تعالى فـى الآية أمرهم بإعلاء أمر دعائه ﷺ الواحد منهم إليـه أو إلى أمر يطلبـه، وألا يجعلوه مثل دعـاء أحدهـم الآخر، فيكون دعـاؤه ﷺ وتكون دعوته مجابـة عن طاعة تامة . ثم إنه تعـالى خاطب المؤمنين مبينا حال المنـافقين فأعلمهم أنـه تعالـى يعلـم الذيـن يتسللـون من مجلسـه صلـى الله عليـه وسلم لائذيـن بغيـرهم مـن المستأذنين يسيرون بجوارهـم مستترين بهم حتى لا يراهم رسول الله ﷺ. ثـم إنه لما كان فعل هؤلاء مخالفـا أمره تعالى بـوجوب استئذان الرسـول قبل طلب مغادرة مجلسـه، وكان فعلهم ليس له سبب يبرر الإذن لهم، مع محاولتهم التمويـه عليه ﷺ، فإنه تعالى توعد هؤلاء محذرا نتيجة فعلهم بقوله تعالى «فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم» وهو توعد لهم بالبلاء والمحن فى الحياة الدنيا وبالعذاب الأليم فى الآخرة .

﴿أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٦٤﴾﴾

التفســــير:

الخطاب ـ فى الآية للمـؤمنين ـ جاء فى أوله إثبات مالكيـة كل ما فى السماوات والأرض لله، لبيان أنـه تعالـى المتصرف فـى عباده جميعا، وبيـن علمه بكـل ما يتعلـق بالمخـاطبين بالنص مـن فعل ومن قصد ثـم إنه تعالى حـادثهم فى شأن المنـافقين والذين يخـالفون أمره تعالى بالاستئذان من رسول الله ﷺ لمغادرة مكان اجتماع فيه رسول الله ﷺ، فأعلم المؤمنين أنه يوم يرجع إليه هؤلاء يكون منه تعالى أنه يخبرهم بـأعمالهم التى انطوت على مخالفة أمره ويعذبهـم بها. ثم أخبـر تعالى أنـه بكل شىء عليم وأنـه بما علم مـن فعل الإنسان يحـاسبه فيكون عذابه للمخالفين عن أمره.

بسم الله الرحمن الرحيم
تفســـــير سورة الفرقـــان

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾

أولا : الأســـماء :

١ ـ **الفرقان** : هو القرآن العظيم سمى فرقانا لأنه يفصل بين الحق والباطل .

٢ ـ **العبد** : في قولـه تعالي «أنزل القرآن علـى عبده» المراد به ـ في معنى الآيـــة ـ هو رسول الله ﷺ .

ثانيا : التفســـــير :

عظم تعالى ذاته فى مبتدأ القول مبينا علو شأنه، وعظمته وتعظمه على كل ما يليق بذاته ثم إن فى لفظ «تبارك» وارتباطه بإنزاله تعالى القرآن العظيم على عبده رسول الله ﷺ ما يفيد وجود الخير وتزايده فى القرآن العظيم وبه. ثم إنه فى إظهار كون القرآن العظيم نذيرا للعالمين إشارة إلى أن السورة ستتناول أمر المعاندين، والقائلين فى الله غير الحق مثل القائلين إنه تعالي اتخذ ولدا وشريكا، وكذا الطاعنين فى كتبه تعالى ورسله واليوم الآخر .

ثم إنه تعالى ذكر مالكيته السماوات والأرض ومن فيهن وما فيهن، وذلك لبيان أن له تعالى وحده التصرف فى خلقه وعدم حاجته إلى شريك أو ابن أو معاون. ثم صرح بما يترتب على هذا بنفيه اتخاذه أحدا من خلقه ولدا، ونفيه أن يكون له شريك فى ملك السماوات والأرض.

ثم أثبت تعالى أنه ما من موجود إلا وقد أوجده سبحانه وتعالى فهو الذى خلق كل شىء، وهيأه بقدرته لما هو معد له ومطلوب منه .

وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾

التفســــــير:

بعد أن ذكر تعالى أنه لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك فى الملك، فإنه تعالى ذكر حال المشركين من التوحيد على سبيل التعجيب، فذكر أنهم اتخذوا لهم آلهة متجاوزين الله، ثم بين مدى غفلتهم وجهلهم ببيان حال آلهتهم التمثل فى عدم قيامهم بعملية الخلق وهى صفة الإله الحق، فهم لا يخلقون شيئا كبر أو صغر، بل إنهم يُخلقون. وعموم القول يجعل جميع المعبودات داخلة فى مفهوم الآلهة بما فى ذلك الملائكة والأنبياء، و إن كان واقع الذين أنذروا وقتذاك من مشركى العرب يسيغ القول بتخصيص القول ليكون فى الأصنام .

ثم إنه تعالى بين عجز معبودات المشركين فذكر أنهم لا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا، وهذا قد يفيد تعلق القول بالأصنام تكون من بعد صنعها عاجزة عن أن تدفع عن نفسها ضررا أريد بها وعن أن تجلب لنفسها نفعا، ثم إنه لما كان حال من يعجز عن إفادة نفسه أنه يكون عن إفادة غيره أعجز، فإنه تعالى أثبت أنهم لا يملكون القدرة على إماتة حى ولا إحياء ميت ولا بعث الأموات من القبور إلى حياة: ولهذا يكون فعل المشركين مستوجبا التعجب منه.

■■■■

وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ ۖ فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾

أولا : الأســـماء :

الزور: فى قوله تعـالى «جاءوا ظلما وزورا» هو الميل الكامل عـن الحق من «ازور» بمعنى مال. والمراد به ـ فى معنى الآية ـ هو الكذب الذى لا يحتمل فيه أى قدر من صدق.

ثانيا : التفســــــير:

قولـه تعالى ـ فـى الآية ـ فـى المشركين وقولهـم الذى يبررون بـه كفرهم بالقـرآن العظم وبرسول الله ﷺ، ثـم بتقرير واقعهم منـه تعالى. فهم يشيـرون إلى القرآن العظيم مستصغـرين شأنه بقولهم «هذا» ثـم ينفون عنه كونه شيئا غير كذب صاغه ﷺ مفتريـا بادعائه أنه منزل من الله تعالـى، وأعانـه بإمداده بـالمعلومـات قوم آخـرون، أرادوا بهم أهل الكتـاب الذيـن آمنوا، بدعوى أنهم أمدوه ﷺ بما علموه من كتبهم. ومـن هؤلاء الذين ادعوا عليهم عداس، وعائش مولى حويطب بن عبد العزى، ويسار، وجبر مولى عامر.

وبعد أن ذكـر تعالى قول المشـركين فإنـه تعالى أثبـت أنهم بقولهم هـذا قد قارفـوا ظلما وزورا. فهم بإنزالهم مرتبة القرآن العظيم الذى لا يدانيه قول ظلموا الحق وظلموا أنفسهم كما أنهم إنما قالوا كذبا ينطق بافتضاحه وبعده عن الصواب .

وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ٱكْتَتَبَهَا فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٥﴾

التفســـــير:

يذكر تعـالى ـ فى الآيـة ـ قولا آخر من أقـوال المشـــركين فى القـــرآن العظيـــم وفى

رسـول الله ﷺ، فهم يقـولـون فى القـرآن العظيـم إنه قصـص الغـابريـن مـن الخلق والأمـم وأكاذيبهم التى دونوها، كتبها رسول الله ﷺ أو أمر بكتـابتها له. فعلى الأولى يكون القائلون قد اعتقدوا أنه ﷺ يكتب ويقرأ، وعلى الثانية يكونون قد أقروا بأميته.

ثم إنهم يذكرون أنها تتلى عليه من أفواه كـاتبيها ليتسنى له حفظها، وأن وقت تلاوتها عليه يكون عنـد مطلع النهار قبـل أن ينتشر النـاس فى الطرقـات وعند الأصيل حيـن يرجعـون إلى بيوتهم؛ وذلك لكيلا يعلم خبره .

﴿قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ٦﴾

التفســـــــير:

بعد أن بين تعالى مـا يقوله المشركون فى القرآن العظيم وفى رسـول الله ﷺ، فإنه تعالى رد على المشـركين قولهـم فى شأن القـرآن العظيم بـأمر رسولـه ﷺ أن يقول لهم إن الـذى أنزل القرآن هو الذى يعلم السر فى السماوات والأرض .

وهذه العبـارة على قصرها تتضمـن معانى كثيـرة. فهى تثبت كـذب قولهم فى القـرآن إنه مفترى من رسول الله ﷺ أعانه عليه آخرون، وأنه أساطير الأولين، وتثبت أن منزله هو الله تعالى. ثم إن وصف منزله بأنه الذى يعلم السـر فى السماوات والأرض، يثبت أن أحدا غيره تعالى لا يعلم هـذا السر. ثـم إنه لمـا كان من هـذا السر مـا تعلق بأقـدار الخلق المكتـوبة فـى اللوح المحفوظ، وكان منه علة تشريع الأحكام، وكان منه أيضا بعض المعارف والعلوم التى لم يشأ تعالى أن يكشفها للناس، فإنه تعالى يكون قد أثبت فى النص كمال القرآن العظيم فى كل ما تضمن، فـإن لم يقبل البعـض بعض ما جـاء فيه كمـا يشاهد اليـوم من البعض مـن وصفهم عقوبات الحـدود بالشدة، فإن النـص يشير إلى قصور عقـولهم ونقصها عن أن تـدرك ما وراء ذلك من حكمة.

وقوله تعالى «إنه كان غفورا رحيما» قد يكـون قولاً منه تعالى، وقد يكون قول رسول الله ﷺ

يقولـه بأمر ربه للمشـركين، وقد يكـون المراد به هو أنـه تعالى لكـونه غفورا رحيما لـم يعجل للمشركين الـذين قالوا فـى القرآن ما قالوا عـذابهم، وقد يكون المـراد به ـ وهو الأرجـح ـ أنه تعالى يؤمل المشـركين ويطمعهم فى غفران ذنبهم الذى اقترفوا بقولهـم فى القرآن غير الحق ورحمتهم إذا ما ثابوا إلى الرشد وآمنوا به كتابا منزلا من رب العالمين .

وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ
ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا
﴿٧﴾ أَوْ يُلْقَىٰٓ إِلَيْهِ كَنزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُۥ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن
تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٨﴾

التفســـــــير:

بعد أن أظهر تعـالى قول المشركين فى القـرآن العظيم وبعد أن رد عليه، فإنه تعـالى يظهر قولهم فى رسول الله ﷺ، فيقول تعالى إنهم فى مبتـدأ أمرهم أنكروا أن يكون رسولا لكونه بشرا مثلهم يـأكل الطعام ويمشـى فى الأسواق، بمعنـى أنهم كـانوا يطلبونـه ملكا من المـلائكة. فجاءت «ما» فـى مبتدأ القول لإنكار أنه ﷺ رسـول من الله تعالى ولنفى ذلـك، ودليلهم على هذا مشابهته ﷺ فى صفة البشرية ومن طبيعتها أكل الطعام وإخراجه ـ فى المعنى المضمر ـ فضلا عن التماسه معاشه ورزقه فى العمل والتجارة وهو المعبر عنه بالمشى فى الأسواق.

ثم إن المشركيـن قالوا ـ علـى ما يبين من النص ـ إنه إذا لم يكن ﷺ ملكـا رسولا، فليس أقل من أن ينزل الله تعـالى معه ملكا يصدقه ويعـاونه فى الإنذار بالقرآن «لـولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرا». ثم إنهـم قالوا إن لم يكن هذا فليكن ـ لإثبات نبوتـه ـ أن يلقى إليه من ربه كنز يغنيه عن طلب المعاش، ليبين تفضيله على الناس. ثم قالوا إنه إذا لم يكن شىء من هذا فليكن إغناؤه بتمليكـه بستانا يدر عليه المال دون سعـى منه شأن الأغنياء من النـاس الموسع لهم فى الرزق، والمستفاد مـن أقوالهم هو إنكارهم أنه ﷺ رسول مـن ربه وحجتهم على هذا

عدم تفضله بشىء عليهم .

ثم إنه تعالى أثبت أن المنشركين أو أن العتاة منهـم الذين وصفهم تعالى بأنهم الظالمـون ـ لخـروج قولهم عن العقـل ومقتضاه ـ قالـوا للمؤمنين له ﷺ إنهـم إنما يتبعون رجلا أصـابه السحر فاختل عقله فلا يقول معقولا ولا مقبولا .

ٱنظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا۟ لَكَ ٱلْأَمْثَـٰلَ فَضَلُّوا۟ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿٩﴾

التفســـــــير:

يخاطب تعالـى رسوله ﷺ فى الآية تعجيبا لـه من قول المشركين فيه، كمـا يبين من فعل الأمر «انظر» وكون المطلوب النظـر إليه أو تبصره هو الأقوال التى قالها المشـركون فيه ﷺ. ثم إنه تعـالى يبين أن أقـوالهم هذه كـانت سبب ضلالهـم عن الحق، فـالفاء فى «فضلـوا» هى للسببية ثم فسر تعالـى ضلالهم بقوله «فلا يستطيعون سبيلا» ويقبـل المعنى أن يكون أنهم لا يملكون من بعد قولهم فيه ﷺ سبيلا يبعد بهم عن الضلال. ويقبل أن يكون ـ وهو ما نراه والله أعلم ــ أنهم لا يملكـون ـ لظهـور خطل قولهـم وحججهم ــ دليلا علـى كذبـه ﷺ، أو حجة يأخذونها عليه تثبت أنه مدعى نبوة وأنه لم يرسل من ربه بشيرا ونذيرا .

تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ وَيَجْعَل لَّكَ قُصُورًا ﴿١٠﴾

التفســـــــير:

بعد أن ذكـر تعالى مطلـب المشركين فـى رسول الله ﷺ أن يلقى إليـه كنز أو تكون لـه جنة يأكل منها، جـاء قوله تعالى ـ فى الآية ــ فى بيان حقارة مطلبهم ودناءته مبتـدئا بقوله «تبارك الذى» وفيـه بيان أنه تعـالى المتكـاثر خيره. فـى إشارة تغنى عـن التصريـح أنه تعالـى يهب

رسولهﷺ ما يقصر دونه ما اقترح المشركون من مظاهر الخير والنعيم. ثم قال تعالى إنه إن شاء الخير لرسوله فإنه يرزقه فى الدنيا رزقا يفضل ما افتتن به الكافرون، ثم إنه تعالى لما ذكر الجنات التى تجرى من تحتها الأنهار والقصور التى تكون فيها لرسول الله ﷺ، وكانت هذه من رزق الآخرة فقد بقى أن يكون الوعد بها منه تعالى هو رزق الحياة الدنيا الذى يفضل ما ذكروه من الرزق . فمجرد الوعد منه تعالى يفضل ما يعجبون به ويفتتون من الرزق لأنه وعد من لايخلف الوعد ولاالميعاد. وفى القول جاء تعليق الخير على مشيئته تعالى لبيان أنه ليس لأحد أن يعتقد أنه صاحب حق عليه تعالى فى الدنيا أو الآخرة.

وجاء ذكر الجنات لبيان تعددها مع كون جنات الدنيا لاتعدل جنة واحدة من جنان الآخرة، وجاء ذكر القصور بصيغة الجمع أيضا لبيان أنه لاينقص ﷺ شيئا فى الآخرة بل تكون الوفرة فى كل شىء يتنعم به.

بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾

التفســـــــــير:

الذى نراه ـ والله أعلم ـ أنه تعالى بين أن واقع الذين لم يؤمنوا بالقرآن العظيم كتابا منزلا من الله تعالى، والذين أشركوا بالله، والذين كذبوا رسول الله ﷺ، أن واقع هؤلاء جميعا هو أنهم كذبوا بالساعة أى بيوم القيامة والبعث والحساب. فلو كانوا يؤمنون بيوم القيامة لعلموا أنه تعالى يبعث الرسل لهداية الناس، وكان منهم تصديق رسول الله ﷺ، والتصديق بالقرآن كتابا منزلا منه تعالى. وكان منهم الإيمان به تعالى وتوحيده، وقيل إن القول يتعلق بالذين كذبوا بالساعة فقط مع إيمانهم بالله تعالى، فإن جمعوا إلى هذا الكفر بالله وبالرسول كانوا أشد كفرا.

ويذكر تعالى أنه أعد لهؤلاء المكذبين سعيرا فى الآخرة تكون جزاء لهم على تكذيبهم بالساعة .

﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾﴾

التفســـــير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ هو فى السعير التى أعدها الله للمكذبين، يذكر تعالى أنها إذا رأتهم من مكـان بعيد سمعـوا لها تغيظا وزفيـرا. ولا يمنع أن يكـون المراد بـالرؤية هـو الرؤيـة على الحقيقة بخلقه تعالى فـى السعير الحاسة والقدرة، يكون منها حالـذاك أنه يصدر منها صوت يظهر غيظها يسمعه المكذبون، كما يصدر منها زفير قـوى كأنه يتردد فيها نفس يسمعونه فيشتد بهم هول الخوف مما ينتظرهم من العذاب.

﴿وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾﴾

أولا: الأســـماء:

١ ـ **المقرنون**: فى قـوله تعـالى «إذا ألقـوا منها مكانـا ضيقا مقـرنين» هـو المصفدون أو المكتفون الذين قـرنت أيديهم إلى أعناقهم بـالأغلال. أو الذين قرن كل منهـم إلى شيطانه، فهم المقرونون.

٢ ـ **الثبـــور**: فى قوله تعالى «دعوا هنالك ثبورا» هو الهلاك، والمراد هو الدعاء به بقول «وا ثبوراه». وهو طلب حلول الهلاك يكون به الخلاص من العذاب.

ثانيا: التفســـــير:

قوله تعالـى ـ فى الآية ـ فيما يكون مـن المكذبين من بعد إلقائهم فـى السعير، فهم يلقون فى مكـان ضيق وهذا مـن قبيل التضييق علـى الكافرين وحـالهم أنهم يكـونون مقرونيـن مع شياطينهم مقيديـن بقيود تربطهم إليهم أو يكونـون مقيدى الأيدى بالرقاب بـالأغلال. فيكون منهم طلب الهلاك يخلصهم من عذابهم، يقولون «واثبوراه» كأنهم يستدعونه ويطلبونه.

﴿لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا ١٤﴾

التفســــــير:

مفاد القول هو إقنـاط المكذبين من أن يلحقهم هلاك ينجيهم ممـا يلقون من العذاب، أو إنهم إذا طلبوا الهلاك فإنه لا يكفى طلبه لمرة واحدة ولا حلوله بهم مرة واحدة، وقد يكون هذا لتجدد عذابهم يكون بـإبدالهم بجلودهم التى نضجت جلودا غيرهـا ليذوقوا العذاب، ولعدم لحوق المـوت بهم يخلصهـم من العـذاب. فيكون معنى القـول هو أنـه يقال للمكـذبين ألا يكتفوا بطلب الهلاك مرة واحدة، وأن يكرروا طلبه لتجدد عذابهم .

﴿قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى
وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا ١٥ لَّهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ
خَٰلِدِينَ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ وَعْدًا مَّسْـُٔولًا ١٦﴾

التفســــــير:

يأمر تعالى رسوله ﷺ أمر توجيه أن يسأل المكذبين ـ بعد بيان مآلهم المذكور يوم القيامة ـ على سبيـل التحسير والتهكم بهـم عما إذا كان حـالهم الـذى عرفوه ممـا ذكر آنفا هـو الحال الخير والأفضل أم حـال المؤمنين الذيـن يكونون فى الجنة الخـالدة التى لا تبلى والـذين هم فيها يخلدون، وهى التى وعدهم الله بتقواهم تكـون جزاء على إيمانهم واتقائهم غضبه وتكون مصيرا لهم إليه ينقلبون ويبقون .

ثم إنه تعالى بين لرسوله وللمكذبين أنـه يكون للمتقين فى الجنة كل ما يرغبون فيه، وأنهم فى نعيمها يخلدون، لا يخرجون منها ولا يموتون .

ثم إنـه تعالى أثبت أن ما ذكر أنـه يكون للمتقين هو وعـد عليه تعالـى، بمعنى أنه تعـالى محقق ما وعدهم، وأنـه لهذا يجب أن يكون مطلوبا من الجميع «وعـدا مسئولا» فيسعون إليه بالإيمان والتقوى .

وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٨﴾

أولا : الأســـــماء :

البـــور : فى قوله تعالى «وكنتم قوما بورا» هم «الهلكى» من البوار ـ وهو الهلاك ـ وقيل هو ما لا خير فيه، وقيل هو الفاسد .

ثانيا التفســــــــير:

قيل إن قولـه تعالى ـ فى الآيـة ـ هو قول يقولـه رسول الله ﷺ للمكذبين من بعـد تقريعهم وتحسيرهم بمـا قيل لهم من قبـل. والذى نراه ـ والله أعلم ــ أن القول إنما يتعلق بـالمشركين وحدهـم من بين المكـذبين، فقـد يكون من بيـن الذين كـذبوا بـالقرآن وبرسـول الله ﷺ ولم يؤمنــوا من لا يشـرك بالله، مثل الذين كذبوا بيوم الـدين وآمنوا بوجود الله ولم يقولـوا بإله آخر. ومثل بعض أهل الكتاب الـذين لم يؤمنوا ولم يقولوا إن عزيرا ابـن الله، ولـم يقولوا إن المسيح ابن الله .

والقول إخبار عما يكون معهم يوم القيامة، أريد به ــ مع إخبار المؤمنين بحالهم ـ إعلامهم

أنفسهـم بفساد عقيـدتهم مـن عرض مـا يكون عليـه حالهـم يوم القيـامة تحفيـزا لهم علـى الانسلاخ من عقيدة الشرك و إعلان الإيمان .

فهو تعالى يطلب تذكر يوم الحشر، يحشر فيه المشـركين ويحشر ما كانوا يعبدون فى الدنيا من آلهة بقولهم.

ثم يشير إلى المشركيـن ويخاطب فى شأنهم معبوداتهم سـائلا أو مستفهما ـ وهو العليم الخبيـر ـ عمـا إذا كانـوا ـــ أى المعبودات ـــ قد دعـوا المشركيـن إلـى عبادتهـم فكان منهـم إضلالهم، أم أن المشـركين هم الذين عبدوهـم باختيارهم و إرادتهم فكان منهـم أنهم ضلوا بأنفسهم الطريق الموصل إلى رضاء الله وجنته.

وقيل إن المقصـود بالمعبودات هـم العقلاء من المعبـودات فقط، مثـل الملائكة وعـزير والمسيح لكونهم فقط الذين ينطقون، وقيـل هم جميع المعبودات بما فيهم الجمادات ومنها الأصنام، ينطقهـا الله يوم القيامـة. وهذا هو الأظهـر، ثم إن القـول يثبت ـ مـن جهة ثانيـة ـ أن الضلال والكفر والإشراك هى اختيار الكافرين، لأن ضلال المرء بذاته السبيل لا يكون إلا لمن كان أمامه طريق الحق وطريق الضلال فاختار بذاته طريق الضلال .

ثم يخبر تعالى عن إجابة المعبودات علـى السؤال، يبدأون إجابتهم بإبداء تعجبهم من أن يتصور فيهـم صدور هذا الإضـلال منهم، وذلك لكـون العقلاء منهـم معصومين عـن إضلال الناس ولكون الجمادات صماء لا تنطق، كما يفيد القول تنزيهه تعالى عن الشرك به .

ثم إن المعبـودات تذكر أنه لـم يكن مستقيما لهم ولا متصـورا فيهم أن يتوجهوا إلـى غيره تعالى بالعبـادة، وبالتالى فإنه لا يكـون متصورا فيهم أن يطلبوا من أحد أن يعبـد غير الله الذى يعبدون، أو أن يتخذوا أتباعا يشركون بالله. ثم إن المعبودات تخبر عن سبب ضلال المشركين برأيها، فتقول إنه تعالى أسبغ عليهم وعلى آبائهـم ـ من قبل ـ نعمه، فكان منهم لما فيهم من فساد طبـع أنهم ـ بـدلا من شكره علـى نعمه غفلوا عـن ذكره وعن تـوحيده، فكان مصيـرهم الثابت فى علمه تعالى الأزلى أنهم الهلكى بعذابه تعالى.

فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا ۚ وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾

التفســـــــير:

بعد أن ذكر تعالى أن المعبودات من دونه تكـذب المشركين فى زعمهم أنها التى أضلتهم فإنه تعـالى يخاطب هـؤلاء المشركين فيخبرهـم عما عاينوه ويظهـر لهم نتيجته ، فهو تعـالى يخبرهم أن معبوداتهم كذبتهم فيما ادعوه عليها أنهـا أضلتهم، ثم يخبرهم ما يترتب على هذا وهو أنهم لا يملكـون صرف ما أُعد لهم من العـذاب عن أنفسهم ولا يجدون من ينصـرهم من دون الله بتلافى عذابه، بعد أن تبين إقرار معبوداتهم بالعبودية لله تعالى.

ثم إنـه تعالى يخاطـب الناس جميعا أو المكلفيـن بعد أن بين لهـم عاقبة أمر المكـذبين وعاقبة أمر المشركين فيخبرهم بأن من يظلم نفسـه باختيار الكفر أو الشرك فإنه يكون له عذاب كبير، جـاء تنكير العذاب مع وصفـه بالكبر وبيـان أنه تعالـى هو المعذِّب لبيان أنـه عذاب لا يتوصل إلى تقدير شدته، فيكون مفاد اللفـظ هو بيان شدة جسامة العذاب، ويكون مفاد القول هو التحذير من الكفر والشرك، والحث على الإيمان .

وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾

التفســـــــير:

الخطاب ـ فى الآيـة ـ إلى رسول الله ﷺ فى جزئه الأول، وهو من قبيـل تسليته، والقول فيه متعلق بقول المكذبين فيـه «مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشـى فى الأسواق»، ثم يتحول

الخطاب ليكون إلـى جميع الناس وإن كان القول متعلقـا بما عابه المكذبـون على رسول الله ﷺ عدم وجود كنز لديه ولا بستان، بمعنى أنهم عابوا عليه عدم غناه .

وعلى هذا فإن القول قـد تضمن ردا آخر على قول المكذبين، فيه يبين تعالـى أنه لم يرسل رسولا إلى الناس قبله ﷺ إلا كـان رجلا يأكل ويشرب بحكم طبيعته البشريـة، ويباشر العمل الذى يرتزق منه، كان هـذا شأن جميع الرسل، ولم يكن الله تعالى ليخالـف سنته فى هذا معه ﷺ فالقـول يثبت أنـه ﷺ رسول الله مـن الله مثل سائر رسلـه فيما تعلـق بالطبيعـة وما يتـرتب عليهـا .

ثم إنه تعالى يبين إن الغنى ليس دليلا علـى الفضل والتميز، ويبين أنه جعل بعض الناس أغنياء وبعضهم فقراء لحكمـة منه تعالى، وأن هذه الحكمة هى التـى وراء تقسيم الناس إلى متمتعين بالنعم وإلـى مقتر عليهم فيها يدخل فـى هذا نعمة الصحة ونعمة الولـد وغيرها مما ينعم به فى الحياة الدنيا . ومن هذه الحكمة أنه تعالى جعل اختلاف الناس فى هذا من قبيل الاختبار، ليرى هل يكون من صاحب الفضـل عطف على المحروم أم لا، وليرى هل يكون من المحروم صبر علـى ما قدر عليه مـن الرزق أم يكون الحسد. ثم إنـه تعالى يبين أنـه يكون منه الجزاء ترتيبـا على ما يكون من الناس فـى شأن هذا الاختبار، وذلك بقولـه «أتصبرون» بمعنى هل تصبرون على ما ابتليتم به من غنى أو فقـر، ومن صحة أو مرض، فيكون منكم الإفاضة من المنعم عليه علـى من قدر عليه رزقه أوصحتـه . ويكون من المحروم منكـم والفقير والضعيف الصبر وعدم الحسد، أم أنه لا يكون هذا .

ثم بين تعالى أنه يسائل العباد ويحاسبهم بما يكون منهم بقوله تعالى «وكان ربك بصيرا» بمعنى أنـه تعالى يبصر مـا يكون من كل مـن الفريقين مـن تصرف فى الاختيار ويجـازى به. والقول ـ بهـذا المعنى ـ يتضمن توجيها إلـى رسول الله صلى الله عليه وسلم للصبـر على قول الكافرين والمكذبين فيه ما لا يرضيه .

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَوۡ نَرَىٰ رَبَّنَاۗ لَقَدِ ٱسۡتَكۡبَرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ وَعَتَوۡ عُتُوّٗا كَبِيرٗا ٢١﴾

التفســــــير:

قولـه تعالى ـ فـى الآية ـ يتعلق بقـول آخر للمكذبين، أو بقـول فئة منهم، وصفهم تعـالى بأنهم الـذين لايرجون لقـاءه تعالى، والمعنى هو أنهـم يكفرون بالآخرة والبعـث وينكرون أنه تكون قيـامة ويكـون حساب وعقـاب وثواب. وقيـل إنهم لايتمنـون لقاءه تعـالى فـى الآخرة لعلمهم أنهم يعذبـون بكفرهم، وقيل إنهم لايخافـون لقاءه تعالى فى الآخرة لأنهـم لا يؤمنون بالبعث. وقولهـم الذى يخبرعنه تعالى فـى الآية هو طلبهم دليلا بعينه يثبت لهم أن محمدا ﷺ مرسل من ربه، وهـو أن تنزل عليهم الملائكة ـ وليس ملكا واحدا ـ تخبرهـم بصدقه ﷺ، أو أن يظهرلهم الله تعالى ويروه رؤية عين ليخبرهم أنه أرسل إليهم رسول الله ﷺ .

ثم إنه تعـالى قد بين أن شيئا ممـا طلبوا ليس ثمة مجـال لتحقيقه لهم بقوله تعـالى «لقد استكبروا فى أنفسهم وعتو عتوا كبيرا» فبين أنهم أعطوا أنفسهم أهمية ليست لها، وأنهم بلغوا أقصى مراتـب الكفر بطلبهم هذا، فـإن أمثالهم لا يرون المـلائكة إلا عند الموت أو عنـد نزول العذاب، كما أن رؤيتـه تعالى ممتنعة إلا علـى من شاء من ذوى العـزم من الرسل، فمـا بالك بمثلهم من الكافرين .

يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾

أولا: الأســـماء:

١ ـ **الحجـــر** : فى قوله تعالـى «ويقولون حجرا محجورا» هو الحاجز وهـو المانع يحجز الشيء فلا يمكن الوصول إليه .

٢ ـ **المحجور**: هو المحرم ، والممتنع .

ثانيا: التفســـــير:

قولـه تعالى ــ فى الآية ــ فى بيان شطط المكـذبين فى طلبهـم أن تنزل إليهم المـلائكة

تخبرهم بصدق رسول الله ﷺ، فيذكر تعالى ما يفيد أنه يكون هناك يوم يرون فيه الملائكة. وفى هذا اليـوم يقال «حجرا محجورا»، ويتصـور أن يكون المراد بهـذا اليوم هو ساعـة قبض أرواح المكذبين، فيه لا يكون تبشيرا لهم بالجنة كما يكون تبشير المؤمنين، وإنما يكون لهـم الضرب بمقامع من حديد، ويكون من الملائكة قـولهم لهم «حجرا محجورا» بمعنى أنه يكون حاجز بينكم وبيـن الجنة يجعلها ممتنعـة عليكم، هذا الحاجـز المانع هـو عدم قولهـم لا إلٰه إلا الله والقيـام بشرعهـا. ويتصور أن يكـون المراد بهـذا اليوم هـو يـوم القيامـة، فيه يـرى المكذبـون الملائكة يبشرون المؤمنين بالجنة فيتمنون أن تكون لهم مثل هذه البشرى، ولكن لا تكون لهم البشرى، ولكن تقول الملائكة «حجرا محجورا» بمعنى أنه قـد قام مانع «يحول بين الكافرين وبين البشـرى هو إجـرامهم فـى حق الله وكتابـه ورسولـه بإشراكهـم وبتكذيبهـم بالقـــرآن والرسول ﷺ.

وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾

أولا : الأســـــماء :

الهبـــاء: فى قـوله تعالى «فجعلنـاه هباء منثورا» هو التـراب الدقيق، أو الغبار الـذى تثيره سنابك الخيل .

ثانيا : التفســــــير:

قوله تعالى ـ فـى الآية ـ لايزال فى الكافرين الذين كانـوا ينتظرون البشرى شأن المؤمنين، ربما توقعوا أن يثابوا بأعمالهم الخيرة الطيبة فى دنياهم، فيكون القول إحباطا لهم، فهو تعالى يقصد إلى أعمالهم الطيبة ويجعلها فى الآخرة مثل الغبار الدقيق الذى يتفرق فى الهواء يكون معدوم الأثر، ولو كـان موجودا مشتتا فى ذرات متناثـرة. والمراد هو إظهار عدم إثابـة الكافرين بأعمـالهم الطيبة ـ فى دنياهـم ـ فى الآخـرة، إذ هم يثابـون عليها خيرا فـى دنياهم مـن خير الدنيـا.

﴿أَصْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ۝٢٤﴾

أولا : الأســـماء :

المقيل : فى قوله تعالى «خير مستقرا وأحســن مقيلا» هو المنزل والمأوى، من مقيل نصف النهار أو وقت القيلولة يكون فى منزل المرء الذى فيه راحته.

ثانيا : التفســـــــير:

يذكر تعالى ـ فى الآية ـ حال المؤمنيـن، وصفهم تعالى بأنهم أصحاب الجنة، وذكر أنهم خير مستقرا بمعنـى أن مستقرهم وهو الجنة هـو الخير، والقول لا يفيد معنى أنـه يفضل مستقر أهل النار لأن النـار لا خير فيها لداخلها، وإنما هـو تعبير أجازه العرب فى المقارنـة بين شيئين يستعمل لـدى المقارنة بينهما فـى صفة طيبة متوافـرة فى أحدهمـا دون الآخر، كذلك يـذكر تعالى أن أهل الجنـة وهم أصحابها الملازمون إيـاها أحسن مقيلا، وقيل إنهم يـدخلونها بعد الحساب الذى يقضى قبـل انتصاف النهار فيكون أنهم يقيلون فى الجنة حيـن يقيل الكافرون فى النـار. وقد يكون المعنى أعـم من هذا، بمعنى أنـه يظهر أن إقامـة أهل الجنة هى الإقـامة الحسنة فى المكان الحسن .

﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ تَنْزِيلًا ۝٢٥ الْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ عَسِيرًا ۝٢٦﴾

التفســـــير:

بعد أن ذكر تعالى بعض أحداث يوم القيامة مما يتعلق بالخلق، جاء قوله تعالى ـ فى الآية ـ فـى بيان أحداث أخـرى وأحوال لبعض خلقـه، ففيما يكـون من أحداث جـاء قوله تعـالى بالتذكيـر بها، فمعنى القول هـو «واذكر يوم تشقق السماء بـالغمام» والمعنى أنه فـى هذا اليوم

تنشقق السماء عن سحاب أبيض خفيف، ثم تنزل ملائكة السماء الأولى، فملائكة السماء الثانية، وهكذا إلى أن تنزل ملائكة السماء السابعة ثم ينزل الكروبيون وحملة العرش. فيكون هذا هو معنى تنزيل الملائكة تنزيلا .

ثم إنه تعالى بين أن الملك يكون فى ذلك اليوم هو الملك الحق، فهو حق لأنه لله تعالى الملك الحق والمالك الحق، وهو حق لأنه الملك الدائم أما ملك الحياة الدنيا الذى كان لأهلها فإنه قد زال وأصبح عدما كأنه لم يكن من قبل .

ثم إنه تعالى يذكر أن هذا اليوم يكون على الكافرين عسيرا وذلك لما يعاينون من أهواله، وما ينالهم من خزى وهوان، وما يصيبهم من عذاب.

والمستفاد من القول - بمفهوم المخالفة - أنه يكون على المؤمنين يسيرا. وفى القول جاء الفعل الماضى «كان» لبيان حتمية وقوع المخبر به وإن كان زمن تحققه فى المستقبل .

وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى
ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾
لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾

أولا : الأسماء والأعلام :

الظالم: قيل إنه عقبة بن أبى معيط، وقيل إن خليله هو أمية بن خلف. وعقبة هذا هو الذى قتله على بن أبى طالب حين كان من أسارى بدر. وكان عقبة قد هم أن يسلم فمنعه أمية.

ثانيا : التفســــــــير:

قيل فـى معنى الآيات إنهـا تعلقت بعقبة بن أبـى معيط وأمية بـن خلف خليله وصـديقه الذى صده عن الإيمان، وأن اليـوم الذى عض كل منهما فيه على يديـه هو يوم قتله، والمعنى هو اليوم الذى تحسر فيه عما كان منه من الكفر والإصرار عليه وعدم الإيمان .

والذى نـراه ـ والله أعلم ـ أنـه مع التسليم بصحة الخبـر عن عقبة بـن معيط الذى قتلـــه على كرم الله وجهه، وأمية الذى قتله رسـول الله ﷺ، إلا أنه لا يتصور أن يكون أيهما هو المعنى بـ «الظـالم» فى معنى الآيـة، وذلك لأن التحسر لا يكون مـن الميت أو المقتول على مـوته أو قتله، لأنه بعد الموت أو القتل لا يكون لديه حاسة ولا إحساس. ثم إن وضـع القول مع ما سبقه وما تلاه يفيد تعلقه بتحسر الكافر على ما كان منـه فى الدنيا عندما يعاين العذاب فى الآخرة؟ ولذلك فإننا نرى تعلق النص بعموم الكفار والمشركين .

فيذكر تعالـى أنه فى يوم القيامة يعض الكافـر على يديه، وذلك كناية عـن تحسره على ما فات من أمره فى الدنيـا. ثم يبين النص ما يكون عليه التحسر والحسرة بذكـر قول الكافر، وهو «يا ليتنى اتخـذت مع الرسول سبيـلا» بمعنى أنه تحسر لعـدم اتخاذه طريقا إلـى الرسول ﷺ يكون به الإيمان لـه والطاعة، وتحسر على تقصيره فـى حق نفسه. ثم إنه يعقب هـذا بقوله «يا ويلتى ليتنى لـم أتخذ فلانا خليـلا» يدعو بالـويل والثبور لنفسه، أو يبـدى تعرضه للويـل. ثم يبدى تحسره علـى اتخاذه من اتخذ مـن الأصدقاء خليلا زين لـه الكفر فأطاعـه، وذلك من قبيل إلقاء تبعة كفره على صديقه الذى زينه له والندم على مصادقته ومصاحبته فى الدنيا. ثم إنه يذكر ما فعله به هذا الذى صادق وصاحب فى الدنيا، فيذكر أنه أضله عن الذكر لما جاءه. بمعنى أنه صده عن ذكر الله وعن القرآن العظيم الذى دعا إليه ودعا به رسول الله ﷺ، ووصلته دعوته .

ثم يجىء قولـه تعالى ـ فى ختام الآيـة ـ «وكان الشيطان للإنسان خـذولا» ويتصور فيه أن يكون المراد بالشيطان شيـاطين الجن والإنس الذين يزينون للمـرء الكفر والعصيان، ثم يكون منهم خذلانـه وعدم مد يد العون إليـه عندما يعذب بكفـره وعصيانه. وقد يكون المـراد به هو

إبليس اللعين الذى كـان وراء ضلال الخليل الذى أضل المعذب المتحسـر، ووراء ضلاله، وكان الانصياع لأمر وسوسته سببا لعذاب الاثنين، يتخلى عنهما عند تعرضهما للعذاب ويتبرأ منهما فيكون خذولا .

وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا ﴿٣٠﴾ وَكَذَٰلِكَ
جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّٗا مِّنَ ٱلۡمُجۡرِمِينَۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيٗا وَنَصِيرٗا ﴿٣١﴾

التفســـــــير:

يذكر تعالى ـ فى نص الآية ـ ما قاله رسـول الله ﷺ شاكيا إلى ربه فعل قومه من قولهم فى القرآن العظيم غيـر الحق، وتركه بعدم الإيمان بـه، وبالتخلى عنه، ويتصور أن يكون قـوله هذا فى الحياة الدنيا ترتيبـا على ما يشاهده من قومه وما يسمعه من قولهـم فى القرآن، ويزكى هذا وعده تعالى رسوله ﷺ بالهداية إلى طريق التعامل معهم وبالنصر عليهم وإعلاء كلمة الدين والقرآن. وقيـل إن القول هو قولـه ﷺ فى الآخرة أو فى يـوم القيامة، يشكـو إلى ربه هجر قـومه القرآن وتكذيبه .

وفى القول يعزى الله رسولـه ﷺ ويسليه لكيلا يحزن على فعل قومه، فيذكـر تعالى أنه كان على هذا النحو شأن جميع الـرسل، يكون لهم أعداء من قومهم يحاربونهـم بالقول وبالفعل، فإذا كان من قومه ﷺ أمثال هؤلاء مثل أبى جهل، فقد كان للرسل من قبله أمثالهم.

ثم إنـه تعالى يطمئـن رسوله صلـى الله عليه وسلم أنـه هاديه إلـى الصواب وناصـره على أعدائه، وهذا يؤكـد تعلق قوله صلى الله عليه وسلم بفعـل قومه معه فى الدنيا وأنـه قول يقوله فى الدنيا وليس فى الآخرة .

■■■■

وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَٰهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾

التفســـــير:

يذكر تعالى - فى الآية - قولا من أقوال الكافرين يبين علة إنكارهم أن القرآن العظيم منزل من الله تعالى، وهذه العلة هى نزول القرآن منجما وليس دفعة واحدة؛ ولذلك فإنه كما يتصور أن يكون المراد بالذين كفروا هم كفار قريش، فإنه يتصور أن يكون المراد بهم هم اليهود وذلك لنزول التوراة على موسى عليه السلام دفعة واحدة.

ثم إنه تعالى يرد على الكافرين حجتهم والعلة التى أبدوها بقوله «كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا». فبين أن علة إنزال القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم منجما هى فى مقام تثبيت فؤاده، وفى مقام آخر هى ترتيل القرآن ترتيلا. فأما تثبيت فؤاده صلى الله عليه وسلم بالقرآن فيكون بتحفيظه إياه، لأنه لما كان صلى الله عليه وسلم أميا لا يقرأ ولا يكتب فإنه كان طبيعيا أن يحفظ القرآن فى قلبه ليبلغ به من بعد، ثم إنه لما كان القرآن العظيم قد تضمن أحكام العقيدة وأحكام الشريعة وكان من بين أحكام الشريعة ما يلائم وقتا بعينه ثم يكون تغييره بما يكون عليه الحكم إلى يوم الدين، فقد استوجب هذا أن يكون نزول القرآن منجما، كذلك الحال فى الأحكام التى تضمنت ما يخالف عادات الناس وما درجوا عليه مما استوجب التدرج فى الحكم مثل تحريم الخمر.

كذلك فإن تضمن القرآن الناسخ والمنسوخ استوجب هذا، وذلك ليكون ميسرا على العباد العمل بهذه الأحكام فيثبت بهذا فؤاده صلى الله عليه وسلم..

ثم إنه لما كانت تلاوة القرآن هى تعبد به، وكانت التلاوة مستوجبة التدبر، فقد تعين أن يكون القرآن مرسلا ترسيلا، ومنزلا تنجيما. لتكون التلاوة تلاوة مع التدبر.

﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ۝٣٣﴾

التفســـــير:

الخطاب - في الآية - إلى رسول الله ﷺ، وهو في شأن المكذبين بالقرآن الذين استصوبوا أن يكون نزول القرآن جملة واحدة.

يبين تعالى أنه لعلة خاصة كان نزول القـرآن منجما، ومنها أنهم ما سألوا رسول الله عن أمر من الأمور التـي لا يعرفها فسكت عن إجابتهـم عليها، إلا ونزل القرآن عليها بـالجواب الحق، الذى يفصل الأمر بأفضل مما كان عليه سؤالهـم. فيكون فى هذا الدليل على أنه من عند الله الذى لا يغيب عن علمه شىء.

ويقبل المعنى أن يكون إنه لا يتفـوه المشركون والمكذبون بكلام يقدحون بـه فى أمر نبوته ﷺ إلا وكان منه تعالى الرد عليهم بما يبطل قولهم مع تفسير معنى رده تعالى عليهم يكون من أسلوب القول وبتفسير رسول الله ﷺ.

﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا ۝٣٤﴾

التفســـــير:

قولـه تعالى - فـى الآية - هـو القول الفصل فـى المقارنة بين المكـذبين وبين المـؤمنين، ويبدو من قوله تعالى «أولئك شر مكانا وأضـل سبيلا» أن القول هو قول يقال للمكذبين الذين ادعوا أنهم أفضل مقاما من المؤمنين وأنهم على صواب فى عقيدتهم أو الذين قالوا للمؤمنين فى رسول الله ﷺ إنه شر الخلق.

فجاء القول بما يفيد الإعـلام بواقع، أو بقول يقوله المؤمنون لهم، وهو أن الكـافرين الذين

يكون حشرهـم إلى الله تعالى يوم القيـامة وهم يزحفـون على وجوههم ليكون مصيـرهم جهنم التى يلقون فيها هم أصحاب شر الأماكن على الإطلاق كما كانوا فى دنياهم أصحاب الطريق الضالة والمضلة فيكون القول مشيرا إلى بطلان عقيدتهم وضلالها، ومبينا أن ضلال عقيدتهم هو الذى أدى بهم إلى أن يحشروا إلى جهنم زحفا على وجوههم إذلالا لهم و إهانة .

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ
وَجَعَلْنَا مَعَهُۥٓ أَخَاهُ هَٰرُونَ وَزِيرًا ﴿٣٥﴾ فَقُلْنَا ٱذْهَبَآ إِلَى ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ
كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا فَدَمَّرْنَٰهُمْ تَدْمِيرًا ﴿٣٦﴾

التفســــــير:

لما كان منه تعالى أن وعد رسوله ﷺ بالهداية وبالنصر على المكذبين بقوله «وكفى بربك هاديـا ونصيرا» فإنه تعـالى شرع فى الآيـة فى بيان مـا كان منه من قبـل مع الرسل مـن هدى ونصر.

فذكر تعالـى أنه آتى موسى الكتاب وجعل معـه أخاه هارون بمرتبة الوزيـر التابع،وقيل إن المراد بالكتـاب ـ فى معنى الآيـة ـ هو التوراة. والذى نـراه ـ والله أعلم ـ أنـه الصحف وليس التوراة، وذلك لأنه لم تكن التوراة قد أنزلت بعد على موسى عليه السلام عندما أمره تعالى أن يذهب وهارون إلى فرعـون وقومه. ثم إنه فى هذه الفترة كان هارون عليـه السلام تابعا لموسى فى مرتبة الوزير ثم إنه تعالى جعله نبيا .

ويذكر تعالى أنه أمر مـوسى وهارون بالذهاب إلى القوم الذين كذبوا بـآياته تعالى والمراد بهم قوم فـرعون، ووصفه تعالى إياهـم بأنهم الذين كـذبوا بآياته وقتذاك ـــ أى قبل أن يعرض عليهم موسى آيات الله فيه ومعجزاته ـ يفيد أنهم كذبوا بآيات الله التى أيد بها رسله السابقين، وذلك لما ثبت من أن قوم فرعون كانوا مشركين .

وقوله تعالى «فدمـرناهم تدميرا» يفيد أن موسى عليه السلام قـد عرض آيات الله ومعجزاته على فرعـون وقومه فكذبوا بها كمـا كذبوا بآيات الرسـل السابقين فكان منه تعالـى أن دمرهم بالهلاك أشد تدمير، وهو ما كان بالقضاء عليهم بإغراقهم .

وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ وَجَعَلْنَٰهُمْ لِلنَّاسِ ءَايَةً ۖ وَأَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٣٧﴾

التفســــــير:

يذكر تعالـى ـ فى الآية ـ مثلا آخر لنصـره رسله على مكذبيهم، فيذكر فعلـه بقوم نوح عليه السلام. وجاء لفظ «قوم» منصوبا من بعد قوله تعالى ــ فى الآية السابقة ـ «فدمرناهم تدميرا» ليكون معنـى القول هو «ودمرنـا قوم نوح»، وقد بيـن تعالى السبب الـذى دمر به قوم نـوح وهو تكذيبهم الرسل، ذلك أنهم بتكذيبهم نوح عليه السلام قد كذبوا ما دعا إليه جميع الرسل فى شأن العقيدة من إيمـان بالله وتوحيده وعدم الشرك بـه. ثم إنه تعالى يذكـر أنه جعلهم للناس آية، والمراد أنه جعـل قصة هلاكهم للناس جميعا آيـة عظيمة تدل على قدرته تعـالى وعلى استحقاق المكذبين أشد العذاب، وصرح تعالى بأن عذابه فيهم كان بإغراقهم بالطوفان الذى علمه جميع الناس حتى المتأخرين منهم الذين ثبت لهم بطريق العلم وقوع الطوفان فى هذه الفترة من الزمان .

وقوله تعالى ـ فى ختام الآية ـ «وأعتدنا للظـالمين عذابا أليما» يبين أمرين، حاصل أولهما هو أن تعـذيبه قوم نوح كـان تطبيقا لحكم عام منـه تعالى هـو أن يكون للذين ظلمـوا أنفسهم بتكذيبهم الرسل عذاب أليم إذا شاء تعالى. وحاصل ثانيهما أنه تعالى جعل لمكذبى الرسل ـ فى الآخرة ـ عذابا أليما، يدخل منهم قوم نوح المذكورون فى النص .

﴿وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا ۝٣٨﴾

أولا : الأســـــماء :

أصحاب الرس : قيل إنهم أهل قـرية من «اليمامة» تدعى «الـرس» و «الفلج» قتلوا نبيهم فأهلكهم الله، وقيـل إنهم قوم كانوا يسكنـون حول بئر تسمى «الرس» آذوا نبيهـم فأهلكهم الله بالغرق فى البئر الذى نهاراً بهم. وقيل إن الرس قرية بين نجران واليمن. وقيل غير هذا .

ثانيا : التفســـــير:

قوله تعالـى ـ فى الآية ـ لايزال فى بيـان نصره تعالى رسله على المكـذبين بهم أو الانتقام لهم منهم. جـاء قوله تعالى «وعادا وثمـود وأصحاب الرس» معطوفا على قـوم نوح، أو بمعنى «واذكرعادا وثمود وأصحـاب الرس» والمراد هم الهلكى الذين أهلكهم الله بتكـذيبهم الرسل. ثم إنه لبيان المعنـى المطلوب إيصاله إلى الأفهام جـاء قوله تعالى «وقرونـا بين ذلك كثيرا»، فدل على أنه تعالى أهلك أقواما كثيرين بتكذيبهم الرسل. ثم إنه لما كانت علة إهلاكهم هى المراد إظهارها ، فلم يعد لازما التعريف بهذه الأقوام على وجه التحديد والتعيين .

﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ ٱلْأَمْثَٰلَ ۖ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا ۝٣٩﴾

أولا : الأســـــماء :

التتبيـــر : فى قوله تعالى «وكلا تبرنا تتبيرا» هو التفتيت، والمراد به ـ فى معنى الآية ـ هو الإهلاك .

ثانيا : التفســـــير:

مفاد قوله تعالى ـ فى الآية ـ هو أنه لم يهلك أمة من الأمم إلا مـن بعد أن ذكرهم بالإنذار وأنذرهـم بعاقبة الكفـر والتكذيب. فمعنـى القول هـو أن كل قوم مـن الأقوام المذكـورين أو

المشار إليهم بعبارة عامة مما أهلك الله ومما أعد لهم العذاب الشديد فى الآخرة، كان منه تعالى معهم أنه ضرب لهم الأمثال التى يتعظ بها فكان ذلك منه تحذيرا لهم، كما يبين النص ـ ببيان حلول العذاب بهم ـ أنهم لم يتأثروا بالأمثال المضروبة ولا بالتحذير أو الإنذار، فكان منه تعالى أنه أهلكهم وبدد شأفتهم.

وَلَقَدْ أَتَوْا عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ ۚ أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنَهَا ۚ بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ نُشُورًا ﴿٤٠﴾

التفســــير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ فى كفار مكة، جاء من بعد ذكر عاقبة أمر المكذبين من قولهم، واستهدف القول إثبات عدم اعتبارهم بالآيات وتقصيرهم فى حق أنفسهم. فيثبت تعالى أنهم وصلوا إلى مكان القرية التى أمطرت مطر السوء، وهى «سدوم» ـ على ما سبق بيانه ـ التى كان أهلها يباشرون اللواطة أو إتيان الذكور وكفروا رسولهم لوطا، فأهلكهم الله بمطر السوء حجارة مسومة عند ربك.

ثم إنه تعالى يثبت عدم اعتبار مشركى مكة بما رأوا من آثار هذه القرية بقوله تعالى «أفلم يكونوا يرونها» فالقول يثبت أنهم رأوها ورأوا آثار تدميرها، ثم إنه يثبت ـ على ما يبين من صيغة المضارع فى الفعل ـ أن رؤيتهم القرية أو آثارها كانت متكررة منهم، وذلك لاستمرار رحلات التجارة بين مكة والشام، ثم إنه تعالى ينكر عليهم عدم تبصر آثار تدمير القرية والاعتبار به بالاستفهام الإنكارى المستدل عليه بقوله تعالى «أفلم يكونوا يرونها».

ثم إنه تعالى أوضح علة عدم اعتبار كفار مكة بما عاينوا من آثار «سدوم» بقوله تعالى «بل كانوا لا يرجون نشورا» والمعنى أنهم لا يعتقدون أنه يكون نشور من بعد الموت وحساب وجزاء؛ ولذلك فإن إنكارهم أن يكون هناك حساب وجزاء فى الآخرة استوجب منهم إنكار وقوع الجزاء فى الدنيا، فاعتقدوا أن ما حدث هو محض مصادفة بأن نزل الهلاك بقرية كان

أهلها مكذبين بالرسل .

﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا ۚ وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٢﴾﴾

التفســـــير:

قوله تعالى ـ فـى الآيتين ـ هو فى كفار مكة وفى أقوالهم فـى رسول الله ﷺ، وفيما ينتظرهم من سوء المصير.

يذكر تعالى أنهم ما أن يروا رسول الله ﷺ إلا اتخـذوه مادة للهزء به والسخرية منه، ثم يبين تعالى فعـلا من أفعالهم المنطويـة على مثل هذا الهـزء، فيبين تعالى أنهم يشيـرون إليه بقول «هذا» تحقيرا لشأنه الرفيع ﷺ، ويسأل بعضهم بعضـا فى استنكار قائلا «أيكون هذا هو الذى بعثه الله رسولا» وقيل إن قائل القول هو أبو جهل وأصحابه .

ثم يذكـر تعالى أنهم يضيفون إلـى هذا قولهم فيه ﷺ إنـه أوشك بدعوته أن يصـرفهم عن عبادة أصنامهم التى ألهوهـا وهو الضلال عن الحق ـ بقولهم ـ إن كان قـد حدث. ثم يذكرون أن ذلك لم يحدث لثباتهـم على عقيدتهم وتمسكهم بعبادة أصنامهم. ومفـاد قول المشركين هذا هو أنه ﷺ قد أخلص فى الدعوة وأقام من الحجج ما كاد به صناديد المشركين أن يعدلوا عن دين آبائهم ويؤمنوا له ﷺ .

ثم يجىء قوله تعالى ـ فى ختام الآية ـ «وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلا» توعدا لهم بالعذاب الأليم جزاء على هزئهـم به ﷺ ، وعلى إصرارهم على الكفر بعد أن تبين لهم صحة دعـوته ﷺ. وبيانا لأنهـم قالوا شططا حيـن زعموا أنه ﷺ أوشك أن يضلهـم عن

الحق بدعوته التى لزم أن تكون إلى باطل كمـا لزم أن يكون عليه السلام على باطل - بقولهم - وإظهارا لواقـع ما يكون منهم حيـن يرون العذاب وهو إقـرارهم بما عرفـوا بأنهم الذيـن كانوا ضالين، وأن شركهم هو الطريق الضال أو أنه أضل سبيل يؤدى إلى شر مكان، جهنم يصلونها وبئس المصير.

أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا ﴿٤٣﴾

التفســـــــير:

الخطاب - فـى الآية - إلى رسـول الله ﷺ وهو فى التعجيب مـن فعال مشركى مكـة فيما يتعلق بأمور عقيدتهم، وهو تعجيب يكون للمؤمنين عموما .

والمتعجب منه هو اتخاذ المشرك من المشركين من هواه أو مما يهوى إلٰها يعبده، وقد كان ذلك يحدث حينما يـرى المشرك حجرا يعجبه منظره أو لونه فيصنع منـه تمثالا يعبده. فتكون الرؤية هى الرؤية على الحقيقة، ويقبل القول أن يكون المتعجب منه هو فعل المنافقين الذين يتبعون أهواءهم وشهواتهم فينساقون إليها ويتبعون ما تدفعهم إليه فتكون أهواؤهم بمثابة آلهة لهم يعبدونها .

وقوله تعالى لرسوله ﷺ «أفأنت تكون عليه وكيلا» هو استفهام أريد به إنكار توكله ﷺ بأمر هؤلاء المشركين أو كونه حفيظا عليهم مسئولا، ثم إنـه يفيد صعوبة انقياد من كان حاله اتخاذ إلٰهه هواه إلى الانقياد إلى الهدى، فلا يكون استمراره على الضلال مستوجبا الحزن .

أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾

التفســـــــير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ موجه إلى رسول الله ﷺ الذى اجتهد فى إبلاغ المشركين الرسالة، ينكر عليه تعالى حسبانه أو اعتقاده أن أكثر هؤلاء المشركين يسمع آيات الله المتلوة حق السماع، أو يعقل ما يشاهد من آياته تعالى فى خلقه أو ما يأتى به رسول الله من الحجج .

فيكون القول مفيدا أن أكثر المشركين هم على هذا النحو من الغفلة عن الحق.

ثم إنه تعالى يذكر أن حال هؤلاء الكثرة من المشركين يماثل حال الأنعام من سماع آيات الله تتلى أو سماع حديث البشر، لاتدرك منه إلا كونه أصواتا لا تفهم معانيها ولا تتدبر منها مقصودا فيكون تعقل أمرها والاتعاظ به.

ثم إنه تعالى يذكر أن حال أكثر الكافرين والمشركين أنهم أكثر ضلالا من الأنعام، وذلك لأن الأنعام قد عرفت بغريزتها التى أودع الله فيها من يحسن إليها ومن يسىء فاقتربت من المحسن ونأت عن المسىء. أما الكافرون فإنهم لا يعرفون ما عرفته البهائم فهم يطيعون الذين يزينون لهم ما يرديهم من شياطين الجن والإنس وينأون عن رسول الله ﷺ ويعرضون وهو الذى يدعوهم لما يحييهم .

أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾

أولا : الأســـماء :

الظـــل : قيل إن المراد به ـ فى معنى الآية ـ هو الفترة ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس، وقيل هو ما بين غروب الشمس وطلوعها. وقيل هو ما يكون مشاهدا عندما يحول

جسم بين موضع وبين الشمس من عدم وصول أشعة الشمس إلى هذا الموضع. وهذا هو المقبول لدينا ـ والله أعلم ـ فى معنى الآية .

ثانيا : التفسـير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ فى بيان آية من آياته تعالى الدالة على وحدانيته كان مفترضا أن يدركها المشركون، وهى متعلقة بالظل. والخطاب ـ فى الآية ـ إلى رسول الله ﷺ، والمراد به كل من له عقل، والاستفهام أريد به تأكيد معنى رؤية المستفهم عنه فهو استفهام تقريرى بمعنى أنه يقر واقعا يلمسه ويدركه المخاطب بالقول.

وهذا المشاهد أو المرئى هو الظل الذى مده ربك، والمتعجب منه لكونه آية هو كيفية مده تعالى هذا الظل وهو يبسطه وامتداده بالنظر إلى الحركة الظاهرية للشمس .

وقوله تعالى «ولو شاء لجعله ساكنا» هو بيان لحقيقة ما يعرف بالقوانين الكونية ومنها ارتباط طول الظل وقصره بالحركة الظاهرية للشمس.

بين تعالى أن هذه القوانين لا تعدو كونها شيئا من خلقه تعالى لا نقيده، فهو تعالى قادر على أن يبطل عملها، فالأمر معلق بمشيئته تعالى وحدها، ولو كانت مشيئته أن يكون الظل ثابتا لا ينبسط فيمتد ولا يقصر إلى أن يمحى، لكان ما أراد تعالى، أو لأبقاه على حاله من الطول أو القصر.

ثم إنه تعالى يبين ارتباط وجود الظل وامتداده وقصره بوجود الشمس وبحركتها الظاهرية بقوله تعالى «ثم جعلنا الشمس عليه دليلا» بمعنى أنها علة وجوده وسبب تغير هيئته.

ثم إنه تعالى يذكر أنه يزيل الظل ويمحوه من بعد وجوده تدريجيا وعلى نحو يسير بقوله تعالى «ثم قبضناه إلينا قبضا يسيرا»، وورود قوله هذا بعد ذكره تعالى جعله الشمس على الظل دليلا، يفيد ارتباط زوال الظل بحركة الشمس الظاهرية دون أن يخل هذا بكون الأمر جميعا بميشئته تعالى .

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ۝٤٧﴾

أولا : الأســــماء :

١ ـ اللباس : فى قوله تعالى «جعل لكم الليل لباسا» المراد به ـ فى معنى الآية ـ هو الستر، وذلك باعتبار أن اللباس يستر ما تحته من جسم الإنسان .

٢ ـ السبات : فى قـوله تعالى «جعـل لكم النوم سباتـا» المراد به ــ فى معنى الآية ــ هو الراحة ، تكـون بالانقطاع عن العمـل، وذلك بالنظر إلى أصـل اللفظ وقد روعى فيـه ما جرت عليه عـادة البعض وقت نـزول النص من تقليـد اليهود فى الانقطـاع عن العمل يـوم السبت، فاستعمل العرب اللفظ بمعنى الراحة، وبه جاء قوله تعالى .

ثانيا التفســـــــير:

يذكر تعالى ـ فى الآية ـ بعض مظاهر قدرتـه تعالى التى تدعو إلى الإيمان به وتوحيده مع كونها من نعمه تعالى على الإنسان.

فيذكر تعالى أنه الذى أوجد الليل مظلما ليكون سترا للناس فلا تطلع منهم العيون على ما يريدون ستـره، كما جعل النوم الذى أنعم بـه على الأحياء ومنهم الإنسان ـ والـذى يكون وقته الطبيعى هو الليـل ـ راحة للإبـدان من تعب العمل، تسترد بـه الأجسام قوتها وتـرتاح العقول وتتغذى بما يصلها من دماء فى استلقائها.

وجاء قـوله تعالى «وجعـل النهار نشورا» مبينا عـدة أمور، منها أنـه تعالى جعل النهـار هو الوقت الطبيعى للانتشـار والعمل، ثم إن ورود القول من بعد ذكره تعالـى جعله النوم سباتا أو راحة قـد بين العلاقة المتـلازمة بين حصول الإنسـان على الراحة بـالنوم وبين تجدد نشـاطه على العمل فى النهار.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾ لِّنُحْـِۧىَ بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا وَنُسْقِيَهُۥ مِمَّا خَلَقْنَآ أَنْعَٰمًا وَأَنَاسِىَّ كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا۟ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٥٠﴾﴾

التفسير:

قوله تعالى ـ في الآية ـ في بيان آيات أخرى من آيات قدرته تعالى التي تدعو إلى الإيمان به وتوحيده ثم هي من قبيل النعم المنعم بها على خلقه وأخصه الإنسان .

فيذكر تعالى أنه الذي أرسل الرياح، خلق مسببات وجودها من انخفاض ضغط الهواء في مناطق وزيادته في أخرى، ثم وجهها ليكون لها دورها في توجيه السحاب إلى حيث يشاء وليكون لها دورها في تسبيب حصول المطر ـ وقد سبق بيان كيفية حدوث هذا علميا ـ وعلى هذا الحال تكون الرياح مبشرات قدام المطر أنه يكون من بعدها، ذكره تعالى باسم الرحمة لأنه يكون رحمة بالناس والحيوان والأرض، ثم صرح تعالى بأنه ترتيبا على إرساله السحاب يكون إنزاله المطر ـ على الأسباب الظاهرة ـ وصفه تعالى بأنه طهور، وهو كذلك لأن ماء المطر النازل من جهة العلو هو ماء نقي طاهر وصل في طهارته أقصى مراتب الطهارة، ثم لأنه يكون به التطهر من الدنس .

ثم إنه تعالى أظهر أخص أوجه الانتفاع بماء المطر الذي يبدو كأنه علة إنزاله ببعض المناطق، فبين تعالى أنه يحيي به بلدة ميتا، والمراد بهذا أنه يحيي موات الأراضي التي أجدبت بسبب نقص المياه، وهي المناطق التي لا تجري فيها أنهار ولا تنفجر فيها عيون، فهي تنبت نباتا ينمو على مياه الأمطار، وبانعدامها تجف الأرض وتتشقق فتكون مواتا، ثم ذكر تعالى أنه يسقي من ماء المطر هذا بعضا من خلقه، والمراد هو الخلق الذي يشرب من

ماء المطر مباشرة أو يخزنها فى مخازن، وليس من يشرب من مياه الأنهار، وهذا البعض من خلقه يتمثل فى أنعام تعيش في هذه المناطق وأناس يحيون فيها متنقلين أو متخذين أكنانا.

ثم يذكر تعالى فعله فى ماء المطر كيف يوزعه بين بقاع الأرض، مبينا ما كان واجبا تبينه من هذا التوزيع، وما هو عليه الحال على الحقيقة. فيذكر تعالى أنه صرفه بين الناس. فجعل المطر ينهمر سيولا فى مناطق ليجرى أنهارا تمر فى مناطق أخرى فيكون لأهل كل بقعة. أو لسكانها نصيب منه على نحو تصريفه تعالى ماء السيل بينهم، ثم إنه جعل مطرا آخر ينزل فى مناطق تحيا به على ما قدر تعالى أن يكون لهم فيه من نصيب. ثم أتبع تعالى ذكره هذا ببيان أنه كان مفترضا أن يكون لتصريفه تعالى المطر على هذا النحو بين الخلق الدليل على عظم قدرته فيكون منهم التذكر والاعتبار والإيمان والشكر. ثم أثبت تعالى أن أكثر الناس لم يقع منهم هذا، ولم يرجعوا الأمر إليه تعالى، فمنهم من زعم أن تصريف الماء على هذا النحو هو نتيجة لحركة الكواكب والنجوم، ومنهم من أرجعه إلى فعل الطبيعة كما يقول بهذا الماديون اليوم، وهذا من قبيل الكفر بالله تعالى وكفران بالنعم .

وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴿٥٢﴾

التفسـير:

الخطاب ـ فى الآيتين ـ إلى رسول الله ﷺ، بدأ القول بالتمهيد لأمر أمر به تعالى رسوله ﷺ. أما التمهيد للأمر فتمثل فى بيان أنه تعالى لو كانت مشيئته قد اتجهت إلى تخفيف عبء الرسالة والدعوة إلى الإسلام عن رسوله ﷺ لكان منه تعالى أن عدد المرسلين فأرسل فى كل قرية من القرى فى زمانه ﷺ رسولا يدعو بدعوته، يكون منذرا بالعذاب جزاء لمن

لا يؤمـن. ويفهم من القـول أنه تعالـى لم يشأ هذا ولـم يفعله تشريفـا له ﷺ و إقرار بكفـاءته وقدرته على الرسالة والإبلاغ بها .

أما الأمـر المترتـب على هـذا، فقد جـاء في جـزء منه بـالنهى عـن الاستجابـة لما يـريده الكافرون منـه ﷺ ومنه عدم التعرض لآلهتهـم، وجاء في جزء آخـر بالأمر بمجاهـدتهم جهادا كبيرا، وهو جهاد يكون بـالقرآن العظيم، يبلغ به ويقيم به الحجج عليهـم، ويعمل بأوامره و إن أمرت بقتالهم، وقـد يكون كبر الجهاد بتوجيه الـدعوة إلى جميع خلق الله لكونـه ﷺ قد بعث للناس كافة .

﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ٥٣﴾

أولا : الأســـــماء :

١ ـ الفرات : في قوله تعالى « هذا عذب فرات» هو الشديد العذوبة، وقيل هو البارد .

٢ ـ الأجاج : في قوله تعالى «وهذا ملح أجاج» هو الشديد الملوحة، وقيل الشديد الملوحة والحرارة، وقيل هو الحار .

ثانيا : التفســـــــير:

قوله تعالى ـ في الآية ـ في ذكر مظهر آخر مـن مظاهر قدرته تعالى الدالـة على وحدانيته، فيذكر تعالى أنه الذي أجرى البحار في مجاريها، أجرى الأنهار ـ المعبر عنها بالعذب الفرات ـ وأجرى البحار والمحيطات، وصفها بأنها مالحة أو شـديدة الملوحة، ثم ذكر تعالى أنه جعل بينهما حاجزا يحول دون انقلاب العذب مالحا وانقلاب المالح عذبا.

وواقع الأمـر أن الآية تشير إلى معجـزة علمية. ذلك أن عـدم اختلاط الماء العذب بـالماء المالـح عند مصبات الأنهـار وشواطىء البحـار، حتى أن إختلاط المـياه لايتم أحيانـا إلا في

عرض البحر يـرجع إلى ظاهرة تسمى «قـوة التوتر السطحى» تنشأ من اختـلاف التجاذب بين جزئيات الماء العذب والماء المالح لاختلاف كثافتيهما، فيكون هذا هو الحد الفاصل بينهما أو هو البـرزخ الذى ينشـأ عن التوتـر السطحى بيـن البحريـن وعن قوة الجـاذبية التـى تجعل الأنهار تصب فـى البحار وليس العكس، كما ينشأ عـن الدورة الهيدرولوجية التـى تبخر الماء من البحر لتعيـده إلى النهر، ويظل التوازن قائمـا والحاجز موجودا. فسبحـان الله العظيم أشار إلى هذا قبل أن يعرفه العلم بنحو ألف سنة أو يزيد.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾﴾

التفســـــــير:

يذكر تعالى ــ فى الآية ـ آية تدل على قدرتـه تعالى، جاء ذكرها من بعد ذكـره تعالى آياته المتعلقة بالمـاء لارتباط هذه بتلك. فيذكر تعـالى أنه الذى أوجد جنس الإنســان من الماء ، كان ذلك لكون الماء الذى دخل الطين هو أحد مكـونات مادته والفاعل فى التكوين، ولكون الإنسان مخلوقا من ماء مهين، ثم كان منه بعد هذا أن جعل الإنسان ذكروا ينسب إليها و إناثا ذوات أصهار، فكان بهذا بقاء جنس الإنسان.

ثم بين تعالى أن خلقه الإنسان من ماء وجعل التنـاسل فيه من ذكر وأنثى مرجعه إلى الماء هو مظهـر من مظاهـر عظم قدرته، وذلـك لاختلاف شكل جسـم الإنسان وأعضائه عـن هيئة المـاء، واختلاف هيئة الوليد عن هيئة الماء الذى كان به منشأ خلقه. وهذا جميعه دليل قدرته والباعث على الإيمان به تعالى وتوحيده.

﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۗ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾﴾

التفســـــــير:

بعد أن ذكر تعالى فى الآيات السابقات ما ذكـر من صور قدرته ونعمه التى توجب الإيمان به وتـوحيده، فإنه تعـالى ـ فـى الآية ـ يعجـب من فعل المشركيـن وهو عبادتهـم من دون الله معبودات لا تنفعهم ولا تضرهم، والمراد بهذه المعبودات هى الأصنام على وجه الخصوص.

ثم إنه تعالى يبين واقع المشركين فى هذا فى عبارة تفيد معنى ذكر سبب تحول المشركين عن عبادته تعـالى وحده المستدل عليها من آيـاته إلى عبادة الأصنام، فيقرر تعـالى أن الكافر كان ولا يـزال مظاهرا على ربـه، بمعنى أنه يظاهـر الشيطان ويناصـره على ربه أو يظاهـر عتاة الكافرين على ربه ويناصرهم .

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٥٦﴾

التفســـــــير:

جاء قولـه تعالى هذا من بعـد ذكره تعالى حال المشركيـن والكافرين منه تعـالى لإذهاب الحزن عـن نفس رسول الله ﷺ لعـدم إيمان هؤلاء. فيقول لـه تعالى إنـه لم يرسلـه للناس إلا ليكون بشيرا للمؤمنيـن ونذيرا للكافرين، وقيـل لهم ولعصاة المؤمنين ينذرهـم بالعذاب لدى إصرارهم على البقاء علـى الضلال، والمستفاد من النص هو أن الكافريـن المنذرين يكونون فى كل زمان، ولهذا وجب إنذارهم.

﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ۝٥٧﴾

التفســـــــير:

يأمر تعالى رسوله ﷺ ـ فى الآية ـ أن يقول للكافرين إنه لا يطلب منهم أجرا على إبلاغهم

الرسالة ودعوتهم للإيمان، والمراد بيانه هـو نفى انتفاعه ﷺ من أداء الرسالة أو استهدافه مثل هذا النفع. ثم إنه ﷺ يستثنى من هذا القول العام الأجـر الذي يكون له بإيمان من يؤمن منهم ويتخذ بإيمانه طريقـا موصلا إلى ربه. ثم إنه لما كانت فائدة إيمان مـن يؤمن إنما تعود عليه فى مقام أول، فإن القـول ـ وإن بدي فى شكل استثناء ـ إلا أنه يقـرر ذات المعنى وهو أنه ﷺ لم يطلب بدعوته الكافرين للإيمان أجرا ولا منفعة.

وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ ۚ وَكَفَىٰ بِهِ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾

التفســــــير:

قوله تعالـى ـ فى الآية ـ استئناف لأوامره إلـى رسوله ﷺ المتعلقة بتعامله مـع الكافرين، فبعد أن بين تعالى لرسوله ﷺ ما يقوله للكافريـن، فإنه تعالى بين له فى الآية ما يفعله معهم. أو فى شأن تعامله معهـم، فيأمره تعالى أن يتوكل عليه واصفا نفسه بـأنه الحى الذى لا يموت كما أمره بتسبيحه وتنزيهه عما لايليق بذاته.

ومن عبارة القـول يبين أنه يجب الاعتمـاد عليه تعالى وحـده فيما يتعلق بنيل الأجـر على الدعـوة وأداء الرسالة، والاكتفـاء به تعالـى حافظا مـن شرور الكافريـن، كما يبين أيضـا خطأ التوكل على من ليس بحى مثل الأصنام، وعلى من هو حى ويجرى عليه الموت مثل البشر أو ذوى المكانة والسلطان منهم. والأمر وإن كان موجها إلى رسول الله ﷺ إلا أن مضمونه مأمور به بمعنى أنه يجب على جميع المؤمنين التزامه.

وقولـه تعالى ـ فـى ختام الآية ـ «وكــفى به بذنـوب عباده خبيرا» جاء لتسليتـه ﷺ لكيلا يحزن على إصـرار الكافرين على الكفـر، كما جاء وعيدا لهـؤلاء، لأن خبرته تعالى بـأعمالهم الظاهرة والباطنة تفيد معنـى محاسبته تعالى الكافرين بها وتعذيبهم بكفـرهم وبإساءتهم إلى رسوله ﷺ.

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾﴾

أولا : الأســـماء:

الخبيــر: فى قوله تعـالى «فاسأل به خبيرا» قيـل إن المراد بـه ـ فى معنى الآيـة ـ هو الله تعالـى، وقيل هـو جبريل عليـه السلام، وقيل هـو رسول الله ﷺ، وقيـل هو من لـديه علـم من الكتاب من أهل الكتاب .

ثانيا : التفســـير:

يذكر تعالى ـ فى الآية ـ صفات أخرى لذاته فيذكر أنه الذى خلق السماوات والأرض وما بينهما فى ستة أيام ثم استوى على العرش، وهو وصـف يفيد عظم قدرته وعظم ذاته وقد سبق بيانه.

ثم إنه وصف نفسه بأنه الرحمن وهو وصف يتضمـن المدح، ثم إنه تعالى قال «فاسأل به خبيـرا» والمأمـور بأن يسـأل عن الـرحمـن هو كـل من يـريـد معرفـة إجابـة المستفهم عنـه، والمستفهم عنـه ليس ذاتـه تعالـى وإنما هو صفتـه المتعلقة بكـونه الـرحمن أو بمعنـى لفظ الرحمن؛ ولهـذا فإن الإجابة على المستفهم عنـه لاتكون إلا لدى من عرف صفته تعـالى هذه وهو رسول الله ﷺ عرفها منه تعالى بواسطة جبـريل عليه السلام، والذى عرف معنى اللفظ هو من لـديه علم مـن الكتاب بموضـع اللفظ فيـه وبدلالته. والقـول يتضمن توجيهـا ألا تطلب الإجابة على شىء مستفهم عنه إلا ممن تكون لديه المعرفة .

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ﴿٦٠﴾﴾

التفســـــــــير:

يذكـر تعالى ـ فـى الآية ـ فعـل الكافرين عنـدما يطلب منهـم السجود لله تعالى مـذكورا باسمه «الرحمــن» أو بصفته. والآمر هو رسول الله ﷺ بأمـر ربه داعيا إياهم إلى عبـادته تعالى. والذى يكون منهـم هو ردهم على الأمـر باستفهام ، يقولـون «وما الرحمن» ويتصـور فى معنى القول أنـه استفهام عـن المسمى بالـرحمن، فيكـون السؤال تعبيرا منهـم عن تجـاهلهم رب السماوات والأرض وادعاء عدم معرفته، ويتصور أن يكـون الاستفهام هو عن معنى اللفظ، أى عن معنـى لفظ «الـرحمن»، قـد يكون السبـب هو أنهـم لم يـألفوا ذكـره كما كـانوا يـذكرون «الرحيم» و«الراحم»، وقد يكون ما قيل مـن أن اللفظ أصله عبرى، دليل ذلك أن السؤال جاء بـ «ما» وليس بـ «من» مما يدل على أن الاستفهام كان عن اللفظ وليس عن المسمى .

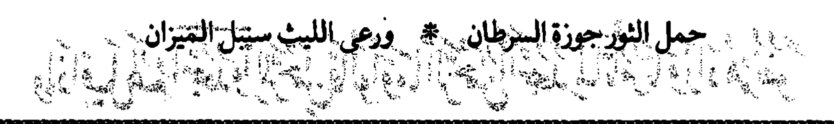
ثم يذكر تعالى أنهم يخاطبون رسوله ﷺ بعد ذلك قائلين «أنسجد لما تأمرنا» والمعنى هو أنهم ينكـرون أن يكون منهـم السجود لمـن لا يعرفـونه لمجـرد أن رسول الله ﷺ أمـرهم بهـذا السجود، فيكون قولهم متضمنا إنكارهم أن أمر رسول الله ﷺ هو أمر ربه.

ويجىء قوله تعالـى ـ بعد ذلك ـ «وزادهم نفورا» مفيدا معنـى أن الكافرين ازدادوا ابتعادا عن الدين ونفورا من الإيمان لدى سماعهم الأمر بالسجود للرحمن .

● تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾

التفســـــــــير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ فى بيان استحقاقه تعالى وحده أن يعبـد وأن يسجد له، فهو الذى تزايـد منه الخير، جعل فـى السماء بروجا، وهـى الاثنا عشر برجـا المعروفة التى أجملهـا قول الشاعر:



ورمى عقرب بقوس لجدى * نزح الدلوبركة الحيتان

كما جعل تعالى فى السماء سراجا هو الشمس كما يبين من قوله تعالى «وجعل الشمس سراجا»، كما جعل فيها قمرا ينير الأرض إذا طلع .

وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ خِلۡفَةٗ لِّمَنۡ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوۡ أَرَادَ شُكُورٗا ﴿٦٢﴾

التفسير:

قوله تعالى - فى الآية - فى فعال له من فعال قدرته الدالة على استحقاقه وحده أن يعبد، فهو تعالى الذى أوجد الليل والنهار يخلف كل منهما الآخر، يفيد من هذا من كان له عقل فيتدبر فى قدرة الله على الخلق فيكون تفكيره تذكرا يثاب عليه إذا ما كان دافعا له إلى الإيمان.

كما يفيد منه من فاته شىء من مفروضات العبادة فى أيهما فيؤديه أو يقضيه فى الآخر، كما يفيد منه من أراد أن يشكر الله على نعمه أو من أراد أن يؤدى نافلة من العبادات، يؤديها فى الليل أو فى النهار.

وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ
يَمۡشُونَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ هَوۡنٗا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا ﴿٦٣﴾
وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمۡ سُجَّدٗا وَقِيَٰمٗا ﴿٦٤﴾

أولا : الأسماء :

الهون : فى قوله تعالى «الذين يمشون على الأرض هونا» هو اللين والرفق .

ثانيا : التفســـــــير :

بعد أن ذكر تعالى أفعال الكافرين والمشركين ومنها امتناعهم عن السجود لله تعالى لذكره تعالى فى الأمر بأنه الرحمن، جاء قوله تعالى فى الآية فى المؤمنين وصفهم تعالى بأنهم عباد الرحمن، فجاء القـول مبينا الفرق بين الذين رفضـوا السجود للرحمن بادعائهـم جهلهم به أو بمعنى اسمه أو صفته تعالى، وبين الذين قالوا سمعنـا وأطعنا فدخلوا فى عباد الرحمن الذين تشملهم رحمته.

ذكر تعالـى حالهم مع أنفسهم ببيان أنهـم يمشون على الأرض هونا، بمعنـى أنهم يمشون برفـق لا يدقون الأرض تدليـلا على قوتهـم على الخلق ولا يمشـون مختالين مستكبريـن على الناس.

ثم بين تعالى حـالهم مع الناس فذكر أنهم إذا خاطبهم الجاهلـون، والمراد هو مخاطبتهم بما يسيء إليهم كان منهم قولهم للجاهلين «سلاما»، بمعنى أنهم يطلبون محض السلام من أذاهم وتركهم دون رد إساءتهم، أو أنهم يسلمون عليهم سلام توديع وليس سلام تحية.

ثم يذكر تعـالى حالهم مع ربهم فيذكـر أنهم يبيتون ليلهم ساجدين وقـائمين، فهم يحيون الليل أو بعضـه بالعبادة وبـالصلاة، وجـاء ذكر السجود قبـل القيام وإن كان متـأخرا عنـه فى الفعل لأن العبد يكون أقرب ما يكون من الله تعالى وهو فى سجوده .

﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ٦٥
إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ٦٦﴾

أولا : الأســــماء :

الغــــرام : فى قوله تعالى «إن عذابها كان غراما» هو الأمر اللازم، وهو الهلاك

ثانيا : التفســـــــير:

بعد أن ذكـر تعالى فعال المـؤمنين مع النـاس ومع ربهم، فإنـه تعالى ــ فى الآية ـ يـذكر أقوالهم الـدالة على ما فـى قلوبهم، فهم يلتجئـون إلى ربهم بالـدعاء طالبين منـه أن يصرف عنهم عذاب جهنم فى آخرتهم فيجنبهم عذابها، فـدل هذا على خشيتهم عذابه تعالى وأنهم لا يأمنون عذابه، ثم إنهم يعرفون أن عـذاب جهنم هو العذاب المهلك الذى يتجنبون أن يردوه ويسألون الله أن يرده عنهم، ثم إنهم يؤمنون بما قالـه تعالى فى جهنم فيصفونها بما وصفها به تعالى ذما لها ولـلاستقرار فيها والمقام فيقولون مستعطفين لأجل إبعـادهم عن جهنم إن بئس المستقر هو الاستقرار فيها وبئس المقام هو المقام فيها .

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾

أولا : الأســـماء :

القـــوام : فى قوله تعالى «وكان بين ذلك قواما» هو الوسط، والعدل .

ثانيا : التفســـــير:

قوله تعالى ـ في الآية ـ هو فى صفات عباد الرحمن الذين وعدهم تعالى بالرحمة، والصفة المذكورة فى الآية متعلقـة بصرف المال، فهم لا يسرفون، وكل إنفاق فـي معصية هو إسراف، وهم لا يقترون، وكل إمساك عن إنفاق فى طاعـة الله فهو إقتار أو تقتير، ثم إن أمرهم فى الإنفاق فى طـاعة الله ومنها أعمـال البر هو إنفـاق العدل والوسـط، فهو لا يصل فـى الزيادة إلـى حد الافتقار أو التعرض لـه أو صرف ما يلزم العيال، ثم هـو لا يصل فى القلة إلى حـد أنه لا يستفاد به. والمعنى هو اعتدالهم فى الإنفاق .

﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ
الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾﴾

أولا : الأســـماء :

الآثــام : فى قوله تعالى «يلق أثاما» هو العقاب .

ثانيا : التفســــير:

بعد أن ذكر تعالى صفـات المؤمنين وأعمالهم مع الناس ومعه تعـالى مما يفيد استبعاد أن يكون منهم فعـل من الأفعال التى ورد ذكـرها فى الآية. فإنـه يبين أن المراد بذكـر عدم إقدام عباد الرحمن على هذه الأفعال هو التعريض بكفار مكة الذين درجوا على مقارفتها .

أما حال المؤمنين المـذكور فهو أنهم لا يشركون بالله تعالـى، وأنهم لا يقتلون نفسا حرم الله قتلهـا وعصمها إلا حـال وجـود سبب يسيـغ القتـل مـن قصاص أو حـد فـى ردة أو فى زنـى محصن، وأنهم لا يقارفون الزنى .

ثم إنه تعالى أوضح أن من يفعل شيئا من هذه الأفعال يعاقب به فى الآخرة ، فيكون القول توعدا للكافرين بتعذيبهم بهذه الكبائر .

يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ
وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ
وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٧٠﴾

التفســــير:

بعد أن أوضـح تعالـى أن من قـارف كبيرة من الكبـائر المذكـورة فى الآيـة السابقـة يلقى العذاب عقـابا له، فإنه تعالـى بين ماهيـة هذا العقاب، فـذكر أنه يضـاعف له العـذاب يوم القيامة، وقد يكون سبب ذلك أن مقارف الفعل من الكـافرين على ما يبين من تعريض النص بهم، فتكون مضاعفة العذاب لهم لأنهم يعذبون بكفرهم ثم يعذبون بذنوبهم. كما ذكر تعالى

أنهم يخلدون فى العذاب أذلاء مستحقرين .

ثم إنه تعالى مـن بعد ذكره حكم هؤلاء استثنى ممن يوقع بهم مـن تاب وآمن وعمل عملا صالحا، فاشترط فـى المستثنى من الحكم أن يجمع بين التوبة عـن الكفروعن عمل الكبائر وبين الإيمان بالله ورسـوله وكتبه واليوم الآخر، وبين عمل الصالحـات. وغير مختلف على أن اجتماع هذه الأمور يغفر الشرك والزنى، والمختلف بشـأنه هو غفران قتل النفس، وذلك لتعلق الأمر بحق للعبد مع حق الله وهو تعالى يغفر الخطـأ فى حقه. وقد يكون الملجأ هو إلى رحمته تجعل المقتول يصفح عن القاتل يوم القيامة.

وقد بيـن تعالى أن الـذين تجتمـع فيهم هذه الأمـور الثلاثة يبـدل الله سيئاتهـم حسنات، فيكتب لأحدهم «مؤمن» بدلا من كافر، وقيل إن الإبدال يكون في الدنيا، فيكون الإحصان بدلا من الزنى والفجور، كما يكون الإيمان بدلا من الشرك، وقيل إنه يكون فى الآخرة حتى أن أقواما يتمنون أنهم أكثروا السيئات لما يشاهدون من وضع الحسنة مكان السيئة لمن اجتمعت فيهم هذه الأمور.

ثم إنه تعالى يبين حتمية وقوع ما وعد بقـوله تعالى «وكان الله غفورا رحيما» فبين أنه يفعل ما وعد به بحكم كونه غفورا رحيما، فهو يغفر للتـائبين المؤمنين العاملين الصالحات ما قرفوا من الذنوب من قبل، ويبدل سيئاتهم حسنات برحمته .



التفســـــير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ يكاد يكون بيـانا لاستحقاق التائبين للخير الوفير الذى عاد عليهم بتوبتهم وإيمانهم وعملهم الصالحات.

فهـو تعالـى يذكـر أن الذى تـاب عن الـذنـوب وندم علـى مقارفتهـا، وقرن تـوبته بعمـل

الصالحات، فإنه يكون قد رجع إلى الله تعالى رجوعا يرضيه تعالى، فيكون من آثاره محو ذنوبه وما استحق عليها من عقاب، ثم إنه لما كان تعالى يحب التائبين فإنه يكون شاملهم برحمته ولهذا فإنه يبدل سيئاتهم حسنات .

﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ۝٧٢﴾

أولا : الأســــماء :

١ ـ الــــزور : قيل إن المراد بـه ـ فى معنى الآية ـ هو الشهادة الكاذبة، وقيـل هو الغناء ، وقيل هو النياحة، وقيل الكذب. وقيل هو كل شىء باطل ومائل عن الحق.

٢ ـ اللغـــو : هو كل ما لا خير فيه، وقيل هو الكلام الباطل، وقيل هو القول المستهجن .

ثانيا : التفســـــير:

قوله تعالـى ـ فى الآية ـ فى ذكر أوصـاف أخرى لعباد الرحمن، فهم لا يفعلـون الباطل من فعل ومن قول عمدا، ولذلك لا يتصور أن يكون منها قول الزور أو الشهادة الكاذبة أو الانكباب على مشاهدة صور اللهـو المحرم، كما لا يكون منهم الاهتمام به أو بمظاهـره إذا ما تعرضوا له أو عرض لهم بغير قصد إذ يكون منهم المرور بـه دون الالتفات إليه. فهم لا يفنون أوقاتهم فيما لا نفع فيه من ذكر الله أو كسب عيش أو ترويح عن النفس بما يرضيه تعالى ولا يغضبه .

﴿وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ۝٧٣﴾

التفســـــير:

القول لا يزال فى وصف عبـاد الرحمن أو فى ذكر صفاتهم، والصفة مـذكورة بطريق النفى، لما جاء فـى صفة عدم شهادة الزور، وقـد يكون المراد بهذا هو التعـريض بالكافريـن باعتبار

أنهم الـذين يفعلـون السوء الذى نفـى تعالى فعلـه عن المـؤمنين. وفى الآيـة وصف تعـالى المؤمنين عباده بأنهم الذين إذا ما تليت عليهم آيـاته تعالى أو ذكروا بها سمعوها بآذان واعية، وإذا ما تلوها أبصـروها بعيون راعية وقلوب واعية، وعملوا بهـا، ولم يكونوا كالكافـرين الذين يخرون عليها صما وعميانا .

﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾

أولا : الأســـــماء :

قرة الأعيـــــن : فى قوله تعـالى «قرة أعين» قيل هو دمعة السرور تكـون باردة، فيكون لفظ «قـرة» من «القـر» وهو البـارد. وقيل هـو استقرار العيـن، فيكون لفـظ «قرة» مـن القرار. وعلـى الحالين فإن التعبير يكنى به عن السرور والفرح أو عن ذهاب الخوف وعدم الاطمئنان .

ثانيا : التفســــــير :

لايزال القول فـى وصف عباد الرحمـن، يكون شأنهم مـع أولادهم ونسائهم مـا يكون من الراعى مع الرعية إذ يبغى صلاحهم ويتمناه ويكون لهم قدوة حسنة. وهكذا فإن عباد الرحمن يدعون ربهـم أن يهدى أزواجهم وذرياتهـم إلى الحق والطاعـة، فتقر بذلك نفـوسهم وتستقر عيونهم لاتزيـغ خوفا عليهم من غضبه تعـالى يلحقهم فى الدنيا والآخـرة. ثم إنهم لا ينسون أنفسهم فى دعائهم لأزواجهم وذرياتهم بالخير، فيـدعونه تعالى أن يجعلهم أئمة يهدون إلى الحق ويكونون لهم قدوة حسنة فى الإيمان وفى فعل الخيرات .

﴿أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا ﴿٧٥﴾ خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾﴾

أولا : الأســـــماء :

الغرفة: المراد بهـا ـ فـى معنى الآية ـ هو الـدرجة العـالية فى منـازل الجنة، وقيـل أعلى منازلها، وقيل هى السماء السابعة .

ثانيا : التفســـــــير:

قولـه تعالـى ـ في الآيتيـن ـ هو الإخبـار عن عبـاد الرحمن المـذكورين فـى الآية الثـالثة والستين من السورة. يخبـر تعالى أنهم يجزون عن أفعـالهم المتولدة عن صفاتهـم المذكورة أعلى مراتب الجنة وهـى منازل قيل فى وصفها وفى مادتها الكثير، يهمنـا من ذلك أنها تعنى علو مرتبة شاغليها بين أهل الجنة.

ثم إنـه تعالى يـذكر أنهم فـى هذه المنازل العاليـة يتلقون تحية المـلائكة ودعاءهـم لهم بالسلام، ويبين أن تنعمهم بهـذا إنما كان بسبب ما صبروا عليه، من طـاعة وعبادة وما صبروا عنه من المعاصى.

ثم إنه تعالـى بين أنهم يخلدون فى الجنة لا يمـوتون ولاهم منها يخرجون، ثـم مدح الجنة فبين أن خير قرار هو قرارها وخير المقام هو المقام فيها .

قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ ۖ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا ﴿٧٧﴾

التفســـــير:

جاء قولـه تعالى هذا ختامـا للسورة التى نزلـت فى بيان القرآن العظيم أو الفـرقان، وبينت موقف المكذبين به والكـافرين، وموقف المؤمنين. جاء القول فى خـاتمتها أو خاتما لها أمرا من الله تعالى إلى رسوله ﷺ أن يقول للمكذبين ـ علـى ما يبين من قوله تعالى «فقد كذبتم» ـ أو بقوله للناس عامة باعتبار أن المكذبين بعض منهم.

وفى القول قـد تكون «ما» للاستفهـام فيكون المعنى هو «هل كـان تعالى يهتم بـأمركم أو

يعتدبكم لو لـم يكن قد خلقكم لعبادته» وقـد تكون للنفى، فيكون المعنى أنه تعـالى لا يهتم بأمر الناس ولا يعتد بهم إلا لأمر واحد هو عبادتهم إياه تعالى.

فيكون المعنى هـو أن سبب تكريم الإنسان وتسخير الكـون له هو قيامه بعبـادة الله تعالى، ولولا هذا لما ارتفع قدره على قدر العجماوات والبهائم والجمادات .

ثم يجىء الخاص من بعـد العام بأن يخبر رسول الله ﷺ الكافرين بأنهم قـد كذبوا بالقرآن العظيم، بمعنـى أنه لم يكـن منهم فقط عدم العبـادة ، وإنما كان منهـم فوق هذا التكـذيب بالقـرآن العظيم وبـرسول الله ﷺ؛ ولذلـك فقد لـزم وتعين أن يلقوا جـزاء ذلك عـذاب جهنم والخلود فيه .

■■■■

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة الشـــعراء

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾

التفســـــير:

افتتحت السورة بأسماء الأحرف المتقطعة، وقد سبق بيـان ما قيل فيها. ثم إنه تعالى أشار إلى السورة باسم الإشارة «تلك» لبيان بعد منزلها فى السمو والعلو، وأخبر أنها آيات من آيات القرآن الذى أظهر جميع ما ورد به وفصل الأحكام .

لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾

أولا : الأسـماء :

الباخـع : فى قوله تعالى «لعلك باخع نفسك» هو القاتل، وذلك من «البخاع» وهو العرق الملاصق الفقرات العنقية أو القريب منها الذى يكون أقصى مدى للذبح .

ثانيا : التفسـير :

الخطاب ـ فى الآيـة ـ إلى رسول الله ﷺ، ومفاد قولـه تعالى هو «أئنك قاتـل نفسك حزنا على الكفار لعدم إيمانهـم أو خوفا عليهم ألا يؤمنوا». فيكون المستفاد مـن عبارة القول هو أنه ﷺ قد بلغ به الحزن غايته لما رأى من عدم إيمان كفار مكة، شفقة عليهم وخوفا أن يكون منه تقصير فى الدعوة، ثم إنه تعالى بين أنه ليس هناك موجب لأن يعتريه الحزن لعدم إيمانهم.

إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴿٤﴾

التفسـير :

قوله تعالى ـ فى الآية ـ لإذهاب حزن رسول الله ﷺ لعدم إيمان كفـار مكة، يعلمه تعالى أنه لم يشأ أن يؤمنوا جميعهم، وإنه لو شاء تعالى هذا لكان منه أن أنزل عليهم من السماء آية تكون مجبرة إياهـم على الإيمان، ويكون من عجب أمـرها أنها تجعل أعناقهم مـرفوعة إليها لتراها عيونهم ولتخضع لها قلوبهم.

وجاء الإخبار عـن الأعناق بجمع العاقـل لبيان أن الكافريـن هم الذين يخضعـون. فيكون المستفاد مـن عدم إنزاله تعـالى هذه الآية أنـه تعالى لـم يشـأ لهم جميعا أن يؤمنـوا، وانعدام السبب الموجب لحزن رسول الله ﷺ .

﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ مُحْدَثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ ۝٥﴾

التفسـيـر:

قوله تعالى ـ في الآية ـ رواية لما يكون من الكافرين عندما ينزل تعالى على رسوله ﷺ جديدا من آيات القرآن العظيم يبلغ الكافرين خبرها أو يخبرهم بها مبلغا رسول الله ﷺ، فيذكر تعالى أنهم ما أن تبلغهم هذه الآيات إلا وكان منهم الإعراض عنها ثم إنه لما كان إنزال الآيات متجددا متكررا، فقد تكرر منهم الإعراض عنها.

فيكون القول مبينا مدى إصرار هؤلاء الكافرين على الكفر مما يستوجب عدم الحزن على عدم إيمانهم.

﴿فَقَدْ كَذَّبُوا فَسَيَأْتِيهِمْ أَنبَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ۝٦﴾

التفسـيـر:

مفاد قوله تعالى ـ في الآية ـ هو أن كفار مكة المصرين على الكفر قد كذبوا بالقرآن العظيم كتابا من الله تعالى من قبل أن يسمعوه ومن قبل أن يعرضوا عنه؛ ولهذا فليس ثمة موجب للحزن على عدم إيمانهم.

ثم إنه تعالى يتوعدهم بوقوع ما أخبر به القرآن العظيم وأنبأ أنه يكون لهم من العذاب، يدخل في هذا عذابهم بالقتل والأسر في بدر وعذابهم يوم القيامة يكون جزاء لهم على استهزائهم بالقرآن العظيم.

فيكون القول مثبتا عليهم استهزاءهم بالقرآن ـ وعلى كفرهم به.



أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿٧﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٩﴾

التفسير:

ينكر تعالى على الكافرين عدم اعتبارهم بآيات الله تعالى فى الخلق من بعد ذكره عدم اعتبارهم بآياته تعالى المنزلة فى القرآن العظيم.

فالاستفهام بالنفى فى قوله تعالى «أولم يروا» يفيد أنه كان مفترضا فى الكافرين أن يعتبروا بآية خلقه من الأرض الواحدة أنواعا مختلفة من النبات المتشابه بعضه والمختلف بعضه والذى منه الطيب والنافع فيكون منهم الإيمان به تعالى وتوحيده، كما أنه يفيد إنكاره تعالى عليهم عدم إيمانهم مع ظهور هذه الآية وتوبيخهم على ذلك.

ثم إنه تعالى يثبت أن فى آية خلقه هذه معجزة كان مؤداها لدى ذوى العقول هو أن يؤمنوا بالله ويوحدوه وأن يؤمنوا بالقرآن العظيم ولرسول الله ﷺ.

كما يثبت أنه كان مقدرا منذ الأزل ألا يكون أكثر الكافرين مؤمنين على ما ثبت فى علمه تعالى أنهم يصرون على الكفر.

ثم إنه تعالى يعلم المؤمنين أنه غالب على أمره بحكم كونه العزيز وأنه ناصر دينه، وأنه إنما يمهل الكافرين فلا يعجل عذابهم رحمة بهم، فهو يرحم من تاب وآمن بحكم ربوبيته برسوله وللناس أجمعين .

وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾ قَوْمَ فِرْعَوْنَ ۚ أَلَا يَتَّقُونَ ﴿١١﴾

التفسـير:

يتصور أن يكون الانتقال فى الحديث إلى الإخبار عما كان من موسى عليه السلام مع فرعون وقومه من قبيل التسرية عن رسول الله ﷺ ببيان أن تكذيب الرسل والتكذيب بالآيات ليس أمرا مستحدثا معه ﷺ وإنما هو أمر كان من جميع الرسل. ويتصور أن يكون مقصوده هو أن يخبر رسول الله ﷺ الكافرين بقصة موسى عليه السلام مع المكذبين من قوم فرعون، تحذيرا لهم من أن يلقوا مصيرهم إذا ما أصروا على الكفر وبقوا عليه.

وفى الآيتين يذكر تعالى أنه نادى موسى وخاطبه آمرا أن يتوجه إلى القوم الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والشرك بالله والعمل بالمعاصى والتنكيل ببنى إسرائيل، ثم بين تعالى أن هؤلاء الظالمين هم قوم فرعون، أمر تعالى موسى أن يأمرهم باتقاء غضب الله تعالى يكون بإيمانهم وتركهم العمل بالمعاصى وإطلاق بنى إسرائيل، فكأن معنى القول هو أن يأمرهم موسى بتقوى الله، أو أن يسألهم ـ منكرا عليهم عدم اتقاء غضب الله ـ قائلا «ألا تتقوا ربكم».

قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ﴿١٢﴾ وَيَضِيقُ صَدْرِى وَلَا يَنطَلِقُ لِسَانِى فَأَرْسِلْ إِلَىٰ هَٰرُونَ ﴿١٣﴾ وَلَهُمْ عَلَىَّ ذَنۢبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴿١٤﴾

التفسـير:

يذكر تعالى ـ فى الآيات ـ ما كان من بعد أمره تعالى موسى بالتوجه إلى قوم فرعون ودعوتهم إلى اتقاء غضب الله. فيذكر تعالى أن موسى عليه السلام اعتذر إلى ربه بثلاثة أسباب يخشى منها ألا تكون به الكفاءة والقدرة على أداء ما أمره به ربه، وأنه لهذا سأل ربه أن يرسل جبريل عليه السلام إلى أخيه هارون بالوحى فيكون نبيا يؤازره ويشد عضده .

والأسباب الثلاثة الذى ذكرها موسى هى: خوفه من تكذيب قوم فرعون إياه فى قوله لهم إنه نبى، وخوفه من أن يضيق صدره بكفرهم فيكون من أثر ذلك تلعثمه وعدم انطلاق لسانه مفصحا بالإبلاغ والإنذار وما كلف به، وخوفه من أن يقتلوه بما كان منه من قتل الرجل الذى خاصم رجلا من بنى إسرائيل بغير عمد حين وكزه موسى فقضى عليه. وقد يكون طلبه عليه السلام من ربه أن يرسل إلى هارون من بعد ذكره السبب المتعلق بعدم انطلاق لسانه مفيدا معنى الاعتذار بما كان في موسى من عيب فى الكلام وأن الحدث لم يكن بعد أن أزال الله عنه هذا العيب فى النطق .

قَالَ كَلَّا فَاذْهَبَا بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ ﴿١٥﴾ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٧﴾

التفسير:

تضمن قوله تعالى ـ في الآيات ـ ما يفيد أنه تعالى رفض أن يرفع عن موسى عليه السلام عبء التكليف بالتوجه إلى فرعون وقومه كما يبين من لفظ «كلا» كما تضمن بيان إزالة سبب الخوف من أن يقتله قوم فرعون بقتله أحدهم وذلك بإيضاح أنه تعالى يكون معه ومع أخيه يسمع قولهما ويحفظهما من اعتداء قوم فرعون وينصرهما عليهم، ثم إن القول قد يفيد إزالة سبب الخوف من عدم انطلاق لسانه عليه السلام بالحديث، على ما يفهم من كونه تعالى معهما يستمع إلى حديثهما. ثم إن القول يفيد استجابة الله تعالى لموسى فى طلبه أن يبعث إلى هارون أو أن يرسل إليه .

ثم إنه تعالى أمر موسى وهارون بالتوجه إلى فرعون وأن يعرفاه بصفتهما التى يحادثانه بها وهى أنهما رسول رب العالمين، وفى القول جاء لفظ «رسول» بصيغة المفرد لبيان أنهما فى

شأن الرسالة بمثابة رسول واحد لكونهما مبعوثين من الله الواحد، وبرسالة واحدة وإلى قوم معينين.

ثم إنه تعالى أوجز مضمون ما يطلبان من فرعون بأنه إرسال بنى إسرائيل معهما، والمعنى هو التخلية بينهما وبين قومهما فلا يمنع بني إسرائيل من اتباعهما، ولو كان فى ذلك خروجهم معهما إلى خارج البلاد .

قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾

التفسير:

المستفاد عقلا من عبارة الآيتين والأحداث المروية فيهما أن موسى وأخاه هارون قد توجها إلى فرعون وأنهما خاطباه بما أمرهما ربهما أن يخاطباه به، ثم إنه تعالى يبين أن فرعون لم يلتفت إلى قول موسى وهارون، ولم يلق إليه بالا وأنه توجه إلى موسى مؤنبا مقرعا فسأله على سبيل الإنكار والتوبيخ لإقرار واقع أن فرعون وأهل بيته قاموا بتربية موسى فى بيت الملك منذ أن كان حديث عهد بالولادة، وأنه بقى فى مصر مع قوم فرعون عددا غير قليل من السنين، وذلك قبل مغادرته مصر متجها إلى مدين، ومذكرا إياه بأنه فعل فعلته التى فعل وهى قتله رجلا من آل فرعون أو من خاصته، قائلا إن هذا قد وقع من موسى عليه السلام كفرانا بنعمته عليه إذ رباه فى بيته وأبقاه فى بلده. وقيل إن فرعون أراد بقوله إن موسى كان يؤمن بما يؤمن به قوم فرعون وهو ما ادعى موسى أنه كفر بالله فيما خاطب به فرعون. ويبعد أن يكون هذا صحيحا لأن الأنبياء معصومون من الكفر قبل أن يبعثوا أنبياء، إلا أن يكون فرعون قد اعتقد هذا على خلاف الحقيقة فتحدث به .

■■■■

قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِى رَبِّى حُكْمًا وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَىَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٢﴾

التفسير:

يذكر تعالى - فى الآيات - رد موسى عليه السلام على فرعون قوله، فيذكر تعالى أن موسى أقر بقتله الرجل الذى هو من آل فرعون بقوله إنه قتله آنذاك عن جهل منه «فعلتها إذا وأنا من الضالين» والمعنى هو أنه عليه السلام لم يقصد إزهاق روح الرجل وإنما قصد فعل الوكز فقط ولم يدر أنه قد ينتج عنه إزهاق روح الرجل.

ثم إنه عليه السلام ذكر ما كان منه عقب ذلك وهو خروجه هاربا من مصر خوفا من قوم فرعون أن يقتلوه بالرجل، ثم أعلم فرعون بأن الله آتاه الحكمة والعلم وأنه اختاره نبيا ذا رسالة بعثه بها فكان من المرسلين، فكان القول متضمنا إشارة إلى أنه بعث إلى فرعون بدعوة تدخل فى مضمون ما أرسل به .

ثم إنه عليه السلام رد على فرعون ما مَنَّ به عليه من تربيته فى بيته فأنكر أن تكون هذه نعمة، لأن تربيته إياه فى بيته إنما كانت نتيجة مترتبة على استعباده بنى إسرائيل، الذى كان منه أنه كان يقتل الذكور من أبنائهم، وهو الأمر الذى استدعى إلقاءه فى النهر فكان التقاطه بواسطة أهل فرعون ثم كانت تربيته فى بيته .

قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾

التفســــير:

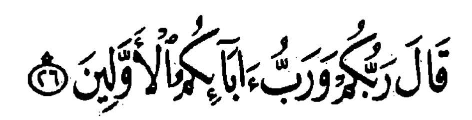
يذكر تعـالى ـ فى الآيتين ومـا بعدهما ـ ما دار من حـوار بين موسى عليه السـلام وفرعون، فيذكر تعالى أن فـرعون سأل موسى عن رب العالمين، فيكـون المستفاد من السؤال والمعنى المضمر فيه هو أن موسى عليه السلام قد نفذ ما أمره به ربه فقال لفرعون مع أخيه إنهما رسول رب العالمين؛ ولذلك سأله فرعون عن رب العالمين هذا الذى ذكره له .

ثم يذكر تعالى أن موسى أجاب على سؤال فرعون بقوله إنه تعالى رب السماوات والأرض وما بينهما، ثم أتبع هـذا بقوله «إن كنتم مؤمنين» والمعنى أن موسى أفصـح عن بعض صفاته تعالى بذكره أنه رب السماوات والأرض ومـا بينهما بمعنى أنه الذى أوجد السماوات والأرض وما بينهما ممـا تدور فيه الأفلاك وما يحيط بـالكرة الأرضية من غلاف، وأنه الـذى يحفظ كل هذه الموجودات العظيمة وما فيها، فيكون القول متضمنا بيان آية الألوهية وشرطها وهو القدرة على ما لا يقدر عليه غير الله، ولهذا جاء قوله لفـرعون وقومه «إن كنتم موقنين» والمعنى هو «إن كنتم تعرفون أن لكل مخلوق خالقا، وأن القدرة هى مناط الألوهية» .

قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾

التفســــير:

مفاد قولـه تعالى ـ فـى الآية ـ هو إن فـرعون عندما سمـع قول موسى خشـى أن يكون منه تأثير على مستمعيه ممن كانوا حوله من خاصته، وقال لهم «ألا تستمعون» وقوله استفهام أريد به التعجب من رد موسـى عليه السلام والتأثير على فكرهم بالإيحاء إليهـم بقصور قول موسى عن الإفادة بالإجابة على السؤال .



التفسير:

مفاد قوله تعالى ـ فى الآية ـ هو أن موسى استرسل فى إجابة السؤال عندما رأى من فرعون محاولته التأثير على خاصته فكان منه المزيد من البيان بذكر صفة أخرى من صفات رب العالمين موضوع السؤال، فقال لفرعون إنه ربه وقومه ورب آبائهم الأولين جميعا. أراد بالقول دحض زعم فرعون أنه إله وبيان أنه رب نعمته وقومه ورب آبائهم بما يفيد احتياجهم جميعا إليه تعالى .

﴿قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمُ ٱلَّذِىٓ أُرۡسِلَ إِلَيۡكُمۡ لَمَجۡنُونٞ ٢٧﴾

التفسير:

يخبر تعالى عما كان من فرعون بعد سماعه قول موسى عليه السلام، فيقول إن فرعون قال لمن حوله من خاصته إن رسولهم الذى أرسل إليهم مجنون، وهو يقصد موسى عليه السلام قال مستهزئا به ساخرا منه إنه الرسول الذى أرسل إلى هؤلاء الخاصة التابعين، ثم إنه أراد أن يسفه قول موسى فى نظر خاصته فوصف موسى بأنه مجنون، كأنه أراد أن يوحى لخاصته أنه لجنونه لا يعى السؤال الموجه إليه فيجيب عليه بما لا تعلق به ولا يرتبط به بعلاقة .

﴿قَالَ رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَمَا بَيۡنَهُمَآۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡقِلُونَ ٢٨﴾

التفسير:

مفاد قوله تعالى ـ فى الآية ـ هو أن موسى عليه السلام بعد أن سمع قول فرعون الموجه إلى خاصته فسر له ولهم معنى وصفه الله بأنه رب السماوات والأرض وما بينهما فذكر له ولهم أنه رب المشرق والمغرب، بمعنى أنه الذى أوجد الليل والنهار وقضى بحركة الكواكب والشموس أو النجوم، وسير السحاب المسخر بين السماء والأرض. ثم إنه لما كانت هذه الأمور آيات ظاهرة فإنه قال لفرعون وقومه «إن كنتم تعقلون» بمعنى أنه لو كانت لهم عقول

تفهم وتتدبر لكانوا قد علموا أن من قدر هذا هو وحده رب العالمين المستحق أن يعبد.

﴿قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴿٢٩﴾﴾

التفسير:

يذكر تعالى - في الآية - أن فرعون قال لموسى «لئن اتخذت إلٰها غيرى لأجعلنك من المسجونين» والمستفاد من القول هو أن فرعون أعيته الحيلة بعد أن أقام عليه موسى الحجة، وأنه لم يستطع أن يرد عليه بما يبطل حجته، فكان منه الاعتماد على سلطانه، منتهيا إلى ما أراد الانتهاء إليه فأمر موسى عليه السلام بأن يتخذه إلٰها معبودا من دون الله، وأنذره بأنه ما لم يفعل ما أمره به فإن أمره أن يكون واحدا من المسجونين بأمر فرعون الذين علم موسى ما يعانون من ألم في سجونهم .

﴿قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾﴾

التفسير:

مفاد قوله تعالى - في الآية - هو أن موسى عليه السلام لم يرهب من فرعون تهديده له أن يجعله من المسجونين، وأن ذلك كان منه عليه السلام ثقة منه بقول ربه له إنه معه وأخيه يسمع ويرى، وإظهارا لفرعون صحة قوله إنه وأخاه رسولا رب العالمين، فكان قوله لفرعون استفهاما عما إذا كان يقوم على سجنه في حال إتيانه بأمر يفصح بجلاء عن صدقه وكونه نبيا مرسلا من ربه. وهو استفهام أريد به إنكار ما توعده به فرعون إن لم يتخذه إلٰها له معبودا .

﴿قَالَ فَأْتِ بِهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ ﴿٣٣﴾﴾

التفســــير:

يذكر تعالى - فى الآيات - أن فرعون تلقى قول موسى عليه السلام طامعا أن يجد حجة على موسى إذا ما عجز عن أن يأتى بأمر يدل على صدق قوله، فطلب منه أن يأتى بالشىء الذى يعتبر دليلا واضحا على صدقه، وأنه استحثه على هذا بقوله له «إن كنت من الصادقين» طمعا أن يثبت عكس هذا .

ثم يذكر تعالى أن موسى عليه السلام أتى بالدليل المبين، كان ذلك حين ألقى عصاه على الأرض فتحولت ثعبانا ظاهرة ثعبانيته، ثم أخرج يده من جيبه فإذا هى أمام الناظرين بيضاء من غير مرض.

قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾

التفســــير:

يبين تعالى - فى الآيتين - رد فعل فرعون عندما شاهد الدليل الذى أتى به موسى على صدقه، فيذكر تعالى أن فرعون خاطب خاصته وعلية قومه مشيرا إلى موسى عليه السلام مخبرا عنه بأنه ساحر عليم بفنون السحر وأحابيله. فيكون القول محاولة من فرعون أخرى للتأثير على عقيدة المشاهدين وعلى رأيهم الذى خلصوا إليه .

ثم يبين تعالى أن فرعون قد استهدف أن يوغر صدور خاصته على موسى عليه السلام، فقال لهم عنه إنه يريد أن يخرجهم من أرضهم مستعينا على ذلك بقدرته على السحر والعلم بفنونه، يكون هذا بأن يكون له أتباع يتبعونه فتكون له بهم القوة التى يخرج بها قوم فرعون من البلاد.

ثم إنه طلب منهم إبداء رأيهم فيما يكون اتباعه مع موسى عليه السلام، ولعل فى التعبير

عن رأيهم بلفظ «الأمر» ما يفيد ارتباك فرعون من معاينة الآيات لدرجة أنه - وهو من يدعى الألوهية - طلب منه خاصته أن يأمروا أمرا، والمعلوم أن الإله وحده هو صاحب الأمر، وأنه لا يؤمر فيطيع

قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ وَٱبۡعَثۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ٣٦ يَأۡتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٖ ٣٧

التفسير:

مفاد قوله تعالى - فى الآية - هو أن خاصة فرعون أبدوا له رأيهم المطلوب ، تمثل فى طلبهم منه إرجاء الفصل فى أمر موسى وأخيه وتأخيره إلى ما بعد إجراء منازلة بينه وبين السحرة، يدل على هذا طلبهم منه أو اقتراحهم عليه أو أمرهم إياه - كما يبين من فعل الأمر «ابعث» - أن يبعث فى مدن مصر من رجال شرطته من يقوم بجمع العاملين بالسحر، يأتون منهم إلى فرعون بكل ممارس للسحر عليم بفنونه وأحابيله .

فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ٣٨ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلۡ أَنتُم مُّجۡتَمِعُونَ ٣٩ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُواْ هُمُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ٤٠

التفسير:

المستفاد من قوله تعالى «فجمع السحرة» هو أن فرعون قد استجاب لما اقترحه عليه خاصته، وأنه بعث الحاشرين فى المدن أتوه بكل سحار عليم، وأنه تم جمع السحرة لوقت معين فى يوم معين - هو وقت الضحى من يوم الزينة - ثم إن أتباع فرعون استحثوا الناس على

التجمع فى هذا الميعاد لمشاهدة المنافسة بين موسى وبين السحرة بقولهم لهم «هل أنتم مجتمعون»، ثم إنهم بينوا لهم علة حثهم على التجمع فى الموعد المحدد وهو اتباعهم دين السحرة - وهو دين قوم فرعون القائم على عبادته - ولهذا فإنه لا يتصور أن يكون فرعون من بين قائلى القول. ثم إن القائلين بينوا أن شرط اتباع دين السحرة هو تغلبهم بسحرهم على موسى. ويبين من قولهم أنهم استبعدوا أن يكون موسى هو الغالب.

فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُواْ لِفِرْعَوْنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾

التفسير:

يذكر تعالى - فى الآيتين - أنه عندما حضر السحرة إلى فرعون أبدوا ثقتهم فى انتصارهم على موسى وأنهم لهذا سألوا فرعون فيما يبدو أنهم اشترطوا عليه أن يتعهد لهم أنه يجازيهم بأجر حسن إن كان منهم الغلبة على موسى، كما يذكر تعالى ما يفيد أن فرعون قبل شرطهم فتعهد لهم أن يوفيهم الأجر الذى طلبوه، وأنه زاد على هذا تعريفهم بأنه يكون لهم منه أنه يدنيهم منه فيجعلهم من ذوى الحظوة والنصيب الكبير عنده أو لديه، وذلك لاستثارة هممهم ليبذلوا قصارى جهدهم للانتصار على موسى.

قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُواْ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْاْ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾

التفسير:

يذكر تعالى - فى الآيتين - ما كان لدى إجراء المنافسة بين موسى عليه السلام والسحرة.

فيقول تعالى إن موسى طلب من السحرة أن يلقوا ما لديهم من أدوات السحر.

بمعنى أن يكونوا هم البادئين بإبداء فنونهم فى السحر.

ثم يذكر تعالى أن السحرة التى أدوات سحرهم على الأرض تمثلت فى حبال لهم وعصى، وأنهم تملقوا فرعون لدى فعلهم هذا فذكروا أنهم يستيعنون بقوة فرعون وقدرته ويتبركون بذكر اسمه لإبداء إيمانهم به إلٰها ومعبودا.

ثم أكدوا أنهم بالاستعانة به منصورون بإذنه .

فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾
فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ
وَهَارُونَ ﴿٤٨﴾

التفسـير:

الآيات في بيان ما تم خلال المباراة التى جرت بين موسى والسحرة وبيان ما أعقبها من فعل السحرة وقولهم ترتيبا على نتيجتها التى ظهرت واضحة فى نفسها وفيما تدل عليه.

فيذكر تعالى أن موسى عليه السلام ألقى عصاه من بعد إلقاء السحرة حبالهم وعصيهم.

فكان من عصاه ـ بعد أن تحولت ثعبانا مبينا ـ أنها ابتلعت فى سرعة ما ألقاه السحرة من حبال وعصى.

وصفها تعالى بالإفك لأنها ظهرت فى أعين الناس كذبا وتخيلا فى شكل الثعابين والأفاعى .

ثم يذكر تعالى أن السحرة ـ عندما عاينوا هذا ـ كان منهم التصديق الفورى لموسى وأنه

نبي مبعوث من ربه؛ ولهذا فإنهم لم يملكوا زمام أنفسهم ولم يستمروا على الكفر، فكان منهم أن ألقوا أنفسهم إلى الأرض ساجدين .

ثم كان منهم إيضاح أن سجودهم هذا كان لرب العالمين، أشاروا بقولهم إلى قول موسى لدى التعريف بربه الذى أرسله بقوله «إنا رسولا رب العالمين». ثم إنهم أوضحوا أن رب العالمين الذى سجدوا له هو الرب الذى أرسل موسى وهارون، والذى ذكر موسى وهارون أنهما رسول منه. فيكون مفاد قول السحرة أن سبب إيمانهم هو معاينتهم المعجزة التى أجراها الله على يد موسى وعلمهم أنها ليست من قبيل السحر، وإنما هى من معجزات الله تعالى .

قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۚ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾

التفسير:

يذكر تعالى - فى الآية - أثر فعل السحرة حين أعلنوا إيمانهم على فرعون، وما كان منه عندما شاهد سجودهم لله تعالى وسمع منهم إعلانهم إيمانهم بألسنتهم. فيقول تعالى إن فرعون أخذ عليهم أنهم قد آمنوا لموسى قبل أن يأذن لهم بهذا، فكأنه جعل نفسه صاحب السلطان على القلوب والأفهام، واعتبر إيمانهم قبل إذنه إثما أو ذنبا يستحق العقاب. ثم إنه طعن فى موسى عليه السلام وحاول التهوين من أثر إيمانهم على النظارة فنسب إلى موسى أنه كبير السحرة، وعاب على إيمان السحرة به صدور إيمانهم مشوبا بعيب التأثر بالعاطفة، وذلك تقديرا منهم لمن علمهم السحر واحتراما ، أو خوفا من قدرته على السحر التى هى أعظم من قدرتهم عليه، لكونه علمهم بعضا من علمه .

ثم إنه كان من فرعون بعد ذلك تهديد السحرة بالعذاب، جاء فى قول عام يفيد التوعد

بالشر هو «فلسوف تعلمون» بمعنى أنهم سيعرفون عاقبة فعلهم السيء فى نظره. ثم إنه فصل ماهية الجزاء أو العقاب الذى توعدهم به فذكر ـ مقسما ـ أنه سيقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف وأنه سيقوم بصلبهم .

قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَن كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾

أولا : الأسماء :

الضير : فى قوله تعالى «لا ضير» هو الضرر، مصدر الفعل «ضار ـ يضير» ضيرا وضورا.

ثانيا : التفسير :

يقول تعالى إن السحرة عندما سمعوا تهديد فرعون وتوعدهم بالشر لم يرهبهم قوله، وقالوا له «لا ضير» بمعنى أنه ليس علينا ضرر حقيقى مما توعدتنا به. ثم إنهم بينوا علة استخفافهم بعذابه الذى توعدهم به بقولهم «إنا إلى ربنا منقلبون» بمعنى أنهم يعلمون أن مصيرهم فى الدنيا هو الموت، وأنه يكون من بعده البعث والانقلاب إلى الله تعالى للحساب، وأن صبرهم على العذاب الذى توعدهم به فرعون مؤد بهم إلى ثواب الله، فيكون تعذيبهم سببا لفوزهم فى آخرتهم.

ثم إنهم أبدوا سببا آخر لاستهانتهم بالعذاب الذى توعدهم به فرعون، هو طمعهم فى أن يغفر لهم به ويصبرهم عليه خطاياهم السابقة، وأنه مما يزكيهم عنده تعالى ليغفر لهم أنهم ـ وفق ما علموه أو اعتقدوه ـ كانوا أول من آمن من قوم فرعون بموسى وأخيه .

۞ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٥٢﴾

التفســـير:

يذكر تعالى ـ في الآية ـ أنه أمر موسى عليه السلام بطريق الوحي أن يغادر مصر بقومه بني إسرائيل، يسير بهم ليلا لـدى مغادرة البلاد، كما يذكر تعالى أنه أعلم مـوسى أن فرعون وقومه يتبعونه وبني إسرائيل مصبحين. وقيل إن هذا كـان بعد فترة طويلة من وقت حدث المباراة التي أجريت بين موسى عليه السلام والسحرة .

فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰؤُلَاءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَائِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَاذِرُونَ ﴿٥٦﴾

التفســـير:

يذكر تعـالى ـ في الآيات ـ مـا كان من فرعون مـن فعل وقول حين بلغه أمر خـروج موسى ببني إسرائيل من مصـر، فيقول تعالى إنه بعث في مدن مصر من يجمعـون جنوده، وأنه أمرهـم أن يقولوا للجنود المجمـوعين فقالوا إن بني إسرائيـل الذين خرجوا من مصـر والمراد اللحاق بهم هم طائفة من الناس قليلة العدد أو ضعيفة الشأن لكونهم مستذلين، بمعنى أنه لا يخشى منهم على مطارديهم، فيكون القول متضمنا تشجيع الجنود على اللحاق بهم بإذهاب الخوف من أن تكون منهم عند اللحاق بهم مواقعة يخشى منها عليهم.

ثم إن فرعون أظهـر للجنود بواسطة الحاشريـن أن بني إسرائيل قد استثاروا غضـب فرعون وغضب قومه، استثـاروا غيظه بخروجهم من مصر ومن نير استعبـادهم دون إذن منه، واستثاروا غضب قومه باستعارتهم حليهم منهم وفرارهم بها مستولين عليها .

ثم إنه عليه اللعنة بين أن من دوافعه على اللحاق ببني إسرائيل ما عرف عنه وعن قومه من أنهم حاذرون، بمعنى أنهم يحذرون أن يغرر بهم أحد، وقد غرر بهم بنو إسرائيل بمغادرة البلاد خلسة، وبالاستيلاء على مصاغهم بطـريق خيانة الأمـانة، ثم إنهم لفـرط حذرهم قد تـأهبوا

للقاء بنى إسرائيل بـالعدة وبالسلاح، ولهذا فإنه وقومه مطمئنون إلـى تحقق ما انتووا أن يكون منهم مع بنى إسرائيل وموسى من ظفر عليهم والعود بهم إلى نير العبودية والإستعباد.

فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ﴿٦٠﴾

التفســــير:

يذكر تعالى ـ فى الآيات ـ أنه كان منـه تعالى أن أخرج فرعون وجنوده من الجنات والعيون التى كانـت لهم فى مصربخـروجهم من مصر خلـف بنى إسرائيل وعـدم عودتهم إليها ثـانية لغرقهـم فى البحر، كما أنـه تعالى أخرجهـم من الأرض التى اتخذوهـا أماكن اختزنـوا تحتها أموالهم واكتنزوها ومن مساكنهم الحسان التى كان مقامهم فيها مقاما كريما .

وقيل إن مفاد قوله تعالى «كذلك وأورثناها بنـى إسرائيل» هو أن بنى إسرائيل قد عادوا إلى مصر فامتلكـوا ما كان لفرعون وجنـوده من الجنات والعيون والكنوز والمسـاكن، أو إن البعض منهم عاد إلى مصر فـامتلك هذه الأشياء فكانت لهم إرثا. والذى نراه ـــ والله أعلم ـ غير هذا، فنحن نرى أن جملـة «كذلك وأورثناها بنى إسـرائيل» جاءت جملة معترضة، اعتـرضت سير الأحداث المروية وهـى أنه بعد خروج فرعون وجنـوده من مصر خلف بنى إسرائيـل، كان من فرعون وجنوده أنهم ساروا خلف بنى إسرائيل متجهين إلى الشرق. ثم يأتى مكان قوله تعاتلى «كذلك وأورثنـاها بنى إسرائيـل» فيكون المعنى أنه تعالـى أورث بنى إسرائيل جنـات وعيونا وكنـوزا ومساكـن طيبـة، تكـون ما ملكـوا حيـن دخلوا فلسطيـن، أو تكـون هـى الحلى التـى استعاروها من قوم فرعون تملكوا بها الجنات والعيون وكنزوا منها ما كنزوا وأقاموا بها المساكن الطيبة. دليلنا علـى هذا أنه لم يثبـت تاريخيا أن بنى إسرائيـل عادوا إلى مصر بعـد خروجهم

منها، وأن الثابت تاريخيا ومن نصوص القرآن العظيم أن جميع ما أقام فرعون وقومه من مبان وجنات قد أبيد وهلك من بعد خروجه بجنوده خلف بنى إسرائيل كما جاء بقوله تعالى «ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون» فلم يكن هنالك ما يورث من الجنات والعيون ولا من المساكن.

وقد ثبت تاريخيا أن جميع آثار وممتلكات الأسرة الهكسوسية الأولى التى كان آخر ملوكها - فيما نرى - هو فرعون موسى قد أبيدت تماما فلم يكن منها ما يورث.

فَلَمَّا تَرَاءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾

التفسير:

يذكر تعالى - فى الآيتين - بعضا من الأحداث التى جرت بعد خروج فرعون وجنوده خلف بنى إسرائيل، فيذكر تعالى أنه حين تراءى الجمعان بمعنى أنه عندما اقترب فرعون وجنوده من بنى إسرائيل إلى المسافة التى أصبح فيها كل فريق أو جمع يرى الفريق أو الجمع الآخر، قال بنو إسرائيل أو قال القريبون منهم من موسى عليه السلام «إنا لمدركون» والمعنى أنهم يتوقعون لحاق فرعون وجنوده بهم و إدراكهم إياهم .

ثم إنه تعالى يخبر عما كان من موسى عليه السلام حين سمع قولهم هذا، نفى أن يكون ذلك قابلا لأن يحدث، ثم بين علة ثقته فى أنه لا يحدث بقوله «إن معى ربى سيهدين» فهو يثق أن ربه تعالى معه ومادام معه فهو حافظه ومن معه من كل شر يراد به وبهم، ثم إنه يثق فى ربه يكون منه أنه يهديه إلى التصرف الصواب الذى تكون به نجاته ونجاتهم من كيد أعدائهم.

■■■■

﴿فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾﴾

التفسير:

مفاد قوله تعالى - في الآية - أنه بعد أن قال موسى عليه السلام إن معه ربه سيهديه، كان منه تعالى أن أمره بطريق الوحي أن يضرب بعصاه البحر، وهو بحر القلزم المعروف حاليا باسم البحر الأحمر - على الراجح - والمستفاد من قوله تعالى «فانفلق» هو أن موسى عليه السلام قد نفذ أمر ربه فضرب البحر بعصاه فكان من أثر هذا انفلاق البحر صار فرقين، ارتفعت المياه في كل فرق منهما فصارت مثل الجبل العظيم وكان بينهما ممر سارت فيه بنو إسرائيل.

وقيل إنه كان تحت كل فرق ما يشبه السرداب مرت فيه بنو إسرائيل، وقيل إن المسالك كانت بعدد أسباط بني إسرائيل بمعنى أنها كانت اثني عشر مسلكا فيكون عدد فروق المياه ثلاثة عشر فرقا، كل منها يماثل الجبل العظيم شبها .

﴿وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٦٤﴾﴾

التفسير:

مفاد قوله تعالى - في الآية - هو أنه قرب الآخرين - والمراد بهم فرعون وجنوده - من الأولين وهم موسى ومن معه، كان هذا التقريب في المكان الذي يجتازه بنو إسرائيل أي في المسالك المضروبة لهم في البحر.

﴿وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿٦٦﴾﴾

التفســـير:

لما كـان مفاد ما سبق ذكـره من أحداث القصة هـو أن كلا من بنـى إسرائيل مع مـوسى، وجنود فرعون معه كان فى المسلك الذى جعله الله فى البحر بضرب موسى البحر بعصاه، فقد جاء قوله تعالى فى الآيتين لبيان اختلاف مصير كـل فريق عن مصير الآخر رغم اشتراكهما فى الموقف، فبيـن تعالى أنه أنجى موسى ومن معـه، ثم كان منه أنـه أغرق الآخرين أى فـرعون وجنوده، وجـاءت «ثم» فـى القول لبيان أن الإغـراق كان بعـد تمام عبور بنـى إسرائيـل البحر مجتازيـن المسلك، فيكون المتصور هـو اتصال أجزاء البحـر بعضها ببعض بعد خـروج بنى إسرائيل مما أدى إلى إغراق فرعون وجنوده .

إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾

التفســـير:

مفادقوله تعالى ـ فى الآية ـ هو أن مـا حدث من إنجاء بنى إسرائيل وهلاك فرعون وجنوده بالغـرق كان آيـة عظيمة منـه تعالـى تدعـو إلى الإيمـان بالله إيمـانا صحيحـا وإلى الإيمـان الصحيح لموسى عليه السلام. يكون ممن عايـن الحدث وهم بنو إسرائيل، ويكون ممن علم به وهم قوم فرعون الذين لم يخرجوا معه.

ثم إنـه تعالى يثبـت أن ذلك لم يكـن ممن بقى حيـا بعد غـرق فرعون وقـومه، فأكثـر بنى إسرائيل لـم يؤمنوا لموسى إيمـانا صحيحا وإنما ارتابت فيـه قلوبهم ولذلك كـان عصيانهم الدائم مـا أمرهم، كما أن أكثـر قوم فرعون بقـوا على كفرهم، فلـم يعرف من مؤمنيهـم إلا امرأة فرعـون وبعض السحرة، ومؤمـن آل فرعون، والمـرأة التى دلت مـوسى عليه السلام علـى قبر يوسف عليه السلام .

وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾

التفسير:

جاء قوله تعالى - في ختام الآية - لبيان أنه لكونه العزيز الذى لا يغلب فإنه أعز بنى إسرائيل فنصرهم على أعدائهم، وأنه لكونه الرحيم لم يعجل لمن لم يصح إيمانهم منهم العذاب فأمهلهم رحمة منه لعلهم يتوبون ويعملون الصالحات فيغفر لهم .

﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ إِبۡرَٰهِيمَ ۝٦٩ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا تَعۡبُدُونَ ۝٧٠﴾

التفسير:

خاطب تعالى رسوله ﷺ آمرا أن يكون منه تلاوة خبر إبراهيم عليه الصلاة والسلام على قومه الذين يفخرون بانتسابهم إليه، فيكون المقصود بتلاوة قصة إبراهيم عليهم هو ترقب ما يكون عليه تصرفهم أيكون هو الإيمان ، أم يكون هو الإصرار على الكفر فيكون قد ثبت أنهم ليسوا ممن يتذكرون أو يعتبرون .

ثم إنه تعالى يبدأ فى ذكر قصة إبراهيم عليه الصلاة والسلام، فيذكر أنه سأل أباه وقومه عما يعبدون ، سألهم وهو يعلم إجابة سؤاله، فلم يكن مقصوده هو تحصيل العلم منهم وإنما كان مقصوده معرفة ما يجيبون به ليكون منه بيان خطله وإبطاله .

﴿قَالُواْ نَعۡبُدُ أَصۡنَامٗا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ۝٧١﴾

التفسير:

يقول تعالى - فى الآية - إن أبا إبراهيم عليه الصلاة والسلام وقومه أجابوا على السؤال بقولهم «نعبد أصناما فنظل لها عاكفين» ذكروا إجابة السؤال بقولهم «نعبد أصناما» ثم أضافوا إليها ما يفيد استمرارهم على عبادتها أو قيامهم على هذا .

قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾

التفســـير:

يذكر تعـالى ـ فى الآيتين ـ مـا قاله إبراهيم لأبيـه وقومه حين أعلنوه أنهم يعبـدون أصناما وأنهم باقـون على العكوف على عبـادتها، ومضمون قوله تعـالى هو أن إبراهيـم عليه الصلاة والسلام أنكـر عليهم فعلهـم وما سمـع منهم فسألهـم منكرا ـ لإقرار واقـع حماقتهـم بعبادة الأصنام ـ عما إذا كانت الأصنام تسمع دعاءهم أو صلواتهم، وما إذا كانت لديها القدرة على نفعهم لدى عبادتها أو لديها القدرة على الإضرار بهم عند ترك عبادتها .

قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾

التفســـير:

مفاد قوله تعالى ـ فى الآية ـ هو أن أبا إبراهيم وقومه لـم يملكوا ردا على سؤال إبراهيم عليه الصلاة والسـلام لهم، ولم يـريدوا أن يقروا صراحـة بحماقتهم فلـم يكن منهم سـوى التعلل بتقليد آبائهم فيما رأوه منهم من عبادة الأصنام .

قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾
فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾

التفســـير:

يذكر تعـالى ـ فى الآيات ـ قول إبراهيم لأبيه وقومـه ردا على ما تعللوا به سببـا لعبادتهم الأصنام وجه نظرهـم إلى معبوداتهم هذه وخاطبهم فى أمـرها بوصفها ـ محقرا لها ـ بأنها ما

يعبدون وما عبد آباؤهم من قبل ثم أخبر عنها بأنها عدو له وذلك لأن الموسوس بعبادتها هو الشيطان عدو الإنسان وعدوه بالتالى، ثم إنه لما كان من آبائهم الأولين ممن كان مع نوح عليه السلام من عبد الله تعالى، فإنه استثنى من معبودات آبائهم الأولين رب العالمين فلم يجعل حكمه تعالى حكمهم فى المعاداة .

ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾

التفسير:

القول - فى الآية - من قول إبراهيم عليه السلام لأبيه وقومه، وهو فى رب العالمين الذى استثناه عليه الصلاة والسلام من الحكم العام الذى انتظم معبودات آباء قومه، يذكر فى القول صفات له تعالى من جهة تعلقها به ﷺ .

فيقول عنه ﷺ إن الله خلقه فهو يهديه، وصفه بأنه الذى خلقه بأن أوجده من العدم، ورتب على هذا نتيجته وهى أنه تعالى هاديه إلى ما فيه مصلحته فى الدنيا والآخرة، فهو يهديه إلى ما يكون فيه خير معاشه، ويهديه إلى ما يكون فيه خير آخرته الهداية إلى الجنة والتنعم بها.

ويقول عنه تعالى ﷺ إنه الذى يطعمه ويسقيه، والمراد - على الراجح - هو الطعام والشراب على الحقيقة، فهو تعالى الرازق بالطعام والشراب وهو المنعم بالقدرة على تناول الطعام والشراب وعلى الاستفادة منهما، وعلى إخراج ما لم يعد فيه خير منهما .

ثم إنه ﷺ يقول عنه تعالى إنه إذا مرض فإنه تعالى يشفيه، وهو بيان لكون الشفاء من المرض بإذنه تعالى ومشيئته، وما كان العلاج بالجراحة أو بالعقاقير والأدوية بذاته محققا شفاءً لولا أن شاءته إرادة الله، مع كونه القادر على أن يشفى بغير ذلك كما يشاهد من تقوية

المناعة لـدى البعض يكون شفاؤهم من الأمـراض بغير دواء ولا علاج ويبقى أنه تعـالى قادر على أن يشفى بدون تقوية المناعة الذاتية للجسم، بحكم كونه القادر على كل شيء.

كذلـك فإنه ﷺ يصف رب العـالمين بأنه الـذى يميته ثم يحيـه. ويلاحظ أنه فـى القول نسب المـوت إليه تعالى لكـونه مصيبا جميع الأحيـاء مما لا يعد معـه نقمة، ولهذا فإنـه عليه الصلاة والسـلام لم يستح أن ينسبـه إلى الله تعالـى .، هذا على حيـن أنه نسب المـرض إلى نفسه ولم ينسبه إلى الله تعالى لاعتبار المرض نقمة ، فكان تأدبا منه ﷺ ألا بنسبه إلى الله.

وفى القول ذكر أن رب العالميـن هو الذى يميته ثم إنه يحييه فى الآخرة فـدلل على إيمانه بالبعث والحساب والجزاء.

ثم إنه عليه الصلاة والسـلام وصف رب العالمين بأنه الذى يطمع أن يغفـر له خطيئته يوم الدين، وقيل فى هذا إنـه عليه الصلاة والسلام اعتبر قوله «إنى سقيم» وقولـه «بل فعله كبيرهم هذا» وقـوله فى سارة «هـى أختى» من قبيل الخطـايا التى يرجـو أن يغفرها له الله. وقـد يكون مقصوده هو ما قد يصدر منه من هفوات يعتبرها لفرط قربه من الله تعالى وكونه خليله من قبيل الخطايا .

رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾ وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَاجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾

التفســـير:

مفاد قوله تعالى ـ فى الآيات ـ هو أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام توجه بالدعاء إلى ربه. وفى الآيات دعـا إبراهيم لنفسه، سأل ربه أن يهبـه حكما وأن يلحقه بالصالحيـن، بمعنى أنه سألـه أن يهبه العلم المتعلـق بالعقيدة والأحكـام من بعد العلـم بالذات والصفـات، والعلم بـالخير للعمـل به. وأن يكـون بعملـه أهلا لأن يـدخلـه تعالـى فى زمـرة المعتبـرين عنـد الله

صالحين.

ثم إنه عليه الصلاة والسلام سأل ربه أن يجعل الأمم من بعده تذكره بالخير فينتفع بذكرهم إياه كما أنهم ينتفعون بذكره. والملاحظ أن ما من أهل كتاب إلا وهم يذكرون أنهم على ملة إبراهيم أو يتشرفون بالانتساب إليه. وقد يكون لسان الصدق فى الآخرين هو لسان أنه رسول الله ﷺ فيه عليه الصلاة والسلام لأنهم الذين على الحنيفية، ثم لأنهم هم الآخرون لأن شريعتهم هى القائمة التى لاتنسخ إلى يوم الدين .

وكذلك فإنه عليه الصلاة والسلام سأل ربه أن يجعله من ورثة جنة النعيم بمعنى أنهم الذين يرثون الفردوس على ما سبق بيانه.

﴿وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ۝٨٦﴾

التفسير:

فى الآية دعا إبراهيم لأبيه بالمغفرة مقرا عليه بالضلال، ويتصور أن يكون الدعاء بالمغفرة لأبيه فى حياته، ولذلك كان جائزا الدعاء لأنه يكون متضمنا الدعاء بالهدى والمعلوم أنه ﷺ قد استغفر لأبيه عن موعدة وعدها إياه، وأنه عندما تبين عداوته للإيمان تبرأ منه.

﴿وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ ۝٨٧ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ
وَلَا بَنُونَ ۝٨٨ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۝٨٩﴾

التفسير:

يذكر تعالى - فى الآيات - ما دعا به إبراهيم عليه الصلاة والسلام ربه مما يتعلق بأمور

آخرته. سـأل الله تعالى ألا يخزيه يوم يبعـث الناس للحساب، بمعنى ألا يكون مـن الله تعالى معه إنقاص رتبته أمام الخلق أو عتاب على ما فرط فى أمر نفسه يخزيه .

ثم إنه عليه الصلاة والسلام وصف يوم البعث هـذا بأنه اليوم الذى لاينفع فيه مال ولا بنون فلا يفيد أحدا مال اكتنزه فى دنياه ثم تركه ولا ولد وأعوان وأنصار كانوا يناصرونه ويتقوى بهم .

ثم بيـن عليه الصلاة والسـلام أن الذى ينفع يوم الـدين هو إتيـان الله تعالى بقلـب سليم، بمعنى أنه ما يكون من إيمان صحيح وعمل لم يفسد بالمراءاة أو نفاق.

ثم إن الاستثناء يفيد اعتبار القلب السليم من قبيل المال والأنصار، بمعنى أنه غنى فى حد ذاته، وأنـه الغنى الصحيح فـى الزاد والمعين. فـالحسنات هى خيـر زاد وسلامة القلـب هى العون المقبول .

وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾

التفســـير:

بعد أن بين تعالى أنه فى يوم الدين لاينتفـع بمال ولا بنين وإنما يكون الانتفاع هو بالقلب السليم الذى آمن إيمانـا صحيحا وكان العمل موافقا إياه، وهو ما علمـه إبراهيم عليه الصلاة والسلام وقال به فـى دعائه. فإنه تعالى يذكـر فى مجال التفرقة بين حال مـن لم يكن لهم زاد يـــوم الدين إلا المال والبنون وحال الذين كان زادهم هو القـلب السـليم، أنه يكون للمتقين ـ وهم الذين أتوا الله بقلب سليم ـ أن تقرب الجنة منهـم فيشاهدوها ويعرفون ما فيها من نعـم فيبتهجون لعلمهـم أنهم إليهـا يحشرون، وأنـه يتم إبـراز الجحيم للغـاوين الذيـن لم يكـن لهـــم زاد إلا زاد الدنيا مـال وبنون يشاهـدونها وينقطـع لديهم الأمـل فى أن ينجـوا منها ويعلموا أنهم مواقعوها وأن حشـرهم فيها قريب فيكون لهم ذلك عذابا فـوق ما أُعد لهم فيها من عذاب.

وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾

التفســـير:

قوله تعالى ـ فى الآيـة ـ فى عبدة الأصنام الذين كان منهم أبو إبراهيم وقـومه، يذكر تعالى أنه يقال لهم يوم القيامة على سبيل التقريع والتوبيخ «أين ما كنتم تعبدون من دون الله» وذلك لبيان أنهم إنمـا عبدوا فى الدنيا باطـلا لاينفع واستمروا على ذلك، عبدوه مـن دون الله تعالى متجاوزينه، معـه أو من دونه، ثم إنهم يسألـون عن معبوداتهم هل يبصرونهـم أو يشفعون لهم فيدفعـون عنهم ما يشـاهدون من الجحيم، أو هـل يملكون نصر أنفسهـم بدفع العـذاب عن أنفسهم. والاستفهام مراد به تقرير واقع عدم الإفادة من معبوداتهم التى عبدوا فى الدنيا.

فَكُبْكِبُوا۟ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ﴿٩٥﴾

التفســـير:

قوله تعالـى ـ فى الآية ـ فى المعبودات أو فـى الأصنام التى عبدت فى الدنيا يـذكر تعالى أنه يكون فـى الآخرة أنها تلقى أو تكـب مرة من بعد مرة فـى جهنم إلى أن تستقر فـى قعرها،، ليعلم أنها لا تملك لأنفسها نفعـا ولا ضرا، وأنه يلقى معها الغاوون الذين عبـدوها، كما يلقى مع الفريقين جنود إبليس أجمعون من شياطين الإنس والجن .

قَالُوا۟ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٩٩﴾

التفسير:

الآيات الأربع هى قمة البلاغة فى التعبير عن المعنى على اتساعه بأقل ألفاظ وعبارات فالآيات تظهر وقوع التنازع والاختصام بين الغاوين العابدين، وبين معبوداتهم، ثم بينهم وبين الذين زينوا لهم الشرك من شياطين الإنس والجن .

فيذكر تعالى أن المشركين يقولون حال اختصامهم معبوداتهم ومن زينوا لهم عبادتها، أنهم كانوا فى عبادتهم معبوداتهم سادرين فى ضلال ظاهر واضح، ويقسمون على هذا بالله الذى أشركوا به من قبل ثم أيقنوا من العذاب أنه وحده الحق.

ثم إنهم يهينون معبوداتهم ببيان أن حماقتهم تمثلت فى أنهم ساووا بين معبوداتهم التى يخاطبونها وبين رب العالمين، ثم إنهم يخاصمون شياطين الإنس والجن الذين زينوا لهم عبادة معبوداتهم ويهينون معبوداتهم فى ذات الوقت بوصفهم شياطين الإنس والجن، بأنهم المجرمون وبنسبة الإضلال إليهم دون معبوداتهم لبيان أن معبوداتهم أعجز من أن تضل أحدا .

فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾
وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾

التفسير:

يذكر تعالى - فى الآيات - قول الغاوين المشركين من بعد اعترافهم بخطئهم وضلالهم فى الدنيا فى عبادة غير الله تعالى فيذكر تعالى أنهم يتحسرون على افتقاد الشفيع الذى يشفع لهم بعد أن تبين لهم أن ما عبدوا من دون الله لا يجد لنفسه شفيعا، كما أنهم يتحسرون على افتقادهم الصديق الذى يهتم بأمرهم ويشفق عليهم فينجيهم مما هم فيه أو يعمل على ذلك.

ثم يبين تعالى أنهم وقد علموا أنهم معذبون يتمنون الرجوع إلى الدنيا أو يقولون بهذا وهم

يعلمون أنــه ممتنع عليهم كمـا يبين من أداة الشـرط «لو» وهى لـلامتناع، يتمنون ذلـك ليكون منهم الإيمان بالله وترك الشرك فيكون تجنب العذاب .

إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾
وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٤﴾

التفســـير:

مفاد قولـه تعالى - فى الآيتين - هو أنه فى ذكر خبـر الذين كفروا والذين آمنـوا آية عظيمة على قدرته تعالى بمـا يوجب على أصحاب العقول السليمة الإيمان به تعالـى، ثم إنه تعالى يثبت أن هذا لا يكون، وأن أكثـر الناس يكونون كافريـن فى كل زمان . ثم إنه تعـالى يثبت أنه معذب الكافريـن بحكم كونه العزيز الـذى لا يُغلب والذى يملك تنفيذ أمره، وأنـه يمهل فى إيقاع العذاب لعله تكون من الكافرين توبة تدفع عنهم العذاب، وذلك من قبيل رحمته .

كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ
أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٠٧﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٠٨﴾ وَمَا
أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ
وَأَطِيعُونِ ﴿١١٠﴾

التفســـير:

يذكر تعـالى - فى الآيات - قصة نوح عليه السلام مـع قومه، يستهل تعالـى القصة ببيان حال قوم نوح من رسالات الرسل ويذكر فى الآيات فى إيجاز قول نوح عليه السلام لهم.

ففى مبتـدأ ذكر القصـة يعرف تعالـى واقع ما كـان من قـوم نوح وهو تكـذيبهم المـرسلين عموما، والقول يفيد أن جميع الرسل قد بعثوا بعقيـدة واحدة هى توحيد الله تعالى، ولهذا كان فى إشراك قوم نوح بالله تكذيب لدعوة المرسلين جميعا.

ثم إنه تعالى بين أن نوحا بدأ دعـوتهم إلى الإيمان بطلبه منهم أن يتقوا الله بمعنى أن يتقوا غضبه عليهـم لشركهم بـه، فالاستفهـام فى قولـه «ألا تتقون» هو لإنكـار عدم التقـوى عليهم وللحث على التقوى.

ثم إنه تعالى يظهر أن نوحا عليه السلام أراد جذب قومه للاستجابة له بقوله لهم «إنى لكم رسول آمين» فبين لهم مـن استعمال لفظ «لكم» أن ما يدعوهم إليه هـو أمر لصالحهم ذواتهم وليس لمصلحته، ثم إنـه بين لهم صدق قوله معهم بتـذكيرهم بما عرفوه عنه مـن الأمانة، فلا يتوقـع منه أن يدعـى كذبا أنـه رسول مـن الله ، ولا أن يكون قد استهـدف أمرا آخر غيـر تحقيق مصلحتهم فى الدين والدنيا .

ويبين من قوله تعالـى أن نوحا عليه السلام من بعد أن استشهد على صدقـه بما عرفه عنه قومه من الأمـانة كان منه أن أتبع هذا بـأمره إياهم أن يتقوا الله باتقـاء غضبه عليهم للعصيان، وذكر أن سبيلهم إلى هذه التقوى هو إطاعته عليه السلام فيما يأمرهم به .

ويبين من القول أنـه عليه السلام قد ذكر لقومـه دليلا آخريبين لهم أنه لـم يستهدف سوى صالحهم، وذلك بتقريره لهم أنه لا يطلب منهم أجرا على ما يدعوهم إليه ولا على إبلاغهم ما أرسل به من ربه، ثم يقرن هذا بقوله إن الذى يثيبه على فعله الأجر الحسن هو الله تعالى وصفه بأنه رب العالمين إثباتا لوحدانيته و إعلان بأن ربوبيته هى لجميع الخلق.

ثم يـرتب على هذه الحقيقـة أثرها المتعلق بـالرسالـة بأن يدعو قـومه ثانية إلـى تقوى الله و إطاعته فيما يدعوهـــم إليه .

۞ قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ ﴿١١١﴾

التفســـــير:

يذكر تعالى ـ فى الآية ـ قول قـوم نوح له بعد أن طلب منهم أن يتقوا الله وأن يطيعوه، فيقول تعالى أنهـم قالوا له «أنـؤمن لك واتبعك الأرذلون» فهـم يسألون منكريـن حدوث المستفهم عنه، هل يتصـور أن يكون منا إيمان لـك وقد شاهدنـا أن الذين اتبعوك هـم الأرذلون، بمعنى أنهم أصحـاب الخسة والدنـاءة، وقـد تكون متمثلـة فى حقارة الحـرف التى يمتهنونهـا. وقد تكون متمثلـة فى شىء مـا فى قلوبهـم أخذه عليهـم المشركون بعـد أن عرفوه عنهـم. فيكون مانعهم من الإيمان لنوح هو استكبارهم على أن يكـونوا مع المحتقرين على مرتبة من القرب واحدة منه .

قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾

التفســـــير:

يذكر تعالى ـ فـى الآية ـ قول نوح الذى رد به على قومه حيـن أظهروا له أن سبب امتناعهم عن الإيمان له هو اتباع الأرذلين دينه وإيمانهم له.

فيقول تعالى إنه ذكـر ما يوجب عدم أخذه بشىء يقال فيهم من أمـور الباطن لا يعلمه هو، فهو بحكم طبيعته البشرية ليس له إلا الظاهر من الأمر، أما أمر القلوب فهو لله تعالى .

إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾

التفســـــير:

القول ـ فى الآية ـ من قول نوح عليه السلام لقومه يقول لهم ما ترتب على ذكره أنه لا يعلم سرائر متبعيه، وهو إعـلامهم بأن الذى يحاسب علـى السرائر هو ربه وربهم. ثم إنـه يقول لهم إنهم لـو كانـوا من أصحـاب القلوب التـى تستشعر الحقيقـة والحق، لعـرفوا ذلـك. إلا أنهم

لكونهم من غير هؤلاء، فإنهم لم يعرفوه .

﴿وَمَآ أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝١١٤ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝١١٥﴾

التفســـــير:

القول تتمة قول نوح عليه السلام الذى قاله لقومه، قاله لهم لما فهم منهم أنهم يطلبون منه أن يطرد الذين آمنوا له من مجلسه ممن وصفهم الكافرون بأنهم الأرذلون. فأعلم الكافرين أنه ليس بطارد المؤمنين .

ثم إنه عليه السلام بين لهم علة عدم طرده المؤمنين وذلك بتقريره لهم أنه ليس سوى نذير مبين، كلف بأن ينذر المكلفين بالعذاب إذا هم لم يؤمنوا بالله، وبأن يزجرهم عن المعاصى مخوفا بالعذاب، لا يفرق فى هذا بين شريف وبين حقير، فأقدار الناس عنده تعالى ليست بما يملكون من أموال ولا بالنسب، وإنما هى بالإيمان الصحيح وبالعمل الصالح.

﴿قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ ۝١١٦﴾

التفســـــير:

مفاد قوله تعالى ـ فى الآية ـ وهو إخبار عما كان من قوم نوح، وهو أنهم طلبوا منه الكف عن نصحهم وعن زجرهم عما هم عليه من الكفر، وعن دعوتهم ـ بعامة ـ إلى الإيمان، كما أنهم هددوه وتوعدوه بقتله رميا بالحجارة حال استمراره على دعوتهم للإيمان وعدم الكف عن ذلك.

﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِى كَذَّبُونِ ۝١١٧ فَٱفْتَحْ بَيْنِى وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِى وَمَن مَّعِىَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝١١٨﴾

التفسير:

يذكر تعالى - فى الآيتين - أنه كان من نوح عليه السلام لما تهدده قومه بقتله رجما بالحجارة، أنه التجأ إلى ربه مستعينا به قائلا ما يعلمه ربه «رب إن قومى كذبون» والقول تعبير عن التألم من استمرار قومه على تكذيبه .

ثم إنه دعا ربه بطلب الفتح بينه وبين قومه ، بمعنى أن يحكم بينه وبينهم بما يستحقه كل منهما.. كما دعاه بطلب النجاة لنفسه ولمن معه من المؤمنين. وطلب النجاة قد يكون من أذى المشركين، وقد يكون من العذاب الدنيوى الذى أعلمه الله تعالى أنه يحيق بالكافرين.

فَأَنجَيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدُ ٱلْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾

التفسير:

الآيتان فى بيان ما قضى به تعالى فاصلا بين الحق والباطل فى قصة نوح مع قومه، يذكر تعالى أنه أنجى نوحا ومن اصطحب معه من المؤمنين فى السفينة التى كانت مشحونة بصنوف الأحياء من كل زوجين اثنين وبالزاد والطعام، كانت نجاتهم من الهلاك بالموت غرقا الذى قدره تعالى شأنه على المكذبين، وصفهم تعالى بأنهم الباقون للتدليل على أنه تعالى أهلك كل من هم دون الذين كانوا فى السفين.

والمستفاد من القول هو أنه تعالى استجاب لدعاء نوح عليه السلام .

إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾

التفسير:

قوله تعالى ـ في الآيتين ـ تذييل لقصة نوح عليه السلام والمكذبين من قومه، ذكر تعالى أنها آية عظيمة يستدل بها على سوء مصير المكذبين بآيات الله ورسله، مما كان يفترض معه أن يبادر الذين تبلغهم رسالات الرسل ـ بعد معرفتها ـ إلى الإيمان ، إلا أن ذلك لم يكن لأن أكثرهم اختاروا الكفر، فحق عليهم عذابه تعالى لا يدفعه عنهم دافع لكونه تعالى العزيز الغالب على أمره، وإن لم يعجل لهم عذابهم رحمة منه لعلة إتاحة الفرصة لهم للتوبة .

كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا
تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾
وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٧﴾

التفسير:

قوله تعالى ـ في الآيات ـ انتقال إلى رواية قصة أخرى من قصص الرسل مع المكذبين بهم ليكون الاعتبار بها .

يفتتح النص القصة ببيان واقع ما كان من قبيلة «عاد» وهو أنها كذبت المرسلين، بمعنى أنها كذبت بما دعا إليه جميع الرسل من عقيدة التوحيد أو الإسلام بالمعنى العام.

ثم يذكر تعالى أن أخاهم هودا ـ وصفه تعالى بأنه أخوهم للتدليل على انتسابه للقوم ـ دعاهم إلى اتقاء غضب الله بإنكاره عليهم عدم تقوى الله «ألا تتقون» ثم مهد لدعوته إياهم إلى ما كلف بدعوتهم إليه بقوله لهم إنه رسول من الله إليهم، أمين على ما كلفه به ربه وعلى الإبلاغ به، ثم أتبع هذا بأمره إياهم بتقوى الله وبطاعته . ثم إنه أظهر لهم عدم استهدافه نفعا منهم من وراء دعوتهم إلى الإيمان، وأن الذي يوفيه أجره هو رب العالمين، ليعلموا أنه ما استهدفه غير مصلحتهم فيكون منهم الإيمان .

أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾
وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾

التفسـير:

قوله تعالى ـ فى الآيات ـ فيما أنكره هود عليه السلام على قومه من أفعال، جاء إنكاره فى صيغة استفهام يدل عليه. والذى ينكره عليهم هو أنهم يبنون فى كل ريع من الأرض، أى بكل مكان يصلح للبناء مثل الفج بين جبلين أو المكان الممهد فى الجبل الصالح للبناء، يبنون بناء يكون آية ودليلا على قدرتهم على التشييد، دون ما تكون لهم به حاجة ـ على ما يبين ومن وصفه فعلهم بأنه من قبيل العبث الذى لا فائدة منه «آية تعبثون» .

ومما ينكره عليهم أيضا أنهم يتخذون المصانع مبتغين بها أغراضا دنيوية محضة كأن الدنيا هى مبلغ اهتمامهم. ويدخل فى معنى المصانع كل مصنوع أو مشيد أو مقام بقصد إنتاج شيء، أو بقصد الاحتفاظ بشيء مثل مخازن المياه والحصون. ويلاحظ أن الإنكار لم يتعلق بإقامة هذه المصانع مجردا. وإنما تعلق بها بهدف دنيوى محض اعتقادا من مقيميها أنهم يخلدون فى الدنيا فلا يكون منهم العمل للآخرة .

كذلك فإنه عليه السلام ينكر عليهم عدم المساواة بين الاعتداء وبين الجزاء عليه «وإذا بطشتم بطشتم جبارين» فهم إذا ما ثأروا لعدوان وقع عليهم تجبروا وتجاوزوا حد القصاص، وإذا اعتدوا تجاوزوا الحد فى الاعتداء فلم يردعهم رادع عن طفل أو شيخ أو امرأة.

وبعد هذا جاء قوله عليه السلام «فاتقوا الله وأطيعون» متضمنا أمرهم باتقاء غضب الله وذلك بالإقلاع عن مقارفة ما أنكره عليهم. وبإطاعته فيما أمرهم به من عمل الطاعات.

وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٥﴾

التفسير:

بعد أن أنكر هود عليه السلام على قومه ما أنكر من أفعالهم وطلب منهم اتقاء غضب الله يكون بالإقلاع عنها، ثم أمرهم بطاعته فيما يأمرهم به، فإنه أمرهم بتقوى الله مرة ثانية مع ذكره الله بأنه الذى أمدهم بما يعلمون من النعم، فدل بهذا على أن التقوى المأمور بها تختلف عن المأمور بها من قبل، فالمأمور بها سابقا كانت بترك المعاصى، أما التقوى المأمور بها فى النص فهو بأداء حق النعمة من الشكر، بمعنى أنها تكون بأداء أو بعمل أو بفعل إيجابى .

ثم إنه عليه السلام بين لهم ماهية هذه النعم التى يعلمونها مما أنعم الله بها عليهم، فذكر الأنعام ـ وهى أموال فى ذاتها أو بحكم المآل ـ ثم ذكر البنين. وجاء ذكر الأنعام مقدما على البنين لأنه بالمال تكون القوة ويكون المقام العالى للإنسان بين قومه فى الدنيا، ولأن البنين بغير مال عبء على ذى البنين، فإن كان ذا مال كان البنون له نعمة .

ثم ذكر عليه السلام لهم نعمة الجنات التى ملكهم الله إياها والعيون التى أجراها فيها. ثم أعقب هذا بقوله «إنى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم» فبين لهم أنهم إذا لم يؤدوا حق هذه النعم فإنهم يعرضون أنفسهم لعذاب عظيم يكون يوم القيامة، وبين لهم حرصه على أن يكون منهم تجنب هذا العذاب، وهو ما يكون بطاعته بأداء حق النعم من الشكر.

قَالُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُن مِّنَ ٱلْوَٰعِظِينَ ﴿١٣٦﴾ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣٧﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾

التفســــــــير:

يذكر تعالى ـ فى الآيات ـ ما أجاب به قوم هود دعوته، استهلوا قولهم بأن بينوا له انعدام الجدوى من أن يتغير حالهم أو يتبدل تأثرا بدعوته أو بنصحه إياهم أو تحذيرهم، بأن صرحوا بأنه يتساوى لديهم أن ينصح لهم وأن لا ينصح فيكون شأن الساكتين عن الوعظ منهم، فالأمر فى الحالين واحد هو استمرارهم على ما هم عليه وعدم إقلاعهم عنه .

ثم إنهم قالوا له رأيهم فى وعظه إياهم، فذكروا أن فعله هذا ليس إلا ما درج عليه الأولون، بمعنى أنه يماثل فعل الطبع لدى كثير ممن كانوا فى الأمم السابقة، كانوا يطلبون من أقوامهم الكف عما اعتادوه ويكلفونهم ما لم يعتادوا. ويقبل القول أن يكون مرادهم هو أن فعالهم من جنس وطبيعة أفعال من سبقوهم .

ثم كان منهم إبداء عقيدتهم فى صحة ما ذكره لهم من تحذير وتوعد بالعذاب إذا ما أصروا على ما هم عليه، بقولهم «وما نحن بمعذبين» والمعنى أنهم يرون ما يقوله لهم محض كذب، ومنه توعدهم بالعذاب، مما مفاده أنهم يصرحون له بأنهم لن يطيعوه فى شيء.

فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾

التفســــــــير:

القول ـ فى الآيتين ـ قوله تعالى، يصرح بما استنتج من قول قوم هود وهو أنهم كذبوه عليه السلام ولم يؤمنوا له، ويبين أنه تعالى أهلكهم بسبب تكذيبهم إياه على ما يبين من «الفاء» التى تفيد السببية وتفيد التعقيب.

ثم يذكر تعالى ما يفيد أن فى قصتهم آية عظيمة على قدرته تعالى إهلاك مكذبى الرسل

يفترض أن يعتبر بها الخلق، إلا أن المحقـق هو أن أكثرهم يكونون كافريـن. فينتقم تعالى ممن يشاء ويعجل له العـذاب بحكم كونه العزيز الغالـب على أمره، ويرحم من يشـاء بحكم كونه الرحيم فلا يعجل له العذاب .

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٥﴾﴾

التفسـيـر:

قولـه تعالى ــ فى الآيـات ـ رواية لقصـة أخرى من قصـص الأقوام التـى كذبت الـرسل فأهلكها الله بتكذيبهم .

بدأ تعالـى بإظهار ما كان عليه حـال قبيلة ثمود من تكذيـب للرسل الذين كانـت دعوتهم جميعا إلى الإيمان بالله وتـوحيده. ثم بين أنه أرسل إليهم صالحا عليـه السلام الذى كان من القوم، وذكر أن صالحا عليه السلام أنكر عليهم عدم اتقائهم غضب الله بعصيانه وعدم طاعته ـ على ما يبين من الاستفهام الإنكارى «ألا تتقون» ـ ثـم إنه حاول استمالتهم إلى طاعته بذكره لهم أنـه رسول من الله أمين علـى الرسالـة التى بعث بهـا إليهم ولهذا طلب منهـم تقوى الله، و إطاعتـه؛ وأظهر لهم أنـه لا يرجو مـن دعوتهـم إلى الحق أجـرا يؤدى إليه منهـم أو مصلحـة تقضى لـه، مبينا أن الـذى يثيبه على فعلـه هو رب العـالمين الـذى يدعوهـم إلى الإيمـان به وتوحيده .

﴿أَتُتْرَكُونَ فِى مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا فَٰرِهِينَ ﴿١٤٩﴾﴾

أولا : الأسـماء :

١ ـ **الطلـع** : فى قوله تعالـى «ونخل طلعها هضيم» هو ما يطلع من النخـل ـ فى المعنى المراد فى الآية ـ وهو ثمار البلح أول ما تطلع .

٢ ـ **الهضيم** : فى قوله تعـالى «طلعها هضيم» هو المنضم الجنبين. تكـون عليه هيئة ثمار البلح فى مبتدأ طلوعهـا، إذ يكون بعضها داخلا فى البعض. وقيل هو الـرطب اللين، وقيل هو ما يتهشم فى الفم .

٣ ـ **الفارهون** : فى قوله تعـالى «وتنحتون من الجبال بيوتا فارهيـن» جمع، مفرده «الفاره»، هو النشط، وهو الحاذق، وقيل إن المراد به ـ فى معنى الآية ـ هو «الأشر» و «البطر» .

ثانيا : التفسـير:

بعد أن أظهـر صالح عليه السـلام الأسباب التى تقنع بتصديقه وطاعتـه لقومه، فإنـه فيما تقول الآيات شرع فى إبداء ما ينكره على قومه من أفعالهم. فجاء الاستفهام فى قوله «أتتركون فيما هاهنا آمنين» لإنكار فعلهم المذكور فى الآية، وسائر أفعالهم المذكورة فى باقى الآيات، ولتقرير أنها تعلقت بنعم أنعم بها الله عليهم.

فهو عليه السلام ينكر عليهم أنهم وقد تركهم الله تعـالى فى مكانهم الذى هم فيه «هاهنا» آمنين شـر اعتداء الأعداء عليهـم، لا يؤدون حق النعمـة من الشكـر، أو أنه عليه السـلام ينكر عليهم أنهم يأمنون أن يعـذبهم الله بأفعالهم السيئة يوم القيامة. ثم إنـه يبين المكان الذى هم فيه وما يزخربـه من النعم بقوله «فى جنات وعيون، وزروع ونخـل طلعها هضيم» فيكون القول بـدلا من «هـاهنا» فيكـون مكانهـم هو جنـات الأرض وبساتينهـا والنخل الـذى يخرج ثمـره هضيما، يكون فى مبتدأ أمره متلاصقا بعضه بالبعض، أو يكون متميزا عن غيره بأنه يتهشم فى الفم عند تناوله، أو بأى صفة أخرى تجعله أفضل من غيره من ثمار البلح .

كما أنكـر عليه السلام منهم أنهـم ينحتون بيوتهـم فى الجبال مـن أحجارها حال كـونهم بطرين لا يعتـرفون بأنه تعالـى الذى أعلمهم كيف يكـون نحتها، ولا يشكرونه على أنـه تعالى

جعلها لهم حصونا تحميهم من أعدائهم ومن اللصوص .

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾﴾

أولا : الأسماء :

المسرفون : قيل إن المراد بهم ـ فى معنى الآية ـ هم التسعة الرجال الذين قتل القوم ذكورهم المولودين لهم بعد أن أخبرهم صالح أنه يولد لهم فى شهرهم ولد يقتل الناقة فيعذبهم الله بفعله، فقالوا له «لا يولد لنا ذكر فى هذا الشهر إلا قتلناه» فولد تسعة ذكور قتلوهم ثم ولد العاشر فأبى أبوه أن يقتل، فغضب التسعة الرجال الذين قتلت أبناؤهم على صالح عليه السلام وتآمروا عليه قصد قتله بعد أن أكثروا من الإساءة إليه .

ثانيا : التفسير :

مفاد قوله تعالى ـ فى الآيات ـ هو أن صالحا عليه السلام ـ بعد أن أنكر على قومه ما أنكره من فعالهم ـ أمرهم باتقاء غضب الله بالإقلاع عما لا يرضيه من الأفعال وبأداء حق النعمة من الشكر، كما أمرهم بطاعته فيما يأمرهم به بأمر ربه .

ثم إنه عليه السلام نهاهم عن إطاعة ما يأمرهم به المسرفون فى الإفساد، وقيل إنهم التسعة الرجال الذين عادوا صالحا وتآمروا على قتله.

ثم إنه عليه السلام وصف هؤلاء المسرفين بما هم عليه قصد تنفير القوم من الانصياع لهم وإطاعتهم، فقال إنهم يفسدون فى الأرض ولا يصلحون، والمعنى أنهم قد ضلوا فى أنفسهم، وأنهم من كثرة ضلالهم يضلون غيرهم، ثم إنهم لا يأتون عملا صالحا، فجميع أعمالهم أعمال فاسدة .

■■■■

قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلۡمُسَحَّرِينَ ﴿١٥٣﴾ مَآ أَنتَ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا فَأۡتِ بِـَٔايَةٍ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٥٤﴾

التفسير:

يذكر تعالى - في الآيتين - إجابة قوم صالح على دعوته إياهم إلى تقوى الله وطاعته، وعدم إطاعة المسرفين، فيذكر تعالى أنهم رموه بأنه ليس إلا واحدا من المسحورين، الذين فعل فيهم السحر أثره فأذهب عقولهم. ثم إنهم أبدوا اقتناعهم بأنه لا يفضلهم بشيء يوجب له عليهم حق الطاعة، فهو ليس إلا إنسان بشر مثلهم لا يختلف عنهم في شيء إلا فيما اعترى عقله من آفة بسبب السحر الذي أثر فيه. ثم طلبوا منه - معاجزين - أن يأتي بالدليل على صدقه، مستحثينه على هذا بقولهم «إن كنت من الصادقين» .

قَالَ هَٰذِهِۦ نَاقَةٞ لَّهَا شِرۡبٞ وَلَكُمۡ شِرۡبُ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ فَيَأۡخُذَكُمۡ عَذَابُ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿١٥٦﴾

التفسير:

يذكر تعالى - في الآيتين - ما كان من صالح عليه السلام عندما تحداه قومه أن يأتي بآية تدل على صدقه، ولأنهم كانوا قد اقترحوا عليه من قبل أن يخرج لهم ناقة من صخرة عينوها، تلد وليدا آية منه ومن ربه، فإنه عليه السلام أشار إلى هذه الناقة - مما يستفاد معه أن الله أخرجها من الصخرة بدعاء صالح - وقال لهم إنها الآية المطلوبة، ثم أضاف إلى هذا أمرا هو أن يكون لها من عين ماء تشربه هو شرب يوم يكون لها لا يزاحمونها فيه على الماء. ويكون لهم شرب يوم آخر، وهكذا .

ثم إنه عليه السلام نهاهم عن أن يؤذوها على أى نحو أو أن يسيئوا إليها بفعل أو قول مثل ضرب أو زجر، وحذرهم من الإساءة إليها بإعلامهم أنه إذا وقع منهم شىء من هذا فإنه يصيبهم من الله تعالى عقاب عظيم. ويبدو أن وقوع ما كان منه التحذير داخل فى معنى الآية، إلا أنه يكون كذلك لمن بعدهم، لأنه متى وقع، لا يكون منه فائدة ترجى من الاعتبار به لهم .

فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ ﴿١٥٧﴾ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾

التفسير:

يذكر تعالى ما كان من قوم صالح مع الناقة التى نهاهم عن الإساءة إليها متوعدا إياهم بالعذاب إن فعلوا ما نهاهم عنه، فيخبر أنهم فعلوا غاية الإساءة إليها كان بعقرها، ورغم أن الذى عقرها كان واحدا منهم، إلا أن الفعل نسب إليهم جميعا لأنهم وافقوه عليه وأعانوه بموافقتهم، وقيل إن العاقر كان يدعى قدار بن سالف.

ويذكر تعالى أنهم بعد أن عقروها أصبحوا نادمين. والظاهر أن ندمهم هذا إنما كان حين ظهرت لهم أمارات العذاب ولهذا فإنه لم ينفعهم، وأنه لم يكن عقب عقر الناقة وندما على ذلك بدلالة أنهم قالوا بعد عقرها ـ على ما ثبت بالنص ـ «يا صالح ائتنا بما تعدنا إن كنت من المرسلين» .

ويذكر تعالى أنه جزاء لهم على فعلهم أخذهم العذاب، كان بصيحة خمدت لها أبدانهم وماتوا جميعهم .

ثم إنه تعالى أظهر أنه كان فى قصة قوم صالح آية يفترض أن يعتبر بها أهل الأمم اللاحقة عليهم فلا يكون منهم تكذيب الرسل، إلا أن أكثر هؤلاء لم يكن منهم إيمان بما أرسل به الرسل .

ثم ذكر تعالى بأنـه غالب على أمره بحكم أنه العزيز، وأنه يمهل الكـافرين فلا يعجل لهم العذاب رحمة منه بحكم كونه الرحيم .

كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾
إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٦٣﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ
عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٦٤﴾

التفســـــير:

قولـه تعالى ــ في الآيـات ـ في ذكـر قصة أخرى مـن قصص الأمـم التى عصت الـرسل فأهلكها الله بذنـوبهم، فيقدم تعالى للقصة ببيان مـا كان من قوم لوط عليه السـلام أو ما كانوا عليه مـن قبل أن يدعوهـم لوط إلى ما دعـاهم إليه. فيـذكر تعالى أنهـم كذبوا المرسليـن بما أرسلوا بـه من عقيدة التـوحيد ومن أمـر باتباع الخلـق القويـم الذى يتنافـى مع ما كـان القوم يمارسونه من أفعال الشذوذ.

ثم إنه تعـالى بين أنه أرسـل فيهم لوطا عليـه السلام، وصفه بأنـه أخوهم لأنه تـزوج منهم وعاش بينهـم فصار كواحـد منهم، وبين أن لوطـا سألهم أن يتقـوا غضب الله عليهم فسـألهم منكرا عليهم شيئا من أفعـالهم «ألا تتقون» وأنه أظهر لهم السبب الذى يـؤهلهم نفسيا لطاعته فذكر لهم أنـه رسول من ربه، أمين على أداء ما كلـف به، ثم أتبع هذا بأمـره إياهم بتقوى الله، وبطاعته، كما أنـه عليه السلام أظهر لهم أنه لايطلـب منهم أجر قيامه على هـدايتهم لأن من يثيبه على هدايتهم أو العمل عليها هو رب العالمين .

أَتَأْتُونَ ٱلذُّكْرَانَ مِنَ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿١٦٥﴾ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُم مِّنْ
أَزْوَٰجِكُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ ﴿١٦٦﴾

أولا : الأسـمـاء :

العـادون : فى قـوله تعالى «بـل أنتم قوم عـادون» جمع، مفرده «العادى» وهـو المتعدى حدا من الحدود، والمراد به ـ فى معنى الآية ـ من لم يحده حد يوقفه عن الاسترسال فى فعل من أفعال الظلم .

ثانيا : التفسـيـر:

القول فى الآيتين قـول لوط عليه السلام لقومه ينكـر عليهم أنهم يأتون الذكـور من الناس، بمعنى أن الذكور منهم يطؤون الذكور من العالمين فى دبرهم، والمقصود بالعالمين هم البشر أو أبناء آدم وحـدهم دون المـلائكة والجن بحكـم الضرورة العقلية، وجـاء لفظ «العـالمين» لتعدد أجناس البشر. وكما أنه عليه السلام ينكر عليهـم هذا فإنه يوبخهم عليه أيضا. ويكمل معنى التوبيـخ ما ذكره عليه السـلام لهم من أنهم ينصرفـون عن الأعضاء التى أعـدها الله فى أجساد نسـائهم لتكون مكـان الوطء المباح علـى ما يـوافق الطبيعة القـويمة إلى المحـاشى القذرة فى الذكـور الذين لم يخلقوا ليكونـوا محلا لوطء؛ ولهذا فإنه عليـه السلام وصفهم فى نهاية قوله بأنهم قوم عادون بمعنى أنهم جـاوزوا فى أفعالهم الدنيئة كل حد فبلغوا من الظلم مبلغا لا حد بعده .

قَالُوا۟ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰلُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُخْرَجِينَ ﴿١٦٧﴾

التفسـيـر:

يذكر تعـالى ـ فى الآيـة ـ ما أجاب بـه قوم لوط عليه، أوجـزوا رأيهم فيما نصحهم بـه وما أمرهم به وما نهاهم عنه بقولهم له إنه مـا لم يكف عن وعظهم ونهيهم عن أفعالهم وتوبيخهم على هذا فإنهم سيعقابونه بعقوبة النفى، والمعنى هو أنهم مصرون على الاستمرار على ما هم عليه مـن فعل القبـائح، وأنهم يعتبـرون فعلهم فعـلا غير قبيـح، ويعدون النهـى عنه جـريمة تستوجب العقاب. وقيل هذا ومعه أنهم لايثقون أو أنهم ينكرون أنه مرسل من ربه.

﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ الْقَالِينَ ﴿١٦٨﴾﴾

التفسير:

يذكر تعالى - فى الآية - قول لوط عليه السلام لقومه حين أنذروه بالنفى من المدينة إذا هو لم ينته عن نصحهم وتوبيخهم. فيقول تعالى ما مفاده أنه رد فأوجز قال إنه لعملهم - بمعنى ما استحقوا عليه التوبيخ، وإصرارهم عليه، وإنذارهم إياه بالنفى - من المبغضين أشد البغض، فيكون المعنى هو عدم اكتراثه بتهديدهم إياه، وأنه راغب فى الخلاص منهم .

﴿رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٦٩﴾ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٧٠﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ﴿١٧١﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ ﴿١٧٢﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَاءَ مَطَرُ الْمُنذَرِينَ ﴿١٧٣﴾﴾

التفسير:

مفاد قوله تعالى - فى الآية - هو أن لوطا عليه السلام بعد أن أظهر لقومه بغضه صنيعهم كان منه أن اتجه إلى ربه بالدعاء أن ينجيه وأهله مما يعمل قومه - ويتصور أن يكون دعاؤه بطلب النجاة مما كان يصنع قومه من الفواحش، لأنه ليس ثمة ما يمنع المعصوم من الدعاء بالنجاة مما عصم منه، كما دعا إبراهيم عليه الصلاة والسلام ربه أن يجنبه وبنيه أن يعبدوا الأصنام.

ويتصور أن يكون الدعاء بالنجاة من العذاب الدنيوى الذى يلحق بهم جزاء على أفعالهم. وهذا هو ما تفصح الآيات التالية عن كونه المقصود .

فقوله تعالى «فنجيناه وأهله أجمعين * إلا عجوزا فى الغابرين» يفيد أن العذاب الدنيوى بالهلاك قد أصاب قومه أو أنه أصاب المدينة التى كان فيها وأهله مع قومه، وأنه تعالى أنجى

لوطا وأهل بيته والمـؤمنين له جميعا إلا عجوزا من أهل بيته ـ هى زوجـه عليه السلام ـ وصفها تعالى بأنها عجوز وبأنها من الذين بقوا على الحياة مع موت الذين ماثلوها فى العمر، فيكون القول لبيان أنها كـانت طاعنة فى السن. والاستثنـاء يتعلق بالنجاة من الهلاك، ثـم إنه تعالى صرح بـأنه دمـر الآخرين، بمعنـى أنه أهلك بـاقى القـوم، فدل على أنـه أهلك زوج لـوط مع المهلكين.

ثم إنـه تعالـى أوضح كيفيـة إهلاكـه قوم لـوط بقولـه «وأمطرمـا عليهم مطـرا، فساء مطـر المنذرين». فبيـن أنه أنزل عليهم مطرا من السمـاء، جاء تنكيره فى النص لبيان أنـه ليس من قبيل المطر المعروف، ذلك أنه كان حجارة من سجيـل، ولهذا جاء ذمه بذكر أن أسوأ مطر هو مطر المنذرين، ذلك أن المطر المعروف يكون من قبيل النعمة، على حين كان مطر المنذرين نقمة فيها الهلاك والمحو، فليس فى مثل سوئه مطر.

إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ
وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٤﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٧٥﴾

التفســـــير:

قوله تعالى ـ فـى الآيات ـ تذييل لما ورد فى الآيات من قصة قـوم لوط يفيد أن فى العلم بها آية عظيمة على أنه تعالى يعذب المكذبيـن رسلهم بما كان يستوجب الإيمان للرسل، إلا أن الكائن هو أن أكثـر الناس لا يؤمنون للرسـل، ثم إنه تعالـى ينصر رسله بحكم كونـه العزيز الغالب، وإن كان لا يعجل العذاب لمن يشاء ألا يعجله له من باب رحمته لكونه الرحيم.

كَذَّبَ أَصْحَابُ لْئَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٧٦﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ
﴿١٧٧﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٧٨﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٧٩﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ
عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٠﴾

التفسـير:

قوله تعالى ـ في الآيات ـ في ذكر رواية أخرى تقص خبر قوم من الأقوام الذين كذبوا رسلهم، وما كان منه تعالى معهم جزاء على تكذيبهم الرسل، والقوم المروية قصتهم هم أصحاب الأيكة الذين بعث الله إليهم شعيبا نبيا يهديهم .

وصف تعالى القوم بأنهم أصحاب الأيكة، لأنهم كانوا يسكنون غوطة تنبت بالشجر، كانت تمتد من ساحل البحر إلى قرب مدين التي كان فيها قوم شعيب عليه السلام، وذكر تعالى أن القوم كذبوا المرسلين بمعنى أنهم خالفوا عقيدة التوحيد التي دعا إليها جميع الرسل.

ثم يذكر النص ما يفيد أن شعيبا عليه السلام استنكر منهم أفعالا تغضب الله تعالى فطلب منهم اتقاء غضبه، على ما يبين من الاستفهام الإنكاري في قوله لهم «ألا تتقون» .

ثم يبين تعالى أن شعيبا صرح لهم بأنه مرسل من ربه لهم ، وأنه أمين على ما كلف به، وذلك حثا لهم على الإيمان له وطاعته؛ ولهذا أمرهم ـ من بعد ـ بتقوى الله، وبطاعته.

كذلك يبين النص أن شعيبا أظهر لهم أنه لا يستهدف من إبلاغهم ما أرسل به نفعا يحصل عليه منهم أو أجرا على قيامه على هدايتهم، وأوضح لهم أن الذي يثيبه على عمله هو رب العالمين. والبين من القول أنه كان تمهيدا لما سيأمرهم به وما ينهاهم عنه.

۞ أَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَلَا
تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾ وَلَا تَبْخَسُوا۟
ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِى
خَلَقَكُمْ وَٱلْجِبِلَّةَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٨٤﴾

أولا : الأسماء :

الجبلة : هى الخلقة الطبيعية، يقال «جبل عليه» بمعنى «فُطر عليه فكان من طبعه المخلوق عليه» وقيل إن المراد بها - فى معنى الآية - هو الجماعة الكثيرة .

ثانيا : التفسير:

القول - فى الآيات - لشعيب عليه السلام، فمن بعد أن بين لقومه أنه رسول من رب العالمين، ومن بعد أن أمرهم بتقوى الله عامة وبإطاعته، أمرهم بأشياء ونهاهم عن أشياء بعينها تعلقت بأمور معيشية ومعاملات .

أمرهم إذا ما باعوا شيئا مما يكال بالمكاييل أن يوفوا الكيل بأن يتموه، ونهاهم عن أن يلحقوا بمن يشترى منهم شيئا يكال خسارة نتيجة عدم إيفاء الكيل. فيكون النهى مبينا معنى الأمر وذكرا لعلته.

وأمرهم إذا باعوا شيئا مما يوزن أن يكون الوزن بالعدل أو بالميزان السوى. والمعلوم أنه ليس ثمة ما يمنع البائع من أن يزيد للمشترى فى الوزن تكرما، لأنه يتصرف آنذاك فى حق له.

ثم أمرهم بعدم إنقاص الناس شيئا من حقوقهم، أو إنه نهاهم عن إنقاص الناس حقوقهم بصفة عامة فى جميع المعاملات يدخل فيها أعمال البيع والشراء. ويدخل فيها سائر المعاملات من أمانة واستئمان، ومن قضاء فى المنازعات، وغير ذلك مما يتعلق بالحقوق والواجبات.

كما أمرهم بعدم الإفساد فى الأرض، أو إنه نهاهم عن الإفساد فى الأرض يكون بكل ما فيه فساد ونشر فساد من قتل وقطع طريق و إفشاء المعاصى .

ثم كان منه أن أمرهم أن يتقوا غضب الله تعالى ، وصفه بأنه الذى خلقهم، وأن يتقوا عذابا يحيق بهم من صنف ما أصاب الذين ماثلوهم فى التصرفات السيئة من الذين سبقوهم من الأمم، أو الذى خلقهم وخلق من قبلهم .

قَالُوٓاْ إِنَّمَآ أَنتَ مِنَ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَآ
أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا
كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١٨٧﴾

أولا : الأسماء :

الكسف : فى قوله تعالى «فأسقط علينا كسفا» جمع، مفرده «الكسفة» وهى القطعة من الشىء، والمراد باللفظ ـ فى معنى الآية ـ هو القطع من الحجارة .

ثانيا : التفسير:

يذكر تعالى ـ فى الآيات ـ رد أصحاب الأيكة على شعيب عليه السلام، اتهموه بأنه مسحور فعل فيه السحر أثره فخاب عقله فهذى بما ليس فيه خير.

فالقول تكذيب له مع اتهام بالجنون.

ثم إنهم بينوا أنه يتساوى معهم فى الطبيعة البشرية، لايمتاز عليهم بصفة خاصة تجعل له عليهم حق الطاعة.

فضلا عن أنهم يرونه كاذبا فيما يدعيه من أنه رسول من رب العالمين، وفيما أنذرهم به من العذاب إن هم كذبوه .

ثم اتبعوا هذا بتحديه أن يأتيهم بالعذاب الذى توعدهم به، فطلبوا منه أن يسأل ربه الذى يدعى أنه أرسله إليهم أن يسقط عليهم قطعا من الحجارة من الظلة التى تعلوهم ليثبت صدقه فيما ادعاه .

قَالَ رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨٨﴾

التفســـــير:

أجاب شعيب عليه السلام على الحديث الطويل للمكذبين الذى انتهى بتحديه أن يأتيهم بالعذاب بعبارة قصيرة تفيد أن تعذيبهم موكول إلى الله تعالى الذى يعلم أعمالهم السيئة فى تعاملاتهم، ويعلم تكذيبهم له. والعلم يفيد المحاسبة بالمعلوم .

فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ ۚ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾

أولا : الأســماء :

يوم الظلة : هو اليوم الذى أرسل الله تعالى فيه سحابة فيها برد اجتمع تحتها القوم هربا من الحر الشديد الذى بعثه تعالى عليهم. فلما اجتمع شملهم تحتها أسقطها الله عليهم نارا أكلتهم جميعا .

ثانيا : التفســـير:

قوله تعالى - فى الآية - إخبار عما كان من القوم، وما كان منه تعالى معهم. فيذكر تعالى أن القوم استمروا على تكذيبهم شعيبا فعذبهم الله به بأن أخذهم عذاب يوم الظلة، وفيه أرسل تعالى عليهم حرا شديدا دخل عليهم بيوتهم، ثم بعث سحابة فيها برد. اجتمعوا تحتها فأسقطها تعالى عليهم نارا أكلتهم.

ثم وصف تعالى ما أصابهم بأنه كان عذاب يوم عظيم، كان اليوم عظيما لأنه تعالى عذب فيه المكذبين بتكذيبهم. وكان العذاب عظيما فى شدته فأكلهم جميعا وقضى على جمعهم.

إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾

التفســـــــير:

جاء قوله تعالى تذييلا لقصة قوم شعيب وتذييلا للقصص السبع المروية، يبين تعالى أن ما روى من أخبار الأقوام الذين كذبوا الرسل وأصروا على الكفر وما حاق بهم من عذاب آية عظيمة لمن أتى بعدهم ومنهم هؤلاء الذين بعث إليهم وفيهم رسول الله ﷺ، إلا أنه لا يكون اعتبار أكثرهم بما علموا من قصص المكذبين رسلهم، فيكون أكثرهم كافرين، ثم إنه تعالى يبين قدرته على الانتقام من المكذبين بعذاب دنيوى إن شاء أو يرجئهم إلى عذاب يوم القيامة لمن يموت منهم على الكفر بعد إمهاله بعدم تعجيل العذاب له، يفعل سبحانه وتعالى هذا بحكم كونه العزيز الغالب على أمره. وبحكم كونه الرحيم بخلقه.

وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾

التفســـــــير:

جاء قوله تعالى «وإنه لتنزيل رب العالمين» مرتبطا بما أثبته تعالى من أن فى قصص المكذبين آية للناس إلا أن أكثر الناس لا يؤمنون بها. فجاء قوله تعالى متعلقا بالقرآن العظيم وبرسوله ﷺ وقد كذب بهما كفار مكة ولم يؤمنوا، فأثبت تعالى أن القرآن العظيم منزل منه تعالى ومنه الآيات التى أخبرت عن قصص المكذبين التى لم يعرف بها رسول الله ﷺ إلا من القرآن العظيم الذى أنزل إليه وحيا، فيكون القول متضمنا أيضا إثبات نبوته ﷺ .

ثم إنه تعالى يثبت أن جبريل عليه السلام نزل بالقرآن العظيم، دعا تعالى جبريل بالروح الأمين لكونه قد نزل بما فيه حياة الأرواح والعقول والحياة الدائمة فى الآخرة، ولأنه أمين على حمل الرسالة وبلغ كما أمر.

ثم إنه تعالى أثبت أن نزول جبريل عليه السلام بالقرآن العظيم كان على قلب

رسول الله ﷺ ـ المخاطب بالقول ـ وذلك لأن القرآن العظيم لم ينزل مدونا فى صحف و إنما أقرأه جبريل عليه السلام رسول الله ﷺ فحفظه فى قلبه وآمن به فكان القرآن فى قلبه، وليكون إنذاره ﷺ إنذارا بما آمن به، فيدخل بهذا فى عداد الرسل المنذرين بما أنزل إليهم من ربهم، والذين استحق مكذبوهم العذاب .

وجاء قوله تعالى «بلسان عربى مبين» متعلقا بالقرآن المنزل على قلب رسول الله ﷺ، وقد يكون متعلقا أيضا بالإنذار به.

فهوتعالى يثبت فى القرآن العظيم أنه أنزل باللفظ العربى الواضح الذى يستطيع استيعابه وحفظه ومعرفة معناه قوم رسول الله ﷺ أول المبلغين به، ثم إنه ﷺ قد أنذر بما ورد فى القرآن العظيم باللغة التى أنزل بها، ثم إن أهل الدعوة الذين يدعون أقواما من غيرالعرب إلى الإسلام ويخاطبونهم بلغاتهم غيرالعربية، إنما ينذرونهم بالقرآن المنزل باللفظ العربى، بمعنى ما ورد فيه من العقيدة ومن الأحكام.

ولتكون منهم الصلاة بالقرآن مقروءا ومتلوا بلفظه العربى، وإن فهموا معناه بلغة غير العربية .

﴿وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ١٩٦﴾

التفسير:

القول هو فى القرآن العظيم يثبت تعالى أنه قد ورد خبره فى كتب الأولين وصحفهم، ومن ذلك ما سبق أن أشرنا إليه من نصوص لاتزال موجودة فى التوراةوالإنجيل اللذين بين أيدينا اليوم وفى بعض أسفارالعهد القديم ومنها سفر «المزامير» وسفر «اشعياء» فهى جميعا صريحة فى التبشير برسول يبعثه الله من أبناء إسماعيل فى مكة «أرض قيدار» ينزل عليه كلام الله وحيا، فيبلغ به شفاهة لأنه أمى لا يقرأ ولا يكتب .

﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ آيَةً أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٩٧﴾﴾

التفسير:

القول يثبت أن علماء بنى إسرائيل الذين درسوا التوراة قد علموا أن القرآن العظيم حق، وأن رسول الله ﷺ مبعوث من ربه بالقرآن، ومن هؤلاء من آمن، ومنهم من لم يؤمن خوفا من قومه أو عنادا و إصرارا على الكفر. ثم إن القول ينكر على كفار مكة أنهم عرفوا من علماء بنى إسرائيل أن الوقت أو أن نبيا يبعثه الله، مذكورة صفاته فى التوراة، يكون من أبناء إسماعيل، يوحى إليه من ربه. وأنهم رغم تيقنهم من أن ذلك محقق فى رسول الله ﷺ لم يؤمنوا له.

﴿وَلَوْ نَزَّلْنَاهُ عَلَىٰ بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٨﴾ فَقَرَأَهُ عَلَيْهِم مَّا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٩﴾﴾

أولا : الأسماء :

الأعجمون : فى قوله تعالى «ولو نزلناه على بعض الأعجمين» جمع، مفرده «الأعجم»، وهو شاذ لأن ما كان من الصفات، وكان مؤنثه على وزن فعلاء لا يجمع بالواو والنون جمع المذكر. واللفظ بمعنى «الأعاجم»، والأعجم هو الذى لا يفصح ولا يبين كلامه و إن كان من العرب، والذى فى لسانه عجمة وإن أفصح بالعجمية .

ثانيا: التفسير:

قوله تعالى - فى الآيتين - فى كفار مكة يبين فيه أن حالهم لا يختلف عن حال الذين لا يفهمون العربية - فى موقفهم من القرآن العظيم - فإن كان للعجم عذرهم أنهم لا يفهمون القرآن لكونه باللفظ العربى، فإن كفار مكة ليس لهم عذر فى الكفر به .

ويقبل المعنى أن يكون أنه لو كان تعالى قد أنزل القرآن باللفظ العربى على بعض الأعاجم فقرىء عليهم لما آمنوا به لعدم فهمهم معانيه. ويقبل أن يكون أنه لو كان تعالى قد أنزل القرآن على رجل من الأعاجم أو العجم فقرأه عليهم ـ أى على كفار مكة ـ لما آمنوا به لعدم إبانته و إفصاحه، أو أنفة وكبرا. والمعنى المراد إيصاله هو انعدام حجتهم لعدم الإيمان بالقرآن أو انتفاء سبب عدم الإيمان به .

كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٠٠﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٢٠١﴾

التفسير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ فى القرآن العظيم ومحله فى قلوب الكافرين به وعقولهم، ثم ما يكون عليه موقفهم منه.

فيقول تعالى إنه على النحو المذكور كان دخوله فى قلوبهم، فهو لكونه عربى اللفظ فهموه وعلموا أنه ليس كلام البشر، ثم تيقنوا أنه كلام الله أنزل على قلب رسول الله ﷺ فأبلغ به مما أخبرهم به علماء بنى إسرائيل.

وقد وصفهم الله تعالى ــ فى الآية ــ بأنهم المجرمون، هم ومن علم أنه الحق من أهل الكتاب ولم يؤمن به. ثم كان منهم بعد هذا الكفر به، بمعنى أن القلوب منهم أنكرته وقد علمت أنه الحق من رب العالمين . ثم أوضح تعالى أنهم يظلون على كفرهم به إلى أن يروا العذاب الأليم، فيكون منهم الإيمان به فلا ينفعهم إيمانهم .

فَيَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠٢﴾ فَيَقُولُوا۟ هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴿٢٠٣﴾

التفسير:

بعد أن بين تعالى أن الكافرين يظلون على كفرهم بالقرآن العظيم إلى أن يروا العذاب الأليم فيكون منهم الإيمان به وقت أن لا ينفعهم إيمانهم.

فإنه تعالى أوضح أن العذاب يأتيهم بغتة، بمعنى أنه لا تكون له مقدمات يفهمون منها أنه آتيهم، وإنما يفجأهم وذلك على ما يبين من «الفاء» فى «فيأتيهم» وهى للتعقيب .

ثم يذكر تعالى أنهم يقولون آنذاك «هل نحن منظرون» والمعنى أنهم يطلبون مهلة يتداركون فيها ما فاتهم، فهم يقرون بخطئهم ويتحسرون على تفريطهم فى أمر أنفسهم ويتمنون محالا أن تكون لهم رجعة فيؤمنوا .

أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ
﴿٢٠٤﴾ أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُوا۟ يُوعَدُونَ
﴿٢٠٦﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يُمَتَّعُونَ ﴿٢٠٧﴾

التفسير:

بعد أن أنذر تعالى المكذبين بالعذاب يأتيهم بغتة، وبعد ما كان منهم من طلب إنزال العذاب المنذر به بهم فإنه تعالى أنكر عليهم استعجالهم العذاب لكونه دالا على حمقهم، ثم خاطب رسوله ﷺ ليخبرهم أنهم مهما تمتعوا فى دنياهم فإن تمتعهم لن يتعدى سنينا معدودة يجيئهم بعدها عذاب الآخرة، فإذا جاء عذاب الآخرة تبين لهم أن تمتعهم فى الحياة الدنيا قد زال وانمحى أثره، وأنه لم يغن عنهم شيئا من عذاب الآخرة .

وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ﴿٢٠٨﴾ ذِكْرَىٰ وَمَا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٠٩﴾

التفسير:

يذكر تعالى - في الآيتين - ما جرت عليه سنته تعالى في شأن الأمم المهلكة، فهو تعالى لم يهلك أهل قرية إلا من بعد إرسال المنذرين فيها أو من بعد علمهم بما جاء به الرسل المنذرون قبل رسولهم الذى بعث فيهم، ولهذا كان قوله تعالى في مبتدأ قصة كل قوم أهلكوا أنهم كذبوا المرسلين. فيكون الرسل الذين علموا برسالاتهم منذرين لهم.

ثم إنه تعالى أظهر أن حال هؤلاء المنذرين أنهم ذكرى أو أنهم ذكروا الأقوام ذكرى، أو إنهم أنذروا الأقوام المكذبة ليكون إهلاكهم ذكرى يعتبر بها ويتعظ، وذكر أن إهلاكه إياهم كان عدلا لكونه جزاء على كفرهم، وأنه لم يكن ليعد من قبيل الظلم فيما لو كان قد حدث من غيره تعالى، لأنه تعالى لا يوصف منه فعل بالظلم وإن عدم سببه.

وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ ﴿٢١٠﴾ وَمَا يَنبَغِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ ﴿٢١٢﴾

التفسير:

قوله تعالى - في الآيات - في القرآن العظيم الذى قال فيه تعالى «وإنه لتنزيل رب العالمين»، قال كفار مكة إن لمحمد ﷺ تابعا من الجن يخبره بالقرآن العظيم فينطق به. فنفى تعالى ذلك بنفيه نزول شيطان من الشياطين به، ثم بين تعالى أنه غير مستقيم ولا متصور أن يكون ذلك من الشياطين أو من أحدهم، ثم بين تعالى امتناع معرفة الشياطين بالقرآن العظيم قبل نزوله على رسول الله ﷺ، بإثباته أنه ممنوع عليهم سماع ما تتكلم به الملائكة في السماء.

وذلك لكونهم ممنوعين عن السماء بالشهب.

وبالتالى فأنهـم عاجزون عن معرفة شيء مما دون فى اللوح المحفـوظ. فيكون القول بيانا لكذب القائليـن بأن شيطانا ينـزل بالقرآن على رسول الله ﷺ، وتـأكيدا لكونه تنـزيلا من رب العالمين.

﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ۝٢١٣﴾

التفسـير:

الخطاب - فى الآية - إلى رسول الله ﷺ - على الظاهر - وهو لجميع المكلفين، تلطف بهم ربهم فجاء النهى إلى رسوله ﷺ الذى لا يتصور منه الشرك ليعلم الخلق أنه قمة الذنوب حتى إنه تعالى تلطف بهم فى النهى عنه بتوجيه النهى إلى من لا يكون منه المنهى عنه.

ثم بين تعـالى أن جزاء الشرك هـو العذاب الذى لا يقبل عفـوا ولا تأقيتا بقولـه «فتكون من المعذبين».

﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ۝٢١٤ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٢١٥ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ ۝٢١٦﴾

التفسـير:

من بعـد النهي عن الشـرك بالله جاءت الأوامـر بالأفعـال، فأمر تعـالى رسولـه ﷺ أن ينذر بالقرآن عشيرتـه الأقربين وهم ذوو القرابة القـريبة منه، والأمر توجيه للمـؤمنين أن يكون منهم توجيه أقاربهم إلـى الصواب و إنذارهم بالعذاب جزاء على العصيان قبـل أن ينتقلوا بالتوجيه والإنذار إلى الغير.

ثم إنـه تعالـى أمر رسـوله ﷺ بالتـواضع لمـن اتبعه من المـؤمنين، وفـى هذا قيـل إن من المؤمنين من صدق برسول الله ﷺ واتبعه - وهؤلاء الذين أمر ﷺ بالتواضع لهم. وأن منهم من

صدق ولم يتبع. وقد يكون الصحيح هو أن جميع المؤمنين متبعون أو أتباع، وأن القول يفيد التعميم.

وبعد أن أمر تعالى رسوله بإنذار عشيرته الأقربين، فإنه تعالى أخبره عما يكون منه مع من يعصونه منهم وهو أن يتبرأ من فعلهم. وقيل إن القول تعلق بالمؤمنين فيما يتعلق بالمعاصى التى يرتكبونها بالمخالفة لأوامره ﷺ، يعلن ﷺ تبرؤه منها.

وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾

التفسير:

بعد أن أخبر تعالى رسوله ﷺ بما يفعله مع عشيرته الأقربين إذا عصوه، ومن هؤلاء كفار قريش. فإنه تعالى أمره بالتوكل عليه واصفا ذاته بأنه العزيز الرحيم، لبيان أنه تعالى ناصر رسوله ﷺ بعزته وأنه شامله برحمته فلا يؤثر فيه كيدهم.

ثم إنه تعالى أوضح رعايته رسوله فى أغلب أوقاته ﷺ، ومبينا للمؤمنين أن التوكل الصحيح يكون ممن أدى حقوق ربه وأخلص نفسه له.

فهذا هو المستفاد من وصفه تعالى ذاته بأنه الذى يراه حين يقوم إلى الصلاة وحين يتقلب حاله فى الصلاة من حال كالجلوس أو السجود إلى حال آخر كالقيام، يكون منه ذلك لدى صلاته إماما بالمصلين، وصفهم تعالى بأنهم الساجدون لأن العبد يكون أقرب ما يكون إلى الله أثناء سجوده.

وجاء قوله تعالى «إنه هو السميع العليم» لبيان أنه يسمع ما يصدر منه ﷺ وما يصدر من المؤمنين الذين اتبعوه ومن الذين عصوه من القول، وأنه يعلم أفعالهم المعلنة وما انطوت

عليه قلوبهم. فيكون المراد إيصاله من معنى هو أنه تعالى محاسب بما سمع وبما علم، يثيب ويعاقب .

هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ ﴿٢٢١﴾ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾

التفسير:

قوله تعالى ـ فى الآيات ـ رجوع إلى الحديث فى قول المكذبين إنه ﷺ له تابع من الجن يحمل إليه القرآن العظيم، وذلك لإبداء مدى جسامة القول وجدارته أن يكون هناك عودة لدحضه، ويكون القول أيضا تأكيدا لقوله تعالى فى القرآن «وإنه لتنزيل رب العالمين» .

وقوله تعالى فى الآيات هو لإظهار كذب القائلين قول الزور المذكور وبيان استحالة دنوه من الحقيقة. بدأ تعالى باستفتاح يهيىء لذكر المراد إيصاله من معنى «هل أنبئكم على من تنزل الشياطين» فكأنه تعالى يخاطب المكذبين بقوله «هل أخبركم أيها الجهلة على من تنزل الشياطين» ثم يجيب تعالى بأنهم إنما ينزلون على من كثر منه الكذب والإفك فدعى «أفاكا» وكثر منه ارتكاب الآثام فدعى «أثيما»؛ ولما كان قد عرف عنه ﷺ أنه الصادق الطاهر الذى لم يقرف إثما قبل البعثة وبعدها، فقد ظهرت استحالة كونه ﷺ ممن تنزل عليهم الشياطين.

ثم إنه تعالى أخبر أن هؤلاء الذين تنزل عليهم الشياطين هم ممن يصغون إلى الشياطين ويطيعونهم، ولم يكن ﷺ من هؤلاء فقد كان سمعه وقلبه مع جبريل عليه السلام حين يتلو عليه ما نزل إليه من ربه من القرآن. كما أخبر تعالى أن الذين تنزل عليهم الشياطين أكثرهم كاذبون، بمعنى أن أكثر حديثهم كذب. وهو ﷺ لم يؤخذ عليه يوما قولة كذب .

﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ۝٢٢٤ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ۝٢٢٥ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ۝٢٢٦﴾

أولا : الأسـماء :

١ ـ **الشعراء** : جمع، مفـرده «الشاعـر» والشاعر هـو من يقول الشعـر، والشعر وهـو الكلام الموزون المقفى .

٢ ـ **الغاوون** : جمع، مفرده «الغاوى» وهو من غوى بمعنى ضل وتحير، ومن لم يثبت على حال بعينه وتقلب من حال إلى حال فى السلوك .

ثانيا : التفسـير :

بعد أن نفى تعالى عن رسوله ﷺ أن يكون ممـن يتلقون من الشياطين خبر القرآن أو بعد أن أثبت كذب القائلين بهذا الإفك المفترى، فإنه تعـالى ـ فى الآية ـ ينفى عن القرآن العظيم أن يكون شعرا وعن رسوله ﷺ أن يكون شاعرا، ويثبـت كذب القائلين بهذا الإفك. وقيل فى هذا إن قوله تعالـى «ولا تقتلوا النفس التى حرم الله» هو شطـر من بحر «الطويل» «فعولـن مفاعيلن فعولن مفـاعلن» ، وقوله تعـالى «إن قارون كان مـن قوم موسى» مـن بحر المديد» «فـاعلات فاعلن فاعلاتـن»، وقوله تعالى «فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهـم» من بحر «البسيط» «مستفعلن فاعلن مستفعلن فعلن». وقد لا يكون هذا صحيحا على إطلاقه، فغير متصور أن يجهل العرب أن القرآن العظيم ليـس شعرا، و إنما أرادوا رمى رسول الله ﷺ بـاختلاقه، فقالوا عنـه إنه كلام فصيح منمق وبليغ كالشعر الذى يقوله الشعـراء، وأنه مليء بالخيالات والتصاوير مثل الشعر؛ ولهذا فإنه تعالى بنفيـه عن رسوله ﷺ أن يكون شاعرا يكون قد نفى عنـه أنه يختلق القرآن من عنده .

وقد جاء نفيه تعالى عن رسوله ﷺ أن يكون شاعرا بإثبات أن الشاعر يكون إماما للغاوين، يتبعونه فـى الانتقال من غرض إلى غرض، فهـو تارة يكون مادحا، وتارة يكـون هجاء، ويكون

متغزلا ويكون مفتخرا. وليس هذا هو حال رسول الله ﷺ ولا حال الذين اتبعوه، فهم على ثبات من الأمر على هدى من ربهم .

ثم إنه تعالى أوضح باللفظ الصريح عدم ثبات الشعراء وأتباعهم على الأمر الواحد بقوله تعالى «ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون» بمعنى أنهم يتنقلون بين الأغراض المختلفة للشعر، يكون لهم فى كل منها أقوال. كما أوضح باللفظ الصريح أنهم يقولون ما لا يفعلون، إذ يتبع الشاعر خياله فيذكر قصصا يظهر فيها أنه صاحب القدح المعلى فى رفقة النساء يسىء فيها إلى الحرائر دون أن يكون لما يقول نصيب من الحقيقة، كما يذكر أحداثا يفتخر بها على غيره لا يكون لها ظل من واقع، وليس هذا من شأن رسول الله ﷺ الصادق الذى لم يكذب، والأمين الذى لم يسىء إلى أحد بالباطل. وليس من شأن أتباعه الذين وافق عملهم إيمانهم فلم يقولوا ما لم يفعلوا .

إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُواْۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾

أولا : الأسـماء :

المنقلب : فى قوله تعالى «أي منقلب ينقلبون» هو المصير والمرجع .

ثانيا : التفسـير:

يستثنى الله تعالى بنص الآية من الشعراء الموصوفين بالإغواء والذين يتبعهم الغاوون الشعراء المؤمنين الذين قرنوا إيمانهم بعمل الصالحات وبذكر الله كثيرا. وتشير الصفات التى وصف بها الله تعالى هؤلاء المستثنين من الحكم إلى أنه لا يتصور أن يصدر منهم ما يعيب الشعر والشعراء، فهم لإيمانهم بالله وتوحيده لا يصدر منهم ملق فى مدح لأنهم لا يسألون غير الله تعالى، وهم لعلمهم أنه تعالى لا يحب المتكبرين، لا يستعلون على الناس ولا

يتكبرون مفتخرين، وهم لا يخوضون فى أعراض الناس ولا يلمزون المحصنات.

وقولـه تعالى فيهـم «وانتصروا من بعـد ما ظلموا» هو بمثـابة إباحـة لمقابلة الهجـاء بمثله شريطة عدم تجاوز حـد المساواة فيه، فيكون تجاوز الحد ظلما يأثـم به المتجاوز؛ ولهذا جاء قولـه تعالى ـ فـى ختام الآية ـ «وسيعلـم الذين ظلموا أى منقلـب ينقلبون» فأعلم تعـالى أن الذين ظلموا غيرهم متخذين الشعر وسيلة لهم يكون حكمهم حكم غيرهم من الظالمين سوء المرجع والمصير، والمعنـى هو العذاب بما قرفوا، يعلمون حين يقـع بهم أنهم أوردوا أنفسهم بظلمهم مورد التهلكة.

وأخيرا فـإنه يجـب ألا يفهم مـن الآية ومـا سبقها أن قـول الشعر محـرم أو مكروه، وإنمـا المحرم هو ما كانت فيه الغواية والإثم. وقد استمع رسول الله ﷺ من كعب بن زهير إلى لاميته التى يقول فى مطلعها:

بانت سعاد فقلبى اليوم متبول * متيـم إثرها لم يفـــد مكبول

ومن شعر أبى بكر رضى الله عنه:

أمن طيف سلمى بالبطاح الدمائث * أرقت وأمر فى العشــــيرة حادث

■■■■

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة النمـــل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

طسٓ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْأَخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾

التفســــــير:

افتتحت السورة بأسماء الأحـرف «الطاء والسين» وهى ـ على الراجح ـ من المتشابه على ما سبق بيانه. ثم أشار تعالى إلى السورة بـاسم الإشارة «تلك» لبيان علو منزلتها وأخبر أنها من آيات القرآن العظيم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

ثم إنه تعالى وصف القـرآن ـ بطريق العطف ـ بأنه كتاب مبين، بمعنـى أنه ظاهر الإعجاز، وأنه مفصل مبين كل ما جاء به من توحيد وقصص وأحكام وما ذكر من أحوال الدنيا والآخرة.

ثم ذكر تعالى حال القرآن العظيم وهو كونه هدى وبشرى للمؤمنين، فهو لهم قبل أن يؤمنوا هاديا يهديهم إلى الطـريق الموصل إلى رضاء الله وهو الإسلام، وهو للمؤمنيـن يزيدهم إيمانا وبه يستبشرون، ثم إنه يبشرهم بالجنة وحسن الثواب.

فهم وحدهم المنتفعون به دون الذين كفروا به ولم يؤمنوا .

ثم إنه تعالى وصف المـؤمنين بأنهم الذين يقيمون الطاعات جاء ذكـر العبادة البدنية منها

والعبادة المالية لبيان أنهم يؤدون حقوق الله وحقوق العباد.

ثم بين تعالى أن شرط قبول الطاعات والأعمال الحسنة هو الإيمان .

جاء التعبير عنـه بأنه اليقين بالآخرة ومـا يكون فيهـا من حساب وثـواب وعقاب، لأن من يؤمن بهـــا يكون قد آمن بـالله وكتـابه ورسوله وما جــــاء بالكتاب من وجوب الإيمـان برسله تعالى وكتبه.

ويكون قد خشى الله فعمل الطـاعات وتجنب المعاصى. فالمؤمنون الـذين هم على هذا النحو هم الذين اهتدوا بالقرآن العظيــم واستبشروا .

إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ فَهُمْ يَعْمَهُونَ ﴿٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ وَهُمْ فِى ٱلْأَخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ﴿٥﴾

التفســــــــير:

بعد أن ذكر تعالى حال الذين آمنوا بالقرآن العظيــم الذين كان القرآن هاديا لهم فى الدنيا، ومبشرا بحسن المآل فى الآخرة، فإنه تعالى ـ فى الآية ـ ذكر حال المكذبين به، وصفهم بأنهم الذين لا يؤمنون بالآخرة، لأن الإيمان بالآخرة قريـن الإيمان بالقرآن العظيم. ثم ذكر تعالى أنه الذى زين لهم أعمـالهم السيئة التى ترددوا بسببها فـى طرق الغواية، وهو ما قـد يكون بتوسيعه عليهم فـى الرزق فيكون منهـم الإنفاق علـى شهواتهم، ومـا قد يكون بـالتخلية بينهـم وبين الشيطان فتكون منهم إطاعته . ثم إنه تعالى يشير إلى هؤلاء الكافرين بالآخرة ويخبر عنهم أن لهم سوء العذاب. والظاهر من النص أن المراد به عـذاب الدنيا، والمؤكد منه هو ما يلقون من عذاب عند قبض أرواحهم، ثم إنه منه ما يشاهـد من فساد الأبناء وانقلابهم على آبائهم حتى يصل الأمر ببعضهـم إلى قتل آبائهم، وكـل ما يصيب الكافـرين من الرزايا وأنـواع البلاء فى

الدنيا. كذلك يخبر النص عنهم أنهم هم الأخسرون، والمعنى أن خسارتهم فى الآخرة تفوق خسارتهم فى الدنيا لأن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة فضلا عن كونه منقطعا وإلى نهاية، على حين أن عذاب الآخرة أشد وله الخلود، إذ لانهاية له. ثم إنهم يكونون الأخسرين أعمالا، فهم لا يثابون بعمل صالح عملوه فى الدنيا فى حين يثاب عصاة المؤمنين بأعمالهم الطيبة فى دنياهم فكان وصفه تعالى إياهم حقا أنهم فى الآخرة هم الأخسرون .

وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾

التفســـــــير:

بعد أن بين تعالى حال المؤمنين بالقرآن العظيم وحال المكذبين به، فإنه تعالى أثبت حقية القرآن بالإخبار عن واقع أن رسول الله ﷺ ـ المخاطب بالقول ـ يتلقى القرآن من جبريل عليه السلام منزلا من الله تعالى الحكيم العليم، وفى القول تعظيم للقرآن العظيم ببيان اشتماله على الحكمة والعلم؛ ولهذا يكون القول تمهيدا لما سيأتى ذكره من بعد من قصص وعظات .

إِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهْلِهِۦٓ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ ءَاتِيكُم بِشِهَابٍ قَبَسٍ لَّعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾

التفســـــــير:

مفاد قوله تعالى ـ «إذ قال موسى لأهله» هو واذكر لقومك ما ورد فى القرآن من أن موسى عليه السلام قال لأهله ـ فيكون الخطاب إلى رسول الله ﷺ أمرا بأن يتلو على قومه ما ورد فى القرآن فى شأن قصة موسى عليه السلام .

ويذكر تعالى من قصة موسى ـ فى الآية ـ مـا كان منه بعد خروجه من مدين مع أهله، لدى وصوله وادى طوى حـائدا عن الطريق فى ليلة مظلمـة باردة، قدح فيها زنده فأصلـد ولم يوقد نارا. ثم شاهد من جانب الطور نارا، فقال آنذاك لأهلـه إنه شاهد نارا، ثم طمأنهم وقد تركهم وحدهم متجها صوب النـارإلى أنه آتيهم منها بخبر أو بشهاب قبس يصطلـون به، بمعنى أنه إما أن يتمكن من التعرف على الطريق الصحيح مستعينا على هذا بالضوء المنبعث عن النار، وإما أن يأتيهم من النار بشعلة مأخوذة منها يستدفئون بها .

فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِىَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِى ٱلنَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٨﴾

أولا : الأســــماء :

١ ـ **من فـى النار**: قيل إن المـراد به ـ فى معنـى الآية ـ هو مـوسى عليه السلام، وقيـل هم الملائكة .

٢ ـ **من حولها** : بمعنى من هو حول النار، قيل إن المراد به ـ فى معنى الآية ـ هم الملائكة، وقيل هو موسى عليه السلام.

ثانيا : التفســــــير:

مفاد قولـه تعالى ـ فى الآيـة ـ أن موسى عليـه السلام غادر أهله واتجه صـوب النار، فلما وصل إليها أو وصل إلى الشجرة ـ فى قول ـ نودى مـوسى من جانب الطور بقول مفاده مباركة من فى النار ـ والمراد بهم الملائكة ـ ومن حولها، والموجود حولها هو موسى عليه السلام، ثم تمتد منه البركة إلى أرض الشام وهى البقعة المباركة .

وجاء قوله تعالى ـ فى ختام الآية ـ «وسبحان الله رب العالمين» تعجيبا له عليه السلام من

الحدث الواقع وبيانا لكونه آية من آيات رب العالمين المنزه عن كل ما لا يليق بشأنه عز وعلا.

يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾

التفسير:

مفاد قوله تعالى - في الآية - أنه تعالى نادى موسى عليه السلام باسمه، وأعلمه أن المنادِي والمكلِّم هو الله، فلفظ الجلالة - في جملة الآية - خبر، والمبتدأ «أنا» ثم إنه تعالى وصف نفسه بأنه العزيز الحكيم.

تمهيدا لما سيظهره على يدى موسى عليه السلام من معجزات يكون بها نصره على أعداء الله على ما قضت به حكمته تعالى.

وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾

أولا: الأسماء:

الجان: في قوله تعالى «تهتز كأنها جان» هو الحية الصغيرة.

ثانيا: التفسير:

قوله تعالى «وألق عصاك» هو من جملة ما نادى به رب العزة موسى عليه السلام، أمره أن يلقى عصاه على الأرض، والمستفاد من رواية ما بعد الإلقاء أن موسى عليه السلام ألقى

عصاه استجابة لأمر ربه، ثم يذكر تعالى أن العصا اهتزت متداخلة فى بعضها فى حركة سريعة تشبه حركة الحيات الصغيرة فى جريها زحفا على الأرض، كما يذكر أن موسى عليه السلام حين شاهد حركة العصا هذه أعطى العصا دبره وفر مبتعدا عنها لخوف اعتراه من منظرها. ثم يذكر تعالى أنه استدعاه ناهيا عن الخوف وعما يؤدى إليه من انهزام عن الشىء الذى ولد فى النفس الخوف. ثم إنه تعالى ذكر علة نهيه عن الخوف، أو علة تحليه بالشجاعة فأعلمه أنه اصطفى رسولا من الله تعالى وأنه بحكم صفته هذه لا يخاف إلا الله تعالى لأن الرسل لا يخافون غير الله الذى عليه يتوكلون والذى يؤيدهم بنصره .

إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوٓءٍ فَإِنِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١﴾

التفســـير:

قيل إن المراد بـ «من ظلم» هو من أذنب من غير الأنبياء، يقول تعالى إنه إذا تاب من بعد الذنب فإنه يغفر له. وقيل إنه يتعلق بالأنبياء وما قد يصدر منهم من صغائر تعتبر بالنسبة لرفعة مقامهم ذنوبا، وقيل إنهم الأنبياء والقول فيما يكون قد صدر منهم من أفعال اعتبروها ذنوبا قبل الرسالة. والذى نراه ـ والله أعلم ـ أن القول فى الأنبياء، اعتبر تعالى أن شعور أحدهم بالخوف من أحد أو من شىء غير الله تعالى ظلما لأنفسهم، ولما كان حدوث مثل هذا متوقعا وإن ندر، كما حدث من موسى عليه السلام. فإنه تعالى أشار إليه، وذكر أنه إذا ما تاب الرسول عن خوفه من غير الله ثم استبدل بهذا الخوف يقينا بالله فإنه تعالى يغفر له بموجب رحمته. فيكون القول مشيرا إلى ما وقع من موسى عليه السلام حين خاف من عصاه إذ رآها تهتز كأنها جان، طالبا منه الاستغفار عن هذا والتوبة من مثله ليغفره له الله بموجب رحمته.

وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ فِى تِسْعِ ءَايَٰتٍ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿١٢﴾

التفســـير:

مفاد القول أنه تعالى أمر موسى عليه السلام أن يدخل يده فى فتحة قميصه مدخل الرأس ثم يخرجها يشاهدها لدى خروجها بيضاء من غير مرض مثل البرص، ثم أخبره تعالى أنه يفعل هكذا أمام فرعون وقومه لتكون آية من تسع آيات تكون له من الله مع فرعون وقومه الذين وصفهم تعالى بأنهم كانوا فاسقين.

والتسع الآيات هى: الطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، والجدب، والعصا، واليد، والفلق .

فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ ءَايَٰتُنَا مُبۡصِرَةٗ قَالُواْ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ﴿١٣﴾ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسۡتَيۡقَنَتۡهَآ أَنفُسُهُمۡ ظُلۡمٗا وَعُلُوّٗاۚ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿١٤﴾

التفســـير:

المستفاد عقلا من قوله تعالى ـ فى الآيتين ـ هو أن موسى عليه السلام قد توجه إلى فرعون وقومه وأنه دعاهم إلى الإيمان بالله وتوحيده وأظهر لهم آيات الله تعالى التى كانت واضحة الدلالة على كونه رسولا مؤيدا بالمعجزات من الله تعالى ، ثم إنه كان منهم أن نعتوا الآيات بأنها من قبيل السحر الواضحة معالمه .

ثم إنه تعالى يذكر أنهم قالوا ما قالوا فى الآيات منكرين حقيقتها بألسنتهم، على حين كانت نفوسهم متيقنة من حقيقتها وأنها آيات من الله تعالى.

ويثبت تعالى أنهم بجحدهم الآيات وقولهم فيها إنها سحر كانوا ظالمين للآيات وكانوا مستكبرين فى أنفسهم أن يؤمنوا لموسى وقومه لهم مستعبدون .

■■■■

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝١٥﴾

التفسير:

قوله تعالى ـ في الآية ـ انتقال إلى قصة أخرى من قصص الأنبياء التى أمر تعالى رسوله ﷺ أن يتلوها من القرآن على قومه ليعلموا أن القرآن ينزل عليه من لدن حكيم خبير.

يذكر تعالى أنه آتى كلا من داود وسليمان عليهما السلام علما. جاء لفظ «علما» نكرة منونا لبيان قلة ما أوتى داود وسليمان من العلم مقيسا بعلمه تعالى، وعظمه بالنسبة إلى كل منهما. والمراد بالعلم هو العلم بالأحكام والشرائع، وما أوتيه داود من علم «صنعة لبوس» وما أوتيه سليمان من علم منطق الطير.

ثم إنه تعالى يذكر أن كلا منهما قد حمد الله تعالى فى قلبه وبلسانه معترفا ومصرحا بأنه فضله على كثير من عباده المؤمنين بإتيانه علما لم يؤته إياهم. وجاء التعبير فى النص عن قول النبيين بصيغة المتكلم مع الغير للإيجاز.

﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُودَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ۝١٦﴾

أولا: الأسماء:

المنطق: فى قوله تعالى «علمنا منطق الطير» المراد به فى معنى الآية هو «النطق» وهو اللفظ الذى يعبر عما فى النفس. وفيه تشبيه صوت الطير بمخارج الألفاظ التى ينطق بها الإنسان.

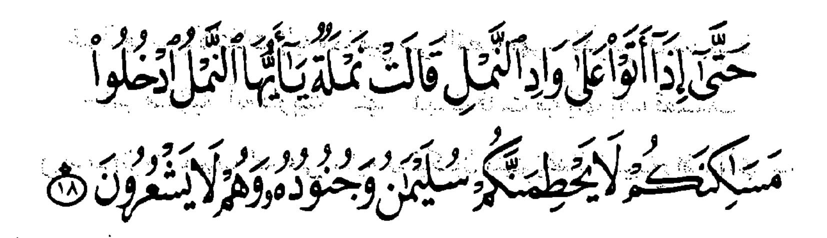
ثانيا : التفســـــير :

يذكر تعالى - في الآية - أن سليمان ورث داود، والمراد بهذا أنه ورث النبوة والملك ، فقد خلفه في النبوة وفي اعتلاء ملك مملكه يهوذا. ويذكر تعالى أنه خاطب الناس، والمراد بهم أفراد مملكته أو رؤساؤهم، فقال لهم إن الله تعالى علمه لغة الطير وأنه آتاه من كل شيء ما تكرم به تعالى عليه، يقصد بهذا كرسي الملك، فيكون قوله مشيرا إلى أنه تعالى آتاه النبوة المدعمة بالآيات العظيمة كما آتاه الملك، وقد يكون قوله مشيرا إلى تسخير الله له الجن والشياطين والإنس والريح. ثم يذكر تعالى أنه قال للناس إن هذا الذى آتاه الله إياه هو الفضل الواضح الذى تكرم به الله عليه، فيكون قوله إقرارا أمام الناس بأن ما حازه من فضل الله عليه وكرمه.

وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾

التفســـــير:

يذكر تعالى - في الآية - أنه جرى جمع جنود سليمان من أماكنهم التى كانوا فيها، والمستفاد من كون المجموعين جنودا هو أن ذلك إنما كان للحرب، وقد يكون ورود الفعل «حشر» مبنيا للمجهول دالا على أن الحاشرين كانوا من جنس المحشورين، ويقول النص إن المحشورين كانوا من الجن والإنس والطير، ويثبت أنهم كانوا يوزعون بمعنى أن أولهم كان يستبطأ ليلحق به آخرهم، والمراد بهذا هو إثبات أنه كان هناك قادة لهم يقومون على تنظيمهم أثناء السير أو أثناء التحرك إلى ميدان القتال .



أولا : الأســـماء والأعلام :

١ ـ وادى النمل : قيل هو واد بأرض الشام كثير النمل، وقيـل هو واد بأقصى اليمن من جهة الشام.

٢ ـ النملــة : فى قوله تعالـى «قالت نملة» قيل هى نملة. عرجـاء اسمها «طاخية» ، وقيل اسمها «جرمى». وهذا مما لا أصل له من نص ولا يزكيه عقل فلم يعرف أن النمل تكون لأفراده أسماء .

ثانيا : التفســـــير :

مفاد قوله تعالى ـ فى الآية ـ أن جنـود سليمان عليه السلام ظلوا سائرين حتى بلغوا وادى النمل، وعند وصولهم الوادى صاحت نملة بأخواتها محذرة طالبة منهم أن يدخلوا مساكنهم فى شقـوق الأرض، فالمقصود من أنهـا قالت هـو أنها أخبرت بلغة النمل. والذى قالتـه هو طلبها من النمل الاختباء تحت الأرض حتى لا يطأهـم سليمان وجنوده بأقدامهم فيحطموهم دون أن يلاحظوهم فيكون تحطيمهم عن غير معرفة منهم ولا إرادة .

وقد يكون الشـىء الجدير بالتنـاول فيما قيل عن القصة هـو ما تعلق بمعرفـة سليمان عليه السلام لغة النمـل مع أنه لم يـؤت سوى معرفة لغـة الطير. وإن كان غير مستبعـد أن يكون قد عرفها فى هذه المرة وحدها لحكمة لديه تعالى.

أما ما قيـل من أن النملة كانـت ذات أجنحة فكانت مـن الطير فهو قول غيـر مقبول فنحن نعلم أن أجنحة تنبت لبعض أفراد النمل فى مـوسم التزاوج دون أن تتغير طبيعة النمل إذ يظل من الحشرات ولو نبتت له أجنحـــة .

أما غير الجديـر بالالتفات إليه مما قيل فـى القصة فهو ما ذكر من أن سليمـان أمر بإحضار النملة فأحضروهـا إليه وأنه دار بينه وبينها حديـث قالت فيه إنها إنما قصـدت تحطيم إيمان النمل إذ يـرون ما أنعم بـه الله على سليمان فيكـون منهم إغفال تسبيـح الله، وأنها سألتـه عن

معنى اسمه واسم أبيه وأنها شرحت له معنى كل اسم وسبب التسمية به. فهذا فيما نرى ـ والله أعلم ـ شطحات خيال .

﴿فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٩﴾

التفسير:

يذكر تعالى ـ فى الآية ـ ما كان من سليمان عليه السلام عندما سمع قول النملة ـ إن كان قولها بالصوت ـ أو عندما فهمه ـ إن كان بتحريك قرون الاستشعار ـ وهو أنه تبسم ضاحكا، وقد يكون ذلك سرورا لما سمعه أو عرفه من النملة أنها جعلت وقوع إهلاكه النمل ـ إن حدث ـ بغير شعور منه ولا إرادة .

كما يذكر تعالى أنه سأل ربه حالذاك أن يجعله مرتبطا بشكر النعمة ملازما ذلك لا ينفك عنه، واصفا النعمة بأنها التى أنعم تعالى بها عليه وعلى والديه، وذلك لأنه استفاد مما أنعم الله به على والديه، ولأن والديه يفيدان مما أنعم به الله عليه من النعم بشكره الله كما علماه وبالدعاء لهما .

ثم يذكر تعالى أنه عليه السلام دعا ربه أن يجعله مداوما على عمل الأعمال الصالحة وأن يقبلها الله منه «وأن أعمل صالحا ترضاه»، وأنه كان خاتمة دعائه سؤاله ربه أن يدخله برحمته تعالى فى عباده الصالحين.

والقول يبين أنه حتى الأنبياء لا يطمعون فى الجنة بعملهم وإنما برحمته تعالى، ثم إن القول يظهر تواضعه عليه السلام، فهو إنما يرجو أن يكون ـ برحمة الله ـ واحدا من عباد الله الصالحين .

وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾

أولا : الأسماء :

الهدهد : هو الطائر المعروف، ومن أسمائه «أبو الأخبار»، و «أبو الربيع»، و «أبو ثمامة» وهو من طيور الحقل يأكل دود الأرض، وما أنتن من أجساد الحشرات والهوام والزواحف .

ثانيا : التفسير:

مفاد قوله تعالى ـ في الآيتين ـ أن سليمان عليه السلام قام بالتحقق من وجود جميع جنوده من الطير وهو ما يؤدى إلى معرفة الغائب منها إن كان هناك غائب ـ على ما يسمى اليوم «التتميم على الجنود» ـ وأنه تبين له عدم وجود الهدهد بين الطير. وقد يكون هذا مشيرا إلى أن جنوده من الطير كانوا واحدا من كل صنف منها، فتساءل عن سبب عدم رؤيته الهدهد، ثم سأل عن مدى صحة ما استنتجه من أنه كان غائبا ولم يكن مستترا. فلما تيقن من غيابه توعده إن كان غائبا بغير سبب بالعذاب الشديد، قيل إنه يكون بنتف ريشه، وقيل بدهانه بالقطران، أو بذبحه.

وقيل إنه ترق من الشديد إلى الأشد، ونرى ـ والله أعلم ـ أن القول يظهر أن التعذيب الشديد يكون أشد إيلاما من القتل لأن القتل وإن كان فيه إزهاق الروح إلا أن الشعور بالألم فيه لا يعدو اللحظة السابقة على زهق الروح. ثم إن سليمان عليه السلام بين أن الذى يمنع عقاب الهدهد هو أن يأتيه بحجة بينة تظهر عذره في التغيب.

وفي التعبير عن الحجة بالسلطان إشارة إلى الإخبار عن بلقيس التى كان الإتيان بها استحضارا لسلطان مبين .

﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ٢٢﴾

أولا : الأسماء والأعلام :

سبأ: اسم حي من أحياء اليمن، قيل إنه كان اسم الأب الأول للقبيلة التي سكنته ، وهو سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، ومنه تناسلت عشائر حمير، وكندة، والأزد، وأشعر، وخثعم، ولخم، وجذام، وعاملة، وغسان .

ثانيا : التفسير :

يذكر تعالى ـ في الآية ـ أنه بعد أن قال سليمان عليه السلام قوله في الهدهد، جاء الهدهد ووقف منتظرا، ولم ينتظر وقتا طويلا بعد أن أتم سليمان قوله، أو أنه وقف منتظرا في مكان غير بعيد من مكان سليمان عليه السلام، بمعنى أن «غير بعيد» قد تكون صفة للزمان، وقد تكون صفة للمكان.

ويذكر تعالى أن الهدهد بدأ حديثه بجذب سمع سليمان إليه ـ بإلهام الله تعالى ـ فقال له إن الذي أدى إلى غيابه هو قيامه بعمل لمصلحته، وأنه قد علم أمرا لم يعلمه سليمان، ثم إنه فسر قوله فذكر أنه جاء سليمان بخبر من سبأ وهي مدينة في اليمن، وأن هذا الخبر عظيم. يهم سليمان معرفته ويفيده ذلك، ووصف الخبر بالصحة وبأنه متيقن من صحته .

﴿إِنِّي وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ٢٣﴾

أولا : الأسماء والأعلام :

الامرأة: في قوله تعالى «وجدت امرأة تملكهم» المراد بها ـ في معنى الآية ـ بلقيس ملكة اليمن. قيل هي بلقيس بنت شراحيل بن مالك بن ريان من نسل يعرب بن قحطان، وقيل من نسل تبع الحميري. وقيل إن اسمها كان «ليلى»، قيل إن أمها كانت من الجن واسمها «بلقمة

بنت شيصا»، وقيل كان اسمها «فارعة»، وقيل كان اسمها ريحانة بنت السكن. وقيل فى قصة زواج أبيها بـأمها الجنية الكثيـر من القصص الخـرافية المتناقضـة. وهذا جميعه ممـا لا دليل عليه من آيات الكتـاب التى تصفها بأنها امرأة بمـا يفهم منه أنها كانت واحـدة من النساء لم تختلف عنهن .

ثانيا : التفســـــير:

القول ـ فـى الآية ـ من قـول الهدهد لسليمان عليـه السلام، يذكر أنه عاين فى سبـأ قوما ملكت أمـرهم وحكمتهم امـرأة ـ هى بلقيـس ـ وأنهـا أوتيت كل شـىء مما يحتاجـه الملوك لحكم رعيتهـم وسياسة أمـورهم، وأن لها سـريرا للملـك عظيما. قيل إنـه كان من الـذهب، وكانت قوائمه من الجواهر واللؤلؤ. وأن حجمه كان هائلا .

وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾

التفســـــير:

يذكر الهدد لسليمان عليه السلام ـ فى القول ـ مـا شاهده من ملكة سبأ ومن قومها ويبدى فيما شاهد رأيه.

فيقول إنه وجدها وقومها يعبدون الشمس من دون الله، والمعنى أنها وقومها كانوا مشركين بالله وأنهم كـانوا من عبدة الأجرام السماويـة، وأنهم خصوا الشمس بالعبادة وبـالسجود لها. أما رأى الهدهد فيما رآه منهـا ومن قومها ـ بما ألهمه الله ـ فهـو أن الشيطان زين لهم الضلال وأوله الشرك بالله، ومن بعـده العمل بالمعاصى، وأنه تمكن بتزيينه ذلك لهـم من صدهم عن طريق الحق فلم يهتدوا إليه واستمروا على ضلالهم .

﴿أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾﴾

أولا : الأســـــماء :

الخبء : هو الشيء المخبوء، والمراد به ـ في معنى الآية ـ المطر المخبوء في السحاب، والمخبـوء في بـاطن الأرض، والنبت المخبوء في الأرض وغيره مما يكـون مخبـوءا فيظهـــره الله .

ثانيا : التفســـــير:

بعد أن قـال الهدهد إن الشيطان قـد زين للقوم أعمـالهم وأنه صـدهم عن السبيل، فـإنه أضاف قوله إن الشيطـان فعل هذا لكيلا يسجدوا لله تعالـى عابدين، ثم إنه وصـف الله تعالى بأنه الذي يظهر المخبـوء في السماء ومنه المطر، وقد يكون منه أقدار العبـاد المدونة في اللوح المحفوظ، وبـأنه الـذي يظهر المخبوء فـي الأرض، ومنه المياه المختـزنة فـي أعماق الأرض والمعادن، والنبت في بذوره.

كما وصفـه تعالـى بأنـه الذي أحـاط علمه بمـا أخفى فـي الصدور ومـا أعلنته الأعمـال الظاهرة.

جاء قـول الهدهـد هذا للتـدليل علـى استحقاق الله تعـالى وحـده العبادة والاختصـاص بالسجود له .

﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٢٦﴾﴾

التفســـــير:

بعـد أن بين الهـدهد أن الشيطـان صرف الملكـة وقـومها إلـى الباطـل لكيلا يعبـدوا الله

المستحق العبادة فإنه قال «هو الله» ثم وحده بقوله «لا إله إلا هو» ووصفه بأنه رب العرش العظيم الذى هو أعظم الأجرام تحقر دونه الشمس التى يعبدها القوم. فيكون الهدهد قد أعلن توحيده الله، وأنه قام بفعل من أجل نشر عقيدة التوحيد أو إن نشرها يكون أثرا له، وهو مما يدخل فى رسالة سليمان عليه السلام؛ فيكون بهذا قد أبدى عذرا مقبولا لتغيبه.

• قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾

التفسير:

يخبر تعالى ـ فى الآيتين ـ عما كان من سليمان عليه السلام حين سمع مقالة الهدهد، أخبره أنه سيبحث أمره ليرى ما إذا كان صادقا فيما أبداه من عذر لتغيبه أم أنه كان أحد الكاذبين الذين يكذبون و يزينون كذبهم بما يوحى بصدقهم.

ثم إن سليمان عليه السلام ـ فى سبيل فحص مدى صدق الهدهد، وتوسما لنجابته ـ كلفه برسالة هى أن يحمل مكتوبا منه موجها إلى أهل سبأ، ربما يكون قد كتبه لحظة محادثته الهدهد.

وربما يكون بعدها، ثم طلب من الهدهد أن يلقيه إلى القوم ثم يتنحى عنهم ـ مما قد يكون من قبيل التأدب مع أهل السلطان ـ ثم لينتظر مستمعا بماذا يرجع بعضهم لبعض القول، بمعنى معرفة ما تدور عليه مناقشاتهم.

والقول بهذا المعنى يفيد أن سليمان عليه السلام قد علم من الله أنه ألهم الهدهد فهم لغة القوم وما يقولون، ولهذا طلب منه الاستماع إليهم للإخبار بما سمع.

قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ
بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾

التفسـير:

المستفاد من الآيات بالمنطق العقلى هو أن الهدهد قد حمل كتاب سليمان عليه السلام، وأنه ألقاه على الملكة وقومها وتنحى عن القـوم كما أمره سليمان وأنه استمع إلى ما دار بينهم من حديث فى شأن الكتاب .

والذى حدث وأخبر به الهدهد سليمان بعد ذلـك هو أن الملكة قالت لقومها أو لأشرافهم الذين يحضرون مجلسهـا إنه ألقى إليها من علٍ كتـاب كريم، وصفته بالكرم لمـا قيل من أنه كان مختوما. والقـول يدل على أن الكتاب قد دون بلغة أهل اليمن التـى تفهمها الملكة وتقرأ بها، فيكون القول مشيرا إلى أنه تعالى علمها سليمان كما علمه منطق الطير .

ثم إن الملكة أوضحت لأشراف قومها مضمون الكتـاب فبينت أن مرسله هو سليمان، وقد يكون ذلـك لختمه الكتاب باسمـه، وقد يكون بـذكره أنه مـن سليمان، كما بينت أنـه استهل بقول «بسم الله الرحمن الرحيم» .

ثم بينـت الملكة ما خـوطب به القـوم من سليمـان فى الكتاب فـذكرت أنه عليـه السلام نهاهم عن الاستعلاء عليه وعدم إطاعة أمره، والقـول ـ بهذا المعنى ـ يتضمن تحذيرا لهم من عدم إطـاعته استكبارا فـى أنفسهم، كما ذكـرت أنه عليـه السلام أمرهـم أن يأتوه خـاضعين مستسلمين بحكم كونه ملكا، وأن يأتوه مؤمنين بحكم كونه نبيا .

قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾

التفســـــير:

مفاد قوله تعالى ــ فى الآية ـ هو أن الملكة بعد أن أخبرت خاصتها مـن أشراف قومها بما تضمنه كتاب سليمان عليه السلام وما أمرهم بـه، أنها طلبت منهم إبداء الرأى والمشورة فيما يكون عليه التصـرف مع المطلوب منهم، ثم إنهـا أوضحت لهم أنها إنما طلبـت منهم الرأى والمشورة على ما جرت به عادتها معهم من عدم اتخاذ قرار من قرارات الحكم والسياسة إلا بعد المشورة وتبادل الرأى.

والقول بهـذا المعنى يفيـد استحباب المشـورة فى الأمور الهـامة قبـل اتخاذ القـرار فيها، وتفضيل ذلك على استقلال الحاكم بالقطع فى هذه الأمور بقرار فردى منـه.

﴿قَالُوا۟ نَحۡنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٖ وَأُو۟لُوا۟ بَأۡسٖ شَدِيدٖ وَٱلۡأَمۡرُ إِلَيۡكِ فَٱنظُرِي مَاذَا تَأۡمُرِينَ ٣٣﴾

التفســـــير:

يخبر النـص عما كان من أشـراف القوم حين طلبـت منهم الملكة الرأى والمشـورة، وهو أنهم بدأوا بإظهار عـدم تخوفهم مما تضمنه الكتاب مستترا من تهديد بـالحرب، فذكروا أنهم أقوياء، بمعنى أنهم أقوياء فى أجسادهم، وأقـوياء بأسلحتهم وعددهـم، كما ذكروا أنهم ذووا بأس شديد فى الحروب لشجاعتهم ولإتقانهم فنون الحرب.

ثم أردفوا قائلين إن القرار الفاصل فى المسألـة هو قرارها. والمعنى أن الحاكم يستمع إلى الرأى والمشورة، ثم يستقل هو بإصدار القرار تكون له الطـاعة؛ ولهذا فإنهـم قالوا لها «فانظرى ماذا تأمرين» بمعنى «فادرسى الأمر على ضوء ما سمعت من رأينا، ثم ليكن منك القرار الذى يكون لنا أمرا نلتزم طاعته ».

﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾﴾

التفســـــير:

مفاد قوله تعالى ـ فى الآيتين ـ هو أن الملكة أبدت قرارها فى المسألة التى طلبت فيها المشورة، بدأت بالتمهيد لقرارها بذكر أسبابه، تخلص فى أن المعروف هو أن الملوك إذا دخلوا قرية فاتحين بطريق الحرب كان منهم إتلاف عمائر القرية وتخريبها، وإذلال الأعزاء من أهلها بالقتل والسبى والاستعباد، وأكدت ذلك بقولها «وكذلك يفعلون» لبيان أن هذا ما جرت عليه عاداتهم .

وقيل إن القول هو قوله تعالى تصديقا لقولها .

ثم إن الملكة أعلنت قرارها ويتمثل فى أنها ستبعث إلى سليمان عليه السلام أو له ولقومه بهدية عظيمة ثم يكون منها النظر فى حقيقة أمره على ضوء تصرفه فى الهدية، ويبدو أنها رأت أنه إن كان من أهل الدنيا قبل الهدية وتجاوز عن عدم إيمانهم، وإن كان نبيا لم يقبلها وطلب إيمانهم .

وقد قيل فى هذه الهدية الكثير قيل إنها كانت خمسمائة غلام وخمسمائة جارية ألبسوا أفخر الثياب وتحلوا بالذهب والجواهر، وركبوا الركائب المسرجة بسروج مرصعة بالجواهر، بعثت عليهم رجالا من قومها من ذوى العقول أمرت عليهم رجلا من أشراف قومها يدعى المنذر بن عمرو بعثت معه بكتاب إلى سليمان عليه السلام ذكرت فيه الهدية وطلبت فيه منه التمييز بين الغلمان وبين الجوارى بعد أن أمرت كلا منهما بالحديث بحديث الآخر، ووضعت فى الكتاب درة صلدة وخرزة جذع معوجة الثقب، وطلبت من رسولها أن يطلب من سليمان أن يثقب فى الدرة ثقبا مستويا وأن يدخل فى الخرزة خيطا دون الاستعانة بإنس

ولا بجن، وقيل إن «الأرضة» أخذت شعرة فى فيها ونفذت فى الدرة حتى خرجت من الجانب الآخر، وأنهـا طلبت أجرا لهذا أن يصيـر رزقها فى الشجـر، وإن الدودة أخذت خيطا فـى فيها ودخلت ثقب الخرزة حتى خرجت به من الجـانب الآخر، وطلبت أجرا لها أن يكون رزقها فى الفواكه. وقيـل إنه عليه السلام ميزبين الغلمـان والجوارى من طريقة غسل كـل منهما وجهه بالماء. وهذا جميعه لايدل عليه نص الآية ولا يذكره .

﴿فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾﴾

التفسـير:

المستفاد مـن القول هـو أن الملكة نفـذت قرارها وأنهـا بعثت إلـى سليمان عليـه السلام بالهدية التى رأت أن تبعث بها إليه وأنها بعثتها مع رسول لها .

ويذكـر تعالى أنه عنـدما جاء رسـول الملكة ـ بهـداياه سليمان عليه السـلام، أن سليمان رفض قبول الهـدية على ما يبين من الاستفهـام الإنكارى الذى تضمنه قوله «أتمـدونن بمال» لأن الهديـة مال من الأمـوال، وهو عليه السلام بحكـم كونه نبيـا لاتكون طلبته جمـع المال؛ ولذلك أنكر عليهم أن يعتقدوا أنه ينصرف عن دعوتهم للإيمان مقابل المال المرسل إليه .

ثم يذكر تعالى أن سليمان عليه السلام أخبرهم بأن ما آتاه الله تعالى من النبوة ومن الملك خير مـن المال الذى لديهـم والذى تمثلت الهديـة فى جزء منـه، فلا يكون مقبولا ممـن أوتى الكثير أن يقبل بالقليل. ولا ممن أعطى السامى أن يقبل الدنىء .

ثم إن قوله لهم «بل أنتم بهديتكم تفرحـون» هو لبيان الفرق بينه عليه السلام وبينهم. فهـم ـ لأنهم أهل الدنيـا ـ يفرحون بالأموال، أما هو فـإنه لكونه نبيا لا يفرح إلا بإيمان مـن يدعوهم إلى الإيمان من الكافرين، ولذلك فإنه لايفرح بهدايا الأموال .

ٱرۡجِعۡ إِلَيۡهِمۡ فَلَنَأۡتِيَنَّهُم بِجُنُودٖ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخۡرِجَنَّهُم مِّنۡهَآ أَذِلَّةٗ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ ٣٧

التفســــير:

مفاد قوله تعالى ـ فى الآية ـ هو أن سليمان عليه السلام أمر رسول الملكة أو أمر الهدهد بالرجوع إلى الملكة وقومها مخبرا بأنه قد أقسم ـ على ما يبين من لفظ «فلنأتينهم» ـ أن يأتيهم بجنود لم يعهودهم من قبل، ليس لهم بمقاومتهم طاقة ولا قدرة، يقتحم بهم عليهم بلدهم سبأ فيخرجهم منها أذلاء من بعد عز ومنعة، معانين الصغار والهوان .

قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَيُّكُمۡ يَأۡتِينِي بِعَرۡشِهَا قَبۡلَ أَن يَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ ٣٨

التفســــير:

المستفاد من القول ـ بطريق اللزوم العقلى ـ هو أن الرسول قد عاد إلى بلقيس الملكة برسالة سليمان عليه السلام، وأن سليمان قد علم أن الملكة وأشراف قومها آتون إليه طائعين أو مؤمنين ، والمستفاد منه أيضا أنه كان لإحضار عرش الملكة قيمة لدى سليمان ومعنى؛ ولهذا فإنه طلب إحضاره ليكون دليلا على شىء حين تراه الملكة. وفى هذا قيل إن بلقيس أخفت العرش فى بيت لها فى آخر سبعة بيوت كل منها فى جوف الآخر، فأراد سليمان أن يريها قدرته بالله تعالى على استحضار العرش إليه قبل حضورها ليكون ذلك آية على نبوته فيكون منها وقومها الإيمان .

ومعنى القول هو أن سليمان عليه السلام سأل أشراف الإنس والجن فى مجلسه عمن يستطيع منهم أن يحضر إليه عرش بلقيس قبل أن تأتيه ومن معها طائعة وطائعين .

قَالَ عِفۡرِيتٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَۖ وَإِنِّي عَلَيۡهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٞ ٣٩

أولا : الأســـــماء والأعلام :

١ ـ **العفريت** : هو الداهيـة، وهو الشديد الذى اجتمع لـه ـ مع الشدة ـ الخبـث والدهاء. وقيل إن اسم هذا العفريت من الجن هو «كودن» وقيل «ذكوان» .

٢ ـ **المقام** : فى قـوله تعالى «قبـل أن تقوم من مقامـك» المراد به ــ فى معنى الآية ــ هو المجلس، أو هو مجلس الحكم، كان يمتد ـ على ما قيل ـ من الصبح إلى الظهر.

ثانيا : التفســـــير:

يذكر تعالى ـ فى الآية ـ أنه بعـد أن سأل سليمان عمن يستطيع إحضار عرش بلقيس لديه قبل أن تأتيـه وقومها طائعين ، أن عفـريتا من الجن ذا دهـاء أعلن عن قدرته علـى فعل هذا، يكون فى فترة زمنية قصيرة، فلا يجاوز الوقـت المعين لانصرافه من مجلس الحكم الذى كان ينتهى عنـد الظهر. ثم إن العفـريت أضـاف قوله الـذى يفيد أنه ذو قـوة يستطيع معهـا حمل العرش على ثقله، وأنه ذو أمانة فلا ينتقص منه شيئا .

قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَـٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾

أولا : الأســـماء والأعلام :

١ ـ **الذى عنده علم من الكتاب**: قيل إنه آصف بن برخيا بـن شمعيا بن منكيل، كان اسم أمه «باطورا» قيل إنه كان وزيرا لسليمان. وقيل هو رجل اسمه اسطوم أو اسطورس، وقيل رجل يدعى «ذا النور»، وقيل هو الخضر، وقيل رجل اسمه يمليخا، وقيل كان اسمه «هود»، وقيل هو

«ضبة بـن أد» الجد الأعلى لبنى ضبة مـن العرب، وقيل هـو جبريل عليـه السلام، وقيـل هو سليمان عليه السلام نفسه .

٢ ـ الكتاب : قيل إن المراد به هـو جميع الكتب المنزلة، وقيل هـو اللوح المحفوظ، وقيل هو اسم الله الأعظم .

ثانيا : التفســـــير:

يذكر تعـالى ـ فى نص الآية ـ أن الذى أتاه الله علم الكتاب ـ بمعنـى اللوح المحفوظ أو الاسم الأعظـم لله تعالـى ـ وهو آصـف بن بـرخيا أو غيـره ممن ذكر، أو سليمـان ذاته قـال إنه يستطيع أن يأتـى بعرش بلقيس قبل أن يفتح سليمان جفـن عينه إذا أغلقه فى طرفـة عين ـ إن كان القائل أحدا غير سليمـان ـ وقبل أن يرتد طرف العفريت من الجـن ـ إن كان سليمان هو قائل القول.

ثم إن المستفـاد من القـول هو أن قائل القـول قد أحضر عـرش بلقيس وأن العـرش استقر ساكنا عند سليمان، فيذكر النص أنه لما رأى سليمان العرش مستقرا عنده قال شاكرا ربه مقرا بفضله «هذا من فضل ربـى»، ثم ذكر ما يفيد أن تفضل ربه عليه هـو نوع من الابتلاء والاختبار يبين به مـا إذا كان يؤدى حق النعمة من الشكـر أم يكون منه التقصير فى أداء حـق النعمة من الشكر فيكون ذلك من قبيل كفران النعمة .

ثم كان من سليمان عليه السلام قوله كنبى يعلم الناس «ومن شكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن ربى غنى كـريم» بين فيه أن الذى يشكر ربه على نعمة أنعم بهـا عليه يكون قد أسقط حقا وجب عليه أداؤه بطـريق الوفاء به، فلا يعـد كافرا بالنعمة، ولهذا يكـون فعله لنفسه فضلا عن أن شكر النعمة يؤدى إلى الزيادة له فيها.

وبين أن من يكفـر بالنعمة ولا يؤدى حقها مـن الشكر لا ينقص الله شيئا، فهو تعـالى الغنى عن شكـر العالمين، هو إنـه تعالى الكـريم، يكون من كـرمه أنه لا يعجـل للكافرين بـالنعمة العقاب على كفرهم بها.

﴿قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾﴾

التفســـــير:

بعد أن شكر سليمان ربه فإنـه ـ على ما جاء فى الآية ـ خاطب خدمـه والعاملين لديه آمرا أن ينكِّـروا عـرش بلقيـس، بمعنى أن يغيـروا مـن شكلـه وهيئتـه يكـون بـالزيـادة فـى بعضـه وبالإنقاص فـى بعضه الآخر وفى تبـديل المنظر واللون، وأفصـح عن علة طلبه هـذا بقوله إن ذلك يكـون لمعرفة ما إذا كـانت ستهتدى إلى معـرفة عرشهـا، أم تكون من الذيـن لا يعلمون الحقيقة إذا ما طمست عليهم بعض مظاهرها .

﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ ۖ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ ۚ وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾﴾

التفســـــير:

مفاد قولـه تعالى ـ فـى الآية ـ أنه عنـدما جاءت بلقيس إلـى سليمان عليه السلام سـألها سليمان بذاتـه أو بواسطة بعض من أتباعـه عما إذا كان العرش المعروض عليها مثـل عرشها الذى تركته فى بلدها.

وقيـل إن سليمان لـم يسألهـا عما إذا كـان العرش هـو عرشهـا حتى لا يكـون وحيا إليهـا بالإجابة.

وقد كان هذا هو الاختبار قيل فيه إنه كـان لاختباره قوة عقلها لأن الجن رمتها عنده بالجنون

واختلال العقل خوفا من أن يتزوجها سليمان فيعقب منها ولدا بحكم سيطرته عليهم لما قيل فيها مـن أن أمها كـانت مـن الجن، فيكون ابنهـا من سليمـان قد جمـع بين قـدرات الإنس وقـدرات الجن، أو لأن البعـض رماهـا بهذا عنـد سليمان حسـدا لها، وأنـه أراد بهذا اختبـار عقلهـا .

ويذكر النص أنهـا أجابت بما يثبت رجاحـة عقلها، فلم تجزم بأن العرش عـرشها، وإنما قالت «كأنـه هو» فبينت أنها تدرك أوجه الشبـه بينه وبين عرشها، كما تـدرك أوجه الاختلاف بين أحدهما والآخر.

ثم إنها قالت ما يفيد إيمانها بنبوة سليمان عليه السلام فأثبتت أنها أوتيت العلم بنبوته من قبل أن تشاهـد معجزة نقل عرشها، فيكـون الضمير المتصل فى «قبلها» عـائدا إلى المعجزة. وأخبرت أنها كانت من قبل مشاهدة هذه المعجـزة مؤمنة. فيكون القول مشيرا إلى أنها آمنت له لما رأت من أمر الهدهد وما أخبرت به بواسطة رسلها عما كان منه عند عرض الهدية عليه. فيكون قولها دليلا آخر على رجاحة عقلها .

وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَـٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾

التفســـــير:

القول ـ فى الآية ـ قـوله تعالى، فيه تصريح بصدقها حين أعلنـت أنها آمنت لسليمان من قبل أن تأتيه، وفيـه بيان لأنها منعت عن الإعلان عـن إيمانها له قبل هذا، وذلـك لأنها كانت تعبد الشمس مثل قومهـا، فلو عبدت الله تعالى وانصرفت عن عبادة الشمـس من دونه تعالى لافتضح أمرهـا بين قومها الـذين وصفهم الله بأنهـم كانوا كافـرين، وأن كفرهم هـذا هو الذى منعها أن تعلن إيمـانها وهى بين ظهـرانيهم، فلما انصرفـت عنهم وأتت سليمان ذهبـت علة إخفائها إيمانها، فأعلنته .

■■■■■

قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾

أولا : الأســـــماء :

١ ـ **الصـــرح** : هو البناء العالى، سمى صرحا لأنـه يصرح عن نفسه ويعلن بعلوه؛ ويطلق على القصر. وقيل هو البركة، وقيل هو صحن الداروساحتها .

٢ ـ **اللجــة** : فى قوله تعالى «حسبته لجة» هى الماء الكثير .

٣ ـ **القـــوارير** : جمع، مفـرده القارورة وهـى القطعة مـن الزجـاج أو الواحـدة من الشــىء المصنوع منه .

ثانيا : التفســـــير :

يذكر تعالـى ـ فى الآية ـ أنه قيل لبلقيـس من سليمان عليه السلام أو من تـابعيه أن تدخل فناء قصر أعده لها. وكـان قد أمر الجن أن تجعل أرض فنائه أو ساحته مـن الزجاج، وأن يجروا تحت الزجـاج بركة من المـاء يسبح فيها السمك، ففعلـت الجن ما أمرهـا سليمان. وقيل إن سبب فعله هذا أن الجن ادعـوا على بلقيس ـ لينفروه منها ـ أنها ذات شعـر كثيف فى ساقيها وإن قدمها مثل حافر الحمار، وقد يكون الصحيح أنه أراد أن يطلعها على آية أخرى تدل على نبوته .

والمفهوم من القول هـو أن بلقيس دخلت صحن القصر وأنها حسبت أن بـأرضه ماء كثيرا ولهذا كـان منها أن رفعت ثيابهـا لئلا تبتل بـالماء كما يفعـل الناس عادة، فكشفت بهـذا عن

ساقيها. ولدى القائلين إن سليمان فعل هذا ليطلع على ساقيها يكون القول مفيدا معنى جواز النظر قبل الخطبة - ثـم يذكر النص أن سليمان عليه السلام أعلمها أنـه فناء مصنوع من زجاج ناعم مملس، والمعنى أنه ليس ماء يستدعى رفع ذيل الثياب .

ثم إنه تعـالى يذكر أن بلقيس أقرت آنـذاك بأنها ظلمت نفسها بعبادتهـا الشمس من دون الله، وأعلنت إيمـانها بالله تعالـى متبعة سليمان على دينـه، ذاكرة أنها قد أسلمـت وجهها لله تعالى، وصفته بأنه رب العالمين .

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾

التفســـير:

القول فـى قصة أخرى مـن قصص المكذبيـن التى أمر تعـالى رسولـه ﷺ أن يذكرهـا من القرآن العظيم على قومه، وهى قصة ثمود قوم صالح .

فيذكر تعالـى - في الآية - أنه أرسل إلـى قبيلة ثمود صالحا عليه السـلام الذى كان واحدا منهم أوجز تعالى دعوة صـالح بأنها كانت الدعوة إلى عبـادة الله تعـالى، والمعنى أنه دعـا إلى الإيمان بـالله وتوحيده وعدم الشــرك به، ثم ذكر تعـالى أنه ترتـب على دعـــوة صالح قومــه للإيمان أن أصبحـوا فريقين مختصمين فى شأن العقيدة، أحدهمـا مؤمن بالله والآخر كافر به.

ويتصور أن يكون المـراد بالمؤمنين هم صـالح والذين آمنوا لـه، كما يبين من قولـه تعالى «قال الملأ الذين استكبروا للذين استضعفوا لمن آمن منهم»، ويتصور أن يكون أحد الفريقين هو صالح عليه السلام - وهو المؤمن - وأن يكون الفريق الآخر هو قومه الكافرون .

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ ۖ لَوْلَا تَسْتَغْفِرُونَ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٦﴾﴾

أولا : الأســــماء :

١ ـ السـيئة : المراد بها ـ فى معنى الآية ـ العقوبة الدنيوية التى تسوء القوم .

٢ ـ الحسـنة : المراد بها ـ فى معنى الآية ـ هو التوبة التى كان القوم يؤخرونها .

ثانيا : التفســـير :

يذكر تعالى ـ فـى الآية ـ ما قال صالح لقومه حين رأى منهم عـدم استجابتهم لما دعاهم إليه من إيمان بالله وأضافوا إلى ذلك طلبهم منه أن يـأتيهم بما توعدهم به من العذاب، فيقول تعالى إنه عليه السـلام أنكر عليهم استعجال نزول العقاب الدنيوى بهـم وعدم مبادرتهم إلى التوبة إلى الله من الكفر وإعلان إيمانهم.

ثم يذكـر تعالى أنه استحثهـم على التوبة بطلبـه منهم المبادرة إلى استغفـار الله عما كان منهم من الكفر ليكون الأمـل فى قبول التوبة لأنه إذا تأخر الاستغفار وتأخـرت التوبة إلى حين وقوع العذاب لم تكن مقبولة .

﴿قَالُوا ٱطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ ۚ قَالَ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ ۖ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ ﴿٤٧﴾﴾

التفســـير :

يذكر تعالى ـ فـى الآية ـ قول القوم لصالح عليه السلام عندمـا طلب منهم التوبة إلى الله

واستغفاره تعالى مما كان منهم من الكفر، فيذكر تعالى أنهم قالوا له إنهم تطيروا به وبمن آمن معه، بمعنى أنهم تشاءموا منه ومنهم وأنهم سبب لما يصيبهم من البلاء .

ثم يذكر تعالى أن صالحا عليه السلام قال لهم إن طائرهم عند الله، والمعنى أن سبب شؤمهم أو ما يصيبهم من بلاء هو ما قدره الله عليهم من الكفر والعصيان أو ما علمه تعالى وهو ما فى قلوبهم وما عملوا .

ثم إنه عليه السلام أخبرهم بأنهم مختبرون بالسراء والضراء، مفتونون بما يوسوس به الشيطان إليهم من التطير والتشاؤم. والمعنى أنهم ليسوا على صواب فى التطير والتشاؤم .

وَكَانَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ
تِسۡعَةُ رَهۡطٖ يُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا يُصۡلِحُونَ ﴿٤٨﴾ قَالُواْ تَقَاسَمُواْ
بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهۡلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدۡنَا مَهۡلِكَ أَهۡلِهِۦ وَإِنَّا
لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾

أولا : الأسـماء :

الرهـط : فى قوله تعالى «تسعة رهط» اسم جمع يطلق على الجماعة دون العشرة، والمراد به ـ فى معنى الآية ـ هو أشخاص أو أنفس .

ثانيا : التفسـير:

يقول تعالى ــ فى الآية ــ إنه كان فى «الحجر» مدينة ثمود تسعة أشخاص فى شكل عصابة، كان عملهم هو الإفساد فى الأرض وعدم الإصلاح، بمعنى أنهم كانوا مثل عصابات المجرمين الأشقياء الذين احترفوا ارتكاب جرائم قطع الطريق والقتل والنهب .

يذكر تعالى أن هؤلاء التسعة الأشخاص تشاوروا فى شأن التحالف على قتل صالح عليه

السلام غدرا أثناء غفلته عن حماية نفسه وقت مبيته ليلا، وعلى أن يكون منهم مع ولى دمه إذا ما طلب القصاص به أنهم لايعرفون شيئا عن مكان وقوع هلاكه أو عن زمان وقوعه، والمعنى يتضمن ـ من باب أولى ـ إنكار أنهم قاتلوه، كما تحالفوا على أن يذكروا لولى دمه أنهم صادقون فيما أنكروه من معرفة شيء عن مهلكه، ليدخلوا عليه كذبهم .

وَمَكَرُوا مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾

التفســـير:

يصف تعالى تآمر التسعة المفسدين في الأرض على قتل صالح عليه السلام بأنه كان مكرا منهم بصالح، ثم يذكر تعالى أنه قدر هلاكهم ، فكان هذا منه تعالى مكرا بهم، فلم يشعروا بما أعد لهم من العذاب .

ثم إنه تعالى بين عاقبة الأمر بطلبه من رسوله صلى الله عليه وسلم ومن كل من يشاهد آثار المهلكين بالنظر فى عاقبة أمر مكر الماكرين السيء بصالح عليه السلام، يفسره تعالى بأنه كان تدمير المتآمرين المتقاسمين وتدمير قومهم أجمعين الذين كفروا بصالح وأعلنوا تشاؤمهم منه .

فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا ۗ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾

التفســـير:

بعد أن أمر تعالى بالنظر في آثار قوم صالح لمعاينة كيفية الانتقام منهم، فإنه تعالى أشار إلى بيوتهم التى كانت فى المدينة واصفا حالها فذكر أنها خالية من الأشخاص ، وأنها

متهدمة متساقطة من أثر تدميرها بعقابه تعالى أهلها وساكنيها. ثم ذكر تعالى أن فى معاينة حال هذه البيوت مع معرفة سبب ما لحق بها آية يعتبر بها الذين لهم عقول تعى وتعلم فتتخذ مما علمت عبرة وعظة.

وَأَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾

التفســـير:

بعد أن ذكر تعالى أنه أهلك الذين كذبوا صالحا جميعهم، فإنه تعالى أثبت فى الآية أنه أنجى صالحا والذين آمنوا له وكانوا يتقون إغضابه تعالى بارتكاب المعاصى، قيل فيهم إنهم كانوا أربعة آلاف خرج بهم صالح إلى حضرموت، ثم مات صالح عند دخولها فسميت بهذا الاسم.

وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿٥٤﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿٥٥﴾

التفســـير:

قوله تعالى - فى الآيتين - انتقال إلى قصة أخرى من قصص المكذبين الرسل الذين أمر تعالى رسوله ﷺ أن يذكرها كما وردت فى القرآن لقومه وأن يتلوها فى القرآن العظيم عليهم.

جاء لفظ (ولوطا) معطوفا على قوله تعالى «ولقد أرسلنا إلى ثمود أخاهم صالحا» فجاء منصوبا. ومفاد قوله تعالى هو أن لوطا عليه السلام عاب على قومه أنهم يأتون الفاحشة المتناهية فى القبح - وهى إتيان الذكور - يأتونها وهم على بصيرة من أمرها وأنها أمر مستقبح منكر.

كذلـك بين تعالـى أنه عليه السـلام أفصح عن مـاهية الفـاحشة التى يـأتونها فـى صيغة استفهام إنكـارى، فبين أنها إتيـان الرجال لإشبـاع شهوة الجنس لـديهم، متجاوزيـن النساء اللاتى هن محل الشهوة الطبيعى للرجال، ثم إنـه عليه السلام وصفهم بأنهم قوم يفعلون فعل الجاهلين قبح الفعل وسوء عاقبته .

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوٓاْ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ٥٦﴾

التفســـــير:

يذكر تعالى ـــ فى الآية ـ أن جواب قوم لوط عليه هو اقتراح بعضهـم عن بعض أن يتم نفى لوط وأهله إلا امرأته ومن آمـن معه من القرية ـ وهى سدوم ـ ثم إن القـوم ذكروا علة عقابه عليه السلام ومـن آمن له وهـى أنهم أناس يـدعون الطهارة ويعتبـرونهم بفعلهم المستهجـن قذرا ونجاسة يجب تجنبه .

﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَٰهَا مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ٥٧ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ٥٨﴾

التفســـــير:

مفاد قولـه تعالى ـ فى الآيتيـن ـ أنه أنجى لوطا عليـه السلام مما حاق بقومـه من العذاب المهلك وأنجـى معه أهله فيمـا عدا امرأتـه قدر تعالى أن تكـون من الباقيـن الذين نـزل بهم العذاب.

ثـم أثبت تعـالى أنـه أنزل علـى القوم فيمـا عدا النـاجين بـأمره تعـالى مطـرا غير المطـر المعروف، ثم ذمه تعالى بقوله «فساء مطر المنذرين» بمعنى أن بئس المطر مطر المنذرين .

قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾

التفســـــير:

بعد أن ذكر تعالى لرسوله ﷺ ما ذكر من قصـص الأنبياء السابقين مع الذين كذبوا بهم من المشركين وفعلـه تعالى فى المشركيـن أهلكهم بكفرهم وبتكذيبهـم الرسل، فإنه تعـالى أمر رسوله ﷺ أن يحمـد الله بقلبه ولسانه، وقد يكـون هذا لأنه تعالـى أعلى شأنه فرفـع به عذاب الاستئصال عن قـومه . كذلك فإنـه تعالى أمر رسـوله ﷺ أن يسلم على جميع الأنبيـاء الذين سبقوه، فهـم عباد الله الذيـن اصطفى. ثـم جاء قولـه تعالى ــ فى ختـام الآية ـ «آلله خيـر أما يشركون» بعد بيان مـا ذكر من مناحى قدرته تعالى وعجز معبـودات المشركين، ليكون تسفيها لآرائهم التى زينت لهم عبادة ما لا خير فيه، وتركوا عبادة من هو خير وأبقى وأجل وأكرم .

أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾

التفســـــير:

قوله تعالى ـ فـى الآية ـ فى بيان نعم أنعم بها على الإنسان ، فيها دليـل قدرته بما يوجب

على الناس تـوحيده وخصه وحده بـالعبادة. بدأ قولـه تعالى ـ فـى الآية ـ باستفهـام تقريرى، بمعنى أن المشركين لا يملكون إزاءه إلا الإقرار بأنه ليـس من فاعل للمستفهم عنه إلا الله. فهو تعالى يسـأل عمن خلق السماوات والأرض، لا يملك المشـركون إلا أن يقولوا إنـه الله. ثم إنه تعالـى خاطب المشركيـن فسألهم عمن أنـزل من السحاب الذى يعلـوهم ماء ـ هـو المطر ـ فكان مـن مظاهـر قدرتـه تعالى أنـه أخرج بهـذا الماء من الأرض نبـاتا تكـونت منـه حدائق وبساتيـن تبعث البهجة فـى النفوس لجمال منظـرها. ثم إنه تعـالى ذكرهـم بأنهم ليـس فى قدرتهم بـذواتهم أن ينبتوا أشجار هـذه الحدائق، فهو تعالـى الذى هيأ البذرة لـلإنبات، وهيأ الأرض ليكون منها الغـذاء وجعل فى الماء للنبت الحياة، ولـولا ما قضى به تعالى فـى هذا ما كان لأرض أن تخرج نباتا، ولا لشجر أن يثمر ثمارا.

ثم كان منه تعالى بعـد هذا تبكيت المشركين على شركهم بسؤاله إيـاهم «أيكون بعد هذا مـع الله إله آخـر يستحق أن يعبـد» ولأنهـم لا يستحقون بعـد هـذا التبكيت أن يخـاطبوا بمـا يخاطب به أصحـاب العقول، فإنه تعالى التفت عـن خطابهم وخاطب فى شـأنهم المؤمنين فقال «بل هـم قوم يعدلون»، بمعنى أنهـم قوم يعدلون عـن الحق الواضح إلى البـاطل الذى يردى.

أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾

التفســـــير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ فى ذكر مظاهر أخرى لقدرته فى الخلق يستدل بها على وحدانيته، مما يكون معه إشراك المشـركين فى عبادته أحدا دليلا على غباء عقـولهم. وقد جاءت عبارة الآية فى صيغة استفهام تقـريرى، بمعنى أنه يفيد إقرار المشركين بالمستفـاد من الإجابة على المستفهم عنه.

فالاستفهام هـو عمن جعل الأرض على حال يكـون معها استقرار الكائنـات والمخلوقات عليها، فتكون الأرض مستقرها، وعمن أجرى فى الفرجـات ـ بين حدين ـ مياه الأنهار، وجعل لاستواء الأرض وعدم ميدهـا بما عليها جبالا تكفل لها الثبات وعـدم الميد فتكون لها رواسٍ، وعمن جعل بين مياه الأنهـار العذبة ومياه البحار المالحة فاصلا حاجـزا يمنع أحدهما من أن يمتزج فى الآخر ـ.

وقد سبق أن بينا العلاقة بين استقرار الأرض خلال دورانها حول محورها وبين وجود أجزاء مستوية بها، ووجود الأنهار فيها، ووجود الجبال عليهـا من الناحية العلمية، وكذا كيفية إجرائه تعالى وجود الحاجزين بين مياه النهر ومياه البحر، وفى كل منهما ما يقنع أعتى العقول الكافرة ـ إن غفلت ـ بأن الفاعل هو الله غير المحدود القدرة، والذى ليس له شريك فى الملك.

وقد جاء الاستفهام ـ فـى ختام الآية ـ «أإله مع الله» ليكون الإقرار من المشـركين بأنه ليس إله إلا الله تعالى. أعقبـه ذكره تعالى أنهم ـ بـالتعبير عنهم بالكثرة ـ لا يعلمـون، والمعنى هو أن المشركين بدوا مثل مـن لا يعلم أن للمصنوع المتقن صانعا مبدعا، وأنهـم لا يعلمون جسامة إفكهم بالقول بالشريك مع وجود الدليل على الوحدانية .

﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾

أولا : الأســـماء :

المضطـر: هو من تعـرض لحالة أو ظرف أثر على إرادتـه فاضطر إلى فعل شـىء لم يكن يفعله فيما لو كان حر الإرادة. والمراد به ـ فى معنـى الآية ـ هو من تعرض لشدة فالتجأ إلى الله تعالى ضارعا أن يرفعها عنه .

ثانيا : التفســـــير:

قوله تعـالى ـ فى الآية ـ مـن قبيل إلزام المشركين بالإقـرار بوحدانيته تعالى ــ فالاستفهام عمن يجيب من ألجأته شـدة إلى التضرع إلى الله بالدعاء إلى ما دعا بـه، ويرفع عنه الشدة أو البلاء، لاتكون الإجابة عليـه إلا بأنه الله تعالى. وكذا فإن الاستفهام عمـن يجعل الناس خلفاء الأرض، يخلف بعضهم بعضا فى حيازة ما عليها، لاتكون إجابته إلا بأنه الله تعالى.

ولهذا فإنـه تعالى سأل المشركيـن ـ فى ختام الآية ــ «أإله مع الله» لتكون الإجابـة بالنفى إقرارا منهم بـوحدانيته تعالـى. ثم كان تعقيبه تعـالى على إجابتهـم المتوقعة بقولـه «قليلا ما تذكرون»، ليثبت تعالـى أنهم فى أحيان قليلة يدركون حقيقة وحـدانيته ويودون أن يعلنوا هذا إلا أنهم يعودون إلى حالهم من الشرك ليكون الغالب مـن أمرهم هو إنكارهم وحدانيته تعالى، وإشراكهم بالله .

أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾

التفســـــير:

قوله تعالـى ـ فى الآية ـ فى دليل آخر علـى وحدانيته ، يلزم المشركين بالإقـرار به بالسؤال عمن يهـدى الناس فى ظلمـة الليل إذا ماسـاروا فى الأرض أو أبحـروا فى البحر، يكـون ذلك بـالاسترشـاد بالنجـوم، أو بما هيـأ لهم مـن قوانيـن تتعلق بـالمجال المغنـاطيسى لـلأرض، وتعليمهم الاستفـادة من الإبـرة المغناطيسيـة فى التعـرف على اتجـاه الشمال المغنـاطيسى ومعرفة الفـرق بينه وبين الشمال الحقيقى فيكـون بهذا الاهتداء إلى الاتجـاه الصحيح. وكذا بالسؤال عمن يخلق الأسباب التى تجعل السحاب يسيـر من جهة إلى أخرى ليكون سببا فى نزول المطر رحمة منه بأهل المناطق المحتاجة إليه .

ثم إنه لما كانت الإجابة المتوقعة على هذه الأسئلة هى بأنه الله تعالى، فإنه تعالى سأل المشركين عما إذا كان ممكنا أن يقال إنه مع الله تعالى إله آخر، لتكون الإجابة بالنفى إقرارا منهم بوحدانيته تعالى؛ ولهذا كان قوله تعالى «تعالى الله عما يشركون» تنزيها منه تعالى لذاته عن أن يكون له شريك فى الملك، وتنزيها له مما يقولون .

أَمَّن يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٤﴾

التفســـير:

القول فى إقامة دليل آخر على وحدانيته تعالى وفى إلزام المشركين الإقرار به، جاء الاستفهام عمن يبدأ الخلق، بمعنى بوجده من العدم، ومن يعيده بعد إفنائه، وهو ما يكون بالبعث فى الآخرة ومع توجيه السؤال إلى المشركين ومنهم من لا يؤمن بالبعث، فإنه يكون المستفاد من السؤال عمن يبعث الخلق فى الآخرة، هو أن الأدلة قد قامت عليه أنه الله مما لا يعتد معه بقول منكر. ثم جاء الاستفهام عمن يرزق الناس عن طريق أسباب جعل بعضها تنزل من جهة العلو وجعل بعضها يصدر من الأرض. ثم إنه لما كانت الإجابة على السؤالين ـ على ما يقتضيه العقل ـ هى بأنه تعالى، جاء سؤاله تعالى «أإله مع الله» لتكون الإجابة بالنفى إقرارا بوحدانيته تعالى .

ومع وضوح أدلة التوحيد وانعدام الدليل على وجود شريك له تعالى فى الملك، فإنه تعالى أمر رسوله ﷺ أن يطلب من المشركين ـ على سبيل التعجيز ـ أن يأتوا بدليل على أنه له تعالى شريك فى الملك، أو على أن أحدا غيره يملك من أمر الخلق شيئا، وأن يستحثهم على هذا بقوله لهم «إن كنتم صادقين». ولما كان المتوقع أنهم لا يأتون بمثل هذا الدليل، فيكون القول فضحا لكذبهم وتبكيتا لهم لعبادتهم ما لا برهان عليه .

﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾﴾

أولا : الأســـــماء :

أيـــان : اسم استفهام عن الزمان، بمعنى «أى آن» أو «أى زمان» .

التفســـير:

بعد أن أثبت تعالى للكافرين والمشركين بالدليل العقلى وجوده ووحدانيته، جاء بعد ذلك ذكر اختصاصه تعالى وحده بعلم الغيب، وذلك تمهيدا للحديث فى أمر البعث والحساب، وهما من الغيب الذى لا يعلمه إلا الله .

وفى النص أمر تعالى رسوله ﷺ أن يقول للناس كافة إنه ليس من يعلم الغيب إلاه تعالى، والمعنى أنه تعالى حجب علم الغيب عن جميع خلقه فى السماوات والأرض، ومن الغيب ما تعلق بالساعة وموعدها، وكان أمرها هو ما سأل عنه الكافرون. ثم إنه تعالى خاطب رسوله ﷺ معلما أن جميع خلقه لا يعرفون متى يبعثون، أو فى أى وقت يبعثون من بعد الموت. فيكون القول تأكيدا لما سبق ذكره من أن أحدا من خلقه تعالى لا يعرف الغيب .

﴿بَلِ ادَّارَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ ۚ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا ۖ بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾﴾

أولا : الأســـــماء :

العمون : فى قوله تعالى «بل هم منها عمون» جمع، مفرده «عمو» وهو من عميت بصيرته فلم يفهم الحق .

ثانيا: التفســـــير:

قوله تعالى - في الآية - في الكافريـن الذين أنكروا البعث والحساب. يذكر تعالى أنه كان لهم في بدايـة الأمر علم بها ثم إنه تتابع حـالهم من العلم وتدارك بالنزول والهبـوط - على ما يبين مـن الفعل «ادارك» إلى أن انعـدم هذا العلم، ثـم صار أمـرهم إلى مـا هو أسوأ مـن هذا وأفحش، وهـو أنهم شكوا في الآخـرة والبعث والحساب وارتابـوا، ثم زاد أمر جهلهم فكـانوا عميان البصيرة لم يتبينوا الحق وصاروا على الضلال .

وتفسير هذا هو أن منكري البعث كان في نفوسهـم بالفطرة إيمان بالبعث، كما أنهم ادركوا هذا بعقولهم من آياته تعالى في الخلق، ثم تضاءل هذا الإيمان بالتدريج مع اختيارهم الكفر إلى أن وصل إلى أدنى مراتبه، ثم كان منهم الارتيـاب في أمر البعث، تلاه إنكارهم إياه نتيجة العمى الذي أصاب قلوبهم فلم تعرف الحق .

وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخۡرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدۡ وُعِدۡنَا هَٰذَا نَحۡنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبۡلُ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾

التفســـــير:

جاء قـوله تعالى -- في الآيتين - إثبـاتا لصدق قـوله تعالى فـي منكري البعث من أنـه قد عميت بصائرهم فلم يعرفـوا الحق ولم يؤمنوا بالغيب. فيذكر تعالـى أنهم أنكروا أن يكون لهم خروج من القبور بعد فناء أجسامهم بالموت وصيرورتها ترابا، ثم أضافوا إلى إنكارهم حدوث ذلك معهـم إنكارهم أن يحـدث مع آبـائهم الذيـن ماتوا مـن قبلهم. جـاء إنكارهم هـذا في صيغـــة استفهام إنكاري منهم «أئذا كنا ترابـا وآباؤنا أئنا لمخرجون». وفي القول وصفهم الله بأنهم الـذين كفروا فبين تعـالى أن من ينكر البعـث يكون كافرا ولـو كان قد أعلن إيمـانه بالله تعالى.

ثم إنه تعالى يذكـر أن الكافرين لم يكتفوا بإنكارهم البعث، بـل زادوا عليه سخريتهم من القول به بقـولهم إن مثله قد قيل لهم ولآبـائهم من قبل أن يقوله لهـم ﷺ. والمعنى المستفاد هو أنه كانـت فيهم بقية من دين إبراهيـم عليه الصلاة والسلام مما أبلغهم بـه إسماعيل عليه السلام، إلا أنهم أنكروها. ثم إنهم زادوا على هذا قـولهم فى الآيات التى أخبرت بالبعث إنها محض أسـاطير وأقاصيص ممـا دونه الأقدمـون، والمعنى هو إنكـارهم القرآن بما يتحقـق به كفرهم .

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾﴾

التفســـير:

لما كان تكـذيب الكافرين بـالبعث هو تكذيـب لرسول الله ﷺ وتكذيب بـالقرآن العظيم وإنكار له كتابـا من الله، وكان تعالى قد أهلك مـن قبل الأمم التى كذبت رسلها، فـإنه تعالى أمر رسولـه ﷺ أن يطلب من الكافـرين السير فى الأرض واستخبارهـا نبأ الذين كـذبوا رسلهم وكيف كانت عـاقبة أمرهم هلاكا وعذابـا، وصفهم تعالى بأنهم المجرمـون لبيان أن تكذيبهم الرسل لايدانيه فى مجال الإجرام ذنب ولا إثم .

﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُن فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾

التفســـير:

الخطاب ــ فى الآيـة ـ إلـى رسول الله صلـى الله عليه وسلـم. نهاه ربـه عن الحـزن على الكافـرين الذين لـم يؤمنوا لـه وكذبوه ، كما نهـاه عن أن يكون فـى صدره ﷺ من مكرهــم به وبدين الله حـرج. فيكون القول طمأنة لـه صلى الله عليه وسلم أنه تعـالى كافيه أمر الكـافرين ومكرهم به، ووعدا له بنصر دينه و إذهاب كيدهم .

وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٧١﴾ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧٢﴾

التفســــير:

يذكر تعالـى ـ فى الآية الأولى ـ ما يفيـد استعجال الكافرين وقوع العـذاب الدنيوى بهـم، وهو العذاب الملمح إليه بطلب السير فى الأرض لمعرفـة عاقبة أمر المكذبين من قبلهم. وفى القول يبين تعـالى أن الكافريـن استحثوا المؤمنين علـى أن يطلبوا من الله إنزال هـذا العذاب بهم طمعا أن يثبتوا كذبهم فيما توعدوهم به على ما يبين من قولهم «إن كنتم صادقين» .

ثم إنه تعالى ـ فـى الآية الثانية ـ يأمر رسوله ﷺ أن يقول للكـافرين إنهم لا يدرون أن شيئا من العذاب الـذى توعدوا به قـد لحق بهم بالفعل، وهـو عذاب يوم بدر، وعـذاب القبر. فكل منهما يكون قبل عذاب الآخرة فيكون عذابا معجلا.

وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾

التفســــير:

يرتبط قـوله تعالى ــ فى الآية ـ باستعجـال الكافرين وقـوع العذاب الدنيوى بهـم. فيذكر تعالى أنـه صاحب فضل كبيـر على الناس مؤمنهـم وكافرهم، ومنـه تأخيره عقاب الكـافرين إمهالا لهـم لما قد يكون منهـم من توبة و إيمـان تكون لهم بها مغفـرة الذنوب والدخـول فى الرحمة، كما ذكر تعـالى أن أغلب الناس ـ والمراد بهم الذين يبقون علـى الكفر ـ لا يعرفون أن إرجاء تعذيبهم نعمـة من الله وفضل، على حين يدرك ذلـك الذين يثوبون عن الكفـر و يؤمنون بالله فيؤدون حق النعمة من الشكر.

﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ۝٧٤ وَمَا مِنْ غَآئِبَةٍ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۝٧٥﴾

التفســـير:

الخطاب - في الآيتين - إلى رسول الله ﷺ، والقول متعلق بالغيب الذى لا يعلمه إلا الله، وفى الكافرين الذين يعادون الله ورسوله. يقول تعالى لرسوله ﷺ إنه - بحكم علمه الغيب - يعلم ما انطوت عليه صدورهم من عداوة لله وله ﷺ، وبحكم علمه بكل شىء فإنه يعلم أفعالهم ومكائدهم. والمعنى أنه تعالى كاف رسوله ﷺ أذاهم.

ثم إنه تعالى أكد لرسوله ﷺ أنه العليم بكل ما خفى مما هو كائن وما يكون فى المستقبل، فليس من شىء غائب مع موجوده، أو غائب لأنه لم يقع بعد ولم يوجد، إلا وقد ثبت فى علمه تعالى الأزلى، وتم تدوينه فى اللوح المحفوظ الذى يوضح أمر كل شىء قدر له أن يكون.

﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۝٧٦﴾

التفســـير:

بعد أن ذكر تعالى أن القرآن العظيم تضمن من الأدلة على أنه منزل من الله تعالى ما يوجب على الكافرين الإيمان به، فإنه تعالى ذكر بنص الآية أنه تضمن ما يقتضى من بنى إسرائيل ومن النصارى الذين يعتبرون التوراة والعهد القديم كتابا لهم أن يؤمنوا به .

فذكر تعالى أنه تضمن أكثر الذى هم فيه يختلفون. ومن هذا اختلافهم فى شأن حد الزنى الذى ذكر القرآن العظيم حكمه. ومنه اختلافهم فى شأن الرسول الذى يأتى للتبشير بمجىء

المسيح عليه السلام أيكون إيلياء أم يكون يحيى بن زكريا عليهما السلام، وفيه الاختلاف حول المسيح الموعود به يأتى أيكون ملكا أم يكون نبيا. كل هذا قطع فيه القرآن العظيم بالصحيح. كذلك فإن القرآن ذكر الحق فيما اختلف فيه اليهود مع النصارى فى شأن المسيح عيسى عليه السلام، أيكون هو المبشر به فى التوراة أم لا.

وفى شأن تحريم أكل الخنزير، وفى شأن إباحة الطلاق، هذه أمور قطع فيها القرآن العظيم بالصحيح.

كما أنه فصل فيما اختلف فيه النصارى فيما يتعلق بمن شاهد واقعة الصلب فأثبت الصحيح وهو أن المصلوب كان شخصا آخر غير المسيح عليه السلام، كما فصل فى شأن طبيعة المسيح وطبيعة أمه التى اختلف فيها النصارى، فأثبت القرآن العظيم الطبيعة البشرية لهما. كل هذا كان مفاده وجوب إيمان أهل الكتاب بالقرآن العظيم .

﴿وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝٧٧﴾

التفســـــير:

بعد أن بين تعالى أن القرآن العظيم يفصل بالحق فيما اختلف فيه بنو إسرائيل وما اختلفوا فيه مع النصارى، وما اختلف فيه النصارى بعضهم والبعض. جاء قوله تعالى مبينا أنه للمؤمنين به ولرسول الله ﷺ هدى ورحمة ، فهو السبيل إلى الجنة التى طريقها الإسلام والعمل الصالح وبه يغفر للمؤمنين ذنوبهم ويدخلهم الله فى رحمته، يكون منهم الذين آمنوا من أهل الكتاب ويكون منهم من آمن من غيرهم، ومن ولد من مؤمنين فاستمر على الإيمــان .

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ۝٧٨﴾

التفســــير:

بعد أن ذكر تعالى أن القرآن العظيم يقص على بنى إسرائيل أكثر الذى اختلفوا فيه، بمعنى أنه أظهر لهم وجه الحـق فيما اختلفوا فيه بين بعضهم والبعض، ومفاده أن مـا جاء فى القرآن العظيم فى كـل أمر هو الصحيح، بما يعنى أن الفصـل بين بنى إسرائيل والنصـارى يكون بما جاء فى القرآن العظيم، وأن الفصل بين طوائف النصـارى يكون بما جاء به القرآن العظيم من الحق. فـإنه تعالى صـرح بأنه يقضى بيـن المختلفين بحكمه تعالـى. وحكمه هو ما جـاء به القرآن العظيم .

وقوله تعالى «وهو العزيز العليم» مفاده أنه تعالى بحكمه فى الأمر يوم الدين يكون قد أظهر أحقية مـا ورد فى القرآن ونصر كتـابه ودينه بحكـم أنه العزيـز، وأظهر أن ما تضمنه القـرآن هو الحق الذى ورد بعلمه تعالى الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ ﴿٧٩﴾ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ
ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَـٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَـٰلَتِهِمْ ۖ
إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾

التفســــير:

الخطاب ــ فى الآيات ـ إلـى رسول الله ﷺ. يأمره تعـالى بالتـوكل عليه وإسناد أمـره إليه تعالى فيما تعلق بأمـور الدعوة وما يترتب عليها، ثم إنه تعالى حثـه على الاستمرار على ما هو عليه من الدعوة إلى دين الله ببيان أنه ﷺ على الحق الواضح الظاهر.

ثم إنه لما كان ﷺ يسيئه أن يـرى الكافرين لا يؤمنون لما يدعوهم إليه، فـإنه تعالى بين له ﷺ أنه غير مكلف بهدايـة من كان مثل الموتى لا يسمع ما يقال فتكون منـه الإجابة والطاعة.

شبه تعالى المصرين على الكفر بالموتى العـاجزين عن السمع وعن الطاعة، ولبيان أن الدين الحق حيـاة للنفوس حرم منها الكـافرون. كما بيـن له تعالـى أنه غير مقدور لـه ﷺ أن يسمع الصم دعوته إلى الإيمان، فإذا كان من الصم فوق آفتهم أنهم إذا ما رأوه يدعوهم إلى الإيمان ولوا عنه فـارين من أمامه، فـإنه يكون محالا أن يسمعهـم شيئا مما أراد أن يدعوهـم إليه، فلا يكون مسئـولا عن عدم إيمانهـم له. والقول يشبه المصـرين على الكفر بـالصم الذين يـولون مدبرين عند دعوتهم للإيمان .

كذلك فإنه تعالى أوضح لرسوله ﷺ أنـه لا يتحقق له أن يهدى العمى السائرين فى طريق الضلال إلـى الطريق المستقيـم لفقدانهم الحـاسة التى يـدركون بها هـذا الطريق ويفـرقون بواسطتها بينه وبين طريق الضلال. فيكون القـول متضمنا تشبيه المصرين على الكفر بالعمى الذيـن لا يهتدون، ويكون مثبتا عـدم مسئولية رسول الله ﷺ علـى إصرارهم على الكفـر وعدم إيمانهم .

وقوله تعالى ـ فى ختام الآية ـ «إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون» يفيد أنه ﷺ لن يهدى إلى الحق إلا من هيىء لأن يكون مؤمنا به فلم يكن ممن ماثلوا الموتى والصم والعمى، يكون من شأنه أن يسمع الآيات فيعيها ويتدبـرها ويقبلها قلبه فينقاد إلى الحق ويسلم وجهه لله تعالى حنيفا مسلما .

﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨٢﴾﴾

أولا : الأســـماء :

الدابــة : فى قوله تعالـى «أخرجنا لهم دابة من الأرض» هى الدابة المعتبـر خروجها علامة من علامات يـوم القيامة، وقيل إنها تكون من الإنـس ـ وهذا قول مرجوح ــ وقالت الشيعة إن

المراد بها هو علي كرم الله وجهه. والراجح أنها ليست من جنس الإنسان، قيل فيها إن صوتها يشبه صوت الحمار وإن لها جناحين، وقيل إنها تخرج من البادية قرب مكة، يكون لها ريش وزغب وحافر.

التفســـــير:

لما كـان الكافرون قد استعجلـوا وقوع العذاب بهم، فـإنه تعالـى أشار فى الآية إلـى أحد مظاهر قرب قيـام الساعة التى استعجلوا قيامهـا. فبين تعالى أنه متى قـرب أوان وقوع العذاب بهم فى الآخـرة، يكون عند انصراف الناس عن الأمـر بالمعروف والنهى عن المنكـر وعند رفع القرآن مـن الصدور ونسيان قول «لا إلـه إلا الله» فيقولون بقول الجـاهلية فيكون قد وقـع القول عليهم. يكون منه وقتـذاك أنه يخرج دابة من الأرض تكلمهم، قد يكون هـذا بعد موت عيسى عليه السلام، وقد يكون قبل موته. ويكون من هذه الدابة التى هى من غير جنس الإنسان على المشهور أنها تكلـم الناس فتخبرهم بأن الناس كـانوا على عدم الإيمان بآيـات الله، وأنه كان منهم عدم الإيمان بخروجهـا ذاتها فى ذلك الوقت، وذلك لأنهم لم يـوقنوا أن الساعة آتية لا ريب فيها، ولذلك فإنهم لم يؤمنوا بوقوع الآيات الدالة عليها، والتى هى واحدة منها .

وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾
حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾

التفســـــير:

قوله تعـالى ـ فى الآيتين ــ فى المكذبين الرسـل ومنهم الذين كذبـوا رسول الله ﷺ. جاء القول «ويوم نحشر من كل أمة فوجا» بمعنى «واذكر يوم نحشر من كل أمة فوجا» وطلب التذكر هو لبيان هول هذا اليوم على المكذبين ، والمراد بالحشر ـ فى معنى الآية ـ هو الحشر للتوبيخ وللعذاب يكون للمكـذبين من بعد الحشر الأول الـذى يكون لجميع الخلق، وصفهـم تعالى

بأنهم الذين كذبوا بآياته، والمراد بها آيـات الله التى أنزل على رسله. ثم إنه تعالى أثبت بقوله «فهم يوزعون» أنهـم يكونون منقادين بحيث تقيـد حركة أولهم ليلحق به آخـرهم، لإفادة عدم تحركهم بإرادتهم، وتحركهم مأمورين مجبرين منقادين .

ثم إنه تعالى يـذكر أنهم يظلون مساقين على هذا النحو إلى أن يصلـوا إلى موقف السؤال والحساب، فيسألهم تعالى موبخا «أكذبتم بآياتى ولم تحيطوا بها علما أم ماذا كنتم تعملون» يوبخهـم على تكذيبهـم بآياتـه تعالى، وعلـى إهمالهم أن يتحققـوا منها على وجـوب ذلك عليهـم، ولو فعلـوه لآمنوا إلا أنهـم لم يفعلـوا لأنهـم خشوا أن يـؤمنوا إن فعلـوه؛ ولهذا جـاء استفهامه تعالى «أم ماذا كنتم تعملون» توبيخـا على أنهم لم يعملوا شيئا فى هذه الآيات ولا بها كأنها أنـزلت على حجارة فلم يحاولوا أن يتـدبروها بما استوجب توبيخهـم لتفريطهم فى أمر آدميتهم واحتقارهم عقولهم .

﴿وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾﴾

التفســـير:

مفاد قوله تعالى ـ فى الآية ـ هو أن العذاب الذى توعد به المكذبون بقوله تعالى فى القرآن العظيـم وبقول رسـوله ﷺ يقـع آنذاك علـى المكـذبين، يكـون جزاء علـى ظلمهم الآيـات بتكذيبها، وأنه لاتكـون منهم إجابة على ما سئلـوا عنه لأنهم يعدمون حجة تبـرر عدم عملهم على الإحاطة علما بالآيات وعلى تكذيبهم الرسل بالباطل .

﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٦﴾﴾

التفســـير:

بعد أن أوضح تعالى أن المكذبين قد أغفلوا أن يحيطوا أنفسهم علما بآياته تعالى المنزلة

على رسله، فإنه تعالى يثبت فى حقهم بنص الآيـة إغفالهم العمل على النظر فى آياته تعالى فى الخلق وتدبرها، وهو ما لو كانوا قد فعلوه لكان منهم الإيمان بالله وتوحيده .

فالاستفهام فى قوله تعالى «ألم يروا» هو لإنكار عدم تبصرهم فى مدلول تتابع الليل والنهار وجعله تعالى الليل مظلما ليكون فيه سكون الإنسـان للراحة ولاستعادة نشاطه، وجعله النهار مبصرا ـ بمعنى مضيئا ـ ليكـون فيه السعي والعمل. ثم إنه تعالى يذكر أن الـذين يرون فى هذا آيات عظيمة على أن الموجد والمبدع هو الله الذى لا شـريك له هم الذين قدر لهم أن ينتفعوا بالآيات فكـانت صدورهم مهيـأة لقبول الحق والإذعان لـه وعدم الإصرار على البـاطل كبرا وعنادا .

وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾

أولا : الأســـماء:

من شاء الله : الراجح أن المـراد بهم ـ فى معنى الآية ـ هم الذين جاءوا بالحسنـة، لقوله تعالى «من جاء الحسنة فله خير منها وهم مـن فزع يومئذ آمنون». وقيل هم الشهداء عند ربهم يرزقون، وقيل إن الأنبياء داخلـون فيهم، وقيل هم جبريل وإسرافيل وميكـائيل وملك الموت، وقيل هم الحور العين والولدان المخلدون .

ثانيا : التفســـير:

جاء قوله تعـالى «ويوم ينفخ فى الصور» معطـوفا على قوله تعالـى «يوم نحشر»، أو بمعنى «واذكر يوم ينفخ فى الصور». والمراد هو الوقت الـذى ينفخ فيه إسرائيل فى الصور نفخة الفزع يتصور فيها أن تكون هى نفخة «الصعق» يفزع الأحياء فـزعا يموتون منه، ويتصور أن تكون هى نفخة البعث، يحيا الأمـوات فزعين حين يبعثون من قبـورهم. ثم إنه تعالى استثنـى من الذين

يصيبهم الفزع الذين شاءت أرادته تعالى لهم ألا يصيبهم هذا الفزع، قيل إنهم الشهداء، وقيل إنهم الملائكة الذين يموتون بين النفختين وقيل هم الحور العين والأولاد المخلدون .

ثم إنـه تعالـى يثبت أن جميـع الفازعيـن المبعوثين يـأتون المـوقف بيـن يدى الله تعـالى منقادين له صاغرين .

﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ۚ إِنَّهُۥ خَبِيرٌۢ بِمَا تَفْعَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾

التفســـــير:

قوله تعـالى فى ذكر آيـاته تعالى الدالـة على عظم قدرتـه، وهى فى الجبال، وذكـر حالها وحال الإنسان من النظر إليها قد يكون متعلقا بالحياة الدنيا، وقد يكون متعلقا با لآخرة، والقول على الحالين صحيح.

ففى الحياة الـدنيا ينظر الإنسان إلـى الجبال فيراها ثابتـة فى أماكنها فيحسبهـا جامدة لا تتحرك، على حيـن أن واقع الأمر هو أنها تتحرك مـن مكانها فى الفضاء الكونـى الذى تتحرك فيه الكرة الأرضية فيكـون تحركها تبعا لحركة الكـرة الأرضية وانتقالها من مكان لآخـر فى هذا الفضـاء الكونـى. والجبال تشبـه فى هـذا السحـاب فهو يتحـرك فى الغـلاف الجوى للكـرة الأرضية بفعل الرياح، ثم إن الغلاف الجوى ذاته يتحرك ملتزما الكرة الأرضية فى تحركها، فلا يختلف حال الجبال عن حاله .

وفى الآخرة يمـاثل حال الجبال حال السحـاب، ذلك أنه لما كان السحـاب يتقطع قطعا ويتجزأ أجـزاء، وكانت الجبـال ـ فـى الآخرة ـ بعـد أن تصير كالعهـن المنفوش تتقطـع قطعا وتتجزأ أجزاء ثم ينسفهـا ربك بإرسال الريح عليها تطيـرها فى الجو، فإنها تكـون قد شابهت السحاب فى تقطعها وتجزئها، وفى تحريكها بواسطة الرياح .

ثم يقـول تعالى «صنـع الله الذى أتقن كـل شىء» والمعنـى هو أن تحرك الجبـال وتحرك السحاب الذى كـان على مقتضى قوانين الطبيعـة التى صنعها الله فأحكم صنعهـا يدل على قدرته تعالى وعلى وحدانيته .

وقوله تعالى ـ فـى ختام الآية ـ «إنه خبير بما تفعلون» جاء من بعد بيـان فائق قدرته تعالى فى أمور الخلق، ليكون مفهوما إحاطة علمه تعالى بكل ما يفعل الناس ومحاسبتهم به .

مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا وَهُم مِّن فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ ءَامِنُونَ ﴿٨٩﴾

أولا : الأســـــماء :

الحسنة : قيل إن المـراد بها ــ فىّ معنـى الآية ــ هو قـول «لا إله إلا الله» أو «لا إلـه إلا الله، محمد رسول الله». وقيل هو الإيمان، وقيل هو عموم الأعمال الحسنة مع الإيمان .

ثانيا : التفســـــير :

بعد أن ذكر تعـالى أنه خبير عليـم بأفعال الخلق وما يصـدر منهم بما يعنى أنـه محاسبهم بأعمالهم، فـإنه تعالى بين فى الآية أن من يـأتى بالحسنة فإنه يكون له منهـا خير، هذا الخبر الذى يجنيه بالحسنة هو جنة الله ورضوانه.

ثم أثبـت تعالى أن فاعلـى الحسنات يكونون آمنيـن من فزع يـوم القيامة أو يوم النفـخ فى الصور، والمتصور مـن ورود لفظ «فزع» نكرة ومنونـا، أنه بعض الفزع الذى يصيـب الخلق يوم القيامة، وأنه يكون فزعا عظيما هذا الذى يأمنونه.

وقد يكـون هو الفـزع الذى يحصل بعـد تمام المحـاسبة ، عند مشـاهدة العـذاب وظهور الحسنات والسيئات .

وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾

أولا : الأســــماء :

السيئة : قيل إن المراد بها ــ فى معنى الآية ــ هو الشرك بالله. ليكون فى مقابل معنى الحسنة عند القائلين إنها كلمة التوحيد .

ثانيا : التفســـير:

بعد أن ذكر تعالى حال الذين أتوا بالحسنات ، فإنه تعالى يذكر فى الآية حال الذين جاءوا بالسيئة، أو بالشرك بالله، أو بعصيان الله عموما، فذكر تعالى أن وجوههم تكب فى النار، والمعنى هو أنهم يكبون فى النار على وجوههم منكسين .

ثم إنه تعالى أثبت أنهم إنما يعذبون بأفعالهم التى ارتكبوها، بمعنى أنهم لا يظلمون شيئا، وإن كان تعالى لا يتصور أن يكون منه ظلم ولو عذب بغير سبب .

إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلْبَلْدَةِ ٱلَّذِى حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَىْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ
أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَتْلُوَا۟ ٱلْقُرْءَانَ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى
لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾

أولا : الأســــماء :

البلـــدة : هى مكة، أو هى «منى» على وجه الخصوص، كما جرى القول على تسميتها بـ «البلدة» .

ثانيا : التفســـير:

القول ـ فى الآيتين ـ قول رسول الله ﷺ يقوله لكفار مكة بأمر ربه، والذى يقوله لهم هو أنه ﷺ أمر أن يعبد الله تعالى وصفه بأنه رب هذه البلدة ـ وهى مكة أو منى ـ تشريفا لها وتمهيدا

لبيان تحريمها، كما ذكر تعـالى بقوله إنه الذى حرمها فجعلها حرمـا آمنا، وفى القول تعريض بالكافرين الذين لم يراعوا حرمة البلدة وإنما انتهكوا حرمتها واقترفوا فيها الشرك وتعاطوا أشد صور الفجـور. ثم إنه ﷺ يقـول لكفار مكة فـى وصفه الله تعـالى إنه لـه كل شىء بمعنـى أنه مالك كل شىء والمتصـرف فى أمره، وهو تعظيم لشأنه تعالى، وليكون القـول حافزا لهم على عبادته تعالى والتزام حرمة البلدة، يكون ذلك بـالتخلى عن الكفر وإعلان إيمانهم بالله تعالى وتوحيده .

ثم يجىء قوله ﷺ «وأمـرت أن أكون من المسلمين» لإعـلام الكافريـن أنه ملتزم أمـر ربه تعالـى بالثبات على ملـة الإسلام، ودخوله فـى زمرة الذين أسلمـوا وجوههم لله تعالـى. لعله يكون منهم من يتخذ فيه ﷺ قدوة حسنة فيؤمن بالله ويوحده .

ومن قوله ﷺ للكافرين أنه أمر أن يتلو القرآن، والمعنى هو أن يواظب على قراءته وأن يتلوه على الناس ليهديهم سبيل الرشاد. وبعد هـذا فإن رسول الله ﷺ حبب إليهم الإيمان ببيان أنه هدى لهم، يهديهم القرآن إليه، وإعلامهم أن من يهتدى بالقرآن يكون ذلك لصالحه ومنفعته فـى الدنيـا والآخرة، علـى حين أن مـن يكفر بـه أو يظل علـى كفره بـه يكون قـد ضل سبيـل الرشـــاد.

ثم يختتم ﷺ قوله للكافـرين بقوله «إنما أنا من المنذرين» يقولـه للضالين منهم أو الذين بقوا على ضلالهم. وفيه إعلام لهم بأنه ﷺ مـن المنذرين، غير مكلف بإيمانهم وغير مسئول بعدم إيمانهم .

﴿وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعْرِفُونَهَا ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ۝٩٣﴾

التفســـــير:

يأمر تعالـى رسوله ﷺ أن يحمد الله تعالى فى قلبـه وبلسانه على ما أنعم عليـه تعالى به، ومن ذلـك نعمة اصطفائه بالنبـوة. وأن يخبرهم بأنـه تعالى سيريهـم آياته فيتحققون مـن أنها

آيات منه تعالى، قد تكون هذه الآيات هى المعجزات التى أظهرها تعالى على يد رسول الله ﷺ، وقد يكون المراد بها هى النقمات التى حلت بالكافرين فى الدنيا ومنها ما أصابهم فى بدر، وقد تكون هى الآيات المعتبرة من أشراط الساعة .

وقوله تعالى ـ فى ختام الآية ـ «وما ربك بغافل عما تعملون» هو كلامه تعالى تضمن وعدا للمؤمنين الذين يعملون الصالحات بحسن الجزاء، وتضمن وعيدا للكافرين العصاة بالانقلاب إلى سوء المصير.



بسم الله الرحمن الرحيم
سورة القصص

فى أوجه الصلة بين السورة وبين سابقتها فى ترتيب المصحف «سورة النمل» :

ذكر أهل العلم فى أوجه الصلة بين السورة وبين سابقتها فى ترتيب المصحف الشريف ما يأتى:

١ ـ فى شأن قصة موسى عليه السلام فقد ارتبط ما جاء فى السورتين بما جاء قبلهما فى سورة الشعراء، فقد ذكر تعالى فى سورة الشعراء ما كان بين فرعون وموسى عليه السلام من قول فرعون له «ألم نربك فينا وليدا» إلى قول موسى عليه السلام «ففررت منكم لما خفتكم فوهب لى ربى حكما وجعلنى من المرسلين» ، ثم ذكر تعالى فى سورة النمل ما كان بعد فرار موسى من فرعون وقومه، تمثل فى قوله لأهله «إنى آنست نارا» ، وجاء الإخبار فى السورتين مجملا. وفى السورة بسط تعالى ما أوجزه فى السورتين السابقتين وفصل ما أجمله فبدأ

بالتقديم للقصة ببيان علو فرعون وذبح أبناء بنى إسرائيل لإظهار سبب إلقاء موسى عليه السلام بعد ولادته فى اليم، ثم جاء ذكر تربية فرعون له من صغره إلى كبره مع إبراز السبب الذى قتل من أجله رجلا من قوم فرعون. وبيان التحدث فى أمره مما أدى إلى فراره من مصر إلى مدين. وقص ما حدث له مع شعيب وتزوجه بابنته، وسيره بأهله، وإيناسه من جانب الطور نارا وطلبه من أهله المكث، ومناجاته ربه وبعثه رسولا. فتكون السورة شارحة ما ورد فى السورتين السابقتين عليها مجملا .

٢ ـ جاء فى سورة النمل ما جاء فى شأن توبيخه تعالى الكافرين يوم القيامة بالسؤال، وجاء مثل ذلك فى السورة .

٣ ـ ذكر تعالى فى سورة النمل فى شأن الليل والنهار ما ذكر، وذكر تعالى ـ فى شأنهما ـ فى السورة ما هو أكبر.

٤ ـ أورد تعالى أحوال المهلكين من الأمم فى سورة النمل مفصلا، وأجمل تعالى ـ فى السورة ـ القول فيهم بقوله تعالى ﴿وكم أهلكنا من قرية﴾... الآيات .

٥ ـ بسط تعالى ـ فى سورة النمل حال من جاء بالحسنة ومن جاء بالسيئة، وفى السورة أوجز تعالى ما ذكر بقوله تعالى ﴿من جاء بالحسنة فله خير منها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الذين عملوا السيئات إلا ما كانوا يعملون﴾ .



التفسير:

افتتحت السورة بأسماء الأحرف «طسٓمٓ» والراجح أنها من المتشابه ـ على ما سبق فيه

القول. ثم يشير تعالى إلى السورة مخبرا عنها أنها آيات الكتاب الجدير أن يطلق عليه معنى الكتاب إذ أطلق - وهو القرآن العظيم، وصفه تعالى بأنه المبين، بمعنى أنه المظهر والمفصح عما ورد فيه من تفرقة بين الحق والباطل، ومن قصص على النحو الذى تتخذ منه العظات، ومن أحكام على النحو الذى يتيسر معه تطبيقها .

نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾

التفسير:

الخطاب - فى الآية - إلى رسول الله ﷺ. يقول له تعالى إنه ينزل عليه فى القرآن الذى يتلوه عليه - بأمر ربه - جبريل عليه السلام البعض من خبر موسى عليه السلام وخبر فرعون يكون متلبسا بالحق، ليفيد من هذا الخبر بالمعرفة الحقة ويأخذ العظة والاعتبار الذين يؤمنون أنه من عند الله .

إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾

التفسير:

أخبر تعالى - فى الآية - عن بعض أفعال فرعون، ثم قال عنه - فى ختامها - «إنه كان من المفسدين» فدل على أنه بسبب هذه الأفعال الفاسدة اعتبر أنه من المفسدين، أو أن هذه الأفعال قد صدرت منه نتيجة لكونه من المفسدين .

والأعمال والأفعال التى نسبها تعالى إلى فرعون هى علوه فى الأرض، بمعنى تجبره

وطغيانه فى الأرض ـ وهى أرض مصر ـ وجعله أهلها شيعا، بمعنى أنه فرق الوحدة المفترضة بين أهل البلد الواحد بالتفرقة فى المعاملة بين طوائفهم بما يحدث الانقسام بينهم. وقد يكون هذا بسبب إحسانه معاملة قومه ـ الهكسوس فيما نرى ـ وإساءته معاملة المصريين أهل البلاد، وقد يكون بتقسيمه أفراد الشعب طوائف يستخدم كلا منها فى عمل من الأعمال لصالحه.

ثم إنه تعالى ذكر صورة من صور تفرقته فى المعاملة بين ساكنى البلد وهى استضعافه طائفة منهم ـ وهم بنو إسرائيل ـ قهرهم على أنفسهم، وبين تعالى أن من مظاهر قهرهم على أنفسهم أنه كان يقتل بأوامره ما يولد لهم من الذكور ويبقى على حياة الإناث. وهو ما كان خلال فترة زمنية معينة.

ثم إنه تعالى أخبر عن فرعون بأنه كان من المفسدين، بمعنى أنه جبل على أن يكون مفسدا فى الأرض، فكان عمله من قبيل الإفساد فى الأرض.

وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ
ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾
وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم
مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾

أولا: الأسماء والأعلام:

هامان: هو وزير فرعون، والظاهر أن فرعون قد أقطع المقربين إليه من قومه الإقطاعيات وجعلهم حكاما عليها يحكمون باسمه، وأنه كان منهم هامان، فكان له جنوده الذين ينفق عليهم من إقطاعيته.

ثانيا : التفســـــير:

بعد أن ذكر تعالـى أن فرعون استضعف بنى إسرائيـل، فإنه بين فى الآية أن مشيئتـه تعالى كانت بـالتفضل عليهم ـ بحكـم كونهم المستضعفين ـ فيكون التفضل بتقويتهـم وبنصرهم على من استضعفهم. كمـا بين أن مشيئته كانت بأن يجعلهم أئمة. بمعنـى أن يقتدى بهم فى الدين فيكون اتباع ما هم عليه من عبادة الله وتوحيده، وأن يجعلهم الوارثين، بمعنى أن يكونوا الذين يرثون حكم الأرض.

ثم إنه تعالى بين أن وراثتهم حكم الأرض لا يكون أمرا طارئا وحدثا قصير المدة. بل يكون على شىء من الـدوام وهو ما يكون بتمكينهم من ذلك، فدل بهـذا على أن المراد بـ «الأرض» هو أرض فلسطين التى مكن تعالى لبني إسرائيل فيها فترة زمنية طويلة .

ثم بين تعالى أن مشيئته كانت أيضا بأن يشهـد فرعون وهامان من بنى إسرائيل، وأن يشهد جنودهما منهم الشىء الذى كانوا يخافون حدوثه منهم. فيكون القول مشيرا إلى صحة ما قيل من أنه لسبب مـا من رؤيا أو تنجيم علم فرعون وهـامان أنه يخرج من بنى إسـرائيل من يكون منه هلاك فرعون وأتباعه .

وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنۡ أَرۡضِعِيهِۖ فَإِذَا خِفۡتِ عَلَيۡهِ فَأَلۡقِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحۡزَنِيٓۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيۡكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٧

التفســـــير:

بعد أن بيـن تعالى أنه شـاء أن يرى فرعـون وهامان وجنـودهما من بنى إسـرائيل ما كـانوا يحذرون، فإنـه تعالى شرع فـى الآية فى بيان كيفيـة حدوث ذلك، فبدأ بـذكر ما كان مـن بعد مولد موسى عليه السلام، بما يفهم منه أن تحقق مشيئته تعالى تعلق بموسى عليه السلام .

يذكر تعالى ـ فى الآية ـ أنه أمر أم موسى ـ وقد سبق التعريف بها ـ عقب مولده بطريق الوحى ـ الذى قد يكون بواسطة ملك من الملائكة، أو بطريق الإلهام ـ أن ترضعه لفترة زمنية حددها لها، تخفيه خلالها عن أعين جواسيس فرعون، حتى إذا ما خافت أن يعلم أمره فينقل إلى فرعون ليكون منه قتله، يكون منها إلقاؤه فى البحر ـ وهو نهر النيل ـ ثم إنه تعالى طمأنها أنه راعيه بطلبه منها ألا تخاف عليه، نهاها عن عموم الخوف، فيشمل الخوف عليه من الغرق ومن أى ضرر آخر يصيبه، كما طلب تعالى منها ألا تحزن لفراقه، ثم أظهر لها علة هذا بإخباره إياها أنه سيعيده إليها بعد فترة زمنية وجيزة ، ثم أعقب تعالى هذا بتبشيره إياها بأنه جاعله من الأنبياء المصطفين رسلا ذوى رسالات .

فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴿٨﴾

التفسـير:

المستفاد من قوله تعالى هو أن أم موسى قد أطاعت ربها فيما أمرها به فى شأن موسى عليه السلام من إرضاعه لفترة زمنية معينة، ثم إنه خافت عليه أن يصل أمره فرعون فيقتله، فكان منها أن ألقته فى النيل، قيل إنها اتخذت له تابوتا طلته بالقار أو ما يشبهه وأحكمت إغلاقه إلا ما يسمح بدخول الهواء ووضعته فى النيل .

ويذكر تعالى أن آل فرعون التقطوا موسى من البحر ـ أى من نهر النيل ـ وقيل إن جوارى «آسية» امرأة فرعون هن اللاتى التقطنه وفتحنه على مرأى منها فشاهدت موسى عليه السلام فوقع حبه فى قلبها، وقيل إن ابنة فرعون وجواريها هن اللاتى التقطنه .

والمستفاد من قوله تعالى «ليكون لهم عدوا وحزنا» هو أن الغاية التى قدر تعالى أن ينتهى إليها أمر التقاط موسى والتى جرت بها مشيئته، هى أن يصير موسى عليه السلام عدوا لفرعون

وقومه وسببا لما يصيبهم من الحزن، جاء - فى القول - وصف موسى عليه السلام بأنه الحزن ذاته من قبيل المبالغة فى الربط بين الحزن الذى يصيبهم وبينه، حتى لكأنه عليه السلام هو الحزن ذاته لهم.

ثم يجىء قوله تعالى - فى ختام الآية - ﴿إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين﴾ لبيان أنهم كانوا مخطئين فى عقيدتهم وفى أفعالهم عامة، وكانوا مخطئين فى قتلهم ذكور مواليد بنى إسرائيل، ثم فى قتلهم ذكور بنى إسرائيل واستيفاء موسى عليه السلام الذى قدر لهم أن يكون هلاكهم على يديه.

﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝٩﴾

أولا : الأسماء والأعلام :

امرأة فرعون : قيل إنها آسية بنت مزاحم بن عبيد بن الريان بن الوليد فرعون مصر فى زمن يوسف عليه السلام. وهذا يؤكد ما سبق أن قلناه من أن فرعون المذكور هو آخر ملوك الأسرة الهكسوسية الأولى التى حكمت مصر.

ثانيا : التفسير :

يذكر تعالى - فى الآية قول امرأة فرعون له فى شأن موسى عليه السلام ، والمستفاد من القول هو أنه وقعت مشاهدة فرعون وزوجه موسى عليه السلام من بعد التقاطه من النهر، وقد بدأت امرأة فرعون بالتمهيد لما انتوت طلبه بأن أسبغت على موسى صفة أنه قرة عين لها ولفرعون، بمعنى أن تستقر عيونهما من الرضاء بوقوعها عليه. ثم إنها خاطبته معظمة بصيغة الجمع طالبة منه ألا يقتله، أو إنها خاطبته وخاطبت رجاله القائمين على قتل ذكور بنى

إسرائيل. ثم أظهرت له علة طلبها بقولها إنـه قد يكون لها وله فيه نفع، بمعنى أن ينتفعا بسببه أو عن طريقه نفعا واحدا يفيدان منه معا، أو أن يكـون لهما معا ولد بالتبنى. ويفترض أن يكون فيه ما يغرى على هذا، وفيه قيل إنها توسمت فيه دلائل النجابة ومخايل البركة.

ثم إنه تعالى يبين بالنص أن جميع ما وقع مـن أمر فرعون وأهل بيته مع موسى عليه السلام من التقاط ومن استبقـاء حياة، ومن تربية له فى بيـت فرعون، قد حدث منهم عـن عدم معرفة بما قدر لهم من أنه يكون هلاكهم على يديه.

وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾

التفسـير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ عود إلى ذكر حال أم موسى من بعد إلقائه فى النهر، يذكر تعالى أن فؤادهـا أصبح فارغا، وقيـل إن المراد بهذا أنه أصبح فارغا من كـل شىء إلا من ذكر موسى، وقيل إنه أصبح فارغا من الصبر ومن وعد الله لها أن يرده إليها، وقد يؤيد هذا ما ذكره تعالى من أنه كـاد أن يصدر منها ما يفصح عن حقيقة مـوسى وكونـه ولدا لها، وهو مـا يكون بإظهـارها اللوعة لرفاقه.

ثم يذكر تعالى أن هذا لم يحدث لأنه تعالـى ربط على قلبها بإنزاله السكينة عليه وبتثبيته على الصبر. وعلـة ذلك أن تكون من المؤمنين، وذلـك بتصديقها بوعد الله لها وبصبـرها على ضر فراق ابنها، وبانتهاجها لما بشرت به أنه يكون من المرسلين.

وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾

أولا : الأسـماء والأعلام :

الأخــت : في قـوله تعالـى «وقالت لأخته قصيـه» هى أخت مـوسى عليه السـلام، وهى مريم ابنة عمرام أو عمران، التى سميت مريم أم المسيح عليه السلام باسمها. وقيل إن اسمها كان كلثوم، وقيل كلثمة .

ثانيا : التفســـير:

يذكر تعـالى ـ فى الآيـة ـ فعل أم موسـى بعد أن أصبح فؤادهـا فارغا، وقد فعلتـه من فرط شوقها إلى ابنها وخـوفا عليه أن يصيبه مكروه، فأخبر تعالى أنها طلبـت من أخته أن تتبع أثره، ومن القول يبيـن أن أخته فعلت ما طلبتـه منها أم موسى وأنهـا أبصرت أخاها عـن بعد وذلك لكونها تسير على الشاطـئ بينما كان هو فى النهر، كما أنها كانت بعيـدة عن مكان أهل بيت فرعون لدى التقاطه وأنه لهذا لم يشعروا بها تراقبه وتتبع أثره كما أنهم لم يعرفوا أنها أخته .

۝ وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ
مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾

التفســـير:

مفاد قـوله تعالى ـــ فى الآية ـ وهـو فى موسـى عليه السلام أنه تعـالى قد منعه عـن قبول الرضاعة من أثداء المـراضع ، ويبدو من قوله تعالى «فقالت هل أدلكـم» وهو فى مريم أخت موسى، أنـه قد علم واشتهر أن الوليـد الذى عثر عليه يـأبى أن يرضع من أثـداء النساء اللائى عرضن عليـه، وأنه بهذا تمكنت أختـه من أن تقترح على أهـل بيت فرعون أسـرة «أهل بيت»

تكفله وترعاه لحساب فرعون وبيته وتقوم على تربيته لصالحهم. ثم إنها أثنت عليهم بما يعود فائدته إلى الطفل فقالت «وهم له ناصحون» لبيـان أنهم أهل للقيام على تربيته وتأديبه وليس فقط على إطعامه وتنظيفه .

ثم إنه يبين من قوله تعالى «فرددناه إلـى أمه» أن فرعون وأهل بيته قبلوا اقتراح أخت موسى وإنه تم تجريبها فى إرضاع موسى عليه السـلام، وأنه قبل الرضاعة منها ليكون تحقق وعد الله تعالى، وفيـه قيل إن فرعون أجـرى عليها نفقة خلال قيامهـا على شئون موسـى، وأن ذلك لم يكن حـراما، أو أنه لم يكـن حراماً أخـذها النفقة المجراة لأنهـا كانت تـربيه ـ على الظـاهر لصالح فرعون ـ مكرا من الله تعالى بالقوم الكافرين .

ويذكر تعالى أنه بهذا رد تعالى موسى عليه السلام لأمه لغاية تحققت وهى هدوء نفسها ـ جاء التعبير عنه باستقرار العين ـ وإذهاب الحزن عـن نفسها وليكون منها اليقين بأن ما وعد به تعالى من أنه راده إليها وأنه يجعله نبيا رسولاً هو أمر محقق لأنه تعالى لا يخلف وعدا. ثم ذكر تعالى واقع أن أكثر الناس لا يعلمون هذا لعدم إيمانهم أو لنقصان فيه .

وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٤﴾

التفســـــير:

لم يذكر تعالى شيئا عن حياة موسى عليه السلام والأحداث التى مرت به من الفترة بين رده إلى أمـه وبين الأجل المذكـور فى الآية وهو حـد بلوغ نموه الجسمـانى تمامه، واستـواء عقله يكون بكمـاله، يـذكر تعالـى أنه عنـدما بلغ هـذا الحد الـذى اكتملت فيه قـوته الجسمـانية والعقلية، آتـاه الله تعالـى الحكم بمعنـى النبوة أو العلـم اللازم لهـا، وآتاه العلـم بما جـاء به المرسلون من قبـل. فلا نسلم بما قيل من أنه العلـم بالشريعة. لأنها لم تكن قـد أنزلت عليه بعد.

وقوله تعـالى «وكذلك نجـزى المحسنين» مفاده أنه تعـالى يجزى المحسنين بتحقيـق ما

وعدهم به فى آياته وعلى لسان أنبيائه، فلا يتصور أن يكون جزاؤه للمحسنين هو جعلهم أنبياء.

وَدَخَلَ ٱلْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِۦ ۖ فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِى مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِى مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۖ إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾

أولا: الأسماء:

المدينة: قيل إن المراد بها ـ فى معنى الآية ـ هو مدينة «منف»، وقيل هى مدينة «أون» أو عين شمس، وهى مدينة كان فرعون يزورها، فالمعلوم أن عاصمة ملك الهكسوس كانت «أواريس».

ثانيا: التفسير:

فى ذكره تعالى الواقعة المروية فى الآية، أخبر تعالى عن دخول موسى المدينة، والمعنى أنه كان خارجها. وفى هذا قيل إن فرعون كان فى زيارة لإحدى مدن مملكته، ولما كان موسى تابعا له وكان فى مرتبة الابن منه فإنه توجه إلى هذه المدينة ـ التى قيل إنها كانت «منف» وقيل كانت «عين شمس» ـ ليلقاه فيها كما يحدث من الأتباع المقربين. وقيل إن موسى كان قد شرع فى مخالفة دين فرعون ظاهرا وباطنا وأنه خشى أن يفتضح أمره لدى فرعون فهرب من وجهه حيث كان يسكن، ثم عاد بعد فترة طويلة بعد أن نسيه أهلها أو نسوا ملامحه.

ويذكر تعالى أن دخوله عليه السلام المدينة «كان على حين غفلة من أهلها» وفيه قيل إنه كان وقت القيلولة حين يقيل الناس فيغفلون عمن يدخل مدينتهم، وقيل إنه كان بين العشاء والعتمة. كما يذكر تعالى أنه حين دخل المدينة وجد فيها رجلين يتقاتلان ، كان أحدهما ممن شايعوا موسى على عقيدته أو من الذين ينحازون إليه بالقرابة وهم بنو إسرائيل، وكان الآخر من قوم فرعون، وصفه تعالى بأنه «من عدوه» لسبق قوله تعالى «ليكون لهم عدوا وحزنا»، فكان من الذى هو من شيعة موسى أن استنصره على الذى هو من قوم فرعون، أو إنه طلب منه الغوث والعون. ثم كان من موسى عليه السلام أن وكز الرجل الذى هو من قوم فرعون، بمعنى أن ضربه بيده مجموعة الأصابع أو لكمه فقضى عليه، بمعنى أن اللكمة أدت إلى موت الرجل.

ثم يذكر تعالى أن موسى قال عندما عاين موت الرجل إن فعله كان من أثر تزيين الشيطان له أن يفعل ما فعل، ثم إنه وصف الشيطان بأنه عدو للإنسان يضله إلى ما يهلكه، وأن عداوته ظاهرة. فالقول منه لوم لنفسه لأنه لم يتحرز من الشيطان من وضوح عداوته للإنسان .

قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٦﴾

التفسير:

مفاد قوله تعالى ـ في الآية ـ أن موسى عليه السلام عندما عاين أثر فعله اعترف بذنبه نادما، مقرا بأنه قد ظلم نفسه بارتكاب خطأ لم يسبقه إليه أحد من آبائه الأنبياء، ثم إنه استغفر ربه من هذا الذنب الذى لا يعد من الكبائر لأنه لم يقصد قتل الرجل وإنما قصد مجرد وكزه، ثم حدثت الوفاة على غير إرادة منه، فهو ـ فى القانون ـ «ضرب مُفضٍ إلى موت» وفى الشريعة صورة من صور القتل الخطأ .

ثم إنه تعالى يذكر أنه غفر له عليه السلام ذنبه، ويبين من «الفاء» فى «فغفر له» أن غفران

الذنب كان بسبب الاستغفار. ويظهر تعالى أنه يغفر للمستغفرين بكم كونه الغفور الرحيم.

﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ۝١٧﴾

التفسير:

يذكر تعالى - فى الآية - قولا آخر لموسى عليه السلام، نادى ربه وأقسم بما أنعم به عليه تعالى من النعم التى منها أنه أنجاه من القتل وأنه رده إلى أمه، وقد يكون منها غفران ذنبه، يكون قد علم به بإلهام أو رؤيا، أقسم على ألا يكون من بعد نصيرا للمجرمين يدخل فيهم مرتكبو الجرائم بأنفسهم، ويدخل فيهم المحرضون عليها مثل الذى من شيعته، لكونه شريكا فى الجرم. وقد يكون مضمون القسم نذرا ألا يناصر إلا أولياء الله تعالى.

﴿فَأَصْبَحَ فِى ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ ۚ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ۝١٨﴾

أولا: الأسماء:

الغوى: فى قوله تعالى «إنك لغوى مبين» هو الضال.

ثانيا: التفسير:

يقول تعالى إن موسى عليه السلام أصبح فى المدينة خائفا أن يوقع به القوم مكروها بقتله الرجل الذى هو من قوم فرعون. والمستفاد من القول أنه لاينافى النبوة أن يخاف النبى أمرا أو شيئا، وأنه عليه السلام كان يترصد الأخبار ليعرف ما إذا كان القوم قد علموا خبر قتله الرجل أم لا.

ثم يذكر تعالى أن الإسرائيلى الذى استغاث به فى اليوم السابق فاجأ موسى عليه السلام بالاستغاثة به مرة أخرى معلنا عن ذلك بالصراخ «يستصرخه» وذلك لينصره على شخص آخر يقاتله.

فكان من موسى عليه السلام أن قال له «إنك لغوى مبين» وصفه بأنه رجل ضال وأن ضلاله واضح لأن من عادته معاداة الناس ومقاتلتهم، أو لأنه لم يردعه عن قتال الناس أنه كان متسببا فى اليوم السابق فى قتل أحدهم .

فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴿١٩﴾

التفسير:

يقول تعالى إنه عندما أراد موسى عليه السلام إيذاء الذى هو عدو له وللإسرائيلى الذى استصرخه، وهو الذى من قوم فرعون أراد موسى أن يأخذه بسطوة وقسوة، قال له الرجل مستفهما على سبيل الإنكار عما إذا كان موسى عليه السلام يريد قتله كما كان منه فى اليوم السابق عندما قتل رجلا.

فيكون المستفاد من القول أن الرجل قد شاهد واقعة قتل موسى الرجل الذى هو من قوم فرعون .

ويتصور أن يكون قائل القول هو الإسرائيلى اعتقد أن موسى عليه السلام بعد أن أنبه على اعتياده المخاصمة والمقاتلة أراد أن يبطش به وليس بالذى هو عدو لهما .

ثم يذكر تعالى أن قائل القول قال لموسى رأيه فيه وهو أنه لايريد شيئا غير أن يكون جبارا فى الأرض يضرب ويقتل متعاليا على الناس بقوته، وأنه لا يقصد بأفعاله الإصلاح بين الناس يكون بالحسنى وليس بقتل أحد المتخاصمين .

وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾

أولا : الأسـماء والأعلام :

الرجـل : فى قوله تعالى ﴿وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى﴾ قيل هو ابن عم فرعون، وقيل إن اسمه كان شمعان، وقيل شمعون بن إسحاق، وهو مؤمن آل فرعون.

والذى نراه أنه كان مؤمنا بما دعا إليه يوسف عليه السلام أو بدينه ودين يعقوب لأن موسى لم يكن قد دعا بعد بدين أو عقيدة .

ثانيا : التفسـير :

المستفاد من القول هو أن خبر قتل موسى الرجل الذى هو من قوم فرعون قد شاع فى المدينة، وأنه لهذا كان من الرجل المؤمن الذى هو من قوم فرعون أن جاء موسى مسرعا فى مشيه من أبعد مكان فى المدينة حيث كان يقيم، وأنه أخبر موسى أن أشراف القوم يتشاورون فى أمره قصد قتله.

ثم إنه نصح له بمغادرة المدينة ليخلص من ملاحقتهم وطلبه للعقاب بالقتل، وأكد له أنه يقول ذلك ناصحا مبتغيا صالحه ونفعه باتقاء ما يعرضه لخطر القتل.

وقيل إن الآية دليل على جواز النميمة لمصلحة دينية .

■■■■■

فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿٢٢﴾

التفســـــير:

قوله تعالى - في الآيتين - هو فيما فعل موسى عليه السلام من بعد سماعه الرجل المؤمن في مصر وإلى ما قبل وروده ماء مدين. والمستفاد من القول أنه عليه السلام صدق الرجل وأنه غادر مصر خائفا من توعد القوم إياه بالقتل، ومترقبا أن يلحقوا به، ودفعه إيمانه إلى دعاء ربه أن ينجيه من ملاحقيه الذين وصفهم بأنهم الظالمون.

ويبين من القول أنه جعل وجهته إلى مدين - وقد سبق التعريف بها - وذلك لخروجها عن سلطان فرعون مصر وحكمه، ليلقاها، ملتمسا من ربه الهداية إلى وسط الطريق الذي يكسبه النجاة. وفي هذا قيل إن ربه هداه إلى اختيار طريق وسط بين ثلاثة طرق، أخذ مطاردوه الطريقين الآخرين، وسار هو في الطريق الأوسط لم يتبعه أحد إلى أن ورد ماء مدين.

وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾

أولا: الأسماء والأعلام:

١ - ماء مدين: هو بئر كان أهل مدين يسقون منها.

٢ - الامرأتان: في قوله تعالى «ووجد من دونهم امرأتين» هما ابنتا شعيب كاهن مدين،

وهو- فيمـا نرى والله أعلم - حفيد شعيب النبى، وقيل هو شعيب النبى عليه السـلام، وهو فى التوراة التى بين أيدينا اليوم «رعوئيل» ، «ويثرون»، واسـم إحداهما - على ما قيل - «ليا»، وقيل «عبرا» وقيل «شرفا». واسم الأخرى «صفوراء» وهى فـى التوراة التى بين أيدينا اليوم «صفورة» وهى التى تزوج منها موسى عليه السلام .

٣- الخطـب : فى قوله تعالى «ما خطبكما» مصـدر من الفعل «خطب - يخطب» بمعنى «طلب» والمراد به هو اسم المفعول أى المطلوب .

ثانيا : التفسـير:

مفاد قوله تعـالى - فى الآية - هو أن موسـى عليه السـلام اتجه إلى مدين فـوصل البئر التى يستقى منها أهلها، وأنه وجد على حافتها جماعـة كثيرة من الناس غير المعروفين بذواتهم من أهل المـدينة يسقون أنعـامهم المختلفة الأنـواع، ثم إنه وجـد من ناحيتـه قبل الوصـول إلى الناس المجموعيـن امرأتين، أو أنه وجـدهما فى مكان أدنـى أو أسفل من مكان النـاس كانتا تذودان غنمهمـا عن الماء خـوفا مـن بأس الناس وقـوتهم، أو تمنعان النـاس عن أغنـامهما. وهاتان المرأتان هما ابنتا شعيب كاهن مدين «ليا» و «صفورة» .

ثم يذكر تعـالى أن موسى عليه السـلام سـألهما عن مطلوبهما وما تقصـدان - واعتبر ذلك دليلا علـى جواز مخاطبة الأجنبيـة ومكالمتها - ويـذكر تعالى أنهمـا أجابتا بأنهمـا لاتسقيان أغنامهما إلا بعـد انصراف الرعاة عن البئر بعـد أن يسقوا أغنامهم، وذلك لعدم قـدرتهما على مزاحمتهـم ولفرط حيائهمـا. ثم إنهما اعتـذرتا عن قيـامهما بهذا العمـل الذى هو مـن عمل الرجال بأن بينتا أنه ليس لهما من رجل غير أبيهما، وأنه شيخ كبير لا يقدر على هذا العمل.

ومن القـول يبين أن مـوسى عليـه السلام قـد أراد أن يعينهما علـى سقى أغنـامهما رأفـة بحـالهما وأنـه توسـل إلى هـذا بسؤالهمـا غيـر المباشـر عن مطلبهمـا لئلا يجـرح كرامتهمـا بإظهـارهما حاجتهما إلـى العون، كما يبيـن منه اعتداد المـرأتين بنفسيهما فلم تطلبـا العون مباشرة و إنما أظهرتا أسبابه لتكون منه المبادرة .

﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾

التفسير:

مفاد قوله تعالى ـ فى الآية ـ هو أن موسى عليه السلام أخذته الرحمة بالمرأتين لما رآهما تذودان غنمهما والناس يسقون مواشيهم، قام عليه السلام بسقى غنمهما من البئر التى عليها الناس، وفى هذا يتصور أنه عليه السلام زاحم الرعاة بقوته فتمكن من سقى الغنم، ويتصور ما قيل من أن القوم بعد أن سقوا مواشيهم وأغنامهم وإبلهم غطوا البئر بحجر كبير رفعه موسى عليه السلام وسقى الغنم.

ثم يذكر تعالى أن موسى عليه السلام بعد أن فعل هذا لجأ إلى الظل ـ قيل إنه كان ظل شجرة سمر وقيل كان ظل حائط ـ ثم توجه إلى ربه طالبا ما ينزله عليه من خير من طعام أو من مال، ملتزما الأدب في طلب مطلبه من ربه بأن أظهر أنه محتاج إلى ما يفيض به تعالى عليه من الخير الذى يقدره له، وبالقدر الذى يأذن به.

﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيْهِ ٱلْقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾

التفسير:

مفاد قوله تعالى ـ فى الآية ـ أن موسى عليه السلام بعد أن سأل ربه متأدبا التكرم عليه بما يشاء من الرزق جاءت واحدة من المرأتين ـ لم يبين النص أيهما ـ تمشى على استحياء،

بمعنى أنهـا كانت متلبسـة بالحياء فـى مشيها وفـى مجيئها، وأنها مـا أن جاءته حتـى أعلنته بسبب مجيئها فأخبرته أن أباها يريد أن يوفيه أجر سقيه لهما أغنامهما .

ويبين من قوله تعالى «فلما جاءه» أن موسى عليه السلام ذهب مع المرأة إلى حيث أبيها، وإن كان هذا لا يعنى أنه ذهب من أجل الحصول على الأجر، فقد يكون مراده الاستعانة برأيه على تدبر أمره فى المدينة أو التبرك به.

ثم إن القول يفيد أن مـوسى عليه السلام اطمأن إلى الرجل أو إلـى شعيب وروى له قصته مع فرعون وقـومه، وأن شعيبا أمنه وطلب منه عـدم الخوف من فرعون وقومـه لانحسار سلطان فرعون عن المدينة، ثم أعلمه أنه قد نجى من بأسهم واصفا أياهم بأنهم القوم الظالمون، وهو ما قد يفيد أنه ألهم هذا من ربه فأخبر به .

قَالَتْ إِحْدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾

التفسـيـر:

مفادقوله تعالى ـ فى الآية ـ هو أن إحدى ابنتى شعيب نادت أباها بقولها «يا أبت» ثم إنها اقترحت عليه أن يستأجر موسى عليه السلام للقيام على رعى الأغنام وأنها أبدت علة اقتراحها ـ مزينة لأبيها العمل باقتراحها ـ بثنائها على موسى، فأبدت لأبيها أنه إن استأجره لهذا العمل فإنه يكون قد استأجر خير من يقوم به لاجتماع صفتى القوة والأمانة فيه.

وقد عـاينت القوة منه بمـا شاهدته منـه من مزاحمة القـوم على البئر أو رفعه الصخـرة من فوقه.

كما عاينت الأمانة على ما قيل من أنه عليه السـلام طلب منها ـ وقد كانت تسير أمامه ـ أن تسير خلفه عندما هبت الريح فألصقت ثوبها بجسدها .

■■■■

﴿قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ هَٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٍ ۖ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ ۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ ۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝٢٧﴾

التفسير:

يذكر تعالى - في الآية - أن شعيبا قال لموسى عليه السلام إنه يريد أن يزوجه بواحدة من ابنتيه اللتين أشار إليهما واللتين عرفهما موسى عليه السلام. وقد يكون القول مشيرا إلى أنه كان لشعيب بنات غيرهما.

وفى التوراة التى بين أيدينا أنه كان له سبع بنات.

ثم إن شعيبا اشترط على موسى إذا ما قبل الزواج بإحدى الابنتين أن يعمل لديه ثمانى حجج بمعنى أن يمر وقت ثمانى حجج من مبدأ قبول الزواج، ويبين من لفظ «تأجرنى» أن الأجر الذى يستحقه موسى عن فترة استجاره لا يدفع له بل يكون لحميه بما يعنى كونه مهر زواجه بابنته. ثم إن شعيبا بين أنه لا يطلب - على وجه الإلزام - مهرا لابنته سوى العمل لديه مدة ثمانى حجج، وأن المهر المستحق لها هو ما يساوى أجر عشر حجج، جعل لموسى أن يوفى بباقى المستحق بالعمل لديه مدة حجتين أخريين وألا يوفى به، فيكون ذلك بمثابة ما يعرف فى القانون بـ «الدين الطبيعى» للمدين ألا يوفى به، فإن أوفى به لا يكون له الحق فى استرداده. ثم إنه علل عدم اشتراطه الإلزام بالعمل لمدة عشر حجج بعدم رغبته أن يجعل الأمر شاقا على موسى عليه السلام.

ثم إنه كان من شعيب أنه قال لموسى «ستجدنى إن شاء الله من الصالحين»، وعد بأن يكون فى تنفيذه العقد من الصالحين الذين يلتزمون الوفاء بما التزموا به، وأن يكون سهلا لينا لا يشتد فى مواعيد الوفاء له ولا فى كيفية الوفاء له، وأرجع حصول ما وعد به إلى مشيئته تعالى

تبركا بالله وطلبا للمساعدة بأن يوافق عهده مشيئة ربه.

قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ ۖ أَيَّمَا الْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ ۖ وَاللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾

التفسير:

يذكر تعالى - في الآية - ما أجاب به موسى عليه السلام على عرض شعيب. وافق على الزواج من إحدى ابنتيه على الشروط التي اقترحها وجعل قول شعيب عقدا بينهما بمعنى أنه وقع الإيجاب وتم القبول فانعقد العقد.

ثم أريد تأكيد معنى الشرط الخاص بتحديد قيمة المهر بقوله ﴿أيما الأجلين قضيت فلا عدوان علي﴾ بمعنى أنه كما لا يعتبر معتديا على حق لشعيب إذا اكتفى بالعمل لديه إلى حلول الأجل الطويل فإنه لا يعد معتديا على حق له إذا اكتفى بالعمل لديه إلي حلول الأجل القصير.

والمعنى هو تساوي الأجلين في الأثر وهو الوفاء بالالتزام.

ثم إنه عليه السلام ذكر أنه قد وثق العهد بجعله الله تعالى شاهدا عليه حفيظا.

۞ فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَّعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٢٩﴾

التفســـــير:

المستفاد مـن عبارة الآية ـ بطـريق اللزوم العقلي ـــ هو أنه تـم تنفيذ العقد، فأدى مـوسى المهر بالعمـل في رعى أغنام شعيـب إلى غاية الأجـل المضروب ـ والمشهور أنـه عمل لمدة عشر حجج ـ وتزوج ابنة شعيب «صفورة».

ويذكر تعالـى ـ فى الآية ـ ما مفاده أن مـوسى عليه السلام أخذ زوجه ـ وقيـل أخذها وابنه منها واسمه «جـرشوم» ـ متجها إلـى مصر، قيل فى سبب ذلـك أنه أراد زيارة أمه و إخـوته وقد اعتقد لطول فترة غيابه خفاء أمره على عدوه. وخلال سيره فى الصحراء شاهد من الجهة التى تلي الطور نارا أو أنه أحسها، وقيل إنه عليه السـلام شاهد نورا لا يعرف كنهه فحسبه نارا أو أنه ناتج عن نـار. فكان منه عليه السلام أن طلب من أهلـه الإقامة فى محلهم ـ وقيـل إنهم كانوا زوجته وخادما وابنيه جرشوم واليعازر. فيكون موسى قد دخل بامرأته بعد تمام الاتفاق أو العقد ويكون باقى المهر مؤجلا ـ وعلل موسى ذهابـه فى اتجاه النار بأمل أن يهتدي بها إلى الطريق الموصـل إلى مصر أو أن يـأتى من النـار بعود تكون النـار فى رأسه يستـدفئون بها فـى ليلتهم المظلمة الباردة .

فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِي ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾

التفســـــير:

مفاد قوله تعالى ـ فى الآية ـ أن موسـى عليه السلام ترك أهله واتجه إلى مكان النار ويذكر النص أنه عندمـا وصل إليها أتاه نداء من جهـة جانبه الأيمن حيث الشاطـيء، وحيث كانت الشجرة نابتة علـى الشاطيء ومكانها هو مبـدأ بقعة الأرض المباركة من الله بأن تكثـر خيراتها ويخرج منهـا أنبياء ـــ وهى أرض الشام ـــ ومضمون النـداء هو «أن يا مـوسى إنـى أنا الله رب

العالمين» أعلمه تعالى أنه المتكلم وأنه وحده رب العالمين، فكان ذلك تلقينا له بالإسلام عقيدة التوحيد.

وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ ﴿٣١﴾

التفسير:

القول هو قوله تعالى مما خاطب به موسى عليه السلام، فقوله تعالى «وأن ألق عصاك» جاء معطوفا على قوله تعالى «أن يا موسى» ، وفي القول أمره تعالى أن يطرح عصاه على الأرض، والمستفاد من القول أن العصا اهتزت على الأرض وتحركت سريعة تجرى فيها ملتفة حول نفسها كما تفعل الحية الصغيرة، ولا ينافى هذا أن تكون قد تحولت إلى ثعبان ضخم يسرع في الحركة مثل صغار الحيات.

ويذكر تعالى أن موسى عليه السلام حين شاهد ذلك من عصاه ابتعد عنها موليها ظهره من الخوف دون أن يرجع إليها، فنودى باسمه وأمر من جهة ربه بعدم الخوف، مع بيان سبب ذلك وعلته وهو كونه من الآمنين، والمعنى أنه يكون رسولا، لقوله تعالى «فإنه لا يخاف لدى المرسلون».

اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَاضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٣٢﴾

التفســــير:

بعد أن أمر تعالى موسى عليه السلام بإلقاء العصا، فإنه تعالى أمره أن يضع يده في مدخل الرأس من قميصه ثم يخرجها فتكون بيضاء عن غير مرض، ثم إنه لما كان تعالى قد علم من موسى عليه السلام الخوف حين شاهد الآية الأولى، وعلم أنه يخاف من رؤية يده تخرج من جيبه بيضاء فإنه تعالى أمره بفعل شيء يذهب عنه الخوف وهو أن يضم إليه كل يد فيدخلها تحت عضد الأخرى أو تحت إبطه. ثم إنه تعالى أعلمه أن الآيتين برهانان منيـــران وحجتان قاطعتان على أنه رســول مؤيد من رب العالمين ـ وجـــاءت الإشـــارة إلى الآيتين بـ «ذنك» وهي لغة لقريش، أو إنهـا تثنية «ذا» المرفوع، وحذفت الألف لدخول ألف التثنية عليها ـ وأخبره ربه أنهما يكونان برهانين إلى فرعون وأشراف قومه، والمعنى أنه عليه السلام كلف برسالة يتوجه بها إلى فرعون وملئه الذين وصفهم تعالى بأنهم كانوا قوما فاسقين، بمعنى أنهم جاوزوا غاية حد الظلم والعدوان، فيكاد الوصف أن يكون إعلاما أنهم لا يؤمنـــون بالآيات.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ۝٣٣ وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي ۖ إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ۝٣٤﴾

التفســــير:

يذكر تعالى ـ في الآيتين ـ طلبين لموسى عليه السلام سأل الله فيهما بعد أن أمر بالتوجه إلى فرعون وقومه بالدعوة، طلب منه أن يحميه من فرعون وقومه فلا يقتلوه ـ وهو طلب بالعون المباشر من الله ـ فذكر أنه قتل من قوم فرعون رجلا وأنه يخشى أن يقتلوه به. فهو يطلب الحماية بذكر سبب طلبها. فليس صحيحا أنه استعفى ربه من الرسالة كما قيل، يدل على

هذا أنه طلب من الله أن يرسل معه هارون .

والطلب الثانى الذى سأل موسى فيه ربه هو من قبيل العون أيضا ولكن بطريق غير مباشر يكون عن طريق أخيه هارون الذى وصفه موسى بأنه أفصح منه لسانا، فيكون سبب الاستعانة به هو ما تعلق بصفته هذه، طلب من الله تعالى أن يرسله معه يكون ظهيرا له يساعده على أداء الرسالة بأن يشهد له أمام القوم، وبأن يشرح لهم بلسانه الطلق حججه وأدلته ليكون منهم تصديقه .

ثم إنه عليه السلام بين علة طلبه معاونته بأخيه الطلق اللسان، وهى خوفه من أن يعجز ـ بسبب عجز بيانه ـ عن إقناع القوم بحججه فيكون منهم تكذيبه .

﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ٣٥﴾

التفسير:

يذكر تعالى ـ فى الآية ـ ما مفاده أنه استجاب إلى طلب موسى عليه السلام أن يرسل معه أخاه هارون عونا له، فقوله تعالى «سنشد عضدك بأخيك» معناه أنه سيقويه به، لأنه كما أن اليد تشتد بقوة العضد فكذلك يتقوى موسى بأخيه، فيكون «شد العضد» كناية عن التقوية .

ثم إنه تعالى طمأنه إلى أنه جاعلا له ولأخيه تسلطا وغلبة على فرعون وقومه، فلا يملكون عليهم غلبة فى فعل ولا فى محاجة .

ثم كانت منه تعالى غاية الطمأنة ببيان أنه بواسطة آياته تعالى التى يؤيده ـ وأخاه بها يكونان ومن يتبعهما على الإيمان بما أرسلا به هم الغالبين، بمعنى أنهم ينتصرون على فرعون وقومه لدى صراع الأفكار بالمحاجة ، ولدى الاقتتال أو السعى إليه .

فَلَمَّا جَاءَهُم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾

التفســـــير:

المستفاد من القول هو أن موسى عليه السلام جاء فرعون وقومه ـ مصحوبا بأخيه هارون ـ مؤيدا بالآيات التي ذكر تعالى أنه تكون لهما بها الغلبة على فرعون وقومه، وهي آيتا العصا، واليد. وصفها تعالى بأنها بينات لأنها واضحة الدلالة على أنه رسول من رب العالمين.

ذكر تعالى أنه عندما جاء موسى فرعون وقومه مؤيدا بهذه الآيات العظيمة أنكروها أدلة على صدقه وطعنوا فيها فوصفوها بأنها سحر مختلق من عنده مصنوع، وزادوا على هذا قولهم إنهم لم يسمعوا بمثل هذا السحر كما لم يسمعوا بدعوة التوحيد التي جاء بها موسى فيما كان في زمان آبائهم الأولين. والقوم في هذا كاذبون، فقد كانوا حديثي عهد بزمان يوسف عليه السلام وقد دعا إلى توحيد الله، كما كان قبله في مصر إدريس عليه السلام الذي نادى بعقيدة التوحيد. إلا أن يكونوا قد قصدوا أن ذلك لم يكن في آبائهم من الهكسوس من نادى بهذه العقيدة فيكونون صادقين.

وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَن جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِ وَمَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ ۖ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٣٧﴾

التفســـــير:

يقول تعالى ـ في الآية ـ إن موسى عليه السلام لما سمع من فرعون وقومه ما أنكروا به دعوته وجحدوا آياته قال ـ في مواجهتهم ـ إن ربه الحق الذي أرسله يعلم أنه الذي جاء من

عند الله بما يهدى إلى الحق وإلى الجنة، وأنه والذين يتبعونه هم الذين تكون خاتمة أعمالهم فى الدار الدنيا خيرا بإيمانهم، تكون عاقبتها الجنة فى الآخرة، فقوله عليه السلام ﴿ربى أعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة الدار﴾ هو تقرير بأنه المقصود من القول دون مكذبيه.

وقوله عليه السلام ﴿إنه لا يفلح الظالمون﴾ هو بيان لعلة قوله وذكر لمآل المكذبين وهو أنهم لا يفلحون بسبب كفرهم وهو ظلم عظيم، فتفسد عاقبة دنياهم بالكفر، فيكون خسرانهم ثواب الآخرة، يكون لهم فيها العذاب وهو قمة الخسران المبين وعدم الفلاح .

وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾

التفسير:

مفاد قوله تعالى ـ فى الآية ـ هو أن فرعون اتجه إلى أشراف قومه بالخطاب لكسب قلوبهم؛ ولهذا فإنه لم ينكر صراحة وجود إلٰه غيره وإنما اكتفى بقوله إنه لم يعلم لهم إلٰها غيره، حتى إذا ما سعى للعلم ولم يتأكد له منه وجود إلٰه كان ذلك ـ فى نظرهم بمعتقده ـ دليلا على عدم وجود إلٰه للناس غيره .

أما تجربته من أجل تحصيل العلم فتتمثل فى الصعود إلى مكان عال ينظر منه إلى السماء ليرى إلٰه موسى الذى يدعو إليه، فإن لم يره ولم يعثر عليه كان هذا دليلا على عدم وجوده؛ ولهذا فإنه طلب من وزيره هامان أن يوقد على الطين ليجف ويصبح آجرا يقيم به بناء عاليا ظاهرا يصعد عليه باحثا بنظره عن إلٰه موسى فى السماء. ثم إنه أبدى رأيه سلفا وهو المعلوم من أنه لن يشاهد إلٰه موسى، ولهذا قال إنه يظن موسى من الكاذبين.

ويلاحظ فى قوله أنه اكتفى بذكر أنه يظن كذب موسى ولم يقطع بهذا، لكى يقنع سامعيه أنه يبحث عن الحقيقة خداعا لهم وغشا. وروى أنه فعل ذلك ورمى بنشابة نحو السماء فارتدت إليه ملطخة بالدماء فقال «قتلت إله موسى». وليس فى النص ما يشير إلى هذا.

وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾

التفسير:

يقول تعالى - وقوله الحق - إن فرعون استكبر هو وجنوده فى الأرض، تعالوا فى أرض مصر أو فيها وفيما لهم عليه سلطان من الأرض، واستكبار فرعون معروف لكونه فى نفسه الملك الإله، واستكبار جنوده كان لرفعة منزلتهم بين طوائف الشعب، وهذا الاستكبار وأسبابه كان دافعا لهم لنسيان الآخرة، فهو استكبار لا يستند إلى حق فما هم غير عبيد لله الذى له وحده الكبرياء والعظمة، إلا أنهم لترفهم وتمتعهم بالنعم نسوا أنهم يرجعون إليه تعالى للحساب فتمادوا فى الكبر والتعاظم الذى كان سببا لتكذيبهم موسى.

ثم إنه تعالى يذكر أنه يتكبر فرعون وجنوده أخذهم بالعذاب الدنيوى فألقى بهم فى البحر، والقول فيه تهكم باستكبارهم لما ينطوى عليه من تمثيلهم بحفنة من شىء يؤخذ فى الكف فيلقي به.

والمراد أنه تعالى ألقاهم فى البحر الذي دخلوه بإرادتهم - بحسب المآل - وهو إغراقهم. ثم إنه تعالى أمر رسوله ﷺ أن ينظر فى عاقبة أمر الظالمين ليبينها للناس للاتعاظ بها والاعتبار.

■■■■

وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾

التفسير:

قوله تعالى - في الآية - في فرعون وجنوده، يذكر تعالى أن فرعون بمحاولته طمس الحقيقة على قومه في شأن فرعون ومشايعة جنوده له، كانوا جميعا بمثابة الأئمة الذين يقودون الناس إلى الضلال الذى يؤدى بهم إلى عذاب النار، فهم في الدنيا دعاة إلى عذاب النار، وعاقبة أمرهم في الآخرة أنهم لا يجدون ناصرا يرفع عنهم عذابه تعالى أو يخففه عنهم.

وَأَتْبَعْنَٰهُمْ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾

التفسير:

قوله تعالى - في الآية - في فرعون وقومه، يذكر تعالى أنه بعد أن أغرقهم في اليم أتبع ذلك بأن جعلهم في الدنيا من الملعونين الذين تلعنهم الملائكة ويلعنهم المؤمنون، ثم ذكر تعالى أنهم يكونون يوم القيامة من المقبوحين وهم المهلكين بالعذاب أو الذين تبدو على وجوههم أمارات القبح الذى توعد به المجرمون المطرودون من رحمة الله .

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ
بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾

التفسير:

قوله تعالى - في الآية - هو ذكر للحقيقة قصد إظهار أمر معين يتعلق بالشريعة الإسلامية

التى جاء بها القرآن العظيم .

فقوله تعالى «ولقد آتينا موسى الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الأولى» ذكر حقيقة أنه تعالى آتى موسى عليه السلام التوراة من بعد إهلاكه الأقوام السابقة ومنهم قوم نوح عليه السلام. والمراد إظهاره هو أن الحاجة إلى وجود شريعة هى سبب نزول التوراة على موسى، وذلك لأن الشريعة التى سبقت شريعته هى هذه التى أنزلت على نوح عليه السلام، ثم إنها أنسيت، فضلا عن أن تطور المجتمعات استوجب أن تكون هناك شريعة يحكم بها فكان نزول التوراة.

فيكون المفهوم هو أن الحاجة اقتضت أن تكون هناك شريعة جديدة من بعد شريعة موسى، وهى الشريعة التى ورد بها القرآن العظيم المنزل منه تعالى.

ثم إننا نرى ـ والله أعلم ـ أنه يدخل فى القرون الأولى المهلكة قوم فرعون وذلك لأن التوراة لم تنزل على موسى عليه السلام إلا بعد هلاكهم بالغرق.

ولأن الشريعة التى كانت قد أنزلت على إدريس عليه السلام فى مصر كانت قد أنسيت، فلم يتوافر العلم بها لبنى إسرائيل أثناء وجودهم فى مصر.

ثم إنه تعالى وصف كتاب موسى بأنه بصائر للناس وهدى ورحمة، بمعنى أنه أنوار للقلوب تبصر به الحقيقة.

وذلك لتضمن التوراة ـ على ما سبق بيانه ـ التبشير ببعثة رسول الله ﷺ وإنزال القرآن العظيم عليه، وأنه يكون هاديا إلى الإيمان بالقرآن ولرسول الله ﷺ ، جاء التعبير عنه بأنه «الهدى» ذاته من قبيل المبالغة، ثم إنه بهذا الإيمان يكون موجبا لرحمته تعالى تشمل من اهتدى فآمن .

وجاء قوله تعالى «لعلهم يتذكرون» مفيدا ـ فى رأينا ـ أن أهل التوراة قد يتذكرون ما ورد فيها صريحا فى التبشير برسول الله ﷺ فيكون منهم الإيمان فيكونوا من الذاكرين .



﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٤٤﴾﴾

أولا : الأسـماء :

١ ـ الغربى : المراد به ـ فى معنى الآية ـ الجانب الغربى من الجبل الذى وقع فيه ميقات موسى والذى أعطى الله تعالى فيه موسى التوراة .

٢ ـ الشاهدون : فى قوله تعالى ـ ﴿وما كنت من الشاهدين﴾ قيل إن المراد بهم ـ فى معنى الآية ـ هم السبعون نقيبا من بنى إسرائيل المختارون للميقات، أو الشاهدون على الوحى إلى موسى.

ثانيا : التفسـير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ فى إثبات أن القرآن العظيم كتاب الله أنزل على محمد ﷺ، ولبيان أن الوقت قد آن لنزول شريعة توافق أحوال البلاد والعباد. والخطاب فى الآية إلى رسول الله ﷺ، والمراد هو أن يفهم مضمون القول ومؤداه جميع الناس. يقول له ربه إنه لم يكن موجودا عند تكليم الله موسى، وحين أنزل التوراة عليه مكتوبة فى الألواح فى الجانب الغربى من الجبل الذى وقع عنده الحدث، كما أنه لم يشهده ولم يكن واحدا من الذين اختيروا من بنى إسرائيل للميقات. والمعنى أنه لم يتيسر له العلم بالأحداث التى وقعت والتى أخبر بها بطريق المعاينة، فلم يبق إلا أن يكون قد علم بها من ربه بطريق الوحى، فيكون القرآن الذى أخبر بالقصة والخبر هو كلام الله الذى أنزل إليه بطريق الوحى .

﴿وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٤٥﴾﴾

أولا: الأسـماء :

الثاوى : فى قوله تعالى «وما كنت ثاويا» هو المقيم .

ثانيا : التفسـير:

قوله تعالى - فـى الآية - فى بيان العلة التى استوجبت نزول القـرآن العظيم بشريعة جديدة وفى إثبات أن القرآن العظيم منزل منه تعالى.

فهو تعالى يـذكر أنه أنشأ أقواما كثيرين فـى الفترة ما بين زمان موسى عليـه السلام، وزمانه ﷺ، كما أن الزمان امتد وطال وبعد. والمعنى هو أن شريعـة موسى لم تعد صالحة للناس فى زمانهـم المعاصر، لأنهـا أحكام تتعلـق بمعاملات تتغير بطبيعتها إلى أن تصـل إلى مـرحلة الاستقرار، ولهذا لزم أن تكـون هناك شريعة جديدة. كـذلك فإن بُعد الزمان عـن الأحداث مع وقوع التحـريف فى التوراة جعـل حقيقة قصص القرون الأولـى وقصص الأنبياء مع أقـوامهم يبتعد عـن الحقيقة التى يكون منهـا استخلاص العبرة؛ ولهـذا لزم أن يأتـى تنزيل منه تعـالى بالقصص الصحيح.

ثم إنه تعالـى غاد - فى النص - إلـى التدليل على أن ما تلاه ﷺ مـن قصص الأنبياء على الناس هو كلامه تعالـى المنزل بالوحى. فقال تعالى - مخاطبا رسولـه ﷺ - أنه لم يكن مقيما مع شعيـب والذين آمنوا معـه فى مدين يحفظـونه القصص ويتلـوه عليهم ليتأكد لـه حفظه، بمعنى أنه يتلـوه تلاوة التلميذ على معلمه. فيكـون المعنى أنه ﷺ لـم يعرف الخبـر إلا بطريق الوحى منه تعالى ؛ ولهذا فإنه تعالى أكد صـراحة أنه الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق، وأنه الذى أخبره بالأحداث بطريق الوحى .

﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾﴾

التفسـيـر:

قوله تعالى - فى الآية - فى تأكيد صفته ﷺ رسولا من الله يوحى إليه . والخطاب - فى الآية - إلى رسول الله ﷺ يقول له ربه - ليعلم الناس وليفهموا - أنه لم يكن موجودا بجانب الطور وقت ندائه تعالى موسى « إنى أنا الله رب العالمين » عندما جعله نبيا وأرسله إلى فرعون وقومه، فيكون المعنى أنه علم بذلك وأخبر به بما أوحى إليه من ربه .

وقد أكد تعالى أن علمه ﷺ بما أخبر به إنما كان بالقرآن العظيم الذى هو رحمة له ﷺ وللناس ، ومن مظاهر أنه رحمة بالناس أنه ﷺ ينذرهم به فيكون ذلك داعيا للإيمان تغفر به الذنوب ويكون الثواب رحمة منه تعالى ، وهو ﷺ ينذر به قومه الذين لم يأتهم قبله نذير بكتاب ، فإن كان إسماعيل عليه السلام قد دعا بدعوة أبيه إبراهيم فى جرهم ، فإنه لم يكن له كتاب ينذر به .

ثم إنه تعالى بين أن المراد بالإنذار بالقرآن هو أن يتذكر الناس آياته تعالى ونعمه فيكون منهم الإيمان والشكر وتكون لهم الرحمة .

وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾

أولا : الأسـماء :

المصيبة : فى قوله تعالى « ولولا أن تصيبهم مصيبة » هى العقوبة والنقمة ، أو العذاب الدنيوى .

ثانيا : التفسـير:

معنى قوله تعالى « ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم » هو « ولولا أن تصيبهم

مصيبة بما قرفوا من الكفر والمعاصي لما أرسلناك » فتكون « لولا » امتناعية وجوابها محذوف .

وقوله تعالى « فيقولوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين » جاءت فيه « لولا » تحضيضية ، فيكون معنى القول ـ مقروءا مع سابقه ـ هو « لولا قولهم إذا عوقبوا بما قرفت أيديهم هلا أرسلت إلينا رسولا فنتبعه ونكون من المؤمنين ، لما أرسلناك إليهم » فيكون المعنى المراد إظهاره هو أنه تعالى أرسل رسوله ﷺ ليقطع عليهم أعذارهم ، وأنه لولا العقوبة تنزل بهم لما صدر من كفار مكة القول ، فهم يقولونه من أثر العقاب وليس ندما على ما فاتهم من عدم الإيمان .

فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ ۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ قَالُوا۟ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓا۟ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾

أولا : الأسماء والأعلام :

السحران : في قوله تعالى « قالوا سحران تظاهرا » المراد بهما موسى عليه السلام ، ومحمد ﷺ ، وصفهما كفار مكة بأنهما ساحران ، أو بأن كتابيهما من قبيل السحر .

ثانيا : التفسير :

قوله تعالى ـ في الآية ـ في كفار مكة ، والقول هو في بيان عنادهم وإصرارهم على الكفر واختلاقهم المعاذير للبقاء عليه . فيقول تعالى إنه عندما جاءهم الحق من عنده تعالى ـ وهو القرآن العظيم ـ لم يرضهم أنه نزل منجما وقالوا : هلا أنزل عليه جملة واحدة كما أنزلت التوراة على موسى .

ثم إنهم لما أبدوا سبب عدم إيمانهم بالقرآن وهو كونه لم ينزل جملة واحدة مثل التوراة فإنه تعالى أثبت عدم صدقهم فيما ادعوه سببا لذلك ، وهو أنهم لم يؤمنوا بتوراة موسى التى أنزلت عليه جملة واحدة من قبل نزول القرآن ، فجاء الاستفهام لتقرير كذب دعواهم.

ثم إنه تعالى ذكر قول كفار مكة الذى أعقب سؤالهم عن رسول الله ﷺ أحبار اليهود فأخبروهم أنهم يجدون فى كتاب موسى رسولا يبعث فى مكة وذكروا لهم أوصافه التى هى أوصاف رسول الله ﷺ ، فقال كفار مكة إن كلا منهما هو ساحر يشهد للآخر ، فموسى يشهد فى كتابه لمحمد ﷺ ، ومحمد ﷺ يشهد بنبوة موسى عليه السلام ، فيكون كل منهما قد ظاهر الآخر وأيده . ثم كان تصريحهم بأنهم كافرون بكتاب كل منهما . فيكون القول دليلا على إصرارهم على الكفر.

قُلْ فَأْتُوا بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٩﴾

التفسير:

لما كان من كفار مكة أنهم نعتوا توراة موسى عليه السلام وقرآن محمد ﷺ بأنهما من السحر ، فإنه تعالى أمر رسوله ﷺ أن يطلب منهم أن يأتوا بكتاب يكون أهدى منهما إلى الحق، وأن يخبرهم أنهم إذا أتوا به فإنه يكون منه اتباعه ، ثم جعل إتيانهم بهذا الكتاب هو الدليل على صدقهم ، ولما كان المطلوب منهم هو من قبيل المحال فإنه يكون ﷺ قد أقام الدليل على كذبهم فيما ادعوه سببا لعدم إيمانهم ، وكذبهم فيما وصفوا به الكتابين ، ويكون طلب الإتيان بكتاب أهدى من الكتابين هو من قبيل التهكم بهم والسخرية منهم .

فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ
فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى
مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾

التفسـير:

الخطاب ـ في الآية ـ إلى رسول الله ﷺ، والمستخلص منه هو لعلم الكافة . فهو تعالى يقول لرسوله ﷺ أنه إذا لم يستجب الكافرون لما طلبته منهم من الإتيان بكتاب يكون أهدى من التوراة ومن القرآن ، أو إذا لم يستجيبوا لما دعوتهم إليه من إيمان فاعلم أنهم لا يتبعون فكرا ولا رأيا ، وإنما يتبعون أهواءهم وما تريده أنفسهم الزائغة عن الحق.

ثم إنه تعالى أثبت في حقهم أنهم أضل الضالين ، إذ جاء الاستفهام في قوله تعالى «ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله» لتقرير ذلك مع بيان أن في اتباعهم هواهم مجانبة لهدى الله تعالى.

ثم إنه تعالى أثبت أن بقاءهم في الضلال هو نفاذ لحكمه تعالى ألا يهدي من ظلم نفسه باتباع الهوى والإعراض عن آياته تعالى ، واختياره الكفر.

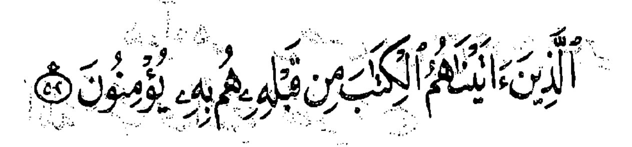
وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾

أولا : الأسـماء :

القول : المراد به ـ في معنى الآية ـ هو القرآن العظيم.

ثانيا : التفسـير:

قوله تعالى ـ في الآية ـ في أهل مكة ، يقول تعالى إنه أنزل القرآن منجما بعضه في إثر بعض ليتصل اللاحق بالسابق ، أو إنه تعالى أنزل فيه الوعد والوعيد ، والقصص ، والمواعظ ، والأحكام ليكون بجماع ذلك واتصال بعضه ببعض متوحدا في كيان واحد ، لعله يكون منهم معرفة الحق والإيمان به .



أولا : الأسـماء والأعلام :

الذين آتيناهم الكتاب : قيل إن المراد بهم ـ فى معنى الآية ـ هم مؤمنوا أهل الكتاب عموما ، وقيل هم أبو رفاعة وعشرة من اليهود آمنوا فأوذوا ، وقيل هم أربعون من النصارى جاء منهم اثنان وثلاثون من الحبشة مع جعفر بن أبى طالب ، وجاء ثمانية من الشام هم : بحيرا ، وأبرهة ، وأشرف ، وعامر ، وأيمن ، و إدريس ، ونافع ، وتميم . وقيل هم : ابن سلام ، وتميم الدارى ، والجارود العبدى ، وسلمان الفارسى .

ثانيا : التفسـير:

بعد أن بين تعالى إصرار كفار مكة على الكفر فإنه تعالى بين ـ فى الآية ـ الفرق بينهم وبين أهل الكتاب الذين استظهروا الحق فى كتبهم التى أوتوها من قبل أن ينزل القرآن ، فذكر تعالى أنهم يؤمنون بالقرآن العظيم أو برسوله ﷺ .

وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾

التفسـير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ فى مؤمني أهل الكتاب ، يقول تعالى إنه إذا ما تلى عليهم القرآن العظيم قالوا بألسنتهم ما انطوت عليه قلوبهم وهو أنهم آمنوا به كتابا منزلا من الله تعالى بالحق ، وأنه الحق المنزل من ربهم الذى عرفوا نبأه من قبل أن يأتيهم ويتلى عليهم .

كما يكون منهم القول أنهم كانوا من قبل نزوله عليهم وتلاوته مسلمين . والمعنى أنهم كانوا على عقيدة التوحيد التى دعا إليها جميع الرسل ـ وهى الإسلام بالمعنى العام كما سبق أن ذكرنا ـ ، وأنهم كانوا مؤمنين بما ورد فى كتبهم من تبشير برسول الله ﷺ والقرآن العظيم فكانوا بهما مؤمنين معدودين من المسلمين.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ٥٤﴾

التفسير:

يشير تعالى إلى مؤمنى أهل الكتاب ويخبر عنهم أنهم يؤتون أجورهم ثوابا من عنده تعالى مرتين ، إحداهما جزاء لإيمانهم بكتبهم ، والأخرى لإيمانهم بالقرآن ،. وذلك لصبرهم على الإيمان وثباتهم عليه ومنه الإيمان بالقرآن من قبل أن ينزل وأن يتلى عليهم . وقيل لصبرهم على ما أوذوا به بسبب إيمانهم .

ثم يذكر تعالى أن من صفاتهم أنهم يدفعون بالطاعة المعصية ، أو أنهم يتبعون المعصية بالحسنة فتمحوها ، وأنهم ينفقون مما رزقهم الله فى سبيله .

﴿وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغْوَ أَعْرَضُواْ عَنْهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ ٥٥﴾

التفسير:

قوله تعالى - فى الآية - لايزال فى وصف مؤمنى أهل الكتاب ، يذكر تعالى من أفعالهم ما يفيد ارتفاعهم بأنفسهم فوق الصغائر ، فهم إذا سمعوا سقط القول ، والسب والأذى لم يولوه اهتماما وإنما يبتعدون عنه قائلين للاغين ما يفيد عدم اهتمامهم بهم بذكرهم أن كلا منهم يسأل عما يعمل « لنا أعمالنا ولكم أعمالكم » ثم يكون منهم التسليم عليهم تسليم الوداع وليس التحية ، معلنينهم بمفارقتهم ، معللين ذلك بأنهم لا يطلبون صحبة الجاهلين ولا يريدونها ، والمعنى أنهم يصفونهم بأنهمم الجاهلون الذين لاتطلب صحبتهم.

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾

التفسـير:

الخطاب - فى الآية - إلى رسول الله ﷺ جاء من بعد أن ذكر تعالى قول كفار مكة الذى قالوه لتبرير كفرهم بالقرآن العظيم ومنهم من كان يحبه رسول الله ﷺ ويرجو إيمانه ، فجاء قوله تعالى معرفا رسوله ﷺ أنه غير هاد إلى الإيمان الذى يكون به نيل المراد من أحبه من قومه أو من غيرهم، أو من أحب أن يهديه الله إلى الإيمان ، ثم أثبت تعالى أنه الذى يهدى من يشاء إلى الإسلام ، ثم أخبر تعالى أنه إنما يهدى من علم منذ الأزل أنه يؤمن أو أن لديه الاستعداد للإيمان ، وقيل إن الآية نزلت فى أبى طالب عم رسول الله ﷺ.

﴿وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا ۚ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾

التفسـير:

يذكر تعالى - فى الآية - قول بعض كفار مكة الذى قالوه فى تبرير عدم إيمانهم ، قيل إن قائل القول هو الحارث بن عثمان بن نوفل بن عبدمناف .

ومعنى قول القائلين هو أنهم يريدون الإيمان لعلمهم أن ما يدعو إليه رسول الله ﷺ هو الحق ، إلا أن الذى يردهم عن الإيمان هو خوفهم من أن يعتدى عليهم فيؤخذون من أرضهم للاعتداء عليهم خلسة أو بطريق الانتزاع .

ويرد تعالى على هؤلاء قولهم بإثبات أنه ليس هناك ما يخشونه ، وذلك لأنهم يحيون قريبين من المسجد الحرام الذى يأمن كل من دخله واستقر فى رحابه من الاعتداء عليه ، وهو

ما كان عليه العرب من قبل بعثته ﷺ ، ثم إنه يرد إلى هذا الحرم جموع الحجيج بخيرات يطعمها المستأمنون في الحرم، ولما كان هؤلاء يأتون من جميع الأنحاء ، فإن ثمرات الرزق التي تأتي إليه وتجمع فيه تكون متنوعة حتى لكأنها جمعت جميع أشكال الرزق وصوره وهي رزق منه تعالى .

ثم إنه لما كان هذا هو حال الكافر الذي يأوي إلى المسجد الحرام محتميا بحرمته ، لا يخشى اعتداء عليه ولا جوعا أفيكون حاله إذا آمن وأسلم أنه يخشى هذا . فالاستفهام في قوله تعالى «أولم نمكن لهم » هو لإثبات أنه تعالى مكن لهم وسيلة الأمن على أنفسهم وإنكار ما يزعمون من أن الخوف هو دافعهم إلى عدم الإيمان .

وجاء قوله تعالى « ولكن أكثرهم لا يعلمون » لإثبات أن أكثر الخائفين لا يعلمون أنه لا خوف إلا من الله تعالى ، وأنهم لو علموا الحق لما كان منهم الخوف على أنفسهم ، فيكون القول ذما لهؤلاء الخائفين .

وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴿٥٨﴾

التفسير:

قوله تعالى في تخويف كفار مكة من إصرارهم على الكفر مع إنعامه تعالى عليهم بالنعم بما كان يستوجب منهم الإيمان بالله وشكره وذلك بضرب المثال لهم بالمهلكين من الأمم الذين ماثلوهم في أفعالهم .

فقوله تعالى « وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها » هو تقرير لواقع أنه تعالى أهلك

الكثيرين من أهل القرى الذين أنعم عليهم بالنعم فكان عيشهم رغدا ثم كان منهم البطر والاغترار، فبدلا من أداء حق النعم من الشكر كان منهم الكفر بالله وكفران نعمه ، فكان منه تعالى أنه أهلكهم.

ثم إنه تعالى يدلل على هذا بما يعرفه كفار مكة من حال مساكنهم التي عمروها من قبل مثل « الحِجر » قرية ثمود ، يشير إليها تعالى ويخبر عن حالها بأنها لم تسكن من بعد هلاك أهلها إلا قليلا ، قد تكون القلة متعلقة بعدد ساكنيها فهم قليلون ، وقد تكون متعلقة بأوقات سكانها ، فهى لا تسكن إلا لفترات قصيرة من المسافرين المارين بها .

ثم يقول تعالى «وكنا نحن الوارثين » بمعنى أنه لم يخلف المهلكين على ديارهم أحد ، فهى فى ملك الله لم توضع فى يد أحد ، أو بمعنى أنها خربت وسويت بالأرض فعادت إلى أصلها الأول أرض الله فى ملك الله .

وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَٰلِمُونَ ﴿٥٩﴾

التفسـير:

قوله تعالى - فى الآية - فى بيان حكمه الذى جرت به سنته في إهلاك أهل القرى ، فهو تعالى يقرر أنه لا يهلك القرى أو المدن إلا من بعد أن يبعث فى الكبيرة منها - المعتبرة مثل العواصم - رسولا يتلو عليهم آيات الله ويدعوهم إلى الإيمان ، وذلك كيلا يقولوا « لولا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك » ، وإرساله تعالى الرسول فى أم القرى يفيد العلم برسالته فيها وفيما تبعها من القرى أو قرب منها ، فتكون الحجة قد قامت عليهم أجمعين .

وقوله تعالى « وما كنا مهلكى القرى إلا وأهلها ظالمون » مكمل القول السابق ، فمفاده أنه تعالى لا يهلك القرى إلا من بعد أن يعلم أهلها بما أرسل به الرسل فينكرونه ويصروا على

الكفر ظالمي أنفسهم ، فيكون هلاكهم حال كونهم ظالمين .

وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾

التفســـــير:

الخطاب - في الآية - إلى جميع المكلفين ، أو إلى الكافرين على وجه الخصوص الذين اغتروا بما ملكوا من الأموال ومن أسباب التنعم يعلمهم تعالى أن جميع ما أتوه من أسباب القوة ومن النعم لا يعدو كونه من متع الحياة الدنيا ومما يتزين به فيها ، ثم إنه تعالى بين مدى حقارة متع الحياة الدنيا بالقياس إلى ما يجزى به المؤمنين الطائعين ، فقال واصفا ما أعده من ثواب للمؤمنين بأنه خير وأبقى ، بمعنى أنه خير في ذاته من حيث النوع يفضل متع الحياة الدنيا ، وأنه أبقى بمعنى أنه دائم لا يزول ، في حين تزول متع الحياة الدنيا بموت المتمتع بها إن لم تزل عنه قبل ذلك .

ثم إنه تعالى ينكر على الكافرين أنهم لا يعقلون هذه الحقيقة وأنهم لا يؤمنون بقوله تعالى «أفلا تعقلون» .

أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾

أولا : الأســماء والأعلام :

المحضرون : في قوله تعالى « ثم هو يوم القيامة من المحضرين » المراد بهم - في معنى الآية - هم الذين يحضرون يوم القيامة من أجل العذاب ، وقيل إن المقصود باللفظ في الآية

هو أبو جهل ، وقيل هو الوليد بن المغيرة .

ثانيا : التفسـير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ فى المقارنة بين أهل الآخرة وأهل الدنيا ، ينفى المساواة بينهما فى الحال وفى المآل ، وصف تعالى أهل الآخرة بأنهم الذين وعدهم الله وعدا حسنا يلقونه ، والمعنى أنه تعالى وعدهم الجنة والمغفرة بإذنه وأنهم يلقون ما وعدهم ربهم حقا، فيكون لهم فى وعد الله الذى يثقون به اطمئنان النفس والرضا فى الحياة الدنيا ، ويكون لهم فى الآخرة النعيم الذى لامثيل له ، دائما لا يزول ، ووصف تعالى أهل الدنيا بأنهم الذين متعهم فى دنياهم بمتع الحياة الدنيا ، وهو متاع مشوب بالتعب والنصب فى سبيل الحصول عليه ، ويفسده على أصحابه خوفهم من زواله ، ومآلهم فى الآخرة أنهم يحضرون من أجل العذاب فى النار التى يلقون فيها .

وورود النص فى صيغة الاستفهام الإنكارى هو لإثبات عدم تساوى الفريقين فى الدنيا والآخرة ، وقيل إن المقصود فى النص بقوله تعالى « أفمن وعدناه وعدا حسنا فهو لاقيه» هو على بن أبى طالب كرم الله وجهه .

وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾

أولا : الأسـماء :

الذين حق عليهم القول : هم الذين ثبت فيهم قوله تعالى « لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين » وهم الشياطين الذين يوسوسون للكافرين المشركين بعبادة غير الله من الملائكة والأنبياء وغير ذلك من النجوم والكواكب والأصنام ، وهم الكبراء والعظماء الذين

يزينون للضعفاء طاعتهم من دون الله فيكون فى ذلك الإشراك بهم من دونه تعالى .

ثانيا : التفســـــير:

يذكر تعالى فى مبتدأ القول بيوم القيامة يذكر تعالى أنه فيه ينادى المشــركين ويسألهم عن معبـــوداتهم التى عبدوا من دون الله أين هـى ، للتدليـــل على عدم وجـودهم ليشفعوا لهم .

فيكون القول لإثبات كذب ما زعموه فى الحياة الدنيا أنهم آلهة أو أنهم يشفعون لهم عند الله تعالى .

ثم إنه تعالى يثبت أن الذين زينوا للمشركين شركهم من شياطين الجن والإنس ممن حق فيهم قـوله تعـالى أن يمـلأ بهم ومنهـم جهنم يقـولون لـربهم فـى حضور المشـركين الـذين أطاعوهم ــ مشيرين إليهم ـ إنهم الذين كـانت منهم الغواية لهم ، ثم يفصـل شياطين الجن والإنس قولهم ببيان أنهم قاموا بإغواء تابعيهـم بطريق التسويل والوسوسة وليس بسبيل القهر والإلزام ، على ذات النحو الذى وقعت به غوايتهم .

فيكون القول مفيـدا وقوع الغى والضلال بـإرادة التابعين، ولهذا جـاء قول المغوين ــ بعد هذا ـ « تبـرأنا إليك ما كانوا إيـانا يعبدون» تبرأوا إلى الله مـن أتباعهم الذين أطاعـوهم ومن أفعال شركهم وكفرهم وعصيانهم .

ثم دافعـوا عن أنفسهم بـأن أرجعوا سبب الغوايـة إلى أشخاص التـابعين ببيان أنهـم لم يكفـروا ويعصوا لسبـب يتعلق بهـم وإنما لأنهـم ـ أى الأتبـاع ــ كانـوا يفعلـون مـا يوافـق أهواءهـم .

وَقِيلَ ٱدۡعُواْ شُرَكَآءَكُمۡ فَدَعَوۡهُمۡ فَلَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُمۡ وَرَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَۚ لَوۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ يَهۡتَدُونَ ﴿٦٤﴾

التفســـــير:

قوله ـ فى الآية ـ فيما يكون مع المشركين يوم القيامة ، يذكر تعالى أنه يقال لهم « ادعوا شركاءكم » بمعنى أنه يطلب منهم تقريعا لهم وتهكما بهم أن يدعوا الذين عبدوا من دون الله والذين زينوا لهم الشرك ليرفعوا عنهم العذاب كما كانوا يعتقدون في دنياهم ، ثم يذكر تعالى أنه يكون من المشركين أنهم يدعون ـ من فرط ذهولهم ـ معبوداتهم وشياطينهم ، فلا يكون من هؤلاء الإجابة ، وذلك لأنهم أعجز من أن يدافعوا عن أنفسهم شيئا من العذاب.

ثم إنه تعالى يذكر أن الداعين والمدعوين يرون العذاب الذى أعد لهم ، والمعنى أنهم يعرفون ما كانوا عليه من ضلال برؤية الجزاء عليه .

وقوله تعالى ـ فى ختام الآية ـ « لو أنهم كانوا يهتدون » يفيد أمرين : أولهما أنهم لم يهتدوا إلى الحق فى دنياهم كما لم يهتدوا إلى ما يدفعون به العذاب عن أنفسهم يوم القيامة لكونه محالا ، والثانى هو أنهم لو كانوا قد اهتدوا إلى الحق فى دنياهم لما كان لهم العذاب الذى لا ينجون منه فى الآخرة.

وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾
فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿٦٦﴾

أولا : الأســـماء :

الأنباء : المراد بها ـــ فى معنى الآية ـــ هو الإجابة التى أجابوا بها الرسل، أو الحجج التى يدلون بها فى الموقف

ثانيا : التفســـير:

بعد أن ذكر تعالى أنه يسأل المشركين عن شركهم بطلبه منهم أن يستدعوا شركاءهم، فإنه

تعالى يخبر- فى الآية - أنه لتقرير ضلال المشركين بكفرهم رسلهم يسألهم عما أجابوا به دعوة رسلهم. ثم يصف تعالى عجزهم عن الإجابة على السؤال وعن إبداء حجة تبرر كفرهم رسلهم بقوله « فعميت عليهم الأنباء» والقول قمة البلاغة فى التعبير عن العجز، جعل الأنباء بمثابة النور الذى يهتدى به، ثم وصف الأنباء أو النور بأنه أصابه العمى فلم يهتد إلى من يهتدى به، ليكون حال هذا أشد وأجسم في العمى. وهذا هو حال الكافرين حين يسألون عما أجابوا به رسلهم يوم القيامة .

ثم يذكر تعالى أنه لفرط عماهم لا يسأل بعضهم بعضا عما تكون به الإجابة على السؤال، مما قد يكون سببه فرط ذهولهم، أو يكون علمهم أنهم فى الحيرة وعدم القدرة على الإجابة سواء.

فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ﴿٦٧﴾

التفسير:

بعد أن ذكر تعالى مصير الأتباع الذين اتبعوا شياطين الجن والإنس الذين زينوا لهم الشرك، وما يكون عليه حالهم فإنه تعالى فتح باب التوبة أمام هؤلاء فى الدنيا فبين أن من يتوب منهم عن الشرك، ويقرن ذلك بعمل الصالحات بمعنى أنه يعمل بالطاعات ويتجنب المعاصى، فإنه يكون من المفلحين، بمعنى أنه يخرج من عداد المتوعدين بالعذاب وبما ذكر آنفا فى الآيات، ويدخل فى عداد الفائزين بالجنة وبحسن الثواب .

وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾

أولا : الأســــماء :

الخيرة : هي الاختيار، أو التخير.

ثانيا : التفسير:

أثبت تعالى في مبتدأ الآية أنه الخالق ما يشاء على النحو الذى يشاء ، بمعنى أنه تعالى هو صاحب المشيئة الحقة ، ولهذا جاء قوله تعالى فى المشركين والكافرين مثبتا أنه ليس لهم الاختيار فيما يكون منه تعالى .

فبين القول أنه ليس لهم اختيار من يشفعون لهم عنده تعالى وذلك بالتجائهم إلى الأصنام لتشفع لهم، فهو تعالى الذى اختار الشفعاء الذين ينتفع بشفاعتهم ، كذلك فإنه ليس لهم اختيار من الذى يصطفيه تعالى بالرسالة وذلك لأنهم قالوا « لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم » وقد اختار الله رسوله ﷺ ليكون نبيا رسولا ، كذلك فإنه لم يكن لليهود اختيار المَلك الذى ينزل بالقرآن على رسول الله ﷺ حين قالوا «لو كان الرسول إلى محمد غير جبريل لآمنا به فهو تعالى الذى يختار رسله من الملائكة ومن الناس. ثم إنه ليس للناس أن يختاروا أقدارهم بقولهم «لم فعل الله هذا ؟ أو لم لم يفعل الله هذا » .

ثم يجيء قوله تعالى ـ في ختام الآية ـ « سبحان الله وتعالى عما يشركون » تنزيها لذاته تعالى وتمجيدا وإعلاء عن إشراكهم ، وعما يكون من اعتراض على حكمه

وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾

التفسير

لما كان منه تعالى أن أظهر ما يبديه المشركون والكافرون من أسباب زائفة تبرر إعراضهم عن الإيمان لرسول الله ﷺ : فإنه تعالى بين فى الآية أنه يعلم حقيقة ما تكنه صدورهم من عداوة له ﷺ ، كما يعلم أفعالهم الشنيعة معه وأقوالهم فيه .

فيكون القول مشيرا إلى تعذيبهم بهذا .

وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾

التفسير

قوله تعالى ـ فى الآية ـ مرتبط بقوله تعالى « وربك يخلق ما يشاء ويختار » ثم إنه يدل على أن ما يشاءه تعالى ويختاره تكون فيه مصلحة العباد . والقول ـ فى الآية ـ بدأ بالتوحيد وإثبات انفراده تعالى بالألوهية ، ثم أثبت أنه وحده المستحق الحمد فى الدنيا والآخرة ، فهو المنعم على المؤمن والكافر فى الدنيا بالنعم الدنيوية ، وهو المجازى الكافر بالعدل والمؤمن بالرحمة فى الآخرة بما يستحق أن يحمد عليه .

ثم إنه تعالى بين عدم مناسبة الاعتراض على قضائه تعالى وحكمه فى الأمور للحق ، بذكره أن له وحده الحكم والقضاء ، ثم ذكر تعالى أن الجميع يرجعون إليه للحساب ، فدل على أنه يعاقب المعترض على قضائه وحكمه ، وأنه يثيب من يرضى ويحمد الله تعالى فى كل حال . فهو تعالى يختار ما فيه مصالح العباد وإن عزت حكمته على البعض فلم يفهمها.



أولا : الأسماء :

السرمد : هو الدائم المتتابع فى تلاحق يجعله دائما بغير انقطاع .

ثانيا التفسير:

بعد أن ذكر تعالى أنه المستحق وحده أن يحمد على نعمه فإنه تعالى أورد فى الآية نعمة من نعمه على الخلق جميعهم وهى تعاقب الليل والنهار وعدم جعله الليل دائما إلى يوم

القيامة.

والخطاب - في الآية - إلى رسول الله ﷺ ، يأمره ربه أن يسأل الكافرين عن الإله الذى يأتيهم بضياء أو بمصدر للضوء إذا قدر تعالى أن يذهب عمل الشمس فاختفى الضوء وبقى ظلام الليل مستمرا دائما إلى يوم القيامة .

وقد قيل في كيفية ذهابه أنه يكون بإسكان الشمس تحت الأرض - وهو قول غير علمى - لكنه يكون - على المعلوم لنا - ببلوغها الشيخوخة ، يبدأ الأمر بانكماشها وارتفاع كثافتها ، يكون بعدها انفجارها ، وقد لا يحدث هذا ولكن تتحول إلى مرحلة تعرف باسم « القزم الأبيض » أو « القزم الأزرق » تنكمش فيها على نفسها وتبدأ في مرحلة تبريد طويلة وبطيئة ، تبرد بعدها نهائيا وتموت وتصبح مجرد جرم بارد في السماء .

ثم إن القول يثبت أهمية ضوء الشمس للمخلوقات وحياتها ، وهذا معلوم بعضه من عملية التمثيل الضوئى ، ثم إنه يثبت قدرته تعالى على فعل هذا سواء على ما هو معلوم لنا أو بطريق غيره ، كما يثبت عدم قدرة غيره تعالى عليه وعدم القدرة على الإتيان بضياء إن شاء الله تعالى أن يذهب بالشمس والضوء ؛ ولهذا كان سؤال رسول الله ﷺ الكافرين عمن فى قدرته أن يأتيهم بضياء إذا قدر تعالى أن يكون الليل دائما إلى يوم القيامة.

ثم إنه لما كان المتيقن منه هو أن الكافرين لن يجيبوا على السؤال بذكر إله يفعل ذلك ، فقد أمر تعالى رسوله ﷺ أن يقول لهم « أفلا تسمعون » والذى نراه هو تعلق السؤال بآيات القرآن العظيم المتلوة عليهم لأن فهمها وتدبرها من شأنه أن يبث الإيمان في النفوس بوحدانية الله وقدرته فيكون الإيمان الصحيح ؛ ولهذا جاءت عبارة القول استفهاميا إنكاريا ينكر على الكافرين عدم الفهم والتدبر والعلم.

قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ مَنْ إِلَـٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾

التفســــير

يأمر تعالى رسوله - فى الآية - أن يسأل الكافرين عن الإله الذى يكون فى مقدوره من بين آلهتهم المعبودة أن يأتيهم بليل يسكنون فيه إذا قدر تعالى للنهار أن يكون مستمرا دائما .

وعبارة السؤال تفيد بيان ضرورة وجود الليل لاستمرار الحياة . وقد يكون بعض هذا معلوما ففى الليل تكمل عملية إنتاج النبات الأكسجين اللازم لتنفس الإنسان والحيوان ، وفى الليل يكون سكون الإنسان والحيوان للراحة ولتجديد نشاطه.

ثم إنه لما كان معلوما أن المشركين والكافرين لن يملكوا إجابة على السؤال يبدونها ، فقد أمر تعالى رسوله ﷺ أن يقول لهم « أفلا تبصرون » أنكر عليهم - بأمر ربهم - أنهم لم يتبصروا آيات الله تعالى فى الكون فيؤمنوا أنه لا إله إلا هو القادر على كل شيء ، والمستحق وحده أن يعبد .

وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾

التفسير

قيل فى تفسير الآية أنه من مظاهر رحمته تعالى بالإنسان أنه جعل لهم الليل ليسكنوا فيه وجعل لهم النهار ليسعوا فيه مبتغين تفضله عليهم بالرزق .

والذى نراه - والله أعلم - أن القول يشير إلى أنه جعل فى الليل وهو وقت النوم والسكون ساعات ينشط فيها الإنسان إلى العبادة مبتغيا تفضل الله عليه بالرضا وبالثواب ، وأنه جعل فى النهار وهو وقت النشاط ساعة قيلولة يرتاح فيها الإنسان ، أو أنه خلق تعالى فى طبيعة الليل والنهار ما يسمح لمن يضطرهم عملهم إلى مباشرته فى الليل أن يحصلوا على راحتهم بالسكون فى النهار فيكون لهم فى النهار سكنا وفى الليل سعيا ؛ ثم إنه تعالى بين فى ختام

الآية أن ما كان منه تعالى ـ فى هذا ـ من موجبات رحمته يوجب له على عبادة حق الشكر، فيكون من لا يشكر جاحدا أنعمه تعالى كافرا بها .

وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ
أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا
فَقُلْنَا هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾

التفسير

بعد أن طلب تعالى من المشركين فى الآية ٦٢ من السورة أن يحضروا شركاءهم الذين كانوا يزعمون بسؤالهم عنهم لبيان فساد قولهم بالشرك وعقيدتهم فيه ، فإنه تعالى طلب منهم ذات المطلب بسؤالهم ذات السؤال لبيان انعدام الدليل لديهم والحجة على صحة الشرك أو على وجود شركاء لله . فضلا عما يفيده تكرار القول من أن أكثر موجبات غضبه تعالى هو الشرك به .

ثم إنه يقول إنه أخرج من كل أمة شهيدا منهم يشهد عليهم بما كان منهم ، ويبين من قوله تعالى « من كل أمة » أن الشهيد أو الشاهد المقصود فى الموقف الذى تعلق به نص الآية يكون نبى كل أمة .

وليس الشهيد من الملائكة الذى يكون فى موقف آخر على ما يبين من قوله تعالى « وجىء بالنبيين والشهداء » .

ويخبر تعالى أنه يطلب من كل أمة كفرت رسلها أو من الكافرين الذين أشركوا بالله أن يأتوا بالدليل والحجة على صحة عقيدة الشرك التى اعتنقوها فى دنياهم ، ثم إنه يكون من المشركين لانعدام الدليل لديهم والحجة أن يتحقق لديهم العلم أو أنهم ينطقون بأن الألوهية

هى لله وحده « فعلموا أن الحق لله » ، يكون منهم ذلك حين تغيب عنهم معبوداتهم التى عبدوها بالباطل فى الدنيا وتضيع.

﴿ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ ﴾

أولا : الأسماء والأعلام :

١ ـ قارون : اسم علم أعجمى ، والمشهور أنه كان من بنى إسرائيل ، قيل إنه كان ابن عم موسى عليه السلام ، وقيل ابن خالة له. ونرى والله أعلم ـ أنه لم يكن من بنى إسرائيل وإنما كان من الهكسوس وهم قوم موسي الأباعد لاشتراكهم مع بنى إسرائيل فى الأصل الواحد، فهم وبنو إسرائيل يمتد أصلهم إلى قبائل الأعراب الرحل الذين سكنوا جزيرة العرب وأغاروا على بلاد الشام ومصر ، كانت قبيلة إبراهيم منهم نزلت فى الفوج الثانى من الإغارات ما بين النهرين ، وكان منهم الهكسوس الذين نزلوا مصر وحكموها ، ولهذا كان بنو إسرائيل وكان الهكسوس يتكلمون لغة واحدة هى الإرامية . لأن جدهم المشترك هو إرم بن سام بن نوح ، فإن لم يكن قارون من عشيرة موسى ولا من قبيلته فإنه يكون من قومه . يؤكد هذا أن فرعون كان يستضعف بنى إسرائيل « إن فرعون علا فى الأرض وجعل أهلها شيعا يستضعف طائفة منهم» فلا يكون متصورا منه أن يخول أحدهم أهم أسباب القوة وهو المال ، وأن يسمح له بامتلاك العبيد والإماء ، ولا يكون متصورا من أحد بنى إسرائيل أن يخرج مستعرضا زينته وقوته على الملأ متباهيا . فضلا عن أن وصف بنى إسرائيل له بأنه من الكافرين « ويكأنه لا يفلح الكافرون » يقطع بأنه لم يكن من بنى إسرائيل ، لأن هؤلاء كانوا يؤمنون لموسى عليه السلام . على حين لم يكن فرعون وقومه يؤمنون له ، فكانوا هم الكافرين .

٢ ـ المفاتح : فى قوله تعالى « ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة » جمع ، مفرده « مفتح » وهو ما يفتح به ، والمراد باللفظ ــ فى معنى الآية ـ هو مفاتح صناديقه أو خزائنه ، وقيل هى الخزائن ذاتها .

ثانيا : التفسير :

جاء ذكره تعالى قصة قارون من بعد بيانه تعالى أنه أنعم على الناس بما يوجب عليهم شكره مرتبطا بالمعنى المستفاد من القول . وفى شأن قصة قارون بدأ تعالى ببيان أن قارون كان من قوم موسى ، ويكاد يكون مجمعا على أنه كان من بنى إسرائيل وإن كنا نرى ـ والله أعلم ــ أنه إنما كان من الهكسوس قوم فرعون البلاد وقتها وأن هذا لا يمنع كونه من قوم موسى، لأن قبيلة موسى عليه السلام ـ بنى إسرائيل ـ وقبيلة فرعون ـ الهكسوس ـ تنتميان إلى أصل واحد هو إرم بن سام بن نوح ويتكلمان لغة واحدة ، فيكون الهكسوس قومه وإن لم يكونوا قبيلته ولا عشيرته ، ويذكر تعالى أنه بغى عليهم .

فعلى ما نراه يكون بغيه عليهم أمرا لا غرابة فيه لأن شأنه شأن فرعون يستضعف بنى إسرائيل ويبغى عليهم ، وعلى من يرى أنه كان من بنى إسرائيل يكون المعنى أنه ظلمهم وطلب منهم ما ليس حقا له .

ثم يذكر تعالى أنه أنعم عليه فى المال حتى أصبح ما يدخره منه والمعتبر مثل المكنوز من الضخامة إلى الحد الذى جعل مفاتح خزائنه أو جعل خزائنه تبلغ لثقلها الحد الذى لا تنهض به إلا عصبة من الرجال ذوى القوة تفعل ذلك متثاقلة .

فقوله تعالى « لتنوء بالعصبة أولى القوة » فيه « قلب للألفاظ » أصله « تنوء العصبة بها » وقيل ليس فى القول « قلب » لأن المفاتح تنهض ملابسة للعصبة .

ثم إنه تعالى يخبر أن قومه نهوه عن الفرح « لا تفرح » ثم بينوا له علة نهيه عن الفرح بقولهم « إن الله لا يحب الفرحين » والمراد بالفرح المنهى عنه هو فرح البطر ، والاغترار بالدنيا الذى يذهل عما سواها . فهذا هو الفرح المذموم والذى لا يحب تعالى الذى يفرحونه .

﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾

التفسير

القول ـ فى الآية ـ قول قوم قارون لـه ، نصحوه أن يكون سعيه فيما آتاه الله من المال وبه مستهدفا غاية معينة هى الدار الآخرة بمعنى أن يكسب ثوابها ، ونصحوه ألا ينسيه هذا الفوز بنصيبه الحلال من زينة الحياة الدنيا وزينتها التى أحلها لعباده والطيبات من الرزق، فالنهى هو عن تركها ترك الناس . وقيل إن المراد بالنصيب من الدنيا هو العمل فيها للآخرة. ثم إنهم نصحوه بأمره أن يُحسِن إلى عباد الله كما أنه تعالى أحسن إليه . بأن يتصدق عليهم كما تصدق تعالى عليه .

وقيل إن المراد بإحسانه هو شكر الله على نعمه . كذلك فإنهم نصحوا له بنهيه عن استهداف نشر الفساد فى الأرض ومنه استمراره على الظلم والبغى ، ثم بينوا له علة هذا النهى بقولهم « إن الله لايحب المفسدين » بمعنى أنه تعالى يعذبهم بإفسادهم فى الأرض أو برغبتهم الإفساد فى الأرض.

وقد يقول قائل إن هذه النصائح لاتصدر إلا من قوم مؤمنين مما مفاده أن قارون كان من بنى إسرائيل . ونقول إنه كان من قوم فرعون مؤمنون يكتمون إيمانهم ، كما كان منهم من آمن إيمان كثيرين من المصريين الذين كانت فيهم عقيدة التوحيد التى دعى إليها إدريس عليه السلام ودعى إليها يوسف عليه السلام ، دليلنا على هذا أن يوسف عليه السلام تزوج من «أسنات» ابنة « فوطى » كاهن « أون » فأنجبت له ابنيه منسى وأفرايم اللذين قبلهما يعقوب عليه السلام ، مما يستفاد منه أن زوج يوسف وأباها وابنيها كانوا مؤمنين موحدين ، فلا يبعد

أن يكون من قوم فرعون من آمن بعقيدة التوحيد التى كانت فى المصريين أو فى غالبيتهم.

﴿ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِيٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾

التفسير

يذكر تعالى ـ فى الآية ـ رد قارون على ناصحيه ، ويبدو من قوله « إنما أوتيته على علم عندى » أنه لفرط جحوده النعمة قد ضايقه قول ناصحيه « وأحسن كما أحسن الله إليك » فأراد أن يبين أنه أوتى ما أوتى عن استحقاق وجدارة في نفسه ، أو أنه بما ملك من العلم قد تمكن من تحصيل الثروة والمال فهما نتاج أو محصلة علم لديه . وقيل فى شأن هذا العلم إنه كان العلم بالتوراة ، وقيل كان العلم بشئون التجارة ، وقيل العلم باستخراج المعادن من الأرض، وقيل هو علم الكيمياء ، وقيل إنه تمكن من صناعة الذهب ، وقد دلل القائلون بهذا على كثرة الذهب فى آثار المصريين رغم عدم وجود عروق له مشهورة ومناجم في مصر مما لا يمكن تفسيره بغير كون الذهب مصنوعا .

وهذا مالم يتأيد بعد علميا . إلا أنه مع اشتهار المصريين القدماء بالتقدم فى علم الكيمياء، وفى استخراج المعادن وأعمال التعدين لايبعد أن يكون علمه كان متعلقا بأحد الفرعين : الكيمياء أو علم المعادن .

وباقى القول ـ فى الآية ـ هو قوله تعالى يقول فى صيغة استفهام منفى « أولم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعا » ينكر فيه عليه أنه لم يعلم من المروى ومن المسموع أو أنه تناسى ما علمه من أنه تعالى أهلك من ظالمى الأمم السابقة البغاة جاحدى النعم من كان أشد منه قوة ، بمعنى أنه امتلك من أسباب القوة من قوة فى الجسد وفى العقل وزيادة فى المال وقوة فى العدة والسلاح ، ومن كان أكثر منه أتباعا وأعوانا

فلم تغن عنه قوته ولم يغن عنه جمعه من الله شيئا ، فيكون القول تهديدا لقارون بالإهلاك إذا ما استمر على بغيه وظلمه وتوعدا له بذلك.

وقوله تعالى ـ في ختام الآية ـ « ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون » أريد به بيان شدة غضبه تعالى عليهم إلى الدرجة التى لا يسألهم فيها ـ فى الآخرة ـ عن ذنوبهم ، مما قد يكون مشيرا إلى أنه موقع بهم فى العذاب لا محالة مما لا يوجب سؤالا ولا يستدعى سماع إجابة .

فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ فِى زِينَتِهِۦ ۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا يَـٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِىَ قَـٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾

التفسير

يذكر تعالى فى قصة قارون واقعة خروجه على قومه فى كامل زينته ، قيل فيها إنه خرج فى خدمه وحشمه على الدواب المسرجة والتى عليها قطائف الأرجوان . ويذكر تعالى أن الذين يريدون الحياة الدنيا قالوا عندما شاهدوه فى كامل زينته « يا ليت لنا مثل ما أوتى قارون » وقيل إن هؤلاء كانوا مؤمنين تمنوا أن يكون لهم مثل ما لقارون لينفقوه فى أوجه الخير، وأن وصفهم بأنهم يريدون الحياة الدنيا إنما كان لأنهم يتوسلون بها إلى الآخرة . والذى نراه ـ والله أعلم ـ أن عبارة النص لا تدل على هذا ، وأن وصفهم بأنهم يريدون الحياة الدنيا مفاده أنهم يريدونها لذاتها وللتمتع بمتعها ، وأن تمنيهم أن يكون لهم مثل ما لقارون إنما كان من قبيل الغبط بمعنى أنهم لا يتمنون زوال النعمة عنه وإنما يتمنون أن تكون لديهم مثل ما لديه من النعم ؛ ولهذا جاء قولهم « إنه لذو حظ عظيم » فهم اعتبروا أن الحظ يكون عظيما باكتساب نعم الدنيا ، لم ينظروا إلى نعم الآخرة التى يكون لمن حازها الحظ العظيم على الحقيقة.

■■■■■

وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴿٨٠﴾

التفسير

لعل قوله تعالى ــ فى الآية ـ يؤكد ما سبق أن قلناه من أن الذين تمنوا مثل ما أوتى قارون الذين وصفهم تعالى بأنهم يريدون الحياة الدنيا لم تخطر الآخرة ببالهم ، فوصفه تعالى المخبر عن قولهم ـ فى الآية ـ بأنهم الذين أوتوا العلم يدل على أن الأولين جاهلون ، وليس هذا شأن المؤمنين ، ثم إن قول الذين أوتوا العلم لهؤلاء « ويلكم » وهو دعاء بالهلاك يفيد علمهم بأنهم من أهل الدنيا الذين يستحقون الهلاك . وفى الآية يذكر تعالى أن الذين أوتوا العلم بعد أن دعوا بالهلاك على الذين يريدون الحياة الدنيا قالوا لهم إن ثواب الله فى الآخرة خير من متع الحياة الدنيا التى يتمنونها ، وأنها تكون لمن آمن وقرن إيمانه بالعمل الصالح ، ثم إنهم أضافوا لهم معلومة بقولهم « ولا يلقاها إلا الصابرون » بمعنى أنه لا ينال ثواب الله فى الآخرة الذى يفضل ما تمنوه فى دنياهم إلا الذين صبروا على الطاعات وعلى تجنب المعاصى .

فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ ﴿٨١﴾

التفسير

المستفاد من قوله تعالى ـ فى الآية ـ أنه الذى خسف بقارون وبداره الأرض ، بمعنى أنه تعالى غيبه فى الأرض حيا وغيب داره بما فيها ، ولا يمنع ذلك أن يكون خسفه فى الأرض قد تم بدعاء موسى أو بأمره الأرض أن تخسفه فيها وداره بعد أن أمرها تعالى بطاعته ، ويبقى أنه

يظهر من النص صراحة أن الخسف تم بإرادته تعالى بدلالة نسبته الفعل إلى نفسه ؛ ولهذا فإننا لا نميل إلى ما قيل من أن قارون ومن معه عندما ابتلعتهم الأرض إلى ركبهم استغاثوا بموسى مناشدين أن يعفو عنهم فأمر الأرض أن تأخذهم ، فلما ابتلعتهم إلى أوساطهم استغاثوا به ثانية فأمر الأرض أن تأخذهم ، ثم كرروا الاستغاثة به عندما ابتلعتهم إلى أعناقهم وكرر موسى أمره للأرض أن تبتلعهم فابتلعتهم فأنبه ربه على هذا قائلا « وعزتى وجلالى لو بى استغاثوا لأغثتهم » .

ثم إننا نرى أن ما وقع بقارون من عذاب دنيوى يفيد أنه كان من المكذبين وأنه عوقب بتكذيبه ، ولهذا لا نميل إلى القول الذى يرجع تعذيبه إلى ادعائه على موسى عليه السلام مقارفة الزنى مع بغى رشاها قارون لتدعى على موسى ، فلما استحلفها موسى بالله قول الحقيقة ذكر تآمر قارون على موسى معها ، فكان خسف الأرض به عقابا على افترائه على موسى الزنى ، بأن أمر الله تعالى الأرض بإطاعة موسى ، فأمرها أن تأخذه و داره .

ثم إنه تعالى يقرر أن قارون ـ على ما كان له من خدم وأعوان ـ لم تكن له فئة تنصره من دون الله فتمنع عنه عذابه ، كما أنه لم يكن بذاته ممتنعا عليه أن يأخذه بالعذاب الذى أعده له.

وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا أَن مَّنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيْكَأَنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٢﴾

التفسير

يروى تعالى فى الآية ما كان من الذين قالوا « يا ليت لنا مثل ما أوتى قارون » من قول أفصح عما فى نفوسهم ، وصفهم تعالى بأنهم الذين تمنوا مكان قارون فى زمن قريب ، ذكر تعالى أنهم أصبحوا يقولون « ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده » ولفظ « ويكأن » قيل فيه إنه يتكون من مقطعين : « وى » وهى اسم فعل بمعنى أعجب ويقال للتحسر أيضا و«كأن» . ومعنى قولهم هو تسليمهم بأنه تعالى يبسط الرزق لمن شاء أن يبسط له رزقه ، وأنه يقدر الرزق على من شاء أن يقدر عليه رزقه ، دون أن يعنى هذا أن من بسط له رزقه يفضل من

قدره عليه .

ثم يذكر تعالى قولهم الدال على معرفتهم فضل الله عليهم ﴿ لولا أن مَنَّ الله علينا لخسف بنا ﴾ والمعنى أنهم اعتبروا أن عدم إعطاء الله إياهم مثل ما أعطاه قارون هو نعمة من بها عليهم، لأنه لو كان قد أعطاهم مثل ما أعطى قارون لكان قد حل بهم مثل ما حل به وهو خسف الأرض بهم .

وختام قولهم هو ﴿ ويكأنه لايفلح الكافرون ﴾ آمنوا بأن الذين يكفرون بالرسل والذين يكفرون بالنعم لا يفلحون لأنهم يحرمون نعيم الآخرة وهو وحده الفوز المبين .

﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ ٨٣

التفسير

قوله تعالى خير تذييل يتصور لقصة فرعون وقارون ، وقد كان فرعون ممن علوا فى الأرض واستعلوا ، وكان قارون ممن أفسدوا فى الأرض بالبغى والظلم ، وقد علم من قصة كل منهما أنه لحق به عذاب الهلاك فى الدنيا وأنه يكون من المعذبين فى الآخرة أشد العذاب .

وفى عبارة الآية يشير تعالى إلى الدار الآخرة التى عرفها رسول الله ﷺ ، وعرفها المؤمنون مما جاء بشأنها فى القرآن العظيم ، ثم يخبر عنها أنه إنما يجعلها للذين لا يطلبون الغلبة والتسلط فى الحياة الدنيا ـ والذين يطلبونها هم أشباه فرعون ـ ، كما أنه يجعلها للذين لا يطلبون تحقق الفساد فى الأرض ـ والذين يطلبون تحققه هم أشباه قارون ـ ، ثم يذكر تعالى أن العاقبة ، وهى خير عاقبة الجنة ورضوان الله ، تكون للمتقين ، الذى اتقوا غضبه فعملوا بالطاعات وتجنبوا المعاصى يدخل فيهم الذين لا يريدون علوا فى الأرض ولا فسادا .

﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ ٨٤

التفسير

بعد أن ذكر تعالى مآل قارون الذى كان بسبب ظلمه وبغيه ، وذكر مآل المتقين بسبب تقواهم ، فإنه تعالى بين فى الآية كيفية محاسبته الناس بأفعالهم ، دون إخلال بما يكون منه تعالى من الرحمة ومظاهرها . فبين تعالى أن من يفعل الحسنة يكون له منها خير. جاء خير نكرة منونة ليكون متصورا فيه التماثل مع الحسنة ، ومتصورا أن يكون خيرا عظيما متروكا تقديره وقدره إليه تعالى . وبين تعالى أن الذين يعملون السيئات يجازون بمثلها سيئات وعقابا، فيكون عقابهم مساويا ما وقع منهم من سيئات.

إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾

أولا : الأسماء :

المعاد : هو المحل الذى ألفه المرء واعتاده ، وهو بلد الرجل لأنه يتنقل فى البلاد ثم يعود إليه والمراد به ـ فى معنى الآية ـ هو مكة المكرمة .

ثانيا : التفسير :

الخطاب ـ فى الآية ـ إلى رسول الله ﷺ ، وفيه وصف تعالى ذاته بأنه الذى فرض على رسول الله ﷺ القرآن ، والمعنى أنه الذى أنزله عليه وفرض عليه وعلى أمته العمل به . وفى القول يخبر تعالى رسوله ﷺ أنه راده بإذنه إلى بلده مكة التى خرج منها مهاجرا واشتاقت إليها نفسه. ثم إنه لما كان خروجه ﷺ من مكة مهاجرا قد كان بسبب مناوئة قومه له ومحاربتهم الدين قبل أن تقوى الدعوة بالرجال ، فإنه تعالى أمر رسوله ﷺ أن يقول ﴿ ربى أعلم من جاء بالهدى ومن هو فى ضلال مبين ﴾ يقصد نفسه بمن جاء بالهدى لأنه جاء بالقرآن العظيم يهدى إلى الحق وإلى الإسلام طريق النجاة من النار والفوز بالجنة . ويقصد كفار مكة بمن هو فى ضلال مبين ، لأن إشراكهم بالله وعبادتهم الأصنام ومحاربتهم دين الله

هى الضلال الواضح الذى لا يغفله عقل سليم.

﴿ وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓا۟ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾

التفسير

لما كان منه تعالى أن وعد رسوله ﷺ العودة إلى مكة التى كان يرجو أن يعود إليها، ووصف تعالى ذاته فى الوعد بأنه الذى فرض على رسوله القرآن، فإن القول يكون مشيرا إلى أن كلا من الأمرين هو نعمة أنعم بها تعالى على رسوله، إلا أن النعمة الأولى تمثلت فى أمر كان يرجوه ﷺ وتتوق إليه نفسه. فجاء النص فى شأن النعمة الأخرى وهى تنزيل القرآن عليه ﷺ، أثبت تعالى أنه ﷺ لم يكن يتوقع هذا ويتنظره راجيا أن يكون، لأنه لم يعلم به. ثم بين تعالى أن إنزاله القرآن عليه ﷺ كان رحمة من ربه، لأن قمة الرحمة به ﷺ هى اصطفاؤه رسولا نبيا، ولأن القرآن العظيم رحمة للناس وبه يرحمون.

ثم إنه تعالى اتبع إظهاره نعمه التى أنعم بها على رسوله ﷺ بأمره ألا يكون ظهيرا للكافرين يعاونهم على كفرهم بتركهم على ما هم عليه. فيكون الأمر هو بدعوتهم للتخلى عن دين آبائهم والدخول فى رحمة الله بالإسلام.

﴿ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ ۖ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾

التفسير

قوله تعالى - فى الآية - مفسر لما أمر به تعالى رسوله ﷺ فى الآية السابقة ومكمل له. فبعد أن أمر تعالى رسوله ألا يكون ظهيرا للكافرين بأن يتركهم على دين آبائهم، فإنه تعالى نهاه - فى الآية - عن تمكينه الكافرين من نفسه بحيث يصدونه عن تلاوة آيات القرآن العظيم

والعمل بها بعد أن ينزلها عليه تعالى بطريق الوحي.

ثم إنه تعالى أكمل أوامره بتكليف رسوله ﷺ بالدعوة إلى ربه ، أي بالدعوة بالقرآن إلى دين الله الحق . وبين تعالى أن إغفاله ﷺ يفيد كونه ظهيرا للمشركين ، وهو ما نهى عنه ﷺ ، فيكون النهي الوارد في ختام الآية تأكيدا على واجب الدعوة إلى ربه .

﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ ۘ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ ۚ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾﴾

التفسير

الآية - فيما نرى والله أعلم - تظهر أهم المعاني المستخلصة من قصص الأنبياء وقصص المكذبين الذين تناولتهم السورة بالذكر . والمراد بهذا عقيدة التوحيد وهي الإسلام الذي دعا إليه جميع الرسل بمعناه العام والذي دعا إليه رسول الله ﷺ بمعناه الخاص ، والذي كذب به المكذبون فكان سببا لهلاكهم في الدنيا ولعذابهم في الآخرة؟.

فهو تعالى ينهى رسوله ﷺ - الذي لا يتصور أن يكون منه إشراك بالله - عن أن يشرك به أو أن يعبد معه إلها آخر . فدل بهذا على أن عماد الدين هو توحيد الله وليكون النهي لكي من هو أدنى من رسول الله ﷺ درجات في الإيمان ، فيكون لجميع المؤمنين ، ولجميع المكلفين ، ثم جاءت كلمة التوحيد « لا إله إلا هو » تأكيدا للمعنى ، وفيها إثبات الألوهية له تعالى ونفيها عمن سواه .

ثم جاء قوله تعالى « كل شيء هالك إلا وجهه » مثبتا أن كل موجود من الموجودات مصيره إلى العدم والفناء إلا ذاته تعالى تقدست ذاته ، فلا يكون موجودا من الموجودات مستحقا أن يعبد غيره لتساويه مع غيره في صفة الفناء والعدم ، ولا يكون جديرا بالعبادة غيره تعالى . كما يفيد القول معنى آخر ، وهو أن كل عمل مصيره إلى الضياع أجرا إلا عملا أريد به وجهه تعالى وابتغي .

ثم إن القول يثبت أن لـه تعالى الحكم والقضاء فى كل شىء ، فلا يكون من مؤمن اعتراض على حكم له تعالى أو قضاء ، فهو تعالى الذى يرجع إليه جميع المكلفين فى الآخرة للحساب والجزاء فيثيب ويعاقب الناس بما كانوا يعملون .

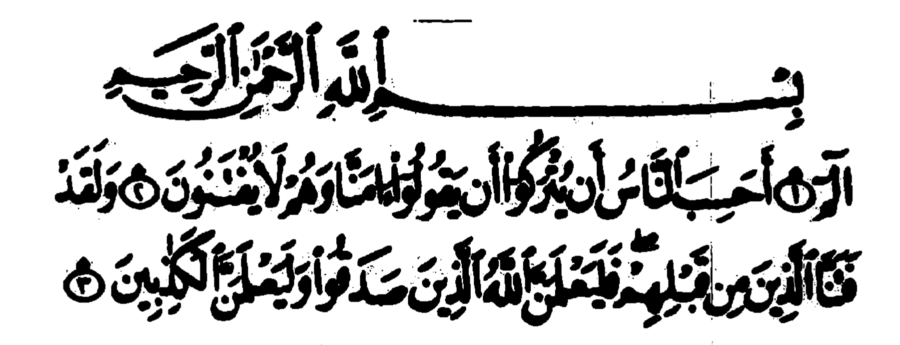
■■■

سورة العنكبوت

فى أوجه الصلة بين السورة وبين سابقتها فى ترتيب المصحف ، سورة القصص :

قيل فى هذا إنه ورد فى سورة القصص الإخبار عن تعذيب فرعون بنى إسرائيل بصنوف من العذاب شديدة منها ذبح الأبناء واستحياء البنات . وفى السورة ورد ذكر المؤمنين الذين فتنهم الكافرون بتعذيبهم على أنهم آمنوا ، فجاء ذكر ما وقع لمن قبلهم من العذاب الذى هو أشد مما عذبوا به تسلية لهم وحثا على الصبر.

وقيل كذلك إنه وردت فى سورة القصص الإشارة إلى هجرة رسول الله ﷺ إلى المدينة بقوله تعالى « إن الذى فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد » وفى السورة أشير إلى هجرة المؤمنين بقوله تعالى فى خاتمتها « يا عبادى الذين آمنوا إن أرضى واسعة »



التفسير

بدأت السورة بأسماء الأحرف « الٓمٓ » وسبق القول فى معانيها ، وبينا أن الراجح أنها من المتشابه من القرآن .

جاء الاستفهام فى قوله تعالى « أحسب الناس » للإنكار ، والذى ينكره تعالى على الناس هو أن يتركوا على حالهم بمجرد أن يقولوا إنهم آمنوا دون أن يمتحنهم بالتكاليف الشاقة مثل الهجرة والجهاد ورفض الشهوات التى يميز بها بين المنافق وبين المؤمن الصادق ، وبين المتزلزل فى الإيمان وبين الراسخ فيه ، ثم هو أيضا اعتقاد الناس وظنهم أنهم لا يتعرضون لمثل هذه الاختبارات.

ثم إنه تعالى أخبر عن أنه كان منه اختبار الذين قالوا إنهم آمنوا فى الأمم السابقة وفى زمن الأنبياء السابقين عليه ﷺ، وذلك ليكون فى اختبارهم بالمحن والعذاب ما يميز به الذين صدقوا القول إنهم مؤمنون من الذين يدعون كذبا أنهم مؤمنون ، فيكون القول علة لإنكار الظن من الناس أنهم لا يفتنون ، ولتسلية المؤمنين الذين يتعرضون لتعذيب الكافرين لهم ليفتنوهم عن دينهم بإعلامهم أنه بهذا جرت سنته على كل من قال إنه آمن من قبلهم ، ليكون منهم الصبر على ما يفتنون به من العذاب .

أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤﴾

التفسير

قوله تعالى ـ فى الآية ـ فى بيان وجوب محاسبته الناس بأفعالهم وعقابهم بالسيئات منها جاء الاستفهام « أم حسب » معطوفا على « أحسب الناس » وهو لإنكار ما يحسبه الذين يعملون السيئات أو يعتقدونه وبيان خطئه وعدم موافقته الحقيقة.

ويتصور أن يكون المراد بالذين يعملون السيئات هم الكافرون ، فيكون المراد بالسيئات

هو الكفر والمعاصى ، ويتصور أن يكون القول فى المؤمنين فيكون الذين يعملون السيئات هم عصاة المؤمنين ، فلا يكون الكفر داخلا فى السيئات التى يعملها المؤمنون ، ويكون المراد بالسيئات هو المعاصى .

والذى ينكره تعالى على هؤلاء هو اعتقادهم أن يخلصوا من عقاب الله لا يلحقهم ، جاء التشبيه بلفظ « يسبقونا » متضمنا تمثيلا لهم بأنهم يعدون مسرعين فيسبقون من يلاحقهم فلا يدركهم .

ثم جاء قوله تعالى « ساء ما يحكمون » ذما لما حكموا به فى صفات الله تعالى - إن كان فى الكافرين - ، ولما اعتقده عصاة المؤمنين أنهم لا يعذبون بعصيانهم - بغير رحمته تعالى - إن كان القول في المؤمنين .

مَن كَانَ يَرْجُوا لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَآتٍ ۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٥﴾ وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾

التفسير

بعد أن أخبر تعالى عن العصاة مبينا اعتقادهم الخاطىء أنهم لا يلحقهم العذاب وأنهم منه يفلتون ، فإنه تعالى أخبر - فى الآيتين - عن الذين صلحت أعمالهم ، ووصف تعالى المرء أو الواحد منهم بأنه « من كان يرجو لقاء الله » والتعبير يشمل من كان لإيمانه وحسن عمله يتمنى لقاء الله تعجلا للنعيم الذى وعد به ، ومن كان يتوقع لقاء الله فى الآخرة فعمل له حسابه بالعمل بالطاعات وتجنب المعاصى ، كما يشمل من خشى عذاب الله فى الآخرة فعمل على تجنبه بالعمل بالطاعات وتجنب المعاصى ثم إنه تعالى أخبر من كان يرجو لقاءه على أحد هذه الأحوال بأن هذا اللقاء والحساب آت لا محالة ، ليكون له فيه ما تمنى أن يكون له ، وليبعد فيه عن العذاب الذى خشى أن يكون له .

ثم إنه تعالى ذكر أنه السميع العليم ، بمعنى أنه الذى يسمع من هؤلاء ما يصدر عن أفواههم مما يثابون به ، ويعلم من أحوالهم ما يحاسبهم به بحسب ما وقر فى قلوبهم ليكون لهم بإذنه تعالى ما تمنوا .

وبعد هذا جاء قوله تعالى فى فئة من هؤلاء الذين يرجون لقاء ربهم وهم المجاهدون فى سبيل الله ، أثبت تعالى أن المجاهد منهم يثاب على جهاده ثوابا عظيما حتى ليبدو أن الجهاد لاتعود منفعته إلا على المجاهد .

ثم بين تعالى هذا بذكره أنه تعالى غنى عن العالمين ، بمعنى أنه تعالى غير محتاج إلى جهادهم لأنه تعالى قادر على نصر دينه بغير جهاد منهم .

فيكون المراد إظهاره هو أن الجهاد إنما شرع رحمة منه تعالى ليثابوا به ، فكأنه ما كان إلا لتحقيق مصلحة لهم .

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ ٧

التفسير

قوله تعالى - فى الآية - فى تحبيب الإيمان إلى القلوب ، يقول تعالى إن الذين يؤمنون ويقرنون إيمانهم بعمل الصالحات يكفر تعالى عنهم بإيمانهم سيئاتهم التى قرفوها من قبل بالمغفرة ، فيغفر لهم ما كان منهم من الكفر وما صدر عنهم من فعل المعاصى ، ثم إنه تعالى يجازيهم بأحسن أعمالهم التى عملوها سواء فى هذا هذه التى فعلوها فى زمان كفرهم ، وهذه التى فعلوها بعد إيمانهم وقيل إن المراد بـ « أحسن الذى كانوا يعملون » هو مضاعفة جزاء الحسنة وزيادته حتى ليبلغ مثل قدرها عشر مرات .

﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ ٨

التفسير

قوله تعالى ـ فى الآية ـ فى ذكر ما يتوجب على المؤمن حقا لوالديه ، وهو ما قد يكون من أحسن أعمال المؤمنين المذكورة فى الآية السابقة .

يقول تعالى ـ فى مبتدأ الآية ـ أنه وصى الإنسان بوالديه أيضا حسنا ، أو أنه أوصاه بأن يحسن إليهما حسنا ، ثم إنه لما كان من مظاهر الإحسان إلى الوالدين طاعتهما ، وكان من المتصور أن يأمر الوالدان أو أحدهما بالكفر أو الشرك أو العصيان ، فقد جاء قوله تعالى ﴿ وإن جاهداك لتشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما ﴾ وأول معنى يستخلص من عبارة القول هو أنه إذا كان منهما محاولة إجبارك أو دفعك إلى عبادة مالم يتحقق لك العلم بألوهيته أو عدم ألوهيته فلا تطعهما فيما أمراك به . والقول ـ بهذا المعنى ـ يشمل من باب أولى الأمر بعبادة ما علم أنه ليس بإله ، والمؤمن يعلم أنه ما من إله غير الله ، ثم إن القول فيما نرى ـ والله أعلم ـ يشمل الأمر بالمعصية ، ويرتبط بالأمر بالإحسان إلى الوالدين ، وذلك لأن طاعة غير الله فى معصيته مفادها الشرك بالله بإعلاء قدر الأمر المطاع فوق قدر الله فيكون منهيا عنها لدخولها فى معنى الشرك . أما ارتباطها بالإحسان إلى الوالدين ، فهو لكون تنفيذ أمرهما بالمعصية مشاركة منهما فى مقارفتهما بطريق التحريض ، يجازون به عقابا فوق عقابهم على التحريض مستقلا عن تنفيذه ، فيكون من الإحسان إليهما تجنيبهما العقاب على ذلك .

وقوله تعالى ـ فى ختام الآية ـ ﴿ إلىّ مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون ﴾ جاء لبيان أنه تعالى محاسب الناس عن جميع ما صدر منهم مما تعلق به القول فى السورة من إيمان أو شرك ، ومن بر بالوالدين أو عقوق لهما ، فيكون القول حضا على الطاعة وتحذيرا من

العصيان.

وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ ﴿٩﴾

التفسير

قولـه تعالى ــ فى الآيـة ـ فى تحبيـب الإيمان إلى قلـوب الكافـرين ، وإخبار عـن مآل المؤمنين الـذين عملوا الصالحـات . فيقول تعالى إن الـذين يؤمنون بـالإسلام من الكافـرين ويقرنـون إيمانهـم بعمل الأعمال الصـالحة ، يكون منـه تعالـى أنه يدخلهـم فى زمـرة عباده الصالحين الذين دعا الرسل أنفسهم أن يدخلهم ربهم فيهم ، كما قال سليمان عليه السلام « وأدخلنى بـرحمتك فى عبادك الصـالحين » . فالقـول من قبيل الـوعد بأحسن المصيـريكون للمؤمنين الذين يعملون الصالحات .

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾

التفسير

بعد أن أخبر تعالى عن الـذين آمنوا وعملوا الصالحات ، جاء قوله تعالـى ـ فى الآية ـ فى فئة من المـؤمنين ـ بحسب الظاهـر ـ وهم ضعاف الإيمـان ، وهم المنافقون ، ذكر تعـالى فى وصفهم وفى ذكر أعمالهم ـ أنهم يقولون بأفـواههم إنهم آمنوا بالله . وذكر تعالى أنه إذا تعرض المرء منهم لفتنة من الكافرين فى دينه بأن عذبـوه ليرتد عنه ، جعل تعذيب الكافرين إياه فى مرتبة عذاب الله له فأطاع الكافرين ونطق بـالكفر غير مكره ، وإنما لضعف إيمانه ولعزوفه عن

تحمل الألم فى سبيل الله ، ومع هذا يكون منه فى الحال المغاير لهذا وهو حال إصابة المؤمنين نصرا على أعدائهم ووقوع غنائم بين أيديهم ، إذ يأتي وأمثاله مطالبين بأنصبتهم فى الغنائم محتجين بأنهم كانوا في عداد المؤمنين بقولهم بألسنتهم « آمنا بالله » .

ثم إنه تعالى يبين أنه يعلم كذبهم ونفاقهم وأنه معذبهم به بالاستفهام الإنكارى الذى تضمنه قوله تعالى « أوليس الله بأعلم بما فى صدور العالمين » ينكر عليهم تجاهلهم أنه تعالى يعرف حقيقة أمرهم وما انطوت عليه قلوبهم من النفاق .

ويقرر لهم علمه بذلك ، ومحاسبتهم بما علم من أمورهم .

وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ ﴿١١﴾

التفسير

جاء قوله تعالى ـ فى الآية ـ تأكيدا لما سبق بيانه فى الآية السابقة ، وهو أنه بحكم علمه بما فى الصدور يعلم الذين آمنوا إيمانا صحيحا وأخلصوا إيمانهم ، ويعلم الذين نافقوا بقولهم « آمنا بالله » وانطوت قلوبهم على الكفر ، أو الذين ضعف إيمانهم فهم مذبذبون .

ومفاد القول أنه محاسب ومجازٍ كلا بحسب ما علم من حقيقة أمره ، فيثيب المؤمنين ويعذب المنافقين .

وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَـٰيَـٰكُمْ وَمَا هُم بِحَـٰمِلِينَ مِنْ خَطَـٰيَـٰهُم مِّن شَىْءٍ ۖ إِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴿١٢﴾

التفسير

يذكر تعالى - فى الآية - بعض أعمال الكافرين التى يريدون بها استمالة المؤمنين إلى دينهم الباطل يرجعون إليه بالارتداد عن الإسلام ، فيقول تعالى إنهم يطلبون من المؤمنين اتباع دينهم بالارتداد عن الإسلام والعودة إلى الشرك ، ويطمعونهم فى الاستجابة إليهم بما يزعمون لهم أنه إذا كان هناك بعث ونشور وحساب وعقاب ، أو إذا كان دينهم هو الحق وكان هناك عذاب مقدر على الارتداد عنه فإنهم يعفونهم من تحمل هذا العقاب بحملهم وزره عنهم ليعفوهم منه.

ثم إنه تعالى يثبت كذبهم فى هذا بتقريره أنهم لايتحملون من عذاب الذين يطيعونهم شيئا من العذاب الذى يكون جزاء لهم على الارتداد ، وإن سئلوا عنه وعذبوا لكونهم المحرضين عليه ، ثم بتأكيد النتيجة المستخلصة من هذا وهى أنهم كاذبون فى زعمهم أنهم يتحملون عنهم عذابهم.

وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ۖ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾

التفسير

بعد أن بين تعالى كذب الكافرين فيما زعموه للمؤمنين من أنهم يحملون عنهم عذاب الكفر يوم القيامة إذا ما كان هناك عذاب به ، فإنه تعالى أثبت أن حالهم من الحساب عن خطاياهم يوم القيامة أنهم يعذبون بكفرهم وعصيانهم وبإضلالهم من أضلوا دون ن ينقص تعذيبهم بهذا من عذاب الضالين شيئا ، كل هذا يكون من قبيل الأثقال التى حملوها بأفعالهم والمعنى هو الذنوب والعقاب المقدر عليها . ثم إنه تعالى يقرر أنهم يحملون أثقالا أخرى مع أثقالهم هذه ، أو أنهم يعذبون بأفعال أخرى ليست من قبيل الأفعال المادية ، أو هى من قبيلها واقترفها غيرهم . والمعنى أنهم يعاقبون على التحريض على الكفر وارتكاب

المعاصى وإن لم يستجب لهم من حرضوه ، فيكون عقابهم على التحريض مستقلا عن تنفيذه ، وأنهم يعاقبون تنفيذ من حرضوه ما وقع عليه تحريضهم إياه وإن لم يكونوا هم الفاعلين . فيكون الحال أنهم يعاقبون بأفعالهم وبأفعال أخرى ليست من أفعالهم .

ثم إنه تعالى يذكر أنهم يسألون تقريعا وتبكيتا يوم القيامة عما كانوا يقترفونه فى دنياهم من الكذب والأباطيل ويعاقبون به بقوله تعالى « وليسألن يوم القيامة عما كانوا يفترون » .

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾

التفسير

بعد أن ذكر الله تعالى للمؤمنين الذين تعرضوا لفتنة الكافرين بتعذيبهم على إيمانهم ، أن من سبقهم من مؤمنى الأمم السابقة قد تعرضوا لمثل هذه الفتنة عن الدين بالعذاب . فإنه تعالى ـ شرع فى الآية ـ فى بيان تعرض الأنبياء أنفسهم للفتنة فى دينهم من الكافرين بالأذى والعذاب.

فذكر تعالى من قصة نوح عليه السلام مع قومه أنه لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاما ، بمعنى أنه مكث فيهم تسعمائة وخمسين سنة ، قيل إنها مدة عمره ، وقيل إنها مدة دعوته إياهم للإيمان بعد أن استنبأه الله تعالى وهو ابن أربعين سنة وأنه عاش بعد الطوفان ستين سنة أخرى، وقيل غير هذا . ثم ذكر تعالى أنه بعد انقضاء مدة دعوته ومناوئة قومه له ومعاداتهم إياه كان منه تعالى أن أخذهم بالطوفان وهو الماء الذى خرج من الأرض ونزل من السماء فأهلكهم حال كونهم ظالمين باستمرارهم على الكفر وبكفرانهم نبيهم .

فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٥﴾

التفسير

بعد أن ذكر تعالى أنه أخذ المكذبين بنوح عليه السلام بالطوفان ، فإنه ذكر أنه أنجاه والذين اصطحبهم معه فى السفينة ـ وقد سبق بيانهم وعددهم ـ وأنه جعل السفينة بوجود آثارها فترة زمنية طويلة على الجودى ، وباحتمال الكشف عنها فى مستقبل الأيام ، وبما عرف من أخبارها آية دالة على أنه تعالى يهلك المكذبين ليكون بها الاتعاظ ولتكون فيها العبرة لمن يعتبر

﴿وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ
خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَـٰنًا
وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا
فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾﴾

التفسير

قوله تعالى ـ فى الآيتين ـ انتقال إلى ذكر قصة إبراهيم مع قومه الذين عانى من فتنتهم ما عانى ، جاء فيه « إبراهيم » فى قوله تعالى « وإبراهيم إذ قال لقومه » منصوبا لكون العبارة هى «واذكر إبراهيم » والمطلوب تذكره أو ذكره هو ما قاله لقومه من أمره إياهم أن يعبدوا الله وأن يتقوا الشرك به ـ والمعنى أنه عليه الصلاة والسلام أمرهم بالإيمان بالله وتوحيده وعدم الشرك به ـ وهذا هو الإسلام بمعناه العام ـ ثم إنه بين لهم أن طاعتهم إياه فيما أمرهم به هى خير ما يكون لهم أو إنها خير مما هم فيه من حال وما هم عليه من الأمر ؟.

ثم إنه عليه الصلاة والسلام حادث قومه الأقربين الذين كانوا يعبدون الأصنام ، فهم المقصودون بعبارة القول وليس الذين كانوا يعبدون الأجرام السماوية ، حادثهم فى أمر عقيدتهم فبين لهم جهلهم إذ أنهم يعبدون تماثيل صنعوها لا يزيد أمرها على ذلك شيئا ،

وأنهم يخترعون الكذب و ينشئونه بزعمهم أنها آلهة وقولهم إنها تشفع لهم ، ثم إنهم لما كانوا هم صانعيها فإنهم يكونون قد صنعوا الكذب بـأيديهم وصدقوه وعبدوه ، ثم أضاف إلى ذلك ما بين به ضلالهم وابتعادهم عن منطق العقـل بذكره لهم أن التماثيل التى يعبدونها لا تملك لهم من دون الله شيئا ، وآية ذلـك أنها لا تقدر على أن ترزقهم مما يدركونه ويـدركه كل من له عقل يعى ويفهم.

ثم إنه لما بين لهم أن الأصنام التى يعبدونها لا تملك أن ترزقهم فإنه رتب على هذا نتيجته فدعاهم إلى طلب الرزق من الله ، بدأ به لأنه فيه مصلحة ظاهرة لهم ، ثم ثنى بأن طلب منهم عبادته ، والمعنى أنه طلب منهم الإيمان به وعبادته لكونه وحده الله المستحق العبادة ، ثم طلب منهم أن يشكروه ، فيكون الطلب متضمنا إقرارهم بـأنه تعالى وحده المنعم عليهم بالنعم ومتضمنا إيجاب الشكر عليهم . فيكون قولـه استدراجا حسنا منه لقومه إلى الإيمان بالله وتوحيده ومعرفة حقه عليهم من العبادة والشكر .

وبعد هذا جاء قوله عليه السلام لهم « إليه ترجعون » إعلانا لهم عن البعث والحساب ليكمل إيمانهم ، وإعلاما بـأن العقاب يكون جزاء من لم يؤمن بما دعا إليه فيكون القول إنذارا للكافرين المصرين على الكفر وعلى الشرك بالله .

وَإِن تُكَذِّبُواْ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٨﴾

التفسير

القول لإبراهيم عليه الصلاة والسلام لقومه من بعد أن دعاهم إلى الإيمان بـالله وتوحيده ومن بعد إعلامهم أنـه يكون بعث وحساب وثواب وعقاب . جاء قولـه لهم « وإن تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكـم » ليفيد معنى مضمرا وهو أنه إذا آمنتم لى فإنكم تكونون من الفائزين بسعادة الدارين ، ومصرحا بأنهم إذا كذبوا فإنه ليس من شأن تكذيبهم إياه أن يؤدى ذلك إلى

الإضرار به ، فلقد كذبت قبلهم أمم رسلهم فلم يصب رسلهم بشيء من الضرر على حين أهلك المكذبون .

ثم إنه أوضح كيف أنه لا يضار الرسول بتكذيب قومه له بقوله ﴿ وما على الرسول إلا البلاغ المبين﴾ . فبين أن الرسول غير مأمور إلا بتبليغ ما أرسل به من ربه على النحو الواضح الذى يفهمه الناس ، وأنه لا يسأل عن عدم إيمان الكافرين ولا عن تكذيبهم إياه

أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾

التفسير

القول ـ فى الآية ـ قوله تعالى ، ينكر على المكذبين أنهم يشركون بالله وهم يرون آياته الظاهرة فى إيجاد المخلوقات من العدم بولادة جنس الحيوان وبخروج النبات من الأرض ، ويرون الإعادة فيما يشاهدون من خروج نبات جديد من الأرض بعد حصاد ما كان موجودا بها ، وبهذا المعنى يكون الضمير المتصل فى ﴿ يروا ﴾ عائدا على مكذبى الرسل فى الأمم السابقة ، ويقبل المعنى أن تكون رؤية إعادة الخلق قد قصد بها العلم بذلك مما ورد فى القرآن العظيم ، فيكون الضمير عائدا على مكذبى الأمم السابقة ومكذبى رسول الله ﷺ.

ثم إنه تعالى بين استحقاقه وحده أن يعبد ببيان أن بدء الخلق وإعادته على عظم أمره بما يستعصى عمن سواه هو أمر هين يسير عليه تعالى ، فيكون وحده هو الخالق القادر المستحق العبادة والشكر .

قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ بَدَأَ ٱلْخَلْقَ ۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾

التفسير

يتصور أن يكون الأمر بطلب السير فى الأرض قد وجه إلى إبراهيم عليه الصلاة والسلام ويتصور أن يكون قد وجه إلى رسول الله ﷺ كما وجه من قبل إلى أبيه إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، والمأمور به هو أن يطلب من قومه الذين أشركوا بالله أن يسيروا فى الأرض ليعاينوا كيف بدأ تعالى الخلق ، ومن هذا أنه يعاينون كيف بدأ خلق جنس الحيوان من أصغر خلية وجدت فى الماء ، وكيف تطور الخلق إلى أن أصبح أجناسا مختلفة من أنواع مختلفة من الكائنات الحية ، ومنهم أنهم يعاينون اختلاف أجناس الناس وأشكالهم وهيئاتهم، خلق الله كلا منهم مختلفا عن الآخر ، مما لا يقدر عليه إلا من كانت قدرته على الخلق غير محدودة .

ثم إنه تعالى أبخر أنه الذى ينشىء النشأة الآخرة ، والمعنى أنه يعيد الأجسام الفانية التى بليت بالموت ويرد إليها الحياة فى الآخرة ، وهذا مما لا يقدر عليه أحد غيره تعالى ولهذا جاء قوله تعالى بالتصريح بما هو مفهوم بقوله تعالى « إن الله على كل شىء قدير » .

يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرْحَمُ مَن يَشَآءُ ۖ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾

التفسير

جاء قوله تعالى ـ فى الآية ـ مرتبطا بما سبق ذكره من أنه تعالى ينشىء النشأة الآخرة ، فبين أنه بعد أن ينشىء النشأة الآخرة يحاسب الناس بأفعالهم فيعذب المكذبين ويرحم من عصاة المؤمنين من شاء أن يرحم فلا يعذبهم بمعاصيهم . ثم أوضح أن النشأة الآخرة تكون لكى يتقلبوا إليه تعالى بمعنى أنهم يرتدون إليه للحساب والجزاء .

■■■■■

وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ﴿٢٢﴾

التفسير

بعد أن ذكر تعالى أنه فى الآخرة يحاسب الناس بأفعالهم ويحاسب المؤمنين بأفعالهم وبرحمته، فإنه تعالى أثبت فى الآية أن أحدا من الناس - والمراد جميع المكلفين من خلقه - لا يستطيع أن يعجز الله هربا فلا يناله بما يستحق من العذاب، وإن كان فى مقدور المرء المستحيل تصوره من الهروب فى أعماق الأرض أو الدوران فى الفضاء اللامتناهى فى السماء، لكون السماوات والأرض فى قبضته تعالى.

ثم إنه تعالى بعد أن بين أن المرء بنفسه لا يستطيع أن يخلص من عذاب الله المقدر له وإن أوتى كل قوة وقدرة على الاختباء فى الأرض أو الهروب فى السماء بين أنه لا يستطيع بمعاونة غيره هذا فليس هناك ولى يحميه ولا نصير ينصره من الله الذى لا يقدر على رد بأسه أحد.

وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحۡمَتِي وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢٣﴾

التفسير

بعد أن ذكر تعالى أن أحدا ممن قدر عليهم العذاب لن يستطيع أن يخلص منه، فإنه تعالى خص الكافرين الذين كفروا بآيات الله المبصرة فى خلقه وكفروا بآياته المنزلة على رسله وكذبوا بيوم البعث والحساب الذى يكون فيه لقاء الله تعالى للحساب والجزاء. ذكر تعالى أنهم يئسوا من رحمته، والمعنى أنهم يوم القيامة يدركون أنه لا أمل لهم فى أن

يشملهم الله برحمة منه فيوقنون أنهم معذبون بكفرهم ، ويكون ذلك واقعا إذ يلقون ما أعد لهم من العذاب الأليم .

فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾

التفسير

قوله تعالى - في الآية - في بيان فتنة إبراهيم عليه السلام في دينه التي تفوق فتنة المؤمنين في دينهم بتعذيب الكافرين إياهم .

يذكر تعالى أن جواب قوم إبراهيم عليه الصلاة والسلام عليه فيما دعاهم إليه من الإيمان هو أن طلب بعضهم من بعض أن يقتلوه جزاء على جرأته أن يدعوهم إلى الإيمان أو على تحطيم أصنامهم ، وأن يكون ذلك بقتله بوسيلة ما من الوسائل مثل القتل بالسيف أو بغيره، وإن طلب بعضهم من بعض أن يكون منهم معه تحريقه بالنار، فيكون منه عند الاصطلاء بها أحد أمرين : إما أن يرجع عن دعوته فيخرج من النار، وإما أن يظل عليها فيترك في النار إلى أن يموت محترقا .

وقوله تعالى « فأنجاه الله من النار » يفيد أن القوم قد اختاروا المقترح الثاني وأنهم ألقوه عليه الصلاة والسلام في النار فلم تؤذه وخرج منها سليما معافى في جسده وفي عقيدته .

ثم يذكر تعالى أن في إنجاء إبراهيم من النار آيات عظيمة على قدرة الله تعالى الذي حفظه من حر النار وجعلها بردا وسلاما عليه والذي أخمدها في وقت قصير، ويثبت القول أن الذين يدركون هذه الآيات ودلالاتها هم الذين هيئت قلوبهم للإيمان فيكون لهم وحدهم الانتفاع بها .

وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٥﴾

التفسير

يذكر تعالى - فى الآية ما قاله إبراهيم عليه الصلاة والسلام لقومه بعد أن أنجاه الله من النار، قال لهم بقلب لا يخشع لغير الله إنهم اتخذوا الأصنام التى يعبدونها آلهة من دون الله تعالى لحفظ المودة بين بعضهم وبعض فى الحياة الدنيا بمعنى أنهم يكونون على عقيدة واحدة فيكون بينهم من المودة ما يكون بين أصحاب المبدأ الواحد والرأى الواحد، هذا فضلا عن اجتماعهم معا فى أعيادهم الدينية الزائفة مما يزيد الألفة بينهم والمودة التى كان حرصهم عليها سببا لاجتماعهم على الكفر.

ثم إنه عليه الصلاة والسلام بين لهم أن حالهم يوم القيامة يكون على خلاف هذا إذ يكفر بعضهم ببعض، فحين يرى العابدون عجز الأصنام عن إفادتهم يكفرون بهم معلنين أنهم لا يساوون شيئا، ثم تنطق الأصنام بأمر ربها فتقول إنهم ما كانوا إياهم يعبدون، بمعنى أنهم إنما كانوا يخلصون لأهوائهم، كما أنهم يلعنون بعضهم بعضا، يرى كل فريق من العابدين أن الفريق الآخر قد أضله عن الحق فيلعنه لإضلاله، ويرى المضلون أنهم يعذبون بضلال الضالين فيلعنونهم لأنهم كانوا سببا لزيادة عذابهم. وتلعن الأصنام المعبودة جميع عابديها من المضلين والضالين.

ثم يقرر لهم عليه الصلاة والسلام أن مآلهم فى الآخرة بإشراكهم ومنزلهم الذى ينزلون هو النار، لا يجدون من يخلصهم منها، فيكون القول مشيرا إلى أن إيمانه عليه الصلاة والسلام أنقذه من نارهم فى الدنيا، وإلى أن إشراكهم بالله أوردهم فى الآخرة نار الله لا ينقذهم منها ما ألقوا إبراهيم فى النار دفاعا عنه من الأصنام.

﴿فَآمَنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٦﴾

التفســـــير:

لما كـان مفاد ما سبـق هو أن إبراهيـم عليه الصلاة والسـلام قد دعا قـومه إلى تـرك عبادة الأصنام وإلـى عبادة الله وتوحيده مـن قبل أن يلقى فى النـار ومن بعد أن أنجاه الله منهـا، فإن قوله تعالى ـ فى الآيـة ـ «فآمن له لوط» يفيد أنه لم يؤمن من قـومه غير لوط عليه السلام، آمن له، بمعنى أنه صدقـه رسولا نبيا وليس بمعنى أنه آمن بالله من بعد كفـر، لأنه عليه السلام كان منزها عن الكفـر شأن الأنبياء . فلم يكن مع إبـراهيم من المؤمنين إلا امرأتـه سـارة وابن أخيه لوط .

ثم يقول تعالى إن إبراهيم قال «إنى مهاجر إلـى ربى» يعنى أنه أعلن عن هجرته من مكان إقامة قومـه إلى حيث أمره ربه أن يرحل، فـإن كان وقت القول مع قومـه فى أرض الكلدانيين، فإن هجرته تكون إلى حاران، وإن كان فى حاران فإن هجرته تكون إلى فلسطين

وبعد أن ذكر إبراهيـم عليه الصلاة والسلام أن هجرته إلـى ربه، فإنه وصفه تعالـى بأنه هو العزيز الحكيم، معلنا بهذا عن ثقته بنصر الله وتأييده بحكم كونه العزيز، وثقته فى أن الخير فى الهجرة المأمور بها من الله الحكيم لأنها بمقتضى حكمته.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٧﴾

التفســـــير:

يذكر تعـالى ـ فى الآية ـ ما من به على إبراهيـم من إعطائه الولد إسحـاق عليه السلام،

وولد الولد يعقوب عليه السلام، جاء ذكرهما دون ذكر إسماعيل عليه السلام لأن القول تعلق بالمن على إبراهيم بخير عظيم لكونه غير متوقع، إذ كان الولد من سارة العجوز العاقر، ولم يكن هذا حال إسماعيل عليه السلام، فلم تكن أمه عجوزا ولم تكن عاقرا. كذلك فإنه تعالى يذكر مما من به على إبراهيم أنه جعل فى ذريته النبوة والكتاب، فجعل الأنبياء من ذريته، وأنزل التوراة على موسى عليه السلام وهو من أبناء لاوى بن يعقوب بن إسحاق، وأنزل الإنجيل على عيسى عليه السلام، وأمه من سبط يهوذا بن يعقوب بن إسحاق، وأنزل القرآن العظيم على محمد ﷺ وهو من نسل إسماعيل عليه السلام.

كذلك يذكر تعالى أنه آتاه أجره فى الدنيا وأنه فى الآخرة من الصالحين، وأجره عليه الصلاة والسلام فى الدنيا مستمر إذ يثنى عليه اليهود والنصارى والمسلمون، ويصلى عليه من المؤمنين إلى آخر الدهر. ثم إنه ـ بحكم ربه ـ معدود فى زمرة الذين كمل صلاحهم فى الآخرة. فيكون قد اجتمع له خير الدنيا وخير الآخرة.

وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ ۖ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٣٠﴾

التفسير:

يأمر تعالى رسوله ﷺ أن يذكر لوطا وما كان منه مع قومه، يذكره للمؤمنين من قومه ليعلموا أن الأنبياء أنفسهم تعرضوا للاختبار ـ بإيذاء أقوامهم لهم وتكذيبهم إياهم، ويذكره لكافريهم

ليعلموا أنه يعلم قصصهم بما يوحى إليه ربه .

وفى القـول يذكر تعالـى أن لوطا عليـه السلام وبخ قومـه بذكره لهـم أنهم يأتون فـواحش الأفعال التى لم يسبقهم فـى ارتكابها أحد، مما يدل على مخالفتهـا الطبع السليم الذى فطر عليه الناس.

ثم إنه عليه السلام فصل لهم ما أجمل، فقال إنهـم يأتون الرجال، بمعنى أنهم يواقعونهم جنسيا فـى دبرهـم، وأنهم يقطعـون الطريـق على المـارين علـى مدينتهـم، يجبرونهـم على الرضوخ لهـم وقبول مواقعتهم جنسيـا أو يقتلونهم ويستولون علـى أموالهم، وأنهم يـأتون فى مجالسهم ومنتدياتهم المنكر يشمل جميع الأفعال المستقبحة والمنكرة، منها الغزل بالذكور، ومنها تبادل السبـاب بفاحش الأقوال، وحل الإزار، ولعـب الحمام، وغيرها ممـا هو مستهجن مقبوح.

ثم يـذكر تعـالى أن قومـه لم يجيبـوا عليه بشـيء إلا قولهم «ائتنـا بعذاب الله إن كنـت من الصادقين» بمعنـى أنهم أعلنوه صراحـة أنهم لن يطيعوه فـى شىء مما أنكره عليهـم وطلب إقلاعهم عنه، وأنهم يعتقدون كـذبه فيما يدعيه أنه نبى مرسل من ربـه ولهذا فإنهم يستخفون بوعيده فطلبوا منه أن يأتيهم بما توعدهم به من العذاب إن كان صادقا فى قوله إنه نبى .

ويذكر تعـالى أن لوطا عليه السـلام عندما سمع منهم قولهـم هذا التجأ إلى ربه بـالدعاء وسأله النصر على قومه واصفا إياهم بأنهـم المفسدون، وذلك بابتداعهم فاحشة إتيان الذكور وبإفسادهم فى الأرض وباستعجالهم العذاب .

وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَٰهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَٰبِرِينَ ﴿٣٢﴾

أولا : الأسـماء :

١ ـ الرسـل : فى قوله تعالى «ولما جاءت رسلنا إبراهيم». هم الملائكة ضيوف إبراهيم .

٢ ـ البشرى : فى قوله تعالى «ولما جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى» المراد بها ـ فى معنى الآية ـ هو البشارة بالولد من سارة، وبولد الولد .

ثانيا : التفسـير:

المستفاد من القول هو المعلوم من أنه تعالى أرسل ملائكة إلى إبراهيم عليه الصلاة والسلام فى صورة البشر استضافهم لبيشروه من الله بأنه يكون له من سارة زوجه العجوز العاقر الولد وولد الولد.

ويخبر تعالى ـ فى الآية ـ أن الملائكة رسله أشاروا إلى قرية سدوم حيث كان قوم لوط وأعلموا إبراهيم عليه الصلاة والسلام أنهم أمروا من الله تعالى بإهلاك أهلها، وبينوا له سبب تقدير هلاكهم منه تعالى بأنهم كانوا ظالمين، وذلك بما قارفوا من الفواحش والمنكر، وبإصرارهم على هذا واستعجالهم العذاب منكرين له ساخرين بتوعدهم به .

ويخبر تعالى أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام اعترض على قول الملائكة «إن أهلها كانوا ظالمين» بقوله «إن فيها لوطا» والمعنى أنه معلوم عنه أنه ليس من الظالمين، فيكون القول منه بمثابة تساؤل عن مصيره وهو الذى لا تتوافر فيه علة الإهلاك .

ثم يذكر تعالى أن الملائكة سلموا بقول إبراهيم إن لوطا ليس من الظالمين بقولهم «نحن أعلم بمن فيها»، ثم إنهم أجابوه عما استهدف معرفته من مصير لوط عليه السلام، فقالوا له إنهم سينجونه وأهله من الهلاك الذى سينزلونه بأهل القرية فيما عدا امرأته، فإنه قدر لها أن تكون من الباقين المهلكين، أو من الباقين فى العذاب .



وَلَمَّآ أَن جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا۟ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ ۖ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰٓ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾

التفسـير:

يروى تعالى ـ فى الآيتين ـ ما حدث بعد انصراف الملائكة من عند إبراهيم عليه الصلاة والسلام وتوجههم إلى لوط عليه السلام، وما كان منه معهم، ومنهم معه .

فيقول تعالى إنهم حين جاءوا لوطا عليه السلام ونزلوا عليه ضيوفا استاء واغتم لنزولهم عليه ضيوفا لخوفه من تعرض قومه لهم قصد ممارسة الفاحشة معهم كما جرى عليه عملهم مع الغرباء، وأنه قصرت طاقته وضعف تحمله عن حمل الدفاع عنهم. ثم إن القول يفيد معنى أن الملائكة لاحظوا هذا عليه واستشفوا أمره؛ ولهذا فإنهم طمأنوه إلى أنه لا حاجة به إلى التفكير فيما يكون من قومه وفى كيفية مناهضتهم فيما يعزمون على فعله، فطلبوا منه عدم الخوف من قومه ومن أفعالهم، وعدم الحزن لوجودهم ـ أى الملائكة ـ عنده «وقالوا لا تخف ولا تحزن» ثم إنهم أفصحوا له عن حقيقتهم وما أرسلوا له، بدءوا بذكرهم أنه سيكون منهم إنجاؤه وأهله من عذاب يحيق بأهل القرية، لا يستثنى من أهله الناجين إلا امرأته التى قدر لها أن تكون من باقى أهل القرية المهلكين . ثم كان منهم بعد ذلك الإفصاح عن مهمتهم التى أرسلوا لها وكلفوا بها بقولهم «إنا منزلون على أهل هذه القرية رجزا من السماء» والمعنى هو أنهم سينزلون بإذن الله على أهل سدوم عذابا من السماء يفنيهم. ثم بينوا له سبب إنزال هذا العذاب بهم بقولهم «بما كانوا يفسقون» والمعنى هو أن فسقهم الذى كان منهم والذى أصروا عليه هو سبب إهلاكهم بالعذاب المذكور.

وَلَقَد تَّرَكۡنَا مِنۡهَآ ءَايَةَۢ بَيِّنَةٗ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿٣٥﴾

التفسير:

القول - فى الآية - قوله تعالى ، ومفاده أنه بعد إفناء سدوم أبقى تعالى منها شيئا تمكن ملاحظته أو يمكن معرفته يستدل به عن إفناء القرية من الله فيكون به الاعتبار ممن يتفكرون ويعقلون. وقيل إن هذا الأثر الذى وصفه تعالى بأنه آية ظاهرة على ما فعل بالقرية هو ماء أسود كان على وجه الأرض، وقيل هو الحجارة التى أمطرت عليها من السماء. وقد يكون منها ما أسفرت عنه الاختبارات الحديثة من وجود إشعاع ذرى فى المنطقة وفى مياه البحر الميت يدل على أن الحجارة التى ألقيت عليها كانت محملة بأسباب الهلاك والفناء فأفناهم عن آخرهم

وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ أَخَاهُمۡ شُعَيۡبٗا فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱرۡجُواْ ٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَلَا تَعۡثَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُفۡسِدِينَ ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلرَّجۡفَةُ فَأَصۡبَحُواْ فِي دَارِهِمۡ جَٰثِمِينَ ﴿٣٧﴾

التفسير:

قوله تعالى - فى الآيتين - فى قصة نبى آخر من الأنبياء الذين عانوا تكذيب أقوامهم لهم، هو شعيب عليه السلام.

ومعنى قوله تعالى «وإلى مدين أخاهم شعيبا» هو «وأرسلنا إلى مدين أخاهم شعيبا نبيا» ثم إنه تعالى يوجز رسالة شعيب بذكره أنه أمر قومه بعبادة الله، والمعنى هو عبادته وحده، فيكون أمرا بالإيمان بالله وتوحيده، وأنه أمرهم برجاء اليوم الآخر، والمعنى هو الإيمان بالبعث والحساب والجزاء والعمل لهذا اليوم بالطاعات وترك المعاصى، وأنه نهاهم عن السعى فى

الأرض مفسدين، وذلـك بظلم الناس فى تعـاملاتهم التجاريـة وفى أكل الحقوق وجميـع ما يعتبر من قبيل الفاسد من الأعمال .

ثم إنه تعالى يخبر عـن قوم شعيب عليه السلام أنهم كذبوه، والمعنى أنهم كـذبوا قوله إنه نبى من الله، وأنهم أعرضوا عما دعاهم إليه بأوامره ونواهيه .

ثم يخبر تعـالى ـ فى ختـام القول ـ عما أصاب قـوم شعيب عليه السلام عقـب تكذيبهم نبيهم وبسببه، فيذكـر تعالى أن الرجفة أخذتهم وهـى الزلزلة العظيمة التى كـانت أثرا لصيحة جبريل عليه السلام، كان من أثرها هلاكهم فأصبحوا فى دورهم أو فى مدينتهم جثثا هامدة لا حراك فيها .

﴿وَعَادًا وَثَمُودَا۟ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ ۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُوا۟ مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾﴾

التفســــــير:

معنى قولـه تعالى «وعادا وثمود» هـو «وأهلكنا عادا وثمود» والمراد أفـراد القبيلتين، ويقيم تعالى الحجة على المخاطبين بالقول ـ وهم أهل مكة ـ بذكره أنهم قد تُبين لهم ما حاق بهم من معاينتهم الأماكـن التى سكنوها فدمرها الله عليهم وذلك أثناء رحـلاتهم إلى الشام ومنها إذيمرون بها ويعاينونها .

ثم إنه تعالى يذكـر ما كان من أفراد القبيلتين مما كان سببا لإهلاكهـم بقوله تعالى «وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل» .

والمعنى أن أعمالهـم كانت قبيحة متفرعـة عن الكفر متضمنة المعاصـى، زينها الشيطان لهم بوسـوسته و إغوائه، فكان أن صدهم عـن طريق الله المستقيم الموصل إلـى رضائه وإلى

نجاتهم من العذاب .

ثم إنه تعالى بين مسئولية عاد وثمود عما أصابهم بقوله «وكانوا مستبصرين» والمعنى أنهم كانوا أصحاب عقول تميزبين الحق والباطل، وأن الشيطان لم يجبرهم على العصيان، كما أن ضعف عقولهم لم يكن سببا لكفرهم وعصيانهم يقلل من مسئوليتهم.

فيكون المعنى أنهم كانت لهم العقول التى من شأنها أن تدرك، ولكنهم أصروا على ما هم عليه من كفر وعصيان غير معملين عقولهم ، فكانوا هم الخاطئين .

وَقَٰرُونَ وَفِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَۖ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِى ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كَانُواْ سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾

التفسير:

معنى قوله تعالى «وقارون وفرعون وهامان» هو «وأهلكنا قارون وفرعون وهامان» وفى القول جاء ذكر قارون قبل فرعون وهامان لأن هلاكه قد سبق هلاكهما، ولأن قارون كان من المستبصرين بالعلم والمعرفة والعقل كما كانت عاد وثمود.

ذكر تعالى أن موسى عليه السلام جاءهم بالآيات الدالة على صدقه الواضحة بحيث يفهمونها و يفهمون مؤداها.

ثم ذكر تعالى ما كان منهم بعد أن عاينوا هذه الآيات أنهم استكبروا فى الأرض فلم يرضوا لأنفسهم أن يؤمنوا لموسى وهم يرونه أدنى منهم مرتبة وأقل شأنا.

ثم يثبت تعالى أنهم ما كانوا سابقين، بمعنى أنهم لم يفلتوا من عذاب الله الذى قدره عليهم فى الحياة الدنيا، كما أنهم لايفلتون من عذاب الآخرة .



﴿فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِۦ ۖ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ ٱلصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٠﴾

التفسـير:

قولـه تعالى ــ فى الآية ــ تفصيل لما سبق إيـراده مجملا فى الآيـات السابقة مـن أخذه تعالـى المكذبين الرسل بالعـذاب وعدم إفلاتهـم مما قدره عليهـم الله تعالى مـن العذاب، وتفسيرله .

فقوله تعالى «فكلا أخذنا بذنبه» مفاده أنه تعـالى جازى المكذبين أقواما وأفرادا بذنوبهم، فكان منهم من عذبـه تعالى وأهلكه بالريح العاصف رمتهم بـالحصباء التى حملتها أو الذى نزل عليهم مـن جهة العلو مطرا ليـس كالمطر ـ والمـراد هو قوم لوط ــ وكان منهم من أخـذته بالعذاب صيحة جبريل عليه السلام ـ .

والمراد هو أهل مدين ـ وكان منهم من خسف به الله الأرض ـ وهو قارون ـ ومنهم من أغرقه تعالى وهو فرعون وجنوده .

وقوله تعالى «وما كان الله ليظلمهم ولكن كانـوا أنفسهم يظلمون» مفاده أنه تعالى لم يكن متصورا فيـه أنه يريـد معاملتهم معـاملة الظالـم، ولم يفعل، وإنمـا كان منهم ظلـم أنفسهم بتكذيبهـم الرسـل وبالكفـر والعمل بـالمعاصـى وكان منهـم الإصرار علـى هذا، فـاستحقوا العذاب.

■■■■

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾

أولا : الأسـماء :

العنكبوت : هو الحشرة المعروفة أو الدويبة المعروفة التى تنسج نسجا رقيقا مهلهلا فى الهواء بين أشياء يتصل بها، وليس النوع الذى يتخذ بيته داخل الأرض، يخرج منه فى الليل لاصطياد فرائسه .

التفسـير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ فى المشركين الذين هم أظلم الظالمين لأنفسهم من المهلكين أو الذين استحقوا الهلاك. جاء ذكرهم بأنهم الذين اتخذوا من دون الله أولياء، والمعنى أنهم تولوا فى عبادتهم غير الله تعالى، معه أو دونه. مثل تعالى شأنهم بشأن العنكبوت التى تتخذ بيتا لها تحتمى به من البرد ومن الحر فلا يغنى عنها منهما شيئا لفرط ضعفه عن أن يحقق شيئا مما يبتغى من البيوت، ولهذا وصفه تعالى بأنه أوهن البيوت، فيكون المعنى المراد إيصاله هو أن معبودات المشركين لا تفيدهم شيئا مما يرجى من الله، فلا هى تمنع عنهم ضررا ولا هى تجبى لهم نفعا .

وفى هذا فإننا ننوه إلى ما قيل من أنه قد ثبت أن خيط العنكبوت أقوى من مثيله سمكا من سلك أى معدن صلب، ورتب القائلون بهذا على هذه المعلومة نتيجة مفادها أن المقصود بوهن بيت العنكبوت هو عدم تماسكه أسريا لما هو معلوم من أن أنثى العنكبوت تقتل الذكر بعد تمام التلقيح كما تقتل ما يخرج من بيضها من الذكور لا تستبقى غير واحد منها. ونرى ـ والله أعلم ـ أن صحة هذه المعلومة لا تمنع من أن يكون المراد بوهن بيت العنكبوت وكونه أوهن البيوت وأضعفها هو وهنه وضعفه عن القيام بوظيفة البيوت وهى الحماية من البرد ومن الحر ومن أن يكون فيها الهدوء والاستقرار، آية ذلك أن كثرة الفتحات فى نسيج بيت

العنكبوت يجعله لا يوفر الحماية من الحر ولا من البـرد، ثم إن بناءه فى الهواء بين دعامتين قد تكونان فرعين فى شجرة يسمح بهدم البيت كلـه إذا ما أنكث إحدى دعاميته فلا يجديه شيئا أن تكون خيوطـه قوية فى ذاتها، فضلا عـن أن قوة الخيوط فى ذاتها لا تمنع مـن ضعف بناء البيت كله لكثرة فتحاته حتـى أن طفلا صغيرا يمر به يهدمه ويزيله، فلا يمنـع من كون بناء ما من أبنية البشر ضعيفا أن تكـون مادة بنائه قوية فى ذاتها من حجـر صلد أو صخر، إذا ما أقيم دون أساس يناسب ثقله، أو بغيـر دعامات بين أجزائه بعضها والبعض، فيكون سقـوطه متوقعا أن يكون بنفسه إن لم يكن بارتطام جسم متحرك به .

وقولـه تعالى ــ فى ختام الآيـة ـ «لو كـانوا يعلمون» مفـاده أن المشركين لا يعلمـون واقع انعدام تحصيل الفائدة من معبوداتهم أو دفع الضرر، وأنهم لو علموا هذا أو أرادوا الاقتناع به ـ لكونه مقنعا بذاته ـ لما كان منهم عبادة غير الله والإشراك به.

إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٤٢﴾

التفســــير:

بعد أن مثل تعـالى الإشراك به ببيت العنكبوت للتـدليل على أن عبادة غيره تعـالى لا تفيد المشركين، فإنه تعالى أثبت حقارة ما يعبد المشـركون من دونه تعالى ، حتى لكأن معبوداتهم هى من الحقارة بحيـث لا تعدو كونها مجرد شىء. وجـاءت «ما» فى قوله تعالـى «ما يدعون» نافيـة بمعنى أن المشركيـن لا يعبدون من دونه تعـالى شيئا ذا قيمـة، وقد تكون «استفهـامية» للإنكـار بمعنى إنكـار أنهم يعبدون شيئـا ذا قيمة. وجاء قـوله تعـالى بإفـادة علمه بمـا يعبد المشركون حاملة معنى أنه تعالى معذبهم بفعلهم وشركهم .

وقد أكد معنـى التهديد بتعيذب المشركيـن قوله تعالـى «وهو العزيز الحكيم» فهـو تعالى بحكم كـونه العزيز غـالب على أمره معـذب المشركين بشـركهم، وبحكمته يجعل عـذابهم وقتما يشاء.

﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾﴾

التفسير:

يخاطب تعالى رسوله ﷺ ـ فى الآية ـ فى شأن المثال الذى ضربه للشرك به، وجميع الأمثلة الواردة فى القرآن العظيم، ليعلم ﷺ وليعلم الناس أنه تعالى يضربها للناس ليقرب لهم المعنى المراد إظهاره، ليكون فهمها والاعتبار بها والعمل بالأحكام المقصود التعريف بها منها .

ثم إنه تعالى أثبت واقع أنه لايفيد من هذه الأمثال ويعتبر بها إلا ذوو العلم، وهم الذين أعملوا عقولهم فعلموا أو كانوا على بصيرة من الأمر، فاتبعوا الحق .

﴿خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٤﴾﴾

التفسير:

بعد أن بين تعالى فساد عقيدة الشرك، وأثبت أن الذين يعتبرون بالأمثال هم أصحاب البصائر والعقول، فإنه تعالى ذكر آية عظيمة من آيات خلقه يستدل بها أصحاب العقول على وحدانيته تعالى، وهى خلقه تعالى السماوات والأرض ملتبسا بالحق، يلاحظ هذا من عظم تدبيره أمورهما، ويكون ذلك محققا حكمته تعالى فى خلقه ومصالح الذين والدنيا.

ويصرح تعالى بأن فى هذا آية عظيمة للمؤمنين، وهم الذين لديهم الاستعداد للإيمان، فيكون هؤلاء هم المستفيدين من الآية .

■■■■■

﴿اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ ۖ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ۗ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾﴾

التفســـــير:

بعد أن بين تعالى فساد عقيدة الشرك به، وأن آياته فى خلقه تدعو ذوى العقول إلى الإيمان به وتوحيده، فإنه تعالى خاطب رسوله ﷺ فى شأن دعائم الإيمان والتوحيد، والخطاب ـ وإن كان إلى رسول الله ﷺ، إلا أنه يعد موجها إلى كل من تولى أمو المسلمين.

وقد تضمن الخطاب الأمر بتلاوة القرآن العظيم الذى أنزل على رسول الله ﷺ وحيا، يتلى تعبدا لله تعالى، ويتلى على المؤمنين ليدخل قلوبهم وليعملوا بأحكامه، كما تضمن أمرا بإقامة الصلاة والمداومة عليها، والمراد بها الصلاة المكتوبة .

ثم إنه تعالى بين علة الأمر بإقامة الصلاة والمداومة على إقامتها، فذكر أنها تنهى عن الفحشاء والمنكر، والمعنى هو أن ذوى العقول والبصائر يكون شأنهم من إقامة الصلاة أنها تنهاهم عن مقارفة الفاحش من الفعل ومن النطق بالفاحش من القول، كما أنها تنهاهم عن مقارفة ما ينكره الدين وتنكره الطبيعة السليمة والطبع السوى. وذلك مفهوم لأن وقوف العبد بين يدى ربه خمس مرات فى اليوم وخشوعه بين يديه يجعله يشعر بحلاوة القرب منه تعالى فيحرص على عدم الابتعاد عنه بالمعصية، فضلا عن أنه يذكره بقدرة الله عليه فيخشى عقابه، ولا يمنع هذا من أن يكون من بعض المصلين مقارفة الفواحش والمنكرات، لأنه ليس كل من ينهى عن شىء ، ينتهى عنه.

وقوله تعالى ﴿ولذكر الله أكبر﴾ يفيد معنى أنه تعالى يذكر عباده الذين يذكرونه بأكثر من ذكرهم إياه تعالى. ويفيد معنى أن ذكره تعالى من العبد فى الصلاة أكبر من ذكره من العبد فى غير الصلاة، أو أنه أكبر من باقى أركان الصلاة .

ويجئ قوله تعالى - فى ختام الآية - «والله يعلم ما تصنعون» إظهارا لعلمه تعالى بما يكون من المكلفين بتلاوة القرآن والعمل به و إقامة الصلاة والانتهاء عما تنهى عنه، وذكر الله، ويفهم من القول - بمفهوم المخالفة - علمه تعالى بما يكون من المكلفين من عدم العمل بالمأمور به، ومحاسبة كل بما يكون منه من طاعة أو عصيان .

﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ٤٦ ﴾

أولا : الأسماء :

١ - أهل الكتاب : قيل إن المراد بهم - فى معنى الآية - هم عموم اليهود والنصارى، وقيل إن المراد بهم هم الذين آمنوا منهم، وقيل هم الذين دخلوا فى ذمة المسلمين فى مجتمعهم وأدوا الجزية .

٢ - الذين ظلموا منهم : قيل إنهم الذين عاندوا المسلمين فى مجتمعهم ولم يقبلوا منهم نصحا واعتدوا عليهم، وقيل هم الذين ظلموا بقولهم «يد الله مغلولة» والذين قالوا إن عزيرا ابن الله، والذين قالوا إن المسيح إله أو إنه ابن الله .

ثانيا : التفسير:

الخطاب - فى الآية - موجه إلى عموم المؤمنين، وهو فى شأن ما قد يكون من مناقشات وجدال فى أمور العقيدة بين المؤمنين وبين أهل الكتاب من يهود ونصارى، وإن خص البعض حكم النص بالذين آمنوا من أهل الكتاب - فيما يتعلق بالمجادلة بالحسنى - والنص ينهى المؤمنين عن مجادلة أهل الكتاب فى شأن الدين والعقيدة إلا بالتى هى أحسن، بمعنى أن تكون المجادلة بالرفق واللين وليس بالشدة والعنف .

ثم إن النـص يستثنى مـن الأصل العـام فى حكمه ـ وهو المجـادلة بـالتى هـى أحسن ـ مجادلة الذين ظلموا من أهل الكتاب وذلك بنسبتهم لله تعالى شريكا أو ولدا. فتكون مجادلة هؤلاء فيما كان فيه الظلم بما يستحقونه من الشدة والغلظة فى القول .

ولدى من قال إن المراد بـأهل الكتاب هم الذين أسلموا منهم، يكـون الظالمون منهم هم الذيـن لم يؤمنـوا . ولدى آخـرين إن المستثنين مـن المجادلة بـالتى هـى أحسن هم الـذين امتنعوا عن الدخول فى أهل الذمة وأداء الجزية .

ويبين تعالى ـ فى النص ـ كيف تكون المجادلة بـالتى هى أحسن بقوله تعالى «وقولوا آمنا بالذى أنزل إلينـا وأنزل إليكم وإلٰهنا وإلٰهكم واحد ونحن له مسلمـون» والقول متضمن إقرار المسلمين بإيمانهـم بالقرآن العظيم، وبيانا لأن القـرآن العظيم يأمربالإيمان بـالكتب المنزلة على رسله ومنها التوراة والإنجيل اللذان أنزلا من الله تعـالى، ولا يمنع هذا من الإيمان بأنه قد نالهما تحريف، لأن الـذى يؤمن به المسلمون هو نزولهما من الله، وبما كـان عليه نزولهما مما عرفوه من القرآن العظيم. كما يتضمن إقرارا بأن إلٰه المسلمين وإلٰه أهل الكتاب هو إلٰه واحد، فيكون القول مشيرا إلـى أمرين: أولهما هو أن الديـن عنده تعالى واحد بما يستـوجب الإيمان بالإسلام، وثانيهما هو بطلان عقيدة الشرك التى انحرف إليها القائلون ـ من أهل الكتاب ـ بأن لله ولدا ـ ولهذا جـاء قول المسلمين الذين يختتمون بـه جدالهم بالتى هى أحسـن «ونحن له مسلمون» بمعنى أنهم أسلموا وجوههم لله الواحـد إلٰههم وإلٰه أهل الكتاب وفق العقيدة التى نادى بها رسلهم ونادى بها رسول الله ﷺ.

وقد اختلف فيمـا إذا كان حكم الآية قد نسـخ أم لا. والراجح أنها لم تنسـخ لأنها متعلقة بالمجادلة فقط وليس فى غيرها .

وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٧﴾

التفســـــــير:

الخطاب ـ فى الآية ـ إلى رسول الله ﷺ، جاء متعلقا بما وجه تعالى إليه المؤمنين فى مجادلتهم أهل الكتاب من إقرار وإيمان بنزول التوراة والإنجيل من الله تعالى. وفى النص يقول تعالى لرسوله ﷺ إنه على ذات النحو الذى كان بإنزال التوراة والإنجيل على موسى وعيسى عليهما السلام فإنه تعالى أنزل عليه القرآن العظيم .

ثم يقرر تعالى حقيقة وواقعا فى شأن أهل الكتاب وهى أنهم يؤمنون بحقية القرآن العظيم كتابا منزلا من الله وبرسول الله ﷺ رسولا نبيا مما علموه من كتبهم، وقيل إن هذا يتعلق بما كانوا قبل بعثته، والرأى عندنا والله أعلم هو أنه يشمل أهل الكتاب فى زمانه ﷺ وفيما هو بعد زمانه لأن المراد بالإيمان به ـ فى قوله تعالى «فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به» هو أنهم يعلمون بأمره من كتبهم، وهذا متحقق حتى اليوم من نصوص التوراة والإنجيل ـ التى أصاب التحريف بعضها دون البعض ـ التى بين أيدينا .

وقوله تعالى «ومن هؤلاء من يؤمن به» يفيد ـ فى رأينا والله أعلم ـ أنه يشير إلى أهل الكتاب فى زمان رسول الله ﷺ وفى كل زمان ، يذكر تعالى أنه يكون منهم البعض الذي يؤمن بالقرآن وبما جاء فى كتبهم عنه فيكون منه إعلان إيمانه بالدخول فى الإسلام. فيكون معنى «الإيمان» فى قوله تعالى «من يؤمن به» هو الإسلام والدخول فيه .

ثم إنه تعالى يبين أن آياته التى أوردها فى التوراة والإنجيل ، وآياته على حقية القرآن والإسلام الواردة فى القرآن العظيم من شأنها أن تدعو إلى الإيمان بما تضمنته ودخول أهل الكتاب فى الإسلام؛ ولهذا أثبت تعالى أنه لا ينكر هذه الآيات مع الوثوق فى صحتها إلا الكافرون، الذين أصروا على الكفر عنادا من أنفسهم واستكبارا .

وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾

التفســـــير:

بعد أن ذكـر تعالى لـرسوله ﷺ أن أهـل الكتاب يعلمون مـن كتبهم أن القرآن العظيـم هو كتاب الله المنزل على رسوله، وأنه لا ينكر هذا إلا من أصر على الكفر الذى وقر فى قلبه بطلانه من كتـابه، فـإنه تعـالى أضـاف فى الآيـة دليلا علـى انعدام الشبهـة فى حقيـة القرآن لـدى المبطلين مـن أهل الكتاب. فذكـر تعالى ما هـو معلوم من أنـه ﷺ لم يكن قبل نـزول القرآن العظيم يقرأ من كتب الأقدمين شيئا ولا من الكتب المنزلة على رسل الله السابقين، كما أنه لم يكن يتلو شيئا منهـا على أحد، كما أنه ﷺ لم يكـن يعرف الكتابة بمعنى أنه لـم يكن يكتب، جاء التعبير عن هذا بقـوله تعالى «ولا تخطه بيمينك» لأن أكثر الناس يكتبـون باليد اليمنى. ثم إنه تعالى يرتب على هذا الواقع نتيجتـه وهو انتفاء الشبهة فى أن يكون ﷺ قد حصل المعرفة بما ورد فى القرآن العظيم أو بعضه مما قرأ من الكتب أو مما دونه على من تلوه عليه، فلو كان الأمر كذلك لكان للمبطلين سبيل لتبرير إنكارهم القرآن كتابا من الله تعالى.

﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾﴾

التفســـــير:

بعد أن أوضح تعـالى أنه ليس للمبطليـن الذين يسعون لإقـرار الباطل شبهة يتـذرعون بها لإنكار القرآن العظيم كتابا مـن الله، فإنه تعالى بين أنه بذاته وما تضمنتـه آيات عظيمة الدلالة على أنه من الله تعالى، ثم إنه تعالى أثبت أنه يكـون كذلك إلى أبد الدهر لا يناله تحريف ولا تبديل وذلك لحفظه فـى صدور الذين أوتوا العلم، فيكون حفظه بهذا الطـريق آية من الآيات البينات على أنه من الله تعالى.

ثم يـذكر تعالى مـا يفيد أن هذه الآيات مـن شأنها أن تدفـع إلى الإيمان بالقـرآن العظيم

كتابا منزلا منه تعالى، بإثباته أنه لا ينكر هذا إلا الذين ظلموا أنفسهم بمكابرتهم وعنادهم فكان منهم إنكار القرآن وعدم الإيمان به .

وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾

التفسير:

بين تعالى ما يقوله المبطلون من أهل الكتاب أو من الكفار عموما تبريرا لعدم إيمانهم بالقرآن العظيم وبرسول الله ﷺ من علمهم أن القرآن هو الحق من ربهم وأن محمدا ﷺ هو الرسول المبشر به، وأن القرآن العظيم هو أعظم آية تدل على أنه كتاب الله. فيقول تعالى إنهم يقولون «لولا أنزل عليه آيات من ربه» والمعنى أنهم يطلبون أن يكون رسول الله ﷺ مؤيدا بآيات من قبيل ما أيد به تعالى رسله من قبل مثل عصا موسى وشفاء عيسى الأكمه والأبرص، ومثل ناقة صالح، ويأمر تعالى رسوله ﷺ أن يقول لهؤلاء ما يفيد أن ما يتعلق بالآيات والمعجزات ونوعها هو أمر لله تعالى لا يملك ﷺ منه شيئا، فهو ﷺ مكلف من ربه بالإنذار بما ينزل عليه من آيات وما يدعم به منها .

ثم إنه تعالى يرد على المبطلين قولهم بقوله تعالى «أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم» جاء القول فى صيغة استفهام إنكارى ينكر على المبطلين أنهم لا يرون فى نزول القرآن على رسول الله ﷺ لتكون تلاوته على ما أنزل عليه إلى أبد الدهر آية عظيمة تدل على أنه من الله فيكون الإيمان به وللرسول المنزل عليه. والقول فيما نرى ـ والله أعلم ـ يشير إلى معجزة حفظ القرآن العظيم فى الصدور وتلاوته إلى أبد الدهر على الناس كما أنزل على رسول الله ﷺ من ربه.

ثم يجيء قولـه تعالى «إن فى ذلك لرحمة وذكـرى لقوم يؤمنون» مبينا أنه يكـون من الذين يتلى عليهم القـرآن العظيم إلى أبد الـدهر من يؤمن بـه فيكون القرآن العظيم لهـم رحمة لأنه بإيمانهم به تغفر لهـم ذنوبهم ويدخلون فى رحمة الله فيثيبهم بأفعالهـم الحسنة، ثم إنه يكون فيه تذكـرة لأهل الكتاب الذيـن آمنوا بما جاء فـى كتبهم عنه فى التبشيـر بـه ليؤمنوا بمـا أنزل إليهم وما أنـزل فى القرآن فيكون لهـم أجرهم مرتين، وليتـذكر غيرهم مـن الذين آمنـــوا من عموم الكافـرين آيات الله فى القـرآن وفى خلقه مما أشير إليـه فى القرآن فيزدادوا إيمـانا على إيمانهم.

قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۖ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٥٢﴾

التفســـــير:

بعد أن أمر تعالـى رسوله ﷺ أن يخبر المبطلين أنه إنمـا بعث لهم ولغيرهم نذيـرا بالقرآن، وبعد أن أثبـت تعالى أن القرآن العظيـم بذاته آية بينـة على أنه من عنـد الله، فإنه تعالـى أمر رسوله ﷺ أن يقول للمبطليـن الذين أصروا على الكفر أنـه يكتفى بالله تعالى شاهـدا على ما كان منـه مع المبطليـن من أداء الرسـالة بالتبليـغ والإبانـة والإنذار وعلى مـا كان منهـم من إعراض عن الحق وإنكار للآيات ومجادلة بالباطـل. كما أمره أن يقول لهم إنه تعالى يعلم ما فى السمـاوات والأرض، بمعنى أنه تعالـى يعلم كل أمـر وكل حدث يكون فـى السماوات أو يكون فـى الأرض وأى عمل يصـدر من أحد مـن خلقه فـى السماوات أو فـى الأرض، ليكون القول موضحا للكافرين المبطلين أنه تعالى يعلم ما يتعرضون به من الأفعال لمحاربة الدين، وما انطوت عليه قلوبهم من معرفة الحق وصـدور أعمالهم على خلافه. فيكون القول متضمنا تهديدا لهم بالعقاب على استمرارهم على الكفر.

ويجيء قوله تعالى «والذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله أولئك هم الخاسرون» مثبتا أن كل من لم يؤمن بالقرآن العظيم ولرسول الله ﷺ، مستمرا على عقيدة أخرى سواء أكان قد عبد فيها غير الله تعالى أم كان ملحدا لايعترف بإلٰه، أو كان مؤمنا بالله وينكر أن القرآن العظيم كتاب منزل منه تعالى، يكونوا معدودا بين الذين آمنوا بالباطل وكفروا بالله، لأن من يكفر بالقرآن يكون كافرا بالله. كما يجيء القول مقررا واقع أن كل شخص من هؤلاء يكون من الخاسرين، على ما يستفاد من إشارته تعالى إلى هؤلاء الكافرين، والإخبار عنهم بأنهم هم الخاسرون، خسروا أعمالهم الطيبة بكفرهم فلا يثابون عليها فى الآخرة، وخسروا الدين الحق فيعذبون فى الآخرة بكفرهم. فحق وصفهم بأنهم الخاسرون.

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٣﴾ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٥٤﴾

التفسير:

قوله تعالى - فى الآيتين - فى كفار مكة من المبطلين، يذكر تعالى أنهم يستعجلون رسول الله ﷺ بما توعدهم به من العذاب تكذيبا له وتعجيزا، واستهزاء بالوعيد.

ثم يذكر تعالى أنه جعل لكل أمر أجلا وفق حكمته أثبته تعالى فى اللوح المحفوظ ومنه الأجل الذى حدده تعالى لعذابهم.

ثم إنه تعالى أثبت أن هذا العذاب يأتيهم حتما - على ما يستفاد من صيغة القسم فى قوله تعالى «وليأتينهم» وأنه يأتيهم بغتة على غير توقع منهم أو إحساس وشعور أنه نازل بهم فى حينه.

يتصور أن يكون هذا العذاب هو عذاب القبر أو عذاب الآخرة الذى لم يكن بعضهم يؤمن

به وكان آخـرون ـ مع إيمانهم بـه ـ يعتقدون أن شفاعـة آلهتهم تنجيهم منه، فيكون نـزوله بهم بغتة وعلى غير توقع.

ثم إنه تعالى كرر ذكر استعجال الكافرين رسول الله ﷺ ـ المخاطب بالنص ـ نزول العذاب بهم، ويبيـن تعالى مـدى سفاهتهـم باستعجالهـم العذاب ببيان أن شـر العذاب وهـو عذاب جهنم محيط بهم لا يفرون منـه، فهو محيط بهم فى الدنيا بمقارفتهم أسبـابه من كفر وارتكاب المعاصى بما يؤدى إلى ورود جهنم، ثم إنهم فى الآخرة لا يملكون من عذاب جهنم خلاصا، فجاء تشبيهها بـأنها محيطة بهم مـن كل جانب ومـن فوقهم وتحتهم، فيكـون العذاب الذى يستعجلون محيطا بهم فى دنياهم وملاقيهم ـ على سبيل الحتم والوجوب ـ فى الآخرة .

﴿يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾﴾

التفســـــير:

القول ـ فـى الآية ـ مرتبط بقـوله تعالى السابـق «وإن جهنم لمحيطة بالكافـرين» فمعنى القول هـو أن جهنم تكون محيطـة بهم يوم يغشاهـم العذاب من فـوقهم ومن تحـت أرجلهم ليكون القول تفسيـرا يبين منه أن المبطلين الكـافرين يكونـون فى وضع من أسبـغ عليه شيء يغطيه ويكتنفه، فلا يبقى منه جزء غير مغمور بالعذاب .

ثم يذكر تعالى أنه فى هذا اليوم يقول لهؤلاء الكـافرين بذاته أو بواسطة ملك من الملائكة ـ مقرعا وموبخا ـ «ذوقوا ما كنتم تعملون» لبيان أن العذاب الشديد الذى يعانونه ويقاسونه هو مجرد تذوق للعـذاب الذى قدر لهم جزاء علـى أفعالهم وأعمالهـم التى قارفوها فـى حياتهم الدنيا .

■■■■

﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ أَرۡضِي وَٰسِعَةٞ فَإِيَّٰيَ فَٱعۡبُدُونِ ٥٦﴾

التفسـيـر:

قيل إن الآيـة نزلت فى المستضعفيـن من المؤمنين فـى مكة، وإن الآية تتضمن أمـرا لهم بالهجرة بدينهم. ونرى ـ والله أعلم ـ أنه بقطع النظر عن سبب نزول الآية ـ فإنها تتضمن حكما عاما ووعدا ارتبط بالمأمور به.

فالخطاب ـ فى الآية ـ إلى عباده تعالى الذين آمنوا، والمستفاد من المأمور به أن المقصود بهم هم هؤلاء الـذين يقاسون فى محال إقامتهـم أذى من الكافرين يكون منـه محاربتهم فى أرزاقهم، فجاءت إشارته تعالى إلى أن أرضه واسعة بمثابة أمر بالهجرة بالدين إلى رقعة أخرى من رقاع الأرض الواسعة، ثم إن لفظ «واسعة» الـذى جاء صفة للأرض يتضمن إشارة إلى أنه تعالى يوسع لهم فى أرزاقهم فى المكان الذى يهاجرون إليه .

وقوله تعـالى ـ فى ختـام الآية ـ «فإيـاى فاعبدون» يشير إلـى أن الهجرة كانت لله تعـالى، ولذلـك فإنـه تعالى ـ وقد بيـن لهم سبيل النجـاة بدينهـم ـ أمـرهم بالاستمـرار على عبـادته وإخلاص الـدين لـه، أو بعبادتـه والإخلاص لـه فى الأرض التـى يهاجـرون إليها إذا كـان قد صعب عليهم هذا فى الأرض التى هاجروا منها .

﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ٥٧﴾

التفسـيـر:

بعد أن أمر تعالى عباده الذين آمنوا الذيـن يخشون على أنفسهم من الكافرين أن يفتنوهم عن دينهم بتعـذيبهم أو بالتضييق عليهـم فى الرزق، ولما كـانت الهجرة متضمنة معنـى فراق الوطن والأهل بمـا يعنى معاناة ألم الفراق، فإنـه تعالى بين فى الآية أن الحياة الـدنيا بما فيها

من تنعم بأسباب المتـع ومن آلام قصيرة و إلى انتهاء، وأنه يكون بعدها الـرجوع إلى الله تعالى والحساب والجزاء الذى يكون خيرا وخلودا فيه للـذين أطاعوا الله وصبروا على ما أوذوا وعلى الطاعة، ومنها الطاعة بالهجرة. فيكون القول حثـا على طاعة الله والصبر على هذا ولو كان فيه ما يؤلم النفس .

وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٥٩﴾

التفســــــير:

بعد أن بيـن تعالى لعبـاده الذيـن آمنوا أن جميع خلقـه يموتون ممـا يجب ألا يكـون معه حرص على متاع الحيـاة الدنيا ولا خوف من معاناة فيهـا لوقوع الجزاء فى الآخرة، فـإنه تعالى بين مصير الذيـن آمنوا بالله فى دنياهم وعملوا الصـالحات ومنها إطاعة الله فيما أمـرهم به من الهجرة فى سبيله فبين أنه ينزلهم فى الجنة قصورا عظيمة يقيمون فيها تجرى من تحت أرضها الأنهار لتـزداد متعتهم بها متعـة نفس بجمـال المنظر، ثم بيـن تعالى أنهـم يخلدون فـى هذا النعيم، لتكـون المقارنة واضحـة فى التدليل علـى أنه لا يقاس بهـذا أى متاع يستمتع بـه فى الدنيا لكونه إلى زوال.

ثم بين تعالى أن حال المؤمنين الذين عملوا الصـالحات من النعيم إنما هو بمثابة أجرهم الذى استحقوه جزاء لإيمانهم وعملهم الصالحات، ومدح تعالى هذا الأجر فبين أنه خير أجر يكون لعامل .

ثم إنه تعالى بين معـرفا «الذين آمنوا وعملوا الصالحات» الموعوديـن بالأجر العظيم بذكر صفة لهم هى كونهـم الذين صبروا ، بمعنى أنهم الذين صبروا علـى الطاعات وعلى المشاق

ومنها الهجرة لله، وأنهم الذين على ربهم يتوكلـون، بمعنى أنهم يعتمدون على ربهم و يوكلون إليه أمورهم عن ثقة أنه كافيهم شر الكافرين وكافلهم الذى منه يرزقون .

وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾

التفسـيـر:

قيل إن الآية نزلت عندما طلب رسول الله ﷺ من المؤمنين فى مكة أن يهاجروا بدينهم إلى المدينة فخشوا ألا يجـدوا فيها ما يرتزقون بـه من عمل وتجارة، فنزلت الآية تطمئنهم إلى أنه تعالى رازقهم ومن هنا يذكر لهم حقيقة أمر يدركونه بالمشاهدة وهو أن الكثير من الدواب التى تحيا على الأرض لا تعرف نظام اختزان الغذاء الذى تقوم به بالغريزة ـ من الله ـ أصناف أخرى من دواب الأرض، ولهذا فإن هذه الـدواب ـ مع ضعفها ـ تصبح وليس لها مـا تأكله أو تتعيش منه وتعيش عليه من الطعام فيكون منه تعالى أنه يرزقها رزقها، يكون ذلك منه تعالى معها كما يكون فعله مع المخاطبيـن بالنص على قوتهم وعلى انشغالهـم بجلب أرزاقهم وعملهم عن خزنها.

فيكون المراد إثباته هـو أنه تعالى الذى يرزق. يتساوى فى هذا من حـرص على اختـــزان رزق الغد ومن لـم يحرص على ذلك أو لـم يهيأ له بطبعه وطبيعتـه. فيكون المراد إيصالـه من معنى هو طمـأنة المأموريـن بالهجرة إلى أنـه تعالى لن يضيـع عليهـم أرزاقهم وأنه كـافيهم الرزق .

وقوله تعالى ـ فى ختام الآية ـ «وهو السميـع العليم» مفاده أنه تعالى يسمع ما يقولون فى شأن خوفهم مـن عدم وجود ما يرتزقون بـه فى البلد الذى يهاجرون إليه، وأنـه يعلم ما انطوت عليه ضمائرهم فى شأنه على الحقيقة، ليكون منه رزق المؤمنين المهاجرين بإيمانهم إن شاء تعالى .

■■■■

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾ ﴾

التفســـــير:

المشهور هـو أن الآية نـزلت فى كفـار مكة، وقيـل إن مناسبـة نزولها أن الكـافريـن عيروا المؤمنين بفقـرهـم بدعوى أنهم لو كـانوا على الحق فى الديـن لرزقهم الله تعالى ـ فجـاء قوله تعالـى ـ مفيدا أنهم لـو سألهم رسـول الله ﷺ عمن خلق السماوات والأرض وسخـر الشمس والقمر للسير وفـق إرادته لصالح خلقه لكـانت إجابتهم بأنـه هو الله بما يفيد إقرارهـم بأن كل شىء هو بإذنه وأمره ومنـه رزق العباد، وأنه لهذا جاء قوله تعالى «فأنـى يؤفكون» للنعى عليهم عدم العمـل بموجبات ما أقـروا به، وهو توحيـده والثقة بأنه يسـوع فى الرزق ويقدر عليـه وفقا لحكمته.

ونرى ـ والله أعلم ـ أن القول يتعلق بالمؤمنين الذين خشوا من الهجرة على أرزاقهم، يذكر تعالى أنهـم يقرون ـ بالإجـابة على السؤال ــ بأن الله تعالى هـو صاحب الأمر فـى كل شىء؛ ولهذا فإن خوفهـم قلة الرزق فى أرض الهجرة يكون منـاقضا إقرارهم بأن جماع الأمـر فى كل شىء هو لله تعالى.

﴿ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٢﴾ ﴾

التفســـــير:

ربما كان قولـه تعالى ـ فى الآية ـ مبينا أن المقصـودين بقوله تعالى فى الآيـة السابقة هم

المؤمنون الذين خشوا على أرزاقهم من الهجرة، فجاء قوله تعالى ليعلمهم أنه يوسع فى الرزق لمن شاء أن يوسع له فى الرزق من عباده، وأنه يضيق الرزق على من يشاء أن يضيق عليه رزقه، أو وقتما يشاء.

ثم إنه تعالى بين أنه العليم بكل شيء، فيكون المعنى أنه يوسع لمن يشاء فى الرزق ويقدره على من يشاء وفق حكمته تعالى وعلمه بأمر العباد، فتكون التوسعة ويكون الإمساك فى الرزق بما أحاط به علمه أنه يكون من العبد أو بما أراد إقامة الحجة عليه منه أيكون من الشاكرين أم يكون من الكافرين بالنعمة والجاحدين .

وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٣﴾

التفسـيـر:

المشهور هو أن نص الآية فى كفار مكة يقول تعالى لرسوله ﷺ إنه إذا سألهم عمن أنزل المطر من جهة العلو فكانت به حياة الأرض الجدباء بظهور النبات فيها، فإنهم سيقرون فى إجابتهم بأنه الله تعالى، بما يعنى تناقض ما يقرون به مع عملهم وهو الإشراك بالله تعالى .

ثم إنه تعالى يأمر رسوله بحمده لأنه تمكن من إقامة الحجة عليهم بإجابتهم على السؤال، وحمده على كل شيء .

ثم إنه تعالى يثبت أن الكافرين أو أكثرهم لا يعقلون ما يترتب على إقرارهم بأنه تعالى الذى يفعل كل شيء ويقدر على كل شيء من وجوب توحيده، وأنهم بسبب جهلهم يشركون به ولا يوحدونه .

والذى نراه ـ والله أعلم ـ أن القول يتعلق بالمؤمنين الذى خشوا الفقر إذا ما هاجروا، بين لهم تعالى أن حال الفقير يشبه حال الأرض التى هى ميتة ليس بها نبات، يكون منه تعالى أنه ينزل عليها المطر رزقا من جهة العلو فتكون به الحياة لها إذ تنبت وتزهر وتثمر. فكذلك يكون منه تعالى رزق الفقير الذى يتوكل عليه. فيكون قوله ﷺ «الحمد لله» حمدا لله لأنه يكون من المؤمنين التذكر ـ بعد ضرب المثال لهم ـ والطاعة.

ويكون قوله تعالى «بل أكثرهم لايعقلون» مشيرا إلى أن أغلب المؤمنين لم يعقلوا ما وجب عليهم تبينه بإيمانهم من أنه تعالى الرزاق الكريم فكانت منهم خشية الفقر ابتعادا عن مقتضى العقل والإيمان .

وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٦٤﴾

أولا : الأسـماء :

الحيوان : المراد به ـ فى الآية ـ هو الحياة الدائمة التى لا يعتريها فناء.

ثانيا : التفسـير:

لما كانت الخشية من الهجرة مبعثها الخوف من الفقر وما يؤدى إليه من حرمان من مباهج الحياة ومن ضروراتها. فإنه تعالى أثبت ـ فى الآية ـ حقيقة الحياة الدنيا بكل ضروراتها والكماليات ومتعها الترفيهية، فذكر أنها لهو ولعب، والمعنى أنها تشبه الاستمتاع الوقتى الذى يجنيه الصبيان ويفرحون به خلال لهوهم ولعبهم. والقول ـ بهذا المعنى ـ هو قمة البلاغة، لأنه يثبت لمتع الحياة الدنيا الدونية فى ذاتها ببيان أن فائدتها فى الدنيا قليلة، كما أنه يثبت لها صفة الزوال بعد مدة قصيرة، شأن لهو الصبية ولعبهم، لا يدوم سوى فترة قصيرة لا يكسبون خلالها من ورائه شيئا ذا قيمة .

ثم إنه تعالى يثبت أن ما يجب الحرص عليه هو الدار الآخرة أخبر تعالى عنها مؤكدا بأنها الحيوان، بمعنى أنها الحياة الحقيقية التى لا تسمى الحياة الدنيا ـ مقيسة بها ـ حياة.

وقوله تعالى «لو كانوا يعلمون» هو أداة شرط وفعلها، وجواب الشرط محذوف، ومعناه لكان من الناس أنهم عملوا للآخرة عملها، وما حرصوا على الحياة الدنيا .

فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾

التفسير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ فى المبطلين الذين طلبوا أن تكون آيات رسول الله ﷺ من قبيل الآيات المادية التى أيد بها تعالى رسله مع معرفتهم أن القرآن العظيم منزل على رسول الله ﷺ من رب العالمين .

يذكر تعالى ـ فى الآية ـ ما يفيد أنهم مصروفون عن الإيمان الحقيقى وتوحيد الله رغم أنهم يدركون فى أنفسهم أنه تعالى الملك الحق الذى لا إله غيره. فيقول تعالى إنهم إذا ما ركبوا سفينة وتعرضت وهم بها لخطر الغرق ألجأتهم الشدة إلى الله تعالى فذكروه وسألوه أن ينجيهم يفعلون ما يفعله المؤمن الذى أخلص لله دينه. وهم إنما يفعلون هذا لأنه معلوم لديهم فى دخائل نفوسهم أنه تعالى الله الواحد الذى بيده وحده أمورهم.

ثم إنه يكون منهم بمجرد أن ينجيهم الله من خطر الغرق وتصل بهم السفينة إلى البر وإلى ما يرونه أمانا لهم، يكون منهم الإشراك بالله تعالى وعبادة غيره بغير تأخر ولا توان. فالقول يثبت ما سبق أن أظهرته الآيات السابقة من تناقض بين أفعال المبطلين وما يعتقدون صحته .

﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝٦٦﴾

التفسـير:

قولـه تعالى ـ فى الآية ـ هو فى المشـركين الذيـن دعوا الله عند الخطـر وأشركوا بـه عند شعورهم بـالنجاة منه. قيل إن اللام فـى «ليكفروا» و«ليتمتعوا» هى لام «كـى»، وقيل هى «لام الأمر»، ونرى أنها «لام الأمر» أريد بها التهديد والتوعد وليس فعل المأموربه.

فيكون المعنى هـو «فليكفر الكافرون بما آتيناهـم من النعم، وليتمتعوا بكفرهـم وكفرانهم، فإنهـم سيعلمون مـن العذاب الذى يكـون لهم بهـذا الكفر والتمتـع أنهم كانـوا على بـاطل استحقوا به العذاب .

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ۚ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ ۝٦٧﴾

التفسـير:

قوله تعالى فى كفـار مكة والقول يبين أنهم من الذين كفروا النعمة الـذين توعدهم الله فى الآية السابقة بالعذاب يتبينون منه أنهم كانوا مبطلين .

فهو تعالـى يذكرهم بـالنعمة التى أنعم بهـا عليهم من جعله مكـة حرما آمنا لا يعتـدى فيه على مخلوق من أجناس الإنسان والحيوان والطير، وقد فـرض تعالى هذه الحرمة على الناس فاحترموها فأمن أهل مكة على أنفسهم ما يصيب الناس فى المناطق المحيطة بهم حيث تقع الإغارات التى يقتل فيها من المعتدى عليهم من يقتل، ويختطف منهم من يختطف .

وقد جاء التعبير عن هذه النعمة بالاستفهام الإنكارى المراد به إثبات المستفهم عنه.

ثم إنه تعالى بعد أن بين هذه النعمة التى أنعم بها على أهل مكة، أنكر على الكافرين منهم عدم أداء حق هذه النعمة من الشكر يكون بالإيمان بالله وتوحيده، وأنكر فعلهم الذى تمثل فى الشرك بالله، وهو إيمان بالباطل متمثلا فى الصنم وفى إبليس ووسوسته.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ ۚ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴿٦٨﴾﴾

التفسير:

بين تعالى حال المشركين وذكر جزاءهم متوعدا، فأظهر أنه ليس بين الظالمين من يماثل فى ظلمه المشرك الذى افترى على حق الله تعالى فى الألوهية والتوحيد والعبادة الكذب فقال بالشريك أو عبد من دونه تعالى شريكا، ولا المكذب بالقرآن العظيم وبرسول الله ﷺ الذى جاءه بما أنزل إليه من ربه فلم ينظر فيه ليرى أيؤمن به أم لا، وإنما بادر إلى الكفر به.

ثم إنه تعالى أثبت أن المفترين على الله الكذب والمكذبين بالحق لما جاءهم يكون مثواهم فى الآخرة والمكان الذى يقيمون فيه هو جهنم.

جاء التعبير عن هذا فى صيغة استفهام إنكارى منفى «أليس فى جهنم» لبيان واقع أن فى جهنم مثوى لهؤلاء أعد لهم ليكون جزاء لهم على افترائهم الكذب على الله تعالى أو على التكذيب بالحق لما جاءهم .

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾

التفسـيـر:

مثل ما كان منه تعالـى ـ فى الآية السابقة ـ إذ بين حال المشركيـن وذكر جزاءهم متوعدا، فإنه تعـالى يبين فى الآية حـال المؤمنين الذين صـح إيمانهم وبين جزاءهـم واعدا وصفهم بأنهم «الذين جاهـدوا فينا» بمعنى أنهم جاهدوا لوجه الله، جاهدوا نفـوسهم فلم يطيعوها فى المعـاصى والـرغبات، وجـاهدوا العـدو لأجل الله وليـس ليقال إنهـم مجاهـدون، وجاهـدوا أنفسهم علـى الصبر على الطاعـات. وعدهم تعالـى بأنه يهديهـم سبله، والمعنى أنه تعـالى يهديهم إلـى ما يوصله إلى رضـائه وجنته أو إلى علو منزلتهم عنـده تعالى بأن يزيـدهم هدى فتعلو مرتبتهم بين المهتدين.

وقوله تعالى ـ فى ختام الآية ـ «وإن الله لمع المحسنين» تضمن وصف الذين جاهدوا فى الله بأنهـم المحسنون أحسنـوا إلى أنفسهم بـالجهاد فى الله، وعملـوا أحسن الأفعـال حسنها وجملها أنه أريد بها وجه الله تعالى.

ثم ذكر تعالى أنـه معهم، والمعنى أنه يبارك وينمى كل عمل لهم فيـه خير وأنه تعـالى يرد عنهـم كل شر؛ ولذلـك فإن القول يكـون وعدا لهم بـالنجاة من الغواية تكـون فـى آخر العمـر فتفسـد ما قدمه المـرء من قبل، وليس لمـن كان الله معه أن يخشى أمـرا ولا أحدا من خلقه.

■■■■

بسم الله الرحمن الرحيم
سورة الـروم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ
﴿٣﴾ فِى بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ
ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾

أولا : الأسماء والأعلام :

الروم : قيل ـ فى المراجع العربية ـ أنها قبيلة من ولد رومى بن يونان بن علجان بن يافث ابن نوح عليه السلام ، وقيل من ولد يافان بن يافث ، وقيل من ولد رعوئيل بن عيص بن إسحاق بن إبراهيم عليه الصلاة والسلام .

وفى التاريخ فإن « الروم » فى معنى الآية هم أهل « روما » وقد تأسست روما ـ على أرجح الآراء ـ عام ٧٥٤ قبل ميلاد المسيح عليه السلام من ثلاث قبائل كانت إحداها قد نزحت من مدينة «ألب» أو « ألبا » من مدن سهل اللاتيوم إلى المكان الذى أسست فيه مدينة روما ، وكان نزوحها فى حوالى القرن الحادى عشر قبل الميلاد .

وانتشرت فى شكل جماعات سكنت جبل « البلاتين » حيث كانت بعض القرى اللاتينية الأخرى أقامتها قبائل سابينية من سكان اللاتيوم « وقبائل اللوكريين من سكان جبل « كاليوس ».

وقد اتحدت هذه القبائل فيما يعرف « بحلف المرتفعات السبعة » وفى حوالى القرن السابع قبل الميلاد اندفع الأتروسك سكان شمالى « نهرالتيبر » فى فتوحاتهم جنوبا حتى أخضعوا القرى اللاتينية لحكمهم ، وأصبح ملوك روما فى العصر الملكى من « الأتروسك » إلى أن قامت ثورة الأرستقراط والأشراف ضد ملوك الأتروسك بين عامى ٥١٠ و٥٠٩ قبل الميلاد ، وعلى أثرها وجدت الجمهورية ، وفى أواخر العصر الجمهورى تولى مقاليد الحكم ثلاثة قناصل استأثر من بينهم يوليوس قيصر بالحكم ، ثم قتل فى عام ٤٤ قبل الميلاد وتولى الحكم بعده مارك أنطونيو وأولتافيوس ولبيدوس ، وفى سنة ٣٢ قبل الميلاد وقع القتال بين أوكتافيوس ومارك أنطونيو فى واقعة أوكسيوم البحرية وفيها انتصر أوكتافيوس ، ومنحه مجلس الشيوخ لقب « الإمبراطور » وأصبحت روما إمبراطورية وتوفى أوكتافيوس سنة ١٤ للميلاد وتبعه أباطرة كثيرون ثم تولى قسطنطين الحكم سنة ٣٠٦ للميلاد فاعتنق المسيحية وجعلها دينا للدولة وجعل بيزنطة عاصمة ثانية للإمبراطورية باسم « القسطنطينية » وتوفى سنة ٣٣٧ للميلاد وتولى الحكم بعده كثيرون إلى أن تولى « تيودور » فقسم الإمبراطورية إلى شرقية عاصمتها القسطنطينية ، جعل حكمها لولده أركاديوس ، وغربية عاصمتها روما جعل حكمها لولده « هونوريوس » ، ثم أغارت الشعوب الجرمانية على الإمبراطورية الغربية وقضت عليها سنة ٤٧٧ للميلاد ، وتولى جستنيان حكم الإمبراطورية الشرقية سننة ٥٢٧ للميلاد وهذه الإمبراطورية هى التى عاصرت بعثة رسول الله ﷺ بصفتها دولة ذات سيادة وقتذاك .

ثانيا : التفسير :

افتتحت السورة بأسماء الأحرف « الٓمٓ » ثم اتبع تعالى ذلك بخبر وبشارة وتقرير ، فالخبر هو وقوع الهزيمة بالروم أو الرومان فى أقرب مكان من ملكهم إلى مكة ، وكانت فارس قد هزمت الرومان ما بين « أذرعات » و « بصرى » وهو أقرب مكان من الأرض التى ملكوها إلى مكة . والبشارة هى أنه يكون للرومان من بعد هزيمتهم على أيدى أعوانهم الفرس نصر عليهم يتحقق خلال بضع سنين بمعنى أنه يكون ما بين ثلاث سنوات وتسع سنوات

محسوبة من يوم انتصار الفرس عليهم ، ثم إنه تعالى أوضح أن هزيمة الروم إنما كانت بأمره كما أن انتصارهم يكون بأمره تعالى « لله الأمر من قبل ومن بعد » فقد كان له الأمر قبل نصرهم المبشر به أى وقت أن كانوا مهزومين ، كما إنه يكون له الأمر من بعد انتصارهم ، أى وقت كونهم منتصرين . فيكون القول مشيرا إلى حكمته تعالى التى اقتضت هزيمة الروم والتى اقتضت ـ من بعد ـ انتصارهم .

وقوله تعالى « ويومئذ يفرح المؤمنون » هو تفسير لاعتبار انتصار الرومان المخبر عنه يقع فى المستقبل من قبيل البشارات ، ولذلك فإنه حين يقع يفرح المؤمنون وقيل فى سبب ذلك إنه لما كان الفرس على المجوسية وهى من العبادات « المثنوية » والوثنية ، وكان الرومان أهل كتاب لكونهم من النصارى ، فإنه حين وقع انتصار الفرس الوثنيين على الرومان أهل الكتاب شمت كفار مكة الوثنيون بالروم وقالوا للمسلمين : ظهر إخواننا من أهل فارس على إخوانكم من أهل الكتاب ، وهكذا سيكون شأننا معكم فنحن مثل الفرس وأنتم مثل الروم ، وقد يكون قول كفار مكة هذا هو السبب الذى يجعل المسلمين يفرحون بانتصار الروم على الفرس ، لما فيه من إسقاط فى المعنى عليهم ، وليس لمجرد كونهم على ماهو شائع فى التفاسير ـ والله أعلم ـ وذلك لأن الرومان ـ وإن كانوا أهل كتاب ـ إلا أن تحريف العقيدة والقول بألوهية المسيح عليه السلام وبنوته لله تعالى والتثليث كان نتاج مؤتمراتهم ، وكذلك كان تغيير أحكام شريعة موسى التى أقرها المسيح عليه السلام ، كان فعلهم ، فهم الذين أباحوا لحم الخنزير وشرب الخمر ، فلا يقال فيهم إنهم أهل الكتاب الذين يفرح لهم المسلمون مع كونهم الذين حرفوا المعنى عما أنزل فيه النص.

وقد يفسر هذا أن قوله تعالى مقروءا هو « ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء » فيكون فرح المؤمنين يوم ينتصر الروم على الفرس مشيرا إلى أنه تعالى ينصرهم على الكافرين ـ على ماجاء بقول المشركين لهم ـ يؤيد هذا قوله تعالى « ينصر من يشاء » وهو تعالى بقوله «ولينصرن الله من ينصره » إنما ينصر من ينصره وليس المحرفون للعقيدة والشريعة هم الذين ينصرون الله تعالى ، لكنهم المسلمون الذين ينصرون الله وهو ناصرهم ، فيكون انتصار الروم

بمثابة علامة على انتصار المسلمين على الكافرين . هذا وقد تحقق انتصار الروم على الفرس في السنة السابعة من تاريخ انتصار الفرس عليهم .

وقوله تعالى ـ وهو العزيز الرحيم ـ يفيد والله أعلم ـ صحة الرأى الذى رأيناه، فهو تعالى بحكم كونه العزيز ينصر من يشاء فلا يكون لأحد عليه غلبة، وهو تعالى ينصر من يشاء رحمة منه به، فإذا كان أحد المتخاصمين مؤمنا والآخر كافرا، شملت رحمته المؤمن. وإذا كان المتخاصمين كافرين فإنه تعالى يقدر نصر أحدهما على الآخر وفق حكمته، لكن نصره تعالى لايكون رحمة بأحدهما اختصه بها دون الآخر، لأنه ليس لأحدهما عند الله ما يفضل به خصمه.

﴿ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٦ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ۝٧ ﴾

التفسير:

قد يكون قوله تعالى ـ في الآيتين ـ مؤكدا ـ والله أعلم ـ ما رأينا من رأى، فهو تعالى إنما يعد المؤمنين بالخير، ولا يعد الذين أشركوا بالخير وهو أشد الذنوب جلبا لسخطه تعالى وغضبه، وإنما هو يخبر عما يكون لهم في المستقبل؛ ولهذا فإن الوعد الذى ذكر تعالى أنه لا يخلفه كشأنه في كل وعد له، فهو انتصار المسلمين على الكافرين المستدل عليه بالعلامة التى هى انتصار الروم؛ ولهذا جاء قوله تعالى «ولكن أكثر الناس لايعلمون» مشيرا ـ فيما نرى ـ إلى كفار مكة الذين قالوا للمسلمين إنهم ينتصرون عليهم كما انتصر إخوانهم الفرس على الروم، فيكون قوله تعالى قد وصفهم بجهل أنه تعالى ناصر المسلمين عليهم كما وعدهم .

وبعد هذا وصف تعالى هؤلاء الجاهلين الذين لم يعلموا أنه ناصر المسلمين بإذنه بأنهم إنما يعلمون ظاهر الأمور الدنيوية دون بواطنها، وأنهم غافلون تماما عن أمور الآخرة ظاهرها

وباطنها. فهم لا يهتمون إلا بأمور الدنيا الزائلة، وفيها لا يعلمون إلا ما تعلق بالأمور الظاهرة مثل مباشرة التجارة وتحقيق الكسب، ومعرفة مواعيد الزراعة وأماكن الرعى، أما ما تعلق بصلاح القلوب بمعرفة الله، والقرب من الله بالتقوى والطاعات فهم لم يعلموا من أمره شيئا لأنهم لم يحرصوا على العلم به. ثم إنهم عن الظاهر من أمور الآخرة من أداء فروض وواجبات وانتهاء عن المعاصى غافلون، فلم تشغل الآخرة فكرهم، ولذلك كانوا عن الأفعال الظاهرة التى تؤدى إلى صلاح الحال فيها غافلين. أما عن بواطنها مما تعلق بالبعث والحساب والثواب والعقاب فهم فى غفلة أشد وأقوى، قد فرغت قلوبهم ولم تمتلىء بذكر الله فحق فيهم قوله تعالى «وهم عن الآخرة هم غافلون» .

أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾

التفسـيـر:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ فى هؤلاء الذين لا يعلمون إلا شيئا من الأشياء الظاهرة فى أمور الدنيا ويجهلون تماما ما تعلق بالآخرة يثبت تعالى أنهم فى شأن الأمور الدنيوية الظاهرة يجهلون منها الكثير ومن ذلك أنهم يجهلون أنفسهم وهى ذواتهم، لو كانوا قد نظروا فى أنفسهم وكيف خلقوا وكيف يموتون لكانوا قد آمنوا بالبعث والحساب، لكنهم لم ينظروا فجهلوا وكفروا، ثم يثبت تعالى أنهم لم يتفكروا فى خلق السماوات والأرض وما بينهما مما يشاهدون ويعلمون أمره فى دنياهم، ولو تفكروا لأدركوا أنه تعالى خلق السماوات والأرض وما بينهما بالحق أو متلبسين بالحق، ليكون بهم وفيهم ما خلقوا له، ولأدركوا أنهم مسيرون فى الكون سائرون وفق مشيئته تعالى إلى أجل مسمى عنده تعالى يكون فيه زوال السماوات والأرض، وهو يوم القيامة .

ثم إنه تعالى بعد أن أثبت أن غفلة الكافرين عن التفكر فى خلق السماوات والأرض وما بينهما أدت إلى جهلهم أنها جميعا تزول يوم القيامة الذى يكون فيه الجمع للحساب والجزاء، أثبت تعالى أن هؤلاء الجاهلين هم من الكثيرين الذين لم يؤمنوا بلقاء الله تعالى فى الآخرة للحساب فكفروا بالآخرة .

أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾

التفسير:

قوله تعالى : فى الآية ـ لايزال فى كفار مكة الذين أثبت تعالى أنهم لم يعلموا إلا ظاهرا من أمور الدنيا، ولم يعلموا الظاهر كله من أمور الدنيا، وذلك لأنهم لم يتفكروا فكان لهم الجهل .

وفى قوله تعالى «أو لم يسيروا فى الأرض فينظروا» إثبات لكون هؤلاء الكافرين قد ساروا فى الأرض وشاهدوا بأعينهم، وإنكار لأنهم لم يتبصروا ولم تكن نظرتهم إلى الأشياء نظرة تفكير وتدبر، بل كانت نظرة غافل على ما وصفهم تعالى بأنهم عن الآخرة غافلون، لأنهم لم يعتبروا بها لآخرتهم.

والذى ينكر تعالى عليهم الغفلة عنه هو العلم من المشاهد بأنه كان عاقبة المكذبين الرسل من قبلهم هى الهلاك، كان مفترضا أن يدركوا هذا من معاينتهم آثار عاد وثمود التى يمرون عليها من بين الأمم المهلكة. وكان مفترضا فيهم أن يدركوا أنهم ليسوا أعزاء على الله

تعالى بأكثر من هؤلاء المهلكين الذين كانوا من قبلهم وكانوا أشد منهم قوة وبأسا فلم تغنهم قوتهم من الله شيئا، ثم إنه كان منهم فى الأرض أنهم قلبوها للزرع ولاستخراج المياه والمعادن، وأنهم عمروها بإقامة المبانى والمصانع بأكثر مما فعل كفار مكة، فلم تمتنع الأرض وما عليها على أمر الله لما جاءها بالخراب .

ثم إنه تعالى ذكر فى شأن هؤلاء المهلكين ما يماثل حال كفار مكة المقصودين بالقول فذكر أنهم جاءتهم رسلهم بالبينات، بمعنى أنهم جاءوهم بالأدلة والحجج الواضحة الدلالة على صدقهم، والمستفاد من قوله تعالى «فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون» هو أنهم قد كفروا الرسل وجحدوا بالآيات فكان منه تعالى إهلاكهم بكفرهم. فيكون التماثل والتشابه بين المهلكين من الأمم السابقة وكفار مكة هى فى تكذيب الرسل والجحد بالآيات، ويكون القول متضمنا تهديدا ووعيدا لكفار مكة بالعذاب إذا ما أصروا على التكذيب والجحود.

وقوله تعالى فى شأن المهلكين من الأمم السابقة «فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون» تضمن نفى تصور أنه يكون منه تعالى فعل يعد من قبيل الظلم ـ فيما لو صدر عن غيره ـ يكون قد أدى إلى هلاك المكذبين رسلهم، وتضمن إثبات أن هلاكهم كان جزاء لهم على ما قرفوا فى حق أنفسهم إذ ظلموها بكفرهم رسلهم وجحودهم بالآيات، فحق عليهم العذاب .

ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾

أولا : الأسـماء :

١ ـ الذين أساءوا : هم الذين ارتكبوا السيئات والخطايا. ومن أشدها كفرهم رسلهم

وجحدهم بآيات الله .

٢ ـ السوءى : هى العقوبة بالنار.

ثانيا : التفسير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ فى منكرى الرسل من الأمم السابقة المهلكة ومن كفار مكة، باعتبارهم مقارفين أشد أنواع السيئات والخطايا، وقد يكون معهم غيرهم من مرتكبى السيئات والخطايا .

وفى القول تقديم وتأخير، فمعنى قوله تعالى «ثم كان عاقبة الذين أساءوا السوءى» هو «ثم كانت السوءى ـ وهى العقاب بالنار ـ عاقبة أمر الذين ارتكبوا السيئات والخطايا». ثم أوضح تعالى ما اعتبر منهم من السيئات والخطايا التى أوجبت دخولهم النار وعقابهم بها، فبين أنه تكذيبهم بآيات الله المنزلة على رسله، وآياته المؤيدة لهم، واستهزاؤهم بها. فيكون القول متضمنا تهديدا لكفار مكة الذين كذبوا بالقرآن العظيم كتابا منزلا على رسول الله ﷺ واستهزءوا به .

﴿ٱللَّهُ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ١١﴾

التفسير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ هو ـ من جهة ـ فى بيان أنه تعالى وحده هو الخالق من العدم، وهو الذى ينشىء النشأة الأخرى ـ وهى البعث ـ بما يعنى استحقاقه وحده أن يعبد من خلقه. وهو ـ من جهة ثانية ـ فى بيان أنه يبعث الناس ليرجعوا إليه لحسابهم عما كان منهم فى شأن توحيده أو الإشراك به، وطاعته أو عصيانه.

فيكون القول ـ بهذا المعنى ـ توطئة لما سيأتى ذكره من أحوال المشركين وأحوال المؤمنين الموحدين .

وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ شُفَعَٰٓؤُا۟ وَكَانُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٣﴾

التفسـير:

قوله تعالى - فى الآيتين - هو فى بيان حال المكذبين والمشركين. يقول تعالى إنه فى يوم القيامة ييأس المكذبون والمشركون من النجاة من العذاب فيسكتون لا يجادلون عن أنفسهم «يبلس المجرمون»، وصفهم تعالى بأنهم المجرمون لأنهم أجرموا فى حقه تعالى بشركهم.

ثم يثبت تعالى أنه لا يكون لهم ممن أشركوا بهم من الملائكة والرسل والرؤساء، وما أشركوا به من أصنام وكواكب وغيرها ما يفيدهم منه شىء بشفاعة يؤذن بها فتقبل من الله. وأنهم يكفرون بألوهية ما عبدوا من دون الله فى دنياهم بما يرون من أنهم لا يملكون لهم شفاعة ولا يستطيعون نصرهم، ولا يفعلون .

وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾

التفسـير:

بعد أن مهد تعالى لبيان حال كل من الكافرين والمؤمنين يوم القيامة بذكره أن الجميع يرجع إليه يوم القيامة، ثم أتبع هذا ببيان ما يكون عليه حال الكافرين والمشركين يوم القيامة حين يتوقعون العذاب وحين يكفرون بما بهم أشركوا. جاء قوله تعالى - فى الآية - لإثبات شىء من أهوال يوم القيامة وهو افتراق المؤمنين والكافرين. أثبت تعالى أن المؤمنين والكافرين يتفرقون، بمعنى أن كلا منهم يبتعد عن الآخر لا يلازمه، ليجىء قوله تعالى - من بعد - ببيان مكان كل فريق من الفريقين .

■■■■

فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمۡ فِي رَوۡضَةٖ يُحۡبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآيِٕ ٱلۡأٓخِرَةِ فَأُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ ﴿١٦﴾

أولا : الأسماء :

الروضة : فى قوله تعالى «فهم فى روضة يحبرون» هى الأرض ذات النبات والماء، والمراد بها ـ فى معنى الآية ـ هو الجنة .

التفسير:

يخبر تعالى ـ فى مقام أول ـ عن مكان المؤمنين بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر وعملوا الصالحات، فيذكر أنه الجنة، وصفها بالروضة لما يكون فيها من النبات والماء، ثم أخبر عن حالهم بأنهم فيها يحبرون بمعنى أنهم يلقون ما يفرحهم ويسرهم، يتوالى ذلك فيدوم سرورهم وتدوم سعادتهم، فالقول يشير إلى دوام تنعمهم بنعم الجنة وعدم انقطاعها.

ثم يخبر تعالى ـ فى مقام ثان ـ عن مكان الذين كفروا وكذبوا بآياته تعالى التى أنزلها على رسله وآياته فى خلقه وكذبوا بالبعث والحساب والجزاء، يشير إليهم تعالى بـ «أولئك» لبيان بعد منزلتهم فى الإثم ويخبر عنهم أنهم يكونون فى العذاب وصف تعالى مكانهم بما يكون فيه لبيان أنه كله عذاب أو بأنه ليس فيه إلا العذاب، يكون فى كل شىء فيه بما فى ذلك الطعام والشراب.

ثم بين تعالى أن حالهم فى العذاب يكون هو الدوام والاستمرار الذى لا انقطاع له، فهم فيه ـ على الدوام ـ محضرون.

فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمۡسُونَ وَحِينَ تُصۡبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَعَشِيّٗا وَحِينَ تُظۡهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَيُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ وَكَذَٰلِكَ تُخۡرَجُونَ ﴿١٩﴾

التفســــــير:

بعد أن بين تعـالى مكان المؤمنين فـى النعيم ـ فى الآخرة ــ ومكان الكافرين، أمـر تعالى المؤمنيـن بتسبيحه وتنزيهه عنـد صلاة المغرب «حيـن تمسون»، وعند صلاة الصبـح «وحين تصبحون» فيكـون الأمر بالتسبيـح من قبيل ذكر الـوسيلة التى يصـل بها المكلفون إلـى مكان المؤمنيـن المذكور آنفا وهـو الروضة التى فيهـا يحبرون. وقيل إن المـراد بالتسبيح ـ فـى معنى الآية ـ هو الصلاة .

ثم إنه تعـالى بين أنه يحمد مـن خلقه فى السماوات وفى الأرض وأنـه مستحق أن يحمد من هـؤلاء ومن الناس ــ وهم ممن فـى الأرض ـ فى هـذه الأوقات أى وقت صـلاة المغرب، ووقت صلاة الصبـح، وفى الوقت ما بيـن صلاة المغرب والعشاء، ووقـت الظهيرة. أو الظهر، وقيل إن ذكر هذه الأوقات الأربعـة إنما يكون لتغيير الناس فيها أحوالهم مـن الحركة والسكون وارتداء الثيـاب والتخفف منها، ولم يـذكر وقت صلاة العصـر لأنه لا يكون فيه هـذا. وقيل إن المراد بـالحمد هو الصـلاة لأنه يقرأ فيهـا بالفاتحـة وقوله تعـالى «الحمد لله رب العـالمين» فيكون القول مفيدا أنه تعالى يحمد فى الصلاة فى جميع الأوقات. وقد يكون الصحيح ـ والله أعلم ـ أن القـول يشير إلى وجوب حمده تعالـى على جميع نعمه، والحرص علـى حمده فى الأوقات المذكورة حتى لا يغفل المرء فيها عـن حمد الله لانشغال أمره بما يكون به الانشغال فيها .

ثم إنه تعالـى أثبت صفة من صفاته أو فعـلا من أفعاله التى أوجبت علـى الناس تسبيحه وحمده فـذكر أنه يخرج الحـى من الميت ويخرج الميـت من الحي وأنه يحيـى الأرض بعد موتها ـ وقـد سبق تفسير ذلك ـ ثم قال تعـالى «وكذلك تخرجون» بمعنى أنـه على هذا النحو يكون بعثكم أحياء من بعد موتكم وخروجكم من قبوركم للحساب يوم القيامة .

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾﴾

التفســــــير:

بعد أن ذكر تعالى من أفعاله إخراج الحـى من الميت وإخراج الميت من الحى، وإحياءه الأرض الميتة، وفى هذه الأفعال مـا يدل على قدرته على بعث الناس يـوم القيامة للحساب، فإنه تعـالى ذكر من أفعاله أيضـا ما أسماه آيات وذكره بـأنه بعض آياته لتكون دليـلا على أنه يبعث النـاس من المـوت للحساب والثـواب والعقاب. فذكـر أنه خلـق الإنسان مـن تراب، والمراد هو خلق آدم عليه السلام، ثم بين تعالى أنـه كان من بعد هذا وجود جنس الإنسان فى الصورة البشرية التى لا تشبه التراب أصلها فـى شىء، ثم إنه يكون انتشار الإنسان فى الأرض مقاما وإقامة فـاختلاف لون وشكل وهيئة وطبع ـ مع وحدة الأصل ـ وقدرة على الانتشار فى الأرض بالسفـر والتنقل لم تكـن تتصور فى الأصـل الذى خرج منـه الإنسان، وهذه آيـات منه تعالى تثبت قدرته على أن يبعث الناس من قبورهم يوم القيامة .

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾

التفســـــير:

يذكر تعالى ـ فـى الآيةـ آية أخرى من آياته فى الخلق تدل بالعقـل على قدرته على بعث الناس للحساب يوم القيامـة هذه الآية تتمثل فى خلقه حواء من جـزء فى جسد آدم لتكون له زوجا، فيكون الأمر كما لـو كانت النساء المتخذات أزواجا للرجال مخلـوقات منهم ـ بحسب الأصـل ـ ثم ذكر تعالى أن الحكمة من هذا هـى أن يكون بالزواج سكون الرجال إلى نسائهم، يميلون إليهم ويأنسـون إليهم وبهم، وليكون بين الرجال والنساء الأزواج التـواد والتراحم. ثم إنه تعالـى يذكر أن فى خلـق الإنسان من تراب وخلق النســاء من الرجال ـــ بحسب الأصل ـ ليكون سكن الرجال إلى نسائهم وليكون بينهـم وبينهن التواد والتراحم آيات عظيمة يدرك بها الـذين يعقلـون أنه تعـالـى الخالـق القادر المحيـى والمميت، البـاعـث من القبـور المـوتـى للحساب، فيكون منهم الإيمان والتوحيد وتكون منهم عبادته تعالى وحده بغير إشراك به .

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾﴾

التفســـــير:

يذكر تعالى ـ فى الآية ـ آيات أخرى فـى خلقه تدل على وحدانيته وقدرته على كل شىء، منها خلقـه تعالى السمـاوات والأرض على النحو الـذى لا يتصور أن يكون إلا ممـن لا حدود لقدرته ـ وقـد سبق بيان ذلك علميـا ـ ومنهـا اختلاف لغات بنى الإنسان باختـلاف أجناسهم رغم الأصـل الواحد الـذى يجمعهم واختلاف ألـوان جلود أجسـامهم بين الأبيـض والأسود والأصفر، ومـا هو بيـن الأبيض والأسـود، مع تمـاثل الأعضـاء الداخليـة فى الشكـل واللون، واختلاف هيئة الأجسام فى المظهر الخارجى .

ثم إنه تعـالى يبين أن فى هذه الأمـور المذكورة آيات تـدعو للإيمان بالله وتـوحيده والعلم

بقدرته على البعث من بعد الموت، يعيها ويدركها الذين يعلمون الحق ولا ينكرونه .

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾﴾

التفسـير:

يذكر تعالى - فى الآية - آية أخرى من آياته العظيمة فى الخلق هى أنه جعل منام الناس بالليل وبالنهار ليكون بالنوم استرجاع القوى والنشاط، كما جعل سعيهم لطلب الرزق من الله تعالى ليلا لمن استوجب عمله أن يكون ليلا ونهارا لغالب الناس.

ثم بين تعالى أن فى هذا آيات واضحة تدل على عظيم قدرته وتدفع إلى الإيمان والتوحيد للذين يسمعون آياته المنزلة على رسله سماع تفهم وتبصر، وليس سماع بهائم لا تفهم معنى القول.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾﴾

التفسـير:

يذكر تعالى - فى الآية - من آياته فى خلقه أنـه يوجد البرق بإيجاد أسبابه - وقد سبق بيانها علميا - فيراه الإنسان فيكون الخوف من الصواعق ويكون الأمل والطمع فى المطر، وأنه ينزل من جهة العلو من السحاب ماء المطر ينـزل على الأرض اليابسة الميتة فيكون به إحياء الأرض بخروج النبات منها .

ثم يذكر تعـالى أن فى هذه الأفعال آيات عظيمـة تدل على وحدانيته تعالـى وقدرته على كل شىء يـدركها أصحاب العقول الذين يستخلصـون النتائج من المقدمات بطـريق العقل والمنطق.

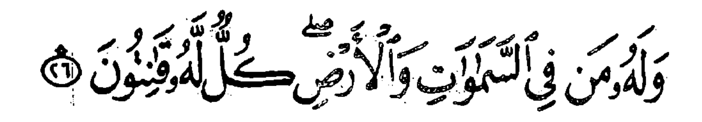
وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾

التفســــــير:

يذكـر تعالى ـ فـى الآية ـ مـن آياته العظيمـة الدالة على عظـم قدرته أن قيـام السماوات والأرض على مـا خلقهما عليـه كائن بـأمره ومشيئتـه. وقد يكـون القول مشيـرا إلى القـوانين العلمية التي تحكم حركـة الأفلاك فى السماء والتى لولاها ما استمـرت على حالها، والمعبر عنه ببقاء السماوات قائمة بغير عمد، والقـوانين التى تحكم دوران الأرض حول نفسها وحول الشمس، وقانون الجاذبية التى لولاها ما بقى حـال الأرض على ما هو عليه، هى بمثابة أمر منه تعالى ببقاء السماء والأرض على حالهما أو قيامهما على ذلك.

ومن آياته أيضا أنه ما أن يدعو الأموات يوم القيامة إلا ويكون منهم الخروج من قبورهم فى الأرض للحشر.

وفى النص جـاءت «إذا» فى قوله تعـالى «إذا دعاكم» شرطيـة، وفى قوله تعـالى «إذا أنتم تـخرجـون» فجائية بمعنى «الفـاء» تفيد معنى سرعـة التحقق والتتابـع ترتيبا على تحقـق فعل الشرط وهو دعوته تعالى للناس .



التفسـير:

قوله تعالى - فى الآية - هو فى بيان مالكيته تعالى كل ذى عقل فى السماوات والأرض من ملائكة وإنس وجن، بما يعنى أن له تعالى التصرف فى وجودهم وإفنائهم وتسيير حياتهم على النحو الذى يريد.

ثم إن النص يثبت أنهم جميعا منقادون لحكمته فيهم لا يملكون من أمور أنفسهم شيئا، وأنهم غير ممتنعين عليه تعالى.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾

التفسـير:

يذكر تعالى - فى مبتدأ القول - مظهرا من مظاهر قدرته غير المحدودة سبق ذكره ليكون تكراره لمزيد من التقرير قد يكون سببه إنكار الكافرين، وهو أنه تعالى الذى يخلق كل كائن من العدم، ثم إنه يعيد خلقه من بعد موته وفنائه يوم الدين.

ويعلم تعالى المخاطبين بالنص بأن إعادة خلق الأموات هى أمر أهون وأسهل من إيجادهم من العدم أول مرة، وإن كان كل أمر هينا عليه تعالى وسهلا .

ثم يذكر تعالى أن له وحده الصفات الكاملة سموا ورفعة فى السماوات والأرض التى يدركها خلقه فيهما والتى لا يدانيه فيها أحد من خلقه ولا يساويه، ومنها قدرته العظيمة على كل شىء وفعله .

ويجىء قوله تعالى - فى ختام الآية - «وهو العزيز الحكيم» لبيان أنه بحكم عزته لا يعجز عن شىء ومن ذلك بدء الخلق وإعادته، وأنه يجرى الأمور بحسب ماقضت حكمته .

﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾﴾

التفســـــير:

بعد أن ذكر تعالى من آياته العظيمة ما ذكر مما يدل على وحدانيته واستحقاقه وحده أن يعبد من خلقه بما يعنى فساد عقيدة الشرك به.

فإنه تعالى ـ فى الآية ـ يخبر الناس أنه ذاكر لهم مثلا ملموسا لهم من أحوال أنفسهم، والمثل يتعلق بالأحرار من الناس الذين يملكون العبيد والجوارى، يسألهم تعالى على سبيل الإنكار إثباتا لعدم تحقق المستفهم عنه، والمستفهم عنه هو ما إذا كان الأحرار يشركون معهم عبيدهم والجوارى فى ملكيته أموالهم التى يرزقهم الله إياها، فيكونون متساوين فى ملكيتها وفى خلوص حق التصرف فيها، فيكون من نتائج هذا أن الأحرار يخافون أن يتصرفوا فى أموالهم بإرادتهم وحدهم دون إرادة العبيد والجوارى.

ثم إنه لما كانت إجابة السؤال هى بالنفى قطعا، لأن الأحرار لا يشركون عبيدهم فى أموالهم ولا يخشون التصرف فى أموالهم بغير إعلام عبيدهم والحصول على موافقتهم على ذلك رغم اشتراكهم معهم فى صفة البشرية، فإنه يكون قد ظهر أن الاستفهام إنما كان لإنكار حدوث المستفهم عنه وتقرير عدم حدوثه. ويكون قد ظهر أيضا أن المراد من السؤال هو بيان أنه تعالى ـ وهو مالك كل شىء ـ لا يشرك معه فى الملك أحدا من خلقه أو شيئا مما خلق بما يعنى بطلان عقيدة الشرك.

ولهذا جاء قوله تعالى ـ فى ختام الآية ـ «كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون» بمعنى أنه على هذا النحو الوارد فى المثل المضروب يكون منه تعالى إيضاح الأمور.

ومنها ما تعلق بفساد عقيـدة الشرك، وإن كان الذين يستفيدون من هذه الأمثلـة هم الذين يعقلون، بمعنى أنهم يستخلصـون النتائج من المقدمات بطريق العقـل والمنطق، دون الذين يغلقون عقولهم عن الفهم لإصرارهم على الشرك نأيا عن العقل واتباعا للهوى .

﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّـٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾﴾

التفســـــير:

قوله تعـالى ـ فى الآية ـ تفسيـر للنتيجة المستخلصة من المثل المضروب وبيـان ذلك أنه لما كان المستفاد مـن المثل هو تقرير وحدانيته تعـالى، فإنه يكون محققا أن الـذين يقولون ـ بعد ذلك ـــ بعقيدة الشرك هم قـوم ابتعدوا عن اتباع العقل واتبعـوا أهواءهـم الباطلـة والزائغة التى لا يزكيها علم ولا منطق.

وصفهم تعـالى بأنهـم الذين ظلمـوا لأنهم اعتـدوا على حقه تعـالى أن يفرد فـى العبادة، واعتدوا على عقولهم فخالفوا ما يؤدى إليه إعمالها فكانوا ظالمين عن جهل .

ثم إنه لما كان هؤلاء على الضلال الذى اختـاروه لأنفسهم فلم يحل الله بينهم وبينه، فإنه تعالى أثبـت بالاستفهام الإنكارى فـى قوله تعالى «فمـن يهدى من أضل الله» أنـه ليس لهم سبيل إلى الهدى ليعـــذبوا بشركهم .

وقد أكـد تعالى عـدم هدايتهم بقـوله تعالـى «وما لهـم من ناصـرين» نفى أن يكـون لهم ناصرين يهدونهم إلى الحق فيجنبونهم العذاب، ليكون القول مثبتا أنهم يظلون على ضلالهم ليعذبوا به .

■■■■

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾

التفســـــير:

جاء قوله تعالى ــ فى مبتدأ الآية ـ «فأقم وجهك للدين حنيفا» أمـرا بما هو مفروض ترتيبا على ما ظهر من الآيات السابقة التى حملـت أدلة وحدانية الله وأظهرت بطلان عقيدة الشرك. والأمر موجـه إلى رسول الله ﷺ بصفته رأس الأمة فيكون مـوجها إلى جميع المؤمنيـن، ثم إنه لما كـان ﷺ قد بعث للنـاس كافة فـإن الأمر يكون مـوجها إلى جميـع الناس الذيـن تبلغهم الرسالـة. ومضمون الأمر هو الإقبال على ديـن الإسلام والاستقامة والثبات عليـه دون ميل إلى الهوى أو إلى العقائد الباطلة والزائفة «حنيفا» .

ثم إنه تعالـى قرر واقعا ـ حضا و إغراء على المـأمور به ـ وهو أنه تعالـى خلق الناس على عقيدة التوحيـد، وقد يكون هذا لأنـه أنعم على الإنسان بنعمـة العقل الذى يدرك الحـق من آيات الله فى الخلق ومن آياته المنزلة على رسله فيعلم أنه الواحد فتكون الفطرة والجبلة على التوحيد.

ويقرر تعالى أنه ليس فى مقدور أحد أن يغير من طبيعة الناس التى فطرهم عليها، والمعنى أن عقيدة التوحيـد لاتزال ثابتة فـى نفوس الناس إلى يـوم يبعثون، ولا يمنع هذا أن يكـون من الذين حقت عليهم الضلالة أنهم يزيغون عنها بأهوائهـــم وذلك لأنهم يكفرون بنعمـــة الله ـ وهى العقل ـ وبموجباتها ومنها توحيد الله وعدم الشرك به.

وبعد أن أمر تعالى بإسلام الوجه لله تعالى وحـده فإنه تعالى أثبت أن هذا هو الدين القيم، بمعنى أنـه المستوى الذى لا عـوج فيه، وهذا هـو الإسلام القائم علـى الإيمان بالله وتـوحيده

وعدم الشرك به. ثم أعقب هذا ببيان أن أكثر الناس لا يعلمون هذه الحقيقة لأن أهواءهم غلبت عقولهم فلم يدركوا الحق فانحرفوا عما فطرهم الله عليه إلى الشرك بالله .

مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾

التفسير:

جاء قوله تعالى ـ فى مبتدأ القول ـ «منيبين إليه» مبينا حال المخاطبين بالأمر بإقامة الوجه للدين حنيفا، ليدل على أن الأمر فى الآية السابقة موجه إلى جميع الناس وإن كان الظاهر أنه موجه إلى رسول الله ﷺ. والحال المذكور فى النص هو أيضا من المأمور به، فهو تعالى يأمر الناس بالإنابة إليه أى بالرجوع إليه بالتوبة وبإخلاص العمل لوجهه تعالى والانقطاع إليه وحده.

ثم إنه تعالى يأمرهم بتقواه، بمعنى أن يعملوا على اتقاء غضبه بعدم مقارفة المعاصى، ثم جاء أمره تعالى بإقامة الصلاة ونرى ـ والله أعلم ـ أن المراد بها صلاة المسلمين، فيكون القول مبينا أن الإسلام الذى وصف بأنه الدين القيم هو الإسلام بالمعنى الخاص الذى دعى إليه رسول الله ﷺ، وذلك لأنه تعالى اعتبر من لا يقيم هذه الصلاة من المشركين «ولا تكونوا من المشركين» ولما كان غير المسلمين يؤدون صلوات لهم ومع ذلك فإنهم اعتبروا من المشركين، فإن القول يكون موضحا أن الصلاة المأمور بإقامتها هى صلاة المسلمين، ويكون الدين المأمور بالدخول فيه والتزامه هو دين الإسلام .

وبعد هذا فإنه تعالى بين المشركين الذين ذكرهم النص، فبين أنهم الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا ـ وقد سبق تفصيل اختلاف فرق اليهود وطوائفهم فى أمور العقيدة والأحكام،

وكذا اختلاف طوائف النصارى فى شأن طبيعة المسيح عليه السلام وأمه وما دعى إليه، وفى شأن الأحكام التى ارتبطت بأحكام التوراة والاختلاف حولها، وكذا اختلاف عقيدة اليهود عن عقيدة النصارى، وهذا جميعه فى شأن الأصول وليس الفروع ــ فيكون القول داعما اعتبار هؤلاء وهؤلاء ـ بحكم أنهم الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا ـ من المشركين.

وفى القول يثبت تعالى أنهم انقسموا فى شأن أصول العقيدة أحزابا، يشايع كل منهم رأيا معينا أو رئيسا أو كاهنا معينا فيما يقول به، يكون فرحا بالرأى الذى يتشيع له معتقدا أنه الصواب وأن غيره هو الباطل.

والقول ــ بهذا المعنى ـ ينهى المسلمين عن الاختلاف فى الأصول باتباع الأهواء، وفى البعد عن الحكم بالهوى وحدة الدين وعدم التفرق فيه.

وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا۟ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ ۚ فَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾

التفســـــــير:

قوله تعالى ـ فى الآيتين ـ هو فى المشركين وفى ذكر طبيعتهم المتأثرة بالهوى والنائية عن العقل وإعماله. يذكر تعالى أنه إذا ما أصابهم ضرر أو نزلت بهم نازلة كان منهم اللجوء إلى الله تعالى راجعين إليه، يدعونه ولا يدعون آلهتهم التى يشركون بها ـ وذلك لما فطرت عليه نفوسهم من عقيدة التوحيد ـ ثم إنه ما أن يرفع تعالى عنهم الضرر الذى أصابهم أو ينجيهم برحمته مما أصابهم من بلاء أو ما تعرضوا له من خطر إلا ويكون من فريق منهم العودة إلى الشرك، بمعنى أنهم يعملون بأهوائهم ثانية مبتعدين عما فطرهم الله عليه. وقد يكون القول مشيرا إلى أن فريقا منهم لا يفعل هذا وأنه يثوب إلى الرشد من بعد رفع البلاء عنه فيبقى على

التوحيد الذى فطر عليه والذى ذكره به ما ألَمَّ به من البلاء.

ثم إنـه تعالى يتوعـد الذين يعودون إلـى الشرك بأنهـم سيعلمون مما يلقون مـن العذاب جسامة ما قرفوا من عودة إلى الشرك بعد اللجوء إلى الله.

فقوله تعالى «ليكفـروا بما آتيناهم» ليس أمرا لهم بالكفر، و إنمـا يعنى «فليكن منهم الكفر بالنعمة التـى أنعمنا عليهم برفع البـلاء عنهم رحمة منا» فـالقول تهديد بشر المـآل والعاقبة، وكذلك قوله تعالى «فتمتعوا» معناه هو «وليكن منهم الاستمتاع بما أنعمنا به عليهم من النعم ومنها رفع البلاء والضر عنهم.

وقوله تعالى «فسوف تعلمون» معناه أنه يقال لهـؤلاء الذين أشركوا إنكم سوف تعلمون بما تلقون من عذاب فداحة ذنبكم إذ أشركتم به تعالى ما لم ينزل به سلطانا .

أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِۦ يُشْرِكُونَ ٣٥

التفســــــير:

قوله تعـالى ـ فى الآية ــ هو فى بيان انعدام الحجـة والدليل لدى المشركيـن على صحة عقيدتهم، فبعد أن بين تعالى أن الشرك به هو نتيجـة اتباع الهوى، ولما كان ما ينفى أنه نتيجة اتباع الهوى هو أن تكون قد قامت عليه وبه حجة من الله تعالى.

فإنـه تعالى أثبت عـدم وجود هذه الحجة وذلـك بالاستفهام الإنكارى المسبـوق بـ «أم» وهى للقطع.

فيكون المـراد إثباته بالاستفهـام هو إنكار وجـود الحجة التى تقـول بالشرك أو التى تـدعم القول به، أو التى تفيد ألوهية معبود مما يعبـدون من دون الله. فلا يبقى إلا كون الشرك من قبيل اتباع الهوى .

■■■■■

وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةٗ فَرِحُواْ بِهَاۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ
سَيِّئَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ إِذَا هُمۡ يَقۡنَطُونَ ﴿٣٦﴾ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ
ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ﴿٣٧﴾

أولا : الأسـماء :

النـاس : فى قوله تعالى «وإذا أذقنا الناس رحمة» قد يكون المراد بهم ـ فى معنى الآية ـ المشركون السابق الإخبار عنهم، وقد يكون المراد بهم آخرون غيرهم. وقد يكون المراد بهم الناس فى مجموعهم باعتبار الأمر الغالب على أكثرهم .

ثانيا : التفسـير :

يذكر تعالى حال الناس لدى نزول نعمة من نعم الله بهم فى صحة أو ولد أو مال أو أى شيء ولدى إصابتهم بشدة من الشدائد تكون ـ فى حقيقة الأمر ـ بفعلهم أثرا له أو جزاء عليه، فيذكر تعالى أنه حين تصيبهم نعمة من النعم يكون منهم تلقيها بفرح البطر المكروه وليس بفرح شكر النعمة، وأنه حين تصيبهم شدة يكون منهم اليأس والقنوط من رحمة الله تعالى، يرون أنه تعالى قد اختصهم بالشدة بغير سبب وأنه لا يرفعها عنهم، مع كونها نتاج فعالهم وأن رحمته وسعت كل شيء .

ثم إنه تعالى ينكر عليهم فرحهم وقنوطهم فى الحالين أى فى الرخاء والشدة، مبينا أن الوضع الأمثل هو الرضاء فى الحالين يكون بالشكر عند النعمة والاحتساب عند الشدة على نحو ما يفعل المؤمنون. ويدلل تعالى على أنه كان على الناس المقصودين فعل هذا ترتيبا على مشاهدتهم وإدراكهم أنه يبسط تعالى الرزق لمن يشاء أو وقتما يشاء، وأنه يضيقه على من يشاء أو وقتما يشاء. فلا يكون على من وسع عليه رزقه سوى الشكر، ولا يكون لمن ضيق عليه رزقه غير الاحتساب إن كان من المؤمنين .

وقوله تعالـى ـ فى ختام الآية ـ «إن فى ذلـك لآيات لقوم يؤمنون» مفاده أن الـذين يؤمنون يدركون من هذا المشاهد أن كل شىء هو بأمر الله تعالى، وأن فعل العباد و إن كان سببا للرزق على الظاهـر أو للنعمة فإن حقيقة الأمـر هو أن ذلك رهن بمشيئتـه تعالى فهى التـى قدرت أن يكـون فعل العبـد والقـدرة عليـه، وهى التـى قـدرت أن تكـون له نتيجتـه. وهـذا مـا يدركـه المؤمنـون.

فَآتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾

التفســـــير:

بعد أن أثبت تعالى أنه المنعم على عباده بما شاء من النعم فإنه تعالى أمر فى الآية رسول الله ﷺ ـ على الظاهر ـ والمراد هو جميع المؤمنيـن بأن يكون منهم أداء حقوق المذكورين فى النص عليهم بحسب ما أنعـم الله به عليهم. والمأمور به هو إيتاء ذوى القـربى حقوقهم، ومن حقوقهم صلـة الرحم بالتـواد والمحبة ولو لم يكن القـائم بها ممن وسع الله عليـه رزقه، ومنها حقهم عليه أن يتصدق عليهم إن كان ممن وسع الله عليـه رزقه. والمأمور به هو التصدق على المساكين وعلى أبناء السبيل ـ وقد سبق بيانهما ـ يكون ممن وسع الله عليه رزقه ففاض منه ما هو فوق حاجته وحاجة أهله .

ثم إنه تعالى يبيـن أن إيتاء ذوى القربى والمساكين وأبناء السبيل حقوقهـم المأمور بها هو خير للذيـن يفعلون إذا ما فعلوا مبتغين وجه الله تعـالى مطيعين أمره، أو أنه خير لهـم من عدم إيتائهـم ما أمـروا به بـاعتبار العـاقبة، ولـذلك وصـف تعالـى الذيـن يطيعون أمـره بأنهـم هم المفلحون فهم الذين يكون لهم الكسب الحقيقى بالإثابة على الطاعة ولا يكون للذين بخلوا فلم يعطوا .

﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴾ ٣٩

التفســـــير:

بعد أن بيـن تعالـى فضل الإنفـاق من رزقـه تعالـى الذى رزق النـاس على ذوى القـربى والمساكين وأبناء السبيل ابتغـاء وجهه تعالى، فإنه أوضح فى النص أن مـا يبتغى به غير وجهه تعالى من إنفاق لا يكـون عليه أجر يضاعف به الثواب عنده تعالى، ومـن ذلك الربا إذ يعطى الإنسان من مالـه الغير ما يحتاجه أو ما يطلبـه إقراضا له، ليكون منه الحصـول عليه باسترداده وفوقه ما يـزيد عليه. لا يثاب المقرض على إعطـائه المحتاج حاجته من المال. لأنـه لم يبتغ بذلك وجه الله وإنما ابتغى زيادة ماله هو وكذلك حال الذين يزيدون للناس فى أموالهم قصد الانتفاع من هـذه الزيادة، مثل الـذين يأخذون مـن الناس أموالا ينتفعون بهـا ويتكسبون منها بدعوى أنهم يشركون أصحاب الأموال فى أعمـالهم المستثمرة فيها أموالهم، ثم يردون إليهم أموالهم وفوقهـا مبالغ أخرى بدعوى أنهـا ناتج ربح الأعمال المستثمرة فيهـا هذه الأموال مع أموالهم، قاصديـن بهذا جذب آخرين إلى إعطائهم أموالهم، مستهـدفين أن يصيبوا من جراء هذا الكسب المادى.

أثبت تعـالى أنهم ــ لعدم إعطائهـم الزيادة ابتغـاء وجه الله ــ لا يثـابون على عطـائهم ولا يضاعـف لهم الثواب . ثم إنـه تعالى أثبـت ــ فى المقـابل ــ أن الذيـن يؤدون الصدقـات من أموالهم مبتغين بذلك وجهه تعالى هم الذيـن يضاعف لهم الثواب أضعافا مضاعفة. فالقول هو فى بيان الفرق بيـن من أنفق ماله مبتغيا الكسب المادى فى الحياة الـدنيا، وبين من أنفق من ماله مبتغيا وجه الله .

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾﴾

التفسير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ عود إلى بيان بطلان عقيدة الشرك وبيان انعدام حجة المشركين، فيه دليل على جسامة إثم الشرك وأنه أشد ما يجلب غضب الله تعالى. وفى الآية جاء قوله تعالى «الله الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم» مبتدأ وخبرا، والمخبر عنه هو أنه تعالى الذى أوجد المشركين ـ كما أوجد جميع خلقه ـ من العدم بخلقهم أول مرة، وأنه الذى رزقهم فى حياتهم الصحة والعقل والمال والولد، وأنه الذى يميتهم عند انقضاء آجالهم ثم يحييهم فى النشأة الثانية يوم القيامة للحساب والجزاء.

ثم يجيء قوله تعالى «هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء» استفهاما إنكاريا يفيد علم المشركين أنه ليس مما يعبدون من دون الله من يفعل أمرا واحدا من مجموع الأمور والأفعال المذكورة فى النص، مما مفاده بالضرورة انعدام ألوهية ما يعبدون من دون الله؛ ولهذا جاء تنزيهه تعالى ذاته عن فعل المشركين وهو الشرك بالله وعبادة غيره تعالى.

﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤١﴾﴾

أولا: الأسماء:

الفساد: المراد به ـ فى معنى الآية ـ كل ما يفسد على الإنسان إفادته من الأشياء ويسبب له الضرر، يدخل فى هذا ما كان بغير فعل منه مثل الكوارث الطبيعية والأنواء التى

تعصف بـالمباني فـي البر وبـالسفن في البحـر فتغرقها، ويـدخل فيـه ما كان بفعـل الإنسان المباشر مثل القتل وقطع الطريق في البر، وأعمال القرصنة في البحر، ويدخل فيه ما كان بفعل الإنسان غير المباشر مثل تلويث الأرض والجو، وتلويث مياه الأنهار والبحار والمحيطات .

ثانيا : التفســـــير:

يخبر تعالى ـ في الآية ـ عن ظهور الفساد في البر والبحر، والمعنى أنه عند نزول النص كان الفساد قد ظهر فـي البر وفي البحر أو أنه كان مـوجودا ، والمراد بالفساد هو كـل ما يفسد على الإنسان استفادتـه من الموجودات في اليابسـة وفي البحر وفي الانتفاع بهمـا، ويكون المعنى مشيرا إلى استمرار وجود الفساد مرتبطا بوجود أسبابه التي يفصح عنها قوله تعالى «بما كسبت أيدي الناس» والمعنى أنه يكون بسبب ما يرتكب الناس من آثام وخطايا وعصيان .

ثم إنه تعالى يبيـن العلة من تقديره على الناس الفساد يكون فـي البر والبحر وهي إذاقتهم شيئـا قليلا مـن العـذاب الذي يستحقـونـه جزاء علـى أعمالهـم السيئـة، وفي قـولـه تعالـى «ليذيقهـم» ما يفيد أن مـا يعانونـه من الفســاد الذي يضرب الأرض والبحـر هو مجرد تقـدمة للعذاب الذي يستحقـونه، كما يبين أن الغاية مـن هذا هي تحقيق مصلحة الناس الـذين قد يرجعون إلى الله تعالى بتوحيده وعبادته وطاعته فيرفع عنهم عذاب الدنيا ويرزقهم حسن ثواب الآخرة .

قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾

التفســـــير:

بعد أن بين تعـالى أن عصيانه يكـون سببا لإذاقة الناس شيئـا من العذاب في الـدنيا لعله تكون لهم فيه عبرة فيكون منهم الرجوع إليه تعالى.

فإنه تعالـى - فى سبيل إظهار نتيجة عدم الـرجوع عن العصيان - أمر رسولـه ﷺ بالسير فى الأرض، بمعنى المـرور على آثار الأقوام الـذى عذبوا بـأهلاكهم ليعلمـوا كيف عاقب تعـالى الذين استحقوا العذاب من الأمم السابقة .

ثم جـاء قوله تعالـى «كان أكثرهم مشـركين» لبيان أنـه إذا كان أكثر المهلكين قـد أهلكوا بشركهم، فـإن القليلين منهم أهلكوا بعصيانهم وليـس بالشرك بالله. فيكون القول تحـذيرا من العصيان وتهديدا للعصاة .

فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ ۖ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾ مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِن فَضْلِهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٤٥﴾

التفســــــير:

جاء قـوله تعالى ــ فى الآيات الثلاث ــ مرتبطا بالنتيجـة المستخلصة من الآية السـابقة عليها لبيان حال الناس من الأخذ بالنتيجة المذكورة ومـا يترتب لهم أثرا عن موقفهم من هذه النتيجة.

بيان ذلك أن المستفاد من الآيـة السابقة هو أنه تعالى يجازى العصـاة بعصيانهم كما أنه يجازى المشركيـن بشركهم. والنتيجة التـى تستخلص من هذا أو العظــة التى يســتفاد بها هى وجوب الإيمـان بالله وتوحيده، ووجـوب العمل بالطاعـات وتجنب المعاصى، وهـذا هو الأمر الذى جاء بـه قوله تعالى «فأقم وجهـك للدين القيم» والخطاب - إن كـان على الظاهر

لرسـول الله ﷺ ـ فإنه لجميـع الناس ـ وقـد عرفوا الحق ـ يأمرهـم جل شأنه أن يقيمـوا على الإسـلام الـذى دعى إليـه رسـول الله ﷺ يعتنقـونه عقيـدة فيكـون منهـم التوحيـد ويعملـون بأحكـامه الصـالحات ويجتنبون المعاصـى. يطلب منهم جل شأنـه هذا ويأمرهـم به يكون منهم قبل أن يأتيهم الموت فلا يكون لهم مفر مـن العذاب، وقبل أن يأتى يوم القيامة الذى لا مرد لـه بمعنى أنه ليس مـن أحد يمنع مجيئه، فـلا هو تعالى شـأنه يمنع مجيئه، ولا أحـد من خلقه يملك أن يمنع مجيئه. ثم إنه تعالى يذكـر أنه فى يوم القيامة يتصدع الناس بمعنى أنهم يتفرقون.

والمراد من أن النـاس يتصدعون هو أنه يفترق الـذين آمنوا وعملوا الصالحات عـن الذين أشركوا وعن الذين عملوا السيئات وعصوا الله تعالى.

ثم إنـه تعالى بيـن ـ فى إجمـال ـ مظهرا مـن مظاهر التفـرقة بين المـؤمنين الذيـن عملوا الصالحات وبين الذين أشركوا والذين عصوا ربهم، فبدأ بذكر الكافرين فبين أنه يكون عليهم كفـرهم بمعنـى أنـه يكون وبـالا عليهـم وأنهم بـه يعـذبـون، وبين أن الـذيـن آمنوا وعملـوا الصالحات إنما كانـوا بإيمانهم وبعملهم الصالحات يمهدون طريقهـم إلى رضاء الله تعالى وجنته.

فيكون المعنى هو أن طريـق الكافرين والعصاة هو إلى النار مـا لم تدرك العصاة رحمة الله تعالى، وأن طريق الذين آمنوا وعملوا الصالحات هو إلى الجنة.

وبعد هذا فإنه تعالى بين أن الذى مهد إليه المؤمنون الذين عملوا الصالحات طريقهم هو الجزاء الذى وعـدهم الله أنه يكون لهـم وأنهم أدوا ما طلب منهـم أداؤه لينالوه وأنهم لـذلك حصلوا عليـه تفضلا مـن الله عليهم لأنـه ليس عليـه تعالـى واجب علـى أحد. كمـا بين أن الكافرين يعذبون لأنه تعالى لايحبهم.

والمعنى هو لأنه تعالى يكره الكفر ويعاقب به، ولما أنهم قد قرفوا ما يكرهه تعالى فقد حق عليهم أنهم به يعذبون .

وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾

التفســــــير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ عود إلى ذكر آيـات عظيمة من آياته الدالة على وحدانيته وهى من قبيل النعم التى تستوجب شكرا لله عليها .

فيذكر تعالى أنه من آياته هذه أنه يرسـل الرياح لتكون مبشرات بالخير وعلامات عليه وهو نزول المطـر فى البقاع مـن الأرض المحتاجـة إليه لتنبت وتـزهر وتثمر. وليـأكل منهـا الإنسان والطير والحيوان ـ وقد سبـق شرح ذلك من الناحية العلمية ـ وهذه الريـاح هى ـ عند العرب ـ الجنوب، والصبا، والشمال. وليس منها «الدبور» وتسمى الـرياح الثلاثة «رياح الرحمة» لأنها تلقح السحاب الممطر وتلقح الأشجار لتثمر.

أثبت تعالى أنها تكون رحمة بالناس أو أنها ترسـل منه تعالى ليذيق بها الناس من رحمته، مبينا أنه يكون بها إخصاب الأرض و إخصاب الأشجار.

كما ذكر تعالـى من آياته التى هى مـن قبيل النعم المنعم بها على الإنسـان جريان الفلك على الماء بأمره تعـالى أمر الماء أن يحمل الفلك بما يحمل فلا يغـوص فيه وأن يجرى بدفع الريـح أو بما علم الناس مـن وسائل أخرى يكـون بها جريـان الفلك على سطح المـاء. وفى ذلك إشارة إلـى القوانين الطبيعية التـى لاتعدو أن تكون استخلاصـا للأسباب الظاهـرة التى خلقها الله ليكون ـ وفقا لها ـ تنفيذ الماء والهواء أمره تعالى بحمل الفلك وتسييره .

ثم إنه تعالى أشار إلى أنه يكون للإنسان فـى تسخير الفلك والبحر لصالحه بأمره تعالى ما يفيد منه فى السعى إلى الرزق بتجارة البحر .

ثم إنه تعالى يبين أن ذلك جميعه هو مما أنعم به تعالى على الإنسان مما يستوجب شكره تعالى بقوله «ولعلكم تشكرون» .

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾

التفســــير:

بعد أن بين تعـالى أن من نعمه على الناس مـا يستوجب شكره مما مفاده أنـه يفترض من أصحاب العقول أن يـؤمنوا بوجود الله القـادر من آياته تعـالى فى خلقه، فـإنه تعالى خـاطب رسوله صلى الله عليه وسلم ـ فى الآية ـ تسلية له ورفعا للمعاناة عنه لما يرى من إصرار كثيرين على الكفـر، فبين له أنه ــ من بعد آيـاته فى خلقه ــ أرسل الرسـل من قبله ﷺ إلى أقـوامهم مؤيدين بالأدلة الواضحة التى تثبت صدقهم .

ويبين من قوله تعالى «فانتقمنا من الذين أجـرموا» أنه كان من أقوام هؤلاء الرسل من آمن لهم، كمـا كان منهم مـن كفربهم وكـذبهم، وأنه كـان منه تعـالى أنه انتقـم من الذيـن كفروا رسلهم، وصفهم تعالى بأنهم الذين أجرموا لأنهم أجرموا فى حقه تعالى بالإشراك به، وفى حق الرسل بتكذيبهم، وفى حق أنفسهم بتعريضها للعذاب .

ثم يجىء قـوله تعالى «وكان حقـا علينا نصر المؤمنين» إثباتـا لواقع أنه تعالـى نصر رسله والذين آمنوا على أعدائهـم الكافرين، ومفيدا معنى أن ذلك يعتبر بمرتبة الـوعد منه تعالى أنه ينصر دائما المؤمنين على الكافرين، فضلا عـن كونه وعدا للمؤمنين برسول الله صلى الله عليه وسلم بالنصر، ووعيدا للكافرين بالهزيمة والعذاب .

■■■■

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ
فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ
خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾
وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾﴾

التفسـير:

يذكر تعالى ـ فى الآية ـ آية من آيات خلقه التى هى من قبيل النعم التى ينعم بها على الناس مما يستوجب شكره تعالى.

وقوله تعالى هو فى السحب المعروفة علميا باسم «السحب البساطية» ـ تقوم الرياح بجمعها فيكون نموها أفقيا فتكون شبه الأبسطة، تكون الرياح هى التى أظهرتها وهى التى بسطتها فى السماء، ثم تقوم بتقطيعها أجزاء بأمر الله «ويجعله كسفا» .

ثم يكون خروج المـاء قطرات كبيرة من هذا السحاب «فترى الدوق يخرج من خلالـه».

ثم يبين تعـالى كيف أنه يكون هذا الودق رحمـة بالناس بإظهـاره أنه إذا ما أنـزله تعالى بأرض عباد من عباده تعالى استبشروا بذلك خيرا لأنه يأتيهم بالخصب والنماء.

ويذكر تعالى حال هؤلاء المستبشرين الذى كانوا عليه قبل أن ينزل عليهم المطر فيذكر أنهم كانوا آيسين من أن تنبت أرضهم، فيكون نزول المطر رحمة منه تعالى استبشروا بها من بعد يأس أحاط بهم .

﴿فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾

التفســـــير:

الأمر ـ في الآية ـ هو لرسول الله ﷺ ـ على الظـاهر ـ وهو لكل من له عقل يعي ويفكر، وهو بالنظـر إلى آثار المطـر الذي نزل علـى أرض من شـاء تعالى أن ينـزل على أرضهم رحمـة منه تعالى، ثم إنه تعالى أخبر عن نتيجة هذا النظر فبين أنها معاينة إحياء الأرض من بعد أن كانت ميتة لا أثر فيها للحياة، أن يخرج منها النبات ليزهر ثم ليثمر.

ثم إنـه تعالى لما أثبـت أنه أحيا الأرض الميتـة من بعد المـوت، أشار إلى ذاته وأخبـر أنه محيي الموتـى، فيكون مفهوما للناس أنه كمـا أحيا الأرض الميتة يكون منه إحياء المـوتى يوم القيامة.

ثم جاء قوله تعالـى «وهو على كل شيء قدير» تقريرا لواقـع يشهد به إحياؤه الأرض الميتة ويستدل به على قدرتـه على إحياء الموتى، لأن ذلك جميعه ليس سوى بعـض مظاهر قدرته تعالى على كل شيء.

﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا مِن بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾﴾

التفســـــير:

بعد أن أوضـح تعالى حـال الناس حيـن تهب رياح الخيـر التي تنزل المطـر بذكـره أنهم يستبشرون، فإنـه تعالى يبين فـي الآية حالهم إذا ما هبـت عليهم الريح الصفـراء التي لا تنزل مطرا و إنما تأتي بالغبار والرمال، أو الريح التي يعقب هبوبها اصفرار الزرع وجفافه:

فيقول تعالى إنهم يكفرون بنعم الله التى أنعم عليهم من قبل، ينسونها أو يتناسونها. فالقول هو فى النعى على الذين يفعلون هذا بدلا مـن التوكل على الله تعالى واستغفـاره واللجوء إليه بطلب أن يصيبهم برحمته متوسلين إليه بالطاعات .

فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾

التفســـــــير:

الخطاب ـ فى الآية ـ إلى رسـول الله ﷺ، والقول متعلق بما سبـق ذكره من أنه تعـالى قد أرسل قبلـه رسلا إلى أقوامهـم بالبينات فكفر بهـا البعض فانتقـم تعالى منهم، فيكـون القول متضمنا ـ مـن جهة ـ تلميحا إلى أنـه تعالى ناصر رسولـه ﷺ على الكافرين، ومتضمنـا ـ من جهة ثانية ـ تسلية لـه ببيان أن الكافرين المصرين على الكفر قد ماتـت قلوبهم وعقولهم فلا يؤمل فـى أن يدخل قلوبهـم إيمان ولا أن تقتنع عقولهـم ببرهان، فكما أن المـوتى لا يسمعون النداء فإن الكافرين المصرين على الكفر لا يسمعون دعوته.

وقد اختلف فى شأن سماع الموتى، فقال البعض إنهم لا يسمعون، ولهذا فإنهم لا يقومون بتلقين الميت عنـد القبر، وقال آخرون إنهم يسمعـون ولكنهم لا يردون القول. وعلـى الحالين فإن المقصود هو أنه لا تكون منهم إجابة على دعوتـه ﷺ شأن الموتى. كما ذكر تعالى لرسوله أنه لن يكون من هؤلاء الكافرين سماع التدبـر له لأن شأنهم شأن الصم الذين لا يسمعون، بل إنهم يفوقـونهم فى الغى لأنـهم حين يـدعون إلى الإيمان أو إلى آيات الله تتلـى عليهم يفرون هاربين كأنهم يخشون أن تلتقط آذانهم شيئا منهـا، فهم حريصون على ألا يسمعوا من الدعوة

للإسلام أو من القرآن العظيم شيئا .

كذلك خفف تعالى على رسوله ﷺ ما يعانيه من إصرار الكافرين على كفرهم بتشبيههم بالعمى الذين لا يهتدون إلى الطريق الذى يوصلهم إلى مبتغاهم، فيكون القول مشيرا إلى أن دعوتهم إلى الإيمان لا تثمر معهم لأنهم رفضوا إلا الاستعانة بذواتهم ورفضوا مساعدة غيرهم لهم ومعاونته إياهم .

ثم إنه تعالى أخبر رسوله ﷺ أن الاستجابة له لا تكون إلا ممن فتح الله قلبه للإيمان، يسمع دعوته ﷺ، ويسمع آيات القرآن العظيم ويتدبرها، فيكون منه الإيمان والدخول فى زمرة المسلمين .

ﭧﭐﱡﭐ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾

التفســـــير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ فى ذكر آية من آياته فى خلق الإنسان، فيذكر تعالى أنه ابتدأ خلق الإنسان من شىء ضعيف هو النطفة، أو أنه أوجد الإنسان فى مبتدأ اتصاله بالحياة الدنيا ضعيفا، وهو حال الأطفال عند الولادة. ثم يذكر تعالى أنه جعل من بعد هذا الضعف للإنسان قوة، والمراد بهذا أنه يكون قويا حين يبلغ الحلم، ولا يمنع هذا من أن يزداد قوة بعد بلوغ الحلم إلى أن تبدأ مرحلة الضعف التى يشير إليها قوله تعالى «ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة» إذ يكون مبدأ الضعف سابقا على الشيبة، والمراد بهذا هو مبدأ عدم زيادة الأنسجة والخلايا فى جسم الإنسان ومخه، وابتداء تناقصها .

ويجىء قوله تعالى «يخلق ما يشاء، وهو العليم القدير» بيانا لأنه تعصالى يخلق ما يشاء

على النحو الذى يـريد، وأنه يوجد الضعف ويـوجد القوة وقتما يشاء وفقا لعلمـه الذى أحاط بكل شىء وبموجب قدرته على أن تكون مشيئته هى النافذة .

وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾

التفســـــير:

يذكـر تعالى مـن أحوال الكافريـن يوم القيامـة ـ دعاهـم تعالى بأنهـم المجرمون ــ أنهم يقسمون على أنهم لم يمضوا فى قبورهم من بعد الموت إلا فترة زمنية قصيرة، هى المعبر عنها بأنها ساعة. وقـد يكون قسمهم على أنهم لم يلبثوا بين فناء الدنيـا والبعث أو ما بين النفختين غير ساعة من الزمان، أو على أنهم لم يقضوا فى الدنيا غير ساعة. يقسمون على هذا لأن هول العذاب الـذى يتأكدون أنهـم مواقعونـه يكون من الشـدة بحيث تقصرــ مقيسة بهــ الأزمان الطويلة ولو قيسـت بأقصر فترة زمنية منه، لأنها تكون خـالية منه. ثم إنه تعالى يـذكر أنه على النحو الذى كان عليه الكافرون فى دنياهم مـن الكذب والحلف عليه فإنهم يحلفون كذبا يوم القيامة. «كذلك كانوا يؤفكون» .

وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾

التفســـــير:

مفاد قوله تعالى ـ فى الآية ـ هو أنه عندمـا يسمع الذين أوتوا العلم فى الدنيا من الملائكة ومن الناس قول الكـافرين وحلفهم على الكذب أنهـم لم يمضوا فى الدنيا أو فـى قبورهم أو بين النفختين غير ساعة من الزمان، أنه يكون منهم الرد عليهم بتصحيح الأمر لهم ويخبرونهم أنهم قد أمضواـ على ما ثبت فى قضاء الله تعالى الذى قضى أن يكون وفى اللوح المحفوظ ـ

فترة طويلة منذ وجدوا فى الدنيا إلى يوم البعث تخللتها فترة البرزخ الذى كانت فيه أرواحهم .

ثم يذكر تعالى أن الذين أوتوا العلم يوبخونهم ويستهزئون بهم بإخبارهم أن يومهم الذى هم فيه هو يوم البعث الذى توعدوا به فى الدنيا فكذبوا به واستعجلوا قدومه معاجزين مستهزئين. ثم يقولون لهم فى حق أنفسهم التى كذبت بيوم البعث إنهم كانوا على جهل حين كذبوا بالبعث وحين استهزءوا بيومه ـ والقول بهذا المعنى يشير إلى فضل العلماء من جهة ، ويبين ـ من جهة أخرى ـ أن الجهل قد يورد الجاهل التهلكة .

فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾

التفســـــير:

مفاد قوله تعالى ـ فى الآية ـ هو أنه فى ذلك اليوم الذى يقسم فيه الكافرون أنهم لم يلبثوا فى الدنيا أو فى قبورهم غير ساعة والذى يرد فيه أولو العلم عليهم قولهم يكون أمر الذين ظلموا أنفسهم بالكفر محسوما وهو أن طريقهم إلى العذاب، فلا يمنع عنهم العذاب اعتذارهم عن عدم الإيمان بسبب من الأسباب، كما أنهم لا يستعتبون بمعنى أنه لا يطلب منهم إزالة عتب الله تعالى وغضبه عليهم فيكون حالا بهم لا محالة.

فيكون القول تحذيرا من الكفر ما بعده من تحذير.

وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ
مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَلَئِن جِئْتَهُم بِـَٔايَةٍ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِنْ أَنتُمْ
إِلَّا مُبْطِلُونَ ﴿٥٨﴾

التفسير:

قوله تعالى ـ في الآية ـ في بيان أن الكافرين الذين يصدون على الكفر لا يتبعون في ذلك عقلا ولا فكرا، دليل ذلك ما يثبته تعالى من أنه قرب إليهم المعاني في كل ما جاء به القرآن العظيم من القصص المتعلقة بالرسل وأقوامهم، ومن عقيدة التوحيد وبيان الشرك المنهى عنه، ومن ذكر البعث والحساب، ومن الأحكام، قرب إليهم المعنى المقصود بطريق ضرب الأمثلة التي تقرب المعنى إلى الفهم ـ والمراد إثباته هو أن ذلك لا يكون شأنه مع المصرين على الكفر أنه يدفعهم إلى التفكير السليم الذي يقود إلى الإيمان. ثم إنه تعالى يؤكد هذا بأن يبين لرسوله ﷺ أنه لو كان منه فضلا عن هذا أن جاءهم بآية من المعجزات المادية فإنه لا يكون منهم الإيمان بل يكون منهم القول مخاطبين المؤمنين إنهم ليسوا إلا مبطلين، بمعنى أنهم يتبعون الباطل من كذب وافتراء على الله وسحر.

﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝٥٩ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ۝٦٠﴾

التفسير:

بعد أن بين تعالى انقطاع الرجال في إيمان الذين أصروا على الكفر رغم ضربه تعالى الأمثال لهم في القرآن، ولو صاحب ذلك إتيان رسول الله ﷺ بمعجزة من المعجزات المادية.

فإنه تعالى ـ في الآيتين ـ بين سبب بقاء الكافرين هؤلاء على حالهم من الكفر، ثم ثنى بأمر رسوله ﷺ بما يكون منه معهم أو بشأنهم .

فبين تعالى أنه على النحو الشائن المشاهد من المصرين على الكفر كان منه تعالى الختم على قلوبهم بالكفر، وصفهم تعالى بأنهم الذين لا يعلمون لبيان أنهم قد رفضوا أن

يعلموا الحـق فكان الختـم على قلوبهـم بالكفـر نتيجة الجهل الـذى اختاروه وفضلـوه على العلـم .

ثم إنه لما كان لارجاء فى إيمان هؤلاء فإنه تعالى أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يصبر على ما يصدر منهم من أفعال وأقوال تسىء إليـه، واعدا إياه بنصره عليهم على ما يستفاد من وصفه وعده إياه بهذا النصر أنه حق. ثم أتبع تعالى أمره رسوله بالصبر بنهيه عن أن يكون عدم إيمان هؤلاء الكافريـن وتكذيبهم إياه وإيذاؤه سببا يحمله على الخـوف من عدم انتشار دين الله أو القلق من أجـل ذلك. فيكون النهى تـأكيدا لتحقق وعده تعـالى بالنصر وبـارتفاع راية الدين .

■■■■

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة لقمـــان

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ ﴿٣﴾
ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾
أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥﴾

التفســـــير:

استفتحت السورة بـأسماء الحـروف «الٓمٓ» وهى ـ علـى ما سبق القول ـ من المتشـابه من

القرآن ـ على الـراجح ـ ثم أشـار تعالى إلـى آيات السـورة وأخبر عنهـا أنها آيـات الكتاب الحكيم، والمراد بهذا هو القرآن العظيم المستحق وحده أن يسمى بالكتاب إذا ما أطلق لفظه . وقد وصف تعالى الكتاب بأنه الحكيم وذلـك لتضمنه الحكمة البالغة ولكونه كلام الحكيم العليم .

ثم إنه تعـالى بين حال الكتاب أو القرآن وهـى كونه هدى ورحمة للمحسنيـن، فهو سبيل الهـدى إلى ديـن الله الحق وإلـى رضائه تعـالى وجنتـه، وهو رحمـة من الله للـذين يعملـون الحسنات به تغفر ذنـوبهم ويثابون برحمة ربهـم، وكونه رحمة لهم هو لأنهـم المستفيدون منه لاهتدائهم به وعملهم بأحكامه .

وفى النـص يصف تعالـى هؤلاء المحسنين بـأنهم الـذين يقيمون الصـلاة ويؤتون الـزكاة ويـؤمنون بـالآخرة عـن يقين يـدفعهم إلـى العمل لهـا وليس العمـل للدنيـا. فيكون وصـف المحسنين بأعمالهم بمثابة تفسير وبيان للحسنات التى يعملونها .

ثم إنه تعالى يشير إلى هؤلاء المحسنين باسم الإشارة «أولئك» لبيان علو منزلتهم عند الله، ويخبر عنهم أنهم على هدى من ربهم، فهو تعـالى الذى يسر لهم الهدى والإيمان، كما يخبر عنهم أنهم هـم المفلحون، فكل عملهم إلى فلاح فـى الدنيا والآخرة ، حتى لكـأن غيرهم لا يسمى مقارنا بهم فالحا .

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٦﴾

أولا : الأســـماء :

لهو الحديث : هو كـل ما يشغل عن عبـادة الله وذكره من صـور الأحاديث واللهو وحـديث المنكر، وقيل هو المعازف والغناء .

ثانيا : التفســــــير:

بعد أن ذكر تعالى حال المهتدين فإنه ـ فى المقابل ـ يخبر عن حال الذين يضلون الناس من بعد ضـلالهم أنفسهم، فأخبر تعـالى ـ فى الآية ـ عن أنه يكون بعض النـاس ينفقون فى سبيل تحصيـل لهو الحديث مـن قصص وتمثيليات وغنـاء وشراء القيان اللائى يجـدن فنون الغنـاء وذلك لجـذب الناس إلى صور اللهـو هذه وصـرفهم عـن ذكر الله، بمعنـى أنه يكـون مستهدفا بفعلـه فى تحصيل صور اللهـو هذه إضلال الناس عـن ذكر الله من بعد ضـلاله هو. وقيل إن الآيـة نزلـت فى تـاجر كـان يخرج إلـى فارس فيشتـرى روايات الشـاهنامـة وقصص فيروزابلدى ثم يأتى الناس ويقول لهم «إن محمدا يحدثكم بحديث عاد وثمود، وأنا أحدثكم بحديث رستم واسفنديـار»، فيقبل عليه أناس يجذبهم حديثه وينصـرفون عن القرآن العظيم. كذلـك يصف تعالـى المرء من هـذا البعض من النـاس بأن إضلالـه الناس يكون بغيـر علم بسبيله تعالـى واستهزاءً بها. فهو يجهل حقيقة الإسـلام طريق الله الموصل إلـى جنته، ويتخذ الإسلام والقرآن العظيـم مادة للهزء والسخرية. وقيـل إن المراد بانعدام العلم هـو انعدام علم مشترى لهو الحديث بأنه يستبدل الضلال بالهدى .

ثم إنه تعالـى بين مصير هذا البعض بأفعـالهم، فأشار إليهم باسـم الإشارة «أولئك» لبيان بعد مرتبتهم في الفساد والإفساد وأخبر عنهم أنهم لهم عذاب يهينهم ويخزيهم .

وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٧﴾

التفســــير:

قوله تعالى ـ فـى الآية ـ فى فعل المرء من البعض من الناس الـذين يشترون لهو الحديث حين تتلى عليه آيـات الله تعالى العظيمة الشأن، يذكـر تعالى أن المرء منهم يولـى مبتعدا فى

كبر وتكبـر كأنه لم يسمـع شيئا يوجب الإنصـات إليه أو كأن أذنيـه قد أصابهما الصمـم فلم يسمع شيئا على الإطلاق.

وهذا الوصف أو الإخبـار يوضح بشاعة فعل مثـل هذا المرء، فهو يسعى إلى لهـو الحديث ينفق فيـه ماله بعـد أن يسعى إليه بقـدميه، وهو فى شـأن كلام الله تعالـى يكون منه التصـامم ويكون منه التولى والاستكبار .

ولهذا جاء قولـه تعالى «فبشره بعذاب أليم» تضمـن استهزاء به وبمن ماثله، بـالإخبار عن الإنذار والتوعد بالعذاب الأليم بأنه تبشير له. وبتـوعده بالعذاب غير المعين لزيادة التخويف منه مع وصفه بأنه أليم .

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٩﴾

التفســـــير:

بعد أن تـوعد تعـالى الـذين يشتـرون لهو الحـديث وينفـرون عن سمـاع آيات الله تعـالى بالعـذاب المهين وبالعـذاب الأليم، فإنـه تعالى يبين مـآل الذين آمنـوا بآياتـه تعالى وقـرنوا إيمانهم بالعمل بالطـاعات المأمور بها فى القرآن العظيم، فذكر أنـه تكون لهم جنات النعيم فى الآخـرة مستقرا ومقـاما. ثـم أخبر تعـالى عنهـم أنهم فيهـا يخلدون ، لا يمـوتون ولا منهـا يخرجـون. ثم إنه تعـالى طمـأن المؤمنين الـذين عملوا الصـالحات أنـه يكون لهم هـذا فى آخرتهم، بذكره أن قـوله هذا هو وعد منه حق، أو أنه الوعد الحـق الذى ينفذ إن شاء الله. وأكد نفاذه بوصفه ذاته أنه هو العزيز الحكيم، فهـو بحكم عزته لا يمنعه من تحقيق وعده أحد، وهو بحكم حكمته يكون منه تحقيق وعده لأن فيه جزاء الطائعين .

■■■■

خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴿١٠﴾ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١١﴾

التفســـــير:

قوله تعالى ـ في الآيتين ـ في إثبات وحدانيته عن طريق إثبات قدرته وانفراده تعالى فيها، وفي محاجة المشركين الذين عبدوا من دونه آلهة بزعمهم .

فيذكر تعالى آيته في خلق السماوات وما تضمنت من مجرات ومجموعات شمسية في أدناها المشاهد والذي تعلق به القول في الآية «بغير عمد ترونها» كان منه هذا بما سن من قوانين في الطبيعة فلم يكن استقرار الكواكب في الفضاء بالاستناد إلى دعامات تشاهد بالعين، فقانون الجاذبية وقانون القوة الطاردة ليس من الأمور التي تبصرها العيون، وإن كان تعالى قادرا على كل شيء بغير هذه القوانين المستخلصة من فعله ..

كذلك يذكر تعالى أنه ألقى في الأرض الجبال الراسيات التي تحفظ الأرض في دورانها حول محورها من أن تميد ـ على ما سبق بيانه علميا ـ كما بث في الأرض فخلق وأظهر ووزع في أركانها من كل نوع من أنواع الدواب ما خلق من بديع خلقه، وأنزل من جهة العلو من السحاب ماء المطر أنبت به في الأرض من كل صنف من صنوف المزروعات ما هو كريم ينتفع به.

وبعد أن ذكر تعالى بديع خلقه هذا فإنه طلب من المشركين، أو أمر رسوله ﷺ أن يطلب

مـن المشركيـن أن يخبروه عـن شئ خلقـه معبـود مـن معبـوداتهم التـى عبدوهـا من دونـه تعـــالى، والطلـب هـو للتعجيـز ولبيان بطـلان عبـادتهـم لتيقن عـدم ذكـرهـم شيئا خلقتـه معبوداتهم.

ولهذا جاء قولـه تعالى ـ فى ختام القول ـ «بل الظالمون فى ضلال مبيـن» مبينا أنه ليس للمشركين من حجة تؤيدهم وأنهم سادرون فـى غيهم وضلالهم الظاهر ظالمين الله بجعلهم له شريكا ، وظالمين أنفسهم بتعريضها للخلود فى العذاب .

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾

أولا : الأســـماء والأعلام :

لقمـــان : اسم علم أعجمى. قيل هو ابن باعوراء، وهو ابن أخت أيوب عليه السلام، وقيل هو ابن عنقـا بن سرون، وقيل كان قـاضيا فى بنى إسرائيـل، والمشهور أنه كان عبدا نـوبيا من النوبة فى صعيد مصر أعطاه الله الحكمة ولم يعطه النبوة .

ثانيا : التفســـــير :

قوله تعالى ـ فى الآية ـ مبدأ حديث فى شأن عبد من عباد الله كرمه تعالى بأن آتاه الحكمة وهى المنطق الذى يتعـظ به ويتنبه والذى يتناقله النـاس، ذكر النص صراحة أنه تعـالى أنعم عليه بـأن آتاه الحكمة، وأنه أمـره أن يشكر لله تفضله عليه بهـذه النعمة العظيمة، وأنه تعـالى أعلمه أن من يشكر الله فإنمـا ترجع فائدة الشكر إليه وليس إلى الله تعالـى الغنى عن كل شئ ومن ضمنـه الشكر، والمستحق وحـده أن يحمد بلسان جميـع المخلوقات والمحمود منهم بلسان الحـال ومن بعض الناس بلسـان القال. والمستفاد مـن الآيات التالية التـى تفيد دوام الإنعام على لقمان بالحكمة هو أنه شكر الله تعالى .

وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾

أولا : الأســـماء والأعلام :

الابن : فى قوله تعـالى «وإذ قال لقمان لابنه» قيل إن اسمه كـان «تاران»، وقيل «القتيبى» وقيل «ماثان» .

ثانياً : التفســـــير :

معنى قولـه تعالى «وإذ قال لقمان» هو «واذكـر إذ قال لقمان»، والقول هو فيما قـاله لقمان لابنه الذى كان مشركا لإبعاده عن الشرك وإدخاله فى حظيرة الإيمان والتوحيد، وهو ما تحقق للقمان فـى ابنه. فيـذكر تعالـى أن لقمان قـال لابنه حـال وعظه «يا بنـى لا تشرك بـالله» ناداه بتصغير محبة ـ على سبيل التـدليل لجذبه إليه ـ «يا بنى» ثم نهاه عـن الشرك بالله، وبين له أن الشرك ظلم عظيم لأنه تعد على وحدانية الله تعالى وهذا أشد الظلم وأقبحه .

وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾

أولا : الأســـماء :

الفصــال : فى قوله تعالى «وفصاله فى عامين» هو الفطام ومنع الرضاعة .

ثانيا : التفســـير :

القول ـ فى الآية ـ هو قوله تعالى وليـس قول لقمان كان معترضا قول لقمان. ربما جاء لأن

لقمان وعظ ابنه بحكم أبوته ووجوب طاعة الأبناء آباءهم وشكرهم، فناسب ذلك وروده. ومعنى القول أنه تعالى وصى الأبناء بالإحسان إلى الوالدين، ثم إنه تعالى استمال قلوب الأبناء على الأمهات بذكره أن الأم تحمل طفلها فى رحمها جنينا ضعيفة بما حملت، وأنه كلما نما فى رحمها كلما كان لها به ضعف يتزايد فوق ضعف. فإذا ما وضعته أرضعته لمدة سنتين ـ لقوله تعالى «وحمله وفصاله ثلاثون شهرا». ثم أمر تعالى بشكره وشكر الوالدين، قرن شكر الوالدين بشكره تعالى لأن صحة شكرهما تتوقف على شكره تعالى، أو لأنه لا يشكر الله تعالى من لا يشكر الناس وأولهم الوالدان.

ثم إنه تعالى حث على امتثال أمره ببيان أن المرجع إليه تعالى للحساب والثواب والعقاب بمعنى أنه يثيب الطائعين أوامره ويعاقب العاصين إياها .

وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾

التفسير:

الآية فى وجوب صلة الوالدين ولو كانا كافرين. وقيل إنها وسابقتها قد أنزلتا فى سعد بن أبى وقاص لما أسلم فحلفت أمه «حمنة بنت أبى سفيان» ألا تأكل إلى أن تموت أو يرجع سعد إلى دين آبائه.

والقول موجه إلى كل ابن من الأبناء وهو أمر بأنه إذا ما حاول أبواه الكافران حمله على الكفر وبذلا فى ذلك جهدهما ليشرك بالله فيعبد ما ليس له به علم، بمعنى ما لم يعلم عن أمر ألوهيته شيئا ـ ويكون ما علم أنه ليس بإله داخلا فى المعنى من باب أولى ـ فإنه يكون عليه عدم إطاعتهما فى طلبهما مع صلتهما وعدم الانقطاع عنهما، وعدم نهرهما، بل يكون منه

مصاحبتهما بالمعروف. وقيل إن المراد بالإشراك بما ليس للابن بـه علم هو المعبودالذى لا قيمة له حتى لكأنه معدوم .

ثم إنه تعالى يأمر كل ابن لم يطع والديه الكافرين فى الكفر والإشراك بالله مع مصاحبتهما فى الدنيا معروفا بـالرجوع إليه تعالى بالتوحيد والإخلاص والطـاعة، معلما إياه وغيره أن رجوع جميع الخلق للحساب على ما كان منهم من طاعـة أوامره أو عصيانها يكون إليه تعالى وحده فيعلم كـل ما إذا كـان قد أطاع ربـه أم عصاه بمـا يلقى مـن ثواب أو عقاب. فـالقول ــ بهذا المعنى ــ هو حث على التـزام ما أمربـه تعالى فى الآيتيـن متعلقا بمعاملـة الوالدين بطـريق الترغيب والترهيب .

يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ﴿١٦﴾

التفســــير:

القول ـ فـى الآية ـ هو للقمان، يخاطـب ابنه ناصحا فيقول له إن الفعلـة الحسنة أو السيئة يحاسب بها المرء و إن كـانت من الصغر فى وزن حبة الخردل أو حجمها، وكـانت قد وقعت فى الخفاء بحيث لم يعـرفها أحد شأن حبة الخردل المخفاة فى جـوف الصخر، أو التائهة فى ملكوت السماوات اللانهائى أو الضائعة فى غيابـات الأرض ـ فيكون منه تعالى إحضارها يوم الحساب لمحاسبة فاعلها بها ـ فيكون القول مفيدا أنـه تعالى يحاسب المرء بأفعاله الحسنة والسيئة مهما ضؤلت، سواء أكانت معلنة أو كانت مخفاة. ثم إن لقمان أكد لابنه حتمية وقوع هذا بقوله تعالى «إن الله لطيف خبير» فهو بحكم أنه اللطيف يحيط علمه بكل أمر خفى، وهو بحكم أنه الخبير يعلم طبيعة الفعل بحسب ما وقر فى نية فاعله، إن كان قد أريد به وجه الله أم أريد به غير ذلك، ليكون الحساب به هو حساب العدل والإحسان .

يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ
وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ
مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ
مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ﴿١٨﴾ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ
وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ﴿١٩﴾

التفسير:

القول ــ فى الآيات الثلاث ــ هو للقمان فيما وعظ به ابنه، وهو مجموعة من الأوامر والنواهى ارتبطت بذكر حقائق من شأنها أن تبعث على التزامها وعدم عصيانها.

بدأ لقمان بأمر ابنه بالتزام ما يعتبر من أساسات الإيمان بالله وتوحيده، فأمره بإقامة الصلاة، والمعنى هو الحرص على أدائها على أوقاتها وعدم تضييعها، وهو ما لا يكون إلا من مؤمن، فيكون الأمر بذلك مستتبعا بالضرورة أن يكون مسبوقا بالإيمان بالله وتوحيده وعدم الشرك به، كما أمره بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، والمعنى هو العمل على أن تعم الطاعة مجتمع المؤمنين وأن يتجنب فيه ارتكاب المعاصى، فهو من قبيل العمل المبتغى به وجه الله وليس تحقيق المصلحة الخاصة وإن كانت دينية.

كما أمره بالصبر، يكون منه فى كل شىء، يدخل فيه الصبر على الصلاة ــ فى مقام أول ــ وعلى التزام الطاعات وتجنب النواهى، والصبر على ما قد يصيبه من أذى، ومنه ما يصيبه بسبب أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، ثم إنه حثه على التزام أوامره هذه بذكره أن التزامها هو من عزم الأمور بمعنى أنه يكون من قبيل عزمات الله التى يفىء بها على عباده الصالحين.

ثم إن لقمان نهى ابنه عن أمور تعد من المكروهات فى الدين وفى التعامل مع الناس، نهاه عن تصعير خده للناس بمعنى التكبر عليهم والتعالى لأن تصعير الخد هو الميل به تبعا للميل بالوجه إلى أحد الجانبين وهو فعل المتكبرين مع الناس لدى التخاطب معهم، ونهاه عن المشي فى الأرض فرحا فرح البطر بما أفاء الله عليه من النعم، أو بالسعى فى الأرض طالب الفرح الذى يلهى عن ذكر الله.

ثم إنه حبب إليه التزام هذه النواهى بذكره له أن الله تعالى لا يحب كل مختال فخور، وتحبيبه فيها يكون بتنفيره مما نهاه عنه ذلك أنه لما كان تعالى لا يحب المختال، فإنه يكون لازما تجنب تصعير الخد للناس لأنه من قبيل الكبر والخيلاء، ولما كان تعالى لا يحب الفخور، فإنه يكون لازما تجنب السير فى الأرض بفرح البطر.

ثم أمر لقمان ابنه بأن يتوسط فى مشيه بين الدبيب والإسراع، لما فى ذلك من رزانة تدعو إلى الاحترام وتحفظ على المؤمن هيبته التى يذهب بها الإفراط فى الإسراع كما يذهب بها دبيب المتماوت، كما أمره أن ينقص من صوته وأن يقصر فلا يرفعه إلى الحد الذى يؤذى به أسماع الناس ويطيله إلى الحد الذى يملون معه سماعه.

وحثه على التزام أمره هذا بأن بين له أن أقبح صوت تستنكره أذن الناس هو صوت الحمير ـ وهو النهيق ـ الذى أوله زفير وآخره شهيق، إذ يكون مرتفعا فى نبرته، طويلا فى مدته .

أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٢١﴾

التفســــــير:

قوله تعالى ـ في الآيتين ـ عود إلى الحـديث فى شأن المشركين وتوبيخهم على إصرارهم على الشرك بـالله تعالى مع وضـوح الأدلة الدالة على وحـدانيته، وعلى إحلالهـم الشرك بالله محل شكره تعالى على ما أنعم به عليهم .

والاستفهام فى الآية الأولى هـو لإقرارعلم المشركين من المشاهدة والخبـرة أنه تعالى قد سخرلصـالح النـاس ـ وهـم منهم ـــ ما فـى السماوات مـن أجرام، ومـا فى جهـة العلو مـن السحاب، وما فـى الأرض من مخلوقات حيـة وجمادات بتدبير منـه تعالى ليكون بهـا صالح العباد، وأنهم أدركوا أنه تعالى قد أتم عليهـم نعمه ووسع لهم فيها، منها نعمة الصحة، ونعمة الولـد ونعمة المـال. ثم إن الاستفهـام هو لـلإنكار أيضـا، بمعنى أنـه ينكر علـى المشركيـن إشراكهم بـالله تعالى الذى هم عليـه، على حين كان متـوجبا عليهم توحيد الله تعـالى وشكره على نعمه، ترتيبا على معاينتهم آياته فـى خلقه وتسخيرلهم ما فى السماوات وما فى الأرض وتمتعهم بما أنعـم عليهم من النعم الظاهرة مثـل نعم البصر والسمع واللسان، والبـاطنة مثل القلب والفهم وحفظ الملائكة إياهم .

ثم إنه تعالى يذكر فئة من هؤلاء المشركين يزيدون فى غيهم فتكون منهم المنازعة فى أمور العقيدة والمغالبة قصد إثبات صحة ضلالهم أو صحـة الشرك بالله، فيكون جدالهم فى إنكار عقيدة التوحيد، يقبح تعالى فعلهم ببيان أنهم لا يتبعون فى جدالهم دليلا من العقل أو العلم، ولا دليلا أنزله الله فى كتـاب من كتبه التى أنزل على رسله نورا يهتدى بـه. فيكون المذموم هو مجادلتهم فى شأن شركهم الذى هو مذوم فى ذاته لأنه رأس الكبائر والآثام.

ثم إنه تعالى يذكرمن أحوال هؤلاء المشركيـن المجادلين بالباطل ، أنه إذا ما طلب منهم المؤمنون التخلى عن شركهم واتباع دين الله المستقيم الذى نزل به القرآن العظيم على رسول الله ﷺ، يكون منهـم رفض دعوتهم إلـى الإيمان متذرعين بحجـة تثبت عدم اتباعهـم العقل وانعدام وجـود دليل لديهم مـن كتاب أنزلـه الله على رسول مـن رسله، وهى أنهم يتبعـون ملة آبائهم ويعبدون ما كان يعبد آباؤهم.

ثم يجيء قوله تعالى «أو لو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير» منكرا عليهم اتباعهم عبادة آبائهم مع ظهور بطلانها، ومبينا أن فعلهم هذا هو استجابة منهم لدعوة الشيطان إياهم إلى أن يكونوا من المعذبين بالنار في الآخرة، فهي طاعة عدو ظاهرة عداوته إلى ما فيه الهلاك، وهي إعراض عن دعوة الحق تنجي من الجحيم وتورد الجنة والنعيم المقيم، طريقها الإسلام دين الله المستقيم .

○ وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٢٢﴾

التفســـير:

بعد أن ذكر تعالى ما يكون للذين يجادلون في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير قائلين إنهم يتبعون عبادة آبائهم من عذاب السعير يكون لهم باستجابتهم لدعوة الشيطان، فإنه تعالى يذكر في الآية ما يكون للذين أطاعوه في تشبيه لا يفصح عما يكون لهم بطريق التصريح.

وصف تعالى من يطيعه بأنه الذي يسلم وجهه لله وهو محسن وإسلام الوجه لله هو التوجه إليه وحده بالعبادة فهو التوحيد، وهو تفويض الأمر إليه بمعني التوكل عليه، وهو اتباع ملة إبراهيم الحنيفية ـ وهي الإسلام بالمعنى العام ـ والدخول في دين الإسلام الذي دعا إليه رسول الله ﷺ. وكون من أسلم وجهه لله محسنا، يفيد أن أمره حال إسلامه وجهه لله هو الإحسان بمعنى أنه يكون محسنا لنفسه، كما يفيد أنه يقرن إسلامه بعمل الصالحات أو الأعمال الحسنة.

وبيان ما يكون لمن أسلم وجهه لله وهو محسن جاء به قوله تعالى «فقد استمسك بالعروة الوثقى»، ويفيد معنى «الاستمساك» أن الأصل هو التعرض للخطر، وأن النجاة تكون بالتعلق

بشيء متين ـ هو ما شبهه النص بعروة الحبل المحكمة المتينة ـ والمراد به هو إسلام الوجه لله وعمل الصالحات. فيكون المصير لمن أطاع الله بهذا هـو النجاة من الشرك ومن التعذيب به، ليكون بعد ذلك الدخول فى رحمة الله.

وقوله تعالـى ـ فى ختام الآية ـ «وإلى الله عـاقبة الأمور» يفيد أنه تعالى صـاحب الأمر فى تقرير مصير المجادلين فى الله بغير علم، والـذين أسلموا وجوههم لله محسنين، فيه إشارة إلى تعذيبه المجـادلين وتنعيمه المسلمين، يكـون عذاب المجادلين عـاقبة كفرهم وتكـون الجنة مآل المسلمين .

وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾

التفسـير:

قولـه تعالـى ـ فـى الآيتين ـ عـود إلى بيـان مصير الكـافرين . بـدأ تعالـى القول بشـأنهم بمخاطبته رسوله ﷺ آمـره ألا يحزن بسبب إصرارهم على الكفر وعدم استجابتهـم لدعوته، ثم يعلمه أنـه تعالى معذبهـم بكفرهم حيـن يبعثهم للحساب يـوم القيامة فيعلمون مـن العذاب أنهم عملوا بالضلال فاستحقوا العذاب.

كما يعلمه تعالـى أنه معذبهم بأعمالهـم وبما انطوت عليه صدورهم مـن حقد عليه ﷺ وكراهة للحق مما أحاط تعالى بعلمه.

ثم إنه تعالى يبين لـرسوله ﷺ وللمؤمنين، أنه يمهل الكافرين فـى الدنيا فيتمتعون بمتعها وهى قليلة بالقياس إلى متع الآخرة ، زائلة بانقضاء أعمـارهم، ثم يكون منه تعالى إلزامهم فى

الآخرة العـذاب الثقيل الـذى يفوق طـاقتهم علـى الاحتمال، يضطـرون إليه ولا يملكـون منه فكاكا.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٢٥)

التفســـــير:

قولـه تعالى ـ فـى الآية ـ فـى إقامة الحجة علـى المشركين مـن قولهم لبيان جهلهـم فى إشراكهم بالله. ففى الآية يخبر تعالى رسـوله ﷺ أنه إن سأل المشركين عمن خلق السماوات والأرض فإنهم سيقولـون «خلقهن الله» لأنهم لا يملكون إلا أن يقولوا هـذا القول لمعرفتهم أن معبوداتهم لـم تخلقهن، فيكون قولهـم دليلا من أفواههـم وقلوبهم على بطـلان عقيدتهم إذ يشركون بـالله ما لا يخلق؛ ولهذا أمر تعالـى رسوله ﷺ أن يحمده على اضطرار المشـركين إلى الإقرار ببطلان ما هم عليه من الشرك بالله . ثم يذكر تعالى لرسوله وللمؤمنين أن أكثر المشركين لا يعلمون مـا يتعين أن يـؤدى إليه إقـرارهم بـأن الذى خلـق السماوات والأرض هـو الله، وهو وجوب توحيده وعدم الإشراك به، فيظلون ـ من بعد إقرارهم بالحق ـ على الباطل مشركين بالله ما لم ينزل به سلطانا.

﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ (٢٦)

التفســـــير:

القول ـ فى الآيـة ـ قوله تعالى، جـاء متعلقا ببيان وحدانيته واستحقاقـه وحده أن يعبد من خلقه. فيـه يثبت تعالـى ملكيته كل مـوجود فـى السماوات وفى الأرض، فهـو تعالى الخـالق

والمالك والمنعم والمتصرف فى أمور خلقه، وهو مـا يوجب على جميع خلقه إفراده بالعبادة. ثم إنه تعالى يبين أن عبادته من جانب خلقه لا تفيده شيئا وإنما هى تفيد العابد منهم، وذلك بإثبـاته تعالى أنـه غنى عن العـالمين وأنه المستحـق أن يحمد، والمحمود من خلقـه بلسان الحال، المستغنى عن حمد الكافرين بلسان القال.

وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾

أولا : الأسـماء :

كلمات الله : المراد بهـا ـ فى معنى الآيـة ـ هو القرآن العظيـم كلام الله تعالى، وهـو أيضا مقدوراته.

ثانيا : التفسـير :

قوله تعالى ـ فى الآية ـ فى إثبات بعد الشقـة بينه تعالى وبين ما يشرك المشركون من دونه فهو فى إثبات جهل المشركين وغياب عقولهم في عبادة غير الله تعالى.

فعن طريق ضرب المثـل يقول تعالى إنه لو كان جميع مـا على الأرض من جنس الشجرة أقلاما يكتـب بها ويدون. وكانت الأنهار والبحـار والمحيطات مدادا يكتب به، كلمـا نفد منه واحد أمده غيره بما فيـه من ماء يكون مدادا للكتابة ـ وفي القول جـاء ذكر «سبعة أبحر» تعبيرا عن الكثرة وليس تحديـدا للعدد ـ ثم كان الأمر هو كتابة معانـى كلمات الله فى القرآن العظيم وبيان ما فيها من كـل أمر، لكان الأمر هو بلاء الأقلام ونفاد المداد دون الانتهـاء من تدوين ما تضمنته آيات الله فـى كتابه العزيـز. والمعنى هو أن الكتاب قـد أحاط بكل شىء وأنـه إلى أن تقوم الساعة لا يحيط الناس بكل ما جاء فى الكتاب من منظور ومستور علما.

كذلك فإن القول يعنى أنه لو دونت هذه الأقلام التى مدادها ما امتلأت به البحار ما هو فى مقدور الله تعالى خلقه وإيجاده، لكان الحال هو بلاء الأقلام ونفاد المداد دون سطر مقدورات الله فى خلقه وعجائبه فيها. فيكون القول إثباتا لعدم محدودية قدرته تعالى.

وقوله تعالى ـ فى ختام الآية ـ «إن الله عزيـز حكيم» يفيد أنه تعالى بحكم عـزته قد امتنع على الخلق أن يحيطوا علما بما شاء ألا يحيط علمهم بـه كله فكان عزيزا عليهم، وأنه تعالى يفعل هـذا لحكمة منه فيهـا صالح الـدين والعباد وإن لـم يدركها إلا العـالمون، يؤمنـون بها إيمانهم بالغيب.

مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾

التفســـــير:

بعد أن بين تعـالى أن الأقلام والمداد أعجز عن أن تـدون مقدوراته فى خلقه وهـو ما يفيد تعدد مخلـوقاته فـوق كل حصر، فـإنه تعالـى بين فى الآيـة أن خلقه الأعداد غيـر المحدودة والمتجددة من أنواع المخلوقات أمر من السهولة بالنسبة له تعالى حتى أنه ليعادل خلق كائن واحد، وجاء التمثيـل ـ فى الآية ـ بجنس الإنسـان سواء لأنه أشرف ما يـدب على الأرض من الكائنات، أو لأنه المعلوم والملموس للمخاطبين بالنص، أو مراعاة لما وقع من الكافرين من حديث يتعجب فيه من إحاطته تعالى بكل ما يصدر من جميع الناس فى الوقت الواحد.

فجاء قوله تعالـى فى شأن خلق جميع أفراد جنس الإنسان وبعثهـم من الموت ، يثبت أن خلقهم جميعا يماثل عنـده تعالى خلق نفس واحدة وكذلك بعثهـم يشبه بعث نفس واحدة، ليكون مفهومـا أن علمه تعالى يحيط بما يعلنـون وما يسرون فى اللحظة الواحـدة، ولهذا جاء قوله تعالى ـ فى ختام الآية ـ «إن الله سميع بصيـر» يؤكد أنه تعالى يسمع فى اللحظة الواحدة ما يكون مـن بنى الإنسان جميعهم، كمـا أنه يبصرهم جميعـا فى اللحظة الواحـدة. وهذا هو الفرق بين الخالق والمخلوق.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾﴾

التفســـــير:

الخطاب ـ فـي الآية ـ هو إلى رسـول الله ﷺ ـ على الظاهـر ـ وهو لكل صاحـب عقل فى حقيقة الأمر، والقول هـو فى مظهر من مظاهر قدرتـه تعالى فى خلقه، يتمثل فـى إدخاله الليل فى النهار وإدخاله النهار فى الليل، وتسخيره الشمـس والقمر يجرى كل منهما إلى أجل سماه الله له. وقيل فى سبب تقـديم الليل على النهار إن الأصل هو الظلام ــ وهذه حقيقة أثبتها رواد الفضاء الذين خرجوا من نطاق الغلاف الجـوى المحيط بالكرة الأرضية ـ لكننا لا نرى أن هذا هو السبب ـ والله أعلم ــ وذلك لأن ذكر الليل جاء بمعنى ولوجه أو دخولـه فى النهار بما يعنى أن النهار كان هو الموجود ثم دخل فيه الليل.

ونرى أن الخطاب جـاء بالاستفهام التقريـرى عن الرؤية، وقد كـانت متاحة فـى النهار ثم شوهد من الخلق دخول الليل فى النهار.

فجاء القول ليقر الناس بما شاهدوه من مبدأ الحال. أما ذكره تعالى الشمس قبل القمر فقد يكون سبب ذلك أنه تعالى أوجد الشمس قبل القمر، إذ انفصلت الكرة الأرضية من الشمس، ثم انفصل القمر عن الأرض، ولهذا كان من تسخير الشمس أنه انفصلت عنها الكرة الأرضية، وكان تسخير القمر هو ليكون مواقيت للناس وليكون سراجا منيرا.

ثم إنـه تعالى أثبت أن كـلا منهما يجرى إلى أجـل مسمى، والقول ذكر للحقيقـة العلمية المعروفة وهـى سير المجموعة الشمسية والمجرة التـى هى فيها إلى ما هو مجهـول للبشر أين ينتهى هذا السير، وهذا هو الأجل المسمى عنده تعالى .



ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾

التفسير:

بعد أن ذكر تعالى من مظاهر قدرته ما ذكر من ملكيته ما فى السماوات والأرض، ومن عجز الأقلام والمداد عن سطر معانى كلماته المنزلة وسطر عجائب مخلوقاته، وسهولة خلق الناس جميعا عليه وبالمثل بعثهم، وإيلاجه الليل فى النهار والنهار فى الليل وتسخيره الشمس والقمر، فإنه تعالى أشار إلى هذا فيما يشبه بيان سبب قدرته عليه وهو أنه الحق، فهو تعالى وحده هو الحق لأن جميع ما عداه زائل، ولأنه وحده هو الله وهو الإله والرب؛ ولهذا أثبت تعالى أن جميع ما يعبد من دونه هو الباطل، لأن تأليهه ليس إلا فكر باطل، ولأنه إلى زوال. ثم أثبت تعالى لذاته العلو فوق كل شىء والكبر الذى لا يدانيه فيه أحد أو شىء. وعلة ذلك معروفة وهى أنه وحده هو الحق .

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾

التفسير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ عود إلى ذكر مظهر من مظاهر قدرته يتضمن نعمة من نعمه على الإنسان، والخطاب ـ فى الآية ـ إلى رسول الله ﷺ والمراد به جميع ذوى العقول، لتقرير رؤيتهم السفن تجرى فى البحر بسبب نعمه تعالى التى جعلت الماء يحملها، وسخر الريح لتدفعها فى سيرها أو خلق من أنواع الوقود ما يسيرها بعد أن علم الإنسان أن يستخدمها فى

هذا، ثم إن السفـن تجرى فى البحر حـاملة نعمة الله من الطعـام والمتاع وكل ما يتجـر فيه أو يكون من قبيل النعم.

ويذكر تعـالى أنه بهذا يُـرى الناس بعض دلائل قدرتـه التى لاتكون إلا من الله تعـالى، ثم يبين أن الذى تكون له آية يستفيد منها وبها هـو المؤمن أو الذى هيىء لأن يكون مؤمنا، وصفه تعالى بأنـه كل صبار شكور لأن هاتين الصفتيـن هما أظهر صفات المؤمنين، فـالمؤمن يصبر على الطاعة ويصبر على كف النفس عن شهواتهـا، كما يصبر على أذى الكافرين، وهو شاكر لربه لا يكفر بنعمه

﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾﴾

أولا : الأســـماء :

١ ـ المقتصـد : فى قوله تعالـى «فمنهم مقتصد» المراد به ـ فى معنى الآيـة ـ هو الموحد بالله، سلـك الطريـق الموصـل إلى القصـد ـ وهـو رضاء الله ـ أو الطريـق المستقيم، طـريق التوحيد.

٢ ـ الختار : فى قوله تعالى «وما يجحد بآياتنـا إلا كل ختار كفور» هو الغادر الذى كثر غدره من «الختر» وهو «الغدر» صيغة مبالغة للفاعل.

ثانيا : التفســـــير :

قوله تعـالى ـ فى الآية ـ فى عموم الناس، يفيـد وجود الإيمان بالله وتوحيـده فى طبيعتهم

التى فطـرهم الله عليهـا، كما يفيـد أنهم ينقسمـون قسمين: أحـدهما علـى بصيرة مـن الأمر، والآخر ذو جهالة وضلال .

فهو تعالى يبين عـن طريق المثال أنه إذا أصاب الناس شدة غلبتهـم فطرتهم فيكون منهم اللجوء إلى الله وطلـب السلامة منه، جاء التمثيل لهـذه الشدة بالموج يعلو راكبـى الفلك فى البحر حتى ليبدو مثل السحب التى تظلهم فيخشون الغـرق. ثم يبين تعالى أنه بعد رفع الشدة عنهم ــ ومثلها فى القول إنجـاء راكبى الفلك إلى البـر ـ يكون منهـم من يبقى على التـوحيد الذى أدركه حيـن الشدة، فيكون من الذيـن اهتدوا إلى سواء السبيل، ويكـون منهم المخادع الغادر الـذى يتحول إلـى الكفر، يكـون مبدؤه كفران النعمـة، فلا يـذكر ربـه الذى أنجـاه من الكرب، ولا يشكره، بل يكون منه الكفر والعصيان .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾

التفســــير:

بعد أن بيـن تعالـى دلائل قدرته ووحـدانيته ومنهـا خلقه الناس وبعثهـم للحساب، فـإنه تعالى أمرهم فى نـص الآية بتقواه ليأمنوا عذابه يوم القيامة، طلـب منهم أن يخشوه بالعمل له بالطـاعات وتجتب المعاصـى، ثم أعلمهم أنـه مهما كان حـب الأب لابنه فى الحياة الـدنيا كبيرا فإنه لا يغنى عنه شيئا ولا يفيده يوم القيامـة، ليعلم الأبناء أنهم محاسبون بأعمالهم فيتقوا الله حق تقاته، ثم إنه تعالى لما كان قد وصى الأبنـاء بوالديهم فى السورة، فإنه أوضح بالنص أن إطاعة الأبناء أمره بالإحسان إلى والديهم لا يكـون من شأنها إفادتهم شيئا يوم القيامة، إذ لا

يقبل من الابن أن يجزى عـن أبيه شيئا يوم القيامة، أو أنه يكون من هـول ذلك اليوم أنه ينسيه التفكير فى أبيه.

ثم إنـه تعالى يؤكـد أن وعده بالثواب والعقـاب فى الآخرة هو الـوعد الحق الثابـت الذى يتحقق؛ ولهذا فإنه أمر الناس ألا تلهيهم الحياة الدنيا بملذاتها ومتعها فتنسيهم الآخرة والعمل لها بعملهـا، كما أمـرهم بـالتحوط من الشيطـان ـ وهـو الغرور على مـا سبق بيـانه ــ حتى لا ينخدعوا بتزيينه الحياة الـدنيا لهم وحثهم على تأجيل التوبة مكرا منـه فيكون لهم عذاب يوم القيامة .

إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾

التفســـــير:

قيل إن سبب نزول الآية هو أن رجلا سأل رسول الله ﷺ عن الساعة متى تقوم، وعن الغيث متى ينـزل بالأرض لأنها أجدبـت، وعن المولـود الذى تحمل بـه امرأته أيكون ذكـرا أم أنثى، وعما يكسب فى غده، وعن الأرض التى يموت فيها، فنزلت الآية .

وقوله تعالـى «إن الله عنده علم الساعة» ليس إجـابة على السؤال لأنه تعالـى لم يقل «إن علم الساعة عند الله» بـل قال «إن الله عنده علم الساعة» فأفاد اختصاصه تعـالى بعلم ما ذكر فى النص ـ ولهذا نقول والله أعلم إنه ليس لسبـب النزول بفرض صحته أثر على المعنى المراد إيصاله للناس ــ وهو أنه تعالى الذى يختـص بعلم الساعة، كما أنه وحـده المختص بإنزال المطر يكون غوثا للأرض والإنسان والحيوان، وبالعلـم بما فى الأرحام نوعا وحالا من الصحة ومن النقـص والمرض، ومن رزق الغد خيـره وشره، وبالمكـان الذى يموت فيه الإنسـان. وما

هذا إلا لأن جميع ما ذكر هو من قبيل الغيب ولا يطلع الله على غيبه أحدا.

وقوله تعالى - فى ختام الآية - «إن الله عليم خبير» جاء بمثابة تعليل لاختصاصه تعالى وحده بالعلم بما ذكر، فهو وحده العليم الذي لا تخفى عليه خافية، وهو الخبير بما هو كائن وما يكون، فقد سبق علمه كل شيء، وكتب في اللوح المحفوظ ما يكون فسبحان الله رب العالمين.

■■■■

بسم الله الرحمن الرحيم
سورة السجدة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾

لتفسير:

استفتحت السورة بأسماء الأحرف « الٓمٓ » وهى - على الراجح - من المتشابه من القرآن. وهى - فى عبارة الآيتين - خبر لمبتدأ محذوف بمعنى « هذا الٓمٓ » تبعه خبر آخر هو أنه تنزيل - بمعنى منزل : أى أن هذا تنزيل للكتاب ، وحال الكتاب أنه لا شك فيه ، فتكون « لا ريب فيه » حالا مؤكدة ، وتكون « من رب العالمين » حالا متعلقة بـ « تنزيل » .

فيكون مفاد القول هو أن القرآن العظيم هو الكتاب المنزل من الله تعالى لا يناله شك فى

أن منزله هو رب العالمين ، ولا فى أن مضمونه هو الحق من رب العالمين ، فيكون القول نفيا لما قاله الكافرون فيه من أنه « سحر أو شعر » أو كهانة أو أساطير الأولين .

أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾

التفسير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ مرتبط بما سبق التقرير به فى الآية السابقة ، فالاستفهام فى قوله تعالى «أم يقولون افتراه » هو لإنكار قولهم إن رسول الله ﷺ جاء به من عنده ثم نسبه إلى الله افتراء عليه بالكذب ، فهو لبيان كذب الزعم أن القرآن ليس من عند الله، تبعه تأكيده تعالى أنه الكتاب الحق من رب رسول الله ﷺ » فيكون تأكيدا لما سبق ذكره فى الآية السابقة من نفى الريبة أن يكون من رب العالمين ، ثم ذكر تعالى الغاية من تنزيل القرآن على رسول الله ﷺ وهى أن ينذر به قوما لم يأتهم من قبله ﷺ رسول منذر من بعد إسماعيل عليه السلام الذى لم ينزل عليه كتاب وإنما دعا بحنيفية أبيه إبراهيم ، وكانت دعوة إسماعيل قد درست بعده وانقضت وعادت جرهم إلى الشرك . ثم بين تعالى أنه قد يتحقق من الدعوة بالقرآن العظيم والإنذار به اهتداء قومه ﷺ إلى الدين الحق والطريق المستقيم بقوله تعالى « لعلهم يهتدون » .

اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٤﴾

التفسـير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ فى بيان عظمتـه المستدل عليها من قدرته فى الخلق ليعلم العباد أنه وحده المتصرف فى أمورهم ومصائرهم وأن حسابهم عنده وحده .

وفى نص الآية يصف تعالى ذاته بأنـه الذى خلق السماوات والأرض وما بينهما من أغلفة ومجالات فـى ستة أيـام ـ بمعنـى حقب زمنيـة ، على مـا سبق بيانـه ـ ثم اسـتوى علـى العـرش ـ وقـد سبق بيانه أيضا ـ وقد جـاء وصفه تعالى ذاته بهذا ليستبيـن للناس ما أوضحه تعالى لهم بصريـح القول وهو أنه ليس للناس ولى أو شفيع ينفعهـم دون مشيئته تعالى و إذنه فيكون القول مثبتا خلوص التصرف له تعالى فى العباد .

وجاء قوله تعـالى ـ فى ختام الآية ـ «أفـلا تتذكرون » حثا للناس على سماع كـلامه تعالى وتذكره وما فيه للعمل به لتكون لهم به النجاة من العذاب الذى لا يمنعه عنهم ولى ولا شفيع ، كما جاء إنكارا على الكافرين عدم سماعهم كلامه تعالى وتذكره .

يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾

التفسـير:

قوله تعالـى ـ فى الآية ـ فى ذكر صفة أخـرى من صفاته متعلقة بفعل من أفعالـه هو تدبيره تعالى أمور الدنيـا وجميع خلقه فيها يكون مبتدأ الأمر فى السماء تكون فيهـا مشيئته بما هو فى علمه فيكـون الأمر قدرا مقدورا وعلـى الخلق مقدرا ، ثم تكـون نهاية الأمر فـى الأرض حيث ينفذ قـدره تعالى ، أو أن المـلائكة تنزل بقضـائه وقدره لينفـذ فى خلقه فـى الأرض . وقيل إن المراد بالأمر فى القول هو القرآن العظيم ينزل به جبريل عليه السلام من السماء إلى الأرض .

ثم إنـه تعالى يـذكر أن الأمـر يصعد به إليـه تعالى إلـى السماء فـى يوم مقداره ألـف سنة بحساب البشر في الدنيا . والمراد بهذا أنه يصعد إليـه تعالى بأعمال العباد التى عملوها وبما كان منهم من رضاء بقضائه وقدره أن تبرم منه . وجـاء بيان أن ذلك يكون فى يوم مقداره ألف سسنة بحساب البشر فى الدنيا ، لبيان أن الأيام لـديه تعالى ليست هى الأيام بحساب الناس على الأرض ، وإنما هى حقب زمانية فالألف سنـة هى لبيان الكثرة باعتبار أن « الألف » هى أكبر رقم يتم تكراره ، وليست بمعنى الرقم المحدد ، فيكون ذلك دليلا على أن الستة أيام التى خلق تعـالى فيها السمـاوات و الأرض هى ست حقـب زمنية ، وقيـل إن المراد بالقـول هو أن جبريل عليه السلام يصعـد إلى السماء بعد النزول بالوحي ، ونرى ــ والله أعلم ـ أن فى القول بأن النزول من السماء هو نزول جبريـل عليه السلام وأن الصعود هو صعوده تخصيصا للمعنى بغير مخصص ، فضلا عن أن صعـود جبريل بعد النزول بالقرآن ـ مـع تكراره ـ لا يتصور فيه أن يكون فى يوم مقداره ألف سنة بحساب البشر .

ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦﴾ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٨﴾ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ ۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۚ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٩﴾

التفسـير:

يشير تعالى إلى ذاته باعتباره الموصوف بالصفات العظيمة المذكورة فى الآيات السابقة ، ويخبر عن نفسه بأنه العالم بكل ما غاب عـن الخلق العلم به وبكل ما علموا به من المعاينة أو من الـدليل العقلى ، وبأنـه العزيز الغالـب على أمره ، والرحيـم بعباده يهديهم إلـى الحق

ويغفر لهم ذنوبهم ويشملهم برحمته فى الدنيا والآخرة .

ثم يصف تعالى ذاته بصفتين أخريين أولاهما أنه تعالى أحسن كل شيء خلقه ، بمعنى أنه جعل كل مخلوق فى هيئة خارجية وتكوين داخلى يصلح لوظيفته فى الحياة وسعيه فيها على النحو الذى ليس ما هو أفضل منه ، ثم إنه لما كان الإنسان هو قمة الكمال فى الخلق على ما جاء بقوله تعالى « لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم » فإن الصفة الأخرى التى ذكرها تعالى لذاته جاءت بأنه بدأ خلق الإنسان من طين وهو ما كان بخلقه تعالى آدم عليه السلام أصل جنس الإنسان من طين .

ثم إنه تعالى يصف نفسه بأنه جعل ذرية آدم الذين انسلوا منه وانفصلوا يخلقون من المنى الذى هو ماء لا قيمة له إلا فيما يتعلق بالتناسل يستخلص من جسم الذكر بقدرته تعالى .

ثم يذكر تعالى أنه يكون منه بعد أن يبدأ وجود الآدمى فى رحم المرأة من منى الرجل وبويضة الأنثى يقوم بتكوين أعضائه ويسويها على النحو الذى يكون به المولود فى أحسن تقويم ، ثم ينفخ فيه الروح ، أضافها النص إلى ذاته تعالى لتشريف الإنسان ، ثم يذكر تعالى أنه يجعل بعد ذلك فى الجنين السمع والأبصار والأفئدة ، وسبحان الله العظيم ذكر أنه يخلق هذه الحواس والقدرات فى الجنين بعد نفخ الروح فيه ليبين للناس أن جميع الحواس ترتبط بوجود الأعصاب والمخ الذى به تكون البصيرة فيكون هو الفؤاد ، وهذه جميعا لا يكون لها عمل إلا فى حى تدب فيه الروح .

ثم إنه لما كان علم الإنسان بفضل الله عليه إذ جعله فى أحسن تقويم بعد أن خلقه من ماء مهين ، وجعله بنعمة العقل والبصيرة خليفته فى الأرض مستوجبا منه أن يشكر الله على فضله ، فإنه تعالى نبه إلى تقصير الناس فى أداء واجب الشكر بقوله « قليلا ما تشكرون » أثبت أن شكر الناس ربهم على ما أنعم به عليهم قليل ، أو أن الذين يشكرونه تعالى على نعمه من الناس قليلون .

■■■■

وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلۡنَا
فِى ٱلۡأَرۡضِ أَءِنَّا لَفِى خَلۡقٍ جَدِيدٍۭۚ بَلۡ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمۡ كَٰفِرُونَ ﴿١٠﴾
۞ قُلۡ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلۡمَوۡتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ تُرۡجَعُونَ ﴿١١﴾

التفســـــير:

بعد أن ذكر تعالى من صفاته ما تعلق بقـدرته التى لا حدود لها على كل شىء مما لا يكاد معه عقل ينكـر البعث عليه تعالى ، فإنـه تعالى فى الآية يـذكر عقيدة فئة من الكافـرين ، هم الذين ينكـرون البعث وينكرون يوم القيـامة ، فيذكر تعـالى قولهم «أئذا ضللنـا فى الأرض أئنا لفى خلق جديد » ينكـرون أنهم من بعد أن تتحلل أجسادهم فى قبـورهم بعد الموت وتصير ترابا يضيع فى تراب الأرض « ضللنا فى الأرض » تكون لهم عودة إلى الحياة أجسادا أو أبدانا تدب فيها أرواح .

ثم إنـه تعالى يبيـن أن إنكارهـم البعث هو قليـل من كثير، فهـم ينكرون أن المـوت يكون يقبض أرواحهم بواسطة ملك الموت بلقائهم ليـأخذ أرواحهم بأمر الله ، أو ينكرون أنهم يلقون حساب الله فى آخرة يكون فيها حسابهم .

ثم إنه تعالى يأمر رسوله ﷺ بالحـق الذى يكون ، وهو أن ملك الموت الذى أوكل اليه من الله تعالى قبض أرواحهم يتـوفاهم عندما تحين آجالهم ، وأنهـم يبعثون من الموت للحساب والجزاء يوم القيامة .

وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلۡمُجۡرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ رَبَّنَآ أَبۡصَرۡنَا
وَسَمِعۡنَا فَٱرۡجِعۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾

التفســــــير:

قوله تعالـى ـ فى الآية ـ هو فى بيـان حال منكرى البعث والحساب يوم القيـامة وما يكون منهم ، والخطاب إلى رسول الله ﷺ وإلـى كل مؤمن ، وقوله تعالى « ولـو ترى » فيه بيان لسوء حال مـن يراهم ، والذيـن يراهم رسـول الله ﷺ ويراهم كـل مؤمن يوم القيـامة هم الكـافرون بالبعث ، وصفهم تعالى بأنهم المجرمون ، وحـالهم المشاهد هو أنهم يعانون الخزى والهوان فينكسوا رؤوسهـم عند الحساب وعند مشـاهدتهم النار وعلمهـم أنهم يواقعونهـا ، ينادون الله بقولهم «ربنا» طمعا فى أن يرعاهم ، ثم يقرون بـأنهم قد أبصروا آياته فى الخلق وسمعوا آياته المنزلة على رسله فى الدنيا ، وأنهم فى موقفهم فى الآخرة قد عقلوا ما أبصروا وآمنوا بصحة ما سمعوا ولهذا فإنهم يسألونه المحال ، وهو أن يعيـدهم إلى الدنيا ليكون منهم الإيمان والعمل الصالـح به ، ثـم يؤكـدون تيقنهم مـن الحق الـذى عرفـوه وأنهمم يعملـون به بقـولهم « إنـا موقنـــون » .

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ۝١٣﴾

التفســــــير:

قوله تعـالى ـ فى الآية ــ فى بيان حتمية ورود الكـافرين بيوم البعث جهنـم ، أو هو إثبات لكذبهم فيما ادعوه من أنهم إذا رجعوا إلى الدنيا فإنهم يؤمنون ويعملون الصالحات .

فقوله تعالى « ولـو شئنا لآتينا كل نفس هداها » معناه أنه لـو أراد الله تعالى أن يقسر الناس جميعا على الهدى فى الدنيا لكان قد ألـزم كلا منهم الهدى إلى الإيمان الصحيح والعمل به والمستفاد من أداة الشرط « لو » أنه تعالى لم يشأ هذا ، وإنما أعطى الناس الخيار بين الهدى والضلال بعد أن بيـن لهم سبيل الهدى وأرشدهـم إليه وأمدهم بـرسله وآياته . ثم إنـه تعالى

أثبت حتمية ورود هؤلاء المكذبين بالبعث عذاب جهنم ولو استجاب لدعوتهم الرجوع إلى الدنيا لقوله تعالى: « ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه » وأنه تعالى لا يعيدهم إلى الدنيا وإنما يعذبهم لاختيارهم الكفر لأنه قد سبق منه تعالى القول الحق المتحقق أنه يملأ جهنم من الجنة والناس معا مجتمعين ، وهو ما قاله تعالى لإبليس اللعين عندما قال إبليس إنه سيغوى عباده تعالى أجمعين إلا عباده المخلصين ، فتوعده الله بأن يملأ جهنم منه وأتباعه ومنهم أجمعين وفى القول جاء ذكر الجنة قبل الناس تحقيرا لإبليس وأعوانه من الجن ، ولأنهم الذين أضلوا الناس فاستحقوا أن يكونوا أول المعذبين .

فَذُوقُوا۟ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ إِنَّا نَسِينَٰكُمْ ۖ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾

التفسير:

بعد أن ذكر تعالى أن المكذبين بيوم الدين يسألون يوم القيامة محالا أن يرجعوا إلى الحياة ليعملوا صالحا ، وأنه تعالى قد حق القول منه أن يملأ جهنم من الجنة ومن الناس مجتمعين .

فإنه يبين فى الآية أنه يقال لهم ـ يوم القيامة ـ توبيخا لهم وتهديدا أن يذوقوا ما يعانون من الخزى والهوان جزاء على نسيانهم يوم القيامة الذى لم يعملوا له عمله فكان منه تعالى أن عاملهم فى عذابهم معاملة المنسى ، تركهم فيه .

ثم إنه تعالى يؤكد نيل المكذبين العذاب وأنهم فيه مخلدون بقوله « وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون » ويبين المعنى أن عذابهم لا يكون بسبب تكذيبهم بيوم الدين أو نسيانه فقط، وأنه يكون لأعمال أخرى عملوها .

■■■■■

إِنَّمَا يُؤْمِنُ
بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ
وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿١٥﴾ • تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ
خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾

التفسير:

قوله تعالى ـ فى الآيتين ـ يتصور فيه أن يكون أريد به معنى عام أو حكم عام فى شأن المؤمنين ، ويتصور أن يكون من قوله تعالى الذى يقال للمكذبين بيوم الدين يوم القيامة ، يقال لهم لبيان أنهم لم يكونوا أهلا للهدى وأنهم لذلك استحقوا العذاب والخلود فيه ، وذلك عن طريق بيان أهل الهدى الذين وصفهم قوله تعالى بأنهم الذين يؤمنون بآياته ـ ومنها آياته فى القرآن المخبرة عن يوم القيامة ، يقول فيهم النص أنهم إذا ما تليت عليهم آيات القرآن العظيم أو وعظوا بها يكون من فرط تأثرهم بها إيمانا وتصديقا أنهم يسقطون ساجدين لله خشوعا له ، وأنهم ينزهونه عما لايليق بذاته ويحمدونه على عطائه وأنعمه

ثم يذكر تعالى حال هؤلاء المؤمنين بقوله « وهم لا يستكبرون » بمعنى أنهم لا يستكبرون عن التوبة عن الكفر الذى كانوا عليه من قبل إن كانوا كافرين قبلا ، ولا يستكبرون على الناس متعالين ، ولا عن التذلل لله .

ثم إنه تعالى يصفهم بصفة أخرى وهى أنه لايهنأ لهم بال ولاتستقر أجسادهم على فرشهم للنوم قبل أداء صلاة العشاء ليلا ، ودون أداء صلاة الصبح وأنه يكون منهم هذا لخوفهم من التفريط فى الفريضة، ورجائهم رحمة ربهم كما وصفهم بأنهم الذين ينفقون مما رزقهم الله فى الطاعات ، يكون من ذلك أداء الزكاة والإنفاق فى سبيل الله بأنواع الصدقات .

فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾

التفســـــير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ هو فى بيان عظيم جزائه تعالى المؤمنين الموصوفين بما سبق ذكره من الصفات فالقول من قبيل الوعد الحسن بالخير العظيم ، والقول هو من العموم بحيث يشمل جميع خلقه المكرمين ، يدخل فيه الملائكة والرسل والصالحون .

ومعنى القول أن هؤلاء لا يحيط علمهم بما أعده الله لهم من الخير الذى تهنأ به نفوسهم وتسعد، جاء التمثيل لهذا باستقرار العيون فى محاجرها وعدم دورانها من أثر الاضطراب والخوف ثم بين تعالى استحقاقهم هذا الخير ببيان أنه جزاء أعمالهم الصالحة التى عملوها على إيمانهم .

أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا
كَمَن كَانَ فَاسِقًا ۚ لَّا يَسْتَوُۥنَ ﴿١٨﴾ أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ
فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ
فَسَقُوا۟ فَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ كُلَّمَآ أَرَادُوٓا۟ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَآ أُعِيدُوا۟ فِيهَا
وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَنُذِيقَنَّهُم
مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ
مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾

التفســــــير:

بعد أن ذكر الله تعالى فى الآيات السابقة ما يكون للمكذبين من العذاب يوم القيامة ، وبعد أن وعد المؤمنين بالخير الذى لا يحيط به علمهم وتوقعهم ، جاء قوله فى الآيات الخمس فى بيان سبب اختلاف جزاء المؤمنين عن جزاء المكذبين ، وفى تفصيل ما يكون لكل من الفريقين من الجزاء .

جاء الاستفهام فى قوله تعالى « أفمن كان مؤمنا كما كان فاسقا » لإنكار المماثلة بينهما والمراد بالفاسق هو من خرج عن الطاعة وعلى أحكام الشريعة ـ ثم صرح تعالى بعدم المشابهة بين المؤمن وبين العاصى ، ليبين وجوب عدم المشابهة فى الجزاء.

ثم بدأ تعالى بذكر مآل الفريق الأول وهم المؤمنون الذين قرنوا إيمانهم بعمل الصالحات، فبين أنه تكون لهم جنات المأوى والسكن والاستقرار بما فيها من خيرات ثوابا من الله يمنحونها جزاء منه تعالى على ما كانوا يعملون من الصالحات بإيمانهم .

ثم ثنى تعالى بذكر ما يكون للذين خرجوا على طاعته بالكفر والمعصية ، فبين أنه تكون لهم النار مأوى يسكنونها ويستقرون فيها ، ثم بين تعالى أنهم كلما راودهم الأمل فى الخروج من النار حين يرفعهم لهيبها إلى أعلى فيحسبون أنه يقذف بهم خارجها ، تكون عودتهم إليها إذ يضربهم اللهب فيهوون إلى قاعها ، ويقال لهم على سبيل التبكيت أن ذوقوا عذاب النار الذى كنتم به تكذبون ، فيكون القول لإغاظتهم ببيان غفلتهم وجهلهم حين أنكروا فى دنياهم البعث والحساب.

ثم إنه تعالى توعد هؤلاء الخارجين على الطاعة ــ فى جملة الآية ٢١ الاعتراضية ـ بإذاقتهم شيئا من العذاب القليل والقريب ـ والمراد به عذاب الدنيا ـ قبل أن يصيبهم العذاب الأكبر فى الآخرة ـ وهو عذاب النار ـ وبين علة إنزاله بهم عذاب الدنيا وهى أنه قد يكون من بعضهم الاتعاظ بذلك والاعتبار فيكون منهم الرجوع إلى ما فطروا عليه من إيمان وتوحيد فتكون منهم التوبة عن الكفر والدخول فى دين الله ، أو التوبة عن المعاصى .

وبعد ذلك بين تعالى استحقاق الخارجين على الطاعة ما أعد لهم من العذاب ببيان أنه ليس هناك من يماثلهم فى الظلم ولا فى درجته ، وفصل ظلمهم فبين أنه تمثل فى مقابلتهم آيات الله المتلوة عليهم بالإعراض عنها سمعا وطاعة . وبين تعالى أنهم بهذا الإعراض قد أجرموا فى حق الله تعالى منزل الآيات ، وفى حق رسوله ﷺ المنذر بها ، وفى حق أنفسهم ، ثم إنه لما كان المجرم مستحقا العقوبة ومن أغراضها الانتقام منه على ما اقترفت يداه فقد جاء قوله تعالى «إنا من المجرمين منتقمون» مبينا أن الخارجين على الطاعة ينتقم منهم بتعذيبهم .

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾

التفسير:

القول - فى الآيات الثلاث - يبدو كأنه انتقال إلى حديث فى موضوع آخر، والذى نراه - والله أعلم - أنه يرتبط بما سبق ذكره فى شأن اختلاف الناس حول دعوة الرسل والأنبياء بين مصدق يؤمن بها وبين مكذب يكون من الفاسقين ، وجاء الحديث فى الآيات عن موسى عليه السلام والكتاب الذى أنزل إليه لأنه كان عقيدة وشريعة ، كما أن القرآن العظيم عقيدة وشريعة .

ومفاد القول أنه تعالى أنزل على موسى عليه السلام الكتاب الذى تضمن العقيدة والشريعة قبل القرآن العظيم ؛ ثم إنه لما كان بعثه ﷺ كان بالقرآن العظيم الذى أنزل عقيدة

وشريعة فإنـه تعالى نهى رسوله ﷺ ـ علـى الظاهر، والمراد هو جميع الناس ـ عن الشك فى أنه ﷺ ملاق كتاب ربه ومتلقيه ومبلغه والمنذر به ، ثم أثبت تعالى أنه جعل التوراة هاديا لبنى إسرائيل من الضلال ، ليكون القول مشيرا إلى كون القرآن العظيم هاديا من بعد التوراة ، وجاء عدم ذكر أنه هاد قوم رسول الله ﷺ لبيان أنه هدى للناس أجمعين .

ثم ذكر تعالى أنه جعـل من بنى إسرائيل ـ من بعد موسى ـ أئمـة بمعنى أنبياء يهدون بأمره تعالى الذى أنـزل فى التوراة ، وذلك لبيان أن هؤلاء الأنبيـاء دعوا بدعوة التوحيد التـى نزلت بها التوراة وبالعمل بالشريعة التى وردت فيها ، وأنهم كانوا متبعين فى قولهم ممن آمن بسبب صبرهم على الدعوة ، وبسبـب تيقنهم من صحة ما يدعون إليه مما وردت به آيـاته تعالى فى التوراة الذى كان دافعا لهم على مواصلة أداء الرسالة .

ثم إنه لما كان قد آمن لهؤلاء الأنبياء بعض الناس ، وكذبهم البعض الآخر وكفر بهم ، فإنه تعالى بيـن أنه يفصل بين المؤمنيـن وبين المكذبين يـوم القيامة بقضائه بالثـواب وبالعقاب فيعرف كل ما كان عليه فى الدنيا من حق ومن بـاطل فيكون القول مشيرا إلى ما سبق بيانه من اختلاف مصير المؤمنين عن مصير المكذبين والعصاة فى الآخرة .

أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ ۖ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾

التفسـيـر :

قولـه تعالى ـ فى الآية ـ فى الذيـن كذبـوا برسول الله ﷺ جـاءت عبارة الآية فـى صيغة استفهام إنكارى أريد بـه أمران ، أولهما أنه تعالى يسـر لهم تبين مصير الذين سبقـوهم ممن كذبـوا رسلهم ، أو هداهم إلـى معرفة ذلـك بطريق معـاينة آثارهم التـى تتمثل فى مسـاكنهم المخربة التى يمرون بهـا فى رحلاتهم التجارية ، وهذا المصير هو هـلاكهم بكفرهم رسلهم .

والثانى أنه تعالى ينكرعلى المكذبين عدم تبينهم هذه الحقيقة والاتعاظ بها .

ثم إنه تعالى بين غفلة المكذبين برسول الله ﷺ بذكره أن ما يرونه من آثار المكذبين هو آيات عظيمة تدل على أن المكذبين رسلهم يلقون عذابه تعالى فى الدنيا ، وأنه يكون لهم ـ فى الآخرة ـ عذاب عظيم وبعد هذا ينكرعليهم تعالى أنهم لايسمعون آياته المتلوة عليهم سماع تدبر يبعث على الإيمان فيكون منجيا من العذاب فى الدنيا والآخرة .

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾

أولا : الأسماء :

الجرز: هو المنقطع النبات ، وهو فى معنى الآية صفة للأرض التى قطع نباتها لعدم وجود الماء أو لأنه رعى وأزيل .

ثانيا : التفسير :

قوله تعالى ـ فى الآية ـ لا يزال فى المكذبين الذين نعى عليهم الله من قبل أنهم لم يتبصروا ما أبصروا من آثار المهلكين بتكذيبهم الرسل ، أوضح تعالى أنهم قد عميت بصيرتهم تماما فلم يتبصروا قدرته تعالى فيؤمنوا به ويوحدوه وهم يرون من آياته أنه يسوق الماء تحمله السحب لينزل على الأرض التى قطع نباتها ، أو يسوقه إليها جاريا فى الأنهار أو متفجرا من العيون فيكون به إخراج الأرض نباتها وتغير حالها فيأكل مما تخرج من الزرع أنعام الناس فيفيدوا من لحمها ولبنها ، ويأكلون أنفسهم منه ما يأكل الإنسان ، وهو ما يستخلص منه ذوو الأبصار حقيقة أنه تعالى الذى سخر الطبيعة لخير الإنسان ، واستحقاقه الشكر على ذلك ، وأول مظاهره اختصاصه وحده بالعبادة والتصديق برسله وكتبه .

ولهذا جاء قوله تعالى - فى ختام القول - « أفلا يبصرون» إنكارا على المكذبين تكذيبهم رسله وآياته المنزلة عليهم التى تدعمها آياته فى الخلق .

وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ ٱلْفَتْحِ لَا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِيمَٰنُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾

أولا : الأسماء :

الفتح : المراد به - فى معنى الآية - هو ظهور المؤمنين على المكذبين يوم القيامة المعبر عنه بقوله تعالى « إن ربك هو يفصل بينهم يوم القيامة » ويتصور فيه أن يكون هو انتصار المؤمنين على الكافرين . وإن كان باقى القول يغلب صحة المعنى الأول .

ثانيا : التفسير :

يذكر تعالى من أعمال المكذبين رسول الله ﷺ استهزائهم بما أبلغوا به من أنه تعالى يفصل بينهم وبين المؤمنين يوم القيامة عن طريق جزائه فيبين أن المؤمنين كانوا على الحق ، وأنهم كانوا على الباطل فيكون ذلك فتحا للمؤمنين عليهم .

ويتمثل استهزاء المكذبين بما أبلغوا به فى استعجالهم ما توعدوا به يوم القيامة ، وجعلهم عدم تحققه دليلا لهم على كذب المسلمين الذين قالوا لهم إن الله يظهرهم عليهم يوم القيامة .

وقد أمر تعالى رسوله ﷺ أن يخبرهم أن يوم الفتح الذى يكون للمسلمين عليهم آت لأنه وعد الله الذى لا يخلف وعده ، وأن يعلمهم أنه يوم يأتى الفتح لا ينتفع الكافرون بإيمان

يعلنونه ، كما أنهم لا يمهلون وقد يكون القول دليلا على أن المراد بـ « الفتح » هو قضاء الله يوم القيامة وليس انتصار المسلمين على الكافرين فى بدر ، لأنه قد وقع فى بدر وبعدها أن آمن من الكافرين من آمن فقبل إيمانه ، ولأنه يكون من الكافرين طلبهم يوم القيامة أن يردوا إلى الدنيا ليعملوا غير الذى كانوا يعملون فلا يقبل منهم هذا .

فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴿٣٠﴾

التفسير :

قوله تعالى ـ فى الآية ـ هو القول الفصل بين رسول الله والمؤمنين ـ فى جانب ـ وبين المكذبين ـ فى جانب آخر ـ جاء من بعد بيان أنه ﷺ والمؤمنون قد أعلنوا المكذبين أنه يكون لهم فتح عليهم يوم القيامة ، وأن المكذبين استهزءوا بهذا القول واستعجلوا وقوع هذا الفتح الذى سيكون للمؤمنين عليهم ، استهزاء بالقول . وتكذيبا لقائليه .

والخطاب ـ فى القول ـ أمر إلى رسول الله ﷺ وللمؤمنين بعدم الاكتراث بتكذيب المكذبين واستهزائهم ، وبالإعراض عن مجادلتهم لعدم جدوى ذلك ، وبانتظار تحقق وعده تعالى رسوله والمؤمنين أنه يكون لهم فتح على المكذبين ، وهو إعلام لرسول الله وللمؤمنين بأن المكذبين ينتظرون رؤية عاقبة الأمم . فيكون القول مبينا أن من أصر على التكذيب يبقى على تكذيبه فلا يستأهل الأمر مجادلته ومناظرته ، وأنه يعاين الفتح يكون لرسول الله ﷺ وللمؤمين على المكذبين يوم القيامة ، فيكون القول هو فصل الخطاب فى الأمر .

بسم الله الرحمن الرحيم

ســـورة الأحزاب

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ
عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ
خَبِيرًا ﴿٢﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٣﴾

التفســـــير:

قولـه تعالى ـ فـى الآيات الثلاث ــ موجه إلـى رسول الله ﷺ، جاء بأوامـر منه تعالـى مع الحث على التزامها بالتذكير بحقائق هى من دعائم الإيمان .

جاء الخطاب بمنـاداة رسول الله ﷺ بأنه النبى تعظيمـا له وتفخيما، ثم أمره تعـالـى بتقواه، والمراد بهذا استمراره على مـا هو عليه من تقوى، وبيان أهمية التقوى حتى أنـه تعالى أمر بها رسوله ﷺ وهو أتقى الأتقياء .

ثم إنه تعالـى نهى رسوله ﷺ عن إطاعة الكافـرين المجاهرين بالكفر، والمنـافقين الذين أخفوه فى صدورهم. وقد تكون مناسبة ذلك هـى طلب الكفار ومنهم الوليد بن المغيرة وشيبة ابن ربيعـة من رسـول الله ﷺ أن يرجـع عن قولـه على أن يعطـوه نصف أمـوالهم، وتخـويف المنافقين إياه ﷺ بـأنه إن لم يرجع عن دعوتـه قتله الناس. وقد لا يكون لذلك عـلاقة بالنص ويكون النص من قبيل التخصيص بعد التعميم .

ثم أمر تعالى رسوله ﷺ أن يتبع فى أمور الدين جميعها ما يوحى إليه به من آيات القرآن العظيم ومن ذلك ما أمرت به الآية السابقة من تقوى الله وما نهت عنه من إطاعة الكافرين والمنافقين. ثم إنه تعالى حث رسوله ﷺ على التزام هذا الأمر، وبين للكافرين والمنافقين أنه يعلم أعمالهم وما تخفى صدورهم ويعاقبهم به بذكره تعالى أنه بما يعمل الجميع خبير.

ثم إنه لما كانت إطاعة الكافرين والمنافقين لا تكون من مؤمن إلا إذا كانت لديه فى النفس خشية منهم ـ وحاشاه ﷺ أن يخشى غير الله ـ وكان التزام ما يوحى به إليه ﷺ من شأنه أن يجلب عليه غضب الكافرين والمنافقين، فقد أمره تعالى بالتوكل عليه بتفويض أمره إليه، وأكد له ما يعلمه ﷺ من أنه تعالى كافيه وأنه مانعه عن عدو الله وحافظه من الأذى.

مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔى تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ ۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِى ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾

أولا : الأسـماء:

١ ـ القـلب : فى قوله تعالى «ما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه» قيل إن المراد به فى معنى الآية هو ذلك العضو الذى فى الصدر على الاعتقاد بأنه مكان الفهم والتذكر، وقيل هو المخ أو العقل. وذلك على ما قيل من أن رجلا يدعى جميل بن معمر اشتهر بقوة الحفظ، كان كافرا يقول إن له قلبين وإنه يفهم أكثر من رسول الله ﷺ، فلما كان يوم بدر وهزم مع المنهزمين وجد وإحدى نعليه بيده والأخرى بقدمه، فقال له أبو سفيان: «ما بال إحدى نعليك فى رجلك والأخرى بيدك؟» فقال: «ما ظننت إلا أنهما فى رجليّ»، فكان ذلك تكذيبا منه نفسه. وقيل إن المراد به فى معنى الآية هو النفس، قولا بأن نفرا كان يدعى أن له نفسا تأمره بالذنب، وأخرى

تنهاه عنه. وقيل إن المراد به هو التذكر قولا بأن رسول الله ﷺ سها يوما فى صلاته فسمعه الناس فقال المنافقون إن له قلبين أحدهما مع المصلين والآخر مع أصحابه، فنزلت الآية فى تكذيب هذا القول .

٢ ـ الأدعيــــاء : فى قوله تعالى «وما جعل أدعياءكم أبناءكم» جمع، مفرده «الدعى» وهو الغريب عن الرجل يدعى ابنا له.

ثانيا : التفســــير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ فى إثبات عدم صحة معتقدات ثلاث كانت سائرة فى القوم فى عهده ﷺ اعتقادا وقولا و إن كان منها ما اتصف بصفة التأقيت .

نفى تعالى ـ فى مبتدأ القول ـ أنه خلق لرجل قلبين فى جوفه، والمعنى أنه لم يخلق لأحد من بنى البشر قلبين فى جوفه لأن ما يسرى فى شأن الرجل يسرى فى شأن المرأة، ولأن الصبى مصيره أن يكون رجلا. والقول بهذا المعنى يتضمن تكذيبا للذين قالوا إنه ﷺ له قلبان، أحدهما مع المصلين خلفه والآخر مع أصحابه، أو تكذيبا للذين قالوا إن رجلا من الكافرين له قلبان و إنه لهذا عرف عنه سرعة الحفظ والاحتفاظ بالمحفوظ فى عقله، أو تكذيبا للقائلين إن للواحد منهم نفسين، إحداهما تأمره والأخرى تنهاه. فيكون القول إثباتا لواقع أنه يخلق تعالى للإنسان قلبا واحدا وعقلا واحدا ونفسا واحدة، وأن ما يكون منه هو ثمرة اختياره بين الخير والشر، و إثباتا لأن السهو لا يعنى تعدد القلوب أو النفوس .

كذلك أثبت تعالى خطأ اعتقاد الذين يحرمون نساءهم على أنفسهم تحريم أمهاتهم عليهم بمجرد قول أحدهم لامرأته «أنت علىَّ كظهر أمى» بمعنى أنه لا يغشاها، وأن قولهم هذا يجعل المرأة فى حكم الأم من تحريم إتيانها. فيكون القول مفيدا أن زوج الرجل لم تجعل ـ من الله تعالى ـ فى حكم الأم محرمة على رجلها بقوله إنها عليه كظهر أمه.

ويثبت تعالى أيضا أنه لم يجعل الأدعياء أو المتبنين أبناء على الحقيقة لمن تبنوهم كما أنه لم يجعل لهم نفس أحكام أبناء الصلب من حيث التوارث ومن حيث تحريم النكاح.

وبعد هذا يشير تعالى إلى الأقوال الثلاثة ويخبر أنها محض أقوال للقائلين بها، بمعنى أنها لا تصادف الحقيقة، ولا تجاوز ما يخرج من بين الشفاة، ثم يبين أن قوله تعالى فيها وفى غيرها هو الحق الذى لا يأتيه الباطل.

ثم يذكر تعالى أنه الذى يهدى إلى الطريق الموصل إلى الحق ليكون القول دافعا الناس على التزام قوله تعالى وطرح معتقداتهم الفاسدة، والإقلاع عن القول بها .

ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْ ۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥﴾

التفســــــير:

بعد أن ذكر تعالى أنه لم يجعل للأبناء بالتبنى حكم الأبناء على الحقيقة أو أبناء الأصلاب فإنه تعالى قطع بالنص بتحريم التبنى يكون بنسبة المتبنين إلى غير آبائهم، وذلك عن طريق الأمر بنسبتهم إلى آبائهم على الحقيقة، فيكون المعنى ـ بمفهوم المخالفة ـ هو النهى عن نسبتهم إلى غير آبائهم. وعملا بهذا فإنه ﷺ نسب زيدا إلى أبيه حارثة بعد أن كان يدعوه ويدعوه المسلمون «زيد ابن محمد». ثم أظهر تعالى أن نسبة هؤلاء إلى آبائهم يكون أكثر عدلا عند الله، ونرى ـ والله أعلم ـ أن ورود الفعل فى صيغة أفعل التفضيل «أقسط» وإثبات أن ذلك يكون عنده تعالى، لأنه قد لا يكون من ينتسب إليه الولد هو والده على الحقيقة ـ كما فى حالة ابن السفاح الذى لم يعرف عنه ذلك فاعتقد الناس بنوته إلى من نسب إليه ـ ثم إنه لما كان المتصور ألا يكون معروفا والد الابن بالتبنى، مثل هؤلاء الذين يُعثر عليهم فى أعقاب

الكوارث والنوازل ممن يفقدون آباءهم ولا يتعرف عليهم، فقد جاء أمره تعالى باتخاذهم إخوة فى الدين للذين تولوا أمورهم وأولياء لهم فيه بالولاية أو المولوية، ومنه أن يقال «فلان مولى فلان» بدلا من أن يدعى باسمه وحده دون ذكر اسم آخر مما قد يؤذى النفس.

ثم إنه تعالى بين حكم ما كان من المسلمين من تبنى البعض قبل نزول النص بالتحريم، فذكر أنه رفع إثم هذا عن فاعليه دون أن يمحو عن الفعل صفة الخطأ وإن كان غير معاقب عليه. ثم بين أن الجزاء يكون لدى تعمد الفعل بعد نزول النص، يكون باتخاذ ابن بالتبنى، ويكون بالاستمرار على حال بدأ قبل نزول النص .

ثم إنه تعالى فتح باب التوبة لمن تاب عن الفعل بعد ارتكابه عمدا من بعد نزول النص، بقوله «وكان الله غفورا رحيما» فبين أنه يغفر له ذنبه، كما بين أنه يدخله فى رحمته إذا ما أزال أثره وأطاع بأن نسب الابن بالتبنى إلى أبيه، أو اتخذه أخا فى الدين أو مولى فيه.

ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفۡعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِكُم مَّعۡرُوفٗاۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَسۡطُورٗا ٦

التفسير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ هو فى بيان العلاقة بين رسول الله ﷺ وبين المؤمنين، وبين المؤمنين بعضهم والبعض. وهذه العلاقات وإن كان ظاهرها أنها اجتماعية إلا أن آثارها تمتد إلى أحكام الدين والشريعة .

فقوله تعالى «النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم» له معنيان: حاصل أولهما أنه ﷺ هو

الأكثر ولاية لهـم ونصرة من أنفسهم ذاتها، بما يفيـد أن حرصه ﷺ على مصالحهـم أشد من حرص أنفسهـم على ذلـك، والثانى أنـه ﷺ هو الأجـدر أن تجند له نفـوس المؤمنيـن، تحبه وتتفانى فى طاعته أكثر من حبها ذاتها.

وقد قيل فى مناسبة نزول النص أنه لمـا نادى ﷺ للخروج إلى غزوة تبوك قال بعض الناس «نستأذن آباءنا وأمهاتنـا» فجاء النص مبينا أن طاعته مفروضة علـى المؤمنين مفضلة على أى طاعة لأحد من خلقه .

ثم إنه كان منه تعـالى إثبات العلاقة بين زوجاته ﷺ وبين المـؤمنين، فبين أن زوجاته ﷺ هن أمهات المـؤمنين، بمعنى أنهن فى حكم الأمهـات من حيث تحريم النكـاح ومن حيث وجوب الاحترام لهن والتكـريم، أما فيما عدا ذلك من جهة الخلـوة بهن والنظر إليهن والإرث فإنهن يعتبرن أجنبيات عن المؤمنين لهن ذات أحكامهن .

وفى شـأن علاقـة المؤمنيـن بعضهم ببعض فـذكر أن أولـى الأرحام ــ والمراد بهـم عموم الأقارب ومنهم العصبات ـ أولى بالانتفاع فى شأن الميراث وعموم النفع المالى من المؤمنين الذيـن كانوا ينـالون من مـال إخوانهم فـى الديـن ـ بحق الـدين ـ نصيبـا فى أموالهـم، ومن المهاجرين الذين كانوا ينالون نصيبا بحق الهجرة، فيكون المعنى هــو تفضيل صلة القرابــة ـ فى شأن الإرث والمنافع المادية ـ على صلة الإخوة الدينية وصلة الهجرة.

ثم إنه تعـالى أورد استثناء على هـذا هو المتعلق بـ «الوصيـة»، فالوصية هـى المشار إليها بالمعروف «إلا أن تفعلوا لأوليائكم معروفا» والمعروف أن الوصية لاتكون لوارث .

ثم إنه تعالى بين أن أحكامه المذكورة فى الآية من كونه ﷺ أولى بالمسلمين من أنفسهم وأن أزواجه فى حكم أمهات المؤمنين، وكون صلة القرابة هى التى يعتد بها فى الميراث، فيما عـدا ما تعلـق بحكم الـوصيـة، أن هذه الأحكـام هى مـن أم الكتـاب الذى سطـر فى اللـوح المحفوظ أو الذى ورد فى القرآن العظيم .

■■■■

﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمۡ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٖ وَإِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۖ وَأَخَذۡنَا مِنۡهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا ٧ لِّيَسۡـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدۡقِهِمۡۚ وَأَعَدَّ لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمٗا ٨﴾

التفسير:

بدأ القول بمخاطبة رسول الله ﷺ، ومعنى قوله تعالى «وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم» هو «واذكر إذ أخذنا من النبيين ميثاقهم»، وقد يكون فى تعلق القول بالأنبياء أصحاب الشرائع فيما عدا عيسى عليه السلام الذى لم يأت بشريعة وإنما بتصحيح عقيدة، قد يكون فى هذا ما يرتبط بما سبق ذكره من أحكام أعراف سادت فى الجاهلية وفى الإسلام - حينا من الزمان - إلى أن أبطلها النص القرآنى، إذ يكون الأمر متعلقا بحكم شرعى أبلغه رسول الله ﷺ ويكون قد ناسب هذا ذكر ذوى الرسالات من الرسل أو أولى العزم منهم .

والذى يذكر به رب العزة رسوله ﷺ هو أخذه تعالى من النبيين عموما عهودهم بتبليغ الرسالات والشرائع والدعوة إلى الدين وإلى تصديق بعضهم بعضا. ثم إنه تعالى من بعد ذكره أخذه الميثاق من النبيين، خص بالذكر منهم رسول الله ﷺ بصيغة المخاطب، ونوحا وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم عليهم السلام، مع دخولهم فى عموم النبيين. وقد يكون هذا لكونهم أصحاب رسالات فى شأن العقيدة أو الشريعة أو فيهما معا، بدأ تعالى القول فى ذكر هؤلاء الأنبياء بمحمد ﷺ مع كونه آخرهم بعثة لكونه أجلهم خطرا وبقاء شريعته دون نسخ إلى يوم القيامة وذكر من أصحاب العقائد والشرائع نوحا وموسى عليهما السلام، كما ذكر صاحب الحنيفية الملة والعقيدة إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وذكر من صحح العقيدة والشريعة التى أنزلت على موسى عليه السلام وهو عيسى ابن مريم عليه السلام .

ثم ذكر تعالى أنه أخذ من النبيين ميثاقا غليظا وهو عهد موثق بالأيمان على الوفاء بما

حملوا، وقيل هو المعنى بقوله تعالى «ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه، قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى» أى إعلانهم أن محمدا ﷺ هو رسول الله، ليكون ميثاقه الغليظ ﷺ على أنه لانبى بعده.

ثم بين تعالى أن أخذه الميثاقين على الرسل كان يقصد سؤالهم يوم القيامة عن دعوتهم الصادقة للإيمان التى دعوا بها أقوامهم، وعن مدى تصديق أقوامهم بهم، فيكون المراد بـ«الصادقين» فى معنى الآية هو الرسل، بين تعالى أنهم صادقون فى علمه بما يفيد أن السؤال لم يقصد به معرفة ما إذا كانوا قد صدقوا ما عاهدوا الله عليه وواثقوه أم لا.

وذكره تعالى ـ فى ختام الآية ـ أنه أعد للكافرين عذابا أليما، جاء مقابلا لذكره تعالى الصادقين، فبين أن الكافرين هم الكاذبون، يسألون عن كذبهم ويعاقبون عليه بالعذاب الأليم.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ٩

أولا : الأسـماء :

الجنـود : فى قوله تعالى «إذ جاءتكم جنود» المراد بهم ـ فى معنى الآية ـ هم الأحـزاب، وهم مجموعة القبائل التى تحالفت وتحزبت على رسول الله ﷺ والمؤمنين، وهم: قريش بقيادة أبى سفيان، وبنو أسد بقيادة طليحة، وغطفان بقيادة عيينة، وبنو عامر بقيادة عامر بن طفيل، وبنو سليم بقيادة أبى الأعور السلمى، وبنو النضير بقيادة حى بن أخطب وأبناء أبى الحقيق، وبنو قريظة الذين كان بينهم وبين رسول الله ﷺ عهد، بقيادة كعب ابن أسد.

وقيل إن عدوهم كان بين عشرة آلاف وخمسة عشر ألفا. وهم أصحاب موقعة الخندق،

علم رسول الله ﷺ بقدومهم عليه للقتال فأمر ـ بمشورة سلمان الفارسى ـ بحفر خندق يحيط بالمدينة يكون بينه وبينهم.

ثانيا : التفســـــير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ شروع فى ذكر قصة موقعة الأحزاب أو الخندق، والخطاب موجه إلى المؤمنين يأمرهم تعالى بذكر ما أنعم به عليه فى هذه الموقعة وتذكره من قبيل شكر النعمة ولترسيخ الإيمان فى القلوب.

وجاء قوله تعالى «إذ جاءتكم جنود» ظرفا لهذه النعمة، وهو ما كان من مجىء الأحزاب وقدومهم لقتال المؤمنين فى كثرة تحالفوا على الإثم والعدوان من قبائل مختلفة من العرب ومن اليهود. وفى إيجاز يجمل مضمون النعمة .

يذكر تعالى أنه أرسل على المتحزبين على المؤمنين ريحا فعلت فيهم فعلها حين ضربتهم فى معسكرهم فأدت إلى اضطرابهم.

كما يذكر تعالى أنه أرسل عليهم جنودا لم يروها، وهم الملائكة الذين قلعوا أوتـاد خيـام المتحزبين على رسول الله ﷺ وأطفؤوا نيرانهم وأهاجوا خيلهم وقذفوا فى قلوبهم الرعب.

ثم يقول تعالى ـ فى ختام الآية ـ «وكان الله بما تعملون بصيرا» مفيدا أنه تعالى نصر المؤمنين بالريح وبالملائكة لإحاطته علما بأنهم عملوا على نصرة دينه، وأنهم عملوا للنصر مع قلة عددهم عمله. فأطاعوا رسول الله ﷺ، وحفروا الخندق الذى أمر بحفره، وأعدوا تشكيلاتهم القتالية، وتوكلوا على الله .

إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾

التفســــير:

القول لايزال فى الظرف الذى أحاط بالنعمة التى أنعم بها تعالى على المؤمنين فى موقعة الخندق. فيـذكر تعـالى أن فريقـا من الأحـزاب جاءوا المـؤمنين من أعلـى الوادى مـن جهة المشرق وهم بنو غطفان وتابعوهم من أهل نجـد وبنى قريظة وبنى النضير، وأن فريقا آخر جاء المؤمنين مـن أسفل الوادى من جهة المغـرب، وهم قريش ومـن تابعهم من بنى كنـانة وأهل تهامة وبعض الأحباش.

ثم يذكـر تعالى حال عسـاكر المؤمنين فـى هذا الظرف المأمـور بتذكره بقولـه تعالى «وإذ زاغت الأبصار وبلغـت القلوب الحناجر وتظنون بـالله الظنون» جاء التعبير بـ «زيغ الأبصار» كنايـة عن الحيـرة والدهشـة تملكت مـن نفوس جنـود المسلمين فـانحرفـت بسبب ذلـك أبصارهم، وجـاء التعبير بـ «بلوغ القلوب الحناجـر» تعبيرا عن شدة الخوف الـذى ملك على المسلمين نفوسهـم فكادت ـ تشبيها ـ قلـوبهم أن تخرج من حناجـرهم. ثم جاء قولـه تعالى «وتظنون بالله الظنون» مبينـا تعدد الظنون وتنوعها فى المـؤمنين، فالذين صح إيمـانهم يظنون أنه تعـالى منجز وعده، نـاصر رسولـه والمؤمنين علـى أعدائهم، أو أنه تعـالى مختبرهـم فهم يخشون أن تزل قدم بعد ثبوتها، والذين نافقوا يقولون ـ تعبيرا عن ظنونهم ـ إن وعد الله ورسوله لم يكن إلا غرورا.

﴿هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ١١﴾

التفســــير:

مفاد قولـه تعالى هو أنه فـى مكان المؤمنين الذين كـانوا فيه، وفى وقت الحـدث، كان ما حدث من مجىء الأحزاب من فوق المؤمنين ومن أسفل منهم نوعا من الابتلاء لهم والاختبار، كان من شدته أنه أحـدث فى نفوسهم اضطرابا شديدا، أو أنهم ـ كما قيـل ـ تحركت نفوسهم إلى الفتنة فعصمهم الله .

﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾﴾

التفسـير:

يفصل تعالى ـ فى الآية ـ ما ردده المنافقون من القول فى معسكر المؤمنين، ويتصور أن يكون المنافقون ـ فى معنى الآية ـ هم الذين فى قلوبهم مرض، لأن النفاق مرض فى النفوس، ويتصور أن يكون الذين فى قلوبهم مرض هم ضعاف الإيمان، استمالهم المنافقون فتأثروا بهم ورددوا قولهم وهو أن ما وعدهم الله ورسوله من نصر على أعدائهم وإعلاء دينه لم يكن غير قول باطل لا سبيل إلى تحققه .

﴿وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا ۚ وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١٣﴾﴾

أولا : الأسـماء والأعلام :

١ ـ **الطائفـة** : فى قوله تعالى «وإذا قالت طائفة منهم» المراد بهم ـ فى معنى الآية ـ هم عبد الله بن أبى ابن سلول وأتباعه.

٢ ـ **يثـرب** : هى مدينة رسول الله ﷺ، سماها طيبة، وطابة، وقيل إن «يثرب» اسم بقعة من الأرض منها، سميت باسم يثرب بن عمائيل بن مهلائيل بن عوص بن عملاق بن لاوذ بن إرم أول من نزلها وسكنها وكان من العماليق .

ثانيا : التفســــير :

يذكر تعـالى ـ فى مطلـع الآية ـ أن طائفـة من المنافقين خـاطبوا أهل المدينـة من جنود المسلمين فقالوا لهم إنه لاينبغى لهم الإقـامة فى معسكر المسلمين والأحزاب يحيطون بهم، ويحثونهم محرضين علـى الرجوع إلى منازلهم فى المدينة لينجوا بـأنفسهم من خطر الموت على يـد الأحزاب، وقيـل إن المعنى هـو أنه لن يكـون لهم مكـان فى مجتمـع المسلمين إذا انتصر رسـول الله ﷺ، لأنه يكتشف نفـاقهم فيقتلهـم به، ولذلـك حرضوا أهـل المدينـة على الرجـوع إلى المدينة كـافرين ليـأمنوا الكافـرين ولينعموا بحمايتهـم من رسول الله إذا كـان له النصر على أعدائه .

ثم يبين تعالـى بالنص أن فريقا من الـذين سمعوا قول المنافقين استجـاب لهم فاستأذن النبى ﷺ فى الرجـوع إلى منازله، وأن أفراد هذا الفـريق تعللوا بأن بيوتهم سـائبة غير محصنة وليس فيها مـن يدفع عنها السـراق والمعتدين، ثم يظهر تعـالى كذب هؤلاء فيمـا ادعوه سببا للاستئذان فـى الرجوع إلى المنازل بـإثباته صراحـة أن بيوتهم ليست على النحـو الذى ذكروه بغير حراسـة ولا حمايـة. وقيل إن المستأذنيـن كانوا بنى حـارثة وبنى سلمة، كما أثبـت تعالى أنهـم لم يستهـدفوا مـن الاستئذان فـى الرجـوع إلا الهرب مـن القتال والنكـوص عن مـؤازرة المؤمنين .

﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا ﴿١٤﴾﴾

التفســــير:

قوله تعـالى ـ فى الآية ــ هو زيادة إيضاح لمـوقف المستجيبين دعوة أئمة النفـاق الذين استأذنوا رسول الله ﷺ فى الرجوع إلى المدينة تـذرعا بأن بيوتهم تخلو ممن يحميها. والمعنى

الحرفى لعبارة النص هو أنه لو كان هؤلاء المستأذنون داخل بيوتهم، ثم دخل عليهم بيوتهم آخرون وطلبوا منهم الخروج للحرب، بعد أن دخلوا عليهم بيوتهم من كل جانب، لكان من شأن المستأذنين المبادرة إلى الاستجابة لدعوة الداخلين عليهم بيوتهم، ولتركوا بيوتهم دون أن يلبثوا فيها إلا وقتا قصيرا.

فيكون مفاد القول هو أن طاعة هؤلاء لغير رسول الله ﷺ أعظم من طاعتهم الله ورسوله، وأن عذرهم الذى أبدوه سببا لاستئذانهم عذر كاذب.

وقيل إن المعنى هو أنه لو دخلت عليهم بيوتهم ثم طلب منهم الكفر لأجابوا الداعين إليه مسرعين .

﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ﴿١٥﴾﴾

التفسير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ هو فى المستأذنين فى الرجوع إلى البيوت فى المدينة، يثبت تعالى أنهم بفعلهم قد نقضوا عهدهم مع الله تعالى الذى كان بمعاهدتهم رسوله ﷺ أن يصيروا فى القتال لا يفرون منه إلى أن تكون إحدى الحسنيين النصر أو الشهادة. وقيل إن هؤلاء هم بنو سلمة الذين جبنوا يوم أحد ثم تابوا وعاهدوا الرسول ألا يفروا من قتال، وقيل إنهم أناس غابوا عن بدر فحزنوا على مافاتهم من الغنائم وعاهدوا قائلين «لئن أشهدنا الله قتال لنقاتلن».

ثم جاء قوله تعالى «وكان عهد الله مسئولا» لإثبات أنه تعالى معذب ناقضى العهد يوم القيامة بنقضهم عهدهم.

﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾﴾

التفســـــير:

يأمر تعالى رسـوله ﷺ أن يقول للمستأذنين من القتال تعللا بأن بيـوتهم عورة «لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل وإذا لا تمتعون إلا قليلا» والمعنى أنه ﷺ يعلم كذبهم فيما ادعوه من سبب للاستئذان، ويعلم أنهم ما قصدوا غير الفرار من المعركة المرتقبة خوفا من القتل. يخبرهم بـه بإعلانه إياهم أنهم إذا فـروا من المعركة لأى سبب وبآيـة وسيلة، فإن هذا الفرار لن يجديهم شيئا حين تجيء آجالهم فيكون ما قدر لكل منهم من انقضاء أجله بالموت حتف نفسه، أى بالطـريق الطبيعى أو بالقتل بالوسيلـة التى قدر له أن يقتل بها. ثـم إنه تعالى يخبرهم على لسان رسـوله ﷺ أن عاقبة تمتعهم بالفرار من القتـال، لن تستمر إلا مدى قصيرا هو لحين انقضاء آجالهم بالموت أو القتل المقدر عليهم، أو أقل من ذلك، إذ يكون التمتع هو فى الاعتقـاد أنهم هربوا مـن قتل كان لاحقـا بهم، فيكون دوامـه إلى أجل محدود وليـس إلى انقضاء آجالهم بالموت أو القتل.

قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾

التفســـــير:

يأمر تعالى رسوله ﷺ أن يقول للمستأذنين قولا آخر، جاء فى صيغة الاستفهام «من ذا الذى يعصمكم مـن الله» والمراد بـه النفى، فيكـون المعنى أنـه ليس ثمـة من يعصـم المستأذنيـن الفارين من الله تعـالى إن أراد أن يصيبهم بأذى أو ضرر ولا من يمنع عنهـم خيرا أراد تعالى أن ينعم به عليهم. والمعنى المراد إيصاله هو أنه مصيبهم ما كتب الله لهم من خير أو ضر.

ثم إنه تعالى أكد هذا المعنى بقـوله «ولا يجدون من دون الله وليا ولا نصيرا» والمعنى أنهم

لا يجدون غير الله تعالى من ينفعهم فهو وحده الولى الحق، وأنهم لا يجدون نصيرا يدفع عنهم ضررا أراده بهم سبحانه وتعالى.

﴿ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ ﴾

أولا : الأسـماء والأعلام :

المعوقون : فى قوله تعالى «قد يعلم الله المعوقين» هم المانعون ، والصارفون عن الأمر. والمراد بهم ـ فى معنى الآية ـ الذين كانوا يثبطون عزائم الناس عن اللحاق برسول الله ﷺ، ويدعون الذين معه فى المعركة إلى التخلى عنه واللحاق بهم. وقيل إنهم عبد الله بن أبى، ومعتب بن قشير ومن رجع من المنافقين من الخندق إلى المدينة .

ثانيا : التفسـير :

يثبت تعالى ـ فى الآية ـ أنه يعلم أحوال المنافقين والذين فى قلوبهم مرض، وأنه بحكم علمه هذا يعلم من بينهم الذين يمنعون الناس عن اللحاق برسول الله ﷺ فى الخندق، يعوقون سعيهم إليه، والذين يدعون إخوانهم ـ بمعنى جيرانهم فى سكنى المدينة، أو بمعنى مشاركيهم فى صفة النفاق، أو صفة الكفر برسول الله ﷺ، يدعونهم إلى ترك مكانهم فى الخندق والتوجه إليهم فى المدينة «هلم إلينا» فهم يقولون لهم «تعالوا إلينا وفارقوا محمدا» ـ وأصل هلم هو «ها» للتنبيه، و «لم» ثم حذفت الألف لتخفيف النطق، وبنيت على الفتح ـ ثم وصفهم تعالى بفعل من أفعالهم وهو أنهم لا يأتون البأس إلا قليلا»، بمعنى أنهم لا يردون مكان المعركة المرتقبة إلا وقتا قليلا يظهرون فيه للناس ليحسبوا أنهم معهم ثم ينصرفون إلى بيوتهم، أو أنهم لا يحضرون القتال إلا رياء.

■■■■

أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ ۚ أُولَٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾

التفسـير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ إتمام لوصف المنافقين والمعوقين منهم، يذكر تعالى حالهم من المؤمنين بقوله تعالى «أشحة عليكم» يبخلون على المؤمنين بالجهد فلا يسهمون معهم فى حفر الخندق بجدية، ويبخلون عليهم بالمال فلا ينفقون فى سبيل الله، وإذا غنموا غنيمة بخلوا بها على المؤمنين فيمنعونهم مشاركتهم فيها، وهم جبناء إذا توقعوا هجوما من العدو دارت أعينهم فى الأحداق كمن يترقب العدو يأتى من أى مكان فهو ينظر فى كل اتجاه، ينظرون نظرا يشبه نظر المغشى عليه من معالجة سكرات الموت. ثم إنه إذا ذهب السبب الموجب للخوف واطمأنت نفوسهم، يكون منهم إيذاء المسلمين بالقول ويكون منهم ذمهم بألسنة سليطة تجرح مثل الحاد من السلاح، وإن كانت تصيب الشرف والاعتبار وليس الجسد. وقوله تعالى فيهم «أشحة على الخير» قيل فيه إنه حالهم من المؤمنين فهم بخلاء حريصين على مال الغنائم، ونرى ـ والله أعلم ـ أنه حال ألسنتهم التى تقول فى المؤمنين المنكر، وحالها أنها شحيحة على المؤمنين، لا تقول فيهم قولة خير وحق.

ثم إنه تعالى أشار إلى هؤلاء المنافقين وأخبر بشأنهم أنهم لم يؤمنوا، فبين أنهم لم يؤمنوا على الحقيقة وإن نطقوا كلمة الإيمان، وأن الكفر فى قلوبهم، ثم بين تعالى أيضا أنه بسبب

ذلك أحبط الله أعمـالهم، فجميع أعمالهم المتعلقة بـالدين والفروض والواجبات بـاطلة من مبتدأ الأمر لافتقادهـا شرط صحتها وهو الإيمان والإخلاص، وجميع أعمالهـم الخيرة لم يبتغ بها وجه الله فهم لا يثابون بها.

وقد أوضـح تعالى أن إحبـاط أعمالهم سهـل عليه تعالـى يسير، ويقبل المعنـى أن يكون مفاده أن نفاقهم أمر عليه تعالى سهل يسير، فيكون المعنى مشيرا إلى هوانهم عليه تعالى.

■■■■■

تم بعون الله المجلد الرابع

من كتاب النفيس

في معاني الأسماء وبيان الأعلام بتفسير القرآن

■■■■■

بسم الله الرحمن الرحيم

فهرست المجلد الرابع من النفيس فى معانى الأسماء وبيان الأعلام بتفسير القرآن

العنوان	الصحيفة
تابع تفسير سورة الكهف	
الآية ٧٣ ـ ﴿قال لاتؤاخذنى بما نسيت﴾	٣
الآية ٧٤ ـ ﴿فانطلقا حتى إذا لقيا غلاما﴾	٣
الآية ٧٥ ـ ﴿قال ألم أقل لك إنك لن تستطيع معى صبرا﴾	٤
الآية ٧٦ ـ ﴿قال إن سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبنى﴾	٥
الآية ٧٧ ـ ﴿فانطلقا حتى إذا أتيا أهل قرية﴾	٥
الآية ٧٨ ـ ﴿قال هذا فراق بينى وبينك﴾	٦
الآية ٧٩ ـ ﴿أما السفينة فكانت لمساكين﴾	٧
الآية ٨٠ ـ ﴿وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين﴾	٨
الآية ٨١ ـ ﴿فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه﴾	٩
الآية ٨٢ ـ ﴿وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين﴾	٩
الآية ٨٣ ـ ﴿ويسألونك عن ذى القرنين﴾	١١
الآية ٨٤ ـ ﴿إنا مكنا له فى الأرض﴾	١٢
الآية ٨٥ ـ ﴿فأتبع سببا﴾	١٣
الآية ٨٦ ـ ﴿حتى إذا بلغ مغرب الشمس﴾	١٣
الآية ٨٧ ـ ﴿قال أما من ظلم فسوف نعذبه﴾	١٤
الآية ٨٨ ـ ﴿وأما من آمن﴾	١٥
الآية ٨٩ ـ ﴿ثم أتبع سببا﴾	١٥
الآية ٩٠ ـ ﴿حتى إذا بلغ مطلع الشمس﴾	١٦
الآية ٩١ ـ ﴿كذلك وقد أحطنا﴾	١٧
الآية ٩٢ ـ ﴿ثم أتبع سببا﴾	١٧
الآية ٩٣ ـ ﴿حتى إذا بلغ بين السدين﴾	١٧
الآية ٩٤ ـ ﴿قالوا ياذا القرنين﴾	١٨
الآية ٩٥ ـ ﴿قال ما مكنى فيه ربى خير﴾	٢٠
الآية ٩٦ ـ ﴿آتونى زبر الحديد﴾	٢٠
الآية ٩٧ ـ ﴿فما اسطاعوا أن يظهروه﴾	٢١
الآية ٩٨ ـ ﴿قال هذا رحمة من ربى﴾	٢٢

العنوان	الصحيفة
الآية ٩٩ ـ ﴿وتركنا بعضهم يومئذ يموج فى بعض﴾	٢٣
الآية ١٠٠ ـ ﴿وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين﴾	٢٤
الآية ١٠١ ـ ﴿الذين كانت أعينهم فى غطاء﴾	٢٤
الآية ١٠٢ ـ ﴿أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادى من دونى أولياء﴾	٢٤
الآية ١٠٣ ـ ﴿قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا﴾	٢٥
الآية ١٠٤ ـ ﴿الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا﴾	٢٥
الآية ١٠٥ ـ ﴿أولئك الذين كفروا بآيات ربهم﴾	٢٦
الآية ١٠٦ ـ ﴿ذلك جزاؤهم جهنم﴾	٢٧
الآية ١٠٧ ـ ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾	٢٧
الآية ١٠٨ ـ ﴿خالدين فيها﴾	٢٨
الآية ١٠٩ ـ ﴿قل لو كان البحر مدادا﴾	٢٨
الآية ١١٠ ـ ﴿قل إنما أنا بشر مثلكم﴾	٢٩
سورة مريم	
الآية ١ ـ ﴿كهيعص﴾	٣١
الآية ٢ ـ ﴿ذكر رحمة ربك﴾	٣١
الآية ٣ ـ ﴿إذ نادى ربه﴾	٣٢
الآية ٤ ـ ﴿قال ربى إنى وهن العظم منى﴾	٣٢
الآية ٥ ـ ﴿وإنى خفت الموالى من ورائى﴾	٣٣
الآية ٦ ـ ﴿يرثنى ويرث من آل يعقوب﴾	٣٤
الآية ٧ ـ ﴿يا زكريا إنا نبشرك بغلام﴾	٣٥
الآية ٨ ـ ﴿قال رب أنى يكون لى غلام﴾	٣٦
الآية ٩ ـ ﴿قال كذلك قال ربك﴾	٣٦
الآية ١٠ ـ ﴿قال رب اجعل لى آية﴾	٣٧
الآية ١١ ـ ﴿فخرج على قومه من المحراب﴾	٣٨
الآية ١٢ ـ ﴿يا يحيى خذ الكتاب بقوة﴾	٣٨
الآية ١٣ ـ ﴿وحنانا من لدنا﴾	٣٩
الآية ١٤ ـ ﴿وبرا بوالديه﴾	٤٠
الآية ١٥ ـ ﴿وسلام عليه﴾	٤٠
الآية ١٦ ـ ﴿واذكر فى الكتاب مريم﴾	٤٠
الآية ١٧ ـ ﴿فاتخذت من دونهم حجابا﴾	٤١
الآية ١٨ ـ ﴿قالت إنى أعوذ بالرحمن منك﴾	٤٢
الآية ١٩ ـ ﴿قال إنما أنا رسول ربك﴾	٤٢
الآية ٢٠ ـ ﴿قالت أنَّى يكون لى غلام﴾	٤٣
الآية ٢١ ـ ﴿قال كذلك قال ربك﴾	٤٤
الآية ٢٢ ـ ﴿فحملته فانتبذت به﴾	٤٤
الآية ٢٣ ـ ﴿فأجاءها المخاض﴾	٤٥
الآية ٢٤ ـ ﴿فناداها من تحتها﴾	٤٦
الآية ٢٥ ـ ﴿وهزى إليك بجذع النخلة﴾	٤٧
الآية ٢٦ ـ ﴿فكلى واشربى﴾	٤٨

العنوان	الصحيفة
الآية ٢٧ - ﴿فأتت به قومها تحمله﴾	٤٨
الآية ٢٨ - ﴿يا أخت هارون﴾	٤٩
الآية ٢٩ - ﴿فأشارت إليه﴾	٥٠
الآية ٣٠ - ﴿قال إنى عبد الله﴾	٥٠
الآية ٣١ - ﴿وجعلنى مباركا﴾	٥١
الآية ٣٢ - ﴿وبرا بوالدتى﴾	٥٢
الآية ٣٣ - ﴿والسلام علىّ﴾	٥٢
الآية ٣٤ - ﴿ذلك عيسى ابن مريم﴾	٥٣
الآية ٣٥ - ﴿ما كان لله أن يتخذ من ولد سبحانه﴾	٥٣
الآية ٣٦ - ﴿وإن الله ربى وربكم فاعبدوه﴾	٥٤
الآية ٣٧ - ﴿فاختلف الأحزاب من بينهم﴾	٥٥
الآية ٣٨ - ﴿أسمع بهم وأبصر﴾	٥٧
الآية ٣٩ - ﴿وأنذرهم يوم الحسرة﴾	٥٧
الآية ٤٠ - ﴿إنا نحن نرث الأرض ومن عليها﴾	٥٨
الآية ٤١ - ﴿واذكر فى الكتاب إبراهيم﴾	٥٩
الآية ٤٢ - ﴿إذ قال لأبيه﴾	٦٠
الآية ٤٣ - ﴿يا أبت إنى قد جاءنى﴾	٦٠
الآية ٤٤ - ﴿يا أبت لا تعبد الشيطان﴾	٦١
الآية ٤٥ - ﴿يا أبت إنى أخاف أن يمسك عذاب﴾	٦٢
الآية ٤٦ - ﴿قال أراغب أنت عن آلهتى﴾	٦٢
الآية ٤٧ - ﴿قال سلام عليك﴾	٦٣
الآية ٤٨ - ﴿وأعتزلكم وما تدعون﴾	٦٣
الآية ٤٩ - ﴿فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله﴾	٦٤
الآية ٥٠ - ﴿ووهبنا لهم من رحمتنا﴾	٦٥
الآية ٥١ - ﴿واذكر فى الكتاب موسى﴾	٦٥
الآية ٥٢ - ﴿وناديناه من جانب الطور الأيمن﴾	٦٦
الآية ٥٣ - ﴿ووهبنا له من رحمتنا﴾	٦٧
الآية ٥٤ - ﴿واذكر فى الكتاب إسماعيل﴾	٦٧
الآية ٥٥ - ﴿وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة﴾	٦٨
الآية ٥٦ - ﴿واذكر فى الكتاب إدريس﴾	٦٨
الآية ٥٧ - ﴿ورفعناه مكانا عليا﴾	٦٩
الآية ٥٨ - ﴿أولئك الذين أنعم الله عليهم﴾	٦٩
الآية ٥٩ - ﴿فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة﴾	٧٠
الآية ٦٠ - ﴿إلا من تاب﴾	٧١
الآية ٦١ - ﴿جنات عدن التى وعد الرحمن عباده﴾	٧٢
الآية ٦٢ - ﴿لا يسمعون فيها لغوا﴾	٧٢
الآية ٦٣ - ﴿تلك الجنة التى نورث من عبادنا من كان تقيا﴾	٧٣
الآية ٦٤ - ﴿وما نتنزل إلا بأمر ربك﴾	٧٤
الآية ٦٥ - ﴿رب السماوات والأرض﴾	٧٥
الآية ٦٦ - ﴿ويقول الإنسان﴾	٧٦

العنوان	الصحيفة
الآية ٦٧ - ﴿أو لا يذكر الإنسان﴾	٧٦
الآية ٦٨ - ﴿فوربك لنحشرنهم والشياطين﴾	٧٧
الآية ٦٩ - ﴿ثم لننزعن من كل شيعة﴾	٧٨
الآية ٧٠ - ﴿ثم لنحن أعلم﴾	٧٨
الآية ٧١ - ﴿وإن منكم إلا واردها﴾	٧٩
الآية ٧٢ - ﴿ثم ننجي الذين اتقوا﴾	٧٩
الآية ٧٣ - ﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات﴾	٨٠
الآية ٧٤ - ﴿وكم أهلكنا قبلهم من قرن﴾	٨١
الآية ٧٥ - ﴿قل من كان فى الضلالة﴾	٨١
الآية ٧٦ - ﴿ويزيد الله الذين اهتدوا هدى﴾	٨٢
الآية ٧٧ - ﴿أفرأيت الذى كفر بآياتنا﴾	٨٣
الآية ٧٨ - ﴿أطلع الغيب﴾	٨٤
الآية ٧٩ - ﴿كلا سنكتب ما يقول﴾	٨٤
الآية ٨٠ - ﴿ونرثه ما يقول﴾	٨٤
الآية ٨١ - ﴿واتخذوا من دون الله آلهة﴾	٨٥
الآية ٨٢ - ﴿كلا سيكفرون بعبادتهم﴾	٨٥
الآية ٨٣ - ﴿ألم تر أنا أرسلنا﴾	٨٦
الآية ٨٤ - ﴿فلا تعجل عليهم﴾	٨٦
الآية ٨٥ - ﴿يوم نحشر المتقين﴾	٨٧
الآية ٨٦ - ﴿ونسوق المجرمين﴾	٨٧
الآية ٨٧ - ﴿لا يملكون الشفاعة﴾	٨٨
الآية ٨٨ - ﴿وقال اتخذ الرحمن ولدا﴾	٨٨
الآية ٨٩ - ﴿لقد جئتم شيئا إدا﴾	٨٩
الآية ٩٠ - ﴿تكاد السماوات يتفطرن منه﴾	٨٩
الآية ٩١ - ﴿أن دعوا للرحمن ولدا﴾	٩٠
الآية ٩٢ - ﴿وما ينبغى للرحمن أن يتخذ ولدا﴾	٩٠
الآية ٩٣ - ﴿إن كل من فى السماوات والأرض﴾	٩٠
الآية ٩٤ - ﴿لقد أحصاهم﴾	٩٠
الآية ٩٥ - ﴿وكلهم آتيه﴾	٩١
الآية ٩٦ - ﴿إن الذين آمنوا﴾	٩١
الآية ٩٧ - ﴿فإنما يسرناه بلسانك﴾	٩٢
الآية ٩٨ - ﴿وكم أهلكنا قبلهم من قرن﴾	٩٢
سورة طه	
الآية ١ - ﴿طه﴾	٩٤
الآية ٢ - ﴿ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى﴾	٩٤
الآية ٣ - ﴿إلا تذكرة لمن يخشى﴾	٩٥
الآية ٤ - ﴿تنزيلا ممن خلق الأرض﴾	٩٥
الآية ٥ - ﴿الرحمن على العرش استوى﴾	٩٦
الآية ٦ - ﴿له ما فى السماوات وما فى الأرض﴾	٩٦
الآية ٧ - ﴿وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى﴾	٩٦
الآية ٨ - ﴿الله لا إله إلا هو﴾	٩٧
الآية ٩ - ﴿وهل أتاك حديث موسى﴾	٩٨

العنوان	الصحيفة
الآية ١٠ - ﴿إذ رأى نارا﴾	٩٨
الآية ١١ - ﴿فلما أتاها﴾	٩٩
الآية ١٢ - ﴿إنى أنا ربك﴾	١٠٠
الآية ١٣ - ﴿وأنا اخترتك﴾	١٠١
الآية ١٤ - ﴿إننى أنا الله﴾	١٠١
الآية ١٥ - ﴿إن الساعة آتية﴾	١٠١
الآية ١٦ - ﴿فلا يصدنك عنها من لا يؤمن بها﴾	١٠٢
الآية ١٧ - ﴿وما تلك بيمينك يا موسى﴾	١٠٣
الآية ١٨ - ﴿قال هى عصاى﴾	١٠٤
الآية ١٩ - ﴿قال ألقها يا موسى﴾	١٠٥
الآية ٢٠ - ﴿فألقاها فإذا هى حية تسعى﴾	١٠٥
الآية ٢١ - ﴿قال خذها ولاتخف﴾	١٠٥
الآية ٢٢ - ﴿واضمم يدك إلى جناحك﴾	١٠٦
الآية ٢٣ - ﴿لنريك من آياتنا الكبرى﴾	١٠٧
الآية ٢٤ - ﴿اذهب إلى فرعون﴾	١٠٧
الآية ٢٥ - ﴿قال رب اشرح لى صدرى﴾	١٠٧
الآية ٢٦ - ﴿ويسرلى أمرى﴾	١٠٨
الآية ٢٧ - ﴿واحلل عقدة من لسانى﴾	١٠٨
الآية ٢٨ - ﴿يفقهوا قولى﴾	١٠٩
الآية ٢٩ - ﴿واجعل لى وزيرا من أهلى﴾	١٠٩
الآية ٣٠ - ﴿هارون أخى﴾	١٠٩

العنوان	الصحيفة
الآية ٣١ - ﴿اشدد به أزرى﴾	١١٠
الآية ٣٢ - ﴿وأشركه فى أمرى﴾	١١٠
الآية ٣٣ - ﴿كى نسبحك كثيرا﴾	١١٠
الآية ٣٤ - ﴿ونذكرك كثيرا﴾	١١١
الآية ٣٥ - ﴿إنك كنت بنا بصيرا﴾	١١١
الآية ٣٦ - ﴿قال قد أوتيت سؤلك يا موسى﴾	١١١
الآية ٣٧ - ﴿ولقد مننا عليك﴾	١١٢
الآية ٣٨ - ﴿إذ أوحينا إلى أمك﴾	١١٢
الآية ٣٩ - ﴿أن اقذفيه فى التابوت﴾	١١٢
الآية ٤٠ - ﴿إذ تمشى أختك﴾	١١٤
الآية ٤١ - ﴿واصطنعتك لنفسى﴾	١١٥
الآية ٤٢ - ﴿اذهب أنت وأخوك﴾	١١٥
الآية ٤٣ - ﴿اذهبا إلى فرعون﴾	١١٦
الآية ٤٤ - ﴿فقولاله قولالينا﴾	١١٧
الآية ٤٥ - ﴿قالا ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا﴾	١١٧
الآية ٤٦ - ﴿قال لا تخافا﴾	١١٨
الآية ٤٧ - ﴿فأتياه فقولا إنا رسولا ربك﴾	١١٨
الآية ٤٨ - ﴿إنا قد أوحى إلينا﴾	١١٩
الآية ٤٩ - ﴿قال فمن ربكما ياموسى﴾	١١٩
الآية ٥٠ - ﴿قال ربنا الذى أعطى كل شىء خلقه﴾	١٢٠
الآية ٥١ - ﴿قال فما بال القرون الأولى﴾	١٢١
الآية ٥٢ - ﴿قال علمها عند ربى﴾	١٢١

العنوان	الصحيفة	العنوان	الصحيفة
الآية ٥٣ ـ ﴿الذى جعل لكم الأرض مهدا﴾	١٢٢	الآية ٧٨ ـ ﴿فأتبعهم فرعون بجنوده﴾	١٣٨
الآية ٥٤ ـ ﴿كلوا وارعوا أنعامكم﴾	١٢٣	الآية ٧٩ ـ ﴿وأضل فرعون قومه﴾	١٣٩
الآية ٥٥ ـ ﴿منها خلقناكم﴾	١٢٤	الآية ٨٠ ـ ﴿يا بنى إسرائيل﴾	١٣٩
الآية ٥٦ ـ ﴿ولقد أريناه آياتنا﴾	١٢٤	الآية ٨١ ـ ﴿كلوا من طيبات ما رزقناكم﴾	١٤٠
الآية ٥٧ ـ ﴿قال أجئتنا لتخرجنا من أرضنا﴾	١٢٥	الآية ٨٢ ـ ﴿وإنى لغفار لمن تاب﴾	١٤١
الآية ٥٨ ـ ﴿فلنأتينك بسحر مثله﴾	١٢٦	الآية ٨٣ ـ ﴿وما أعجلك عن قومك يا موسى﴾	١٤١
الآية ٥٩ ـ ﴿قال موعدكم يوم الزينة﴾	١٢٦	الآية ٨٤ ـ ﴿قال هم أولاء على أثرى﴾	١٤١
الآية ٦٠ ـ ﴿فتولى فرعون﴾	١٢٧	الآية ٨٥ ـ ﴿قال فإنا قد فتنا قومك من بعدك﴾	١٤٢
الآية ٦١ ـ ﴿قال لهم موسى ويلكم﴾	١٢٨	الآية ٨٦ ـ ﴿فرجع موسى إلى قومه غضبان﴾	١٤٣
الآية ٦٢ ـ ﴿فتنازعوا أمرهم﴾	١٢٨	الآية ٨٧ ـ ﴿قالوا ما أخلفنا موعدك بملكنا﴾	١٤٤
الآية ٦٣ ـ ﴿قالوا إن هذان لساحران﴾	١٢٩	الآية ٨٨ ـ ﴿فأخرج لهم عجلا جسدا﴾	١٤٥
الآية ٦٤ ـ ﴿فأجمعوا كيدكم﴾	١٣٠	الآية ٨٩ ـ ﴿أفلا يرون ألا يرجع إليهم قولا﴾	١٤٥
الآية ٦٥ ـ ﴿قالوا يا موسى إما أن تلقى﴾	١٣٠	الآية ٩٠ ـ ﴿ولقد قال لهم هارون﴾	١٤٦
الآية ٦٦ ـ ﴿قال بل ألقوا﴾	١٣١	الآية ٩١ ـ ﴿قالوا لن نبرح عليه عاكفين﴾	١٤٦
الآية ٦٧ ـ ﴿فأوجس فى نفسه﴾	١٣٢	الآية ٩٢ ـ ﴿قال يا هارون ما منعك﴾	١٤٧
الآية ٦٨ ـ ﴿قلنا لا تخف﴾	١٣٢	الآية ٩٣ ـ ﴿ألا تتبعن﴾	١٤٧
الآية ٦٩ ـ ﴿وألق ما فى يمينك﴾	١٣٢	الآية ٩٤ ـ ﴿قال يا ابن أم﴾	١٤٨
الآية ٧٠ ـ ﴿فألقى السحرة سجدا﴾	١٣٣	الآية ٩٥ ـ ﴿قال فما خطبك﴾	١٤٨
الآية ٧١ ـ ﴿قال آمنتم له﴾	١٣٤	الآية ٩٦ ـ ﴿قال بصرت بما لم يبصروا به﴾	١٤٩
الآية ٧٢ ـ ﴿قالوا لن نؤثرك﴾	١٣٥		
الآية ٧٣ ـ ﴿إنا آمنا بربنا﴾	١٣٦		
الآية ٧٤ ـ ﴿إنه من يأت ربه مجرما﴾	١٣٦		
الآية ٧٥ ـ ﴿ومن يأته مؤمنا﴾	١٣٧		
الآية ٧٦ ـ ﴿جنات عدن﴾	١٣٧		
الآية ٧٧ ـ ﴿ولقد أوحينا إلى موسى﴾	١٣٧		

العنوان	الصحيفة
الآية ٩٧ ـ ﴿قال فاذهب﴾	١٥٠
الآية ٩٨ ـ ﴿إنما إلهكم الله﴾	١٥١
الآية ٩٩ ـ ﴿كذلك نقص عليك﴾	١٥١
الآية ١٠٠ ـ ﴿من أعرض عنه﴾	١٥٢
الآية ١٠١ ـ ﴿خالدين فيه﴾	١٥٢
الآية ١٠٢ ـ ﴿يوم ينفخ فى الصور﴾	١٥٣
الآية ١٠٣ ـ ﴿يتخافتون بينهم﴾	١٥٣
الآية ١٠٤ ـ ﴿نحن أعلم بما يقولون﴾	١٥٣
الآية ١٠٥ ـ ﴿ويسألونك عن الجبال﴾	١٥٤
الآية ١٠٦ ـ ﴿فيذرها قاعا صفصفا﴾	١٥٤
الآية ١٠٧ ـ ﴿لاترى فيها عوجا﴾	١٥٥
الآية ١٠٨ ـ ﴿يومئذ يتبعون الداعى﴾	١٥٥
الآية ١٠٩ ـ ﴿يومئذ لا تنفع الشفاعة﴾	١٥٦
الآية ١١٠ ـ ﴿يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم﴾	١٥٧
الآية ١١١ ـ ﴿وعنت الوجوه للحى القيوم﴾	١٥٧
الآية ١١٢ ـ ﴿ومن يعمل من الصالحات﴾	١٥٨
الآية ١١٣ ـ ﴿وكذلك أنزلناه قرآنا عربيا﴾	١٥٨
الآية ١١٤ ـ ﴿فتعالى الله الملك الحق﴾	١٥٩
الآية ١١٥ ـ ﴿ولقد عهدنا إلى آدم﴾	١٦٠
الآية ١١٦ ـ ﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم﴾	١٦٠

العنوان	الصحيفة
الآية ١١٧ ـ ﴿فقلنا يا آدم إن هذا عدو لك ولزوجك﴾	١٦١
الآية ١١٨ ـ ﴿إن لك ألاتجوع فيها ولا تعرى﴾	١٦١
الآية ١١٩ ـ ﴿وأنك لاتظمأ فيها ولا تضحى﴾	١٦١
الآية ١٢٠ ـ ﴿فوسوس إليه الشيطان﴾	١٦٢
الآية ١٢١ ـ ﴿فأكلا منها﴾	١٦٢
الآية ١٢٢ ـ ﴿ثم اجتباه ربه﴾	١٦٣
الآية ١٢٣ ـ ﴿قال اهبطا منها﴾	١٦٣
الآية ١٢٤ ـ ﴿ومن أعرض عن ذكرى﴾	١٦٣
الآية ١٢٥ ـ ﴿قال رب لم حشرتنى أعمى﴾	١٦٤
الآية ١٢٦ ـ ﴿قال كذلك أتتك آياتنا﴾	١٦٤
الآية ١٢٧ ـ ﴿وكذلك نجزى من أسرف﴾	١٦٥
الآية ١٢٨ ـ ﴿أفلم يهد لهم﴾	١٦٥
الآية ١٢٩ ـ ﴿ولولا كلمة سبقت من ربك﴾	١٦٦
الآية ١٣٠ ـ ﴿فاصبر على ما يقولون﴾	١٦٧
الآية ١٣١ ـ ﴿ولا تمدن عينيك﴾	١٦٨
الآية ١٣٢ ـ ﴿وأمر أهلك بالصلاة﴾	١٦٩
الآية ١٣٣ ـ ﴿وقالوا لولا يأتينا بآية﴾	١٧٠
الآية ١٣٤ ـ ﴿ولو أنا أهلكناهم بعذاب من قبله﴾	١٧١

العنوان	الصحيفة
الآية ١٣٥ ـ ﴿قل كل متربص فتربصوا﴾	١٧٢
سورة الأنبياء	
الآية ١ ـ ﴿اقترب للناس حسابهم﴾	١٧٣
الآية ٢ ـ ﴿ما يأتيهم من ذكر من ربهم﴾	١٧٤
الآية ٣ ـ ﴿لاهية قلوبهم﴾	١٧٤
الآية ٤ ـ ﴿قل ربى يعلم القول﴾	١٧٥
الآية ٥ ـ ﴿بل قالوا أضغاث أحلام﴾	١٧٥
الآية ٦ ـ ﴿ما آمنت قبلهم من قرية﴾	١٧٦
الآية ٧ ـ ﴿وما أرسلنا قبلك إلا رجالا﴾	١٧٧
الآية ٨ ـ ﴿وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام﴾	١٧٧
الآية ٩ ـ ﴿ثم صدقناهم الوعد﴾	١٧٨
الآية ١٠ ـ ﴿لقد أنزلنا إليكم كتابا﴾	١٧٨
الآية ١١ ـ ﴿وكم قصمنا من قرية﴾	١٧٩
الآية ١٢ ـ ﴿فلما أحسوا بأسنا﴾	١٨٠
الآية ١٣ ـ ﴿لاتركضوا وارجعوا﴾	١٨٠
الآية ١٤ ـ ﴿قالوا يا ويلنا﴾	١٨١
الآية ١٥ ـ ﴿فما زالت تلك دعواهم﴾	١٨١
الآية ١٦ ـ ﴿وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما لاعبين﴾	١٨٢
الآية ١٧ ـ ﴿لو أردنا أن نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا﴾	١٨٢
الآية ١٨ ـ ﴿بل نقذف بالحق على الباطل﴾	١٨٢
الآية ١٩ ـ ﴿وله من فى السماوات والأرض﴾	١٨٣
الآية ٢٠ ـ ﴿يسبحون الليل والنهار﴾	١٨٤
الآية ٢١ ـ ﴿أم اتخذوا آلهة من الأرض﴾	١٨٤
الآية ٢٢ ـ ﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا﴾	١٨٥
الآية ٢٣ ـ ﴿لا يُسئل عما يفعل﴾	١٨٥
الآية ٢٤ ـ ﴿أم اتخذوا من دونه آلهة﴾	١٨٦
الآية ٢٥ ـ ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه﴾	١٨٧
الآية ٢٦ ـ ﴿وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه﴾	١٨٧
الآية ٢٧ ـ ﴿لا يسبقونه بالقول﴾	١٨٨
الآية ٢٨ ـ ﴿يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم﴾	١٨٨
الآية ٢٩ ـ ﴿ومن يقل منهم إنى إله﴾	١٨٩
الآية ٣٠ ـ ﴿أولم ير الذين كفروا﴾	١٨٩
الآية ٣١ ـ ﴿وجعلنا فى الأرض رواسى﴾	١٩١
الآية ٣٢ ـ ﴿وجعلنا السماء سقفا محفوظا﴾	١٩٢
الآية ٣٣ ـ ﴿وهو الذى خلق الليل والنهار﴾	١٩٣
الآية ٣٤ ـ ﴿وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد﴾	١٩٣
الآية ٣٥ ـ ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾	١٩٤
الآية ٣٦ ـ ﴿وإذا رآك الذين كفروا﴾	١٩٥
الآية ٣٧ ـ ﴿خُلق الإنسان من عجل﴾	١٩٥
الآية ٣٨ ـ ﴿ويقولون متى هذا الوعد﴾	١٩٦

العنوان	الصحيفة
الآية ٣٩ ـ ﴿لو يعلم الذين كفروا﴾	١٩٧
الآية ٤٠ ـ ﴿بل تأتيهم بغتة﴾	١٩٧
الآية ٤١ ـ ﴿ولقد استهزئ برسل من قبلك﴾	١٩٧
الآية ٤٢ ـ ﴿قل من يكلؤكم﴾	١٩٨
الآية ٤٣ ـ ﴿أم لهم آلهة تمنعهم﴾	١٩٩
الآية ٤٤ ـ ﴿بل متعنا هؤلاء وآباءهم﴾	١٩٩
الآية ٤٥ ـ ﴿قل إنما أنذركم بالوحى﴾	٢٠٠
الآية ٤٦ ـ ﴿ولئن مستهم نفحة﴾	٢٠١
الآية ٤٧ ـ ﴿ونضع الموازين القسط﴾	٢٠٢
الآية ٤٨ ـ ﴿ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان﴾	٢٠٣
الآية ٤٩ ـ ﴿الذين يخشون ربهم بالغيب﴾	٢٠٤
الآية ٥٠ ـ ﴿وهذا ذكر مبارك أنزلناه﴾	٢٠٤
الآية ٥١ ـ ﴿ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل﴾	٢٠٥
الآية ٥٢ ـ ﴿إذ قال لأبيه وقومه﴾	٢٠٥
الآية ٥٣ ـ ﴿قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين﴾	٢٠٦
الآية ٥٤ ـ ﴿قال لقد كنتم﴾	٢٠٦
الآية ٥٥ ـ ﴿قالوا أجئتنا بالحق﴾	٢٠٧
الآية ٥٦ ـ ﴿قال بل ربكم رب السماوات والأرض﴾	٢٠٧
الآية ٥٧ ـ ﴿وتالله لأكيدن أصنامكم﴾	٢٠٨
الآية ٥٨ ـ ﴿فجعلهم جذاذا﴾	٢٠٨
الآية ٥٩ ـ ﴿قالوا من فعل هذا بآلهتنا﴾	٢٠٩
الآية ٦٠ ـ ﴿قالوا سمعنا فتى يذكرهم﴾	٢٠٩
الآية ٦١ ـ ﴿قالوا فأتوا به﴾	٢١٠
الآية ٦٢ ـ ﴿قالوا أأنت فعلت هذا﴾	٢١٠
الآية ٦٣ ـ ﴿قال بل فعله كبيرهم﴾	٢١٠
الآية ٦٤ ـ ﴿فرجعوا إلى أنفسهم﴾	٢١١
الآية ٦٥ ـ ﴿ثم نكسوا على رءوسهم﴾	٢١١
الآية ٦٦ ـ ﴿قال أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم﴾	٢١٢
الآية ٦٧ ـ ﴿أف لكم ولما تعبدون من دون الله﴾	٢١٢
الآية ٦٨ ـ ﴿قالوا حرقوه﴾	٢١٣
الآية ٦٩ ـ ﴿قلنا يا نار كونى بردا وسلاما﴾	٢١٣
الآية ٧٠ ـ ﴿وأرادوا به كيدا﴾	٢١٣
الآية ٧١ ـ ﴿ونجيناه ولوطا﴾	٢١٤
الآية ٧٢ ـ ﴿ووهبنا له إسحاق ويعقوب﴾	٢١٤
الآية ٧٣ ـ ﴿وجعلناهم أئمة﴾	٢١٥
الآية ٧٤ ـ ﴿ولوطا آتيناه حكما وعلما﴾	٢١٦
الآية ٧٥ ـ ﴿وأدخلناه فى رحمتنا﴾	٢١٧
الآية ٧٦ ـ ﴿ونوحا إذ نادى من قبل﴾	٢١٧
الآية ٧٧ ـ ﴿ونصرناه من القوم﴾	٢١٨
الآية ٧٨ ـ ﴿وداود وسليمان إذ يحكمان فى الحرث﴾	٢١٨
الآية ٧٩ ـ ﴿ففهمناها سليمان﴾	٢١٩
الآية ٨٠ ـ ﴿وعلمناه صنعة لبوس﴾	٢٢٠

العنوان	الصحيفة
الآية ٨١ ـ ﴿ولسليمان الريح عاصفة﴾	٢٢١
الآية ٨٢ ـ ﴿ومن الشياطين من يغوصون له﴾	٢٢٢
الآية ٨٣ ـ ﴿وأيوب إذ نادى ربه﴾	٢٢٣
الآية ٨٤ ـ ﴿فاستجبنا له﴾	٢٢٣
الآية ٨٥ ـ ﴿وإسماعيل وإدريس وذا الكفل﴾	٢٢٤
الآية ٨٦ ـ ﴿وأدخلناهم في رحمتنا﴾	٢٢٥
الآية ٨٧ ـ ﴿وذا النون إذ ذهب مغاضبا﴾	٢٢٥
الآية ٨٨ ـ ﴿فاستجبنا له ونجيناه من الغم﴾	٢٢٦
الآية ٨٩ ـ ﴿وزكريا إذ نادى ربه﴾	٢٢٧
الآية ٩٠ ـ ﴿فاستجبنا له ووهبنا له يحيى﴾	٢٢٧
الآية ٩١ ـ ﴿والتى أحصنت فرجها﴾	٢٢٨
الآية ٩٢ ـ ﴿إن هذه أمتكم أمة واحدة﴾	٢٢٨
الآية ٩٣ ـ ﴿وتقطعوا أمرهم بينهم﴾	٢٢٩
الآية ٩٤ ـ ﴿فمن يعمل من الصالحات﴾	٢٢٩
الآية ٩٥ ـ ﴿وحرام على قرية أهلكناها﴾	٢٣٠
الآية ٩٦ ـ ﴿حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج﴾	٢٣١
الآية ٩٧ ـ ﴿واقترب الوعد الحق﴾	٢٣١
الآية ٩٨ ـ ﴿إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم﴾	٢٣٢
الآية ٩٩ ـ ﴿لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها﴾	٢٣٣
الآية ١٠٠ ـ ﴿لهم فيها زفير﴾	٢٣٣
الآية ١٠١ ـ ﴿إن الذين سبقت لهم منا الحسنى﴾	٢٣٤
الآية ١٠٢ ـ ﴿لا يسمعون حسيسها﴾	٢٣٤
الآية ١٠٣ ـ ﴿لا يحزنهم الفزع الأكبر﴾	٢٣٥
الآية ١٠٤ ـ ﴿يوم نطوى السماء﴾	٢٣٥
الآية ١٠٥ ـ ﴿ولقد كتبنا فى الزبور﴾	٢٣٦
الآية ١٠٦ ـ ﴿إن فى هذا لبلاغا﴾	٢٣٧
الآية ١٠٧ ـ ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾	٢٣٧
الآية ١٠٨ ـ ﴿قل إنما يوحى إلىّ﴾	٢٣٨
الآية ١٠٩ ـ ﴿فإن تولوا فقل آذنتكم على سواء﴾	٢٣٨
الآية ١١٠ ـ ﴿إنه يعلم الجهر من القول ويعلم ما تكتمون﴾	٢٣٩
الآية ١١١ ـ ﴿وإن أدرى لعله فتنة لكم﴾	٢٣٩
الآية ١١٢ ـ ﴿قال رب احكم بالحق﴾	٢٤٠
سورة الحج	
الآية ١ ـ ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم﴾	٢٤١
الآية ٢ ـ ﴿يوم ترونها﴾	٢٤٢
الآية ٣ ـ ﴿ومن الناس من يجادل﴾	٢٤٣
الآية ٤ ـ ﴿كتب عليه﴾	٢٤٤

العنوان	الصحيفة
الآية ٥ ـ ﴿يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث﴾	٢٤٤
الآية ٦ ـ ﴿ذلك بأن الله هو الحق﴾	٢٤٧
الآية ٧ ـ ﴿وأن الساعة آتية﴾	٢٤٨
الآية ٨ ـ ﴿ومن الناس من يجادل﴾	٢٤٨
الآية ٩ ـ ﴿ثاني عطفه﴾	٢٤٩
الآية ١٠ ـ ﴿ذلك بما قدمت يداك﴾	٢٤٩
الآية ١١ ـ ﴿ومن الناس من يعبد الله على حرف﴾	٢٥٠
الآية ١٢ ـ ﴿يدعوا من دون الله﴾	٢٥١
الآية ١٣ ـ ﴿يدعوا لمن ضره أقرب من نفعه﴾	٢٥٢
الآية ١٤ ـ ﴿إن الله يدخل الذين آمنوا﴾	٢٥٣
الآية ١٥ ـ ﴿من كان يظن أن لن ينصره الله﴾	٢٥٣
الآية ١٦ ـ ﴿وكذلك أنزلناه آيات بينات﴾	٢٥٥
الآية ١٧ ـ ﴿إن الذين آمنوا والذين هادوا﴾	٢٥٥
الآية ١٨ ـ ﴿ألم تر أن الله يسجد له من في السماوات ومن في الأرض﴾	٢٥٦
الآية ١٩ ـ ﴿هذا خصمان﴾	٢٥٨
الآية ٢٠ ـ ﴿يصهر به ما في بطونهم والجلود﴾	٢٥٩
الآية ٢١ ـ ﴿ولهم مقامع من حديد﴾	٢٦٠
الآية ٢٢ ـ ﴿كلما أرادوا أن يخرجوا﴾	٢٦٠

العنوان	الصحيفة
الآية ٢٣ ـ ﴿إن الله يدخل الذين آمنوا﴾	٢٦١
الآية ٢٤ ـ ﴿وهدوا إلى الطيب من القول﴾	٢٦١
الآية ٢٥ ـ ﴿إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله﴾	٢٦٢
الآية ٢٦ ـ ﴿وإذ بوأنا لإبراهيم﴾	٢٦٣
الآية ٢٧ ـ ﴿وأذن في الناس بالحج﴾	٢٦٤
الآية ٢٨ ـ ﴿ليشهدوا منافع لهم﴾	٢٦٥
الآية ٢٩ ـ ﴿ثم ليقضوا تفثهم﴾	٢٦٧
الآية ٣٠ ـ ﴿ذلك ومن يعظم حرمات الله﴾	٢٦٧
الآية ٣١ ـ ﴿حنفاء لله﴾	٢٦٩
الآية ٣٢ ـ ﴿ذلك ومن يعظم شعائر الله﴾	٢٦٩
الآية ٣٣ ـ ﴿لكم فيها منافع﴾	٢٧٠
الآية ٣٤ ـ ﴿ولكل أمة جعلنا منسكا﴾	٢٧٠
الآية ٣٥ ـ ﴿الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم﴾	٢٧٢
الآية ٣٦ ـ ﴿والبدن جعلناها لكم﴾	٢٧٢
الآية ٣٧ ـ ﴿لن ينال الله لحومها﴾	٢٧٤
الآية ٣٨ ـ ﴿إن الله يدافع عن الذين آمنوا﴾	٢٧٤
الآية ٣٩ ـ ﴿أذن للذين يقاتلون﴾	٢٧٥
الآية ٤٠ ـ ﴿الذين أخرجوا من ديارهم﴾	٢٧٦
الآية ٤١ ـ ﴿الذين إن مكناهم في الأرض﴾	٢٧٧

العنوان	الصحيفة
الآية ٤٢ - ﴿وإن يكذبوك﴾	٢٧٨
الآية ٤٣ - ﴿وقوم إبراهيم﴾	٢٧٩
الآية ٤٤ - ﴿وأصحاب مدين﴾	٢٧٩
الآية ٤٥ - ﴿فكأين من قرية﴾	٢٧٩
الآية ٤٦ - ﴿أفلم يسيروا فى الأرض﴾	٢٨٠
الآية ٤٧ - ﴿ويستعجلونك بالعذاب﴾	٢٨١
الآية ٤٨ - ﴿وكأين من قرية﴾	٢٨٢
الآية ٤٩ - ﴿قل يا أيها الناس﴾	٢٨٢
الآية ٥٠ - ﴿فالذين آمنوا﴾	٢٨٢
الآية ٥١ - ﴿والذين سعوا فى آياتنا﴾	٢٨٢
الآية ٥٢ - ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى إلا إذا تمنى﴾	٢٨٣
الآية ٥٣ - ﴿ليجعل ما يلقى الشيطان فتنة للذين فى قلوبهم مرض﴾	٢٨٤
الآية ٥٤ - ﴿وليعلم الذين أوتوا العلم﴾	٢٨٤
الآية ٥٥ - ﴿ولا يزال الذين كفروا فى مرية﴾	٢٨٥
الآية ٥٦ - ﴿الملك يومئذ لله﴾	٢٨٦
الآية ٥٧ - ﴿والذين كفروا وكذبوا بآياتنا﴾	٢٨٦
الآية ٥٨ - ﴿والذين هاجروا فى سبيل الله﴾	٢٨٦
الآية ٥٩ - ﴿ليدخلنهم مدخلا يرضونه﴾	٢٨٦
الآية ٦٠ - ﴿ذلك ومن عاقب﴾	٢٨٧
الآية ٦١ - ﴿ذلك بأن الله يولج الليل فى النهار﴾	٢٨٨
الآية ٦٢ - ﴿ذلك بأن الله هو الحق﴾	٢٨٨
الآية ٦٣ - ﴿ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء﴾	٢٨٩
الآية ٦٤ - ﴿له ما فى السماوت وما فى الأرض﴾	٢٨٩
الآية ٦٥ - ﴿ألم تر أن الله سخر لكم ما فى الأرض﴾	٢٩٠
الآية ٦٦ - ﴿وهو الذى أحياكم﴾	٢٩٠
الآية ٦٧ - ﴿لكل أمة جعلنا منسكا﴾	٢٩١
الآية ٦٨ - ﴿وإن جادلوك﴾	٢٩٢
الآية ٦٩ - ﴿الله يحكم بينكم﴾	٢٩٢
الآية ٧٠ - ﴿ألم تعلم أن الله يعلم ما فى السماء والأرض﴾	٢٩٣
الآية ٧١ - ﴿ويعبدون من دون الله ما لم ينزل به سلطانا﴾	٢٩٣
الآية ٧٢ - ﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا﴾	٢٩٤
الآية ٧٣ - ﴿يا أيها الناس ضرب مثل﴾	٢٩٥
الآية ٧٤ - ﴿ما قدروا الله حق قدره﴾	٢٩٦
الآية ٧٥ - ﴿الله يصطفى من الملائكة رسلا ومن الناس﴾	٢٩٦
الآية ٧٦ - ﴿يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم﴾	٢٩٧
الآية ٧٧ - ﴿يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا﴾	٢٩٧
الآية ٧٨ - ﴿وجاهدوا فى الله حق جهاده﴾	٢٩٨

العنوان	الصحيفة
سورة المؤمنون	
الآية ١ - ﴿قد أفلح المؤمنون﴾	٣٠٠
الآية ٢ - ﴿الذين هم فى صلاتهم خاشعون﴾	٣٠٠
الآية ٣ - ﴿والذين هم عن اللغو معرضون﴾	٣٠٠
الآية ٤ - ﴿والذين هم للزكاة فاعلون﴾	٣٠٠
الآية ٥ - ﴿والذين هم لفروجهم حافظون﴾	٣٠٠
الآية ٦ - ﴿إلا على أزواجهم﴾	٣٠٠
الآية ٧ - ﴿فمن ابتغى وراء ذلك﴾	٣٠١
الآية ٨ - ﴿والذين هم لأماناتهم﴾	٣٠١
الآية ٩ - ﴿والذين هم على صلواتهم يحافظون﴾	٣٠١
الآية ١٠ - ﴿أولئك هم الوارثون﴾	٣٠٢
الآية ١١ - ﴿الذين يرثون الفردوس﴾	٣٠٢
الآية ١٢ - ﴿ولقد خلقنا الإنسان﴾	٣٠٢
الآية ١٣ - ﴿ثم جعلناه نطفة﴾	٣٠٢
الآية ١٤ - ﴿ثم خلقنا النطفة علقة﴾	٣٠٣
الآية ١٥ - ﴿ثم إنكم بعد ذلك لميتون﴾	٣٠٤
الآية ١٦ - ﴿ثم إنكم يوم القيامة تبعثون﴾	٣٠٤
الآية ١٧ - ﴿ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق﴾	٣٠٤
الآية ١٨ - ﴿وأنزلنا من السماء ماء بقدر﴾	٣٠٥
الآية ١٩ - ﴿فأنشأنا لكم به جنات﴾	٣٠٦
الآية ٢٠ - ﴿وشجرة تخرج من طور سيناء﴾	٣٠٦
الآية ٢١ - ﴿وإن لكم فى الأنعام لعبرة﴾	٣٠٧
الآية ٢٢ - ﴿وعليها وعلى الفلك تحملون﴾	٣٠٧
الآية ٢٣ - ﴿ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه﴾	٣٠٨
الآية ٢٤ - ﴿فقال الملأ﴾	٣٠٨
الآية ٢٥ - ﴿إن هو إلا رجل﴾	٣٠٨
الآية ٢٦ - ﴿قال رب انصرنى﴾	٣٠٨
الآية ٢٧ - ﴿فأوحينا إليه أن اصنع الفلك﴾	٣٠٩
الآية ٢٨ - ﴿فإذا استويت أنت ومن معك﴾	٣١٠
الآية ٢٩ - ﴿وقل رب أنزلنى مُنزلا مباركا﴾	٣١٠
الآية ٣٠ - ﴿إن فى ذلك لآيات﴾	٣١١
الآية ٣١ - ﴿ثم أنشأنا من بعدهم قرنا آخرين﴾	٣١١
الآية ٣٢ - ﴿فأرسلنا فيهم رسولا منهم﴾	٣١١
الآية ٣٣ - ﴿وقال الملأ من قومه الذين كفروا﴾	٣١٢
الآية ٣٤ - ﴿ولئن أطعتم بشرا مثلكم إنكم إذا لخاسرون﴾	٣١٣
الآية ٣٥ - ﴿أيعدكم أنكم إذا متم﴾	٣١٣

العنوان	الصحيفة
الآية ٣٦ ـ ﴿هيهات هيهات لما توعدون﴾	٣١٣
الآية ٣٧ ـ ﴿إن هى إلا حياتنا الدنيا﴾	٣١٣
الآية ٣٨ ـ ﴿إن هو إلا رجل افترى﴾	٣١٣
الآية ٣٩ ـ ﴿قال رب انصرنى﴾	٣١٤
الآية ٤٠ ـ ﴿قال عما قليل ليصبحن نادمين﴾	٣١٤
الآية ٤١ ـ ﴿فأخذتهم الصيحة بالحق﴾	٣١٤
الآية ٤٢ ـ ﴿ثم أنشأنا من بعدهم قرونا آخرين﴾	٣١٥
الآية ٤٣ ـ ﴿ما تسبق من أمة أجلها﴾	٣١٥
الآية ٤٤ ـ ﴿ثم أرسلنا رسلنا تترى﴾	٣١٥
الآية ٤٥ ـ ﴿ثم أرسلنا موسى﴾	٣١٦
الآية ٤٦ ـ ﴿إلى فرعون﴾	٣١٦
الآية ٤٧ ـ ﴿فقالوا أنؤمن لبشرين﴾	٣١٦
الآية ٤٨ ـ ﴿فكذبوهما فكانوا من المهلكين﴾	٣١٧
الآية ٤٩ ـ ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب﴾	٣١٧
الآية ٥٠ ـ ﴿وجعلنا ابن مريم وأمه آية﴾	٣١٧
الآية ٥١ ـ ﴿يا أيها الرسل كلوا من الطيبات﴾	٣١٨
الآية ٥٢ ـ ﴿وإن هذه أمتكم أمة واحدة﴾	٣١٩
الآية ٥٣ ـ ﴿فتقطعوا أمرهم﴾	٣١٩
الآية ٥٤ ـ ﴿فذرهم فى غمرتهم﴾	٣٢٠
الآية ٥٥ ـ ﴿أيحسبون أنما نمدهم﴾	٣٢٠
الآية ٥٦ ـ ﴿نسارع لهم فى الخيرات﴾	٣٢٠
الآية ٥٧ ـ ﴿إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون﴾	٣٢١
الآية ٥٨ ـ ﴿والذين هم بآيات ربهم يؤمنون﴾	٣٢١
الآية ٥٩ ـ ﴿والذين هم بربهم لا يشركون﴾	٣٢١
الآية ٦٠ ـ ﴿والذين يؤتون ما آتوا﴾	٣٢١
الآية ٦١ ـ ﴿أولئك يسارعون فى الخيرات﴾	٣٢١
الآية ٦٢ ـ ﴿ولا نكلف نفسا إلا وسعها﴾	٣٢٢
الآية ٦٣ ـ ﴿بل قلوبهم فى غمرة﴾	٣٢٢
الآية ٦٤ ـ ﴿حتى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب﴾	٣٢٣
الآية ٦٥ ـ ﴿لا تجأروا اليوم﴾	٣٢٣
الآية ٦٦ ـ ﴿قد كانت آياتى تتلى عليكم﴾	٣٢٤
الآية ٦٧ ـ ﴿مستكبرين به﴾	٣٢٤
الآية ٦٨ ـ ﴿أفلم يدبروا القول﴾	٣٢٥
الآية ٦٩ ـ ﴿أم لم يعرفوا رسولهم﴾	٣٢٥
الآية ٧٠ ـ ﴿أم يقولون به جنة﴾	٣٢٥
الآية ٧١ ـ ﴿ولو اتبع الحق أهواءهم﴾	٣٢٦
الآية ٧٢ ـ ﴿أم تسألهم خرجا﴾	٣٢٧
الآية ٧٣ ـ ﴿وإنك لتدعوهم إلى صراط مستقيم﴾	٣٢٨

العنوان	الصحيفة
الآية ٧٤ ـ ﴿وإن الذين لا يؤمنون بالآخرة﴾	٣٢٨
الآية ٧٥ ـ ﴿ولو رحمناهم وكشفنا ما بهم﴾	٣٢٨
الآية ٧٦ ـ ﴿ولقد أخذناهم بالعذاب﴾	٣٢٩
الآية ٧٧ ـ ﴿حتى إذا فتحنا عليهم بابا﴾	٣٢٩
الآية ٧٨ ـ ﴿وهو الذى أنشأ لكم السمع﴾	٣٢٩
الآية ٧٩ ـ ﴿وهو الذى ذرأكم فى الأرض﴾	٣٣٠
الآية ٨٠ ـ ﴿وهو الذى يحيى ويميت﴾	٣٣٠
الآية ٨١ ـ ﴿بل قالوا﴾	٣٣٠
الآية ٨٢ ـ ﴿قالوا أئذا متنا﴾	٣٣٠
الآية ٨٣ ـ ﴿لقد وعدنا نحن وآباؤنا﴾	٣٣٠
الآية ٨٤ ـ ﴿قل لمن الأرض﴾	٣٣١
الآية ٨٥ ـ ﴿سيقولون لله﴾	٣٣١
الآية ٨٦ ـ ﴿قل من رب السماوات﴾	٣٣٢
الآية ٨٧ ـ ﴿سيقولون لله﴾	٣٣٢
الآية ٨٨ ـ ﴿قل من بيده ملكوت كل شىء﴾	٣٣٢
الآية ٨٩ ـ ﴿سيقولون لله﴾	٣٣٢
الآية ٩٠ ـ ﴿بل أتيناهم بالحق﴾	٣٣٣
الآية ٩١ ـ ﴿ما اتخذ الله من ولد﴾	٣٣٣
الآية ٩٢ ـ ﴿عالم الغيب والشهادة﴾	٣٣٤
الآية ٩٣ ـ ﴿قل رب إما ترينى ما يوعدون﴾	٣٣٤

العنوان	الصحيفة
الآية ٩٤ ـ ﴿رب فلا تجعلنى فى القوم الظالمين﴾	٣٣٤
الآية ٩٥ ـ ﴿وإنا على أن نريك ما نعدهم لقادرون﴾	٣٣٤
الآية ٩٦ ـ ﴿ادفع بالتى هى أحسن السيئة﴾	٣٣٥
الآية ٩٧ ـ ﴿وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين﴾	٣٣٦
الآية ٩٨ ـ ﴿وأعوذ بك رب أن يحضرون﴾	٣٣٦
الآية ٩٩ ـ ﴿حتى إذا جاء أحدهم الموتُ﴾	٣٣٦
الآية ١٠٠ ـ ﴿لعلى أعمل صالحا﴾	٣٣٦
الآية ١٠١ ـ ﴿فإذا نفخ فى الصور﴾	٣٣٧
الآية ١٠٢ ـ ﴿فمن ثقلت موازينه﴾	٣٣٨
الآية ١٠٣ ـ ﴿ومن خفت موازينه﴾	٣٣٨
الآية ١٠٤ ـ ﴿تلفح وجوههم النار﴾	٣٣٨
الآية ١٠٥ ـ ﴿ألم تكن آياتى تتلى عليكم﴾	٣٣٩
الآية ١٠٦ ـ ﴿قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا﴾	٣٣٩
الآية ١٠٧ ـ ﴿ربنا أخرجنا منها﴾	٣٣٩
الآية ١٠٨ ـ ﴿قال اخسئوا فيها﴾	٣٣٩
الآية ١٠٩ ـ ﴿إنه كان فريق من عبادى﴾	٣٤٠
الآية ١١٠ ـ ﴿فاتخذتموهم سخريا﴾	٣٤٠
الآية ١١١ ـ ﴿إنى جزيتهم اليوم بما صبروا﴾	٣٤١

العنوان	الصحيفة
الآية ٢ ـ ﴿الذى له ملك السماوات والأرض﴾	٤٠١
الآية ٣ ـ ﴿واتخذوا من دونه آلهة﴾	٤٠٢
الآية ٤ ـ ﴿وقال الذين كفروا﴾	٤٠٣
الآية ٥ ـ ﴿وقالوا أساطير الأولين اكتتبها﴾	٤٠٣
الآية ٦ ـ ﴿قل أنزله الذى يعلم السر﴾	٤٠٤
الآية ٧ ـ ﴿وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام﴾	٤٠٥
الآية ٨ ـ ﴿أويلقى إليه كنز﴾	٤٠٥
الآية ٩ ـ ﴿انظر كيف ضربوا لك الأمثال﴾	٤٠٦
الآية ١٠ ـ ﴿تبارك الذى إن شاء﴾	٤٠٦
الآية ١١ ـ ﴿بل كذبوا بالساعة﴾	٤٠٧
الآية ١٢ ـ ﴿إذا رأتهم من مكان بعيد﴾	٤٠٨
الآية ١٣ ـ ﴿وإذا ألقوا منها مكانا ضيقا﴾	٤٠٨
الآية ١٤ ـ ﴿لاتدعوا اليوم ثبورا واحدا﴾	٤٠٩
الآية ١٥ ـ ﴿قل أذلك خير أم جنة الخلد﴾	٤٠٩
الآية ١٦ ـ ﴿لهم فيها ما يشاءون﴾	٤٠٩
الآية ١٧ ـ ﴿ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله﴾	٤١٠
الآية ١٨ ـ ﴿قالوا سبحانك﴾	٤١٠
الآية ١٩ ـ ﴿فقد كذبوكم بما تقولون﴾	٤١٢
الآية ٢٠ ـ ﴿وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلاأنهم ليأكلون الطعام﴾	٤١٢
الآية ٢١ ـ ﴿وقال الذين لايرجون لقاءنا﴾	٤١٣
الآية ٢٢ ـ ﴿يوم يرون الملائكة﴾	٤١٤
الآية ٢٣ ـ ﴿وقدمنا إلى ما عملوا﴾	٤١٥
الآية ٢٤ ـ ﴿أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا﴾	٤١٦
الآية ٢٥ ـ ﴿يوم تشقق السماء بالغمام﴾	٤١٦
الآية ٢٦ ـ ﴿الملك يومئذ الحق للرحمن﴾	٤١٦
الآية ٢٧ ـ ﴿ويوم يعض الظالم على يديه﴾	٤١٧
الآية ٢٨ ـ ﴿يا ويلتى ليتنى لم أتخذ فلانا خليلا﴾	٤١٧
الآية ٢٩ ـ ﴿لقد أضلنى عن الذكر﴾	٤١٧
الآية ٣٠ ـ ﴿وقال الرسول﴾	٤١٩
الآية ٣١ ـ ﴿وكذلك جعلنا لكل نبى عدوا من المجرمين﴾	٤١٩
الآية ٣٢ ـ ﴿وقال الذين كفروا﴾	٤٢٠
الآية ٣٣ ـ ﴿ولا يأتونك بمثل﴾	٤٢١
الآية ٣٤ ـ ﴿الذين يحشرون على وجوههم﴾	٤٢١
الآية ٣٥ ـ ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب﴾	٤٢٢
الآية ٣٦ ـ ﴿فقلنا اذهبا إلى القوم﴾	٤٢٢
الآية ٣٧ ـ ﴿وقوم نوح لما كذبوا الرسل﴾	٤٢٣

العنوان	الصحيفة	العنوان	الصحيفة
الآية ٣٨ ـ ﴿وعادا وثمودا وأصحاب الرس﴾	٤٢٤	الآية ٥٣ ـ ﴿وهو الذى مرج البحرين﴾	٤٣٣
الآية ٣٩ ـ ﴿وكلا ضربنا له الأمثال﴾	٤٢٤	الآية ٥٤ ـ ﴿وهو الذى خلق من الماء بشرا﴾	٤٣٤
الآية ٤٠ ـ ﴿ولقد أتوا على القرية﴾	٤٢٥	الآية ٥٥ ـ ﴿ويعبدون من دون الله ما لا ينفعهم﴾	٤٣٤
الآية ٤١ ـ ﴿وإذا رأوك إن يتخذونك إلا هزوا﴾	٤٢٦	الآية ٥٦ ـ ﴿وما أرسلناك إلا مبشرا ونذيرا﴾	٤٣٥
الآية ٤٢ ـ ﴿إن كاد ليضلنا عن آلهتنا﴾	٤٢٦	الآية ٥٧ ـ ﴿قل ما أسألكم عليه من أجر﴾	٤٣٥
الآية ٤٣ ـ ﴿أرأيت من اتخذ إلٰهه هواه﴾	٤٢٧	الآية ٥٨ ـ ﴿وتوكل على الحى﴾	٤٣٦
الآية ٤٤ ـ ﴿أم تحسب أن أكثرهم يسمعون﴾	٤٢٧	الآية ٥٩ ـ ﴿الذى خلق السماوات والأرض﴾	٤٣٧
الآية ٤٥ ـ ﴿ألم تر إلى ربك كيف مد الظل﴾	٤٢٨	الآية ٦٠ ـ ﴿وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن﴾	٤٣٧
الآية ٤٦ ـ ﴿ثم قبضناه إلينا﴾	٤٢٨	الآية ٦١ ـ ﴿تبارك الذى جعل فى السماء بروجا﴾	٤٣٨
الآية ٤٧ ـ ﴿وهو الذى جعل لكم الليل لباسا﴾	٤٣٠	الآية ٦٢ ـ ﴿وهو الذى جعل الليل والنهار خلفة﴾	٤٣٩
الآية ٤٨ ـ ﴿وهو الذى أرسل الرياح بشرا﴾	٤٣١	الآية ٦٣ ـ ﴿وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا﴾	٤٣٩
الآية ٤٩ ـ ﴿لنحيى به بلدة ميتا﴾	٤٣١	الآية ٦٤ ـ ﴿والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما﴾	٤٣٩
الآية ٥٠ ـ ﴿ولقد صرفناه بينهم ليذكروا﴾	٤٣١	الآية ٦٥ ـ ﴿والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم﴾	٤٤٠
الآية ٥١ ـ ﴿ولو شئنا لبعثنا فى كل قرية نذيرا﴾	٤٣٢	الآية ٦٦ ـ ﴿إنها ساءت مستقرا ومقاما﴾	٤٤٠
الآية ٥٢ ـ ﴿فلا تطع الكافرين﴾	٤٣٢	الآية ٦٧ ـ ﴿والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا﴾	٤٤١

العنوان	الصحيفة
الآية ٦٨ ـ ﴿والذين لايدعون مع الله إلٰها آخر﴾	٤٤١
الآية ٦٩ ـ ﴿يضاعف له العذاب يوم القيامة﴾	٤٤٢
الآية ٧٠ ـ ﴿إلامن تاب وآمن﴾	٤٤٢
الآية ٧١ ـ ﴿ومن تاب وعمل صالحا﴾	٤٤٣
الآية ٧٢ ـ ﴿والذين لايشهدون الزور﴾	٤٤٤
الآية ٧٣ ـ ﴿والذين إذا ذكروا بآيات ربهم﴾	٤٤٤
الآية ٧٤ ـ ﴿والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا﴾	٤٤٥
الآية ٧٥ ـ ﴿أولئك يجزون الغرفة﴾	٤٤٥
الآية ٧٦ ـ ﴿خالدين فيها﴾	٤٥٥
الآية ٧٧ ـ ﴿قل ما يعبؤا بكم ربى﴾	٤٤٦
سورة الشعراء	
الآية ١ ـ ﴿طسٓمٓ﴾	٤٤٧
الآية ٢ ـ ﴿تلك آيات الكتاب المبين﴾	٤٤٧
الآية ٣ ـ ﴿لعلك باخع نفسك﴾	٤٤٨
الآية ٤ ـ ﴿إن نشأ ننزل عليهم من السماء آية﴾	٤٤٨
الآية ٥ ـ ﴿وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث﴾	٤٤٩
الآية ٦ ـ ﴿فقد كذبوا﴾	٤٤٩
الآية ٧ ـ ﴿أولم يروا إلى الأرض﴾	٤٥٠
الآية ٨ ـ ﴿إن فى ذلك لآية﴾	٤٥٠
الآية ٩ ـ ﴿وإن ربك لهو العزيز الرحيم﴾	٤٥٠
الآية ١٠ ـ ﴿وإذ نادى ربك موسى﴾	٤٥٠
الآية ١١ ـ ﴿قوم فرعون﴾	٤٥٠
الآية ١٢ ـ ﴿قال رب إنى أخاف أن يكذبون﴾	٤٥١
الآية ١٣ ـ ﴿ويضيق صدرى﴾	٤٥١
الآية ١٤ ـ ﴿ولهم على ذنب﴾	٤٥١
الآية ١٥ ـ ﴿قال كلا﴾	٤٥٢
الآية ١٦ ـ ﴿فأتيا فرعون﴾	٤٥٢
الآية ١٧ ـ ﴿أن أرسل معنا بنى إسرائيل﴾	٤٥٢
الآية ١٨ ـ ﴿قال ألم نربك فينا وليدا﴾	٤٥٣
الآية ١٩ ـ ﴿وفعلت فعلتك﴾	٤٥٣
الآية ٢٠ ـ ﴿قال فعلتها إذا﴾	٤٥٤
الآية ٢١ ـ ﴿ففررت منكم﴾	٤٥٤
الآية ٢٢ ـ ﴿وتلك نعمة﴾	٤٥٤
الآية ٢٣ ـ ﴿قال فرعون وما رب العالمين﴾	٤٥٤
الآية ٢٤ ـ ﴿قال رب السماوات والأرض وما بينهما﴾	٤٥٤
الآية ٢٥ ـ ﴿قال لمن حوله﴾	٤٥٥
الآية ٢٦ ـ ﴿قال ربكم ورب آبائكم الأولين﴾	٤٥٥
الآية ٢٧ ـ ﴿قال إن رسولكم﴾	٤٥٦
الآية ٢٨ ـ (قال رب المشرق والمغرب وما بينهما﴾	٤٥٦
الآية ٢٩ ـ ﴿قال لئن اتخذت﴾	٤٥٧

العنوان	الصحيفة	العنوان	الصحيفة
الآية ٣٠ - ﴿قال أولو جئتك﴾	٤٥٧	الآية ٥٥ - ﴿وإنهم لنا لغائظون﴾	٤٦٤
الآية ٣١ - ﴿قال فأت به﴾	٤٥٧	الآية ٥٦ - ﴿وإنا لجميع حاذرون﴾	٤٦٤
الآية ٣٢ - ﴿فألقى عصاه﴾	٤٥٧	الآية ٥٧ - ﴿فأخرجناهم من جنات	
الآية ٣٣ - ﴿ونزع يده﴾	٤٥٧	وعيون﴾	٤٦٥
الآية ٣٤ - ﴿قال للملأ حوله﴾	٤٥٨	الآية ٥٨ - ﴿وكنوز ومقام كريم﴾	٤٦٥
الآية ٣٥ - ﴿يريد أن يخرجكم﴾	٤٥٨	الآية ٥٩ - ﴿كذلك وأورثناها بنى	
الآية ٣٦ - ﴿قالوا أرجه وأخاه﴾	٤٥٩	إسرائيل﴾	٤٦٥
الآية ٣٧ - ﴿يأتوك بكل سحار﴾	٤٥٩	الآية ٦٠ - ﴿فأتبعوهم مشرقين﴾	٤٦٥
الآية ٣٨ - ﴿فجمع السحرة﴾	٤٥٩	الآية ٦١ - ﴿فلما تراءى الجمعان﴾	٤٦٦
الآية ٣٩ - ﴿وقيل للناس﴾	٤٥٩	الآية ٦٢ - ﴿قال كلا﴾	٤٦٦
الآية ٤٠ - ﴿لعلنا نتبع السحرة﴾	٤٥٩	الآية ٦٣ - ﴿فأوحينا إلى موسى﴾	٤٦٧
الآية ٤١ - ﴿فلما جاء السحرة﴾	٤٦٠	الآية ٦٤ - ﴿وأزلفنا ثم الآخرين﴾	٤٦٧
الآية ٤٢ - ﴿قال نعم﴾	٤٦٠	الآية ٦٥ - ﴿وأنجينا موسى﴾	٤٦٧
الآية ٤٣ - ﴿قال لهم موسى﴾	٤٦٠	الآية ٦٦ - ﴿ثم أغرقنا الآخرين﴾	٤٦٧
الآية ٤٤ - ﴿فألقوا حبالهم﴾	٤٦٠	الآية ٦٧ - ﴿إن في ذلك لآية﴾	٤٦٨
الآية ٤٥ - ﴿فألقى موسى عصاه﴾	٤٦١	الآية ٦٨ - ﴿وإن ربك لهو العزيز	
الآية ٤٦ - ﴿فألقى السحرة ساجدين﴾	٤٦١	الرحيم﴾	٤٦٨
الآية ٤٧ - ﴿قالوا آمنا برب العالمين﴾	٤٦١	الآية ٦٩ - ﴿واتل عليهم نبأ إبراهيم﴾	٤٦٩
الآية ٤٨ - ﴿رب موسى وهارون﴾	٤٦١	الآية ٧٠ - ﴿إذ قال لأبيه﴾	٤٦٩
الآية ٤٩ - ﴿قال آمنتم له﴾	٤٦٢	الآية ٧١ - ﴿قالوا نعبد أصناما﴾	٤٦٩
الآية ٥٠ - ﴿قالوا لا ضير﴾	٤٦٣	الآية ٧٢ - ﴿قال هل يسمعونكم﴾	٤٧٠
الآية ٥١ - ﴿إنا نطمع أن يغفر لنا		الآية ٧٣ - ﴿أو ينفعونكم﴾	٤٧٠
ربنا﴾	٤٦٣	الآية ٧٤ - ﴿قالوا بل وجدنا آباءنا﴾	٤٧٠
الآية ٥٢ - ﴿وأوحينا إلى موسى﴾	٤٦٣	الآية ٧٥ - ﴿قال أفرأيتم﴾	٤٧٠
الآية ٥٣ - ﴿فأرسل فرعون في		الآية ٧٦ - ﴿أنتم وآباؤكم﴾	٤٧٠
المدائن حاشرين﴾	٤٦٤	الآية ٧٧ - ﴿فإنهم عدو لى﴾	٤٧٠
الآية ٥٤ - ﴿إن هؤلاء لشرذمة		الآية ٧٨ - ﴿الذى خلقنى﴾	٤٧١
قليلون﴾	٤٦٤	الآية ٧٩ - ﴿وهو الذى يطعمنى﴾	٤٧١

العنوان	الصحيفة
الآية ٨٠ـ ﴿وإذا مرضت فهو يشفين﴾	٤٧١
الآية ٨١ـ ﴿والذى يميتنى﴾	٤٧١
الآية ٨٢ـ ﴿والذى أطمع أن يغفر لى خطيئتى يوم الدين﴾	٤٧١
الآية ٨٣ـ ﴿رب هب لى حكما وألحقنى بالصالحين﴾	٤٧٢
الآية ٨٤ـ ﴿واجعل لى لسان صدق فى الآخرين﴾	٤٧٢
الآية ٨٥ـ ﴿واجعلنى من ورثة جنة النعيم﴾	٤٧٢
الآية ٨٦ـ ﴿واغفر لأبى﴾	٤٧٣
الآية ٨٧ـ ﴿ولا تخزنى يوم يبعثون﴾	٤٧٣
الآية ٨٨ـ ﴿يوم لا ينفع مال ولا بنون﴾	٤٧٣
الآية ٨٩ـ ﴿إلا من أتى الله بقلب سليم﴾	٤٧٣
الآية ٩٠ـ ﴿وأزلفت الجنة للمتقين﴾	٤٧٤
الآية ٩١ـ ﴿وبرزت الجحيم للغاوين﴾	٤٧٤
الآية ٩٢ـ ﴿وقيل لهم أين ما كنتم تعبدون﴾	٤٧٥
الآية ٩٣ـ ﴿من دون الله﴾	٤٧٥
الآية ٩٤ـ ﴿فكبكبوا فيها﴾	٤٧٥
الآية ٩٥ـ ﴿وجنود إبليس أجمعون﴾	٤٧٥
الآية ٩٦ـ ﴿قالوا وهم فيها﴾	٤٧٥
الآية ٩٧ـ ﴿تالله إن كنا لفى ضلال مبين﴾	٤٧٥
الآية ٩٨ـ ﴿إذ نسويكم برب العالمين﴾	٤٧٥
الآية ٩٩ـ ﴿وما أضلنا إلا المجرمون﴾	٤٧٥
الآية ١٠٠ـ ﴿فما لنا من شافعين﴾	٤٧٦
الآية ١٠١ـ ﴿ولا صديق حميم﴾	٤٧٦
الآية ١٠٢ـ ﴿فلو أن لنا كرة﴾	٤٧٦
الآية ١٠٣ـ ﴿إن فى ذلك لآية﴾	٤٧٧
الآية ١٠٤ـ ﴿وإن ربك لهو العزيز الرحيم﴾	٤٧٧
الآية ١٠٥ـ ﴿كذبت قوم نوح﴾	٤٧٧
الآية ١٠٦ـ ﴿إذ قال لهم أخوهم نوح﴾	٤٧٧
الآية ١٠٧ـ ﴿إنى لكم رسول أمين﴾	٤٧٧
الآية ١٠٨ـ ﴿فاتقوا الله وأطيعون﴾	٤٧٧
الآية ١٠٩ـ ﴿وما أسألكم عليه من أجر﴾	٤٧٧
الآية ١١٠ـ ﴿فاتقوا الله وأطيعون﴾	٤٧٧
الآية ١١١ـ ﴿قالوا أنؤمن لك واتبعك الأرذلون﴾	٤٧٨
الآية ١١٢ـ ﴿قال وما علمى بما كانوا يعملون﴾	٤٧٩
الآية ١١٣ـ ﴿إن حسابهم إلا على ربى﴾	٤٧٩
الآية ١١٤ـ ﴿وما أنا بطارد المؤمنين﴾	٤٨٠
الآية ١١٥ـ ﴿إن أنا إلا نذير مبين﴾	٤٨٠
الآية ١١٦ـ ﴿قالوا لئن لم تنته يا نوح﴾	٤٨٠

العنوان	الصحيفة
الآية ١١٧ـ ﴿قال رب إن قومي كذبون﴾	٤٨٠
الآية ١١٨ـ ﴿فافتح بينى وبينهم فتحا﴾	٤٨٠
الآية ١١٩ـ ﴿فأنجيناه ومن معه﴾	٤٨١
الآية ١٢٠ـ ﴿ثم أغرقنا بعدُ الباقين﴾	٤٨١
الآية ١٢١ـ ﴿إن فى ذلك لآية﴾	٤٨١
الآية ١٢٢ـ ﴿وإن ربك لهو العزيز الرحيم﴾	٤٨١
الآية ١٢٣ـ ﴿كذبت عاد المرسلين﴾	٤٨٢
الآية ١٢٤ـ ﴿إذ قال لهم أخوهم هود﴾	٤٨٢
الآية ١٢٥ـ ﴿إنى لكم رسول أمين﴾	٤٨٢
الآية ١٢٦ـ ﴿فاتقوا الله وأطيعون﴾	٤٨٢
الآية ١٢٧ـ ﴿وما أسألكم عليه من أجر﴾	٤٨٢
الآية ١٢٨ـ ﴿أتبنون بكل ريع﴾	٤٨٣
الآية ١٢٩ـ ﴿وتتخذون مصانع﴾	٤٨٣
الآية ١٣٠ـ ﴿وإذا بطشتم بطشتم جبارين﴾	٤٨٣
الآية ١٣١ـ ﴿فاتقوا الله وأطيعون﴾	٤٨٣
الآية ١٣٢ـ ﴿واتقوا الذى أمدكم﴾	٤٨٤
الآية ١٣٣ـ ﴿أمدكم بأنعام وبنين﴾	٤٨٤
الآية ١٣٤ـ ﴿وجنات وعيون﴾	٤٨٤
الآية ١٣٥ـ ﴿إنى أخاف عليكم﴾	٤٨٤
الآية ١٣٦ـ ﴿قالوا سواء علينا﴾	٤٨٤
الآية ١٣٧ـ ﴿إن هذا إلا خلق الأولين﴾	٤٨٤
الآية ١٣٨ـ ﴿وما نحن بمعذبين﴾	٤٨٤
الآية ١٣٩ـ ﴿فكذبوه فأهلكناهم﴾	٤٨٥
الآية ١٤٠ـ ﴿وإن ربك لهو العزيز الرحيم﴾	٤٨٥
الآية ١٤١ـ ﴿كذبت ثمود المرسلين﴾	٤٨٦
الآية ١٤٢ـ ﴿إذ قال لهم أخوهم صالح ألا تتقون﴾	٤٨٦
الآية ١٤٣ـ ﴿إنى لكم رسول أمين﴾	٤٨٦
الآية ١٤٤ـ ﴿فاتقوا الله وأطيعون﴾	٤٨٦
الآية ١٤٥ـ ﴿وما أسألكم عليه من أجر﴾	٤٨٦
الآية ١٤٦ـ ﴿أتتركون فيما ههنا آمنين﴾	٤٨٦
الآية ١٤٧ـ ﴿فى جنات وعيون﴾	٤٨٦
الآية ١٤٨ـ ﴿وزروع ونخل طلعها هضيم﴾	٤٨٦
الآية ١٤٩ـ ﴿وتنحتون من الجبال﴾	٤٨٦
الآية ١٥٠ـ ﴿فاتقوا الله وأطيعون﴾	٤٨٨
الآية ١٥١ـ ﴿ولا تطيعوا أمر المسرفين﴾	٤٨٨
الآية ١٥٢ـ ﴿الذين يفسدون فى الأرض﴾	٤٨٨
الآية ١٥٣ـ ﴿قالوا إنما أنت من المسحرين﴾	٤٨٩
الآية ١٥٤ـ ﴿ما أنت إلا بشر مثلنا﴾	٤٨٩
الآية ١٥٥ـ ﴿قال هذه ناقة﴾	٤٨٩
الآية ١٥٦ـ ﴿ولا تمسوها بسوء﴾	٤٨٩

العنوان	الصحيفة
الآية ١٥٧ـ ﴿فعقروها فأصبحوا نادمين﴾	٤٩٠
الآية ١٥٨ـ ﴿فأخذهم العذاب﴾	٤٩٠
الآية ١٥٩ـ ﴿وإن ربك لهو العزيز الرحيم﴾	٤٩٠
الآية ١٦٠ـ ﴿كذبت قوم لوط﴾	٤٩١
الآية ١٦١ـ ﴿إذ قال لهم أخوهم لوط﴾	٤٩١
الآية ١٦٢ـ ﴿إنى لكم رسول أمين﴾	٤٩١
الآية ١٦٣ـ ﴿فاتقوا الله وأطيعون﴾	٤٩١
الآية ١٦٤ـ ﴿وما أسألكم عليه من أجر﴾	٤٩١
الآية ١٦٥ـ ﴿أتأتون الذكران﴾	٤٩١
الآية ١٦٦ـ ﴿وتذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم﴾	٤٩١
الآية ١٦٧ـ ﴿قالوا لئن لم تنته﴾	٤٩٢
الآية ١٦٨ـ ﴿قال إنى لعملكم من القالين﴾	٤٩٣
الآية ١٦٩ـ ﴿رب نجنى وأهلي﴾	٤٩٣
الآية ١٧٠ـ ﴿فنجيناه وأهله﴾	٤٩٣
الآية ١٧١ـ ﴿إلا عجوزا﴾	٤٩٣
الآية ١٧٢ـ ﴿ثم دمرنا الآخرين﴾	٤٩٣
الآية ١٧٣ـ ﴿وأمطرنا عليهم مطرا﴾	٤٩٣
الآية ١٧٤ـ ﴿إن فى ذلك لآية﴾	٤٩٤
الآية ١٧٥ـ ﴿وإن ربك لهو العزيز الرحيم﴾	٤٩٤
الآية ١٧٦ـ ﴿كذب أصحاب الأيكة﴾	٤٩٤

العنوان	الصحيفة
الآية ١٧٧ـ ﴿إذ قال لهم شعيب﴾	٤٩٤
الآية ١٧٨ـ ﴿إنى لكم رسول أمين﴾	٤٩٤
الآية ١٧٩ـ ﴿فاتقوا الله وأطيعون﴾	٤٩٤
الآية ١٨٠ـ ﴿وما أسألكم عليه من أجر﴾	٤٩٤
الآية ١٨١ـ ﴿أوفوا الكيل﴾	٤٩٥
الآية ١٨٢ـ ﴿وزنوا بالقسطاس المستقيم﴾	٤٩٥
الآية ١٨٣ـ ﴿ولا تبخسوا الناس أشياءهم﴾	٤٩٥
الآية ١٨٤ـ ﴿واتقوا الذى خلقكم﴾	٤٩٥
الآية ١٨٥ـ ﴿قالوا إنما أنت من المسحرين﴾	٤٩٧
الآية ١٨٦ـ ﴿وما أنت إلا بشر مثلنا﴾	٤٩٧
الآية ١٨٧ـ ﴿فأسقط علينا كسفا﴾	٤٩٧
الآية ١٨٨ـ ﴿قال ربى أعلم بما تعملون﴾	٤٩٧
الآية ١٨٩ـ ﴿فكذبوه فأخذهم عذاب يوم الظلة﴾	٤٩٨
الآية ١٩٠ـ ﴿إن فى ذلك لآية﴾	٤٩٨
الآية ١٩١ـ ﴿وإن ربك لهو العزيز الرحيم﴾	٤٩٨
الآية ١٩٢ـ ﴿وإنه لتنزيل رب العالمين﴾	٤٩٩
الآية ١٩٣ـ ﴿نزل به الروح الأمين﴾	٤٩٩
الآية ١٩٤ـ ﴿على قلبك﴾	٤٩٩
الآية ١٩٥ـ ﴿بلسان عربى مبين﴾	٤٩٩

العنوان	الصحيفة
الآية ١٩٦- ﴿وإنه لفي زبر الأولين﴾	٥٠٠
الآية ١٩٧- ﴿أولم يكن لهم آية﴾	٥٠١
الآية ١٩٨- ﴿ولو نزلناه على بعض الأعجمين﴾	٥٠١
الآية ١٩٩- ﴿فقرأه عليهم﴾	٥٠١
الآية ٢٠٠- ﴿كذلك سلكناه في قلوب المجرمين﴾	٥٠٢
الآية ٢٠١- ﴿لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم﴾	٥٠٢
الآية ٢٠٢- ﴿فيأتيهم بغتة﴾	٥٠٢
الآية ٢٠٣- ﴿فيقولون هل نحن منظرون﴾	٥٠٢
الآية ٢٠٤- ﴿أفبعذابنا يستعجلون﴾	٥٠٣
الآية ٢٠٥- ﴿أفرأيت إن متعناهم سنين﴾	٥٠٣
الآية ٢٠٦- ﴿ثم جاءهم ما كانوا يوعدون﴾	٥٠٣
الآية ٢٠٧- ﴿ما أغنى عنهم ما كانوا يمتعون﴾	٥٠٣
الآية ٢٠٨- ﴿وما أهلكنا من قرية إلا لها منذرون﴾	٥٠٣
الآية ٢٠٩- ﴿ذكرى وما كنا ظالمين﴾	٥٠٣
الآية ٢١٠- ﴿وما تنزلت به الشياطين﴾	٥٠٤
الآية ٢١١- ﴿وما ينبغي لهم وما يستطيعون﴾	٥٠٤
الآية ٢١٢- ﴿إنهم عن السمع لمعزولون﴾	٥٠٤
الآية ٢١٣- ﴿فلا تدع مع الله إلها آخر﴾	٥٠٥
الآية ٢١٤- ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾	٥٠٥
الآية ٢١٥- ﴿واخفض جناحك لمن اتبعك﴾	٥٠٥
الآية ٢١٦- ﴿فإن عصوك فقل إني برئ مما تعملون﴾	٥٠٥
الآية ٢١٧- ﴿وتوكل على العزيز الرحيم﴾	٥٠٦
الآية ٢١٨- ﴿الذي يراك حين تقوم﴾	٥٠٦
الآية ٢١٩- ﴿وتقلبك في الساجدين﴾	٥٠٦
الآية ٢٢٠- ﴿إنه هو السميع العليم﴾	٥٠٦
الآية ٢٢١- ﴿هل أنبئكم على من تنزل الشياطين﴾	٥٠٧
الآية ٢٢٢- ﴿تنزل على كل أفاك أثيم﴾	٥٠٧
الآية ٢٢٣- ﴿يلقون السمع﴾	٥٠٧
الآية ٢٢٤- ﴿والشعراء يتبعهم الغاوون﴾	٥٠٨
الآية ٢٢٥- ﴿ألم تر أنهم في كل واد يهيمون﴾	٥٠٨
الآية ٢٢٦- ﴿وأنهم يقولون ما لا يفعلون﴾	٥٠٨
الآية ٢٢٧- ﴿إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾	٥٠٩

العنوان	الصحيفة
سورة النمل	
الآية ١ـ ﴿طسٓ تلك آيات القرآن﴾	٥١١
الآية ٢ـ ﴿هدى وبشرى للمؤمنين﴾	٥١١
الآية ٣ـ ﴿الذين يقيمون الصلاة﴾	٥١١
الآية ٤ـ ﴿إن الذين لايؤمنون بالآخرة﴾	٥١٢
الآية ٥ـ ﴿أولئك الذين لهم سوء العذاب﴾	٥١٢
الآية ٦ـ ﴿وإنك لتلقى القرآن﴾	٥١٣
الآية ٧ـ ﴿إذ قال موسى لأهله﴾	٥١٣
الآية ٨ـ ﴿فلما جاءها نودى﴾	٥١٤
الآية ٩ـ ﴿يا موسى إنه أنا الله العزيز الحكيم﴾	٥١٥
الآية ١٠ـ ﴿وألق عصاك﴾	٥١٥
الآية ١١ـ ﴿إلامن ظلم﴾	٥١٦
الآية ١٢ـ ﴿وأدخل يدك فى جيبك﴾	٥١٦
الآية ١٣ـ ﴿فلما جاءتهم آياتنا مبصرة﴾	٥١٧
الآية ١٤ـ ﴿وجحدوا بها﴾	٥١٧
الآية ١٥ـ ﴿ولقد آتينا داود وسليمان علما﴾	٥١٨
الآية ١٦ـ ﴿وورث سليمان داود﴾	٥١٨
الآية ١٧ـ ﴿وحشر لسليمان جنوده﴾	٥١٩
الآية ١٨ـ ﴿حتى إذا أتوا على وادى النمل﴾	٥١٩
الآية ١٩ـ ﴿فتبسم ضاحكا من قولها﴾	٥٢١
الآية ٢٠ـ ﴿وتفقد الطير﴾	٥٢٢
الآية ٢١ـ ﴿لأعذبنه عذابا شديدا﴾	٥٢٢
الآية ٢٢ـ ﴿فمكث غير بعيد﴾	٥٢٣
الآية ٢٣ـ ﴿إنى وجدت امرأة تملكهم﴾	٥٢٣
الآية ٢٤ـ ﴿وجدتها وقومها يسجدون للشمس﴾	٥٢٤
الآية ٢٥ـ ﴿ألايسجدوا لله﴾	٥٢٥
الآية ٢٦ـ ﴿الله لاإله إلاهو رب العرش العظيم﴾	٥٢٥
الآية ٢٧ـ ﴿قال سننظر﴾	٥٢٦
الآية ٢٨ـ ﴿اذهب بكتابى هذا﴾	٥٢٦
الآية ٢٩ـ ﴿قالت يا أيها الملأ﴾	٥٢٧
الآية ٣٠ـ ﴿إنه من سليمان﴾	٥٢٧
الآية ٣١ـ ﴿ألاتعلوا علىّ﴾	٥٢٧
الآية ٣٢ـ ﴿قالت يا أيها الملأ أفتونى﴾	٥٢٧
الآية ٣٣ـ ﴿قالوا نحن أولوا قوة﴾	٥٢٨
الآية ٣٤ـ ﴿قالت إن الملوك﴾	٥٢٩
الآية ٣٥ـ ﴿وإنى مرسلة إليهم بهدية﴾	٥٢٩
الآية ٣٦ـ ﴿فلما جاء سليمان﴾	٥٣٠
الآية ٣٧ـ ﴿ارجع إليهم﴾	٥٣١
الآية ٣٨ـ ﴿قال يا أيها الملأ﴾	٥٣١
الآية ٣٩ـ ﴿قال عفريت من الجن﴾	٥٣١
الآية ٤٠ ـ ﴿قال الذى عنده علم من الكتاب﴾	٥٣٢
الآية ٤١ ـ ﴿قال نكروا لها عرشها﴾	٥٣٤
الآية ٤٢ ـ ﴿فلما جاءت﴾	٥٣٤

العنوان	الصحيفة
الآية ٤٣ - ﴿وصدها ما كانت تعبد﴾	٥٣٥
الآية ٤٤ - ﴿قيل لها ادخلى الصرح﴾	٥٣٦
الآية ٤٥ - ﴿ولقد أرسلنا إلى ثمود﴾	٥٣٧
الآية ٤٦ - ﴿قال يا قوم﴾	٥٣٨
الآية ٤٧ - ﴿قالوا اطيرنا بك﴾	٥٣٨
الآية ٤٨ - ﴿وكان فى المدينة تسعة رهط﴾	٥٣٩
الآية ٤٩ - ﴿قالوا تقاسموا بالله﴾	٥٣٩
الآية ٥٠ - ﴿ومكروا مكرا﴾	٥٤٠
الآية ٥١ - ﴿فانظر كيف كان عاقبة مكرهم﴾	٥٤٠
الآية ٥٢ - ﴿فتلك بيوتهم خاوية﴾	٥٤٠
الآية ٥٣ - ﴿وأنجينا الذين آمنوا﴾	٥٤١
الآية ٥٤ - ﴿ولوطا إذ قال لقومه﴾	٥٤١
الآية ٥٥ - ﴿أإنكم لتأتون الرجال شهوة﴾	٥٤١
الآية ٥٦ - ﴿فما كان جواب قومه﴾	٥٤٢
الآية ٥٧ - ﴿فأنجيناه وأهله﴾	٥٤٢
الآية ٥٨ - ﴿وأمطرنا عليهم مطرا﴾	٥٤٢
الآية ٥٩ - ﴿قل الحمد لله﴾	٥٤٣
الآية ٦٠ - ﴿أمن خلق السماوات والأرض﴾	٥٤٣
الآية ٦١ - ﴿أمن جعل الأرض قرارا﴾	٥٤٤
الآية ٦٢ - ﴿أمن يجيب المضطر إذا دعاه﴾	٥٤٥
الآية ٦٣ - ﴿أمن يهديكم فى ظلمات البر والبحر﴾	٥٤٦

العنوان	الصحيفة
الآية ٦٤ - ﴿أمن يبدأ الخلق ثم يعيده﴾	٥٤٧
الآية ٦٥ - ﴿قل لايعلم من فى السماوات والأرض الغيب إلاالله﴾	٥٤٨
الآية ٦٦ - ﴿بل ادارك علمهم فى الآخرة﴾	٥٤٨
الآية ٦٧ - ﴿وقال الذين كفروا﴾	٥٤٩
الآية ٦٨ - ﴿لقد وعدنا هذا﴾	٥٤٩
الآية ٦٩ - ﴿قل سيروا فى الأرض﴾	٥٥٠
الآية ٧٠ - ﴿ولاتحزن عليهم﴾	٥٥٠
الآية ٧١ - ﴿ويقولون متى هذا الوعد﴾	٥٥١
الآية ٧٢ - ﴿قل عسى أن يكون رَدِفَ لكم﴾	٥٥١
الآية ٧٣ - ﴿وإن ربك لذو فضل على الناس﴾	٥٥١
الآية ٧٤ - ﴿وإن ربك ليعلم﴾	٥٥٢
الآية ٧٥ - ﴿وما من غائبة﴾	٥٥٢
الآية ٧٦ - ﴿إن هذا القرآن يقص﴾	٥٥٢
الآية ٧٧ - ﴿وإنه لهدى ورحمة للمؤمنين﴾	٥٥٣
الآية ٧٨ - ﴿إن ربك يقضى بينهم﴾	٥٥٣
الآية ٧٩ - ﴿فتوكل على الله﴾	٥٥٤
الآية ٨٠ - ﴿إنك لاتسمع الموتى﴾	٥٥٤
الآية ٨١ - ﴿وما أنت بهادى العمى﴾	٥٥٤
الآية ٨٢ - ﴿وإذا وقع القول عليهم﴾	٥٥٥
الآية ٨٣ - ﴿ويوم نحشر من كل أمة فوجا﴾	٥٥٦

العنوان	الصحيفة
الآية ٨٤ـ ﴿حتى إذا جاءوا﴾	٥٥٦
الآية ٨٥ـ ﴿ووقع القول عليهم﴾	٥٥٧
الآية ٨٦ـ ﴿ألم يروا أنا جعلنا الليل﴾	٥٥٧
الآية ٨٧ـ ﴿ويوم ينفخ فى الصور﴾	٥٥٨
الآية ٨٨ـ ﴿وترى الجبال﴾	٥٥٩
الآية ٨٩ـ ﴿من جاء بالحسنة﴾	٥٦٠
الآية ٩٠ـ ﴿ومن جاء بالسيئة﴾	٥٦٠
الآية ٩١ـ ﴿إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة﴾	٥٦١
الآية ٩٢ـ ﴿وأن أتلوا القرآن﴾	٥٦١
الآية ٩٣ـ ﴿وقل الحمد لله﴾	٥٦٢
سورة القصص	
الآية ١ـ ﴿طسم﴾	٥٦٤
الآية ٢ـ ﴿تلك آيات الكتاب المبين﴾	٥٦٤
الآية ٣ـ ﴿نتلوا عليك من نبإ موسى﴾	٥٦٥
الآية ٤ـ ﴿إن فرعون علا فى الأرض﴾	٥٦٥
الآية ٥ـ ﴿ونريد أن نمن على الذين استضعفوا﴾	٥٦٦
الآية ٦ـ ﴿ونمكن لهم فى الأرض﴾	٥٦٦
الآية ٧ـ ﴿وأوحينا إلى أم موسى﴾	٥٦٧
الآية ٨ـ ﴿فالتقطه آل فرعون﴾	٥٦٨
الآية ٩ـ ﴿وقالت امرأة فرعون﴾	٥٦٩
الآية ١٠ـ ﴿وأصبح فؤاد أم موسى فارغا﴾	٥٧٠
الآية ١١ـ ﴿وقالت لأخته قصيه﴾	٥٧٠
الآية ١٢ـ ﴿وحرمنا عليه المراضع﴾	٥٧١
الآية ١٣ـ ﴿فرددناه إلى أمه﴾	٥٧١

العنوان	الصحيفة
الآية ١٤ـ ﴿ولما بلغ أشده﴾	٥٧٢
الآية ١٥ـ ﴿ودخل المدينة﴾	٥٧٣
الآية ١٦ـ ﴿قال رب إنى ظلمت نفسى﴾	٥٧٤
الآية ١٧ـ ﴿قال رب بما أنعمت على﴾	٥٧٥
الآية ١٨ـ ﴿فأصبح فى المدينة خائفا﴾	٥٧٥
الآية ١٩ـ ﴿فلما أن أراد أن يبطش﴾	٥٧٦
الآية ٢٠ـ ﴿وجاء رجل من أقصى المدينة﴾	٥٧٧
الآية ٢١ـ ﴿فخرج منها خائفا يترقب﴾	٥٧٨
الآية ٢٢ـ ﴿ولما توجه تلقاء مدين﴾	٥٧٨
الآية ٢٣ـ ﴿ولما ورد ماء مدين﴾	٥٧٨
الآية ٢٤ـ ﴿فسقى لهما﴾	٥٨٠
الآية ٢٥ـ ﴿فجاءته إحداهما﴾	٥٨٠
الآية ٢٦ـ ﴿قالت إحداهما﴾	٥٨١
الآية ٢٧ـ ﴿قال إنى أريد﴾	٥٨٢
الآية ٢٨ـ ﴿قال ذلك بينى وبينك﴾	٥٨٣
الآية ٢٩ـ ﴿فلما قضى موسى الأجل﴾	٥٨٣
الآية ٣٠ـ ﴿فلما أتاها نودى﴾	٥٨٤
الآية ٣١ـ ﴿وأن ألق عصاك﴾	٥٨٥
الآية ٣٢ـ ﴿اسلك يدك﴾	٥٨٥
الآية ٣٣ـ ﴿قال رب إنى قتلت نفسا﴾	٥٨٦
الآية ٣٤ـ ﴿وأخى هارون هو أفصح﴾	٥٨٦
الآية ٣٥ـ ﴿قال سنشد عضدك﴾	٥٨٧

العنوان	الصحيفة
الآية ٣٦- ﴿فلما جاءهم موسى﴾	٥٨٨
الآية ٣٧- ﴿وقال موسى ربى أعلم﴾	٥٨٨
الآية ٣٨- ﴿وقال فرعون﴾	٥٨٩
الآية ٣٩- ﴿واستكبر هو وجنوده﴾	٥٩٠
الآية ٤٠ - ﴿فأخذناه وجنوده﴾	٥٩٠
الآية ٤١ - ﴿وجعلناهم أئمة يدعون إلى النار﴾	٥٩١
الآية ٤٢ - ﴿وأتبعناهم فى هذه الدنيا لعنة﴾	٥٩١
الآية ٤٣ - ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب﴾	٥٩١
الآية ٤٤ - ﴿وما كنت بجانب الغربى﴾	٥٩٣
الآية ٤٥ - ﴿ولكنا أنشأنا قرونا﴾	٥٩٣
الآية ٤٦ - ﴿وما كنت بجانب الطور﴾	٥٩٤
الآية ٤٧ - ﴿ولولا أن تصيبهم مصيبة﴾	٥٩٥
الآية ٤٨ - ﴿فلما جاءهم الحق﴾	٥٩٦
الآية ٤٩ - ﴿قل فأتوا بكتاب من عند الله﴾	٥٩٧
الآية ٥٠ - ﴿فإن لم يستجيبوا لك﴾	٥٩٧
الآية ٥١ - ﴿ولقد وصلنا لهم القول﴾	٥٩٨
الآية ٥٢ - ﴿الذين آتيناهم الكتاب من قبله﴾	٥٩٨
الآية ٥٣ - ﴿وإذا يتلى عليهم﴾	٥٩٩
الآية ٥٤ - ﴿أولئك يؤتون أجرهم مرتين﴾	٦٠٠
الآية ٥٥ - ﴿وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه﴾	٦٠٠
الآية ٥٦ - ﴿إنك لاتهدى من أحببت﴾	٦٠١
الآية ٥٧ - ﴿وقالوا إن نتبع الهدى معك﴾	٦٠١
الآية ٥٨ - ﴿وكم أهلكنا من قرية﴾	٦٠٢
الآية ٥٩ - ﴿وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث فى أمها رسولا﴾	٦٠٣
الآية ٦٠ - ﴿وما أوتيتم من شىء فمتاع الحياة الدنيا﴾	٦٠٤
الآية ٦١ - ﴿أفمن وعدناه وعدا حسنا﴾	٦٠٤
الآية ٦٢ - ﴿ويوم يناديهم فيقول أين شركائى﴾	٦٠٥
الآية ٦٣ - ﴿قال الذين حق عليهم القول﴾	٦٠٥
الآية ٦٤ - ﴿وقيل ادعوا شركاءكم﴾	٦٠٦
الآية ٦٥ - ﴿ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين﴾	٦٠٧
الآية ٦٦ - ﴿فعميت عليهم الأنباء﴾	٦٠٧
الآية ٦٧ - ﴿فأما من تاب﴾	٦٠٨
الآية ٦٨ - ﴿وربك يخلق ما يشاء﴾	٦٠٨
الآية ٦٩ - ﴿وربك يعلم ما تكن صدورهم﴾	٦٠٩
الآية ٧٠ - ﴿وهو الله لاإله إلاهو﴾	٦١٠
الآية ٧١ - ﴿قل أرأيتم إن جعل الله عليكم الليل﴾	٦١٠
الآية ٧٢ - ﴿قل أرأيتم إن جعل الله عليكم النهار﴾	٦١١

العنوان	الصحيفة
الآية ٧٣ ـ ﴿ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار﴾	٦١٢
الآية ٧٤ ـ ﴿ويوم يناديهم﴾	٦١٣
الآية ٧٥ ـ ﴿ونزعنا من كل أمة شهيدا﴾	٦١٣
الآية ٧٦ ـ ﴿إن قارون كان من قوم موسى﴾	٦١٤
الآية ٧٧ ـ ﴿وابتغ فيما آتاك الله﴾	٦١٦
الآية ٧٨ ـ ﴿قال إنما أوتيته على علم عندى﴾	٦١٧
الآية ٧٩ ـ ﴿فخرج على قومه فى زينته﴾	٦١٨
الآية ٨٠ ـ ﴿وقال الذين أوتوا العلم﴾	٦١٩
الآية ٨١ ـ ﴿فخسفنا به وبداره الأرض﴾	٦١٩
الآية ٨٢ ـ ﴿وأصبح الذين تمنوا مكانه﴾	٦٢٠
الآية ٨٣ ـ ﴿تلك الدار الآخرة﴾	٦٢١
الآية ٨٤ ـ ﴿من جاء بالحسنة﴾	٦٢٢
الآية ٨٥ ـ ﴿إن الذى فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد﴾	٦٢٢
الآية ٨٦ ـ ﴿وما كنت ترجو أن يلقى إليك الكتاب﴾	٦٢٣
الآية ٨٧ ـ ﴿ولا يصدنك عن آيات الله﴾	٦٢٣
الآية ٨٨ ـ ﴿ولا تدع مع الله إلها آخر﴾	٦٢٤
سورة العنكبوت	
الآية ١ ـ ﴿الم﴾	٦٢٥
الآية ٢ ـ ﴿أحسب الناس أن يتركوا﴾	٦٢٥
الآية ٣ ـ ﴿ولقد فتنا الذين من قبلهم﴾	٦٢٥
الآية ٤ ـ ﴿أم حسب الذين يعملون السيئات﴾	٦٢٦
الآية ٥ ـ ﴿من كان يرجو لقاء الله﴾	٦٢٧
الآية ٦ ـ ﴿ومن جاهد فإنما يجاهد لنفسه﴾	٦٢٧
الآية ٧ ـ ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾	٦٢٨
الآية ٨ ـ ﴿ووصينا الإنسان بوالديه حسنا﴾	٦٢٩
الآية ٩ ـ ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾	٦٣٠
الآية ١٠ ـ ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله﴾	٦٣٠
الآية ١١ ـ ﴿وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين﴾	٦٣١
الآية ١٢ ـ ﴿وقال الذين كفروا﴾	٦٣١
الآية ١٣ ـ ﴿وليحملن أثقالهم﴾	٦٣٢
الآية ١٤ ـ ﴿ولقد أرسلنا نوحا﴾	٦٣٣
الآية ١٥ ـ ﴿فأنجيناه وأصحاب السفينة﴾	٦٣٣
الآية ١٦ ـ ﴿وإبراهيم إذ قال لقومه﴾	٦٣٤
الآية ١٧ ـ ﴿إنما تعبدون من دون الله﴾	٦٣٤
الآية ١٨ ـ ﴿وإن تكذبوا فقد كذب أمم من قبلكم﴾	٦٣٥

العنوان	الصحيفة
الآية ١٩ ـ ﴿أولم يروا كيف يبدىء الله الخلق ثم يعيده﴾	٦٣٦
الآية ٢٠ ـ ﴿قل سيروا فى الأرض﴾	٦٣٦
الآية ٢١ ـ ﴿يعذب من يشاء ويرحم من يشاء﴾	٦٣٧
الآية ٢٢ ـ ﴿وما أنتم بمعجزين فى الأرض ولافى السماء﴾	٦٣٨
الآية ٢٣ ـ ﴿والذين كفروا بآيات الله﴾	٦٣٨
الآية ٢٤ ـ ﴿فما كان جواب قومه﴾	٦٣٩
الآية ٢٥ ـ ﴿وقال إنما اتخذتم﴾	٦٤٠
الآية ٢٦ ـ ﴿فآمن له لوط﴾	٦٤١
الآية ٢٧ ـ ﴿ووهبنا له إسحاق ويعقوب﴾	٦٤١
الآية ٢٨ ـ ﴿ولوطا إذ قال لقومه﴾	٦٤٢
الآية ٢٩ ـ ﴿أئنكم لتأتون الرجال﴾	٦٤٢
الآية ٣٠ ـ ﴿قال رب انصرنى﴾	٦٤٢
الآية ٣١ ـ ﴿ولما جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى﴾	٦٤٣
الآية ٣٢ ـ ﴿قال إن فيها لوطا﴾	٦٤٣
الآية ٣٣ ـ ﴿ولما أن جاءت رسلنا لوطا﴾	٦٤٥
الآية ٣٤ ـ ﴿إنا منزلون على أهل هذه القرية رجزا﴾	٦٤٥
الآية ٣٥ ـ ولقد تركنا منها آية﴾	٦٤٦
الآية ٣٦ ـ ﴿وإلى مدين أخاهم شعيبا﴾	٦٤٦
الآية ٣٧ ـ ﴿فكذبوه فأخذتهم الرجفة﴾	٦٤٦
الآية ٣٨ ـ ﴿وعادا وثمودا﴾	٦٤٧
الآية ٣٩ ـ ﴿وقارون وفرعون﴾	٦٤٨
الآية ٤٠ ـ ﴿فكلا أخذنا بذنبه﴾	٦٤٩
الآية ٤١ ـ ﴿مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء﴾	٦٥٠
الآية ٤٢ ـ ﴿إن الله يعلم ما يدعون﴾	٦٥١
الآية ٤٣ ـ ﴿وتلك الأمثال نضربها للناس﴾	٦٥٢
الآية ٤٤ ـ ﴿خلق الله السماوات والأرض﴾	٦٥٢
الآية ٤٥ ـ ﴿اتل ما أوحى إليك من الكتاب﴾	٦٥٣
الآية ٤٦ ـ ﴿ولاتجادلوا أهل الكتاب﴾	٦٥٤
الآية ٤٧ ـ ﴿وكذلك أنزلنا إليك الكتاب﴾	٦٥٥
الآية ٤٨ ـ ﴿وما كنت تتلوا من قبله من كتاب﴾	٦٥٦
الآية ٤٩ ـ ﴿بل هوآيات بينات﴾	٦٥٧
الآية ٥٠ ـ ﴿وقالوا لولاأنزل عليه آيات﴾	٦٥٨
الآية ٥١ ـ ﴿أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب﴾	٦٥٨
الآية ٥٢ ـ ﴿قل كفى بالله بينى وبينكم شهيدا﴾	٦٥٩
الآية ٥٣ ـ ﴿ويستعجلونك بالعذاب﴾	٦٦٠
الآية ٥٤ ـ ﴿يستعجلونك بالعذاب﴾	٦٦٠
الآية ٥٥ ـ ﴿يوم يغشاهم العذاب﴾	٦٦١
الآية ٥٦ ـ ﴿يا عبادى الذين آمنوا﴾	٦٦٢

العنوان	الصحيفة
الآية ٥٧ ـ ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾	٦٦٢
الآية ٥٨ ـ ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾	٦٦٣
الآية ٥٩ ـ ﴿الذين صبروا﴾	٦٦٣
الآية ٦٠ ـ ﴿وكأين من دابة﴾	٦٦٤
الآية ٦١ ـ ﴿ولئن سألتهم﴾	٦٦٥
الآية ٦٢ ـ ﴿الله يبسط الرزق﴾	٦٦٥
الآية ٦٣ ـ ﴿ولئن سألتهم﴾	٦٦٦
الآية ٦٤ ـ ﴿وما هذه الحياة الدنيا﴾	٦٦٧
الآية ٦٥ ـ ﴿فإذا ركبوا فى الفلك﴾	٦٦٨
الآية ٦٦ ـ ﴿ليكفروا بما آتيناهم﴾	٦٦٩
الآية ٦٧ ـ ﴿أو لم يروا أنا جعلنا حرما آمنا﴾	٦٦٩
الآية ٦٨ ـ ﴿ومن أظلم ممن افترى﴾	٦٧٠
الآية ٦٩ ـ ﴿والذين جاهدوا فينا﴾	٦٧٠
سورة الروم	
الآية ١ ـ ﴿الـم﴾	٦٧٢
الآية ٢ ـ ﴿غلبت الروم﴾	٦٧٢
الآية ٣ ـ ﴿فى أدنى الأرض﴾	٦٧٢
الآية ٤ ـ ﴿فى بضع سنين﴾	٦٧٢
الآية ٥ ـ ﴿بنصر الله﴾	٦٧٢
الآية ٦ ـ ﴿وعد الله﴾	٦٧٥
الآية ٧ ـ ﴿يعلمون ظاهرا﴾	٦٧٥
الآية ٨ ـ ﴿أو لم يتفكروا فى أنفسهم﴾	٦٧٦
الآية ٩ ـ ﴿أو لم يسيروا فى الأرض﴾	٦٧٧
الآية ١٠ ـ ﴿ثم كان عاقبة الذين أساءوا﴾	٦٧٨
الآية ١١ ـ ﴿الله يبدأ الخلق ثم يعيده﴾	٦٧٩
الآية ١٢ ـ ﴿ويوم تقوم الساعة﴾	٦٨٠
الآية ١٣ ـ ﴿ولم يكن لهم من شركائهم شفعاء﴾	٦٨٠
الآية ١٤ ـ ﴿ويوم تقوم الساعة﴾	٦٨٠
الآية ١٥ ـ ﴿فأما الذين آمنوا﴾	٦٨١
الآية ١٦ ـ ﴿وأما الذين كفروا﴾	٦٨١
الآية ١٧ ـ ﴿فسبحان الله﴾	٦٨٢
الآية ١٨ ـ ﴿وله الحمد﴾	٦٨٢
الآية ١٩ ـ ﴿يخرج الحى من الميت﴾	٦٨٢
الآية ٢٠ ـ ﴿ومن آياته أن خلقكم﴾	٦٨٣
الآية ٢١ ـ ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا﴾	٦٨٣
الآية ٢٢ ـ ﴿ومن آياته خلق السماوات والأرض﴾	٦٨٤
الآية ٢٣ ـ ﴿ومن آياته منامكم﴾	٦٨٥
الآية ٢٤ ـ ﴿ومن آياته يريكم البرق﴾	٦٨٥
الآية ٢٥ ـ ﴿ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره﴾	٦٨٦
الآية ٢٦ ـ ﴿وله من فى السماوات والأرض﴾	٦٨٦
الآية ٢٧ ـ ﴿وهو الذى يبدأ الخلق﴾	٦٨٧
الآية ٢٨ ـ ﴿ضرب لكم مثلا﴾	٦٨٨
الآية ٢٩ ـ ﴿بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم﴾	٦٨٩
الآية ٣٠ ـ ﴿فأقم وجهك للدين حنيفا﴾	٦٩٠
الآية ٣١ ـ ﴿منيبين إليه﴾	٦٩١
الآية ٣٢ ـ ﴿من الذين فرقوا دينهم﴾	٦٩١

العنـوان	الصحيفة
الآية ٣٣ ـ ﴿وإذا مس الناس ضر﴾	٦٩٢
الآية ٣٤ ـ ﴿ليكفروا بما آتيناهم﴾	٦٩٢
الآية ٣٥ ـ ﴿أم أنزلنا عليهم سلطانا﴾	٦٩٣
الآية ٣٦ ـ ﴿وإذا أذقنا الناس رحمة﴾	٦٩٤
الآية ٣٧ ـ ﴿أولم يروا أن الله يبسط الرزق﴾	٦٩٤
الآية ٣٨ ـ ﴿فآت ذا القربى حقه﴾	٦٩٥
الآية ٣٩ ـ ﴿وما آتيتم من ربا﴾	٦٩٦
الآية ٤٠ ـ ﴿الله الذى خلقكم﴾	٦٩٧
الآية ٤١ ـ ﴿ظهر الفساد﴾	٦٩٧
الآية ٤٢ ـ ﴿قل سيروا فى الأرض﴾	٦٩٨
الآية ٤٣ ـ ﴿فأقم وجهك للدين القيم﴾	٦٩٩
الآية ٤٤ ـ ﴿من كفر فعليه كفره﴾	٦٩٩
الآية ٤٥ ـ ﴿ليجزى الذين آمنوا﴾	٦٩٩
الآية ٤٦ ـ ﴿ومن آياته أن يرسل الرياح﴾	٧٠١
الآية ٤٧ ـ ﴿ولقد أرسلنا من قبلك رسلا﴾	٧٠٢
الآية ٤٨ ـ ﴿الله الذى يرسل الرياح﴾	٧٠٣
الآية ٤٩ ـ ﴿وإن كانوا من قبل﴾	٧٠٣
الآية ٥٠ ـ ﴿فانظر إلى آثار رحمة الله﴾	٧٠٤
الآية ٥١ ـ ﴿ولئن أرسلنا ريحا﴾	٧٠٤
الآية ٥٢ ـ ﴿فإنك لاتسمع الموتى﴾	٧٠٥
الآية ٥٣ ـ ﴿وما أنت بهادى العمى﴾	٧٠٥
الآية ٥٤ ـ ﴿الله الذى خلقكم﴾	٧٠٦
الآية ٥٥ ـ ﴿ويوم تقوم الساعة﴾	٧٠٧
الآية ٥٦ ـ ﴿وقال الذين أوتوا العلم﴾	٧٠٧

العنـوان	الصحيفة
الآية ٥٧ ـ ﴿فيومئذ لاينفع الذين ظلموا معذرتهم﴾	٧٠٨
الآية ٥٨ ـ ﴿ولقد ضربنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل﴾	٧٠٨
الآية ٥٩ ـ ﴿كذلك يطبع الله على قلوب الذين لايعلمون﴾	٧٠٩
الآية ٦٠ ـ ﴿فاصبر إن وعد الله حق﴾	٧٠٩
سورة لقمان	
الآية ١ ـ ﴿الٓمٓ﴾	٧١٠
الآية ٢ ـ ﴿تلك آيات الكتاب الحكيم﴾	٧١٠
الآية ٣ ـ ﴿هدى ورحمة﴾	٧١٠
الآية ٤ ـ ﴿الذين يقيمون الصلاة﴾	٧١٠
الآية ٥ ـ ﴿أولئك على هدى من ربهم﴾	٧١٠
الآية ٦ ـ ﴿ومن الناس من يشترى لهو الحديث﴾	٧١١
الآية ٧ ـ ﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا﴾	٧١٢
الآية ٨ ـ ﴿إن الذين آمنوا﴾	٧١٣
الآية ٩ ـ ﴿خالدين فيها﴾	٧١٣
الآية ١٠ ـ ﴿خلق السماوات بغير عمد﴾	٧١٤
الآية ١١ ـ ﴿هذا خلق الله﴾	٧١٤
الآية ١٢ ـ ﴿ولقد آتينا لقمان الحكمة﴾	٧١٥
الآية ١٣ ـ ﴿وإذ قال لقمان لابنه﴾	٧١٦
الآية ١٤ ـ ﴿ووصينا الإنسان بوالديه﴾	٧١٦
الآية ١٥ ـ ﴿وإن جاهداك﴾	٧١٧

العنوان	الصحيفة
الآية ١٦ ـ ﴿يا بنى إنها إن تك مثقال حبة﴾	٧١٨
الآية ١٧ ـ ﴿يا بنى أقم الصلاة﴾	٧١٩
الآية ١٨ ـ ﴿ولا تصعر خدك للناس﴾	٧١٩
الآية ١٩ ـ ﴿واقصد فى مشيك﴾	٧١٩
الآية ٢٠ ـ ﴿ألم تر أن الله سخر لكم﴾	٧٢٠
الآية ٢١ ـ ﴿وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله﴾	٧٢٠
الآية ٢٢ ـ ﴿ومن يسلم وجهه إلى الله﴾	٧٢٢
الآية ٢٣ ـ ﴿ومن كفر فلا يحزنك كفره﴾	٧٢٣
الآية ٢٤ ـ ﴿نمتعهم قليلا﴾	٧٢٣
الآية ٢٥ ـ ﴿ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض﴾	٧٢٤
الآية ٢٦ ـ ﴿لله ما فى السماوات والأرض﴾	٧٢٤
الآية ٢٧ ـ ﴿ولو أن ما فى الأرض من شجرة﴾	٧٢٥
الآية ٢٨ ـ ﴿ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة﴾	٧٢٦
الآية ٢٩ ـ ﴿ألم تر أن الله يولج الليل فى النهار﴾	٧٢٧
الآية ٣٠ ـ ﴿ذلك بأن الله هو الحق﴾	٧٢٨
الآية ٣١ ـ ﴿ألم تر أن الفلك تجرى فى البحر﴾	٧٢٨
الآية ٣٢ ـ ﴿وإذا غشيهم موج﴾	٧٢٩

العنوان	الصحيفة
الآية ٣٣ ـ ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم﴾	٧٣٠
الآية ٣٤ ـ ﴿إن الله عنده علم الساعة﴾	٧٣١
سورة السجدة	
الآية ١ ـ ﴿الم﴾	٧٣٢
الآية ٢ ـ ﴿تنزيل الكتاب لاريب فيه﴾	٧٣٢
الآية ٣ ـ ﴿أم يقولون افتراه﴾	٧٣٣
الآية ٤ ـ ﴿الله الذى خلق السماوات والأرض﴾	٧٣٣
الآية ٥ ـ ﴿يدبر الأمر﴾	٧٣٤
الآية ٦ ـ ﴿ذلك عالم الغيب والشهادة﴾	٧٣٥
الآية ٧ ـ ﴿الذى أحسن كل شىء خلقه﴾	٧٣٥
الآية ٨ ـ ﴿ثم جعل نسله من سلالة﴾	٧٣٥
الآية ٩ ـ ﴿ثم سواه﴾	٧٣٥
الآية ١٠ ـ ﴿وقالوا أئذا ضللنا فى الأرض﴾	٧٣٧
الآية ١١ ـ ﴿قل يتوفاكم ملك الموت﴾	٧٣٧
الآية ١٢ ـ ﴿ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رءوسهم﴾	٧٣٧
الآية ١٣ ـ ﴿ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها﴾	٧٣٨
الآية ١٤ ـ ﴿فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا﴾	٧٣٩
الآية ١٥ ـ ﴿إنما يؤمن بآياتنا﴾	٧٤٠
الآية ١٦ ـ ﴿تتجا فى جنوبهم﴾	٧٤٠

العنوان	الصحيفة
الآية ١٧ـ ﴿فلا تعلم نفس ما أخفى لهم﴾	٧٤١
الآية ١٨ـ ﴿أفمن كان مؤمنا﴾	٧٤١
الآية ١٩ـ ﴿أما الذين آمنوا﴾	٧٤١
الآية ٢٠ـ ﴿وأما الذين فسقوا﴾	٧٤١
الآية ٢١ـ ﴿ولنذيقنهم من العذاب﴾	٧٤١
الآية ٢٢ـ ﴿ومن أظلم ممن ذكر﴾	٧٤١
الآية ٢٣ـ ﴿ولقد آتينا موسى الكتاب﴾	٧٤٣
الآية ٢٤ـ ﴿وجعلنا منهم أئمة﴾	٧٤٣
الآية ٢٥ـ ﴿إن ربك هويفصل بينهم﴾	٧٤٣
الآية ٢٦ـ ﴿أولم يهد لهم﴾	٧٤٤
الآية ٢٧ـ ﴿أولم يروا أنا نسوق الماء﴾	٧٤٥
الآية ٢٨ـ ﴿ويقولون متى هذا الفتح﴾	٧٤٦
الآية٢٩ـ ﴿قل يوم الفتح﴾	٧٤٦
الآية ٣٠ـ ﴿فأعرض عنهم﴾	٧٤٧
تفسير سورة الأحزاب	
الآية ١ـ ﴿يا أيها النبى اتق الله﴾	٧٤٨
الآية ٢ـ ﴿واتبع ما يوحى إليك﴾	٧٤٨
الآية ٣ـ ﴿وتوكل على الله﴾	٧٤٨
الآية ٤ـ ﴿ما جعل الله لرجل من قلبين﴾	٧٤٩
الآية ٥ـ ﴿ادعوهم لآبائهم﴾	٧٥١
الآية٦ـ ﴿النبى أولى بالمؤمنين﴾	٧٥٢
الآية٧ـ ﴿وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم﴾	٧٥٤
الآية٨ـ ﴿ليسأل الصادقين﴾	٧٥٤
الآية٩ـ ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾	٧٥٥
الآية١٠ـ ﴿إذ جاءوكم من فوقكم﴾	٧٥٦
الآية١١ـ ﴿هنالك ابتلى المؤمنون﴾	٧٥٧
الآية١٢ـ ﴿وإذ يقول المنافقون﴾	٧٥٨
الآية ١٣ـ ﴿وإذا قالت طائفة﴾	٧٥٨
الآية١٤ـ ﴿ولودخلت عليهم من أقطارها﴾	٧٥٩
الآية١٥ـ ﴿ولقد كانوا عاهدوا الله﴾	٤٦٠
الآية١٦ـ ﴿قل لن ينفعكم الفرار﴾	٤٦٠
الآية١٧ـ ﴿قل من ذا الذى يعصمكم﴾	٤٦١
الآية ١٨ـ ﴿قد يعلم الله المعوقين﴾	٤٦٢
الآية ١٩ـ ﴿أشحة عليكم﴾	٤٦٣

تمت الفهـــرسة بعون الله